

بِوَيْلٍ حَكِيمَةٍ مِنْ بَنَاءِ وَدُنْيَا يُؤْتِي
الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ بَعْضُ كُتُبِهَا وَمَا
يَذْكُرُ إِلَّا أَوَّلَ الْأَلْبَابِ

المبصرا

١٣١٥

فَقَبْرُ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ
فَيَذَرُونَهُ أَجْنَاءً أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ
اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أَوَّلُ الْأَلْبَابِ

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الخميس غمرة محرم الحرام سنة ١٣٢٠ - ١٠ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٢)

﴿ فَاَتَمَمْنَا السَّنَةَ الْخَامَةَ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم ،

وبعد فقد تم للمنار أربع سنين ودخل بهذا الجزء في السنة الخامسة
ولم ينس القراء ان فوائج السنين انما هي انما كانت تكسب بها العلم
والخير ، الى تحائف الأمل والتأمل ، لما امتناه من معارضة انصار الجهل ،
ومناهضة الذين اتوا الذل ، وما تحملناه من مناصبة الظالمين ، ومناضبة
المقندين ، مع المناء الكبير ، وقلة الدون والنصير ، ولو كان هذا المنار
منشأ لأجل الكسب ، وابتناء الرزق ، لقوضته أنواء المناوأة والمناكدة ،
ودكته رياح الماسكرة والمكيدة ، ولو قصد به التوصل الى الوظائف
والمناصب ، والتوصل الى الرتب والدرجات ، انال منها ما أراد ، او نالت

منه ما تريد ، ولو كان الغرض منه الرياء والفخر ، وحسن السمعة والذكر ، لتلاعبت به الأهواء ، وعبثت به أيدي الزعماء والرؤساء ، فأنته عن الطريقة ، وصرفته عن طلب الحقيقة ، كلا والله ما كان شيء من ذلك ولن يكون . « إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب »

صرحت في فاتحة السنة الأولى بأنني كنت في هذا العمل بين يأس ورجاء يحركني الباعثان ، ويتنازعني الساملان ، وفي خاتمتها بأن غوغا الناس سلقونا بالسنة حداد ، وروونا بسهام الانتقاد ، ولم تكن السنة الثانية بأهمل من الأولى ، ولا بأقل بلاء ، وأكثر قبولاً ، وقلت في فاتحة السنة الثالثة إن النار قد انتشرت تنالني ولم أقل أنه زاد هو انتشاراً ، وقلت إن الكتاب والخطباء قد تداولوا مسأله ولم أقل أنهم كانوا أعمق وأناصر ، بل صرحت بأنهم كانوا « بين مخملي ومصيب ، ومتقده ومجيب ، وهكذا يكون الأمر في أوله وستتجلى الحقيقة للناس إن شاء الله عن قريب » .

وكتبت في فاتحة السنة الرابعة أنه « قد نما النمو الطبيعي المقدّر له من أول زاده (أي التدرجي البطيء) ولقي صاحبه من الألفاظ من ملقي الدين نصداً للإصلاح من قبله وصبر كما صبروا والله مع الصابرين » ثم أنشأ كنا نخرج هذه الشكوى بشكر العلماء ، والاعتراف بفضل الفضلاء ، الذين تقبلوا المنار بأحسن القبول ، ورأوه من بواعث إحياء الأمل وحصول المأمول ، مع الإيحاء إلى قلوبهم ، والتبرم من عدم نجاتهم ،

هذا بمجل تاريخ المنار من أول نشأته إلى سنته الرابعة التي كان آخرها خيراً من أولها ، وخاتمتها أفضل من فاتحتها ، ولم ينس القراء أننا اعترفنا

فيما بتضاعف قراء النار : وكونه صار موضع الثقة في جميع الأقطار ، ونريد
تحدثنا بالنعمة فنقول : لقد خشعت بفضل الله تعالى أصوات المشايخين ،
وأعرض الناس عن جهل المعارضين ، فخنست شياطين الوسوس ،
وطاشت سهام أرباب الدسائس ، وصار لنا من مستحصى العمل في السر ،
من يدعو إليه في الجهر ، ومن المتبرمين منه ، من يناضل دونه ويدافع عنه ،
فلنا أن نقول الآن تحدثنا بالنعمة : انا انتقلنا من مقام الصبر إلى
مقام الشكر . فأما الصبر : فلا بد للداعي إلى الحق من الاعتصام به ولذلك
قرن الله تعالى التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، ومن فوائد الصبر الظفر
وحسن الجزاء قال تعالى «وَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرُهُمْ بِأَحْسَنِّ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ» وقال عز وجل «وَجَعَلْنَاكُمْ أَُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا
بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» بل وعد سبحانه أهل الصبر ، بمضاعفة الجزاء والأجر ،
فقال «أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا» وأما الشكر : فقد وعد
الله تعالى صاحبه بالزيد من النعمة والأمن من العذاب فقال عز شأنه
«وَإِذَا تَذَكَّرْتُمْ لَكُمْ لَزِيدٌ لَكُمْ وَلَكُمْ لَكُفْرٌ ثُمَّ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ»
وقال جل ثناؤه «مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ
شَاكِرًا عَلِيمًا» فנסأله تعالى أن يوفقنا للشكر على الآلاء ، كما وفقنا للصبر على
البلاء ، فإن الشكر مقام عزيز لأن من شأن الإنسان أن تبطره النعمة ويشغله
المرور بها عن الشكر عليها ولذلك قال تعالى «وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ»
الشكر هو معرفة النعمة للمنعم تعالى والثناء عليها وصرفها في إقامة
سننه وموافقة حكمته وموجبات محبته . ومن شكر الله شكر من أحسن

العمل من عباده . فقد روى أحمد وأبو داود وابن حبان من حديث
أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا يشكر
الله من لا يشكر الناس ، لهذا نشكر لأولئك الأفاضل الذين انتدبوا
للدعوة إلى المنار والسعى في نشره عملهم ، ونعرف لهم فضلهم ، ونشكر
أيضا للمشاركين الكرام الذين يؤدون الحقوق في أوقاتها وقامهم ونمترف
بالسبق بالفضل ، نقوم سيقوا باليدل : فأدوا قيمة الاشتراك عن السنة
الخامسة قبل دخولها حتى إننا لم نقبل ذلك من بعضهم إلا بعد الإلحاح منهم
والإصرار . ونرجو من سائر المشاركين الفضلاء ، أن يبادروا إلى حسن
الأداء ، فإن من يُشكّر له ، خير ممن يصبر عليه ، ونحمد الله تعالى أن
أكثر قراء المنار ، من المصطفين الأخيار ، فمنهم العلماء الفضلاء ، والأمراء
والوزراء ، والقضاة المقسطون ، والمحامون البارعون ، ونظار المدارس
وأساتذتها ، والأذكىاء النابغون من تلامذتها ، والتجار الأماناء ، والزراع
الوجهاء ، وأهل الاستقامة من الموظفين ، وذوو الشهامة من الضباط
المصريين ، ونمد الجميع بأننا سنبذل الجهد في زيادة الفوائد ، وتحرير
المسائل ، والبحث عن أقرب الوسائل لتحضة المسلمين ، ومنفعة جميع
الشرقيين ، بل نرجو أن يكون عملنا خدمة للناس أجمعين .
ونسأل الله أن يحفظنا من عثرة القلم ، وزلة القدم ، وأن يلهمنا
السداد ، ويوفقنا للصواب ، وأن ينصر سلطاننا ، وينير بهارتنا ، ويحقق
آمالنا ، ويحسن مآلنا ، فهو نعم المولى ونعم النصير ، بيده الخير وهو على
كل شيء قدير

صاحب المنار ومحرمه

محمد رشيد رضا

﴿باب الأخبار النبوية وآثار السلف الصالح﴾

نشر في هذا الباب ما يرف به المسلمون أصل مدينتهم ومنشأ سعادتهم التي ذهبت بتركه

القضاء في الإسلام - النبرة الثانية

وجوب نصب القاضي (الحديث^(١)) قال صلى الله عليه وسلم : « لا يحل
لثلاثة يكونون بخلافة من الأرض إلا أقرروا عليهم أحدهم » وفي رواية :
« إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا عليهم أحدهم » استدل العلماء بهذا
الحديث على أن نصب الأمير الذي يسوس الناس والقاضي الذي يحكم
بينهم واجب شرعا . لأن هذا أولى بالوجوب من تسمية اثنين وإن كانوا
أقل الجمع واحد منهم وعليهم العلة ظاهرة والعمل عليها من أول الإسلام .
وفي الحديث إرشاد إلى أن الأمة هي التي تولى الأمراء والحكام كما
تقدم شرحه في باب الأحاديث الواردة في الأمراء من المجلد الرابع .

« ١ » رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو . والرواية الثانية : أخرجها أبو داود عن
أبي سعيد . وأخرج نحوه البراء بسند صحيح عن عمر بن الخطاب .

موانع القضاء أو شروطه تقدم في الأحاديث السبعة التي أوردناها في النبعة الأولى ما يدل على أن الضيف لا يكون قاضياً وبيناً أنواع الضيف، وأن الجاهل لا يكون قاضياً. كما يؤخذ من حديث قاضي الجنة وقاضي النار وغيره، وأن الجائر لا يكون قاضياً وأن المرأة لا تكون قاضية وخالف في هذا الشرط الحنفية ولو كان المخالف من علماء هذا العصر لحكم بكفره أكثر المساميين، ورموه بمصانعة الأجانب وتقليد الأوربيين، وكذلك الصبي لا يكون قاضياً ونقل بعضهم الإجماع على هذا ويستدل به بما استدل به على منع قضاء المرأة وفي هذه الموانع أحاديث أخرى نورد بعضها ^(١) قال صلى الله تعالى عليه وسلم «استمعوا بالله من رأس السبعين وإمارة الصبيان» والقضاء ضرب من الإمارة ولا تعرف في الناس من تولى الصبيان القضاء ولعنهم يولونهم الإمارة والسلطنة بالوراثه وقد نلد المسلمون الأوربيين في هذه الوراثة. وأما أولئك فإنهم آمنون من مضرة ولاية الصبي لأن حكوماتهم مقيدة بقوانين، ووزراء مسؤولين ومتفذين، وإنما الحاكم العام، (كالملك ورئيس الجمهورية) لأجل الوحدة في مصدر الأحكام، وهو لا يستبدونهم بتقضى ولا إبرام. وأما بلاد الشرق فلقد تأصل فيها الاستبداد ورسخت عروقه واعتادت أممها عليه وضمفت عن مقاومته فلو قضت شئون السياسة وتقاب الحوادث على بعضها بوضع قانون يجعل أحكامها مقيدة بالقوانين؛ التي تغل أيدي الأمراء والسلطين، لما وجد من الأمة كافل يضمن تنفيذ القانون ولا استبداد الحاكم الا كبر كيف شاء أو بجد قوة أجنبية تأخذ على يده. وتوقفه عند حده. ولهذا المعنى كانت

تولية الصبي المملوك خطر آ في الشرق ومثله المرأة . وأما رأس السبعين في الحديث فقالوا إنه أنباء عا وقع في عشر السبعين من الفتن . كقتل سيدنا الحسين عليه السلام والرضوان ووقعة الحرة وغير ذلك .

(١٠) عن أبي بكره قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى قال : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . والنظر في هذا الحديث الشريف من وجهين . أحدهما : كونه خبراً وثائهما : كونه حكماً شرعياً لأنه يتضمن معناه النهى عن تولية النساء الأمور العامة كالخلافة والقضاء . أما الأول فهو مبنى على المادة التي كانت متبعة في الشرق بل في العالم كله وهي أن الأمر والنهى والتصرف السياسى والقضائى بأيدي الملوك والأمراء ولا شك أن هذه الوظائف لا يصح أن تسند إلى النساء لأنهن أضعف رأياً لاسيما في محافل الرجال وما يتعلق بأعمالهم وأقل جلدأ وثباتاً وأميل مع الهوى لركة قلوبهن وسرعة انفعالهن ولأنهن إن يشتغلن بذلك يضعفن عن وظائفهن الطبيعية وهي تربية الأولاد وتدير المنزل فإذا كان في المرأة استعداد لأن تجارى الرجل وتكون مثله في كل شيء كما يزعم بعض الأوربيين فهذا الاستعداد لما يتحقق فعلا مع العناية بتربية النساء في أوربا فلا يعترض به على حديث قيل في شأن الفرس من ثلاثة عشر قرناً ، ولا ينبغي السعى في تحقيقه بتربية المرأة كما يترى الرجل تماماً لأن هذا يضر النوع الإنسانى من وجوه أهمها تربية الأولاد فإن المرئى يجب أن يكون بينه وبين المرئى تقارب وتناسب في السجايا والأخلاق والأفكار والرغائب ليسهل الائتلاف والامتزاج ممة والتقليد له والأخذ

عنه بالطبع لا بالتكاف والمراة وحدها طير الأطفال وبين الرجال التي
تربي البنات كل التربية وتربي الصبية التربية الأولى التي نعدهم بالإخذ عن
الرجال والاقتداء بهم. وإذا اشتغل الرجل بتربية الأطفال، فإنه يعامل
الذكرا ن والانا ن معاملة الرجال ، وفي ذلك خروج بالبنات عن سنة
الفطرة ، وذهاب بالصبيان مع الفطرة

وأما الثاني - وهو كون الحديث حكما شرعيا مع ولاية النساء -
فهو من جهة مناسب لاستعداد الذكور ولوظيقتهن الفطرية ومن جهة
أخرى مناسب لما كان عليه حالة الأمم في تلك المصروف الحاجة لإباحته
في عصر آخر بين فيه السرور المذكور في الرجة الأول ومن النمدى عن
وظيفة النساء الطبيعية ولا يترضى بحال أوربا وكون الدولة الانكليزية
أطلقت في عهد الملكة فيكتوريا ما كانت هي ولا غيرها من الدول
مثله لأن فرقا بين أمم أوربا والأمة الإسلامية وهو أن الملك فيهم
ليس له من الوظائف مثل ما كان له عند المسلمين فإن الخليفة هو الامام
الدينى الذى يصلى بالناس ويخطبهم في المناسبات وهم عند حضوره الحج
وكل الأئمة والخطباء في البلاد الإسلامية والامام هو وكلاؤه وهو القاضى
الأكبر الذى يحكم فيهم حيث يكونون في القضاة والمفتين وما وكلاؤه
فهو الذى يقدّم هذا المنصب بشرط الكفاءة وإليه يرجعون في مسائل
الخلاف ليفصل فيها، ومن شروط الكفاءة أن يكون القاضى والمفتى في
مرتبة الأئمة المجتهدين في الدين ومعرفة مساجدة المسلمين ولا يعرف هذا
إلا من هو أهله. وإن فرضنا أن في استعداد المرأة الوصول إلى هذه
المرتبة وأنه لا ضرر في هذا على الدين الانسانى فهناك مانع آخر من إمامتها

وهو أنها تكون في طور الانصاح فيه صلاتها بنفسها فكيف تكون إماماً لغيرها . ولا يقال: تستنب لأن من ليس له الحق بشئ لا يصح أن يستنب فيه إذ النائب يؤدي وظيفة المنيب ولا وظيفة له هنا هذا بعض ما يقال في المنع من الجهة الدينية المحضة وثم موانع أخرى من الجهة الدنيوية وهي كون الخليفة مدبر السياسة والحروب ومتولى النظر في المصالح الداخلية والمخارجية ولذلك اشترطوا أن يكون شجاعاً فإن قيل: إن الإسلام شرع المشاورة في الأمر وجعلها فرضاً لازماً ومنع الخليفة أن يستبد في أمر نفسه وهذا عين ما عليه الأوربيون في تقييد الملوك بالجالس النيابية قلنا: نعم هذا صحيح ولكن الإسلام أوجب على الخليفة أن يكون عاملاً بالمشاورة لا أن يكون آلة تجري الأمور باسمه بدون شعور . والكلام في هذا المقال كثير وفيما ذكرناه غناء للصبر .

ومن موانع القضاء عند الجاهل الرق وحكى عن المترة أنه يصح أن يكون المبد قاضياً وكأنهم أخذوا بظاهر الحديث وهو (١١) قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » وفي رواية « اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبدية ودكم بكتاب الله » قال القسطلاني في شرح البخاري: معناه: إن استعمله الإمام الأعظم على القوم لأن المبد الحبشي هو الإمام الأعظم فإن الأئمة من قريش . أو المراد به الإمام الأعظم على سبيل الفرض والتقدير وهو مبالغة في الأمر بطاعته . والنهي عن شتمانه ومخالفته : أنه أي ليس المراد به ظاهره فإن المبد إذا ولي الخلافة لا يطاع بل يخضع ويؤزل .

« ١١ » رواه أحمد والبخاري عن أنس . والرواية الثانية لمسلم عن أم الحصين

قال الخطابي : قد يضرب المثل بما لا يتبع في الوجود وقال الحافظ في الفتح :
ونقل ابن بطال عن المهلب قال قوله «اسموا وأطيعوا» لا يوجب أن يكون
المتعمل للعبد إلا إمام قرشي لما تقدم من أن الإمامة لا تكون إلا في
قرش . وقد أجمع الأمة على أنها لا تكون في العميد ويحتمل أن يكون
سماء عبداً باعتبار ما كان قبل العتق اهـ

والحاصل أن شروط القضاء في الشرع سبعة كما قال في الأحكام
السلطانية الرجولية والخبرة والإسلام والمدالة والابتداء في العلم والعقل
وسلامة الخواص وجوز مالك قضاء الأعشى كما يجوز تهادته

﴿ آثار السلف عبرة للخلف ﴾

عبدل عمر روى ابن عبد الحكم عن أنس «أن رجلاً من أهل مصر
أتى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين : عاند بك من الظلم : قال عذت
مماذا . قال سأقتل ابن عمرو بن العاص فيبغته فجعل يضربني بالسوط
ويقول : أنا ابن الأكرمين . فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم ويقدم
ابنه معه فقدم فقال عمر : أين المصري ؟ خذ السوط فاضرب فجعل
يضربه بالسوط وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين . قال أنس فاضرب
فوالله لقد ضربه ونحن نحسب ضربه فما ألقه عنه حتى تخدنا أنه رفع عنه
ثم قال للمصري : ضع السوط على صامة عمرو . فقال يا أمير المؤمنين :
إنما ابنه الذي ضربني وقد استغفرت له . فقال عمر لعمرو : ماذا كنتم تعبدتم
الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً . قال يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني .
وروى عبد الرزاق في الجامع والبيهقي بسند صحيح عن ابن عمر قال :

شرب أخى بيد الرحمن وشرب معه أبو مروعة عتبة بن الحارث وها
 بمصر في خلافة عمر فسكرا فلما أصبحا انطلقا إلى عمرو بن العاص وهو
 أمير مصر فقالا: طهرنا فإننا قد سكرنا من شراب شربناه (يظهر من هذه
 الكلمة أنهما لم يكونا يقصدان السكر ولم يعرفا ما هو الشراب) قال
 عبد الله فذكر لى أخى أنه سكر. فقلت: ادخل الدار أطهرك ولم أشعر أنهما
 قد أتيا عمرو فأخبرنى أخى أنه أخبر الأمير بذلك فقلت لا تحق اليوم على
 رؤس الناس ادخل الدار أحلقك، وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحد فدخلوا
 الدار. قال عبد الله فحقت أخى بيدى، ثم جلد عمر فسمع بذلك عمر
 وكتب إلى عمرو أن ائت إلى بعبد الرحمن على قتب ففعل ذلك فلما قدم
 على عمر جلد وعاقبه لمساكنه منه ثم أرسله فثبت شهرًا صحيحًا ثم أصابته
 مدره فمات فيحسب عامة الناس أنه مات من جلد عمر ولم يمض من جلد عمر
 وروى هذا الأثر ابن سعد في الطبقات مطولاً، ذكر فيه مجيء
 عبد الرحمن إلى مصر ونزوله في أقصاها وأن عمرو أخشى أن يزوره أو يهذى
 إليه شيئاً فيعلم أبوه عمر بذلك فيعاقبه لأنه كان كتب إليه « إياك أن يقدم
 عليك أحد من أهل بيتى فتحبوه بأمر لا تصنع به فيه » حتى جاءه هو
 ورفيقه أبو سرعة منكسرين يطلبان إقامة الحد عليهما. وفيه أن عمر لما علم
 أن عمرو أقام الحد على ولده في بيته وحلقه في بيته ظن أنها خصوصية
 اختص بها وندفكت إليه يوبخه ويهدده بالمزل ويطلب عبد الرحمن.
 وأن عمرو اعتذر له بأن يحذ كل مسلم وذى في بيته. اه ملخصاً من

كتاب (كنز المال ، فى سنن الأقوال والأفعال)

﴿ باب المعائد من الامالى الدينية ﴾
« الدرس ٣١ — عصمة الأنبياء عليهم السلام »

(المسألة ٧٩) حقيقة العصمة هي في اللغة المنع ، وقال الجرجاني في التمرينات « العصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها » أى أن المصوم من الشيء يجد في نفسه قدرة عليه ويشعر بزجر منها يحول دون الوقوع فيه ، فالمصمة وازع نفسى راسخ فى النفس وهى فى الأنبياء فطرية وقد يكون لغيرهم بحسن التربية من ملكة للفضيلة ما يربأ بنفسهم عن موافقة الفجور والدنبا ويسمى علماءنا هــ هذا المعنى حفظاً للتفرقة وإنما يكون هذا بالتربية الفاضلة بين الفضلاء مع مساعدة الورثة واعتدال المزاج . وقد ينكر الذين ابتلوا باقتراف الكبائر هذا المعنى أن يكون لغير الأنبياء ، ويسلمون به للأنبياء تقليداً ولهم المذر فإنه أمر لا يعرفه إلا من ذاقه وقليل مام .

(م ٨٠) العصمة فى التبليغ جاء فى المواقف أن أهل الملل والشرائع قد أجموا على عصمة الأنبياء عن تعمد الكذب فيما دل المعجز على صدقهم فيه كدعوى الرسالة وما يبايعونه عن الله تعالى وإن عاقلا لا يجمع بين الإيمان والوحي والنبوة وبين تجويز كذب النبي على الله تعالى فيما يبلغ منه فإن كان هذا جائزاً فأى ثقة بالوحي وكيف يميز المكلف بين ما هو عن الله وما عن غير الله والمبلغ غير موثوق بصدقه ؟ ولقد أبعد القاضى أحد أئمة الأشعرية فى قوله بجواز صدور الكذب منهم سهواً وهو قول مردود لا يمول عليه أحد ، والدليل على هذا النوع من العصمة هو عين الدليل

على النبوة من الآيات العلمية أو الكونية .

(م ٨١) العصمة من الكفر أجمع المسلمون من جميع الفرق على عصمتهم من الكفر قبل النبوة وبعدها وليس هنا شبهة لأحد فتوسع فيه .

(م ٨٢) العصمة من كبار الذنوب قال في المواقف وشرحه : « أما الكبار » أى صدورها عنهم عمداً « فمنه الجمهور » من المحققين والأئمة ولم يخالف فيه إلا الخشوية « والأكثر » من المانين « على امتناعه مسمماً » قال القاضى والمحققون من الأشاعرة إن العصمة فيما وراء التبليغ غير واجبة عقلاً إذ لدلالة للمعجزة عليه فامتناع الكبار عنهم مسمماً مستفاد من السمع وإجماع الأمة قبل ظهور المخالفين فى ذلك « وقالت المعتزلة بناء على أصولهم » الفاسدة فى التحسين والتقبيح العقليين ووجوب رعاية الصلاح والأصالح « يمتنع ذلك عقلاً » لأن صدور الكبار عنهم عمداً يوجب سقوط هيتهم من القلوب وانحطاط مرتبتهم فى أعين الناس فيؤدى إلى النفرة عنهم وعدم الاقياد لهم ويلزم منه إفساد الخلاق وترك استصلاحهم وهو خلاف مقتضى العقل والحكمة . « وأما » صدورها عنهم « سهواً » وعلى سبيل الخطأ فى التأويل « فجوزة الأكثرين » والمختار خلافه اه ولم يذكر ناقل الإجماع ولا كيف وقع هذا الإجماع ، وما أراه إلا الإجماع السكوتى وعجيب من سادتنا الأشاعرة كيف ينقضون الأدلة العقلية على عصمة الأنبياء لأجل مخالفة المعتزلة ولو بالتكلف إذ استلزم دليلهم للتحسين والتقبيح بالمعنى الناقى لا اختيار الله تعالى ممنوع كما ستبينه ثم إنهم جوزوا وقوع الكبار منهم سهواً وتأويلاً كما ترى وذكر السيد أن المختار خلاف ما عليه الأكثرين وقد جزم المتأخرون بهذا فى عقائدهم ولا شك

ان المتأخرين أشد تعظيماً بالقول للأنبياء والصالحاء وكذلك في الاعتقاد التخلي
دون البرهاني على أنهم في هذه المسألة أقرب إلى الصواب من المتقدمين
(م ٨٣) العصمة من الصغائر قال المواقف : « وأما الصغائر عمداً
فجوزها الجمهور إلا الجبائي وأما سهواً فهو جائز اتفاقاً إلا الصغائر الحسية
كسرقة حبة أو لقمة وقال الجاحظ : يجوز بشرط أن ينهوا عليه فينتهوا
عنه وقد تبينه فيه كثير من المتأخرين وبه نقول » قال الشارح : (أي
نحن الأشاعرة) .

(م ٨٤) العصمة قبل النبوة قال المواقف بعد إيراد ما ذكرناه : « هذا
كله بعد الوحي وأما قبله فقال الجمهور : لا يمنع أن يصدر عنهم كبيرة إذ
لا دلالة للمعجزة عليه ولا حكم للعقل . وقال أكثر المعتزلة : تمنع
الكبيرة وإن تاب منها لأنه يوجب التوبة ، وهي تمنع عن اتباعه ،
فتفوت مصالحة البعثة ومنهم من منع عما ينفر مطلقاً ككبر الأمهات
والنجور في الآباء والصغائر الحسية دون غيرها . وقالت الروافض :
لا يجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة قبل الوحي ، فكيف بعد الوحي ؟ » اهـ
وقول الروافض هذا هو الذي اعتمدته المتأخرون من أهل السنة ، بل
منع بعضهم وقوع المكروه منهم إلا على سبيل التشريع .

(م ٨٥) رأينا^(١) إنما ذكرنا هذا الاختلاف في العصمة ليعرف من
يطالع عليه من دعاة النصارى ومجادليهم : أن المسلمين لم يتكفوا القول
بعصمة الأنبياء تكلفاً لإثبات قدرتهم على إنجاء الناس من العذاب في

(١) راجع البنية ١١ من تهافت المسيحيين وخرج الذين في عصمة الأنبياء

اليوم الآخر كما يزعمون وإنما يتبعون في ذلك كغيره ما يظهر لهم من الأدلة العقلية والسمعية أى أدلة الوحى وإنما نقلنا عبارة كتاب المواقف الذى هو أعظم كتب الكلام عندنا لثلايظن قليل الإطلاع من المسلمين أن الأقوال التى أوردناها فى الخلاف هى أقوال شاذة أو مسندة لغير أصحابها سهواً أو جهلاً لاسيما اعتماد متأخرى أهل السنة قول الرافضة . والذى نراه أنه يصح الاستدلال بالعقل على عصمة الأنبياء عليهم السلام ولا يستلزم ذلك القول بقاعدة التحسين والتفحيح المقلين ولا سبب الاختيار عن الله تعالى . وكذلك يستنبط من كثير من الآيات القرآنية ما يدل على نراحتهم وكونهم قدوة فى الخير والفضائل . ولكن ليس فيها نص صريح على العصمة من الذنوب ، مطلقاً ولذلك قال صاحب المواقف بعد إيراد تلك الآيات انها ليست بالقوية فيما هو محل النزاع وهو الكيفية سهواً والصغيرة عمداً . وفى الكتاب والسنة إسناد الذنوب إلى بعض الأنبياء عليهم السلام وما جاز على بعضهم جاز على الآخرين والعلماء يأولون ذلك وقصارى هذا كله وجوب الإعتماد على الدليل العقلى والتوفيق بينه وبين ما ورد من إسناد الذنوب إليهم فاطلب ذلك من الدرس الآتى .

(باب الأسئلة والأجوبة)

(س١) محمد توفيق أفندى حمزه بالفشن (المنيا) : هل يوجد حديث صحيح بأن فى القرآن لحناً ستقيمه العرب بألسنتها وأن منه قوله تعالى « والمقيمى الصلاة والمؤتون الزكاة » نرجو الرد على ذلك لإزالة الشبهة

(ج) لم يرد في هذا المعنى حديث صحيح ولا ضعيف ولا موضوع
ولكن الزنادقة الذين حاولوا العبث بدين الإسلام كما كان يفعل أمثالهم
في الأديان الأخرى لما عجزوا عن زيادة حرف في القرآن أو نقص حرف
منه لحفظه في الصدور والصحف أرادوا أن يشككوا بعض المسلمين فيه
بشيء يضمنونه عن لسان الصحابة الكرام فزعم بعضهم أن عكرمة قال
لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان فوجد فيها حرفاً من اللحن فقال
«لا تيروها فان العرب ستغيرها أو قال ستقرؤها بالاستنها. ولو كان الكاتب
من ثقيف والملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف» .

وفي لفظ آخر «أحسنتم وأجلتم أرى شيئاً من الحن يستقيم به العرب
بالاستنها ولو كان الملي من هذيل والكاتب من قريش لم توجد هذا»
ولما تصدى المحدثون رضي الله عنهم لنقد الحديث والأثر من جهة الرواية
التي راج في سوقها الطيب والخبيث تبين لهم في هذا الأثر ثلاث علل
الانقطاع والضعف والاضطراب فهو لا يعول عليه لو كان في الحث على
فضائل الأعمال فكيف يلتفت إليه في موضوع هو أصل الدين الأصيل
وركنه الركين؟ ومن يدري إن كان الساقط من مسنده مجوسى أو ذهري
أو إسرائيلى؟ على أن السكامة التي نسبت إلى عثمان تدل على أن اللحن في الرسم
وأنه لم يكن مما يشبه في قرأته لأنه لا يحتمل في النطق وجهاً آخر كرسم
الصلاة والزكاة والحياة بالواو مثلاً (الصلاة الحيوة) ولكن الموسوسين
عملوا ذلك على كلمات قليلة جاءت في المصحف على خلاف القواعد النحوية
التي وضعها الناس لكلام العرب وتحكمون بها عليهم ومن ذلك الآية
التي أشار إليها السائل وهي قوله تعالى «لكن الراسخون في العلم منهم

والأثر نور يورث نور، وما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيم الصلاة
والمؤتي الزكاة » وإني لأعجب من دخيل في لغة قوم يحكم عليهم في
شيء يحترمه هو ويحمله أسلافها . وأعجب من هذا أن يكون هذا
النحيم على أميغ شيء في اللسان فان الذين يؤولون ماورد عن بعض منفياء
الأعراب من الشعر المخالف للأواعد أو يكتفون بأنه صحيح لأنه هكذا
سمعت يوقفون في بعض الكلام من القرآن إذا رأوا أنها على خلاف القياس .
عني أن علماء العربية خرجوا تلك الكلمات على ما يوفق قواعدهم من
وجود مذكرة في كتب التفسير وكتب النحو لا محل لها هنا .
وسفصل القول في مسألة جمع القرآن في دروس الأما إلى الدينية بما يشق
الصدور إن شاء الله تعالى .

(س ١٦) أحمد أفندي الألفي في أبي كبير (شرقية) : مأقرب الطرق
لمعرفة أحكام العبادات من الكتاب والسنة ؟ .

(ج) الكتاب العزيز لم يفصل القول في صور العبادات وإنما بين
روح العبادات والمقصود منها وفيه كيفية الموضوع وذكر الركوع والسجود
من أعمال الصلاة والسنة بينت صورها وأذكارها . وأصحاب الكتب
السيئة التي هي أصح كتب الحديث إنما ألفوا كتبهم لمعرفة الدين منها لجامع
البخاري هو مذهبه الذي يعتمد عليه في فهم الدين وقد قال بعض العلماء
إن سنن أبي داود كافية فيما يشترط للاجتهاد من علم السنة . ويوجد كتاب
يسمى « تنقي الأخبار » جمع فيه صاحبه أحاديث الأحكام من الكتب الستة
ومن مسند الإمام أحمد وقد شرحه الإمام الشوكاني وأورد في شرحه
خلاف جمع أئمة المسلمين المشهورين من الصحابة والتابعين مع بيان

الترجيح في الاستدلال واسم الشرح (نيل الأوطار) فهو أجمع كتاب في أحكام الدين من السنة وهدى سلف الأمة لمن هو أهل للفهم والأحاديث الشريفة أسهل فهمًا من كلام العلماء ، ولكن لا يستغنى عن هدايتهم في معرفة ما يحتاج به وما يختلف مع غيره .

(س ٣) ومنه : هل يفيد حفظ القرآن في اكتساب ملكة البلاغة

كغيره من الكلام البليغ ؟

(ج) لعل سبب السؤال نوم أن القرآن في علو أسلوبه وإعجازه لا يمكن أن يحتذى بلاغته ، من لا يطمع أن يبلغ غايته ، والصواب أن لحفظ القرآن مع فهمه أبلغ التأثير في ارتقاء ملكة البلاغة العربية ولقد ارتقى به كلام العرب أنفسهم وكان كلامهم في المنظوم والمنثور بعد الإسلام أعلى منه قبله . فالقرآن أنفع الكلام في ارتقاء اللغة كما أنه أنفعه في إصلاح الأرواح وتهذيب النفوس وإكمال العقول ولا يستلزم نفعه في ارتقاء البلاغة إمكان التسلق إلى درجته ، والجرى إلى غايته ، وإن لنا لمودة إلى هذه المسألة إن شاء الله تعالى

(س ٤) ع ١. ر. في الإسكندرية : لا يخفى ما رسخ في أوهام العوام من مسألة كرامات الأولياء والخروج في فهم حقيقة قتها عن الحد الذي نهى عليه شريعتنا السمحة ، ويشغرنوا واحد من هؤلاء الدجالين الجبناء المتحليين لأنفسهم علم الغيب وله سبحة طويلة ينظر فيها عند سؤاله من العامة فيخبرهم بما يحصل لهم في غد من الحوادث فيصدقونه والمتنبهون منهم إن سألوا بعض العلماء عن ذلك جوزوه بدعوى أنه كرامة من غير توضيح ، ما هي الكرامة ومن يكرم الله بها من عباده المتقين غير الدجالين الذين هم عن

صلايتهم ساهون . ولما كان للاسلام والسدين صوى . وروايتهم كمنكر المصداق .
 نيراماً لهم وندسلا إن هم تاهوا في زياد . الخيرة وديور . الخلفاء . الخ .
 السور اليكم ملتصقة من بحر عملي . وواسع حكمكم . ان يوضحوا بعدد خبر القس
 (وان كان سبق توضيح) هل ورد في شرح ما يجنا لأحد من الناس التبريم على
 غيب علم الله الذي ستره عن عباده وإخبار الناس بما يصيبهم من خير أم شر . فان
 خل أو امتشعر منه الخيط والحظ قال : « السجدة الثانية السجدة ثالثة » هل يجوز ان
 نهضوا لما نالك بشاركم المير وروايتهم هذه العبر . الخلفاء على القول . . .

(ج) لم يرد في كتاب الله ولا سنة عليه منه الصلاة والسلام ما يدل على جواز
 هذه الدعوى لأحد بل ورد ما يدل على أن الأنبياء عليهم السلام قد أُمروا بأن
 يصنعوا منها . « قل لا أقول لكم علمي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم
 إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون »
 « قل لا أملك لنفسي شئاً ولا لناسي إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت
 من الخير وما مسمى السوء إن أنذير وبشير لقوم يؤمنون » - « قل لا يعلم
 من في السموات والأرض الغيب إلا الله » والآيات في هذا تلغى كثيرة . واستشكل
 بعضهم نفى علم الغيب عن النبي مع أنه أخبر بكثير منه وأحسن جواب أجابوه ما تؤيده
 الآيات كقوله تعالى « إن أتبع إلا ما يوحى إلي » فنقول فيما أخبر به من ذلك كما
 قال الله تعالى « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » وأما المتن فهو ما يتعلق
 بمصالح الدنيا وما يكون من أمر الناس فيها واستشهدوا له بالحديث الصحيح الوارد
 في تأييد النخل وقوله لما خرج خلاف ما قاله عليه السلام : (أتم أنتم بأمر دنياكم)
 وفي رواية لمسلم : (إن كان شئ من أمر دنياكم فشاءكم وإن كان من أمر دينكم
 فإني) فالحديث يدل على أن الله تعالى لم يعط الأنبياء معرفة الغيب في مصالح الناس في
 دنياهم وإنما جعل علم الدنيا كسبياً يعلمه الناس بالبحث والجد . أما هؤلاء الدجالون من
 أصحاب السبع ونحوهم فلا تزال بضاعتهم تروج ما دام هذا الجهل فاشياً في جميع
 طبقات الأمة ولا يضع في الجاهل ثقل الأعمى دليل ولا برهان . وراجعوا مقالات
 (كرامات الأولياء) في ص ٤٠١ و ٤١٧ و ٤٤٩ و ٤٨١ و ٥٤٥ من مجلد الثمار الثاني
 (٤ - الثمار)

القسم العمومي

(الكتاب الموعود بنشره)

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل المخلوقين وعلى آله وأصحابه أنصار دينه الأولين وعلى أتباعهم في مسالكهم إلى يوم الدين .
أما بعد فاقول لما كان عهدنا هذا وهو أوائل القرن الرابع عشر عهداً عم فيه الحلل والضعف جميع المسلمين وكان من سنة الله في خلقه ان جعل لكل شيء سبباً فلا بد لهذا الحلل الطارئ والضعف النازل من أسباب ظاهرة غير سر القدر الخفي عن البشر . فدعت الحمية بعض أفاضل العلماء والسراة والكتتاب السياسيين للبحث عن أسباب ذلك والتنقيب عن أفضل الوسائل للنهضة الاسلامية فأخذوا ينشرون آراءهم في ذلك بعض الجرائد الاسلامية الهندية والمصرية والسورية والتاتارية . وقد اطلعت على كثير من مقالاتهم الغراء في هذا الموضوع الجليل واتبعت أثرهم بنشر ملاح لي في حل هذا المشكل العظيم .

ثم بدا لي ان أسمى في توسيع هذا المسعى بعقد جمعية من سراة الاسلام في مهد الهداية أعنى (مكة) المكرمة فعقدت العزبة متوكلاً على الله تعالى على اجراء سياحة مباركة بزيارة أمهات البلاد العربية لاستطلاع الافكار وتهيئة الاجتماع في موسم أداء فريضة الحج فخرجت من وطني أحد مدن الفرات في أوائل محرم سنة ست عشرة وثلاثمائة والف وكلني ألسن تشد :

دراك فمن يدنف لعمري يدفن وما نافع نوح متى قيل قد فنى
دراك فإن الدين قد زال عزه وكان عزراً قبل ذا غير هين
فصحبان له أهل يوفون حقه بهدى وتلقين وحسن تلقن
إلام وأهل العلم أحلاس بيتهم اما صار فرضاً رأب هذا التوهن
هلموا إلى (أم المرى) وتأمرؤا ولا تقنطوا من روح رب مهجن
فان الذي شادته الاسياف قبلكم هو اليوم لا يحتاج الا ألسن
فسلكت الطريق البحرى من اسكندرون معرجا على بيروت فدمشق ثم يافا
فالقدس ثم جث الإسكندرية فصرثم من السويس عمت الحديد فصفاء فصعدا إلى

البصرة ومنها رجعت إلى حائل إلى المدينة على منورها أفضل الصلاة والسلام إلى مكة المكرمة فوصلتها في أوائل ذي القعدة فوجدت أكثر الدين أجبوا الدعوة ممن كنت اجتمعت بهم من أفاضل البلاد الكبيرة المذكورة وسراهما قد سبقوني بعوافاتها وما أصف الشهر وهو موعد التلاقي الا وقدم الباقون ماعدا الأديب البيروقي الذي حرمانا القدر ملاقاته لسبب ابتأنا عنه فعذرناه .

وفي أثناء انتظارنا منتصف الشهر سمعت مع بعض الاخوان الوافدين في تحرى ونحو التي ستر عضواً أيضاً لاجل اضافتهم للجمعية وهم من مراکش وتونس والقسطنطينية وبجدة سراي وتلميس وتبرز وكال وكشعر وقازان وبكين ودهلي وكلكته وإيمربول . وادكت اليانتر لهذه الدعوة بادرنا واتخذت لي داراً في حي منطرف في مكة لعقد الاجتماعات بصورة خفية ومع ذلك استأجرتها باسم بواب داعسائي روسي لتكون مصونة من التفتيش رعاية للاختياط . وقد انقعد من منتصف الشهر إلى سبعة اشهر . اجتماعا غير اجتماع الوداع جرت فيها مذكرات مهمة صار عليها ونسجها بكال الدقة كما سيعلم من مطالعة هذا السجل تتضمن كيفية الاجتماعات مع جميع المناوصات ومقررات غير ما آثرت الجمعية كتتمه كما سيشار إليه .

في الاجتماع الأول

يوم الاثنين خامس عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦

في اليوم المذكور انتظمت الجمعية للمرة الأولى وعضاؤها اثنان وعشرون فاضلا كلهم محسنون العربية فبعد أن عرفت كلا منهم بياقي أخوانه وتعارفوا بالوجوه بادرتهم بتوزيع اثنين وعشرين قاعة كن مهيئات قبلا مطبوعات عطية (الجلاتين) التي استعرتها من ناظر هدي في مكة لأجل طبع هذه القاعة وأمثالها من أوراق الجمعية محرراً في نسخ القاعة مختصر تراجم اخوان الجمعية جميعهم ببيان الاسم والنسبة والمذهب والميرة المخصوصة وموضحاً فيها أيضاً مفتاح الرموز التي يحتاج الاخوان لاستعمالها وأعضاء الجمعية هم السيد القرآني ، الفاضل الشامي ، البليغ القدسي ، الكامل الاسكندري ، العلامة المصري ، المحدث البني ، الحافظ البصري ، العالم النجدي ، المحقق المدني ، الأستاذ المكي ، الحكيم النونسي ، المرشد الفاسي ، السعيد الانكليزي ، المولى الرومي ، الرياضي الكردي ، المجاهد التبريزي . العارف التاتاري ، الخطيب الشاراني ، المدقد التركي ، الفقيه الافغاني ، الصاحب الهندى ، الشيخ السندى ،

الإمام الصفي . ثم بادرت الاخوان جاهراً بكلمة شعار الأخوة التي يعرفونها من قبل وهي (لا نعبد الا الله) مستريحاً معهم وخطبتهم بقولي : من كان منكم يعاهد الله تعالى على الجهاد في اعلاء كلمة الله والأمانة لـ اخوان التوحيد أعضاء هذه الجمعية المباركة فليجهر بقوله (على عهد الله بالجهاد والأمانة) ومن كان لا يطيق العهد فليعتزلنا وما جال نظري فيهم الا وسارع الذي عن عيني إلى عقد العهد الذي يليه ثم الذي يليه إلى آخرهم . ثم التفت منهم ان ينتخبوا أحدهم رئيساً يدير الجمعية ومذكراتها وآخر كاتباً يضبط المفاوضات ويسجل القرارات فاجابني العلامة المصري ان معرفة الاخوان بعضهم بعضاً جديدة العهد وانك أشملهم معرفة بهم فأنا أترك الانتخاب لك وما أم رأيه هذا الا وأجمع الكل على ذلك حينئذ اعلنت لهم اني أنخير للرئاسة الأستاذ السكي وأنخير نفسى لخدمة الكتاتبة تقادياً من اتعاب غيري في الخدمة التي يمكنني القيام بها واستأذنت الافاضل الاعجام منهم بنوع من التصرف في تحرير بعض الفاظهم فآظمر الجميع الرضا والتصويب وصرح الأستاذ بالقبول مع الامتنان من حسن ظنهم به واستولى على الجمعية السكون تقريباً لما يقول الرئيس .

أما (الأستاذ الرئيس) فقطب جبينه مستجمعاً فكره ثم استهل فقال : الحمد لله على السر والتجوى ، الذي جمعنا على توحيدته ودينه وأمرنا بالتعاون على التقوى ، والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في الله انتصاراً لدينه لم يشغلهم عن اعزاز الدين شاغل وكان أمرهم شوري بينهم يسعى بذمتهم أدناهم اللهم «إياك نعبد» لا نخضع لغيرك «وإياك نستعين» لا نتنظر نفعاً من سواك ولا نخشى ضرراً «اهدنا الصراط المستقيم» الذي لا خفيات ولا نيات فيه «صراط الدين أنعمت عليهم» بعمدة الهداية إليهم التوحيد «غير المغضوب عليهم» بما أشركوا «ولا الضالين» بهدما اهتدوا سبجناك ربنا آتانا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشداً .

وبعد فيا أيها السادة السكرام كل منا يعلم سبب اجتماعنا هذا من مفاوضات أخينا السيد الفرائي الذي أجبنا دعوتهم لهذه الجمعية شاكرين سعيه . ولذلك لا أرى لزوماً للبحث عن السبب كما لا أجد حاجة لتنشيط هممكم ، وتأجيج نار حميتكم ، لأننا كلنا في هذا الغناء سواء ولكن أذكركم بملخص تاريخ هذه المسألة فأقول .

ان مسألة تقويم الإسلام بنت ألف عام أو أكثر وما حفظ عز هذا الدين المبين كل هذه القرون المتوالية الا متانة الأساس مع انحطاط سائر الأمم عن المسلمين في

كل المادون في أن قلبنا يعنى الأمم في الله . مع منون الثورة الماسارية فرمادها
نشرت فودها على أكثر البلاد والعباد من المسلمين وغيرهم ونرى في نسوة في
سبيلهم إلى أن نسوة شكل على كل أطراف جسم الميثاك الإسلامية وقرب الخطر
من قلب أعنى (حريرة العرب) فتنبهت أفكار من رزقهم الله بصيرة بالعواقب ووقفهم
لنيل أحر المجاهدين فهووا ينشرون المواظع والتذكرة والمباحث للنذرة فكثير التنبهون
وتحركت الحواظر لسكنها حركة متحركة الوجهة ضائعة القوة فسعى الله أن يرشد
جمعيتنا للتوصل إلى توحيد هذه الوجهة وجمع هذه القوة .

• بتدقيق النظر في الشرقيات والمقالات التي جادت بها أقلام الفضلاء في هذا
الموضوع نرى كلها دائرة على أربعة مقاصد ابتدائية

(الأول) منها بيان الحالة الحاضرة ووصف أعراضها بوجه عام وصفاً بديهاً
غيد التأثير ويدعو إلى التدبر على أن ذلك لا يأتى إلا بعشيرة أو ضاحتها . (والثاني) بيان
أن سبب الخلل النازل ، هو الجهل الشامل . بيان احكام وتبليغ ، مع أن المقام يقتضى
عدم الاحتشام من التفصيل والتشريح . (والثالث) إنذار الأمة بسوء العاقبة المحدقة بها
إنذاراً هائلاً تطير منه النفوس مع أن الحاشا واقع لاغنى فيه لنذر . (والرابع) توجية
للأمة والتمسك على الأمراء أو العلماء أو على الأمة كلها لتعايدهم عن استعمال قوة
الاتفاق على البرضة مع أن الاتفاق وهم . أمساكسون متعذر لا متعسر .

فهذه المقاصد القولية قد استوفت حقها من أنواع بدائع الأساليب وآن أوان
استنارها وذلك لا يتم إذا لم يشخص المرض أو الأمراض المشتركة تشخيصاً دقيقاً
سياسياً بحيث ألا يمتد من مراكز المرض ثم جرائمه ليتعين بعد ذلك الدواء
الشافى الأسهل وجوداً والأضمن نتيجة وبالتنقيب ثانياً عن تدبير إدخاله في جسم
الأمة بحدثة صرع مسدود والوهم ، وتغلب على مقاومة أعضاء اللوق والشم .

ثم انقسمت إليها سادة مستحسنون الاكتنام الذى اختاره أكثر هؤلاء الكتاب
الأفاضل لأن لذلك محسنت بل موجبات شتى يعنى أن تساعدهم جمعيتنا أيضاً فللمحرص
كلنا على الاكتنام لأن من موجباته الزم كل من الشرب العسرى أعنى القول الصريح
في النصيحة للدين بدون رياء ولا متعيا ، ولا مراعاة دوق عامة أو عتاة لأن حياة
الريض مهلكة وكتم الأمر المستفيض سخافة والدين النصيحة ولا حياة في الدين .
ومن موجبات الاكتنام أيضاً أن كل ما يخالف الفكر في موضوع مسألنا معروف عند
الأكثرين والسكن بصورة مشتبته والناس فيه على أقسام فنصف العلماء إما جبناء بها بون

الحوض فيه وأما مراؤن مداجون يأبون أن تخالف أقوالهم وأحوالهم وباقي الناس
يأفنون أن يدعوا لنصح ناصح صادع غير معصوم ولذلك كان القول من غير معرفة
القائل ارعى للسمع وأقرب للقبول والقناعة وأهمل للاجماع . .

ثم أظنكم أيها الاخوان تستصوبون أن تترك جانباً اختلاف المذاهب التي نحن
متبعوها تقليداً فلا نعرف مأخذ كثير من أحكامها وأن نعتمد ما نعلم من
الكتاب وصحيح السنة وثابت الاجماع وذلك لكيلا تفرق في الآراء وليكون ما يقرره
مقبولاً عند جميع أهل القبلة إذ أن مذهب السلف هو الأصل الذي لا يرد ولا تستنكف
الامة أن ترجع إليه وتجتمع عليه في بعض أمهات المسائل لأن في ذلك التساوى بين
المذاهب فلا يثقل على أحد بند تقليد أحد الأئمة في مسألة تخالف المتبادر من نص
الكتاب العزيز أو تبين صريح السنة الثابتة في مدونات الصدر الأول .

ولا يكبرن هذا الرأي على البعض منكم فما هو برأى حادث بين المسلمين بل
جميع أهل جزيرة العرب ماعدا خلطاء الحرمين على هذا الرأي ولا يخفى عليكم أن
أهل الجزيرة وهم من سبعة ملايين إلى ثمانية كلهم من المسلمين السلفيين عقيدة الحنابلة أو
الزيدية أو الشافعية مذهباً وقد نشأ الدين فيهم وبلغتهم فهم أهل وحملة وحافظوه وحماته .
وقدما خلطوا الغيار أو وجدت فيهم دواعي القرباء والتفاني في الدين لأجل الضخار ولا
يعظمون على البعض منكم أيضاً أنه كيف يسوغ لأحدنا أن يثق بفهمه وتحقيقه مع بعد
العهد وترك تقليد من يعرف أنه أفضل منه وأجمع علماً وأكثر إحاطة واحتياطاً .
ولا أظن أن فينا من ليس في نفسه إشكال عظيم في تحرى من هو الاعظم من بين
الأئمة والعلماء والأحرى بالاعتماد على تحقيقه لوجود اختلافات واضطرابات مهمة
بينهم ما بين نفي وإثبات حتى في كثير من الأمور التعبدية الفعلية التي مأخذها المشاهدة
المتكررة ألوف مرات مثل هل كان النبي عليه الصلاة والسلام ثم جمهور أصحابه عليهم
الرضوان يصابون وتر العشاء بتسليمة أم بتسليمتين وهل كانوا يفتنون في الوتر أم في
الصبح وهل كان المؤمنون يقرأون أم ينصتون وهل كانوا يرفعون الأيدي عند تكبيرات
الانتقال أم لا يرفعون وهل يعقدون الأيدي أم يرساؤها . فإذا كان الأئمة والعلماء
الأقدمون هذا شأنهم من التباين والتخالف في تحقيق كيفية عبادة فعالية هي عماد
الدين أعنى الصلاة التي هي من الشهوات المتكررات وتؤدى بالجوع والجواهر
فكيف يكون شأنهم في الأحكام التي تستند إلى قول أو فعل أو سكوت صدر عن
النبي صلى الله عليه وسلم مرة أو مرات فقط ورواها فرد أو أفراد .

فعلى هذا لا أرى من مانع أن تترك النقول المتخالفة خصوصاً منها المتعلق بالبعض القليل من الأصول ونجتمع على الرجوع إلى مانعهم من النصوص أو ما يتحقق عندنا حسب طاقتنا أنه جرى عليه السلف وبذلك تتحد وجهتنا ويتسنى لنا الاتفاق على تقرير ما نقرره ويقوى الأمل في قبول الأمة منا ما ندعوها إليه .

وإني أسلفكم أيها السادات أنه ينبغي أن لا يهولنا ما يبسط في جمعيتنا من تفاقم أسباب الضعف والقصور كيلا نياس من روح الله وأن لا نتوهم الإصابة في قول نحن قال إنا أمة مية فلا ترجى حياتنا كما لا إصابة في قول من قال إذا نزل الضمف في دولة أو أمة لا يرتفع فيه الرومان واليونان والأمريكان والطلبان واليابان وغيرها كلها أم أمثالنا استرجعت نشأتها بعد تمام الضعف وققد كل اللوازم الأدبية للحياة السياسية بل ليس بيننا ولا سيما عرب الجزيرة منا وبين أعظم الأمم الحية المعاصرة فرق سوى في العلم والأخلاق العالية على أن مدة حضارة العلم عثرون عاماً فقط ومدة حضارة الأخلاق أربعون سنة . فعلينا أن نثق بعناية الله الذي لا يبد سواه وبهذا الدين المبين الذي نشر لواء عزه على العالمين ولم يزل بالنظر لوضعه الإلهي ديناً حنيفاً متيناً محكماً مكتناً لا يفصله ولا يقاربه دين من الأديان في الحكمة والنظام ورسوخ البنيان ثم أقنعوا أيها الاخوان أن الأمر ميسور وأن ظواهر الأسباب ودلائل الأقدار مبشرة بأن الزمان قد استدار ولشأ في الاسلام أن تجاب أحرار وحكام أرباب يعز وأحدهم بألف وجمعهم بألف ألف فقوة جمعية منتظمة من هؤلاء النبلاء كافية لأن تغرق طبل حزب الشيطان وتستعري سمع الأمة مهما كانت في رقاد عميق وتقودها إلى النشاط وإن كانت في قنور مستحكم عتيق على أن محض انعقاد جمعيتنا هذه لمن أعظم تلك المبشرات خصوصاً إذا وفقها الله تعالى بهنائه لتأسيس جمعية قانونية منتظمة لأن الجمعيات المنتظمة يتسنى لها الثبات على مشروعها عمراً طويلاً يلي بما لا يفي به عمر الواحد الفرد وتأتي بأعمالها كلها بعزائم صادقة لا يفسدها التردد والهمها هو سر ماورد في الأثر من أن يد الله مع الجماعة وهذا هو سر كون الجمعيات تقوم بالظلم وتأتي بالمحائب وهذا هو سر نشأة الأمم القوية وهذا سر النجاح في كل الأعمال المهمة لأن سنة الله في خلقه ان كل أمر كلياً كان أو جزئياً لا يحصل إلا بقوة وزمان متناسبين مع أهميته وأن كل أمر يحصل بقوة قليلة في زمان طويل يكون أحكم وأرسخ وأطول عمراً مما إذا حصل بمزيد قوة في زمان قصير وكلنا يعلم أن مسألتنا أعظم من أن يفي بها عمر إنسان ينقطع أو مسلك سلطان لا يطرد أو قوة

عصية حضرية حقاء تفور سريعاً وتفور سريعاً
 وإذا تمسكنا أن مبدأ أعظم الأعداد اثنان فكذلك مبدأ الجمعيات شخصان ثم
 تزايد حتى تكمل وتتطلب اشكالا حتى ترسخ فعلي هذا لا يبعد أن يتم لنا انعقاد جمعية
 منتظمة تنعقد الآمال بناصيتها، ولا ينبغي الاسترسال مع الوهم إلى أن الجمعيات معرضة
 في شرقنا لتيار السياسة فلا تعيش طويلا ولا سيما إذا كانت فقيرة ولم تكن كغالب
 (الأكاديميات) أي الجامعات العلمية تحت حماية رسمية بل الإليق بالحكمة والحزم
 الاقدام والثبات وتوقع الخير إلى أن يتم المطلوب .

هذا وإن شرقنا مشرق العظام والزمان أبو العجائب وما طى الله بهز ان يتم
 لنا انتظام جمعية يكون لها صوت جهوري إذا نادى مؤذنها حتى على الفلاح في رأس
 الرجاء يبلغ أقصى الصين صداد .

ومن المأمول أن تكون الحكومات الاسلامية راضية بهذه الجمعية حامية لها ولو
 بعد حين لأن وظيفتها الأساسية أن تنهض بالأمة من وهدة الجهالة وترقي بها في
 معارج المعارف متباعدة عن كل صفة سياسية وسنعود لبحث الجمعية فيما بعد .
 ولنبدا الآن بتشخيص داء الفئور المستولى على الأمة تشخيصاً سياسياً مدققاً
 فارجوكم أيها السادات أن يعمل كل منكم فكره الثاقب فيما هو سبب الفئوريين رأيه
 وما يفتح الله به عليه في اجتماعنا التي نواليها كل يوم ماعدا يومى الثلاثاء والجمعة من
 بعد طلوع الشمس بساعة إلى قبل الظهر أعني إلى ما بعد مثل هذا الوقت بساعة
 فنفتتح كل اجتماع بقراءة ضبط المذكرات التي جرت في الاجتماع السابق ثم نشرع بالمفاوضات
 وإنى أختتم اجتماعنا اليوم ببرنامج المسائل الاساسية التي تدور عليها جمعيتنا وينبغي
 لكل منا ان يفكر فيها ويدرسها وهي عشر مسائل .

(١) موضع الداء (٢) اعراض الداء (٣) جرائم الداء (٤) ماهو الداء (٥) ماهي
 وسائل استعمال الدواء (٦) ما هي الاسلامية (٧) كيف يكون الدين بالاسلامية (٨)
 ما هو الشرك الخفي (٩) كيف تقاوم البدع (١٠) تحرير قانون لتأسيس جمعية تعليمية
 ولا انتهى خطاب الرئيس واهتت الجلسة قال السيد الفرائى : أرى أن نبدل مناهذه
 المسائل العشر في جانب من ورقة التراجع لاجل التذكير فقلوا . ثم دعاهم إلى الطعام
 فاجابوا وكان حديثهم على المائدة استقصاء أخبارهم تدين في ليمبول من السيد الانكليزي .
 وبعد ان طعموا عرض عليهم الشاي والقهوة والشراب المثلوج فاختر كل ما ألف وأحب
 ثم انصرفوا أزواجاً وفرادى محبين دعوة خير الدعاة ، اذ كان قد دنا وقت الصلاة .

آثار علمية وأدبية

علم تلامذة العرب وبلاغتهم

جاء في أمالي أبي علي القالي مانصه: حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا أبو عثمان سعيد بن هارون الاشناداني عن التوزي عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء قال: كان لرجل من مقاول حمير ابنان يقال لأحدهما عمرو وللآخر ربيعة وكانا قد برعا في الأدب والعلم فلما بلغ الشيخ أقصى عمره وأثنى على الفناء دعاهما ليلا عقولهما ويعرف مبلغ علمهما فلما حضرا قال لعمرو وكان الأكبر: أخبرني عن أحب الرجال إليك، وأكرمهم عليك، قال: السيد الجواد، القليل الأنداد، المساجد الأجداد، الراسي الأوتاد، الرفيع العباد، العظيم الرماذ، الكثير الحساد، الباسل الذواد، الصادر الوراد. قال ما تقول يا ربيعة؟ قال ما أحسن ما وصف وغيره أحب إلى منه قال ومن يكون بعد هذا؟ قال: السيد الكريم، المانع للحريم، المفضل الحليم، النعمان^(١) الرعي، الذي إن هم فعل، وإن سئل بذل.

قال أخبرني يا عمرو بأفضل الرجال إليك. قال: البرم اللثيم^(٢)، المستخذي الحميم^(٣)، البطان النهيم^(٤)، العبي الكيم^(٥)، الذي إن سئل منع، وإن هدد خضع، وإن طلب جشع^(٦). قال ما تقول يا ربيعة؟ قال غيره أفض إلى منه، قال ومن هو؟ قال: النجوم السكدوب، الفاحش الغضوب، الرغيب عند الطعام^(٧)، الجبان عند الصدام. قال: أخبرني يا عمرو، أي النساء أحب إليك؟ قال الهركولة اللفاء^(٨)،

(١) القمقام من أسماء البحر ويطلق عليه السيد الكريم، ويطلق أيضا على الدفينة. أخذنا من فقه فلان ماعلى المائدة كتقممه واقممه إذا تتبعه وآق عليه (٢) البرم بالتجريك ثمر الغضاء وهو لا يتفتح به فيطلقونه على الرجل لاخير فيه، والبرم أيضا من لا يدخلى مع القوم في اليسر وهو حديد بالاستعمال (٣) استخذي — خضع وذلك وأقبح المستخذي كبير الحصوة (٤) البطان كبير البطن من كثرة الاكل. والنهم والنهم الشره (٥) العبي العاجز عن الإفصاح بالقول والكيم الالبك (٦) الجشع الحرص على الاكل وغيره (٧) في الأساس: رجل رغيب واسع الجوف أكل (٨) الهركولة الحسنة الجسيم والحلق والمشية والجارية فضخة الاوراك. والفاء مؤنث الالف وهي الضخمة البهظدين

المكورة الجيداء (٩) ، التي يشفي السقم كلامها ، ويرى الوصب إلامها (١٠) التي إن أحسنت إليها عكرت ، وإن أسأت إليها صبرت ، وإن استغبتها أعتبت (١١) . القارة الطرف . الطفلة الكف (١٢) ، العميمة الردف ، قال ما تقول يارية ؟ قال نعم فأحسن وغيرها أحب إلى منها قال ومن هي ؟ قال : الفتاة العنين ، الأسيلة الحدين ، الكعاب الثدين ، الرдах الوركين (١٣) ، الشاكرة للقليل ، المساعدة للحليل ، الرحمة السكلام . الجماء المظالم ، السكرعة الأخوال والأعمام ، المذبة اللثام :

قال : فأى النساء أبغض إليك يا عمرو ؟ قال الفتاة (١٤) الكذوب ، الظاهرة السيوب ، الطوافة المبوب (١٥) ، العابسة القطوب ، السبابة الوثوب ، التي إن اتهمها زوجها خاتته ، وإن لآل لها أهانتة ، وإن أرضاها أغضبتة ، وإن أطاعها عصته .

قال ما تقول يارية ؟ قال بشي والله المرأة ذكر وغيرها أبغض إلى منها قال : وأتيتن التي هي أبغض إليك من هذه ؟ قال : السليطة اللسان ، المؤذية للجيران ، الناطقة بالهتان ، التي وجهها عابس ، وزوجها من خيرها آيس ، التي إن عاتبها زوجها وترته (١٦) . وإن ناطقها اتهرته ، قال ربيعة وغيرها أبغض إلى منها . قال ومن هي ؟ قال التي شقى صاحبها ، وخرى خاطبها ، وافضض أقاربها ، قال ومن صاحبها ؟ قال صاحبها مثلها في خصلها كلها ، لا تصلح إلا له ولا يصلح إلا لها ، قال فصفه لى : قال الكفور غير الشكور ، اللئيم الفخور ، العبوس الكالج ، الحرون الجامع ، الراضى بالهوان ، المحتال النان ، الضعيف الجنان ، الجعد البنان (١٧) ، القوؤل غير المفعول ، المول غير الوصول ، الذي لا يرع عن المحارم ، ولا يرتدع عن المظالم .

قال فأخبرني يا عمرو أى الحيل أحب إليك عند الشدائد ، إذا التقى الأقران للتجادل ! قال : الجواد الأنيق ، الحصان العتيق ، الكفيت العريق (١٨) ، الشديد الوثيق ، الذي يفوت إذا هرب ، ويلحق إذا طلب ، قال نعم الفرس والله نعمت فسا

(٩) المكورة - المطوية الخاق . والجيداء الطويلة الجيد الحسنة (١٠) الوصب المرض والإلام الزيادة (١١) أى إن استرضيتها أرضت (١٢) الطفلة الناعمة (١٣) الثقليل (١٤) الغامة (١٥) يصفها بكثرة الطواف كالريح ويمح من امرأة أن تعرفي بينها (١٦) الوتر النار ووتره أصابه بالوتر أو ظلم فيه ووتره عمله أو حقه نقصه إياه (١٧) البخيل المنقبض الكف (١٨) الكفيت السريع والعريق ماله عرق في السكر أو اللؤم

المقصود (٢٩) الممان .

قال فأخبرني يا عمرو أي الرماح أحب إليك عند المراس ، إذا اعتكر البأس ،
واشتهر الدعاس^(٢٩) ، قال أحبها إلى المارن^(٣٠) المنقب^(٣١) ، المقوم^(٣٢) الخطف^(٣٣) ، الذي
إذا هزته لم ينطف ، وإذا طعنت به لم ينقص . قال ما تقول ياربيعة؟ قال نعم الرمح
نبت وغيره أحب إلى منه ، قال وما هو ؟ قال الذابل^(٣٤) العسال ، المقوم^(٣٥) النسال^(٣٦) ،
الماضي إذا هزته ، النافذ إذا هزته^(٣٧) ، قال فأخبرني يا عمرو عن أبغض الرماح
إليك . قال الأعصل^(٣٨) عند الظمان ، النظم^(٣٩) السنان ، الذي إذا هزته انطف وإذا
طعنت به انقص . قال ما تقول ياربيعة؟ قال بش الرمح ذكر وغيره أبغض إلى منه . قال
ما هو ؟ قال : الضيف^(٤٠) المهر . اليايس^(٤١) الكز^(٤٢) . الذي إذا أكرهته انحطم ، وإذا
طعنت به انقص . قال اضربا الآن طاب لي الموت اه فهل نجد في تلامذتنا أوشيوخنا
من يمثّل هذه المعاني أو يحسن مثل هذا الوصف ؟ أفى ولانلة لنا ولا علم الإبلغة حية
مؤتمة قلبه هاجت إلى ما جاء في نبذة التفسير من الحكم بأننا أجمل الجاهلية الأولى .

الهدايا والتعاريف

(سلم الارتقاء لمعرفة دروس الأشياء) مجموعة كتب علمية في التاريخ الطبيعي
وحفظ الصحة والتدبير المنزلي والأشياء « الطبيعيات » شرع لي تأليفها الفاضل
محمد أحمدى أمين من موظفي الإدارة بنظارة الأشغال العمومية وقد صدر الجزء
الأول منها وفيه ٤٦ درساً في مباحث التاريخ الطبيعي العمومية مع شيء من التفصيل
في الإنسان . والفرض الأول من هذا الكتاب تسهيل فهم هذه العلوم على تلامذة
المكاتب فإنهم يعلّمونها باللغة الأجنبية في أثناء تعلم اللغة فيفسر عليهم فهمها كما يفسر
عليهم فهم الكتب العربية المؤلفة فيها لأنها لم توضع للمبتدئين : وقد تكرم المؤلف
الفاضل بإهداء عمله إلينا ورغب إلينا أن ندله على غلظه ليصلحه في طبعة ثانية

والدليل الكهام^(٢٩) الذي يهان بمضد الشجر أي قطعه^(٣٠) . الدعاس^(٣١) الطمان واشتجروا
اختلفوا وتشاجروا بالرمح تطاعنوا^(٣٢) الذين المقوم^(٣٣) لا أعرف وصفاً للرمح
من حرف خطف ومن معانيه المناسبة استلبه بسرعة^(٣٤) السريع والعسال^(٣٥) الذين
المتحرك^(٣٦) دفعت طاعناً^(٣٧) الأعوج^(٣٨) المتنوى^(٣٩) اليايس .

ولكن بعض الاصدقاء أخذ الكتاب منا ليطلع عليه ويعيده بعد يوم أو يومين فرفض ما اوجب تأخير إرجاعه زمناً طويلاً ولذلك لم تتمكن من مطالعته ولكننا تصفحنا قليلاً منه فالتفتنا في غاية السهولة فتمنى ان يقبل عليه مع التلامذة نهاء الجاوريين في الازهر الذين سألونا عن كتاب في هذا الفن يسهل عليهم فهمه من غير أستاذ . وأسلوب كتابة الكتاب أسلوب الجرائد السيارة وفيها من الانتقاد مانوه ان نقداً كر المؤلف فيه مشافهة . وفي آخر الكتاب عدة رسوم وثمينة خمسة قروش فقط

(الاحاطة في أخبار غرناطة) تاريخ عظيم لأديب الاندلس الشهير الوزير محمد اسان الدين بن الخطيب عثرت عليه شركة طببع الكتب العربية فاخترت طبعه وقد صدر الجزء الأول منه مطبوعاً طبعاً متقناً . وهو مبتدأ بكلام عام في تلك العاصمة كوضعها وفتحها وزول العرب الشاميين بها وما آل إليه حال سكانها الأولين معهم وحال ما يتصل بها وينسب إلى كورتها ووصف سورها ونحو ذلك وسائر الكتاب في تراجم من نشأ فيها من رجال السيف والقلم من الرجال والنساء . ولا شك ان كل قارئ بالعربية يتشوق إلى معرفة تاريخ الاندلس التي كانت أكبر غر للعرب في العلم والمدنية وكل محب للأدب يتلذذ بقراءة كتاب اسان الدين بن الخطيب البليغة وكفي بهذين تشويقاً وترغيباً ولكننا أسفنا لما رأيناه في الكتاب من الغلط والتحريف كأكثر المطبوعات الجديدة وانما نهنا على هذا لأن هذه الشركة أقدر على ضبط كتبها من الأفراد الذين يتجرون بطبع الكتب ولعل عذرهما في هذا الجزء انه لم يوجد منه الا نسخة واحدة وثمينة ١٥ قرشاً وصفحاته ٣٧٥

(الانصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم) تصنيف العلامة عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي الأندلسي الشهير واسم الكتاب يدل على سمو موضوعه وهو على اختصاره قد جمع من القوائد في بابيه ما لم يجمعه الأسفار الكبيرة ولا شك انه من أنفع الكتب التي ألفها ملقنا . وقد طبعه وراعتني بضبطه وتصحيحه وشرح آياته وتفسير غريبه أخونا الفاضل الشيخ أحمد عمر الحمصاني الأزهرى بمراجعة امام الامة في هذا العصر الأستاذ الشيخ محمد محمود الشنقيطي الشهير فبحث جميع الذين يولون على رأينا في اختيار الكتب النافعة على قراءته ثمينة ثلاثة قروش ولو لم أظفر به الا بثلاثة دنانير لبذلنا مرتاحاً وسعود إلى الاقتباس منه بعد

« مرشد مأموري التبعية القضائية . ضبط الوقائع الجنائية »

لقد أحسن صنعاً الفاضل محمد بك صبرى عضو النيابة بمحكمة الزقازيق بتأليفه

رسالة سهلة المباشرة في كيفية ضبط الوقائع الجنائية ليستعين بها العمدة ومأمورو الضبطية فيما يمهّد اليهم من هذا العمل العظيم الذي يتعلق بحفظ الدماء والاعراض وأكثر الممدد وللمأمورين جهلاء بالطرق التي تتبع في ذلك ويصعب عليهم الاستمداد من كتب القوانين فهل لهم هذا المؤلف ذلك فحسب ان يقولوا عليه ويحيطوا بما فيه . وهو مطبوع طبعاً حسناً بمطبعة الشعب ويطلب من مكتبة الشعب ومن حضرة مؤلفه (المصور) جريدة أسبوعية سياسية أدبية مصورة بالالوان أنشأها حديثاً أحد الكتاب المشهورين بآثارهم القليلة في المؤلفات التصويرية والجرائد اليومية القاصلة خليل أفندي زينية وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشاً أميراً في السنة وهي جديرة بالرواج « الرأي العام » جريدة مشهورة في مصر يمتاز صاحبها البارع إسكندر أفندي شلحوب بأسلوب في كتابة الجرائد يجذب القارئ إلى اللطافة فإذا أخذ جريدته قرأها كلها بلغة وإن كان ممن لا يقرأون من الجرائد إلا ما يحبون موضوعه . وقد كانت احتجبت ثم أسفرت فحسب أن تظل مسفرة دائماً

باب الموضع والمزمار

﴿ حزية الجرائد والشعور العام بالفضيلة في مصر ﴾

أكبر النعم التي منحها مصر في عهد الاحتلال الأمن العام وحرية الطبوعات . ومن العجائب ان المنتهين بهذه الحرية يشكون في هذه الأيام منها ويطلب بعضهم ان تقيد الحكومة هذه الحرية المطلقة لكن يطلب احتكار الهواء الذي يحيا به الناس ليعطوا منه قدر ما يراه المحتكر لازماً لحياتهم . هذا ما يظهر بادي الرأي من الذين يردون على طالبي التقييد على انه لم يطلب أحد ونحن نذكر الحقيقة مع بيان السبب . كثرت الجرائد الأسبوعية في مصر وأكثر أهلها ليسوا من أهل الصحافة فلا استمداد عندهم لجعلها حاجة من حاجات البلاد ولذلك أثير عواهم طريقاً جديداً وهو التهديد أو التعريض بمنساوي الأشخاص وقد وجدوا في هذا الطريق لماجا وعوارض يرضون بها قومهم فمن الناس من يفتدى عرضه منهم بقليل من المال أو القروض ومنهم من يرضى بدم عدو له بأجر معلوم وقد أطمعهم معاملة هؤلاء السفهاء بالعطاء والفضلاء فلم يعلم منهم صنف من الاصناف وقد أكثروا في هاتين المبتئين من الخوض « بالمية السية . . . » والارباب بأعمالها

هذا كله - والرأى العام ساكت عنهم فما الذى اقام عليهم القيامة في هذه الأيام، ووافاض التبرم والشكوى على جميع الاسنة والاقلام ؟ الجواب عن هذا السؤال يعرفه كل من يقرأ الجرائد المصرية وإنما نذكره صريحاً لأنه من البشريات بدخولنا في الحياة الاجتماعية بعد ان كانت حياتنا فردية أحادية وليكون مسجلاً في تاريخ مصر الأدبي وهو : ان جريدة (حمارة منيتي) الهزلية التي تكتب غالباً باللغة العامية المصرية قد طغنت من عهد قريب بفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فهاج الرأى العام في مصر للطعن بهذا الامام العظيم وذهب الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بنفسه إلى محكمة مصر الكبرى وطلب من رئيس النيابة فيها محاكمة صاحب جريدة الحمار بعد أن طلب مقابلة النائب العمومي فقبل له انه مسافر وتقدمت المحاضر العمومية من العلماء وطلاب الأزهر ومن الاهالى في القاهرة ومن بعض البلاد في خارجها يطلبون محاكمته وانطلقت أقلام الكتاب والشعراء في ذم صاحب الحمارة واجمعت الجرائد على ذمه وانبرى بعض الكتاب لإحصاء عيوب جريدته منذ أنشئت ودكروا منها اهانة القرآن وافساد الآداب وافساد اللغة والطعن بالسلطان والامير وغير ذلك . وقد قال بعض الأدباء ان بعض هذه الذنوب أكبر عقوبة من الطعن بمفتى الديار المصرية فلماذا سكنت الناس عنها إلى الآن ؟ وقد ذكر صاحب الحمارة نفسه هذا المعنى في مقدمة العدد الأول من السنة الخامسة ونصه : « قل لي بحق ما الذى جناه صاحب الحمارة اليوم حتى قامت عليه هذه القيامة وماعى بالله تلك الخطيئة التى ارتكبتها واستحق عليها اللام ، وانجهت إليه أسنة الاقلام . وانصبت عليه كل هذه السهام ؟ فلم يبق في أرض مصر جريدة ولا مجلة ولا قصيدة الا وقد حملت عليه ، بعد أن كانت في العادة تحمل منه لا عليه ، ولا يبقى شاعر ، ولا كاتب واعر ، الا وحرك في ذكره شفتيه ، كأنهم يريدون ابتلاعه بكل مالهيه » الخ هذا هو السبب في تألم الرأى العام من اطلاق المطبوعات ، وما من شئ في هذا الوجود إلا له سيئات وحسنات ، وهو دليل على ان الأمة المصرية قد دب فيها الشعور بشؤون الحياة الاجتماعية وصار الرأى العام يعرف لذى الفضل فضله ولذا طلب بعض أعضاء الجمعية العمومية الرغبة إلى الحكومة بالاتفاق مع وكلاء الدول لوضع قانون عام عادل لقوضوية المطبوعات ليؤمن كل إنسان على عرضه واستحسن رأيه هذا بعض أصحاب الصحف الكبيرة وعده الآخرون وسيلة لتقييد حرية الصحافة والمطبوعات فانكروه ولا يزالون يتناقشون فيه وهم متفقون على ان حرية الطباعة والصحافة حسبتها أكثر من سيئاتها بأضعاف مضاعفة . وإذا رجعنا إلى مثلنا الأول نقول ان هذه الحرية كالهواء

الذى هو شرط للحياة فإذا مر في بعض الأيام على جيفة فحمل إلينا ربحها أو هب شديداً فأثار الغبار في وجوهنا فلا شك أننا نبادر إلى ذمه والشكوى منه ولكننا لا نطلب انقطاعه وإنما نطلب منع الجيف من طريقه وإزالة الغبار برش الأرض بالماء فلا خلاف إذن بين الناس في وجوب بقاء هذه الحرية

أما إزالة هذه الجيف فأمثل طرقها تصدى النيابة العمومية لها كمة أصحها فيجب عليها أن تحاكم كل من ينتهك حرمت الآداب وينال من أعراض الناس وإن لم يطلب ذلك ممن يطعن فيه فإن لم تقم النيابة بهذه الخدمة الامة فيجب على الناس أن يحاكموا من يطعن فيهم إلا عثرة الكريم فانها تقال شرعاً وأدباً . والامتناع عن محاكمتهم توهم أن ذلك يعلى شأنهم أو يخفض شأن من يحاكمهم خطأ كبير فإن الحدود والعقوبات لم تنس في الشرائع الإلهية ولم توضع في القوانين البشرية إلا لمؤلاء للمعتدين «أم حسب الدين اجترحو السدات أن يجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون »

وأما صاحب الحمار فقد حاكمته النيابة العمومية بحكم عليه بالسجن مدة ثلاثة أشهر وبالنفقات ولم يدخل المفتى في الدعوى مطلقاً ولا طلب حقاً مدنياً . وكان في الجرائد التي حملت على صاحب الحمار جريدة طلبت من المفتى العفو عنه ولو كان هو الذى طلب ذلك ثانياً لأجيب طلبه قطعاً فإن الأستاذ سليم القلب واسع الحلم لا يجب أن ينتقم لنفسه على أن ما كتبه الحمار كان أكبر خدمة له لأنه أظهر له مكانة عالية في نفوس خواص الأمة وعوامها لا بدانيه فيها أحد مع العلم القطعى لكل أحد بأنه بريء من سبب نفاق الحمار براءة عائشة من إتيك المنافقين وصاحب الحمار نفسه يعتقد ذلك أيضاً لأن هذا يعلم يكن مبني على الاستنباط من صورة اخترعها بعض الفسدين أما العبرة التى تقصدها من إيراد هذه المسألة فهى إزالة شبهة علفت في أفهام أكثر الناس فكانت أضرب اعتقاد تقلدوه وهى أن من يشتغل بالعلوم الحقيقية ويتخلق بالأخلاق الفاضلة والسجايى السكاملة كالصدق والمروءة وعلو الهمة وبذل المعروف والسمى في خير الناس ومنفعتهم لا ينجح في عمله ولا يعرف له أحد فضله ويسدلون بأمثال يضربونها قد اشتبه عليهم حقاً باطلها وهذا المثل الحق الذى يوحىها وهو أن الشيخ محمدا عبده مالك هذه الطريقة خل من نفوس أمة محلا علياً ونال فيها اسماً سميأ مازاحمه فيه عالم ولا أمير ، ولا شاركة فيه غنى ولا وزير ، والعاقبة كما قال الله تعالى للمتقين



فمن غاب عن الصلاة
فقد غاب عن الدين
فقد غاب عن الدين
فقد غاب عن الدين

المحجاة

١٣١٥

سنة ١٣١٥
الجزء الثاني
الجزء الثاني
الجزء الثاني

(قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مقرر في يوم الجمعة ١٦ محرم الحرام سنة ١٣٢٠ — ٢٥ أبريل (نيسان) سنة ١٩٠٢)

﴿ باب العقائد من الأمالي الدينية ﴾

(الدرس ٣٣ — عصمة الأنبياء عليهم السلام)

(المسئلة ٨٦) الدليل العقلي على عصمة الأنبياء يؤخذ الدليل على عصمة الأنبياء من وجه الحاجة إليهم في الكمال الانساني ومن وظائفهم المنطبقة على وجه الحاجة إليهم وقد تقدم الكلام في ذلك ومنه ان الوظائف خمس وهي نوعان - نوع في بيان الاعتقادات التي ترقى العقل وتعتقه من رق العبودية لمظاهر الطبيعة التي خلق مستعداً لتسخيرها والتصرف فيها فجنت عليه الوثنية فسخرته لمباداة كل مظهر منها لا يدرك علته ولا يحيط بحكمته ونوع في تهذيب النفس وتركيتها بالاخلاق الفاضلة والاعمال النافعة . ولا يراني النوع الانساني الا بجمع ما يندرج في هذين النوعين من التكليف وبارئانه يكون خليفة الله تعالى في الارض وتلك غاية سعادته في هذه الحياة الدنيا التي تستقيم سعادته في الحياة الآخرة الباقية التي جعلت هذه الحياة مزرعة لها كما ورد

وبدهى ان المدة في بيان النوع الأول صدق الخبر بحقيقة لا يحوم دواه الشك والريب والمدة في الثاني صدق الخبر كذلك مع حسن الاسوة وصحة القدوة بالخبر لانه تربية وانما التربية بالقدوة والتعاليم القولي مساعد للتأسي وأثره دون أثره . ولا تحصل الثقة القطعية بصدق الخبر الا اذا كان الخبر ممدوماً من الكذب والخطأ في التبليغ ولا تتم القدوة وتحسن الاسوة الا اذا كان الامام المقتدى به بريئاً من النقائص منتهياً عما ينهي عنه مؤمراً بما ينص به متعلماً بما يرغب في التخلق به . اذاً لا تتم

حكمة الله تعالى في إرسال الرسل إلا إذا كانوا بحيث ذكروا من المصدق والنزاهة. والحكمة واجبة لله تعالى فوجب أن يكون الأنبياء المبلغون عنه سبحانه صادقين معصومين « لا يعضون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » ولا يلزم من هذا إيجاب شيء على الله تعالى فيكون حجة للمعتزلة وإنما هو إيجاب الحكمة له كإيجاب العلم والقدرة

(م ٨٧) الدلائل الثلثي على عصمتهم إن الله تعالى ما أرسل المرسلين إلا ليؤمنوا ويتقوا بهم وقد أمر بتابعهم كقوله في خاتمهم عليه السلام « فامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوا مَا لَكُمْ مِنْهُ حَتَّى تُدْرِكُوا » فلو كانوا يخالفون ما يحييئون به من الهدى لكان الله تعالى أمراً بالشيء ناهياً عنه في آن واحد وهو محال على الله تعالى . ولو فاعلوا الفاحشة لكان الله أمراً بها من حيث أمر بتابعهم أمر تشريع وأمر بالتأسي بالمعطاء أمر تكوين بأن أودع ذلك في فطرة الإنسان وقد قال تعالى « أن الله لا يأمر بالفحشاء » على أن الطاعة هي ما أمر الله تعالى به فلو فرض أن المرسلين يرتكبون المعاصي لكان معنى ذلك أن الطاعات هي من المعاصي كما قال السنوسي في الكبرى وذلك تناقض لا يقول به عاقل . وهذا الاستدلال لا يصح على أصول أهل الكتاب من اليهود والنصارى ويجب أن يكون أصلاً يرجع إليه جميع ما ورد في الوحي مما يظهر أنه يخالفه والا كان الوحي غير منطقي على الأدلة التي يثبت هو بها فيكون ناقضاً لنفسه

(م ٨٨) الشبه على العصمة يقولون ورد في القرآن أثبات الذنوب للأنبياء والمرسلين إجمالاً وتفصيلاً . أما الإجمال فكقوله تعالى « لِيُفَهِّرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ » وقوله « واستغفر لذنبك » وقوله

عن رجل « فستج بحمد ربك واستغفره » وأما التفصيل فكمثوله « وعصى آدم ربه فغوى » وكقصة داود وسليمان عليهما السلام وكقصة اخوة يوسف ونحن نجيب عن ذلك بالتفصيل :

(م ٨٩) مغفرة الذنوب علمنا ما تقدم ان معنى عصمة الانبياء في النوع الثاني (المعالي) هو نزاهتهم وبمدهم عن ارتكاب القواحيش والمنكرات التي يمشوا الزكية الناس منها لئلا يكونوا قدوة سيئة مفسدين للأخلاق والآداب وحجة لاسفهاء على انتهاك حرمان الشرائع وليس معناها أنهم آلهة منزهون عن جميع ما يقتضيه الضمف البشري من التقصير في القيام بحقوق الله تعالى على الوجه الأكمل ومن الخطأ في الاجتهاد ببعض المصالح والمنافع بؤدء المضار. كلا ان الانسان خلق ضميماً وما أوتي من العلم الا قليلا ولا يمكن أن يحيط بوجوده المصالح والمنافع ودرء المضار والمفاسد الا بئس هو بكل شيء عليم ومن ليس له هذه الإحاطة قد يخطئ في اجتهاده فيعمل العمل وهو يعتقد انه الصواب والخير فيجبي بخلاف ذلك ومثل هذا يسمى ذنباً من الكامل والمقرب لان الانسان مستمد لأدراك الصواب في تلك المراتب التي أخطأ فيها فاذا وقع عن الناس الانبياء يعاقبهم الله تعالى عليه وينفرد لهم ويأمرهم بتبليغ ذلك لأنهم لم يفروا انشقق بين الرب والعبد فلا يصح بهم الغلو بتظيم أنبيائهم والاعجاب بفضائلهم ونزاهتهم الى عبادتهم مع الله تعالى ومن أمثلة ذلك اجتهاد نبينا صلى الله عليه وسلم في استئالة رؤساء قومه وأغنيائهم الى الإيمان الذي أدام الى الإعراض عن ابن أم مكتوم لما جاءه يسأله أن يعلمه مما علمه الله وكان يدعو صناديد قريش فانه كره أن يشتغل به عنهم لئلا ينفرهم ولا يخفى ان أولئك النفر من كبارهم هم الذين كانوا

يحاذرون النبي ويتناصبونه ولو آمنوا أولاً لتبهم سائر قريش فهذا هو وجه
اجتهاده صلى الله عليه وسلم في العناية بهم والاعراض عن الأعمى اذ جاء
يشغلهم . فعاتبه الله تعالى على ذلك وردعه عنه بالقول الشديد كقوله
« وما يُدريكُ اللهَ يزكى » فُتِّلَ الآيات في أول سورة (عبس) وذلك
ان سنة الله تعالى مضت في أن الأديان تقوم بالدعوة والاقتناع والرؤساء
والمترفون أبعد الناس عن معرفة الحق وعن الخضوع له اذا عرفوه وقد
جاء في هذا المسمى آيات

ومن الامثلة أيضاً عتابه في مسألة زيدوزنيب (فلتراجع في ص ٦٣٠
و ٧١٤ من المجلد الثالث) . ومنها اذنه صلى الله تعالى عليه وسلم للذين
استأذنوه في التخلف يوم الخروج الى تبوك وقد عاتبه الله تعالى على ذلك
الطاف عتاب بقوله « عَمَّا اللهُ عَنْكَ اِمَّ اَذِنْتَ لَهُمْ » الآية . فكان الأولى
ان لا يأذن ليعلم المكاذب المنافق ، من المؤمن السادق ، ومنها مسألة
أخذ الفداء من أسرى بدر . جهد صلى الله عليه وسلم وشاور فاختلف
أصحابه فوافقه رأيه رأي نبي بكر بأخذ الفداء فعاتبه الله تعالى عتاباً شديداً
حتى بكى وبكى أبو بكر وذلك قوله تعالى : « مَا كَانَ لِجَيْشٍ أَنْ يَكُونَهُ
أَسْرَى حَتَّى يَشْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ » . أولاً كتاب من الله سبق لمُسْكُمُ فيما أَخَذْتُمْ مَذَاقٌ
عظيم . قال البيضاوي في تفسيره : والآية دليل على أن الأنبياء مجتهدون
وأنه قد يكون خطأ ولكن لا يفرون عليه .

فهذه هي ذنوب الأنبياء وهم يستغفرون منها وهي مغفورة لهم
بفضل الله تعالى لانهم لم يريدوا الا الخير والنفع وليس فيها قدرة سيئة

وإنما فيها فائدة معرفة الناس أن النبي وإن خيل قدره وعلت نفسه فهو بشر. ثلثهم ميزه الله تعالى بالوحي وجمعه إماماً في الخير وأنه على هذه الخصوصية يعاتب وينسب إليه الذنب والتقصير ويمنحه الله المغفرة دلالة على أن له أن يقدر له وله أن يماقبه « قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ إِلَيْكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَآمَنَهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً » وعلى أن توقع نزول المقبولة بأصحاب المصاحبي التي تنهك فيها الشرائع ويخالف الدين عمداً وهو ما لا يقع من الأنبياء أقرب وإنهم أولى بالخوف من وأجدر بالتوبة . وأن الكمال المطلق لله تعالى وحده فلا رب غيره ولا معبود سواه

﴿ باب الاستدلال بالاجوبة ﴾

(س ١) من الشيخ مقبل عبد الرحمن الذكير في البحرين : ما قول منار الاسلام وهذه الانام سادتنا العلماء الاعلام في الاوراق المسماة بالانواط التي وُضعت بمحض الدول لتتبادل عوضاً عن بعض المسكوكات الفضية كالروبيات مثلاً والتمزمت تلك الدولة بتمويض عنها بالأثمان المتشترط بها هل تجري مجرى العروض كما هو واقع من كثير من التجار وتمانطونها ببيعاً وشراءً رواجاً وبخساً أو تجري مجرى المين ؟ فان قلتم بالثاني فهل تقولون به من كل وجه وفي كل باب أو من بعض الوجوه وفي بعض الأبواب ؟ فان قلتم بالاول فيقتضي أن لا يجوز صرف تلك الاوراق بباقي أئنة سكة من السكك الفضية الا وزناً بوزن يدبلاً وهو في الظاهر بعيد كما ان ذلك يقتضي أن لا يجوز الزيادة على الثمن الذي قدرت به بشيء مما الى غير ذلك

مما يتعلق بهذه المسئلة ويتفرع عنها في باب الزكاة وباب الصرف وباب الدين والحوالة والبيع نقداً ونسيئةً وما تقولون في الحديث الوارد اذ اختلف الجنس فبيعوا كيف شئتم وبالضرورة ان الورق المذكور بل وجنس الورق كيف كان ليس هو من جنس أحد النقود الذهبية والفضية والنحاسية لانه وهي معتبرة هنا في الشرع ولا عقلاً وشرعاً ولا عرفاً عاماً والمأثور ان يكون التقرير في غاية الوضوح والبيان والتانة على منهج القواعد الشرعية والادلة المرعية والطرق الاصولية بالسيرة المرضية لان المسئلة بعموم البلوى والضرورة العامة صار لها في البحث أهمية ولكم الأجر والثواب من الملك الوهاب

(ج) الورق ليس مالا ربوياً في عرف فقهاءنا ولذلك أفتى بعض علماء الشافعية بأن هذه الاوراق المالية المسماة بالأنواط (مفرد نوط) لا يجري فيها الربا ويفتي غيرهم من علماء المذاهب بذلك لان الربا مخصوص بالتقدين والأقوات عند الشافعية ومن وافقهم . والملة عند الحنفية الكيل مع الجنس أو الوزن . فكل مكيل أو موزون اذا بيع بمجذبه متفاضلا فهو ربا محرم ولكن هذا لا يأتي في هذه الأنواط وإن ورقتين منها يتساويان في الوزن وقيمة احدهما مائة روية والأخرى الف روية مثلاً . فلا بد من النظر في مقاصد الشريعة وحكمها وجعلها مدار مرفة الاحكام وإننا تأخذ بكلام الفقهاء ما لم يخل بهذه المقاصد فإذا اخل بشئ منها كنع الزكاة أو إباحة الربا الضار الذي حرّمه الله تعالى رحمة بالناس فالتا لا تقبله إذ لا يصح أن يكون الاجتهاد بطلالاً للنص بل لا يصح مع النص والمبرة بالمقاصد بالمعاني لا بالاتفاظ والمباني . ولا يخفى على أحد ان هذه الاوراق

المالية لاقية لها من حيث هي ورق وإنما هي سند بمبلغ من النقود فتبعتها بحسب الرقم الذي يمين المبلغ . ولا يضر المتدين الأخذ بقول أي فقيه ما لم يمنع الزكاة أو يستبح الربا .

فاما الزكاة فلا تصنع اذا اعتبرنا هذه الأنواط من عروض التجارة لأنها تقوم في كل حول بقيمتها وتؤدي زكاتها . وأما الربا فالذي أجمع المسلمون على تحريمه منه هو ربا النسيئة والمجاهير من الأئمة الأربعة وغيرهم على تحريم ربا الفضل أي الزيادة في أحد الموضين مع التقابض فيما هو ربوي كالنقود والتمر والحنطة ونحوها وفيه خلاف بعض الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين كابن عمر وابن عباس وأسامة بن زيد وابن الزبير وزيد بن أرقم وكسميد بن السيب وعروة بن الزبير من التابعين واستدلوا بما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أسامة « إنما الربا في النسيئة » في رواية مسلم عن ابن عباس « لا ربا فيما كان يدآبسد » ومثل ذلك الأحاديث الصحيحة في جواز الصرف يدآبسد . والملة أو الحكمة في منع الربا لا محل لتفصيلها في هذا الجواب وإنما نقول بالاجمال إن من أكل شيئا من مال أخيه بغير مقابل من عين أو عمل فقد أكله بالباطل وإن أخذ زيادة عما يطي الإنسان لآخيه بمجرد التأخير في الوفاء من دواعي فسوة القلوب ومحو عاطفة التراحم وقطع طريق الصنعة وعمل المعروف فلا يليق بالدين أن يبيعه ومن بلغ الكلام ، ما قاله الاستاذ الامام ، وهو ان الربا عبارة عن استغلالك حاجة أخيك . وإن مشروعية التعامل بالنقود خاصة تقضى الى الجناية على التجارة . — ومنفصل القول في الربا ومضاره في فرصة أخرى

أما حقيقة الربا فليس بمد بيان الله تعالى فيها بيان قال تعالى « ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا » فعملنا ان الربا قسم البيع ومقابلها فالجامع بينهما المماوضة والقارق هو ان أحد الموضين في البيع وهو الثمن يقابل جميع الموض الآخر وهو الثمن بخلاف الربا فان أحد المتماوضين فيه ياخذ جزءاً من مال الآخر بدون عوض ولا مقابل وهذه التفرقة معتبرة في التسمية الى الآن فالربا لا يسمى بيعاً ولكن من البيع ما تدخله شبهة الربا بحسب ما توسع فيه الفقهاء من أحكامه وجزئياته ولكن من فهم حكمة الشارع المبينة على درء المفسدة وجاب المنفعة لمجموع الامة بقدر أن يميز بتفقه في الدين بين المماوضة المقصود بها البيع ونفع أخيه بمثل ما ينتفع به منه بالمعروف وبين انتظار الفرص لضرورته واستغلال حاجته وأكل ماله بالباطل

وأني أنصح للأخ السائل وغيره من تجار المسلمين الذين يهمهم أمر الدين أن يلاحظوا هذا الفقه الحقيقي ويحمله الاصل في معاملتهم لأنه هو روح الدين وسرّه الذي يتعلق بإصلاح القلب وتركيبه النفس فاذا أفهم علماء الدين يوم ينتهون تؤدي الى منع الزكاة بحيلة من الليل ، أو أكل أموال الناس بلا بدل ، أو تجمل البيع بافليحتاطوا لأنفسهم فإن الله تعالى ما تمبدا بظواهر الألفاظ ومدلولات كلم الناس وما يضمنون من الأقيسة والقواعد التي لا تصلح بها القلوب . وقد قال عليه السلام لو ابصرت نفسك البر ما اطمأن اليه القلب واطمأنت اليه النفس والإيم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك » رواه أحمد والبخاري في التاريخ وغيرهما . ومن فقه ما ذكرنا لا يحارسوا عليه أعد تلك الانواط

عروضاً ثم عدّها تقوداً والذي قيل إليه القاب هو اعتبارها تقوداً
واما الحديث الذي ذكره فهو جزء من حديث صحيح أخرجه أحمد
وابن أبي شيبة في مسندهما ومسلم في صحيحه وأبو داود وابن ماجه في
سننهما عن عبادة بن الصامت ولفظه : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة
والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً بمثل سواء بسواء
يبدأ بيد فإذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم ان كان يداً بيد »
وهذا هو انه اذا اختلف الصنف بطل الربا ولا معنى لبيع شيء بمثله من صنفه
الا اذا كان منه جيد وردي وفي هذه الحالة أجاز النبي صلى الله عليه وسلم
المعاوضة بالتفاضل بشرط أن يكون شيئاً يقدر بالثمن كما في حديث البخاري
 وغيره . وليس هذا من الحيلة التي تضيع بها حكمة التشريع وانما هي بديعة
لقرينة الربا وبيان لقاعدة نافذة وهي ان الربا ينتفي بقصد البيع فكل ما يتحقق
فيه معنى البيع فليس من الربا في شيء . هذا ما يتسع له المجال الآن وسنعود
الى الموضوع ونطلب من العلماء الكرام بيان رأيهم لنشره والله الموفق للصواب
(س) السيد احمد منصور الباز يني صالح : يمتري بعض الناس حال
تسببها العامة (جذبا) فيشيب عن وجوده حتى يصير كالجنون لا يدري
ما يقول ويفعل ويظهر هؤلاء بمظاهر مختلفة تستقدم العامة بل والعلماء
وكتب الصوفية طائفة بأخبارهم وأخبار القطب والانجذاب والاداء والابدال
ويسمون بمجموع هؤلاء الدائرة القطبية ورئيسها القطب الملقب بالذوث
ويقال انه يتلقى الأوامر الالهية وتفيض منه الى الدائرة القطبية بترتيب
معروف عندهم فارأيكم فيهم ؟ نرجو الافادة بالمنار ليظهر الحق للناس كافة .
(ج) أما الحال التي يسمونها جذبا فهي فن من فنون الجنون وانما

يسمى صاحبها مجذوباً أو بهلولاً إذا كان سبب الخلل هو الإفراط في الرياضة والمجاهدة النفسية والانقطاع للذكر والعبادة إكراماً لمن كان كذلك أن يساوى بسائر المجانين والاعتقاد بهؤلاء البهائيل قديم العهد عندنا وسببه أن منهم من كان يظهر على لسانه بعض الحكم لأن من يذهب عقله لا يعدم كل ما كان أدركه وعلمه وإنما يعدم النظام بين الأفكار والمعلومات ومنهم من ظهر على يديه بعض الفرائب أو أسندته اليهم بعض المغرورين الذين يضيفون الأشياء الغريبة إلى ما بقارنها من الحوادث وإن لم يكن علة لها كأن يؤذي إنسان آخر فيصاب عقيب ذلك بمصيبة تقع بوقوع سببها وأما القطب وسائر الموظفين الروحانيين في دائرة تصرفه الذين يسمونهم رجال النيب كالأمهين والأوتاد والابدال فلم يرد فيه شيء صحيح في السنة إلا ما روه في الابدال وهي روايات ضعيفة . اضطربة في بعضها يمدون ثلاثين وبعضها أربعين الخ . ومن عجيب تعلمهم في الاستدلال على القطب ما نقله ابن حجر عن بعض المحدثين من حمله خبر أبي نعيم في الحلية على القطب وهو : « أن الله في كل بدعة كيدتها الاسلام وأهله ولياً صالحاً يذب عنه » الخ وأعجب من صفاة المسلمين في الغالب لا يحفلون بمن يدافع عن البدع بأقله ولا يسمونه ولياً ولا قطباً بل ربما عادوه ولكن يسهل عليهم أن يقولوا إن الذي يدافع عن البدع رجل خفي . من رجال النيب يدافع في النيب عن الاسلام فلا يعرف ولا تُعرف مدافسته . والحاصل أن الشرع لا يطالب أحداً بتصديق ما لم يقم عليه دليل ولا يكلفه بالإيمان بهؤلاء الرجال الجهولين بل يحرم عليه أن يقول ما لا يعلم . وهذا لا يمنع أن تصطاح طائفة الصوفية على القاب تطلقها على أهل الخصوصيات وليس لهم أن يفوضوا بذلك إلى من لا يعرف

تلك الخصوصية الثلاث يكافوه بالقول بغير علم ولا بحث ذبول سفصاها تفصيلا
(س ٣) محمد افندي «أمون كرشه بسنديون (غرية): هل حكم
الحاكم يرفع الخلاف أم لا ومن هو هذا الحاكم فان كان رافعا فهل يبقى
كذلك بمدة مودة؟ فانه اذا لم يبق يلزم أن لا يسئل بحكم قاضي مصر
السابق الا اذا أجازته من يخافه

(ج) حكم الحاكم الشرعي الذي رأيت شروطه في الجزء الماضي
يرفع الخلاف في المسائل الاجتهادية فيجب تنفيذه ولو عزل أو مات .
ولني بالمسائل الاجتهادية ما لا يخالف الكتاب والسنة والاجماع . قال
في الجامع الصغير « وما اختلف فيه الفقهاء ففضى به القاضي ثم جاء قاض
آخر يرى غير ذلك أمضاه » وعلمه الكمال في الفتوح بأن اجتهاد الثاني كاجتهاد
الأول ويرجع هذا باتصال القضاء به فلا يتقض بما دونه .

(س ٤) ومنه : هل يصح ما يقول الوعاظ وعصاة الزار من ان
الجن مسيطرون على الانسان وهل الزار على هذا منكر يجب النهي عنه
شرعا أم لا ؟ وان أجبت بالسلب فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « اتخذوا
الحمام القاصيص فاتها لتهي الجن عن صبيانكم » ومعنى ما ورد في الآثار ان الجن
يمر في جسم الانسان مجرى الدم في الشرايين

(ج) لفظ الجن يطلق على المخلوقات الخفية ويقال ان منها ما هو
مادي وما هو روحاني وأجدد بهذه الاحياء التي يدعونها الميكروبات ان
تكون من المادي وهي سبب الامراض والأوبئة كالطاعون والميضة عليها
يحمل ماورد من ان الطاعون من وخز الجن فهي سلطة على الانسان
وهو مسلط عليها بالمع الصحيح وإن كان لا يقدر على كثير منها بعد تمكنها

في الجسم . وأما الروحانية فلا سلطة لها على الاجساد وانما هي منشأ
الوساوس والحواطر القبيحة الضارة فن العلماء من يقول انها القوى المعنوية
الباغنة على الشر والاكثرون على انها عالم مستقل من جنس عالم الروح
يلابس افراده النفوس المستعدة للشر بسوء التربية فيقوي فيها الرغبة فيه .
وعليه يحمل حديث الصحيحين وغيرهما « ان الشيطان ليجري من ابن آدم
مجرى الدم فضية واجارية بالجوع »

وهو كناية عن تمكنه من الوسوسة . وأما الزارفه ومنكر قبيح يجب
ابطاله بالفعل فان لم يستطع فبالقول وأما حديث اتخاذ الحمام المقاصيص فقير صحيح
ويطابق لفظ الشياطين والجن على الاشرار من الناس وعلى الحيات
والنمايين وعلى الاول يحمل الحديث لو ثبت وكذا غيره مما ورد في النهي عن
خروج الصبيان في الليل لانه وقت انتشار الشياطين . وانا نرى شياطين
الازبكية وجنها ينتشرون اذا جن الليل ونحث من يهتم تربية أولادهم على
منعهم من الخروج لئلا يفسدهم هؤلاء الشياطين .

(ب) ومنه : هل التسبيح في قوله تعالى « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ
بِحَمْدِهِ » بلسان المقال أم بلسان الحال أم المقصود انه سبب في تسبيح الرائي
(ج) المتبادر الذي اختاره المفسرون ان التسبيح من غير المقلاء
هو بلسان الحال أي ان إمكان الاشياء وحدوثها يدلان على تزيه واجب
الوجود . وذهب بعض الى انه بلسان المقال لقوله « ولكن لا تفقهون
تسبيحهم » وأجابوا عنه بأن الخطاب للشركين لا للناس أجمعين . أي
لا تفقهون هذه الدلالة لاهمالكم النظر الصحيح والاستدلال العقلي

القسم المصري

﴿القرآن والكتب المنزلة﴾

المقالة الثالثة للقس اسحاق طيلر نشرت في جريدة سنت جيمس في ١٣ مايو سنة ١٨٨٨

ان المسلمين قد آمنوا بالمسيح وصدقوا ببعثته وهو عندهم ممدود في
اولى العزم من رسل الله الى خلقه فهم عندنا مسيحيون نصلي لهم كل يوم
نُحَدِّثُ ونسأل الله أن يهديهم وإيانا الى الحق وطريق مستقيم ولا منافاة
عندهم بين الاعتقاد بالقرآن وانه كلام الله وتنزيل من عنده وبين الاعتقاد
ببائس الكتب السماوية وانها بوحي من الله والهام بل يعرف من صريح
كلام المسلمين ان اعتقادهم بالكتب السماوية انما ساقه الى قلوبهم الاعتقاد
بالقرآن فهم في اعتقادهم بها يمثلون أسراً من أوامره ويحيون داعياً من
دواعيه وليس في المسلمين من يدعي ان القرآن يكذب شيئاً من الكتب
الالهية ولا في امكان مسلم أن يدعي ذلك لما يشهد به القرآن من انه مبين
على ما بين يديه من الكتب يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم
فيه يختلفون مصدق لما هم من الحق ولكنهم يقولون ان القرآن خاتمة الكتب
كما ان من أنزل عليه (صلى الله عليه وسلم) خاتمة الانبياء ولا تجد مسلماً الا
يؤمن بالتوراة والانجيل والزبور والقرآن فكل صحيفة من الكتب
الالهية ثبت مجيئها على لسان نبي صادق فهي عندهم كلام الله المنزه عن
الخطأ والزلل وما صح نقله عن عيسى عليه السلام فهو حق واجب التصديق
وكثيراً ما ينقلون عن نبيهم صلى الله عليه وسلم فيما يعرف بالاحاديث شيئاً

من أقوال المسيح ونصائحه وأحواله ويتلقونها بالقبول غير ان المعروف
عندنا ان الانجيل المشهورة لم تكتب في عهد المسيح عليه السلام كما كتب
القرآن وغيره في حياة من أنزل عليهم فلا لوم على المسلم اذا طلب التثبت
وتحقيق السند لصحة النقل كما يكون منه ذلك فيما ينقل عن نبيه (صلى الله
عليه وسلم) من الاحاديث لان عروض الشبهة في نقل من يتحقق عصمته
أمر طبيعي عند عموم البشر

قال لي أحد المسلمين ان القرآن يشهد بان الله أتى عيسى عليه السلام
الانجيل وجعل في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة وما نمرقه من الكتب
الاطلمية قبله ولا ننكر شيئاً منه وان كنا قد نختلف معكم على تفسيره
وتأويله كما اختلف الاحزاب من بينكم وعندنا ان كتابنا ونبينا صلى الله
عليه وسلم قد بشر بهما أنبياءكم من قبل كما تقولون في المسيح عليه السلام
وكما لم يهدح إنكار اليهود لعيسى في اصطفاء الله له كذلك لا يهدح إنكار
من أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في ثبوت رسالته . ولقد أرشدني
الاطلاع على مذاهب المسلمين في التعليم الى انهم لا يأبون عن تسليم أدلة
التيسير بالي التي ذكرها في كتابه المسمى بـ"راهن دين المسيح" غير انهم
يتخذون منها حججاً قوية على ان دينهم الحق . مثلاً يمدون من بينات دينهم
ودلائل انه الحق سرعة انتشاره واستقبال القلوب وجهته على نحو غريب
عزير المثال ثم اشراق نور الاخلاص من عقائد الذين اتبعوه كما يرشد اليه
أدنى الفكر في أحوالهم من ثباتهم معه في ساعات السرة ومصابرتهم
في الشدائد وازدياد إيمانهم في الضراء واستقامة سيرهم في السراء . ومنها
ما يبرهنه القول من الحكم الدقيقة التي برعت بها أحكام القرآن وانطباقها

موجب على ما تقتضيه طبيعة الانسان الدينية (أي من حيث يطلب ديناً) وتأثيرها القريب في قلوب الآخذين بها والقائمين على سبيلها واحتباسها لنفوسهم على الكمالات الانسانية واجتذابها لهممهم عن الانبعاث الى ما تدعو اليه الرعوة البدنية فهي تلبسهم ثوب الوقار والحشمة في النماء وتشمرهم شعار التسليم والاصطبار في البأساء. وفي الحق أن لهم أن يسألونا هل يمكن لأبي مثل محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يأتي بمقتات زكية تقيه عليه وأحكام تسطو بسلطانها على النفوس كالتى جاء بها القرآن بدون أن يكون ذلك بوحى من الله وامداد منه

أما ما يقال من ان القرآن لم يذكر فيه معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم سوى القرآن نفسه فعلى فرض ان لا يصح شئ مما نقل في كتب الاحاديث من المعجزات مع انها أشبه بالاناجيل عندنا يجاب عنه بأن هذا لا يقدح في رسالته بل هو أوضح دليل على صدقه في دعواه اذ لو كان ملبساً أو مفترياً (والمياذ بالله) لما أعوزه التمولي ببعض الثرائب المتعرة ليشبه على اصحابه ويحمل الناس على الإعجاب بثرائه وقدرأينا ان المسيح عليه السلام كان يوبخ اليهود على مطالبتهم له بالمعجزات والذي يظهر لنا انه لو لا قساوة قلوبهم وعنادهم لما عول في دعواه عليها. على ان الاعاجيب التى رويت عن المسيح عليه السلام اصبحت في هذه الايام مما يمد عقبة في طريق الاعتقاد بدينه فكثير من الناس يحبون الدين سهل القبول لولاها فمدول محمد (صلى الله عليه وسلم) في اثبات نبوته عن سبيل الثرائب واكتفاؤه من المعجزة بكتابه وصدق أنبائه والبراهين العقلية التى تمحّدق اليها البصائر السامية كل ذلك آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم على

صدقه ولا اشكال فيه بل هو عين ما يطلبه المسلمون

ثم ان المسلمين لا يقفون في اثبات دينهم عند نهاية هذا الحد ولكنهم يذهبون أن لهم في الكتب السابقة أدلة بينة على صدق كتابهم ودينهم (صلى الله عليه وسلم) وهم على يقين أن الانبياء السابقين (عليهم الصلاة والسلام) قد تواتر أنبأؤهم على التبشير فيهم كما تقول في عيسى عليه السلام وما يذهب اليه المسيحيون في تأويل بعض الاخبار المأثورة عن الانبياء أو الاصفياء الاولين يخالفهم فيه المسلمون الى تأويل أفضل لهم وقد نجد التأويل الثاني الصق بمبارة النبأ فان لم يكن فانا نرى التأويلين في كفتين متعادلتين وانما يرجع كلا الف صاحبه وميله ولذلك أمثال كثيرة يطول سردها ويسهل على الطالب إيجادها

اذكرو ما نبهني اليه أحد أصدقائي المسلمين من معنى المديدين المذكورين في آخر كتاب دانيال النبي عليه السلام وهما عدد ١٢٩٠ وعدد ١٣٣٥ فبعد ان بين بتاريخ انقطاع الذبيحة اليومية من يوم نبى نفسه ملك اليهود مذبح للاصنام في هيكل القدس وفسر الصنم المصوغ الذي نصبه الملك في القدس بالرجس المخرب وعبر عن التاريخ بتسخير الاثوديين لاورشليم فتراني كيف أن احد المديدين المذكورين يأتي بنا الى زمان الهجرة النبوية وأن الثاني ينتهي بنا الى خلافة معاوية بن أبي سفيان عند ما أتم المسلمون فتوحاتهم في سورية ومصر وفارس وافريقيا وكيف قطعت مصالحة الحسن ابن علي دابر الشقاق بين الأمة وسكن المسلمون الارض آمنين مطمئنين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ولست أحكم بصحة التأويل ولا عدمها ولكن أقول انه ليس بأقل جودة من بعض ما أول به قوم آخرون

وأهم ما نقصد الآن أن يعرف النصرارى عندنا في انكلترا كيف يستدل
المحمديون بأنباء كتب اليهود والنصارى على إثبات دينهم وتحقيق يقينهم
بشيء يشهد الانكار فيه منا على المسلمين وهو اعتقادهم بجنة
جسمانية فيها من الحور العين ما تشبهه نفوس المؤمنين على أنى أقول وما
انكارنا ونحن نرى في كتاب نشيد الاناشيد المنسوب الى سليمان بن داود
(عليه السلام) عبارات ان حملت على ظاهرها كانت أدخل في الجسمانية
وعالم المادة من كل ما ينسب الى القرآن غير اننا لمخنا من درس فصول
ذلك الكتاب في ترجمته المشهورة ان تلك كنايات عن محبة المسيح لأمة
ثم اننا نرى ذكراً صريحاً للجنة الجسمانية في مكاشفات يوحنا الممدودة
عندنا خاتمة الاناجيل فانه يذكر وصف أورشليم الجديدة وهى الجنة
ومساحتها الدقيقة وحدودها وما فيها من أبواب من لؤلؤ وأزقة من
ذهب وجدران من جوهر ويفيض فيما رواه ذلك مما لم يأت القرآن عليه
وان لنا عبارة تألفها نفوسنا وترنم بها في عبادتنا مع الافتخار اذ نقول
«أورشليم المذهبة المباركة بالابن والصل» وليس يخطئ قائل لنا ان نعمات
المظفرين وأناني الخلقين التى نمجدها في مكاشفات يوحنا يذكرنا بأن غاية
المسيحي من ايمانه وأنه المطلوب من عبادته ان يصل الى جنة نصيبه فيها
ان يأكل ويشرب ويسكر وينمي كما نرى من عمله في هذه الدنيا أيام
الاعياء المشهورة على اننا نأول ذلك كله ونصرفه عن ظاهره ونحمل كل
لفظ وجد لمنى محسوس على سر مضمول

وان المرءاء من المسلمين يعتقدون بأن لهم نمياً روحانياً يتعالى الى
غير النهاية عن التميم الجسداني ولنا نكابر كما يكابر القسيس (مكول)

ونحكم بأن المسلم لا مطلق له في أخراة الا الاكل والشرب وقضاء شهوات
 أخر وقد ذكر في القرآن في سورة القيامة من جزاء المؤمنين أن تكون
 وجوههم يوم القيامة ناضرة الى ربها ناظرة وفي الاحاديث عندهم ما يدل
 على ذلك ففيها عن نبيهم (صلى الله عليه وسلم) ما معناه ان أعظم فوز يفوز
 به المبدى في الآخرة هو لقاء ربه في القدوة والآصال وهو اعظم يفوق كل
 نعم كما يفوق البحر قطرات المرق وفي حديث آخر ان المؤمنين يرون
 ربهم كما يرون القمر ليلة البدر وفي آخر ما يشبهه المعروف عندنا ان الله
 نداهم يا مؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
 وان في عقائد المسلمين ان رضوان الله أكبر من كل نعم فان وافقنا
 المسلم على ان الجنة جسدية لا تنق أن تكون جزاء الله في الآخرة
 أفلا يجوز له أن يأول ما ورد في كتابه من ذلك كما أولت امة التشيع
 وعبارات المكاشفة والتأويل عليه أسهل منه علينا فان عنده في كتابه
 ما يشير الى أن بعض اصحاب الله منهم من لا يرى الجنة على ما ظهروا
 وله في السنة ما يراه ليس في الجنة شيء مما في الدنيا لا عذاب ولا من
 ثم يذكر لنا في الكتابات ما يدعوا للتأويل ويشير الى أن ما جاء فيها من
 الأوصاف ضرب من التمثيل لأن صاحب الكتاب بصرح لنا بأن ما
 من الأقوال حق لا رية فيه كما هو مذكور فللمؤمنين حق ان طالبوا
 الجنة الروحانية والذائد السامية المقالية وهم مؤمنون بكتابهم ورون ان
 هذا الطالب عليهم أيسر منه على كثير من غيرهم واني أحسب من الظلم
 القاحش أن لا نسوخ للمسلمين سلوك طريق من التفسير لم نزل فليسلوكه
 في إيضاح غوامض كتابنا المقدس (اسحق طيلر)

مؤتمر الاجتماع الثاني - الداء أو الفتور العام

في مكة المكرمة يوم الأربعاء ١١ من شهر ذي القعدة سنة ١٣١٦

في صباح اليوم المذكور انعقد الاجتماع وبعد قراءة ضبط الجلسة الأولى افتتح الكلام (الأستاذ الرئيس) فقال : أما نجد الباحثين في الحالة النازلة بالمسلمين يشبهونها بالمرض فبمطلقون عليها اسم الداء مجرداً أو مع وصفه بالدين أو الزمن أو العقال وأمل مأخذ ذلك ماورد في الأثر وألفته الأسلم من تشبيه المسلمين بالجد إذا اشتكى منه عضو تدعى له سائرته بالسهر والحمى . ويلوح لي أن إطلاق الفتور العام البقي بأن يكون عنواناً لهذا البحث لعلاق الحالة النازلة بالأمميات أكثر منها بالأمميات ولأن آخر فيها سمع الحسن فيناسب التعبير عنه بالفتور .

ان هذا الفتور في الحقيقة شامل لجميع أعضاء الجسم الاسلامي فيناسب ان يصف بالعام وربما يتوقف الفكر في الوهلة الأولى عن الحكم بان الفتور عام يشمل المسلمين كافة ولكن بعد التدقيق والافراء نجد شاملاً للجميع في مشارق الارض ومقارها لايسلم منه الا افراد شاذة .

فيا أيها السادة ماهو سبب ملازمة هذا الفتور منذ قرون للمسلمين من أي قوم كانوا وأينما وجدوا وكيفما كانت شؤونهم الدينية أو السياسية أو الفردية أو المعاشية حتى السالكين نجد اقلية من متجاوزين أو ناحيتين في إقليم أو قريتين في ناحية أو ييتين في قرية أهل أحدهما مسلمون وأهل الآخر غير مسلمين الاونجد المسلمين أقل من غيرهم نشاطاً وانظاماً في جميع شؤونهم الحيوية الدنية والمعومية وكذلك هم أقل اتقاناً من نظرائهم في كل فن وصنعة مع اننا نرى أكثر المسلمين في الحواضر وجميهم في البوادي محافطين على تميزهم عن غيرهم من غير انهم ومخاطبتهم في أمهات المزايا الاخلاقية مثل الامانة والشجاعة والسخاء .

فما هو والحالة هذه سبب شمول هذا الفتور وملازمته لجامعة هذا الدين كالأزمة العامة لأمم ملول بحيث يقال اينما وجدت الاسلامية وجد هذا الداء حتى نوهم كثير من الحكماء ان الاسلام والنظام لايجتمعان . هذا هو المشكل العظيم الذي يجب على جميعنا البحث فيه اولاً بحث تدقيق واستقراء على ان نهتدي الى جبروتة الداء عن يقين قديم في مقاومتها حتى اذا ارتفعت الملة برى الليل ان شاء الله تعالى .

(قال الفاضل الشامي) اني أوافق الاستاذ الرئيس على تعريفه ووصفه الحالة النازلة بالفقر ولا أعلم ما يمرض كون هذا الفقر عاماً محيطاً بجميع المسلمين .
قال (صاحب الهندي) اني وان كنت أقل الاخوان فضيلة ولكنني جوتل وقد خربت البلاد وأحوال المباد ولا شك عندي في ان هذا الفقر عام وان كان لا يظهر في بعض المواقع التي ليس فيها غير المسلمين كقلب جزيرة العرب وبعض جهات افريقيا ولا يظهر أيضاً في بعض مواقع اخرى مجاورو المسلمين فيها ومخالطوهم من أهل التحل الوثنية القريبة الوضع انتباهية في الشدة كقبايا الصائبة حول دجلة الذين يضعون كثيراً من أوقاتهم منقسمين في الماء تميداً وكلكونفو من الزوج وكالبودية من الهنود المعتقدين ان كل مصائبهم حتى الموت الطبيعي من تأثيرات أعمال السحرة عندهم فان أمثال هؤلاء أكثر قنوراً من المسلمين على ان ذلك لا يرفع صفة الفقر وعمومته عن المسلمين .

فقال (الاستاذ الرئيس) ان صاحب الهندي مصيب في تفسيره وتحريره ولذلك رجعت عن قولتي بان المسلمين أحط من غيرهم . مطلقاً الى الحكم بأنهم أحط من غيرهم مانعاً أهل التحل المتشددة في الدين .

قال (الحافظ البصري) يلوح لي انه يلزم استثناء الدهريين والبايعيين وأمتاظم من لادين لهم لانهم لابد ان يكونوا على غير نظام ولا ناءوس في أخلاقتهم محدثين منفسين في حياتهم محططين عن أهل الادب ان كما يمتزف بذلك الطيبيون أنفسهم فيقولون عن أنفسهم انهم أشقى الناس في الحياة الدنيا .

فاجابه (صاحب الهندي) اني كنت أيضاً أظن انه يوجد في البشر أفراد ممن لادين لهم وان من كانوا كذلك لا خلاق لهم ثم ان اختبائي للمولود قد برهن في على ان الدين بمنه العام وهو ادراك انفس وجود قوة غالبية تنصرف بالكائنات والحسوع لهذه القوة على وجه يقوم في الفكر هو أمر فطري في البشر وان قولهم فلان دهري أو طيبي هو صفة لمن يتوهم ان تلك القوة هي الدهر أو الطبيعة فيدين لما يتوهم . فثبت عندي ما يقرره الاخلاقون من أنه لا يصح وصف صنف من الناس بأنهم لادين لهم مطلقاً بل كل انسان يدين بدين اما صحيح أو فاسد عن أصل صحيح واما باطل او فاسد عن أصل باطل والفساد ان يكون فسادها اما بتهسان أو بزيادة أو بتخليط فهذه أقسام ثمانية .

فالدين الصحيح كافل بالنظام والتجاسع في الحلال والحادة والفلاح في المال والباطل

والفاسدان بفساد قد يكون انتقامهما على نظام ونجاح في الحياة على مراتب مختلفة وأما الفاسدان بزيادة أو بخليط فهذه كحصة ثم أقول ربما كان تقريرى هذا غريباً في بابه فافهم ان لا يقبل ولا يرد الا بعد التدقيق والتطبيق لانه اصل مهم لمسألة المتور العام المستولي على المسامين .

(قال الرئيس الأستاذ) اني اجلكم أيها السادة الافاضل عن لزوم تبرؤكم آداب البحث والمناظرة غير اني انبه فكركم لاسر لابد ان يكون في نفوسكم جميعاً أو تحبوا ان يصرح به الا وهو عدم الاصرار على الرأي الذاتي وعدم الانتصار له واعتبار ان مايقوله ويديه كل منا ان هو الا خاطر سنح له فربما كان صواباً أو خطأ وربما كان مغالطاً لما هو نفسه عليه اعتقاداً وعملاً وهو انما يورده في الظاهر ممتداً عليه وفي الحقيقة مستشكلاً أو مستتباً أو مستظلاً رأي غيره فلا أحد منا ملزم برأي يديه ولا هو يعلم عليه وله أن يعدل أو يرجع عنه الى ضده لاننا انما نحن باحثون لا متناظرون فاذا أعجبنا رأي المتكلم منا أثناء خطابه بحجاً قوياً فلا بأس ان نجهر بلفظ (مرحى) (١) تأييداً لاصابة حكمه واستمارة باستحسانه فلنمض في بحثنا عن أسباب القصور العام على هذا النسق

قال (الفاضل الشامي) اني أرى ان منشأ هذا القصور هو بعض القواعد الاعتقادية والاخلاقية مثل العقيدة الجبرية التي من بعد كل تعديل فيها جمات الامة جبرية باطناً قدرية ظاهراً (مرحى) ومثل الخث على الزهد في الدنيا والقناعة باليسير والكفاف من الرزق وامانة المطالب النفسه كحب المجود والرياسة والتباعد عن التزينة والمفاخر والاقدام على عظم الامور وكالتزغيب في أن يعيش المسلم كبيت قبل ان يموت وكفى بهذه الامور مفترقات مخدرات مضطلات مهملات لا يرتفعها عقل ولم يأت بها نبي ربيع ولما نفى عن عيان بن عفان رضي الله عنه أبا ذر النماري الى البردة .

فاجابه (البليغ القدسي) ان هذه الاصول الجبرية والتزهدية المترجمة بمقائد الامة وما هو أشد منها تعطيل الاخذ بالاسباب ولنشأة الحياة موجودة في جميع الديانات لتعدل من جهة شره الطبيعة البشرية في طلب الغايات وتدفعها الى التوسط في الامور وتكون من جهة اخرى تساية لامعجزين وتنفيذاً عن المقهورين البائسين وتوسلا الى حصول التساوي بين الاغنياء والفقراء في مظاهر النعم .

الا يرى اجماع كل الاديان على اعتقاد القدر خيره وشره من الله تعالى او خيره

منه ونسره من النفس او من الشيطان ومع ذلك ليس في البشر من ينسب امرأ الى القدر الا عند الجهل بسببه سترأ لجهله او عند العجز عن نيل الخير او دفع الشر سترأ لمعجزه وحيث غاب أخيراً على المسلمين جهل اسباب المسببات الكونية والمعجز عن كل حمل التحاوى الى القدر والزهد تمويهاً لاتديناً . وهذا التذلل والخروج عن المسال من أعظام القربات في التصرفات فيهل كان قصد شارع اربابية ان يقرض الناس دقة بعد جيل واحد ان كان قصده ان يشرعها على ان لا يتلبس بها الا القليل القليل ككلا لا يمتلئ في هذا المقام الاتعميم وينتج من ذلك انه لا يصح اعتبار هذه الاصول الجبرية والزهدية سبباً للقنور بل هي سبب لاعتدال النشاط وسيره سير انظام ورسوخ . وفي النظر الى المشاق والمضام التي اقتحمها الصحابة والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ليل الفتي والرياسة والفخار مع الآخر والثواب أقوى برهان مع ان الامة اذ ذلك كانت زائدة فعلا لا كآزهد الذي ندعه الآن كذباً ورياء (مرحى)

واذا تتبعنا كل ما ورد في الاسلامية حانا على الزهد نجده موجهاً الى الرغبة في الإيثار العام اى تحويل المسلم ثمرة سمية للمنة العمومية دون خصوص نفسه حتى ان كل ماورد في الحث على الجهاد في سبيل الله مراد به سمي المؤمن بكل الوسائل حتى يبذل حياته اعزازاً لكلمة الله واقامة دينه لافى خصوصية محاربة الكفار كما تنوهم العامة كما ان المراد من محاربة الكفار هو من جهة اعزاز الجامة الاسلامية ومن أخرى خدمة الجامة الانسانية من حيث الجاء الكفار الى مشاركة المسلمين في معادة الدارين لان اللام المتروكة علماً ولاية طبيعية على الامم المتحضرة فيجب عليها انسانية ان تهديها الى الخير ولو كرهاً باسم الدين أو السياسة .

ثم قال أمثالاً فيجئ لي ان سبب القنور هو تحول نوع السياسة الانسانية حيث كانت سياييه اشتراكية اى (ديمقراطية) مما افضار بتد الراشدين بسبب تمادي اغرابات الداخلية ملكية مقيدة بقواعد الشرع الاساسية ثم صارت أشبه بالمطلقة . وقد نشأ هذا التحول من ان قواعد الشرع كانت في الأول غير مدونة ولا محررة بسبب اشتغال الصحابة المؤسسين رضي الله عنهم بالفتوحات وتفرغهم في البلاد فظهر في أمر ضبطها خلافات ومباينات بين العلماء وتحكمت فيها آراء الخلافة فرجحوا الاختصاص بالأمم بقايا نزعاتهم الوثنية (وايهم لم يدنسوا الاسلام بالدخول فيه) فاحتذ العمال السبابيون ولا سيما المتطرفون منهم هذا التخالف في الاحكام وسبلة للإنقسام والاستقلال السياسي فنشأ عن ذلك ان تفرقت الملكية الاسلامية

الى طوائف متباينة ، مذهباً ، مادية ، سياسة ، متكافئة على الدوام ، وهكذا خرج الدين من حضنة أهل ، وتفرقت كلمة الامة فقطع بها أعداؤها وصارت ممرضة للمحاربات الداخلية ، والحاجية مما لا تصادف سوى فترات قليلة تنرق فيها في العلوم والحضارة على حسبها ، وقد أثر استمرار الامة في هذه الحروب ان صارت باعتبار الاكثية أمه جذية ستمة وأخلاقاً بعيدة عن الفنون والصنائع والكسب بالوجوه الطبيعية . ثم بسبب فقدان القواد والمعدات لم يبق مجال للحروب الرجحة فاقصرت الامة على المدافعات خصوصاً منذ قرنين الى الآن أي منذ صارت الجندية عند غيرنا صنعة عاملة مفقودة عندنا فصرنا نستعمل بأسنا بينما فتميش بالغالب والاحتمال لا بالتعاون والتبادل وهذا شأن يمت بالاتباء والنشاط وبولد الحول والفنور (مرسي)

فالتدبر (الحكيم التونسي) وأجابه ان غيرنا من الاقوام كجرمانيا مثلاً وجدوا في حكومات مطلقة وفي اختلافات مذهبية وفي انقسامات الى طوائف سياسية وفي حروب مستمرة ولم يشملهم الفتنور بوجه عام فلا بد للفتنور في المسلمين من سبب آخر . ثم قال وفيها انصهر ان بالاعتنا من تأصيل الجهل في غالب أوساننا المسترفين الأخرين أعلا الذين ضلوا وأضلوا سواء السبيل وهم يحسبون انهم يتحسنون صنماً حتى ابغ جهل هؤلاء دركة أسفل من جهل المجاوات التي لها طبائع ونواميس فنها التي تحمي ذمارها وتمنع عن حدودها وتدافع عما استحفظت عليه وهؤلاء ليس لهم طبائع ونواميس فيخربون بيوتهم بأيديهم وهم لا يشعرون . ومنهم الذين ضلوا على علم وهم الذين يشكون ويكون حتى يظن انهم مغلوبون على أمرهم ويتشدقون بالإصلاح السياسي مع انهم وأيم الحق يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم يظهرهون الرغبة في الإصلاح ويبطون الإصرار والتماد على ما هم عليه من إفساد دينهم وديارهم وهدم ما بي بنجدهم وإذلال انفسهم والمسلمين وهذا داء عياذ لا يرجى منه الشفاء لانه داء الضرور لا يقر صاحبه لمحصل بفضيلة ولا يجاري حازماً في مضمار وقد سرى من الامراء الى العلماء ثم الى سائر الطبقات

فأجاب (المولى الرومي) ان الفاء النعمة على الامراء خاصة غير شديد خصوصاً لان أمرنا ان هم الا لئيف منا فهم أمثالنا من كل وجه وقد قبل كما تكونوا بولاي عايكم فلو لم تكن نحن مرضى لم يكن أمراؤنا مدفين

وعندي ان البلية هي فقدان الحرية وما أدرانا ما الحرية ؟ هي ما حرمنا مناهق لبناء ، وحررنا عينا نأفقه حتى استوحشناه . وقد عرفت الحرية من عرفها بأن

يكون الإنسان مختاراً في قوله وفعله لا يبرئ منه مانع ظالم ومن فروع الحرية تساوي الحقوق ومحاسبة الحكام باعتبار أنهم وكلاء وعدم الرهبة في المطالبة بالحق وبذلك التصديحة . ومنها حرية التعاميم وحرية الخطابة والمطبوعات وحرية المباحثات العلمية . ومنها العدالة بأسرها حتى لا يفتنى إنسان من ظالم أو غاصب أو شدار مثقال . ومنها الأمن على الدين والأرواح والأمن على الشرف والأعراض والأمن على العلم واستمراره فالحرية هي روح الدين وينسب إلى حسان بن ثابت الشاعر الصحابي رضي الله عنه وما الدين إلا أن تقوم شرائع وتؤمن سبل بيننا وهضاب

فانظر كيف حصر هذا الصحابي الدين في إقامة الشرع والأمن . هذا ولا شك أن الحرية أعز شيء على الإنسان بعد حياته وإن بفقدها تفقد الآمال وتبطل الأعمال وتومت النفوس وتبطل الشرائع وتختل القوانين . وقد كان فينا راعي الحرفان حراً لا يعرف للسلك شيئاً يخاطب أمير المؤمنين بياعره وباعثان فصرنا ربما نقتل الطفل في حجر أمه ونلزها السكوت فتسكت ولا تجسر أن تزعج سمعنا ببكائها عليه . وكان الجدي الفرد يؤمن جيش المدو فلا يخفله عهد فصرنا تمنع الجيش العظيم من صلاة الجمعة واليدين وتسعين يديه لا حاجة غير الفتحة الباطلة (مرعى)

فمثل هذا الحال لا غرو أن تسام الأمة حياتها فيستولى عليها القنور وقد كرت القرون وتواتر البطون ونحن على ذلك عاكفون فتأصل فينا فقد الآمال . وترك الأعمال ، والبعد عن الجسد والارتياح إلى الكسل والهزل والانغماس في اللهو تسكيناً لآلام أسير النفس والاخلاد إلى الحمول والتسفل طلباً لراحة الفكر المضغوط عليه من كل جانب إلى أن صرنا ننفر من كل الماديات والحديات حتى لا نطبق معاملة الكتب العلمية ، ولا الاصغاء إلى التصديحة النواشدة . لأن ذلك يدكرنا بمغزونا العزيز فتتألم أرواحنا وتكد ترهق أقدامنا ناجاً إلى الساسي بالملهات ، والخسرات المروحات ، وهكذا ضعف إحساسنا ومات غيبتنا وصرنا نغضب ونحقد على من يذكرنا بالواجبات التي تقتضيها الحياة الطيبة لهجتنا عن القيام بها عجزاً وانسياطاً طبعياً هذا ونعترف بأن فينا بعض أغرام قد ألفوا من الوفاء سنين الاستبداد والاستبداد والدل والهرمان فصار الانحطاط طبعاً لهم تؤمنهم مفارقتهم وهذا هو السبب في أن السواد الأعظم من الهنود والمصريين والتونسيين صاروا بعد أن نالوا رغم أنوفهم الأمن على أنفسهم والأموال ، والحرية في الآراء والأعمال . لا يرتؤون ولا يتوجسون لحالة المسلمين في غير بلادهم بل ينظرون للناقبين على أمرائهم المسلمين شزراً وربما يعتبرون

تألفي الاملاح من المارقين من الذين كأن مجرد كون الأمير مسلماً بقني عن كل شيء حتى عن العدل وكأن طاعته واجبة على المسلمين وإن كان يحرب بلادهم ، ويقتل اولادهم ، ويقتودهم ايساءهم لحكومات أجنبية كما جرى ذلك قبلا معهم والحاصل ان فقدان الحرية هو سبب الفتور والتفاسد عن كل سبب وميسور .

أجاب (المجتهد التبريزي) ان هذا الحال ليس بعالم مع ان الفتور لم يزل في ازدياد واستحكام فلا بد لذلك من سبب آخر .

ثم قال : ويلوح لي ان المخطا هنا من أنفسنا اذ اننا كنا خير أمة أخرجت للناس نسيب الله وحده أي نخضع ونسذل له فقط ونطيع من أطاعه مادام مطيعاً له نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر أمراً شورى بيننا تتعاون على البر والتقوى ولا تتعاون على الإثم والعدوان . فتركنا ذلك كله ماصبب منه وما عان . وقد يظن أن أصعب هذه الامور التي هي المنكر مع أن ازالة المنكر في شرعنا تكون بالفعل فان لم يمكن في القول فان لم يمكن في القلب وهذه الدرجة الثالثة هي الاعراض عن الحائن والفاسق والفتور منه وابطان بقضه في الله .

ومن علام ذلك تجنب مجاملته ومماثلته . ولا شك ان اقامة هذا الواجب الديني كافي الردع ولا يتصور المجتز عنه قط قال تعالى (ولولا دفعُ الله الناسَ بفسادهم ببعض لفسدت الارض) فهذا هو سبب استرسال الامة في عبادة الاسراء والاهواء والاهواء وفي طاعة المصاة اختياراً وترك النصائح والركون الى الفساق والاذعان للاستبداد والتخاذل في الخير والشر قال تعالى (وَلَنَسْكُنَنَّكُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ الى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وعنه سائر آياته عليه وسلم (٥) « لا تأمرن بالمعروف ولا تنهين عن المنكر فليسكن الله عليكم شراركم فليسوا بكم سوء المذاب » الى غير ذلك من الآيات والآيات الاحاديث المتذرات القاضيات بالحذر لان على تاركي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا هو السبب الناشئ عنه الفتور .

(٥) المزار - انظر الحديث « او يسألان الله عابكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم » رواد البزار عن عمر والطبراني عن أبي هريرة وسندهما ضعيف . ولانتمذي من حديث حذيفة نحوه الا انه قال « او يسكن الله ان يمت عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » وقال حديث حسن .

إِلَهِيَّاتُ التَّعْلِيمِ

هو التعليم الذي ترتق به الأمة

أكثر الناس في بلاد الشرق — بلاد البطالة والكسل — يفتنون أزمة منهم بالبيت والافق من القول فلا تجمع منهم في أنديةهم وسماهم الا الخوض بخلان والأزراء بسلان وما أشبه ذلك . ما هنا وهناك ، ورب فئة قليلة تحب الجد وتحار للبحث والحوار المسائل النافعة وقد كتبنا مقالة في الجزء الرابع والستين من السنة الماضية في موضوع حديثهم في سامر من سماهم وهو اصلاح الدولة العلية . ونذكر هنا أنهم رأوا أن يفتحوا على كل واحد منهم كلما ضمه ناد أو سامر أن يتكلم في مسألة من المسائل النافعة وابتدأوا بالاقتراح على كاتب هذه السطور أن يتكلم في التعليم النافع للمسلمين فاجاب واتي اذكر بعض ماقلته هناك مائخفاً وقد ابتدأت بذكر عيوب التعليم عندنا وهي

المسألة الأولى عدم الائمة احياء العلم لا يكون الا بائمة حية وائمة الاسلام والمسلمين المربية ولكنهم أهملوا تعلما وتعليما حتى أتى أقول ماقلته من قبل اتى لأعرف مدرسة في الدنيا تعلم فيها الائمة المربية الصحيحة ومن عنده حفظ من هذه الائمة قائما نفاعه بنفسه لاهدائه الى طريقة العلم بذكائه أو بإرشاد مرشد آخر وستأتي الإشارة الى كيفية هذا العلم وان كان المنار قد فصله من قبل تفصيلا .

المسألة الثانية في اختلاف مناهج التعليم النافع هو ما يكون به قيام الامة وترقيتها والتتري اما يكون بالرجال المتعلمين العلم النافع لها لأن زمانها يكون في أيامهم وتغير الامة يجب أن يكونوا متقنين في مقاصدهم الاصلاحية وانما يكون هذا الاتفاق والاتحاد اذا كانت تربية عقولهم وافكارهم متحدة ولن تكون متحدة الا اذا كان التعليم من منبع واحد . والتعليم في بلادنا بعضه في مدارس الحكومة وبعضه في المدارس الاجنبية من فرنسية واهيركانية وانكليزية واسرائيلية وليس منه شيء موافق لحاجة الامة وينطبق على مصالحها فان لكل صنف من هذه الاصناف مقصد من التعليم الاجتماعي . واما ديني غير اسلامي والتعليم في المدارس الاحلية الاسلامية ناقص بحيث يصح ان يقول انه دون كل تعليم . ولا استثنى المدرسة الدينية الا لائمة الكبرى وهي

لجميع الأثره . فكيف نعرف أنها ليس فيها غناء . وأنها مقصورة على التفسير في وطن
 الأولى وهي أحياء اللغة العربية . وعلوم الدين . على أن علم الدين لا يكاد يوجد في
 الأزهر وما يتبعه من المساجد فهو على نفسه خير من غيره من هذه الجهة . ومن للمعني بالذكور .
 السبب ٣ عدم التربية والتعليم لأفيد النجاح المطلوب للإمة إلا إذا كان مقارناً للربية
 المالية القومية وهذه التربية منقودة عندما لأن القائمين على أمر التعليم لا يهتمون أمراً
 بل هو مبين لمقصدهم السياسي والديني . على أنهم لو حاولوها لأحسنوها لأنه
 لا يحسن الشيء إلا من يتوجه إليه بباطع الشعور بحاجته وحاجة أمة إليه مع العلم
 بطريقه الطبيعي . وقد علمنا أن أكثر المسلمين المشتغلين بالتعليم جاهلون بطرقه وعادوا
 الاحساس والشعور بالحاجة المالية القومية . وعلمنا حال مدارس الأجانب والمدارس
 الحكومة في مصر حكمها لأن روح التعليم فيها انكليزي استعماري لا انكليزي
 سكوني . ولا يحسن أحد أن مدارس الحكومة في بلاد الدولة العلية أمثل وأنفع
 من مدارس الحكومة في مصر بل تصواب أنها دونها في كل البلاد لاسيما العربية منها
 لا مدارس دار السلطنة فتها أرقى من مدارس مصر لأن فيها روحاً وطنياً حقيقياً
 تحزمت السياسة عن ازهاقه

هذه هي العيوب الأساسية للتعليم في البلاد الإسلامية . أما إزالة هذه العيوب من
 مواطنها فلا سبيل إليه ولا طاقة لنا به ولكن من الممكن السعي في إيجاد تعليم نافع
 وربية قومية والطريق إليه واحد وهو إنشاء المدارس الكلية التي تربى الناشئين وتعلمهم
 التعليم الابتدائي والتجهيزي والمالي ولكنه طريق يعسر طريقه وإشراعه لأننا
 فقراء في المال وفي العلوم والعقول وهذا الفقر المضموي أشد فناءً فثقل ولكنه لا يعموزنا
 وسجراً في طريقنا هذا كما يعجزنا ويموزنا الفقر المادي فإن من أوتي نصيباً من
 العلم والعقل والأدب يتجود بما عنده من ثاها إليه إذا رجا الانتفاع به ولكن الذين
 أوتوا المال منا قد أوتوا معه البخل والسفه معاً فهم يبدلون المال في طرق الفساد
 بغير حساب ولا يخرج من أيديهم درهم في طريق الخير الا تكداً . وليس المقام مقام
 بيان طريق الطريق لإنشاء مدرسة كلية في مصر ولكنني أقول أن هذه الفئة تحب
 خدمة أمتها إذا لم تجهد في إنشاء هذه المدرسة فلنا أن نمسك بأننا لم نعمل شيئاً يذكر وإذا
 هم لم يعمل فلا ندرى متى تله أرض مصر خيراً منها ليعمل خيراً من عملها

أما التعليم والتربية في الكلية فلانبحث فيما لأن الحاضرين يعرفون هذا الفن
 (اليداوجيا) وإنما نسبه على وجوب أحياء اللغة العربية بالعمل بأن يكون الكلام

العربي الصحيح هو اللسان الرشيحي فيها ويعلم كما تعلم اللغات الأخرى في المدارس لا كما يعلم هو فيها . وأما تعاليم الدين فيجب أن يكون أساسه القرآن والسنة الصحيحة ومعرفة الإجماع وإن يمد كل ما وراء هذا من الخلاف بين أئمة المسلمين وسناتهم كالخلاف في المسائل العلمية ، لا يثبت من قتل الأخوة الإسلامية ، وعلى ما هو من أعمال الجوارح يكون تعليمه بالعمل كالصلة مثلا وما عدا ذلك بما بالقول . وأما التربية فما يجب التنبه عليه تربية الإرادة والمزينة التي هي منشأ الاستقلال الشخصي والتوحي تبع للشخصي وتربية الأخلاق بملاحظة السيرة والسلوك وتربية الخيال التي تعد للخطابة والشعريات المؤثرة في النفوس . هذا ما أراه نافعا من التعاليم الإسلامية وفق الله المسلمين لتحقيقه ، والسير طريقه ، آمين .

أَتَانِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مقدمة لكتاب أسرار البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القرآن ، خالق الإنسان عالم البيان ، فله الحمد أن علم ، والشر على ما أنعم ، ومنه الصلاة والتسليم ، على نبيه الرؤف الرحيم ، الذي جاء بنوحيد اللغة والدين ، وسجل الكتاب ، والحكمة في الآمين ، فكانوا بذلك أئمة وكانوا هم الوارثين الإنسان يمتاز بالعلم وإنما العلم بالتعلم والتعلم بالتألمس ، واللغات تفاضل في حقيقتها وجوهرها بالبيان وهو تادية المعاني التي تقوم بالنفس تامة على وجه يكون أقرب الى القبول وأدعى الى التأثير وفي صورتها وأجراس كلها بصيغة النطق وسهولة اللفظ والاتقاء والحقة على السمع . وإن للغة العربية من هذه المميزات الميزان الراجح ، والجواد الفرج ، يعرف ذلك من أخذها بحق ، وجري فيها على عريق ، فكان من مبدعاتها على علم ، وضرب في أساليبها بسهم ، ومن آية ذلك لغبر المعارف أن أولئك الشراذم والأوزاع من أهلها قد حملوها الى الأمم ، التي كان لغاتها في العلوم قدم ، ولم يحملوهم عليها بالإلزام ، ولا بالتعالم العام ، كان من أسرها مع هذا أن نعتت

بطبيعتها لغة المصريين من مصرهم والرومانيين من شامهم واستعملت على الفارسية العذبة في مهدها وموطنها وامتد شماعها الى الاندلس في غربي أوربا بصد مطاف ساحل أفريقيا الشمالي والى جدار الصين من الشرق — كل ذلك في زمن قريب لم يعرف في التاريخ مثله للغة أخرى من لغات الفاتحين الذين يتخذون كل الوسائل لتشر لغاتهم وتعميمها بالتعليم العام وضروب الترغيب والترهيب

كانت لغة أميين وثنيين جاهليين فظهر فيها أكمل الأديان فكانت له أكمل مظهر ، ونجلى لها العلم فكانت له خير مجلّي ، وصارت بذلك لغة الدين والشريعة ، وعلوم العقل والطبيعة ، ولكن عدت على أهلها عواد كونية ، وطرات عليهم أمراض اجتماعية ، فضعف فيهم كل مقوم من مقومات الأمم الحية ، ومن تلك المقومات الحقيقية اللغة فقد فسدت ملكتها في الألسنة والتوى طريق تعليمها في المدارس ، حتى كادت تكون من اللغات الدوارس

ظهر ضعف اللغة في القرن الخامس وكانت في ريمان شبابها وأوج عزها وشرفها وكان أول مرض ألم بها الوقوف عند ظواهر قوانين النحو ومدلول الالفاظ المفردة والجل المركبة والانصراف عن معاني الاساليب ، ومازى التركيب ، وعدم الاحتفال بتصرف القول ومناحيه ، وضروب التجوز والكنابة فيه ، وهذا ما يمت عزيمة الشيخ عبد القاهر الجرجاني امام علوم اللغة في عصره الى تدوين علم البلاغة ووضع قوانين للمعاني والبيان كما وضعت قوانين النحو عند ظهور الخطأ في الاعراب فوضع هذا الكتاب في البيان ومن فاحته ينقسم القارئ ان دولة الالفاظ كانت قد تحكمت في عصره واستبدت على المعاني وأنه يحاول بكتابه تأييد المعاني ونصرها ، وتميز جانبا وتندأ سرها

كتب قبل عبيد القاهر في مسائل من البيان بعض البلغاء تاجا حفظ وابن دريد وقدامة الكاتب ولكنهم لم يبنلوا فيما بنوه أن جعلوه قفا مرفوع القواعد مفتاح الابواب كما فعل عبد القاهر من بعدهم فهو واضح علم البلاغة كما صرح به بعض علمائها وان لم يذكر له هذه المنقبة المؤرخون الذين رأينا ترجمته في كتبهم حتى ان ابن خلدون الذي تصدى دون القوم للإتمام بتاريخ الفنون اعمل ذكره وزعم ان الذي جذب الفن بعد أولئك الذين كتبوا في مسائل متفرقة منه هو السكاكي . وما كان السكاكي إلا عيالا على عبد القاهر تلايلوه وأخذ عنه مع المخالفة في شيء من الترتيب والتبويب ولكنه لم يسلم من التكلف في بعض عبارته ، والتعقيد في بعض منازعه ، فإذا جاز لنا

ان نقول أنه فاق لتأخره بالترتيب المعلوم ، وبما حرره من الحدود والرسوم ، قلنا
لا نقى من فضل المتقدم سلامة عبارته ، وصفاء ديباجته ، وغوصه على أسرار
الكلام ، ووضع دررها في أبدع نظام ،

كان السكاكي وسطاً بين عبد القاهر الذي جمع في البلاغة بين العلم والعمل
وأضرابه من البلاء العالمين وبين المتكافين من المتأخرين الذين سلكوا بالبيان مسلك
المعلوم النظرية ، وفسروا اصطلاحاته كما يفسرون المفردات اللغوية ، ثم تنافسوا
في الاختصار والابحاز ، حتى صارت كتب البيان أشبه بالعمميات والافاناز ، فضاعت
حدوده بتلك الحدود ، ودرست رسومُه بهائيك الرسوم ، وكان من أثر فساد
ذوق اللغة اختيار هذه الكتب التي ملكت المعجمة عليها أمرها على الكتب التي
تهديك الى العلم الصحيح بعمانيها ، وتهدي اليك الذوق السليم بأساليبها ومناحيها ،
فكادت كتب عبد القاهر تمحي وتنسخ ، وصارت حواشي السمعاء تطبع وتنسخ ،
وهذا هو حفظ العلم النافع اذا أتى الى الامة في طور التدلي والصف ، فمثل عبد
القاهر في أسرار بلاغته ودلائل اعجازة كمثل ابن خلدون في مقدمته والساطان
سليمان العنابي في قوانينه

رب غذاء طيب نافع عاقته النفس لمرض ألم بها حتى اذا قهت أو ألبت اشتتهه وطلبت به
وهذا هو مثلاً أمس واليوم فقد كنا متفقين على أخذ العلم من كتب علمائنا المتأخرين
كما يختار المريض الغذاء الضار فظهر فينا هداة مرشدون يسعون في احياء مآلاته
الجهل من آثار سلفنا وصفاته أئمتنا ويدلوننا على العلم الحلي الذي تفجر من ينابيع
النفوس الحية لتفرق بينه وبين الرسوم الميتة التي سبهاها الجهل علما

ولما هاجرت الى مصر في سنة ١٣١٥ لانشاء (المنار) الاسلامي أقيمت أمام
 النهضة الاسلامية الحديثة الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده رئيس جمعية احياء العلوم
 العربية ومفتي الديار المصرية اليوم مشتتلا في بعض وقته بتصحيح كتاب دلائل الاعجاز
 للامام عبد القاهر الجرجاني وقد استحضرت نسخة من المدينة المنورة ومن بغداد
 ليقابلها على النسخة التي عنده فسألته عن كتاب (أسرار البلاغة) للامام المذكور
 فقال انه لا يوجد في هذه الديار فأخبرته بان في أحد بيوت العلم في طرابلس الشام
 نسخة منه فحنتي على استحضارها وطبعتها فطلبها من صديقي الحميم العالم الأديب عبد
 القادر افندي الغربي وهي بما تركه له والده فابي الطالب . وعلمنا ان نسخة أخرى
 من الكتاب في إحدى دور الكتب السلطانية في دار السلطنة السنية فذهبنا بعض

طلاب العلم الأذكياء، فبالإضافة إلى هذا ينشأ عن هذه النسخة تفرع ثان من مجموعها، وهو نسخة
صحيحة شرعنا في طبعها ووضعنا في ذيل المطبوع شرحاً ملطفاً شاملاً في بعض المسائل
العربية وفسرنا منها ومن حال الكتاب ما رأيناه يفتقر إلى تحقيق التأليف، وأشيرنا إلى الخلاف
بين السختين، وفيما يحتمل صحة الاثنين،

أما كون عبد القاهر هو واضع الفن ومؤسسه فقد مرّ به غير واحد من
العلماء الأعلام أجلهم قدراً، وأرفعهم ذكراً، أمير المؤمنين، محيى علوم الأئمة والعلم،
السيد محيى بن حمزة الحسينى صاحب كتاب (الطراز، في علوم حقائق الإعجاز)،
فقد قال في فاتحة كتابه هذا وهو من أحسن ما كتب في البلاغة بعد عبد القاهر ما معناه:
« وأول من أسس من هذا الفن قواعده وأوضح براهينه، وأظهر فوائده
ورب أفانيته » الشيخ العالم النحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجاني فاقد ذلك قيد
الغرائب بالقييد. وجد من سور المشكلات بالتسوير المشيد، وفتح أزماءه من أكمائها،
وفق أزماءه بعد أسسه لأقفا واستبهاها، فجزاها الله عن الإسلام أفضل الجزاء، وجمال
نصيبه من ثوابه أوفر السبب والأجزاء. وله من المصنفات في كتابان أحدهما لقبه
بدلائل الإعجاز، والآخرة بأمرار البلاغة، ولم أقف على شيء منهما، مع شغفي
بجهما وشدة إعجابي بهما، إلا ما نقله العلماء في تعاليفهم منهما، »

وأما مكانة هذا الكتاب وبيان ما يمتاز به على كتب البيان فحسبي عرضه على
الأنظار مع التنبيه على مشكلتين نافعتين (أحدهما) أن العلم هو صورة المعلوم مأخوذة
عنه بواسطة الإدراك كما تؤخذ الصورة الشمسية بالآلة المعروفة فإن كان المعنى المنزع
من الجبريات قانوناً كلياً يرشد إليها فهو القاعدة وإن كان صورة تناسلها وتقرّبها من
أنهم فهو المنهج. (والثانية) أن القاعدة الشكلية هي صورة إجمالية للمعلومات الجزئية
والأولية والشواهد صور تفصيلية لها. والتعليم النافع إنما يكون بقرن الصور للفصل
بالصورة الجملة إذاً تفصيل تعرف المسائل وبالأجمال تحفظ في العقل وبهذه الطريقة
يجمع بين العلم والعمل الذي يثبت به العلم وهي طريقة عبد القاهر في كتابه هذا وكتاب
دلائل الإعجاز على أن كلام الشيخ رحمه الله تعالى كله من آيات البلاغة فهو يعطيك
علمها بعمانيه، وعملها بعمانيه، وبهذه المميزات يفضل هذا الكتاب جميع ما بين أيدينا
من كتب الفن لأنها إنما تقتصر على سرد القواعد والأحكام ببارات اصطلاحية،
تشكرها بلاغة الأساليب العربية، ولا تذكر من الشواهد والأمثلة إلا القليل النادر،
الذي أدلى به السابق إلى اللاحق والاول إلى الآخر،



لهذا باشر الأستاذ بالامام . مني الدنيا . في هذه الدار . الى تدريس
الكتاب في الازهر الشريف . غير ان روعنا في طبعه قابيل . ان تكون درسه مع
أذكياء القلوب . كغيره من العلماء والمدرسين . والذلة . دارس الاميرية . وقد قال
أحد فضلاء هؤلاء المستاذين . بعد حضوره لدروس الاول . اننا قد اكتشفنا في هذه
الليلة معنى علم البيان .

وقد ظهر للاستاذ في غضون التدريس والمطالعة اغلاط في الكتاب بعضها من
الطبع وبعضها من تحريف النسخ في الاصل واغلاط أخرى في الموامش فأحصيناها
كلها من نسخة ووضعنا لها جدولاً في آخر الكتاب تماماً للتفاد . وما يجب التنبه
عليه ان بعض تراجم فصول الكتاب هي من وضعنا فان المصنف رحمه الله تعالى كان
يكتفي في كثير منها بكلمة (فصل) او بلي هذا ترجم المصنف

الهدايا والتقايط

(فتح القدير شرح الهداية تجتهد الحنفية في القرن السابع الكمال بن الهمام)
ينسب طلاب فقه الحنفية عشرين سنة أو أكثر ليكونوا فقهاء في هذا المذهب
فضيع نسب الاكثرين سدى لا شغلهم بكسب المتأخرين المحشوة بالفروع الشاذة وغير
الشاذة والاضطراب في التصحيح والترجيح ولا يكون الانسان بهذه الطريقة فقيهاً
ولو أفنى عمره في الدراسة . وقد كان لهؤلاء بعض المذنب قبل أن يطبع هذا الكتاب
(فتح القدير) الذي هو أحسن كتب المذهب في تحرير المسائل وبسط أدلتها
وأرجعها إلى أصولها . وقد كان العلماء يتنافسون في الإطلاع عليه . حتى أن ابن عابد
لمشهور ظهر نسخة منه فاشترأها بوزنها ذهباً . وقد كان طبع في الهند مطاب نسخاً منه
أكبر فقهاء الحنفية فأخوه كما كان يقول أحدهم (الشيخ عبد الله الراجحي رحمه الله
تعالى) : توراة مبدلة . أي أنه كثير الغلط والتحريف . وقد طبعه أخير السيد عبد
واحد بك الطوحي وأخوه في المطبعة الاميرية واعتنى بتصحيحه وأضيف اليه تكملة
المادة (نتائج الأفكار) لعماد الدين أحمد المعروف بقاضي ناده . ووضع في
هامشه (شرح الهداية على الهداية) لأحمد الدين البازي وحاشية سمدي جاجي المقي
الشهر فباع الجميع ثمانية مجلدات وجعل ثمنه ١٦٠ قرشاً و ١٦٥ من الورق الباقى
وبسبب من مكاب طابعه في مصر فتوجه إليه أنظار الحنفية عامة وأهل الهند خاصة

(جواهر الاشياء) أيضاً أخواننا الأستاذ الفاضل الشيخ طه طايي جوهري مدرس العربية في المدرسة الخديوية بهذا وفصولاً في موضوعات مختلفة لتكون تمريناً للتلاميذ على الكتابة والانشاء. ثم ضم إليها بعض الاحاديث النبوية في الفضائل ومحاسن الاعمال وشيئاً من الحكم المتنوعة ومن الاشعار المختارة في الآداب ومنها نظم ملخص من كتاب أدب الدنيا والدين وسمى هذه المجموعة [جواهر الانشاء] وقد طبعت في مطبعة الترقي الشهيرة بالأهوان ومنها قرشان وهي ٩٠ صفحة وتطلب من مكتبة الترقي ومن حضرة مانعهم طبعها توفيق اقدي كاشف بشارع بركة الفيل

(رسالة الشرازي في علم الاخلاق) هي رسالة مختصرة مفيدة في الاخلاق والآداب سهلة العبارة اعتنى بطبعها المحامي الفاضل الأديب عبد السلام اقدي صاحب ولا يعرف مؤلفها وربما يتبادر الى ذهن انها للشيخ أبي اسحق وما هي له فيما يظهر من اهدائها في قلمها. على ان العبارة بالقول لا بالقائل والرسالة نافعة في بابها وهي ثلاثة أقسام أحدها في الاصول الكلية لاسم الاخلاق وثانيها فيما يجري مجرى الأمثال البائرة، من الكلمات النادرة، وثالثها في محاسن أخلاق الملوك وآداب اتباعهم وحواشيهم وهذا القسم يدلنا على استبداد الملوك في ذلك العصر وقرار العلماء على ذلك. فنشكر لطابعها فضله في احياء هذه الآثار الاخلاقية التي نحن أشد حاجة اليها من سائر العلوم ونحث الناس على قراءة هذه الرسالة ومنها قرشان

(تاريخ حرب الدولة العثمانية مع اليونان) كما يجب على الانسان أن يعرف نفسه من حيث هو شخص يجب عليه أن يعرفها من حيث هو أمة أي عضو من أمة تعرفه بشرفها ومهانتها وجاهها والأثم الحية تفتي بتاريخها فتعلمه أولادها بالتفصيل وتاريخ سائر الأمم والدول بالأجمال ولكننا نرى أكثر المسلمين يجهلون تاريخ الانتم وأكثر العثمانيين يجهلون تاريخ الدولة العلية ولآل العظم فضل على الفريقين بالمانية بالتأليف في التاريخين فإذا كان رفيق بك العظم مشغولاً بتأليف تاريخ (أشهر مشاهير الاسلام) حتى بك العظم الفاضل مشغول بتاريخ الدولة العلية فبعد أن ألف كتاب (دفاع بلقنا) وطبعه ألف لنا كتاب تاريخ الحرب العثمانية اليونانية بالتفصيل وطبعه فجاء كتاباً حافلاً بصفحاته ٢٢٥ وفيه مباحث تاريخية واجتماعية نافعة منها بحث في اللغة تحفظ كيان الشعب ومنها التعريف بمقدمات الحرب وأسبابها والحمية الوطنية اليونانية ومنها تليل الحوادث والوقائع ونشأتها وحتمه بنظرة سياسية في موقف الدولة العلية قبل الحروب وبعدها وأحوال البانيا ومكدونيا واحتياج الدولة للرجال الأكفاء

وسبب سكوت الدولة عنها الآن . الكتاب مطبوع في مطبعة الترقى على . رفق
جيد ويطلب منها ومن ادارة المزار ونحوه عشرة قروش أميرية

(البيان) مجلة اخبارية تاريخية تصدر مرة في الشهر باللغتين العربية والاوردية
لنشئها الفاضل الشيخ عبد الله العمادي وصاحب امتيازهاه المولوي عبد الوهي بن الفاضل
الراسي عبد المولى المدرسي . والعرض منها جميع كلة الامة الهندية ، واحياء المقتل
العربية ، ومن المباحث النافعة فيها نبذة (الحضارة والهند) شكافها الكاتب من فقر
الامة وقلة الكتب وكثرة الانوات والضرائب وهي نحو ٥٠٠ مليون روبية . منها ١٦٠
مليوناً من الخراج و٨٥ مليوناً من المالح و٣٥ مليوناً من القرايطيس القضائية و٥٥ مليوناً
من الخجور و٣٥ مليوناً من الزيادات الخراجية و٥ ملايين من التسجيل (السيكورته) .
ومنها نبذة في مقاصد ندوة العلماء لم تتم ولعلنا نأخذها بسند تمامها ونرجو لهذه المجلة
الرواج قيمة الاشتراك فيها ٨ روپيات في الهند و٣٠ غرشاً او ٦ شلينات في الخارج
(تاييه) ضاق هذا المزمع باب الاخبار النبوية وآثار السلف عن الاخبار والآراء والندع في ان

لشاعر المجيد . صطفى اقدى صادق الرافي (في الساعة)

تضرب كاتقلب شقه الدم	كأن فيها الموم تضطرم
ذات حجاب اظلم اقرأ من	خطوطه ما يخطه القلب
الفها لا اذم محبتها	وعني في اصطناعها السام
وما اراها سوى الزمان أما	يدور فيها التعم والتقم
تذكرني ما يمر من عمري	فكل يوم يحمد لي ندم
ما إن تراعى لأهلها ذمها	ان رعت عند أهلها الذم
وليس أما سمعت نصارها	يد في غير مذهبهم
ولا اذا عجلت لحبائنها	في غير ضيق القلوب تردم
بأخت ذات البروج هل حبيت	طوال السمد هذه الظلم
كانها والخطوب تكتمها	سر بقاء الزمان منكم
وهل تمود الجدود ثانية	من بعد هذا السبوس تبسم
ما أثبت لهم في الصدور اذا	أنت لبالي الحياة تنهزم
وهذه الدار حكاها تمس	سيان فيها الوجود والسدم
والناس كالتأعين ما لبوا	فكل ما يشهدونه حلم
أبدع ذات السمد مبدعها	فأين راحش بأهلها ارم

فيهم عبادي الذين يستمعون القول
فيسمعون أحسنه أو يهلك الذين هدام
الذين يهلكون هم أولو الآيات

المعجزة
١٣١٥

فيها الحكمة من بقاء موسى
الحكمة من بقاء نوحاً كرماء
بذكر أولاد الألبان

« قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « مناراً » كنار الطريق »

مصر في يوم الجمعة غرة صفر سنة ١٣٢٠ ٩٥ مايو (أيار) سنة ١٣٢٠ هـ

﴿ باب العقائد من الأمالي الدينية ﴾

(الدرس ٣٤ — الأجوبة عن شبهات العصمة)

(المسألة ٩٠) معصية آدم عليه السلام علمنا أن مذهب جمهور أهل السنة
 أن الأنبياء معصومون بعد النبوة لا قبلها فلا تردُّ معصية آدم على هذا
 المذهب لأنه لم يكن نبياً حتى عصى ربه بل لم يكن في طور التكليف إلا
 بالنسبة إلى النهي عن الأكل من الشجرة . ولا ترد أيضاً على ما اختاره
 المتأخرون من عصمتهم قبل النبوة (وإن كان يلزم منه أن هناك أحكاماً قبل
 التشريع والوحي) لأن الدليل القلي الذي يمكن أن تثبت به هذه العصمة
 لا يأتي في مسألة آدم وهو أن يكون من اختاره الله للنبوة معروفاً في قومه
 بمكارم الأخلاق وأحسن الأفعال لأن سيرة محموت منبؤة تحفظ
 مساويه وجرأه فتحول دول قبول دعوته وكون هذا لا يجيء في مسألة
 آدم بديهياً لا يحتاج إلى بيان . فإن قيل إن الدليل يرشد إلى أن فطرة
 الأنبياء زاكية وتقوسهم عالية فهم يتفرون من المعاصي والجرائم بوازع
 نفسى راسخ فيهم كما علم من إثبات النبوة والوحي فكيف يقترب آدم تلك
 المعصية مع كونه خلق في أحسن تقويم وأكمل صفة ؟ والجواب أن
 صاحب النفس الزاكية تربأ به نفسه عن تعمد إتيان المنكر وارتكاب
 الفاحشه التي يعرف مضرتها وسوء عاقبتها وآدم لم يعتمد المخالفة بدليل
 قوله تعالى « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى » ولم يكن عالماً بوجوده
 مضرتها لتفطر فطرته منها بل كان يعتقد صدق الشيطان الذي وسوس إليه بأنها
 شجرة الخلد وملك لا يبلى فهذا الاعتقاد دفعه عند نسيان النهي إلى الأكل

ليكون مظهراً لهذا النوع الذي هو أبوه وليعلم من بعده من ولده غير المصومين ما يجب على من عصى ربه من التوبة والإقامة إلى الله تعالى على أن في قصة آدم وجهاً في التأويل ، بأنها وردت مورد التمثيل ، لإظهار طبيعة النشأة البشرية . في أطوارها التدريجية ، فالجنة والعيش الرغد فيها مثل لما كان عليه النوع البشري في طور السذاجة الأولى وعصيان آدم وهبوطه هو وزوجه من الجنة مثل لدخول البشر في طور المخالفات التي تجر عليهم الشقاء والبلاء . والتوبة والمغفرة مثل لطور الكمال الكسبي والارتقاء الملهي والملي (سيأتي إيضاح ذلك في باب التفسير المقتبس من مفتي الديار المصرية) .

(م ٩١) قصة داود عليه السلام ولع بالإسرائيليات بعض الذين اشتغلوا بتفسير القرآن بالماثور فالصقوا بالقرآن ما تلقوه من أهل الكتاب لأدنى مناسبة ولولا ذلك لما كنا محتاجين إلى الجواب عن هذه الشبهة بعد ماقررنا في الدرس الماضي الفرق بين ذنوب الأنبياء وبين المعاصي الحقيقية التي عصمهم الله تعالى منها

القرآن مهيم على الكتب السماوية ، لأنه ثابت بالتواتر دونها فما أثبتته فهو الثابت وما فاه فهو المنق . وقصة داود مع الخصم ليس فيها بحسب نص القرآن إلا أن اجتهاد داود اختلف في قضيتين متشابهتين فمرفعه الله خطأ الاجتهاد الأول بما عدها إليه في الثاني لأن خطأ الأنبياء في اجتهادهم لا يقرؤون عليه كما تقدم في الدرس الماضي عن اليبساوى . هذا إذا كان لقصة المرأة أصل وإلا فإن قضية الخصمين اللذين تحكما إلى داود عليه السلام ليست نصاً في أنه أعطى في قضية أو تزوج امرأة بعد ما عرض زوجها

للاقتل أو غير ذلك مما يزعمون . القضية أن أحد الخصمين له تسع وتسعون
 نجمة وللآخر نجمة واحدة فطلب الأول أن يضمها إلى نجاها وحاج
 صاحبها في بيان أن ذلك هو الصواب والأولى فعزّه وغلبه في الخطاب
 والكلام فحكم داود بأن صاحب التسع والتسعين ظالم وأن من شأن
 الخلطاء البنى . ولكن ختم النبا بقوله تعالى : « وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ
 فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ . فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُنَى
 وَحُسْنَ مَآبٍ » يدل على أن وراء القضية أو فيها هفوة لداود . ولقائل أن
 يقول يحتمل أن تلك الهفوة في نفس الحكم فإنه لا يبعد أن يكون الصواب
 ضم النجمة إلى القطيع لتحفظ وتأتي بالنسل وأن بقاءها عند صاحبها
 مضية لها فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية كما ورد في الحديث الشريف .
 واعتراف المدعي بأن خصمه عزّه في الخطاب دليل على أنه لم يطلبها إلا
 بحق وبمعرض كضمن المثل أو منفعة أخرى من اللبن أو النسل
 وفي البيض - أوى وغيره احتمال آخر في التأويل مروي وهو أن
 الذين تسوروا المحراب كانوا يقصدون اغتيال داود في يوم انصراده
 فوجدوا عنده قوماً فتصنّعوا بالتحاكم فعلم غرضهم وقصد أن ينتقم منهم
 ثم لم يجد مسوغاً شرعياً فماتب نفسه وظن أن الله تعالى أراد ابتلاؤه
 واختباره بذلك فاستغفر ربه مما تم به لأن ذلك ذنب بالنسبة إلى مقامه
 وإذا كان لقصة امرأه أوربا أصل فيجب أن يكون مطابقاً لقضية
 الخصمين بأن يكون داود اعتقد أن امرأة جميلة في بيت جندي فقير
 حنف أسفار لا يعلم من تطلع السفهاء وتعرض الفجيار وأن الطريقة
 المثلى لصيانتها هي أن تكون في بيت النبوة والملك وأنه كلم زوجها في أن

بكتبت أدفند. ومنه في الخطاب، لأن هذا هو الصواب، وإنما استغفر
داود من الله لأنه ظن أن اجتهد في أمر المرأة مشوب بشئ ومن ميل
النفس إلى كفالتها وأثب هذا الميل هو الذي رجح في نفسه الرأي الأول
بدليل أنه ظهر له خلافه في قضية تشابه الأولى ومثل هذا يمدده هؤلاء
الكلمة ذنباً وإن لم يكن فيه مخالفة لأمر الله تعالى وحيد عن شريعته .
ومن تأمل ما تقدم القصة وما تأخر عنها من الثناء على داود عليه السلام
علم أن القرآن يشتره في حكمته وبلاغته أن يكون ذكر الفاحشة فيه محققاً
بهذا الثناء والإطراء. ويقال إن تنازل الرجل عن امرأته لآخر ليتزوج بها
كان مشروعاً عندهم. وقد آثر الأنصار المهاجرين (رضي الله عنهم أجمعين)
بزوجاتهم فكان من عنده امرأتان يطلق إحداها ليتزوج بها أخوه المهاجر.
وفي القصة روايات كثيرة في كل فرع من فروعها لا يعبأ بها أهل العقل
ولا أهل النقل. فإن قبلنا منها شيئاً فلنقبل ما يوافق قواعدنا الثابتة كرواية
أن أوريا لم يكن متزوجاً بالمرأة وإنما كان خاطباً ورواية نهى الإمام على
كرم الله وجهه عن التحديث بالقصة على ما يرويه القصاص ووعيده من
خالف يجحد مائة وستين جلدة وذلك حد القرية على الأنبياء عليهم السلام
(م ٩٢) الشبهة الأولى على سليمان عليه السلام حسب الله القصاص فلقد
شوهوا كتب التفسير بقصصهم، استعرض سليمان نبي الله وملك بني
إسرائيل الخليل وهو نم المبد «إذ عُرِضَ عليه بالمشي الصافات الجياد.
فقال إني أخيت حب الخير» المقود بنواصي الخليل لا عن هوى نفسى
ولكن «عن ذكر ربى» ووحيه الذى أمر برباط الخليل للدفاع عن الحق .
فازالت تمرضى «حتى توارت بالحجاب» فقال «: ذوها على» لأراها

مقبلة ومدبرة أو لأختبر حالها . فقد قيل : إنه كان عالماً بها . بأمراضها أو لا تمتع بمسح سوقها وأعناقها فردوها عليه « فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ » كما هو شأن محبي الخيل في كل جيل وزمان . فأى الشبهة شبهة في هذه الآيات على أن سليمان عليه السلام ترك صلاة المصير شغلاً بالخيول حتى غربت الشمس وأنه انتقم منها بقطع سوقها وأعناقها - ولو كان المسح هو القطع لكان قوله تعالى « فامسحوا برؤوسكم وأرجلكم » بمعنى اقطعوها - وأن قوله (ردوها على) خطاب للملائكة الموكلين بالشمس يأمرهم بردها بعد غروبها ليصلي المصير وأي حاجة لتطويل الفقهاء البحث في هذه الصلاة هل هي أداء أم قضاء؟؟ ولكن هذا قضاء الله في قوم استغلوا عن لباب العلم بلوك القشور ، ألا إلى الله تصير الأمور .

(م ٩٣) الشبهة الثانية على سليمان عليه السلام روي في تفسير قوله تعالى

« وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ذَا أَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ » روايات مضطربة متعارضة فإذا حكمنا علم الرواية فإننا قبل رواية البخاري ومن واقعه وملخصها أن سليمان قال : لأطوفنَّ الليلة على أربعمائة امرأة (من نسائه) تأتي كل واحدة بفارس يحاهدني سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فلم تحمل منهن إلا واحدة جاءت بشق رجل فألقي على كرسيه عرساً عليه وصي جسداً لأنه ليس إنساناً كاملاً فكان ذلك فتوناً واختياراً من الله تعالى له فأناوب إليه وتاب أن يحزم بشيء دون الاستثناء بمشيئته فأبى النمائيل وعبادة الأصنام ووثبان الشياطين على كرمى الملك وما أشبه هذا المذهبان الذي روي؟؟

(م ٩٤) الشبهة على عصمة يوسف عليه السلام إن ما جرى ليوسف مع

امرأة العزيز كان قبل نبوته وليس فيما قصه الله تعالى علينا إلا أنه « ثم بها

لولا أن رأي برهان ربه فيجوز أن يكون جواب لولا محذوقاً دل عليه ما قبله فتكون الآية ناطقة بأنه لم يهمل وبعض النحاة جوز تقديم جوابها أي أنه لولا رؤية برهان ربه لهم بها لتوفر الدواعي ولكنه رأى من تأييد الله له بالبرهان ما صرف عنه السوء والفسحاء فلم يهمل ولو فرضنا أن الجواب «لنفسها» وأن الهمل وقع منه لكان لنا أن نقول إن الأنبياء ليسوا معصومين من حديث النفس ومراودة الشهوة البشرية ولكنهم معصومون من طاعتها والالتفات إليها ولولم توجد عندهم داعية إلى خطأ لما كانوا مجبورين على ترك المنكرات والمطامير لأنهم يكونون مجبورين على تركها طبعاً والعتيق لا يؤجر ويثاب على ترك الزنا لأن الأجر لا يكون إلا على عمل والترك بغير داعية ليس عملاً وأما الترك مع الداعية فهو كف النفس عما تتشوف إليه فهو عمل نفسى

(م ٩٥) الشبهة على إخوة يوسف لا شك أن إخوة يوسف قد ارتكبوا المصيبة المشتملة على عدة معاصي ولكنهم لم يكونوا أنبياء . وأما ذكر الأسباط فيمن أوحى الله تعالى إليهم من الأنبياء فالمراد به (والله أعلم) أنبياء الأسباط وهم فرق بنى إسرائيل الاثنى عشر قال تعالى «وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً» وقد بعث الله في كل أمة من هؤلاء الأسباط أنبياء وأوحى إليهم فعل الخيرات وهداية بنى إسرائيل . وما رواه ابن جرير الطبري من استغفار يعقوب لهم في وقت السحر وتأمين يوسف عليهما السلام وأن الله استجاب له على رأس العشرين سنة من بعثته وأوحى إليهما تغفر لهم «وعقدوا عيقهم على النبوة» فهو غير صحيح هذا هو الحق في هذه القصص وقد انكشف به الشبهة فينبغي أن يلحق للمسلمين في الدروس ويعلم للأطفال لكيلا يفتروا أحداً بما في كتب المهد

العتيق التي يسمونها التوراة وبما حشي في كتب قصص الأنبياء وبعض التفاسير من الإسرائيليات ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿ لا وثنية في الإسلام ﴾

(نبذة من الجزء الثاني من كتاب أشهر مشاهير الاسلام الذي طبع الآن)

« رأيت ما قاله عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار وهو قول لا تحب أن يفوتنا البحث فيه ، لهذا رأينا أن نقرده له هذا الفصل فنقول ﴿١﴾
أولع الإنسان بالإفراط ، كما أولع بالتفريط في كل شأنونه الروحية والجسمانية ، ولو أنصف واعتدل ولم يطلق لنفسه العنان ليلعب مقام الملائكة في أعلى عليين أو يهبط بها إلى مقر الشرور في أسفل سافلين لكانت السعادة الدائمة به أئزم وطريق النعيم الحيوي لديه أوسع ، ولما احتاج إلى كثير من هذه القوانين وقوامها وزعماء السيطرة وجنودهم والحكام وأعوانهم والسجون وحراسها ، بل وكان اكتفى بدين واحد قويم وشرع إلهي مستقيم ولم يشوّه وجه الشرائع ولم يدع لتعدد الأديان وإرسال الرسل في آن وآن . -

أجل ، أولع الإنسان بالشطط حتى في العقائد ، فبينما يكون هذا في طرف التفريط مارقاً من كل دين منكرّاً لكل نخلة هائماً في المادة التي يتناولها حسه وينكر ما فوقها عقله يكون الآخر مسلماً لمقيدته بما لا يبعد طبعه عن طبيعته طالباً بخياله ما يظن له قدرة فوق قدرته وسلطة أعلى من سلطته وأول ما يلاقيه في طلبه يعلق بقلبه ويظنه متحجج عقله وانماية التي

(١) يريد قول عمر لكعب « ضاهيت والله اليهودية يا كعب وقد نأتك وخطك ضليك » وذلك حين استشاره في أمر قبة المسجد فأشار بجعل البصلي إلى الصخرة

يطلبها في سيره فتولع به نفسه ويقوى فيه أملة ويمتحن به عمله فيغلو في عبادته غلو المادى في مادته حتى يساويه من طرف الأطراف بالتوجه تارة للأقار وأخرى للأعجار وآونة للأحجار ووقتاً للأرواح وآخر للأشباح إلى غير ذلك مما هو داخل في المادة قريب من تناول الحس . فكان العقل الإنسانى في حال الإيمان والكفر أسير المادة لا يفلت من شرك الحس ولا يذعن إلى ما فوق المادة ويصمد إلى أفق الكمال إلا هنيهة ريثما يتلقى برهان ربه بواسطة الأنبياء ويطمئن إلى التسليم بقوة إلهية تفوق قوى المادة وتلو عن العقل وتتحكم على الكائنات تحكم الصانع المختار ثم لا يثبت أن ينحط عن هذه المرتبة فيعود إلى خيخته الأولى للهبوط إلى هوة النقص والتوجه إلى مظاهر المادة ولو تدريجاً حتى يلتصق بالحضيض ويعود إلى الشرك وهو يظنه الإيمان ويخاله منتهى العبادة وإن من دين إلا أصيب أهله بهذا المصاب وأشركوا مع الله الأرواح تارة ، وأخرى الأنصاب . قوصلاً إليه على زعمهم بالحس وارتياحاً إلى ما تحت النظر والعقل والله سبحانه وتعالى فوق ما يتصورون ليس من المادة ولا المادة منه بل هى مخلوقة له مفتقرة إليه وليس بينه وبين خلقه سبب منها يتوصل به إليه بل هو كما قال في كتابه الكريم (الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) الآية ومن الثابت أن العرب كانوا على دين إبراهيم الذى هو كباقي الأديان الإلهية دين التوحيد بالله والإيمان بأنه تعالى خالق الكون ومافيه وإنكار مادون ذلك من الاعتقاد بشيء من المادة ومن التمسك في العمل بأهداب الشرك ولكن لم يلبثوا أن تدرجوا في مدارج المادة وهبطوا إلى حضيض

للشرك وتدرجوا من الاعتقاد بالأرواح إلى الاعتقاد بالأشخاص ثم إلى الاعتقاد بالأنصاب والأحجار وغير ذلك مما هو داخل في المادة واقع تحت الحس وهم مع ذلك كانوا يزعمون أنهم مؤمنون لا مشركون وأنهم بعبادة المادة يعبدون الله ويتقربون بها إليه كما أخبر عن ذلك القرآن بقوله تعالى « ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زُلًى » وهذا من الإغراق في الجهل والانحطاط في العقيدة والإفساد لأصل التوحيد ولم يكن هذا الإفساد قاصراً على الرب فقط بل عمَّ سائر أرباب الأديان مما لا محل لبسطه الآن

إذا تمهد هذا علمنا أن الإسلام بما جاء به من آيات التوحيد الخالص من كل شائبة من شوائب الشرك إنما جاء لاستئصال شأفة الوثنية من نفوس العرب وغيرهم من أرباب الأديان بمحو شائبة الاعتقاد بأي أثر من آثار المادة وصرف النفوس عن التوجه إلى تلك الآثار بالحس لتوجه إلى واجب الوجود بالضمائر والاكتفاء باستحضار هيئة جلاله في القلب وتمكين الاعتقاد بأن الأثر الواقع تحت الحس إنما يقوم قوامه بالوثر المستحضر في الضمير الخارج عن الحس إذ بغير هذا لا يقوم للتوحيد أثر متين في النفس ينجي من مزلّة القدم إلى الوثنية المفضية إلى الشرك المؤدى إلى الجحود وإنما الإنسان مادة وهذه أعراض منها تنمو وتمظ في النفس مادامت النفس مستشعرة بشيء من وجوب التعظيم لغير الله تعالى والتوجه لأي أثر من آثار المادة وساء منقلب الظالمين

هذا هو التوحيد الذي جاء به الإسلام ودعا إليه النبي محمد عليه الصلاة والسلام وإنما اضطربت العقول وسامت الأوهام لتفاوت الأفهام وتباين مراتب المسلمين في العلم بحقيقة الدين والإحاطة بأسراره والوقوف

على جميع مقاصده حتى على عهد الرسالة وإليك الدليل
أخرج الإمام أبو الفرج بن الجوزي في سيرة العمريّة عن المروزي بن
سويد قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب في حجة حجها قال فقرأ بنا في
الفجر « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » « ولا يلاف قريش » فلما
انصرف رأى الناس مسجداً فيأدروه فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا مسجد
صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : هكذا أهلك أهل الكتاب
قبلكم اتخذوا آثاناً أنبيائهم بيماً . من عرضت له فيه صلاة فليصل ،
ومن لم تعرض له صلاة فليعض .

فلو كان أولئك المصلون يومئذ في مرتبة عمر في العلم واستشعروا من
إقبالهم على ذلك المسجد للصلاة فيه تعظيماً له كما استشعروا به عمر رضي الله
عنه وعنهم أجمعين لما بادروا للصلاة فيه إلا إذا عرضت لهم صلاة ، ولا
جرم أن أعظم الناس فهماً للإسلام وعلماً بنوامض الدين ووقوفاً على مقاصد
النبوّة الحمديّة وما كانت تدعو إليه من التوحيد البحت الخالي عن كل
شائبة من الشوائب التي مرّ ذكرها ، هم أهل السابقة من المهاجرين الأولين
الذين تلقوا الدين آنحفاً كان ينزل بها الوحي على رسول الله صلى الله عليه
وسلم من لدن البعثة ولازموا الرسول ملازمة الظل فاكتموها سرّ شريعته
وأدركوا مرامي غرضه وقلدوه في أعماله وأقواله واتبعوا منهجه واهتدوا
بسيرة فتفقوا على غيرهم في العلم بالدين وعرفوا حقيقة التوحيد ، ومن
هؤلاء من هم في المرتبة الأولى في فهم مقاصد الإسلام ، ومنهم عمر بن
الخطاب رضي الله تعالى عنه ، ومن تتبع سيرته وأمن النظر في أقواله وأعماله
وانطبأها على الكتاب الكريم ونهج السنة القويم ، علم ما هو التوحيد

الذي أرشد إليه الإسلام وعرفه أولئك الصحابة الكرام ، فأرادوا أن يحجوا به كل أثر من آثار الوثنية عن صفحات الضمائر والقلوب وحسب المأفل دليلا على هذا قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكمب الأخبار لما أشار عليه بحمل المصلّى إلى الصخرة : « لقد ضاهيت اليهودية يا كمب إلى قوله : اذهب إليك ^(١) » فإننا لم نؤمر بالصخرة ولكننا أمرنا بالكعبة » وقد مرّ الخبر في الفصل السابق نقلا عن الطبري ، ولأجله عقدنا هذا الفصل ليكون به عبرة وذكرى لقوم يعقلون .

تقدم معنا كيف تدرّج العرب إلى الوثنية حتى أنسوا بلبس الأحجار وعكفوا على عبادة الأصنام وأن أصول التوحيد عند أرباب الأديان كلها أنست تدريجاً كما حصل في دين العرب وإنما كان مبدأ هذا التدريج الاستسلام للشعور بوجوب تعظيم مظهر من مظاهر المادة يظن أن له صلة بما فوق المادة كالماء بد مثلاً ثم يأخذ هذا الشعور ينمو ويتعمد المظهر الأول إلى غيره ويتدرج في أطوار التعميد له حتى تنقلب صورة التوحيد المرتسمة على صفحات الضمائر إلى صورة من صور المادة متجسمة للحس ويستحيل الإيعان بالله واحد فوق المادة إلى آلهة شتى كلها من المادة أولها صلة بها وهذا هو الشرك التام الجلي ومبدؤه ذلك الشرك الخفى ولم تكن دعوة الإسلام قاصرة على استئصال الوثنية فقط ، بل كان من مقاصدها الأولى والغايات التي ترمى إليها بل من أولها بالاهتمام وأجدرها بالعناية تطهير النفوس من كل أثر من آثار ذلك الشعور الفاسد ولو أشبه بدقته دقة الجرثومة الحية التي لا ترى إلا بالنظارة المكبرة إلا أنها إذا وجدت

(١) هكذا جاءت هذه العبارة في تاريخ الطبري بهذا اللفظ ولعلها إليك عنده من الأصل .

منبتاً صالحاً لها تولد عنها مالا يحصى من الجرائم في بضع ثوان ، فمن قال بخلاف ذلك أو ظن أن الإسلام يتسامح في تلك الجزئيات أو يبيع تعظيم أى مظهر من مظاهر المادة تعظيماً دينياً فقد أخطأ ونسب العبت إلى دين الله لهذا . ولما أشرب قلب عمر (رض) من التوحيد الحق الصادق لم يتسامح مع كعب الأجار حتى في خطمه نعليه عند دخوله المسجد الأقصى و آخذه على حمله ذلك كما آخذه على رأيه في جعل المصلى إلى الصخرة كما رأيت وسترى من أخباره بهذا الصدد إن شاء الله .

هكذا كان فهم كبار الصحابة للدين ، ومن أممن النظر في قول أبي بكر الصديق رضى الله عنه في إحدى خطبه اتى مرراً إيرادها في هذا الكتاب وهو « ان الله لا شريك له وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يطميه به خيراً ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره » . يعلم كيف كان أولئك الصحابة الكرام يملأون الناس التوحيد و يقتلعون من أعماق قلوبهم أصول الشرك و رحم الله امرءاً حاسب نفسه وعرف دينه و تأدب بأدب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ونبذ بدع النفوس وأهواءها و تنكب مواضع الزلل و مواقع الخطل و سوء الفهم والله ولى الرحمة وهو القاهر فوق عباده . اهـ

﴿ باب شبهات المسيحيين وحجج المسلمين ﴾

نشرت مجلة بشار السلام الانجيلية في الجزء الرابع عنها نبذة في الاطمئنان بالمسلمين عامة وبأكابر الصحابة انكاراً م خاصة وذلك أن عابثهم وعابث دينهم بالرجاء لفضل الله والخوف من الله ، وهذا مبالغ القوم من

العلم بالله وبدين الله - أثبتت « أن كثيرين من المسلمين يموتون على بساط الرجاء بدخول الجنة والتنعيم بنعيمها بناء على ما لهم من المواعظ الكريمة في قرآنهم » إلى أن قالت : « وما علة ذلك سوى جهلهم حقيقة أنفسهم وكالات الباري تعالى » ثم قالت مستدركة : إن أولى العلم والذكاء من المسلمين غالوا في النسك والتعب والصلاة والابتهاال إلى الله تعالى وجعلت علة هذه العبادة أنهم لم يجدوا ما يريح نفوسهم من الشهور بثقل حمل خطاياهم . واستشهدت على المaul دون العلة بكلام في الخوف من الله عن أبي بكر الصديق وعلى بن أبي طالب وسفيان الثوري وعدت سفيان من الصحابة وما هو من الصحابة ولكن العلم ليس شرطاً للقول عند هؤلاء المشاغبين وفي العبادة أيضاً تخريف وليست الأمانة من شروط النقل عند هؤلاء المبشرين وما لنا وللبحث في الروايات التي نقلتها وبيان التخريف ، وصنف الضميف ، نضرب عن ذلك صفحا وعن المبارات التي أساء بها الكاتب الأدب مع هؤلاء الأئمة الذين يفتخرون بهم النوع الإنساني ، ولو صدق المسلمون هذه الكتب التي تسمى التوراة ومنع لهم دينهم بتفضيل أحد على الأنبياء لكان لهم من التاريخ ما يفضلون به هؤلاء الأئمة على أنبياء التوراة إذ لم ينقل عن واحد منهم مثلاً نقل القوم عن أنبياءهم من القسوة والظلم والسكر والزنا وسفك الدماء برأهم الله بما قالوا . ننقض الطرف عن هذا ونبين للقراء أن الغرض من ذم الخوف والرجاء اللذين هما الركنان لكل دين صحيح هو تقرير قاعدة إبادة المعاصي والشرور التي هي العنوان لبشارتهم والجازبة إلى دياتهم ، وهي أن النجاة في الآخرة من المذاب والحياة الأبدية في الملكوت إنما يحصلان باعتقاد أن الإله لم يجد وسيلة لنجاة البشر

من ذنب أيهم آدم إلا يحلوه في جسم إنسان وتسلط طائفة كانت أفضل الشعوب عليه وصلبها إياه وصيرورته ملعوناً بحكم الناموس والشريمة !! فن أطفأ سراج عقله وأفسد فطرة نفسه وسلم بهذه القاعدة فهو الناجي الذي يرث الملكوت الأعلى وإن قتل وزنا وسكر وأكل أموال الناس بالباطل وظلم المباد وكان آفة العمران . ولذلك صرح الكاتب الذي لا أقدر أن أصفه إلا بكونه مبشراً داعياً إلى هذه العقيدة بأن سبب خوف أبي بكر وعلي وسفيان من الله هو جهلهم بقاعدة الفداء ، يعني أنهم لو عرفوها وصدقوا بها لكانوا عاشوا آمنين من مكر الله وعذابه يسرحون ويعرجون في أهوائهم وخطوطهم . والحاصل أن المسلم الذي يطلب عليه الرجاء بفضل الله ووعد المحسنين بالتعظيم جاهل ضال ، والذي يخاف الله هيبه وتعظيماً أو لاتهام نفسه بالتقصير في الأعمال الصالحة النافعة للناس وفي المعارف والسمكات المزكية للنفس ، فهو جاهل ضال . وأن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله من غير تفرقة بينهم وتهذيب الأخلاق وإصلاح الأعمال كل ذلك لا ينفع المسلم الصادق ولا يفني عنه شيئاً . فاحيلة المسلم المسكين إذا ابتلاه الله تعالى بسلامة الفطرة ونور العقل فلم يقبل تلك القاعدة التي تهتت منها الدين تربوا عليها تقليداً لما عقلوا وميزوا . على أن كتب القوم لا تخلو من نصوص تدل على أن رسولهم ومقدميهم كانوا يخافون من الله تعالى ويرجون رحمته لأنهم لم يكونوا إناحيين بل كانوا قوماً صالحين . إن القرآن الحكيم علمنا بأن دين الله تعالى واحد في جوهره ، وأن جميع الأنبياء وصالحى المؤمنين بهم كانوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتهذيبه من صفات الحوادث وإفراذه بالعبادة والخوف الزاجر عن المعاصي والشرور

والرجاء الباعث على الخير والصالح وإننا نرى جميع عقلاء المسيحيين يوافقوننا على هذه القاعدة ويودون أن يهتدى إليها دعاة كل دين ورؤساؤه ليكون الدين كما شرع الله معادة للبشر، لا وبالا وشقاء عليهم، ومشاراً للخلاف والشحناء، والبغضاء بينهم

وقد ذكر الإمام الغزالي أنواعاً للخوف كخوف الموت قبل التوبة وخوف تقصير التوبة ونكث العهد وخوف ضعف القوة عن الوفاء بالحقوق وخوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة وخوف الميل عن الاستقامة وخوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة وخوف الفرور بالحسنات وخوف البطر بكثرة النعم وخوف الاشتغال عن الله بغير الله وخوف الاستدراج بتواتر النعم وخوف انكشاف غوائل الطامعات بأن يبدو للمرء ما لم يكن يحتسب وخوف تبعات الناس عنده في نحو غيبة أو خيانة أو غش أو إضرار سوء وخوف ما عساه يطرأ عليه في مستقبله وخوف نزول البلا، وخوف الاغترار بزخرف الدنيا وخوف اطلاع الله على السريرة في حال الغفلة وخوف سوء الحاجة ويمكن استنباط أنواع أخرى وأعلى الخوف خوف المباينة والإجلال لله عز وجل. وكل ذلك من الذنوب عندهؤلاء المبشرين

﴿ القسم العمومي ﴾

﴿ الإسلام في انكلترا ﴾

رأينا في كراسة سياسية تسمى (ديبلوماسيك فلي شينس) أى المنشورات السياسية لشهرى نوفمبر وديسمبر سنة ١٨٨٧ مقالة بامضاء الستر جورج كرواثى أحد أعضاء البرلمان الانكليزى أخذنا منه ما يأتى تعريه وهو

الإسلام دين لا يبتدع أحكاماً ولا يبتدع للوحي أساساً جديداً

ولا يوصى بغير مذهب ليس له كهنوت خاص ولا رئاسة كنسية ولكنه
يسن للملة شرعاً وللدولة قانوناً يكون تنفيذها باسم الدين ، هذا ما قاله
(داود ارقوهارت) في المجلد الأول من كتابه المسمى بروح الشرق في
الصفحة الخامسة والعشرين من مقدمة طبعته الثانية سنة ١٨٣٩

إن حقيقة الإسلام التي أماط الحجاب عنها أولاً من اشتهر بروح
الشرق وأبرزها للمرءاتين من الغربيين لم تزل تزداد وضوحاً منذ كشفها
حتى تجلت اليوم بنفسها على وجه لم يبق معه إلا كاذب المفتراة على
الإسلام سبيل لسلطانها على النفوس فيما بعد ذلك التجلي الباهر كان
فما ألقاه القسيس (اسحق طيلر) من خطبته في المحفل الديني ، صدق
أرقوهارت في دعواه أن حقيقة الإسلام أمر مسلم عند كثيرين فالنبلاء
الكرام (بالكراد) و . مبرى . و . راولنسون . و . لايارد . و . رولاند
و . ستانلي أوف الدرلي . و . ديشانسكي وقوم آخرون من قبيلهم
شاركوه في البصيرة وصدقوه فيما قرره وكل مسافر عاشر الأقوام
المحمدية وأنس إليهم فله عنهم خبر محمود ومع ذلك كله نرى الجمهور في
انكلترا لم تزل آراؤهم في موافقها الأولى . كانت الحقيقة في احتجاج عن
أنظار العامة لأن أكثر أهالي انكلترا مصروفون إلى النصرانية عن
النظر فيما سواها وتوارثوا فيها عقيدة تضر لهم في شمار الدين أما الآن
وقد قام قسيس محترم من البعثة الإنكليزية بإصدع بهذا الحق فلا بد أن
يؤيد في قوله ويدعي أنه ملايين ممن كانوا يمارون أصابعهم في آذانهم
ويعرضون عن مقالات قوم معدوهم سيئ الحيلة ومفلسين

هذه الحقائق مما لا يقبل الإنكار وإنما كان الإشكال في طريق

اجتلاب الخواطر إليها حتى تحتلها وحيث زال هذا الإشكال بهية أحد
القسيسين المحترمين فالناية المطلوبة أصبحت مما لا يشك فيه ممشر الدين
قبلا نصيحة داود ارقو هارت . ليس السعى لبيان أن الإسلام مما يمكن
احتماله فقط بل لم نزل نطلب أن يكون من النفوس في مكانة الاحترام
وقد استيقنا الآن أن رجاءنا المُرَجَّأ قد تحقق ومدعانا الحق قد سلم به .
لا ينبغي أن يظن أننا نحسب دين الاسلام مخالفاً للدين المسيحي
فذلك مما لم يخطر لنا ببال قط وقصاري ما نقول إن الناية من كل دين إنما
هو العمل الصالح والمسالك المستقيم واسنا نحكم على أبناء جنسنا بالإكمال
المسيح عليه السلام «بشراتهم تعرفونهم» وحيث استمسكنا بهذا الأصل
فلنا أن نجر بأن المعتقدين بالدين المسيحي في هذه الأوقات ليسوا بمنزلة
يفضلون بها على المسلمين . هذا الحق نادى به ونحن على يقين منه ونحت
الذين يقولون إننا نصارى على أن يضموا الإسلام في منزلة تنطبق على
الواقع ونفس الامر فإن استطاعوا أن يدحضوا حججتنا بالبراهين الساطعة
فليعملوا على مكاتهم وإن لم يفعلوا ولن يفعلوا فليكن نظرم إلى الإسلام
على حد ما يتنا مناسباً للحقيقة الواقية ولينصفوا الإسلام ذلك الدين القيم
الذي هو نظام لميشة قسم عظيم من أمم كريمة كثيرة العدد من النوع البشري
مما هم الشعب الانكليزي خاصة أن يتخلصوا من أطوار التمسب
التي لا تنحصر آثارها في إلحاق العار بهم فقط بل تمتدى إلى جلب الضررة
عليهم أيضاً لأن الحضرة الملائكة ملايين من رماياها . كلهم مسلمون ونحن
في مقام على أحد جانبيه دولة الروسية وعلى الجانب الآخر الدولة العثمانية
ولا يمكننا أن نزع عدم المبالاة بعقاييل الحروب التي قامت على سوقها

بين هاتين الدولتين من أمد بعيد ، وإلى الآن لم تضع أوزارها وضماً حقيقياً . إن الدولة الروس لا يمكنها أن تكون في حرب مستمرة لكنها لا تراعى ما تكلف به من شروط السلام . ولا يزال وكلاؤها الخفيون مشتغلين بالعمل (كذا) زماً من زمان إلا والخدعة من الروسية ضرورية للباب العالي وهذا مجموع أحوان توجب على دولة الانكليز أن تسأل نفسها آتاً بعد آن : هل لنا أن نقاوم الروسية أو ندعها وشأنها ؟

كل وجه من وجوه السياسة يتعاقب بسلامة الدولة الانكليزية وبقائها ، يرشدنا إلى الاعتراض لزوم عقد معاهدة مع الدولة التي لم تضربنا قط وفتحت فُرصاً لتجارتنا وأبواب بلادها لأشغالنا أما الصيحة الفارغة بأن الروسية دولة نصرانية و الدولة العثمانية دولة محمدية فقد كان لها إلى الآن أسوأ الأثر في إعماء عقولنا وخطائنا في سياستها ، فذاخذ من الآن بأصل صحيح وهو أن نعلق الحكم بالأحمال لا بالمقائد فإنه ليس خاصاً بالأفراد بل كما يكون بها يكون بالأقوام والدول أيضاً ، فإن قاربنا بين درسيّتنا النصرانية وبين العثمانية المحمدية لم نشك في أن المعاهدة مع العثمانية هي التي تظهر أفضليتها عند الحالكين بالحق أجمعين وإذا ذكرنا المعاهدة العثمانية فلا نستعمل اللفظ فيها بمعناه السياسي أو تركيبي الدبلوماسي ولا ينبغي أن يفهم ذلك من كلامنا إنما المعاهدة التي كنا نجتهد في إعدادها لسنين طويلة كانت معاهدة مبنية على شروط مساواة مؤسسة على الاحترام من الجانبين وظهر لنا في الأزمان الماضية أن : كان مثل تلك المعاهدة من المحال . أما الآن فلا نقول إنها من قبيل الممكن التأتى فتطبل صارت من قبيل ما بالقوة القريبة من الفعل

﴿ تتمه الاجتماع ٢ - الجمعية أم القرى - الداء أو الفتور العام ﴾

أطاعه (المرشد القاسي) إنا كنا على عهد السلف الصالح وشرعتنا سمحة وإذاعة المسالك معروفة الواجبات والمناهي فكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة لكل مسلم ومسلمة وكنا في بساطة من العيش متفرغين لذلك ثم شغلنا شأن التوسع فخصنا لذلك مختسين ثم دخل في ديننا أقوام ذوو بأس ونفاق أقاموا الأكساب مكان الاحتساب وحسروا اهتمامهم في الجباية وآلها التي هي الجندية فقط فطل الاحتساب وبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طبعاً فهذا يصالح أن يكون سبباً من جملة الأسباب ولكنه لا يكفي وحده لإيراث ما نحن فيه من الفتور على أن انحصار همه الأمراء الدخلاء في الجباية والجندية أدى بهم إلى إهمال الدين كلياً ولو لا أن في القرآن آيتين اثنتين لهجروه ظهرياً أحدهما قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) مع القفلة عن المراد بكلمة (أولى) ما يقتضيه صيغة الجمع وما يقتضيه قيد منكم . والثانية قوله تعالى (وجاهدوا في سبيل الله) مع اغفال بيان الجهاد المأمور به هل هو ما يكون به اعزاز كلمة الله أم اتويد به سلطة الأمراء العاملين على الإطلاق ؟ فاهمال الاهتمام بالدين قد جر المسلمين إلى ما هم عليه حتى خلت قلوبهم من الدين بالسكينة ولم يبق له عندهم أثر إلا على رؤس الألسن لاسيما عند بعض الأمراء الأعاجم الذين طواهروا أحوالهم وبواطنهم بحكم عليهم بأنهم لا يبرأون بالدين إلا لقصد تمكين سلطتهم على البسطاء من الأمة . كما أن طواهروا عقائدهم وبواطنهم بحكم عليهم بأنهم مشركون ولو شركاً خفياً من حيث لا يشعرون فإذا أضيف إلى شركهم هذا ما هم عليه من الظلم والجور بحكم عليهم الشرع والعقل بأن ملوك الأجانب أفضل منهم وأولى بحكم المسلمين لأنهم أقرب إلى العدل وإقامة المصالح العامة وأقدر على عمارة البلاد وزرقة العباد وهذه هي حكمة الله في نزع الملك من أكثرهم كما يقتضيه مفهوم « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » (١) وقد افتخر النبي عليه السلام بأنه ولد في زمن كسرى أنوشروان عابد الكواكب (٢) فقال : « ولدت في زمن الملك العادل » (٣)

(١) الظلم هنا الشرك (٢) يظن أن اتخاذ الشمس إلى الآن شارة للملك في إيران وكذلك اتخاذ الهلال والنجم شارة للملك عند الترك هو من بقايا دياناتهم الأولى (٣) الحديث موضوع باطل وإن استشهد به بعض العلماء الأعلام ومنهم من حجة الاسلام

وحكى ابن طباطبا في الآداب السلطانية والدول الإسلامية أنه لما فتح السلطان هلاكو (وهو مجوسى) بغداد سنة (٦٥٦) أمر أن يستقى علماؤها أى الرجلين أفضل السلطان الكافر العادل أم السلطان المسلم الجائر؟ فاجتمع العلماء في المستنصرية لذلك فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب حيث كان رضى الدين على بن طاووس حاضراً وكان مقدماً محترماً فتناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الظالم فوضع العلماء خطوطهم بعده .

ثم قال : إني أظن أن السبب الأعظم لاحتنا هو انحلال الرابطة الدينية لأن مبنى ديننا على أن الولاء في لعامة المسلمين فلا يختص بحفظ الرابطة والسيطرة على الشؤون العمومية رؤساء دين سوى الامام إن وجد وإلا فالأمر يبقى فوضى بين الجميع وإذا صار الأمر فوضى بين الكل فبالطبع تختل الجامعة الدينية وتتحلل الرابطة السياسية كاهو الواقع . ومن أين لنا حكيم (كبسمرك) أو ملزم (كغاريبالدى) يوفق بين أمرائنا أو يلزمهم بجمع كلمتنا . وقد زاد على ذلك فقدنا الرابطة الجنسية أيضاً فان المسلمين في غير جزيرة العرب لعنف اخلاط دخلاء وبقياء أقوام شتى لا تجمعهم جامعة غير التوجه إلى هذه الكعبة المعظمة .

ومن المقرر المعروف أنه لولا رؤساء الدين في سائر الملل وروابطهم المنتظمة المطردة أو من يقوم مقام الرؤساء من الدعاة أو مديرى ومعلمى المدارس الجامعة المتحدة المبادئ، لشاعت الأديان وتشعبت أخلاق الأمم ونالهم ما نالنا من كون كل فرد منا أصبح أمة في ذاته .

أجابه (الحقق المذنب) إن فقد الرابطة الدينية والوحدة الحلقية لا يكفينا أن يكوننا سبباً للفتور العام بل لابد لذلك من سبب أعم وأهم . ثم قال أما أنا فالتدنى يحول في فكرى أن الظامة هى من تشوشر الدين والدنيا على العامة بسبب العلماء المدلسين وغلاة التصوفين الذين استولوا على الدين فضيعوه وضيعوا أهله . وذلك أن الدين إنما يعرف بالعلم والعلم يعرف بالعلماء العاملين وأعمال العلماء قيمهم في الأمة مقام الأنبياء في الهداية إلى خير الدنيا والآخرة . ولا شك أن مثل هذا المقام في الأمة شرفاً بادخاً يتعاضد على نسبة الضم في تحمل عبئه والتفاني بأعبائه . فبعض ضعيفي العلم وفقدانى العلم تطلعو إلى هذه النحلة التى هى فوق طاقتهم وحسدوا أهلها المتعاليين عنهم فنجسوا لمرأسة والظهور في مظير العلم اعظماء بالانغراب في الدين ، وسلوك مسلك زهادين ، ومن العادة أن يلجأ ضعيف العلم إلى التصوف كما يلجأ

فأقول: الجدل إلى الكبير وكما ياجأ قليل المال إلى زينة اللباس والاثاث (مرحوب) .
 فصار هؤلاء يمتثلون يمدلسون على أساليب تأويل القرآن بما لا يمتطه بحكم المطر
 نكبرهم فيفسرون البسطة أو الباء منها مثلاً بفسر كبير تفسيراً مخلوفاً بانط لا معنى
 به أو تحكم لا بهان عليه ، ثم جاؤا الأمة وراثه اسرار ادعوها وعلوم لدييات ابتدعوها
 وتسم مقامات اخترعوها ووضع أحكام لفقوها وترتيب قربات زخرفوها . وبالأمان
 مجدهم قد جاؤا مصداقاً لما ورد في الحديث الصحيح « لتبعن سنن من قبلكم شبراً
 بشبر وذراعاً بذراع » - وفي رواية : حذو القعدة بالقعدة - حتى لو دخلوا جحر ضب
 تبعوهم قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال هو شئ : « - وذلك ان
 هؤلاء المدلسين اقتبسوا ما هناك كله أو جله عن أصحاب التفود وتفاسيرهم ومن
 الجامع المسكونية ومقراتها ومن البابوية ووراثه السر ومن مناهاة مقامات البطارقة
 والكرديتالية والشهداء واسقية كل بلد ومظاهر القديسين وعجائبهم والدعاة للبشرين
 وصبرهم والرهبنات ورؤسائها وحالة الاديرة وبادريتها والرهنية أى الظاهر بالفقر
 ورسومها والحمة وتوقيها ورجال الكهنوت ومراتبهم وتميزهم في ألبيسهم وشعورهم
 ومن مراسم الكنائس وزينتها والبيع واحتفالانها والترنحات ووزنها والترنحات
 واصولها وإقامة الكنائس على القبور وشدة الرجال لزيارتها والاسراع عليها والخضوع
 لديها وتعلق الآمال بسكانها . وأخذوا التبرك بالآثار كالقدح والحربة والديستار من
 احترام الذخيرة وقديسة العكاز وكذلك إمرار اليد على الصدر عند ذكر بعض
 الصالحين من امرارها على الصدر لاشارة الصليب . وانزعوا الحقيقة من السر
 ووحدته الوجود من الحلول والحلاقة من الرسم والسقا من تناول القربان والولاء
 من البلاد وحملت من الاعياد ورفع الاعلام من حمل الصلبان وتعلق ألواح الأسماء
 المصدرة بالدائمة على الجدران من تعليق الصور والتماثيل واستفاضة والمراقبة من
 التوجه بالقلوب انحاءاً أمام الأصنام ومنع الاستهداء من نصوص الكتاب والسنة
 من خطر الكهنة الكاثوليك قراءة الانجيل على غيرهم وسد اليهود باب الأخذ
 من التوراة وتمسكهم بالهود إلى غير ذلك مما جاء به المدلسون تقليداً لهؤلاء شبراً
 شبراً واقفاً لأثرهم بالدخول حيث دخلوا جحراً جحراً وهكذا إذا تتبعنا البدع
 الطارئة نجد اكثرتها مقتبساً وقليلها مخترعاً .

وقد فعل المدلسون ذلك سحراً لعقول الجهلاء واختلاباً لقلوب الضعفاء كالنساء

وذوى الاهواء والامراض القلية أو العصية من العامة والأمراء السلى القياد طبعاً إلى الشرك لأن التبد رغبة أو رهبة لما بين أيديهم وتحت أنظارهم أقرب إلى مداركهم من عبادة إله ليس بجوهر ولا عرض وليس ككله شئ، ولأن التبد باللهو واللعب أهون على النفس والطبع من القيام بتكليفات الشرع كما وصف الله تعالى عبادة مشركى العرب فقال « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » أى صغيراً وتصفيقاً وهؤلاء جاءوا عبادة الله تصفيقاً وشبهقاً وخلاعة ونعيقاً (مرحى) .

والحاصل انه بذلك وامثاله نجح المدلسون فيما يقصدون ولا سيما بدعوى فئة منهم انكرامة على الله والتصرف بالمقادير واسمائهم العامة بالزهد الكاذب والورع الباطل والتشف الشيطانى وتزيينهم لهم رسوماً تيل إليها النفوس الضعيفة الحاملة سموها آداب السلوك ما أنزل الله بها من سلطان ولا عمل بها صحابى ولا تابعى ظاهرها ادب وباطنها تشريع وشرك ويجذبهم إليه الجاهلين بتعصب الدين من طريق العلم والعدل بظاهر الشرع وتهوينه كل التووين من طريق الاعتقاد بهم وباصحاب القبور . وقد تجسروا على وضع أحاديث مكذوبة أشاعوها فى مؤلفاتهم حتى التمس أمرها على كثير من العلماء اخلصين من المتقدمين والمتأخرين مع انها لا أصل لها فى كتب الحديث المعتبرة . وجلدوا الناس بالترهيب والترغيب أما الترغيب فالاستفادة من الدحول فى الزابات والعصيات المنقذة بين اشياهم وأما الترهيب فتهديدهم مناوئهم أو مسيئ الظن بهم باضرارهم فى أنفسهم وأولادهم وأموالهم ضرراً يجعلهم فى دنياه قبل آخرتهم . (مرحى)

وقد قام لهؤلاء المدلسين اسواق فى بغداد ومصر والشام - فسان قدماً ولكن لا كسوقها القائم فى القسطنطينية منذ أربعة قرون إلى الآن حتى صارت فيها هذه الاوهام السحرية والخزعبلات كأنها هى دس معضد تخليها للإسلام وكأنيما لما ورثوا عن الروم الملك حرصوا على ان يتركوا طوائفهم فى دس الخوسج فى هذه المذبح البنية فاقنيس لهم المدلسون كثيراً مما يبدون فيهموه على حسن وإن كان الناس يباءه مرنه لهم الشيطان بأنه من دقائق الدين وآدابه ومن هذه الخواصم سرى ذلك إلى الأفاق بالعدوى من الأمراء إلى العلماء الأغنياء إلى الفقراء .

فبهؤلاء المدلسون قد نالوا بسحرهم^(١) نقوداً عظيمة أشهد أكثراً فى القرنين

(١) السحر لغة إخراج الباطل فى صورة الحق . التزيين والخداع . والسحر تشد

جعلوا كثيراً من المدارس تكايا للبطالين الذين يشهدون لهم زوراً بالكرامات المرهبة وبه حولوا كثيراً من الجوامع مجامع للطالين الذين ترد من دوى طوبوهم قلوب المتوهمين وتكفهر أعصابهم فيتلبسهم نوع من الحبل يطونه حالة من الخسوع . وبه جعلوا زكاة الأمة ووصاياها رزقاً لهم وبه جعلوا ربيع أوقاف الملوك والأمراء عطايا لأتباعهم مما تسمى في البلاد العثمانية (دعاكوا وطعامية) (مرحى) . وبذلك ضاق على العلماء الحنّاق لا رزق ولا حرمة وكفى بذلك مضيماً للعلم وللدین لأنه قد التبس على العامة علماء الدين بالفقراء الأدلاء من هؤلاء المدلسين الأغنياء الأعزاء فقتوشت عقائدهم وضمف يقيهم فضيع الأكترون حدود الله وتجاوزوها وقهدوا قوة قوانین الله ففسدت أيضاً دنیاهم واعتراهم هذا الفتور .

أجاب (المولى الروى) إن كل الديانات معرضة بالتمادى لأنواع من التشوش والفساد ولكن لا تفقد من أهلها حكماً ذوى نشاط وعزم ينهون الناس ويرفعون اللباس أو يعوضون قواعد الدين إذا كان أصلياً وإما (لامتناً كقواعد الإسلام) بقوانين موضوعة تقوم بنظام دنیاهم ويتحملون في سبيل ذلك ما يتحملون من المشاق خدمة لأفكارهم السامية وينذلون ما عز وهان حفظاً لشرفهم القائم بشرف قوتهم بل حفظاً لحیاتهم وحياة قومهم من أن يصبحوا أمواتاً متحركين في أيدي أقوام آخرين . ولقد أثبت الحكماء المدققون بعد البحث الطويل العميق أن للنشأ الأصلی لكل فساد في أخلاق العباد والنبت الأول لكل شقاء في بنی حواء هو أمر واحد لا ثانى له ألا وهو وجود الساطة القانونية منطلة ولو قليلاً لفسادها أو لقلبة سلطة شخصية عليها من فرد أو أكثر فما بال الزمان يضن علينا برجال ينهون الناس ، ويرفعون اللباس ، يفتكرون بحرم ، ويسمّون بعزم ، ولا ينفكون . حتى ينالوا ما يقصدون ، فينالوا حمداً كثيراً ، ونقراً كبيراً ، وأجرأ عظيماً ؟ وعندى أن داءنا الدفين دخول دیننا تحت ولاية العلماء الرسميين وبعبارة أخرى تحت ولاية الجهال التعممين .

وهنا نبه السيد الفراقى الأستاذ الرئيس إلى قرب وقت الانصراف عندئذ جهز

== الذى جاء في الشرع ليس غير هذا بدليله وصفه تعالى لعمل سحرة فرعون في قوله جلّت حكمته « فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم » وقوله « فإذا جابههم وعصمهم نجح إليهم من سحرهم أنها تسعى »

(الأستاذ الرئيس) بشعار (لا نعبد إلا الله) تنبيهاً للاخوان وقال لهم ان أخانا الولي الرومي لقارس مفوارحجب ماعودنا من التفصيل والاشباع والان قد آن وقت الظهر وحن أن يتفرق لتدرك الصلاة وموعدا غداً إن شاء الله تعالى .

باب التريسة والتعليم

قانون التعليم الرسمى والجمعية العمومية

كان كل مصرى بىء الظن بكل عمل يحى على أبدي المحتلين فما زالت الأعمال تنقض وتبرم وتمحو وتثبت حتى اعترف الأكثرون بأكثر نتائج الأثمان الاصلاحية النافذة فى الرى والمالية والإدارة والسياسة ولولا أن أكثر الناس أو كل الناس غير راضين عن سير نظارة المعارف لاعترفوا أجمعين بحسن نية المحتلين وأرادتهم الخير للبلاد وأهلها وليس هذا مقام بسط هذه المسألة ولكن هذه الكلمة تهديد لما يأتى وهو ان سحق الناس من سير نظارة المعارف فى التعليم جعل مأناً عظيماً لاقتراح الوجه الفاضل أمين بك الشمشى على الجمعية العمومية أن تطلب من الحكومة عرض قوانين التعليم « بروجرامات » ومذشورات المعارف على مجلس شورى القوانين ومجلس النظار . وتوقع الناس أن تقبل الحكومة هذا الاقتراح بمقدار ما لهم من حسن الظن فيها وما كانوا ينتظرون أن يدافع صاحب السعادة ناظر المعارف الجمعية العمومية ويناضلها فضال بىء ليدفع عن نظارته هذا الاقتراح لأنهم يعتقدون أنه مستريح من أعمال المعارف لثقتة بأمين أسرارها العامل الدائب المستر دنلوب وسائر موظفين تحت يده ولأن من شأن الوثائق بحسن عمل ينسب إليه حقيقة أو عرفاً بالذات أو بالواسطة أن يجب عرضه على الناس وبسعى فى توجيه أظفارهم إليه لا سيما إذا كان الفرض من العمل المنفعة العامة وكان قد الناظرين فيه من أسباب ترقيه واتخاذه كظام التعليم ولكن الناظر جاء بما لم يكن فى الحسبان ولا نخوض فى تحليل ذلك مع الحائذين ولكننا نبحت فى دفاعه وتحليله فى مناقشة الجمعية العمومية فى جلسة ٦ ذى الحجة سنة ١٣١٩ ونختصر ما نورده من المناقشات غالباً ونحذف الألقاب الرسمية فنقول :

عند ما عرض اقتراح الشمشى بين الناظر للجمعية كيفية وضع قوانين التعليم

(البروجرامات) وهو : أن ينظر المدارس ومختشيها يقدّمون في آخر كل سنة مكتبه تقارير عابرونه في نظام التعليم فتبحث فيه اللجنة العلمية المؤلفة من كبارهم وتقدم تقرير عليه منه إلى مجلس المعارف الأعلى فيبحث فيه ويقدم ما يراه منه إلى مجلس النظام (قال) : « والذي يقرر بسدر الأمر بإجرائه »

فقال مفتي الديار المصرية : الذي يلاحظه الناس هو أن القوانين تعرض بمقتضى العادة على مجلس النظام ثم ترسل إلى مجلس شورى القوانين ومن ذلك ما يكون متعلقاً بوضع مائة قرش غرامة ونحوه . فالقوانين المتعلقة بالأصول العامة للتربية والتعليم أولى بهذا وهى لا تخص نظارة المعارف وحدها بل الفطركله فيصح للجمعية العمومية أن تطلب ضماناً زائداً بالنسبة إلى حالة الأشخاص فإن الكثيرين يعتقدون أن تلامذة السنة الثانية في المدارس الابتدائية يعلمون بعض العلوم باللغات الأجنبية فلا يفهمونها طمعا . ثم إن طرق التهذيب وتربية النفوس هى التى عليها مدار مستقبل الناشئين ومعرفتهم ما يجب عليهم مصلحة أنفسهم فمن الضرورى الاعتناء بأمثال هذه المسائل فلا بد درس قانون التعليم بمجلس النظام وتحول إلى مجلس الشورى لسان ذلك أكثر ضماناً فإن المشتغل بعمل يحكم ذلك العمل عليه فيضيق منه كثير من الأشياء المتعلقة بالحالة العمومية

(الناظر) : « البروجرامات جار نشرها قبل دخول السنة المكتبية وما يفهمه البعض من أن السنة الثانية تدرس باللغة الأجنبية فهو خطأ لأن التلميذ يبتدىء في هذه السنة في تعلم مبادئ اللغة الأجنبية فقط ولم يكن المعلمون وحدهم منفردين في إبداء رأيهم في سير التعليم بل المشتغل بذلك هم ونظار المدارس والمفتشون الذين هم من حيار الناس فعندنا تقارير نظار المدارس وتقارير المفتشين وتقارير اللجنة العلمية وقرار مجلس المعارف وقرار مجلس النظام فهذه خمس ضمانات »

أوردنا جواب ناظر المعارف بلفظه كما نشر على ما فيه من ضعف العبارة لنظير مغالطته بأتم إيضاح وهى من وجهين أحدهما قوله أن التلميذ يبتدىء في السنة الثانية بتعلم اللغة الأجنبية أى فلا يتعلم بها شيئاً من العلوم والصواب أنه يبتدىء بتعلمها في السنة الأولى كما ترى في الصفحة ١٠ من قانون التعليم الابتدائى الصادر بإمضاء الناظر نفسه في جمادى الثانية سنة ١٣١٩ أى قبل هذه المناقشة بنحو نصف سنة وكون التلميذ يتعلم في السنة الأولى وكذا الثانية لغة أجنبية خطأ ظاهر وإنا نعرف كثيرين من المعلمين ونظار المدارس يتبرمون منه ولكنهم يعتقدون أنه أمر فهم يهبط من شأنه

القوة على أرض الضعف والاستكانة ولو علموا أن إبداء رأيهم يصل مجلس الشورى فيطالب به باسم الأمة لأبدوه آمنين من مقبته لأن كل ما يتوقعونه حينئذ من المواخذة على نكث شيء من قتل ذلك الأمر المبرم يكون معلوما للناس إذا وقع بعض إطلاع مجلس الشورى ومجلس النظار وسائر الناس على اقتراح المقترح .

ثم إن تعليم التاريخ الطبيعي (الأشياء) وتقويم البلدان يكون باللغة الانكليزية في السنة الثالثة الابتدائية والفرق بينها وبين السنة الثانية ليس كبير وإلهم ليعلمون أنه لا يمكن أن يحصل التلميذ من اللغة الأجنبية في سنتين ما يتمكن به من فهم العلوم الطبيعية فيها ولذلك بعيدون عليه في السنة الثالثة من دروس تقويم البلدان بالانكليزية ما كان تعلمه بالعربية فإن كان الغرض العلم فلا معنى لهذا الرجوع القهقري وإن كان المراد اللغة فالأوقات المخصصة لها ليست بقليلة كما سنبينه في نبذة أخرى

والوجه الثاني « الضمانات الخمس » وهى لا تصلح دفعا لقول المفتى لأنه قال إن عرض نظام التعليم على مجلس الشورى أكثر ضمانا أى أن الخمس تكون به ستا فإذا كان الناظر واثقا من إيمان نظام نظارته ويود أن ترداد اثنان وارثان فماذا يضره لو عرض ذلك على كل من له رأى من الناس وعلم رأيه فيه ؟ ثم هو يعلم أن الحكومة أنشأت مجلس الشورى والجمعية العمومية لتعلم الأمة كيف تحكم ولتجعل لها رأيا في قوانينها ونظاماتها لتكون أمة حية كأمم أوروبا حتى إذا ما استعدت لذلك يكون كل شيء برئى مجلسها النائب عنها فلماذا ييخل عليها ناظر المعارف بالبحث في قوانين نظارته ونظام التعليم في مدارسها بواسطة أعضاء مجلس الشورى الذين هم من خيارها كما أن ناظر المدارس ومفتشها من الخيار كما قال وزيادة الخيار خير ولا يخفى عليه أن الأمة تثق بمجلس الشورى أكثر من ثقتها بأى مجلس من مجالس الحكومة لأنها تعتمد أن أعضاءه لا يحطون عليهم للسياسة لأن الحكومة وضعتهم للاتقاد على قوانينها ولأنهم لا يتوقعون خيرا من مخالفة رغبتها

أما « الضمانات الخمس » فهى في النعمى شيء واحد وإن شئت قلت لا شيء لأن العامل الذى تطالب الأمة الشبان على ائتمان عمله هو نظارة المعارف فلا يصح أن تكون هى الضامنة لنفسها بأن عمالها برأى الموظفين فيها . وذلك التعدد في « الضمانات » لا تأثير له لأن آراء المعلمين والناظرين والمفتشين يدعم بعضها في بعض ولا يعرض على مجلس النظار إلا ما يراه مجلس المعارف لأعلى وحده فيجس النظار لا يبحث في آراء أصحاب « الضمانات » الثلاث ولا يعرفها . ذلك أن المعلمين يبدون آراءهم لنظار

مدارسهم فيختار منها هؤلاء ما يرضونه أو ما يرضون به ويقدمونه للجنة العلمية فتجرح منه ما تشاء وتثبت ما تشاء وترفعه إلى اللجنة العليا فتتخير منه ما تشاء وتقدم الباقي إلى مجلس النظائر فيصدق عليه . وإنما يتحقق الضمان من معنى المدارس ونظارها ومتشبهها إذا أعطوا حرية بأن يقولوا ما يرونه وكان يعمل بما يقولون أو يبين المانع من العمل به وأعطوا مع ذلك ضماناً بأن من رأت اللجنة العلمية أو الغالية خطأ رأيها فإنه لا يؤخذ سراً ولا جهراً

ثم إن المفتي احتج على كون تلك «الضمانات» غير كافية بأمرين أحدهما استمرار التغيير في قانون التعليم (ابن وجرام) حتى في المسائل السككية . قال : وهذا يدل على أن معلومات واضعي التقارير غير كافية . وأجاب الناظر عنه بأن التغيير يدل على دقة البحث . وظهر أن هذا الجواب غير سديد لأن دقة البحث إذا سلمت وكان من المسلم أيضاً أن التغيير مستمر حتى المسائل السككية فذلك دليل على أن هذه الدقة لم تأت بالفائدة المطلوبة وما ذلك إلا لأنها غير مبنية على علم كاف فهي تحتاج إلى الامداد والمساعدة . وللحكومة مجلس أشي للبحث في القوانين خاصة فيجب أن يكون هو المساعد والممد نظارة المعارف في تصحيح قوانينها

والأمر الثاني الذي احتج به المفتي هو أن لسكان ثقة الناس سيرة التعليم أكبر شأن وأهمه وإن ذلك يكون باطلاع مجلس النظائر ومجلس الشورى على قوانينه . وأجاب الناظر بإعادة ذكر «الضمانات الخمس» وزاد ضامناً آخر سماه «الضمانة» الكبرى وهو طبع تلك القوانين ونشرها قال : ولما نرى واحداً من الناس يقرأها فيعرف سيرة التعليم . وظهر أن هذا الجواب في غير موضوع الدعوى لأن الدعوى هي أن ثقة الأئمة بالتعليم سطوئية وإنما تكون بكذا بدليل طلب نوابها له . فكان ينبغي أن يكون الجواب إما بالتنسيق وإما بمنع الحاجة إلى ثقة الأئمة بالتعليم أو بمنع أن تشبه تكون بفرض قوانين التعليم على مجلس النظائر ومجلس الشورى فاما المنع الأول فيستحيل أن يصدر من ناظر المعارف وأما الثاني فالفصل فيه للجمعية العمومية وقد وافقت أخيراً عند أخذ الآراء على وجوب عرض قوانين التعليم ومشوات المعارف على مجلس الشورى فثبت رأي مفتي الديار المصرية وأما الجواب عن «الضمانة» الكبرى فهو أن عدم رؤية الناظر لقراء قوانين التعليم لا يدل على عدم التدقيق لها فإذا قال : كان يجب أن يتقدموها إن لم يرتضوها يقول إن العاقل لا يتوجه إلى عمل إلا إذا رجا فائدته ولا يطوف في ذهن أحد أن اقتاده قانون التعليم يكون

سبباً لرجوع نظارة المعارف عن خطأها فيه . وإذا كان قد ظهر أن نظارة المعارف يدافع الجمعية العمومية المناطقة باسم الأمة المصرية كلها ويعبأ بالمشاكلات عن طلب النظر في قوانين التعليم فهل كان ينتظر أن ينتقم إلى قول واحد من الناس أنه اثنين أو أكثر إذا هم اتفقوا على قوانينه ؟ على أن الجرائد كثيراً ما تنقد المعارف في سير التعليم وسائر نظامها فيه ولم يكن ذلك شيئاً

ثم تكلم بعد الفتى الشيخ على يوسف فقد ذكر بعض ما ينتقد على نظام التعليم وقوانينه مما يصح أن يذكر في مجلس رسمي وسند ذكر ذلك الجرائد الثاني مع جواب الناظر عنه وبيان الصواب وتزيد من الانقاد على تلك القوانين ماشاء الله أن يزيد

آثار علمية أدبية

إلى الأغنياء

قال الأديب الشريف حافظ أفندي إبراهيم في حريق ميت غمر الذي يذكر في باب الأخيار

سأئلوا الليل عنهم والنهار	كيف باتت نساؤهم والعذارى
كيف أمسى رضيعهم قد لا	م وكيف اضلّ مع القوم نارا
كيف طاح العجوز تحت جدار	يتداعى وأسقف تتجارى
رب ان القضاء أضحى عليهم	فاكشف الكرب واحجب الأقدار
ومر النار أن تكف اذاها	ومر الغيث أن يسيل إهمارا
أين طوفان صاحب الملك بروى	هذه النار فهي تشك الأوار
أشعلت غمت الدياحى فباتت	تتلا الأرض والسما شرارا
غشيم والنحس يحرق عينا	ورمهم ونؤس يحرق يسارا
فأغار وأوجه القوم يضي	ثم عزت وقد كسهن قارا
أكلت دورهم فلما استقلت	لم تغادر صغارهم والكبارا
أخرجهم من الديار عراة	حذر اللوت يطلبون القرارا
يلبسون الظلام حتى إذا ما	أشرق الصبح يلبسون النهارا
حالة لا تقيم البرد والح	ولا عنهم ترد القبارا

أبها الرافلون في حل الوئ
 إن تحت العراء قوماً جيعا
 أي يحرون للذيول اقتخارا
 يتوارون ذلة وانكسارا
 أي هذا السجين لا يمنع السج
 ن كريماً من أن يقيل العثارا
 مر بألف لم وإن شئت زدها
 وأجرهم كما أجرت النصارى
 قد شهدنا بالأمس في مصر عرما
 ملأ العين والفؤاد انهارا
 سال فيه النصارى حتى حسبنا
 أن ذاك الفناء يجري نضارا
 بات فيه النعمون بليل
 أحجل الصبح حسنه فتواري
 يكتبون السرور طورا وطورا
 في يد الكأس يملعون الوقارا
 وممنا في (ميت غمر) صياحا
 ملأ البر ضجة والبحارا
 جل من قسم الحظوظ فهذا
 يتقى وذلك يسكى الديارا
 رب ليل في الدهر قد ضم نحاً
 وسعدوا وعسرة ويسارا

﴿ الهدايا والتعاريف ﴾

(كتاب الفوز الأصغر) هو للفيلسوف الاسلامي الشيخ أحمد بن مسكويه الرازي صاحب كتاب (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) المتوفى سنة ٤٢١ هـ وضعه لتحقيق البحث النظري في ثلاث مسائل (١) إثبات الصانع و (٢) النفس وأحوالها و (٣) النبوات وقد زرع فيه منازع دقيقة في الوفاق بين الفلسفة والدين وجعل لكل مسألة عشرة فصول فمن فصول المسألة الأولى فصل في بيان أن وجود الأشياء كلها إنما هي بالله عز وجل وفصل في أن الله تعالى أبدع الأشياء من لا شيء ومعلوم أن الفلاسفة يقولون يستحيل إيجاد شيء من لا شيء . وفي فصول المسألة الثانية إثبات النفس وكونها ليست جسما ولا عرضاً وإثبات أنها جوهر حي باق وأنها ليست الحياة حينها بل إنها تملأ الحياة وبيان ماهية النفس والحياة وبيان كمال النفس والكلام في السعادة وفي حال النفس بعد البدن . وفي فصول المسألة الثالثة بيان مراتب الموجودات واتصال بعضها ببعض وبيان أن الانسان عالم صغير وقواه متصلة ذلك الاتصال والكم في كيفية الوحي وفي العقل وكونه ملكا مطاعاً وفي التام الصادق وفي الفرق بين النبوة والكهانة وفي النبي المرسل وغيره وفي أصناف الوحي وفي الفرق بين النبي والنتي . وقد طبع الكتاب طبعا جميلا في بيروت وبياع في مكتبة أمين أفندي هندية بمصر

فحث جميع المشتغلين بالعلم على مطالعته

(كتاب تفصيل النشأتين . وتحصيل السعادتين) هو للامام أبي القاسم الحسين بن محمد ابن الفضل الرابع الاصفهاني التوفي في رأس المائة الخامسة ومباحث الكتاب فلسفية أخلاقية إسلامية وقد قرن جميع مسائله بالآيات القرآنية فجعلها شواهد وأدلة وبعضها لا يصلح لما وضعه له ولكن له منازع دقيقة فيها . وأبواب الكتاب على اختصاره ٣٣ وهي في معرفة الانسان نفسه وفي أجناس الموجودات وموضع الانسان منها وفي العناصر التي أوجد منها الانسان والقوى التي جمعت فيه وفي تدرج الانسان حتى يصير كاملا وفي كونه مستصلاحا للدارين وفي كونه هو المقصود من العالم وكون ماعنده خالق لأجله وفي تفاوت الناس وسببه وفي الشجرة النبوية وفضلها وفي الشرع والعقل والعبادة وغير ذلك وهو كالنقد على جدير بالمطالعة وطبع حيث طبع وبياع حيث بيع

﴿ إقامة البراهين المظالم . على نفي التعصب الديني في الاسلام ﴾

رسالة من تأليف الشيخ محمد بن مصطفى بن الحوجة الجزائري المدرس بجامع سفير في الجزائر القرض منها اقناع مسلمي الجزائر بوجوب الخضوع لفرنسا وعدم الخروج عليها وقد جاء فيها بمسائل نافعة ثابت أن دين الاسلام يأمر بماملة المخالفين في الدين بالعدل ومحرم ابداءهم والاعتداء عليهم وأنه شرع فيه ما يقتضى التألف مع أهل الكتاب كحل مؤاكلتهم وتزوج المسلم منهم وغير ذلك من القوائد المسلمة . وفي الرسالة ما ينتقد . فمنه أنه أخطأ في بعض ما أسنده إلى الأستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية عند الاحتجاج بكلامه واصفا إياه بكونه « خاتمة الأئمة وعلامة الآفاق على الإطلاق » فقد قال عن الأستاذ الامام أنه قال في درس التفسير بالأزهر : إن قوله تعالى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » خاص بالواقعة التي كانت متوقعة للمسلمين في رواحهم إلى مكة الح . والأستاذ الامام لم يقل بهذا التخصيص وإنما قال إن معنى « حتى لا تكون فتنة » هو أن يؤمن شر المعتدين ويأمن الدعوة إلى الدين على أنفسهم وعلى من يجيهم إلى مادعوا إليه . ومعنى « ويكون الدين لله » أن يكون دين كل شخص خاصا لربه لا تدخله محاباة ولا مداواة ولا يهدده مهيد ، ولا يتعصب خوفه من معتد ، فلا يكون لشر خشية الله أثر في قلوب المؤمنين . وانظر بهم يكون هذا . وبما ينتقد عليه أشد الانتقاد قوله في نصيحته للمسلمين بعد اطراء فرنسا وذمهم ووصف مو ، حالهم « فلا ينبغي لهم الاهتمام إلا بشؤونهم المعاشية » الخ كأنه يريد أن

الذي يصف الكتاب حاجتهم إليه من اسمه . قال المؤلف في مقدمة هذا المجموع
أردت فيه كثير من الأعلام الجغرافية التي لها ذكر في تاريخ القدمين من المصريين
والتشوريين وروم وعجم وغيرهم من الأمم جمعتهم بعض البحوث شتى ومطالعات عديدة
فكأدت فيه عنا نفسي باليسر يعرفه من أطلع عليه أو تشغل بشيء من هذا القبيل
ثم قال « وإذا نال هذا الكتاب الصغير من الإقبال ما هو حقيق به تشددت عزيمتي
لإبراز المعجم الكبير الوافي الذي جمعت في هذا الموضوع لفقيد » فسمى أن تتحقق الآمل
وبنال فوق ما يطلبه مؤلفه الفاضل من الإقبال ، والكتاب مطبوع في المطبعة الأميرية
ومثله ٨ قروش وهو يطلب من مؤلفه ومن إدارة مجلة طبيب العائلة .

(مجموعة حقه قبة طبية هندسية . جمعة متخرجي المدرسة الخديوية لسنة ١٩٠١)
إذاً وجب أن نذكر ما يتقدم على نظارة المعارف في نظام التعليم وقوانينه من الواجب
أيضاً أن نذكر ما لها من الحسنات لأن الله تعالى يحب العدل في كل شيء ، ولأن فائدة
استحسان الحسن لا تنقص عن فائدة انتقاد المبتدئ فكل واحد من الأمرين جعله الله
سبباً لإتقان الأعمال واختيار النافع منها وتجنب الضار . ومن حسنات المعارف
المصرية الاذن للتلامذة التخرجين في المدرسة الخديوية بإنشاء جمعية علمية أدبية في
نفس المدرسة يعدون فيها المقالات الإضافية في مسائل العلوم التي يتعلمونها في المدرسة
وفي المدارس العالية التي ينتقلون منها إليها ويعرضونها للانتقاد والبحث والتحصيل
وقد حضرت اجتماعاً لهم في المدرسة فسررت سروراً عظيماً ورغبوا إلى في انتقاد
ما تكلموا فيه وهو حقيقة الجنون وتاريخه وأنواعه فانتقدته علناً فتلقوا انتقادي
بالقبول والشكر كما هو شأن الباحث المستفيد

وقد طبعوا في هذه الأيام الجزء الأول من مقالاتهم التي تليت في السنة الماضية
وسمى بما ذكر في صدر الكلام . وتفضل وكيل الجمعية الفاضل النبيل علي بك
ماهر نجل صاحب السعادة ماهر باشا محافظ مصر بتقديم نسخة إلينا بنفسه فشكراً له
ذلك . وفي المجموعة ست مقالات « ١ » في الترية والتاريخ لعلي بك ماهر بمدرسة
الحقوق و « ٢ » في أشعة رنتجن لعبد الرحمن أفندي عمر بمدرسة الطب و « ٣ » في التكافل
والضمان لمحمد حلمي أفندي عيسى بمدرسة الحقوق و « ٤ » في التنويم المغناطيسي
واستحضار الأرواح لمحمد أفندي شكرى بمدرسة الطب و « ٥ » في لوازم الحياة الأصلية
لمحمود أفندي ماهر بمدرسة الطب و « ٦ » شهران بسويسرا لعلي بك ماهر . وفي

المقالات فوائد كثيرة . وعدد صفحات المجموعة ٦١٢ فبحث جميع المصريين على اجتناء هذه الثمرة الشبية ، التي اجتبتها فروعهم الزكية

(مجلة الأحكام الشرعية) كثرت الجرائد والمجلات في مصر حتى تساوت كل موضوع يمكن أن تنشأ له الاموضوع القضاء الشرعى كأن المحاكم الشرعية وأعمالها ليست من حاجات العمران التي يجب ان تخدمها الصحافة . وقد انبرى في أول هذا العام للقيام بهذه الخدمة الجليلة المحامى الشرعى الشهير حسن بك حمادة للتخرج في مدرسة الحقوق السلطانية في الاستانة العلية فانشأ هذه المجلة الشهرية وقد صدر الجزء الأول منها مفتوحاً بمقدمة بليغة في حالة القضاء الشرعى والمحاكم الشرعية وسيرها والحاجة إلى الاصلاح فيها على الوجه الذى حرره الأستاذ الامام مفتى الديار المصرية في تقريره الشهور . وقد كادت هذه المقدمة ان تكون تاريخاً للمحاكم الشرعية بصورة مجملة . وبلى ذلك مقالة في القضاء الشرعى بصر ماضيه وحاضره وهى تاريخية مفصلة ومقالات أخرى في الحمامة والقضاء وفي المجالس الحسينية وتاريخها وفي المحاكم الشرعية وتنازع الاختصاص . وقد فتح فيها باباً للنشر تراجم المشهورين من علماء الشرع وبدأ بترجمة الإمام أبى حنيفة وباباً لأشهر القضاة الشرعية التي لها فائدة عامة . وفي المجلة غير ذلك من الفوائد العلمية والأدبية وقيمة الاشتراك فيها ستون قرشاً في القطر المصرى وعشرون فرنكاً في خارجه فتتمنى لها النجاح الذى تستحقه

(تقويم اللويد) صدر تقويم اللويد لسنة ١٣٣٠ على ما يعهد المسلمين وفيه ما يعهدون من الاثقان وكثرة الفوائد العلمية والفلكية والطبية والتاريخية والدينية وغير ذلك وقد جلد في هذه السنة تجليداً جميلاً مزخرفاً اجتلب له جلد من أوروبا منقوشاً عليه اسمه واسم مؤلفه فتبقى صديقنا الفاضل محمد أفندي مسعود بنما سادفد عمله المتفنن من النجاح الذى هو جدير به

(النتيجة الوحيدة) اهدتنا مطبعة الموسوعات نسخة من هذه النتيجة التي تطبع فيها بالدقة والاتقان فتشكر لها اثنان طبها ولؤايف النتيجة الحاسب اندوق السيد مصطفى محمد القسكى المحامى تلك الفوائد التي فيها

(التقويم الازهرى) يسر المسلمين ان يروا جميع الآثار العلمية بنسوبة إلى الازهر الشريف وصادرة من أهله . وهذا الشاب الفاضل الشيخ محمد محمد عمر الاسطهاوى الفلكى قد أنشأ تقويميا يصدره في كل سنة هجرية وقد أنشأ

الأكبر شيخ الجامع الأزهر بأن يسميه القويم الأزهرى فعسى أن يقبل عليه الناس
لزيدوا مؤلفه تنشيطاً على اتقان عمله

(باب الإخبار)

﴿الحريق في ميت غمر﴾

« ميت غمر » بلدة في مديرية الدقهلية أصابها في آخر أشهر الثامن حريق
دمر الدور ، وقوض القصور ، وانهى الأثاث والرياش ، وهبى على الناس ، الأمن
لجأ إلى الفرار . قبل أن تحيط به النار ، فأخذ له لسانها ، أو يحرقه دحشها ، ويقال
أن عدد البيوت التي احترقت بأهلها إلا من أنجاه الله تقارب ٥٠٠ وإن الخسائر
تقدر بمئات الآلاف من الجنيهات . وقد كان الهول عظيماً ، والخطب جسيماً ، وقد كاد
يكون حال الدين نجواً شراً من حال الدين فقدوا فإن عذاب ساعة وإن كان شديداً
دون العذاب المستمر الذى يتلون ألواناً كثيرة وكيف حال من أسمى واجداً فأصبح
معدماً وكان كاسياً فصار عارياً وكان ذا مكان أهل فعاد ولا مكان ولا أهل . صار
الزوج أيماً والمرأة أرملة والولد يتيماً كما صار الغنى فقيراً والعز ذليلاً . وما من
هؤلاء أحد إلا وقد لفحته النار أو لذعته أو احترقت له عضواً وحاصل القول أن
هؤلاء الذين سلموا من هذا الحريق قد صبت عليهم جميع المصائب التي تفرقت في
العالمين فكان كل واحد منها باعثاً للرحمة والشفقة وسبباً للاغانة والاعانة . وقد
توجهت النفوس لجمع الاعانات لهم ولا شك أن الباخل في هذا الموضع هو أبخل الناس
بل هو من جنس الجملاد لا من نوع الإنسان ولا من جنس الحيوان . لا تندر لأحد
من خلق الله في البخل على هؤلاء « ومن يبخل فأبخل عن نفسه » فمن وجد في
قلبه قسوة وفي نفسه شحاً مطاعاً وفي يده اقتباضاً وامساكاً فليمثل في نفسه هذا
الصاب واقمابه وبأهله والناس معرضين عنهم لا يحدون عليهم بئى ولينظر كيف
يكون حكمه عليهم ثم لينظر هل يرضى بأن يكون محكوماً عليه عند الله والناس
بمثل ما يحكم به عليهم . ليندك كل إنسان بما يستطيع ولولا الاعتماد على التعاون
لوجب عليه أن يندك كل ما يملك أن كانت وقاية أخوانه متوقعة على ذلك « ليفرق
دو سعة من سعة ومن قدر عليه رزقه (أى ضيق) فليفرق بما آتاه الله لا يكلف الله
نفساً إلا ما آتاها سبحانه الله بعد عسر يسرا »



فمن عبادي الذين يستمعون القول
ويذكرون أحسن أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المحجرات

١٣١٥

بأننا حكمنا من قبله ونزلنا
الكتاب فقلنا أنبياء كثير آتوا
بذكر الأولين والآخرين

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « ناراً » كشار الطريق)

(مصر في يوم السبت ١٦ صفر سنة ١٣٢٠ — ٢٤ مايو (أيار) سنة ١٩٠٢)

باب الاخبار النبوية وآثار السلف الصالحين

« ينشر في هذا الباب ما يعرف به المسلمون أصل دينهم ومنشأ ما اديهم التي ذهبت به »

الفصل في الاستحسان - النبوة الثانية في آدابها

سكت عنه عند تفتت من أبي بكر رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يقضين حاكم بين اثنين وهو
نصفان » وروى عن غير أبي بكر أيضاً وهذا أدب عظيم لا بد من
مراعاته فان النصب يذهب بالرؤية والقطعة ويحكم الهوى فلا يتيسر منه
استنباط النظر والاحاطة بأسباب الحكم المأدب . وقد ذهب بعض العلماء
المسلمين الى أن الحكم في حال النصب لا ينفذ لثبوت النهي عنه والنهي

يقتضي الفساد . وقال الاكثرون انه صحيح وان كان آيانه مذكروها
وينفذ اذا وافق الحق وذلك لان النهي الذي يفيد الفساد عند هؤلاء هو
ما كان لذات النهي عنه أو جزئه أو لوصفه اللازم له والنقض وصف
مفارق لالازم وفي القاعدة خلاف لا محل للبحث فيه هنا

المساواة بين الخصمين ^(١٢) عن عبد الله بن الزبير (رض) قال : قضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخصمين يقدمان بين يدي الحاكم .
وهذا من المساواة التي جاء بها الاسلام . وقال بعض العلماء : ان هذه الهيئة
مشروعة لذاتها لا مجرد المساواة

^(١٣) عن علي كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
له : « يا علي اذا جلس اليك الخصمان فلا تقص بينهما حتى تسمع من
الآخر كما سمعت من الأول فانك اذا فعلت ذلك تبين لك القضاء »

^(١٤) عن أم سلمة (رض) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
: « قال من ابتلي بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم في لحظه واشارته
ومقدمه ومجلسه ولا يرفع صوته على أحد الخصمين ما لا يرفع على الآخر »
وهذا هو العدل الاكمل الذي ما يبدى غاية - وذكر المسلمين فيه لان
الكلام في دينهم وشرعهم وحقوقهم وان كان المتقاضون من غيرهم
كذلك اذا فرق في حكمهم المادل بين مسلم وذمي ومعاقد . وما روي

(١٣) رواته أبو داود والبيهقي والحاكم وقد طعن بمصنفين نابت من رجاله
بانه كان يغلط كثيراً على صدقه ولا يشرنا هذا في مثل هذا الحديث (١٤) رواه أحمد
وأبو داود والترمذي وحسنه وابن حبان وصححه وله طرق أخرى (١٥) رواه
الدارقطني والطبراني والبيهقي . وفي أسناده عبادة ابن كثير وقد ضعف ولكن الحديث
صحيح المتن

عن أبي كرم الله وجهه أنه جالس بجنب شريح القاضي في خدومة له مع
يهودي أو نصراني ، قال لو كان خصمي مسلماً جلست معه بين يديك
ولكني سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول : « لا تساووهم في المجالس »
فقد قال المحدثون أنه منكر وأورده ابن الجوزي في الملل وقال لا يصح تفرد
به أبو سمية ، هذا ما قالوه في رواية أن الخصم كان يهودياً . ورواية البيهقي
التي ذكر فيها أن الخصم كان نصرانياً في إسناده عمر بن سمره عن جابر
الجعفي وهما ضعيفان وقال ابن الصلاح لم أجده أسناداً فهو منكر وباطل
ومضطرب والملة في سنده ومنته ممّا وكأن مروجه من الجلاء
الذين يرون تعظيم شأن المسلمين بظلم غيرهم ولو كانوا كذلك لما قامت
لهم دولة .

ومما يجب ملاحظته هنا أن ملوك عصرنا وأمرأه لو فعلوا مثل
له ذلك ورضي أحدهم بأن يخضع للقضاء ويتحاكم مع بعض رعيته للموافقين
أو المخالفين في الدين وجالس مع ذلك بجنب القاضي أو على رأسه لو صف
بأنه أعدل المادلين ، وفضل على الخلفاء الراشدين ، وأنهم ليصفونهم بالعدل
ويقتلون لهم ماشاء الهوى من الفضل ، على حين أنهم دفعوا الله هم فوق
التسوية الألفية ، بل نسخوا أكثر أحكامها بقوانينهم الوضعية ، فلا يمكن
أن يحاكم سلطان أو أمير ، مع كبير من رعيته ولا صغير ، فاضاعوا
بكبرياتهم الدين والدنيا وإلى الله المصير ،

(١٦) عن ابن أبي حنيفة الأسامي (رض) أنه كان يهودي عليه
أربعة دراهم فاستدى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٧) فقال : يا محمد

ان لي على هذا أربعة دراهم وسأبقي فيها . قال فأبده منكم مرة فخرج
بملك بالحق ما أقدر عليها . ولما أعطاه حقه . قال يا نبي الله ما فعلت
ما أقدر عليها قد أخبرته أنك ترسلنا إلى خير وأمرنا شيئاً كثيراً
فأفضيه قال « أعطه حقه » قال (الراوي) وكان النبي صلى الله عليه وسلم
إذا قال ثلاثاً لا يراجع . فخرج به ابن أبي حدرج إلى السوق وعلى رأسه
عصابة وهو متردد بردة فتبع النمامة عن رأسه فأتوا بها ونزع البردة
وقال اشتر مني هذه البردة فباعها منه بأربعة دراهم فمرت عبوز فبات
مالك يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرها فقالت : هاتوك
هذا أبرد عليها طرحته عليه . وقد أوردت هذا في أدب المساواة وإن كان
من باب آخر لمناسبة له . وانشر إلى شدة الاسلام في أداء الحقوق وإلى
قساوة اليهود في أخذ دينهم فقد ترك اليهودي صاحب النبي (ص) عريانا
لا سائر لعورته الاعمامته لأجل أربعة دراهم لم ينظره بها

الاحتجاب عن المتظامين ^(١٧) عن عمر بن مرة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من امام أو وال يفتق باباً دون ذوي
الحاجة والمثالب لا أغلق الله دونه أبواب السماء دون خلقه وحاشا من لم يمسكته »
استدلوا بالحديث على منع الحاكم من اتخاذ حاجب لبابه في مجلس حكمه .
والحديث ناطق بأن المراد منع المظلومين من التقاضي والشكوى اشتغالا
عنهم بشؤون النفس أو حيا بالراحة أو ترغفا عن الناس ونحو ذلك ولا يدخل
في النهي الحاجب الذين يقفون على أبواب المحاكم لحفظ النظام ومنع
التوضى والمثل وهو الذي قال بعض تلمذنا بجوازهم وبعضهم باستحبابه
(١٧) رواه أحمد والترمذي والحاكم والبرزاق وتقدم غير في الكلام على الامراء في المجلد الرابع

وإنما يدخل فيه حجاب الامراء والسلاطين الذين يزودون الناس عن مجالسهم لأنهم لا يقابلون الا أشخاصا معلومين لهم صفة رسمية عندهم ويجعلون سائر أشتاف وعينهم بدون عذر . وتقل اين التين عن الداودي انه قال . مني أخذته القضاة من شدة الاحتجاب وإدخال بطائق من الخصوم لم يكن من فعل اللف . ثم قال متعبا له : ان كان مراده البطائق التي فيها الإخبار بما جرى فصحيح وان كان مراده البطائق التي يكتب فيها السابق ليبدأ بالنظر في خصومة من سبق فهو من المدل في الحكم وقال الشوكاني لم لم يحتجب الحاكم لدخل عليه الخصوم وقت طعامه وشرابه وخلوه بأهله وصلاته الواحدة وجميع أوقات ليله ونهاره . وهذا ظاهر لا نزاع فيه مع الرشوة ^(١٨) عن عبد الله بن عمرو (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لمن الله الراشي والمرثي » والرشوة هي السحت في قوله تعالى « سارعون للكتاب أن تكونوا للسلطان »

^(١٩) عن أبي هريرة (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعنة الله على الراشي والمرثي في الحكم » وفي هذا زيادة بيان .

^(٢٠) عن ثوبان (رض) قال لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرثي والرائش يعني الذي يمشي بينهما . وفي هذا زيادة فائدة ولا حاجة بيان . مسدة الرشوة وتدميرها للملك وثام المروءات الامراء والسلاطين فان هذا يكاد يكون معلوما للناس أجمعين

(١٨) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الا النسائي وابن حبان والطبراني والدارقطني

(١٩) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وابن حبان وصححه (٢٠) رواه أحمد

منع الحاكم من الهدية ^(٢١) عن أبي حميد الساعدي قال : استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني أسد يقال له ابن اللثية على صدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدي اليّ فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر (قال سفيان أيضاً) فحمد المنبر فحمد الله وأتى عليه ثم قال : « ما بال المامل نبعثه فيأتي يقول هذا لكم وهذا لي فها لا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدي له أم لا . والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء الا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته ان كان بصيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر » ثم رفع يديه حتى رأيتاه غمرة ابطينه « الا هل بلغت » ثلاثاً . ويعر الشاة بمعنى تصيح ^(٢٢) عن أبي حميد الساعدي (رض) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« هدايا المال غلول » وفي رواية هدايا الامراء . الغلول في الاصل الخيانة في النعمة وهي المال الذي كان يأتي الى أيدي الامراء والمال في الاكثر وورد في الكتاب العزيز التشديد فيه والهدية للحاكم . ثلثاً أو منه بحكم السنة . قال الحافظ ابن حجر استاده ضعيف . ولكن له شواهد وطرقاً . متعددة قهويه . والهدية مستحبة لغيره لعل الحكم وما بعينه ^(٢٣) عن بريدة (رض) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ به ذلك فهو غلول »

^(٢٤) عن علي (رض) عن النبي صلى الله عليه وسلم « أخذ الامير الهدية حجت وقبول القاضي الرشوة كفر » وأتى لا تنس من تشديده الوضع

^(٢١) رواه البخاري بل هو متفق عليه . ^(٢٢) رواه احمد والبيهقي وابن عدي وكذا أبو سعيد النقاش زاد في كنز العمال بعد ذكر أبي حميد الساعدي في الاولى « عن عرابض » وفي الثانية « وعن أبي سعيد عن أبي هريرة » . وابن جرير وابن عساكر وغيرهم ^(٢٣) أخرجه أبو داود ^(٢٤) رواه أحمد في الزهد عن علي

﴿ آثار السلف عبرة للخلق ﴾

عدل عمر وسبته (٧) روى سعيد بن أبي منصور في سننه وأبو بكر ابن أبي شيبة في مسنده والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : اشتريت ابلا وارجمتها الى الحلي فلما سمعت قدامت بها فدخل عمر السوق فرأى ابلا سمانا فقال : لمن هذه الابل ؟ قيل لعبد الله بن عمر فجعل يقول : يا عبد الله بن عمر يخ بع ابن أمير المؤمنين ! : جئت أسعى فقلت مالك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ما هذه الابل ؟ قلت إيل اشتريتها وبئيت بها الحلي ابتغي ما يفتي المسلمون . فقال : ادعوا إيل ابن أمير المؤمنين . اسقوا إيل ابن أمير المؤمنين . يا عبد الله بن عمر اغد على رأس مالك واجعل الفضل في بيت مال المسلمين . اه قوله « ادعوا إيل ابن أمير المؤمنين » الخ حكاية قول الناس .

فإذا يقول أمراؤنا الذين يستبدون رعايهم ما استطاعوا . ويمتدحون دعاءهم ان استطاعوا . ويخرونهم في خدمة أرضهم ومواسيهم . ما لم يأخذ الاجنبي الذي يسمونه كافرا على أيديهم . فما هذا الزمان الذي يملنا فيه « الكفار » المدلل بل يلزونه ونائبه الزمان حتى يطعن الرعية على أوليها ويأمنوا على أنفسهم من أسرارهم وانتمهم الذين اتحلوا أنفسهم إمارة الدين .

(٣) روى ابن سعد في الطبقات وابن راهويه عن عطاء قال : كان عمر ابن الخطاب يأمر عماله ان يوافقوه بالموسم فإذا اجتمعوا قال : يا أيها الناس اني لم أثبت عمالي عليكم ليصيبوا من أثماركم ولا من أموالكم ولا من امراضكم إنما بشتهم ليحجزوا بينكم وليقتبوا فيشكم بينكم فمن فعل

به غير ذلك فليقيم . فما قام أحد الارجل فقال أمير المؤمنين إن ما لك
فلانا ضربني مائة سوط . قال فيم ضربته ؟ قم فاقص منه . فقام عمرو بن
الماص فقال يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكثر عليك وتكون
سنة يأخذ بها من بعدك . قال أنا لا أقيّد وقد رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبيد من نفسه^(١) . قال قد عنتا لرضيه . قال دونكم فأرضوه .
فافتدى منها بمائتي دينار عن كل سوط بدينارين .

فإذا يقول الناس هنا في أمرائهم الذين كانوا يضر بونهم السياط
بغير حساب لتحصيل الاموال الاميرية ويضر بونهم بغير حساب لتحصيل
الضرائب والمكوس الظالة ويضر بونهم بغير حساب لتحصيل ديون
الخواجات ويضر بونهم بغير حساب لتخيرهم في الاعمال العامة والخاصة .
ومع هذا كله يمتنون على البلاد انهم أقذوها من ظلم الظالمين السابقين أي
انهم حصروه في أنفسهم واحتكروه لها ولا فرق عند الظالمين بين
ان يسمى ظالما مالكا أو مملوكا . وانه ليفرح بأخذه سواء سمي منقذه
مسلا أم سمي كافرا . فالحقائق لا تقبل تبدل الاسماء والالقب وبالعامل
قامت ممالك الاسلام وبالظلم سقطت ممالك المسلمين « عسى ربكم أن
يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا »

(٤) روى ابن عساكر من مسند عمر عن الاحنف بن قيس
قال : ما كذبت الامرة قالوا وكيف يا أبا بجر ؟ قال وقدنا على عمر بفتح
عظيم فما دوننا من المدينة قال بمضنا لبعض لو ألقينا ثياب سفرنا ولبسنا ثياب

(١) القود النصاص وأعاد الأمير القاتل بالقتل إذا قتله به المراد هنا التمكن

صوتنا فدخلنا على أمير المؤمنين والمسلمين في هيئة حسنة وشارة حسنة
كان أمثال . فلبسنا ثياب صوتنا وألقينا ثياب سفرنا حتى اذا دخلنا في
أوائل المدينة اتقينا رجلا فقال انظروا الى هؤلاء أصحاب ديننا ورب الكعبة .
قال فكنت رجلا يعني رأيي فلمت ان ذلك ليس بموافق للقوم فعدت
فلبسنا (وفي نسخة فلبست ثياب سفري) وادخلت ثياب صوفي المية
وأشربها^(١) وأغفلت طرف الرداء ثم ركبت ولحقت بأصحابي فلما دفعنا
الى عمر ثبت عيناه عنهم ووقفت عيناه علي فأشار الي يده فقال : أين
نزلتم ؟ قلت في مكان كذا وكذا فقال أرني يدك فقام معنا الى مناخ ركبنا
فجل يتخللها ببصره ثم قال : الا اتقتم الله في ركا بكم هذه ؟ اما علم ان
لها عليكم حقا : الا تصدتم بها في المسير ؟ (وفي رواية قصدتم وهما بمعنى
التوسط) ألا حلائم عنها فأكلت من نبت الارض ؟ فقلنا يا أمير المؤمنين
إنا قدمنا بفتح عظيم فأجبتنا ان نسرع الى أمير المؤمنين والى المسلمين
بالذي يسرهم لحانت منه التثابة فرأى عيني فقال : لمن هذه المية ؟ قلت
لي يا أمير المؤمنين . قال فما هذا الثوب ؟ قلت ردائي . قال بكم تبته ذ
فألقيت ثوبي ثم قال : إن ردائك هذا الحسن لولا كثرة ثمنه

ثم انطلق راجعا ونحن معه فلقية رجل فقال : يا أمير المؤمنين انطلق معي
فأعذني على فلان فإنه قد ظلمي . فرفع الدرة فحقق بها رأسه^(٢) وقال
تدعون أمير المؤمنين وهو ممرض لكم حتى اذا أشغل في أمر من أمر
المسلمين أتيتوه . أعذني أعذني . فأنصرف الرجل وهو يتدمر فقال : بلى

(١) المية وعاء توضع فيه الثياب وأشربها ضما (٢) خفقه ضربه ضربا خفيفا

بشيء عريض كالخفقة وهي الدرة أو خشبة عريضة

الرجل فأثني الختمة فقال امثل . فقال لا والله ولكن أدعها لله ولك قال :
ليس هكذا إما تدعها لله إرادة ما عنده أو تدعها لي فأعلم ذلك . قال ادعها
لله . قال فالصرف ثم مضى حتى دخل منزله ونحن معه فافتتح الصلاة
فصلى ركعتين وجلس فقال : يا ابن الخطاب كنت وضيا فرفك الله
وكنت ضالاً فهداك الله وكنت ذليلاً فأعزك الله ثم حملك على رقاب
المسلمين فجاءك رجل يستعديك فضربه . ما تقول لربك غداً إذا أتته ؟ قال
يجعل يهاب نفسه في ذلك مما به ظننا أنه خير أهل الأرض اه

فإن أسراؤنا اليوم وما مبلغ مرقهم بالله وخوفهم منه وتعظيمهم
له . أعرف أن بعض من يتراءى بالدين ويفتخر بأنه يصلي قال له قاتل
مرة : ورد في الحديث الصحيح « الذين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة
المسلمين وعامتهم » وهولاي من أتهم قائماً محملاً بالحديث أقدم له نصيحة
في شأن كذا . فغضب عليه غضباً شديداً لأنه وجه إليه النصيحة وهشله
أعلى في اعتقاده من أن يُصح وإن كان الحديث ناطقاً بأن النصيحة لله
ولرسوله . ومثل هذا من أمرهم لا يحصى

(هـ) روى الدينوري في المجالسة عن مالك بن أوس بن الحدثان قال :
قدم يريد ملك الروم على عمر بن الخطاب فاستقرضت امرأة عمر بن
الخطاب دينارا فاشتريت به عطرا فجعلته في قوارير وبشت به مع البريد إلى
امرأة ملك الروم فلما أتتها فرغتهن وملأتهن جواهر وقالت اذهب إلى
امرأة عمر بن الخطاب . فلما أتتها فرغتهن على البساط فدخل عمر فقال
ما هذا فأخبرته بالخبر فأخذ عمر الجواهر فباعها ودفع إلى امرأته دينارا
وجعل ما بقي من ذلك في بيت مال المسلمين . اه

وفي الأثر من الفقه ان الهدية وان كانت مكافأة على هدية أخرى فهي لأجل ان امرأة عمر امرأة أمير المؤمنين لآلتها فيجب ان يكون مأخذ بجاه أمير المؤمنين للمؤمنين . ولكن الملوك والامراء على المؤمنين في هذه الصور قد ملأوا قصورهم جواهر من بيت مال المؤمنين وهم يهدون منها ويهبون بلا مراض ولا منازع . وفيه أيضا المواده والتحاب بالهدايا بين المسلمين وغيرهم وان كانوا حربيين ولكن في غير وقت الحرب وغير ما يتعلق بالحرب كالأعانة عليها فان عمر لم ينكر على امرأته إهداء العطار الى ملكة الروم . وهو يدل ان النساء أسرع الى الائتلاف والموادة بعضهم مع بعض من الرجال وهو مشاهد معروف

﴿باب الاسئلة والاجوبة﴾

(س ١) نزول المسيح من أحمد أفندي عبد الحليم بشين الكوم: هل يوجد دليل شرعي على أن المسيح سينزل ويحكم وهل يكون نزوله في أيام أن النبي صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين كما هو معلوم في الشرع ولماذا حيث ينزل المسيح وهل يكون قبل نزوله قرة؟

(ج) ليس في الكتاب والسنة نص قطعي اثبت والدلالة على نزول المسيح توجب على المسلمين الاعتقاد بذلك وانما ورد في نزوله أحاديث آحاد اشتهرت لتراية موضوعها وتخرج الشيخين لها وأكثرها عن أبي هريرة . وهذه المسئلة من المسائل الاعتقادية التي يطلب فيها النص القطعي المتواتر . وقد استدل بعضهم عليها بآيتين من القرآن ليستا نصاً فيه بل ربما كان الظاهر منهما خلاف ما حملتا عليه عند من ذكر (أحدهما)

قوله تعالى « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمننَّ به قبل موته » جاءت الآية في سياق الكلام على المسيح ومزامم أهل الكتاب فيه ومنهاها الظاهر أنه لا أحد من أهل الكتاب إلا ويؤمن بالمسيح الإيمان الصحيح قبل أن يموت أي قبل خروج روحه لأنه وقت تشرف فيه النفس على العالم الآخر فيظهر لها المآل ولكن إذا جاء هذا الوقت « لا ينفع حساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل » أو كسبت في إيمانها خيراً « فالضمير في (موته) للمني في قوله (وإن من أهل الكتاب) الذي معناه لا أحد من أهل الكتاب وعليه الأكثرون . وذهب المستدل بالآية على نزول المسيح إلى أن الضمير للمسيح وأنهم يؤمنون به قبل أن يموت عند ما ينزل ويقم دين الإسلام ويحكم به ولكن الثني العالم في الآية لا يصح على هذا الوجه لأنه لا يشمل أهل الكتاب الذين يموتون قبل نزوله ولا يؤمنون به كاليهود في عصر التنزيل وما بعده إلى عصر النزول المدعى . على أن القرآن مصرح بأن المسيح قد توفي قبل رفضه كما هو المتبادر من قوله عز وجل (يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلی) ولا يصار إلى التأويل ، ما لم يقم على خلاف الظاهر الدليل ، وهذا ما يقال في الآية لأنها فهي من حيث أنها متواترة ليست نصاً ولا ظاهراً في المطلوب وإن وردت شاهداً في بعض الروايات المرفوعة وللرواية حكما وإن ثبت عنده وجب عليه الإجماع بها والاية الثانية قوله تعالى بعد ذكر عيسى عليه السلام ومقارنة المشركين بينه وبين آلهتهم (وإنه لآلِمٌ للسَّاعَةِ فلا تترنَّ بها واتَّعِبُونْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) فذهب بعضهم إلى أن الضمير (إنه) لعيسى واختلوا في وجه كونه عالماً للسَّاعَةِ فقيل أنه حدوته وقيل أحياءه الموت وقيل نزوله في

آخر الزمان والاية لاتبدل على هذا وإنما هو احتمال . وذهب بعضهم الى ان الكلام في القرآن لأن فيه الاعلام بالساعة والاستدلال عليها بالادلة التي تحرب الاعقاد بها من العقول وهذا مما امتاز به على سائر الكتب السماوية التي سكنت عن ذلك أو أشارت اليه من طرف خفي ولاغرو فنبأ القرآن هو نبى الساعة وقد عرفنا من أساليب القرآن الانتقال من محاجة الزائمين في عقائدهم وتقاليدهم الى الدعوة الى القرآن واتباع من جاء به وسمعة الآية تؤيد هذا القول الأخير . فظهر ان لادليل في القرآن على نزول المسيح وأما الاخبار فقد ورد فيها ذلك فتلقاه الناس بالقبول لاسيما بعد اشتها كتابي الشيخين ولكنهم لم يذكروه في العقائد الاسلامية لانه ليس قطيما

ومما يستحق الذكر ان القول بظهور المسيح في آخر الزمان قد اتفق فيه المسلمون مع اليهود والنصارى في الجملة ولكنهم اختلفوا في التفصيل فاليهود ينتظرون مسيحاً جديداً يمجّد ملك اسرائيل ولذلك يسمون لتحقيق هذه الامنية مسيحاً مادياً يناسب الملك . والنصارى ينتظرون مجيء المسيح في ملكوته وصليبه ليدين العالمين ويحاسبهم على نحو ما يعتقد المسلمون في الآخرة . والمسلمون يعتقدون ان المسيح ينزل في آخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقيم الشريعة الاسلامية ويصلي مأموماً وراء أحد أئمة المسلمين ليظهر ان الدين عند الله الاسلام

وقد بذت فرقة البهائية دينها على أساس هذا الاتفاق الاجمالي بين أهل الأديان السماوية وزعموا ان زعيمهم (بهاء الله) دفن عكا هو المسيح المنتظر وان الباب هو المهدي الثاني يقول المسلمون ان ظهوره يتقدم

ظهور المسيح ولهم سبع طويل في تأويل الاحاديث وأقوال الصوفية الواردة في المهدي والمسيح وتطبيقها على الباب والبهاء وعند ما يدعون التصاري الى دينهم يترفون بأن المسيح كان الهاً كاملاً ويقولون انه لم يكن الهاً بحسه بل بروحه وهذه الروح الالهية نفسها هي التي حلت في البهاء فهو الله كامل « سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون »

وفي الهند قائم يدعي الآن انه المسيح عيسى ابن مريم وكان من مشايخ الطريق وأهل العلم الاسلامي وقد ردنا عليه في مجلد النار انناك وردنا على البهائية أيضاً وان لنا لودة ان شاء الله تعالى

وان من التصاري من يحمل ظهور المسيح أو نزوله في آخر الزمان على ان الصفات التي امتاز بها والتسليم التي كان يرشد اليها هي التي تكون سائدة في الناس وهي المحبة والمسالمة والوفاة والاخذ بمقاصد الدين والشريعة دون الوقوف عند الرسوم الظاهرة التي قالوا إنه طمسها من اليهودية ثم عاد المنتسبون اليه فوضعوا لهم رسوماً غيرها ربما تزيد عليها من بعض الوجوه وهذا التأويل على حذّه ظهر في المسلمين عمر « اذ اقام فيهم ملك عادل وهذا الجيش يقوده فابليون » اذا كان قائده شجاعاً مدرباً ولا حاجة للمسلمين بالتأويل الا اذا ثبت ان الاخبار الواردة متواترة ويمارضها قطعي آخر ككون محمد خاتم النبيين صلى الله عليهم أجمعين فلم من هذا انه لا يكون زمن فترة يضع فيها الاسلام فيجده المسيح وإنما يبقى الاسلام معسولاً به الى قيام الساعة كما ورد في الحديث الصحيح . هذا وان لم يظن النزول يستعمل بمعنى الخروج كقوله تعالى « وانزلنا الحديد » فاذا احتجنا للتأويل نقول ان معنى حديث نزول عيسى هو

ظهور حقيقته بظهور الاسلام واستملاء برهانه النصرى ان المسيح
بشر لا آله وان دين الله واحد لا فرق فيه بين عيسى ومحمد وغيرهما من
الرسل وهو توحيد الله والايمان ببقائه في الآخرة ووجوب عمل الخير
وترك الشر وما ينشعب عن هذه الأصول ولا شك ان النزي في علم النفس
وعلم الكون سيرتقي بالناس الى هذه المعرفة « سنريهم آياتنا في الآفاق
وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق . أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيّد »
(س ٧) انتفاع الموتى بالقرأة من الشيخ أحمد حسن يوسف معمر
بالازهر : هل ورد دليل من الكتاب أو السنة أو الاجماع بانفع
الموتى بقرأة القرآن عليهم أم لا ؟ فان كان ورد شيء يؤيد ذلك فامضى
قوله تعالى « وان ليس للانسان إلا ماسى » الرجاء كشف انتساب عن
هذه المسئلة ولكم الفضل

(ج) لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا في الاجماع شيء يثبت
نفع الاموات بقرأة غيرم القرآن عليهم والآية ناطقة بأن الانسان
لا ينفع الا بعمله وكسبه ومنه مابقى أثره أو عينه بعد موته كالصدقة
الجارية والعلم النافع والذرية الصالحة ولذلك ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « اذا مات الإنسان انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع
به أو ولد صالح يدعو له » ورواه مسلم وأصحاب السنن من حديث أبى
هريرة . فهذه الثلاث ملحقة بعمل الانسان وممتدة منه فلا حاجة الى
مقاله بعضهم من تخصيص عموم قوله تعالى « وان ليس للانسان الا ما
سعى » بالحديث إذ لا منافاة . ومثل ذلك يقال في من سأل النبي صلى
الله عليه وسلم هل يتصدق عن أبيه ومن سأل هل يتصدق عن أمه وإجابته

أيام بنم ومنهم سعد بن عُبادة الذي سأله أي الصدقة أفضل فقال: سقي الماء . ولم يرد مثل ذلك الا في صدقة الابناء عن الوالدين . وقد ألحقوا بهم غيرهم في الصدقة ولا دليل على ذلك الا اذا صح القياس في الأمور التعبدية . وخصوا الآية بالمبادات البدنية كالصلاة والقراءة . وقد استدل الامام الشافعي رحمه الله تعالى بالآية على ان ثواب القراءة لا يلحق الأموات وهو مذهب مالك أيضاً . ولا نخوض هنا في خلاف العلماء وتأويلهم لأن السائل لم يسأل عن ذلك

وأما حديث « افراوايس على موتاكم » فقد رواه أبو داود وابن ماجه والنسائي وابن حبان وصححه واحمد بلفظ آخر . ولكن ابن القطان أعله بالاضطراب وبالوقف وبمجهالة حال أبي عثمان وأبيه من رجال مسنده وقال الدارقطني هذا حديث ضيف الاسناد مجهول المتن . وتصحيح ابن حبان لا يؤول عليه مع هذا الجرح لانه كان يتساهل بالجرح فيتمتع جرحه دون تعديله اذا انفرد به كما صرح به الذهبي في ميزان الاعتدال . على انه فسر في صحيحه بقراءتها عند المحتضر فقال « أراد به من حضرته للمنية لأن الميت يُقرأ عليه » وخالف المنتصرون للقراءة على الأموات . ولوان في الباب حديثاً صحيحاً لما احتاجوا للاستدلال بحديث ضع الجريدين على القبر ولا دلالة فيه كما هو ظاهر

(س ٣) اتخاذ الصور احمد افندي صادق الدباغ بالاسكندرية : محكم

اتخاذ الصور وهل يحرم تزين المنازل بها ؟

(ج) اختلف العلماء في اتخاذ الصور فقيل إنه محرم مطلقاً وقيل ان

المحرم منها ما ظل وأما ما لا ظل له فلا بأس باتخاذ . وقيل ان المحرم هو ما اتخذ

بهية تعظيم وهذا أقوى الأقوال عندي لوجهين أحدهما حديث عائشة عند أحمد والبخاري ومسلم وهو « أنها نصبت ستراً وفيه تصاوير فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزعه . قالت : فقطعت . وسادتين فكان يرتفق عليهما » وفي لفظ أحمد « فقطعت مرفقتين فلقد رأيته متكئاً على أحدهما وفيها صورة » المرفقة المتكأ والمخذة ولو كانت الصورة متنوعة لذاتها لأزالها من المرفة وإنما هتك الست لأنه كان منصوباً كالصور المعبودة فهو يذكر بها وفيه تشبه بإبديها . ثانيها العلة الحقيقية في النهي عن التصوير والصور الممثلة وهي محاكاة عباد الاصنام لا ما قالوه من أن فيها محاكاة لخلق الله فإن هذه العلة تنفي تحريم تصوير الشجر والجماد وقد نقل بعضهم الإجماع على حله . فإذا انتفت العلة انتفى المملول والله تعالى أعلم

القسم المسمى

الاجتماع الثالث - الداء أو القور العام

في مكة المكرمة يوم الخميس ثامن عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦ في الوقت المعين وهو بعد طلوع الشمس بساعة ثم وارد الإخوان لجنل الجمعية غير أن الأستاذ الرئيس تأخر نحو نصف ساعة ثم حضر واعتذر بأنه عاقل عن الحضور أن حضرة الشريف الأمير قد طلبه لزيارته فإوسعه إلا الإجابة بأكراً وما كان يظن أن يستمر بينهما الحديث فيتأخر عن الميعاد ولكن اتفق أن الحديث كان طويلاً . ثم قال (الأستاذ الرئيس) أننا متشوقون لتمام بحث المولى الرومي وأمر السيد القراني كاتب الجمعية فقرأ ضبط مذاكرات الاجتماع السابق حتى بلغ آخره من عبارة المولى الرومي وهي قوله « عندي أن داء الدفين دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين » أخرى تحت ولاية الجهال التعممين

فحينئذ أقاض (المولى الرومي) في الكلام فقال وهم المقربون من الأمراء على أنهم علماء وارتباط القضاء والأمضاء بهم كان بعض هؤلاء التعممين في البلاد الإسلامية

كانوا اتخذوا لانفسهم قانوناً جعلوا فيه من الاصول ما انتج منذ قرنين الى الآن ان بصير العلم منحة رسمية تعطى للجهال حتى للاميين بل وللأطفال .
 ويترق صاحبها في مراتب العلم والفضل والكمال بمجرد تقدم السن أو زادف الضايات لاسيا اذا كان من زمرة الاسلام . فانه يكون طفلاً في المهد وينت رسايه « أعلم العلماء المحققين » ثم يكون فيلماً فيخطب بانه « أفضل الفضلاء المدققين » ثم يصير مرافقاً فيعطى لقب « أقضى قضاة المسلمين ، معدن الفضل واليقين ، رافع اعلام الشريعة والدين ، وارث علوم الانبياء والمرسلين » . ثم وثم حتى يبلغ الوصف (بأعلم العلماء المتبحرين ، وأفضل الفضلاء المتورعين ، ينبوع الفضل واليقين ،) ولا يظن ظناً ان هذا الاطراء من الأمراء للمتسمين هو بقصد ان يبالغهم بالمثل بالقباب « للولي ، للقدس ، ذي القدرة ، صاحب العظمة والجلال ، المنزه عن الخاطر والتكال ، واهب الحياة ، ظل الله ، مهبط الانبياء ، سلطان السلاطين ، ملاك رقاب السالطين ، ولي نعمة التقلين ، ملجأ أهل الخائفين ، » الى غير ذلك من مصارع الكبرياء والمهالك .

هذا ولا ريب ان كثيراً من هؤلاء العلماء المتبحرين لا يحسنون قراءة نصوصهم الزرورة كما ان بعض اوقاف المتورعين رافعي اعلام الشريعة والدين يجارون الله جهاراً ويستحقون ما يستحقون من الله وملائكته والمؤمنين .
 ويمكنني حجة عليهم بذلك بقرينة جيباً بلباس مروجي صدر كس يكثرون من النقضة والذهب مما هو حرام في الاسلام وقد اقتبسوا هذا اللباس من كهنة الروم الذين يلبسون القباء والفتنسوات المذهبة عند اقامة شعائرهم وفي احتفالهم الرسمية وكم من خطيب يستوي على المنبر ويقول اتقوا الله وعلى رأسه وضدرة وشكبه هذا اللباس المتكر (مروجي) .
 ثم ان هؤلاء المتسمين ما كفاهم هذا القانون فالحقوه بقانون آخر جعلوا فيه التدريس والارشاد والوعظ والخطابة والامامة وسائر الحنم الدينية كالمرض نباع وتشرى وتوهب وتورث وما يخل منها نادراً عن غير وارث يبيها القضاة لمن يزدق قنما او يتكرمون بها على المساكين وهذا القانون انحصرت الحنم الدينية في الجهلاء والمناقين .
 ثم لما شكلت بعض الحكومات مجالس ادارية لم يرص المتعممون حتى جعلوا فيها قاضي المسلمين وكذلك قاضي المؤمنين فمما في كل بلد عضوان في مجالس الادارة يحكمان باشياء كثيرة بما يصادم الشرع كالزنا والفسرية على الخمر والرسوم العرفية وغيرها مما كان الأئبي والأنسب بالاسلامية ان يبقى العلماء يسيدين عنه كما ان القسيس بل

الناس لا يحضر مجلساً يعقد فيه زواج أو فراق مدينان ولا يشهد في ملك دين داخله رافضاً عن أن يقضي أو يقضي بصفة رسمية كقنونة أمثال ذلك من الأعمال التي تصادم دين الصراية .

وكذلك لما وضعت المحاكم العرفية (الأهلية) تهافت التمسكون على جعل قاضي المسلمين رئيساً للمحاكمة العرفية التي تحكم بما لم ينزل الله وما يتبرأ الدين الحنيف منه من محورياً صريح ومن اصطلاح حد الله التي صرح بها القرآن أو يستبدال عقوبات سياسية أو تعزيمات مالية بها . ومن نحو مطابقة العباد بمجرّد الظن والرأي وشهادة الواحد وشهادة الناسق وشهادة العامة الجامعة بما لا يلائم الشرع قطعاً ومن نحو تنفيذ كل حكم عرفي حتى أو باطل بدون نظرقه ومن محصل ضرائب وغرامات ومن توقيف الأحكام الشرعية على إسقاط الرسوم من الأضمان وأموال الأيتام ومن أهم مسائل التسميع أنهم يتقنون في صدور الأمراء لزوم الاستمرار على الاستقلال في الرأي وإن كان مضراً ومطادة الشورى وإن كانت منتهية والمحافظة على الحالة الجارية وإن كانت سيئة ولحقون عليهم بأن مشاركة الأمة في تدبير شؤونها وإطلاق حرية الاعتقاد لها محل يتخوذ الأمراء ومخالف السياسة الشرعية ويلقونهم حبساً واضحة لولا أن علمها جعل الأمة ووراثها سطوة الأمارة لا تتحرك بها شفتان ولا تردد في ردّها إنسان

والامر الأمر أن لو تلك الأمراء يتقنون من عند الحجج ما يتلحسون به في مقابلة من يتعرض على سلبهم من الدول الأجنبية يقولون إن قواعد الدين الإسلامي لا تلزم أصول الشورى ولا تعيل النظام والترقيات للخدمة ونهم مطعون على أمرهم ومضطرون لرعاية دين وعالمهم ومجملات ميل الفكر العام وهذه القوانين أسرار الجيلاء الفلسوفون يترأوا السلام المسلمين وانغصبوا أرواحهم من وقت للال ومن أوقات الأسلاف بالضرورة قلت الرغبات في محصل الصلوات وقبيلتهم وصار طلاب السلم يضطر للاكتفاء بيلفته منه ويستعمل بالأحتراف للأزترائق وهكذا فسد السلم وكل أمه فاحتلت القرية الدينية في الأمة فوشت في القصور وعمت فيها الشرور .

أجيب (البرنسي للكردي) أن هذا الداء خاص ببعض الشعوب الإسلامية فلاحظاً سبباً للقصور العام الذي نبحث فيه ونسأل عنه . وعندني أن السبب العام هو أن علماءنا كانوا انصرفوا على العلوم الدينية وبعض الرياضيات وأعمالوا باقي العلوم الرياضية

والطبيعة التي كانت اذ ذك ليست بذات بال ولا قيد سوى الجمال والكمال فتقد
أهلها من بين المسلمين وأندست كتبها وأقطعت علاقتها فصاروا مغفراً منها على
حكم المراءى عدو مجهول « بل صار المتطلع اليها منهم يفتق ويرى بالزنج والزندقة
على حين أخذت هذه العلوم تنو في الترب وعلى صكر القرون رقت وظهر لها ثمرات
عظيمة في جميع الشؤون المادية والأدبية حتى صارت كالشمس لأحياة لذي حياة لا بنورها
فأصبح المسلمون مع شامع يصددهم عنها محتاجين اليها لمجاراة حيراتهم احتياجاً يعم
الجزئيات والكتليات من تربية الطفل الى سياسة للدائن ومن استنابت الارض الى
استمطار السماء ومن عمل الآبيرة والقوارير الى عمل المدافع والبوارج ومن استخدام
اليد والجار الى استخدام البرق والبخار .

ولاشك ان المسلمين أصبحوا بعد الاكتشافات الجديدة يستفيدون من العلوم
الطبيعية والحكمية فوائد عظيمة جداً بأنظر الى كشفها بعض اسرار كتاب الله وبائع
الحكمة المتطوية فيه مما كان مستوراً الى الآن وقد خطب فيه لنفسرون خطب عشاء
بل انهم المسلمون محتاجين للحكمة العقلية التي كادت تحجل التريسين ادرى منا
حتى بمباني ديننا كاستدلالهم بالمقايسة على ان يميناً عليه أفضل الصلاة والسلام أفضل
المؤمن عقلاً وأخلاقاً وكتاباتهم بالمقابلة لن ديننا أسمى الديانات حكمة ومنزلة .

وعندي أنه لو لا هذا القصور المالم للمؤمنين في هذا القصور ، والأمل ببناء الله
أنهم بعد زمان قصيراً وطويل لا بد أن يلتفتوا الى هذه العلوم الثاقبة فيستيدوا ثنائهم
بل يجلبوا الى ديههم المالم المتمدن لان نور المعارف على قدر اباده العقل عن الصراية
وامثالها يفرجهم من الاسلامية لان الدين المالم بالمخارات والعقل المستير لا يجتمعان
في دماغ واحد . (مرعى)

ثم ان تبعة هذا التصير وان كانت تلحق علماء الأمة المتقدمين الا ان علماءنا
للتأخرين أكثر قصوراً لأنهم في زمان ظهرت فيه فوائد هذه العلوم ولم يحصل فيهم
ميل لاقلها بل تراهم مقتصرين على تدريس كيون اللغات والفقه فقط أو بملاوة شيء
من اللطقي تماماً للعقائد وشيء من الحساب اكلاً للفرائض والموارث قلما يفيد .

وكذلك نرى وعظما مقتصرين على البحث في التوافل والفريات للزبد في الدين
ورواية الحكايات الاسرائيلية ومثلهم المرشدون أهل الطرائق فهم مقتصرون على
حكايات فوائد الزهاد من صبح وموضوع ورواية كرامات الاعجاب والتفاو والابدال
وعلى ضبط وزن القبايل واصول الانتاد ولا نرى خطاباً واقصاؤهم على تكرار

عبارات في التمدد والاعتناء بالفرقة والمجاهدين وتمداد فضائل العبادات والشهور والمواسم .
والحاصل ان قصيرات العلماء الاقدمين واقصارات المتأخرين وتباعد المسادين
الى الآن عن العلوم النافعة الحيوية جعلتهم أحط من كثير من الأمم ولا شك انه اذا
تمادى تباعدهم هذا خمسين عاما أخرى تبعد النسبة بينهم وبين جيرانهم كببدها
ما بين الانسان وباقي أنواع الحيوان فبناء عليه يكون فاقوس الارقاء هو السبب لهذا
التطور كما قال تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

فاجابه (الكامل الاسكندري) ان هذا سبب من الاسباب ولا يكتفي وحده
لحل الاشكال لان فقد العلوم الحكيمية والطبية لا يصلح سبباً لنقص الاحساس للملي
والاخلاق المادية لانها توجد في امم جهالة وانما سبب فقور حياتنا الادبية
هو يأسنا من المباراة وذلك اننا كنا علماء رائدين وكان جيراننا متأخرين عنا ففردنا
البقاء فنسنا واجتهدوا فلحقونا ، ولبناننا ما فاجتازوا وسبقونا وتركونا وراءنا . وطال
نومنا فبعد الشوط حتى صار ما بمدورنا وراءنا ، فصغرت نفوسنا وفترت هممتنا وضمف
احساسنا ففئنا من الاحاق والمجاراته وخرجنا من ميدان المنافسة والمباراة والانتا
نقص بقوله تعالى : سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ، فعذنا الى كهف النوم
مستسلمين للنقاء ، نطلب الفرج بمجرد التقي والدعاء ، ذاهلين على ان الله تعالى جلت
حكيمته رب هذه الحياة الدنيا على اسباب ظاهريه ولم يشأ ان يجعلها كالأخرة عالم أقدار
فهذا اليأس هو سبب الفقر فقال الله تعالى اللطف في المقدور

اجابه (العارف التاتاري) ان هذه شكايه حال ولا تفي بالجواب لانه ما السبب في
ن هذا النوم غشي للمسلمين ولم يزل ينشأهم دون كثير غيرهم من الامم التي اتعبت
وسارت ولحقت ظلمن الاعياء وما المساكين بالامميين المتعطشين كأهل الصين ولاهم
بلتو حشين الرقيقين كأهل امريكا الاصليين .

ثم قال : انا ارى ان عاوضنا فقدنا السراة والمداة فلا أمير عام حازم مطاع ليسوق الامه
طوعاً أو كرهاً الى الرشاد ولا حكميم معترف له بالزلة والاخلاص لتقادة اليه الامراء
والناس ولا تربية متحدة للمقصد فيخرج منها رأي عام ، لا بطرقة تحاذل وانقسام ، ولا جمليات
منتظمة تقبى بالحير ، وتتابع السير ، ولذلك حل فينا الفقر ، والى الله ترجع الامور .
أجابه (الفقيه الافغاني) ان ما وصفته من أمير وحكيم لا يوجدان في الامم المتحطة
الاتفاقاً وأما الرأي العام والجمليات فلا يفقدان الا بسبب فقد الاحساس وهذا
ما تسأل عنه . وذكر ان الداء العام فيها يراه هو الفقر الأخذ بالزمام لأن الفقر قائم

كل شر ورائد كل نخب فيه جهلنا ومنه فساد أخلاقنا بل منه تشتت أراشنا حتى في ديننا ومنه فقد احساننا ومنه كل مانحن فيه ، أو تنوقع أتنا ستوافيه . فهذه قطرتنا لا نهض فيها عن غيبرنا وعدونا كثير وبلا دنا متواصلة وأرضنا خصبة ومعادتنا غنية وشرعنا قويم ونغارنا قديم فلا ينقصنا عن الأمم الحية غير القوة لئالية التي أصبحت لا تحصل إلا بالعلوم والفنون المالية وهذه لا تحصل إلا بالمال الطائل فوقنا في مشكل الدور وعسى أن نهتدي لفك سيدلا والا فيحقيق بنا ما وس فناء الضعيف في القوى وفناء الجاهل في العلم

ومن أعظم أسباب فقر الأمة أن شريعتنا مبنية على أن في أموال الأغنياء حقاً معلوماً للبائس والمحروم فيؤخذ من الأغنياء ويوزع على الفقراء وهذه الحكومات الإسلامية قد قلبت الموضوع فصارت تجبي الأموال من الفقراء والساكين وتبذلها للأغنياء وتحابي بها المسرفين والسفهاء .
(الاجتماعية)

باب التربية والتعليم

﴿ الكتاب الثالث «من أميل القرن التاسع عشر» في الياض »

شذرات مقتطفة من جريدته اسم - تحرير إبراهيم آريون في سنة ١٨ الداخلة في سنة ١٨٦١

الشذرة الاولى

حب الزوجة والولد والوطن

منذ سنة تغيرت شؤون حياتي كلها

ولقد وجدت هامتي بعينها (١) ولما تلافينا كنا كأنا لم نفرق في حياتنا فان التوى لم تغير شيئاً من ضروب وجدانا ولا من عاداتنا لبقاء قايينا على ما كنا عليه من الارتباط والامحاد وغاية ما حدث اني أراني الآن أنس من في جميع أياحي السابقة بحسن معاشرتها وجمال معاملتها نعم انها لم تسبق طفلة كما عهدتها ولكنها لم تأخذ من مرور

(*) الباب الأول من هذا الكتاب في الأم والباب الثاني في الولد وقد قدمنا هذا

الباب الثالث في تربية العلام الياض (١) يريد زوجته أم أميل

الاعوام وكروور الایام الا ما یزید للمرأة فی القلوب محبة وفي النفوس تأثیراً فكان روحها وملاح وجہها تکلمات وتطهرت بأدائها فروض الامومة المقدسة
 كنت أوشکت ان أنقط من معرفتي لولدي وما یبني التنبیه علیه فی هذا المقام ان
 قدین هم اکثر الناس اشتة الا بالقریبة لم یرزقوا أولاداً أو رزقوهم وحرمو من
 رؤیتهم وربما كان هذا هو الباعث لهم علی الاهتمام بالتریبة وجعل البحث فی شؤونها
 غایهم لیؤدوا بذلك ما فرضه الله علیهم منها بنوع آخر من الاداء
 فلیت شعری بماذا استحققت ان أكون أسعد من هؤلاء مع كونهم أحدر منی بالسعادة
 ما أشدنی حزنًا وتأثراً عند قیل ولدی ایامی وما أعظم زهوی وایعجابی به
 عند ما أخذ یدیه وأتزه معه فی المزارع وان الدنیا اترى فی عینی جدیدة وهو
 کان لم أرها منذ سبع سنین . ولا جرم ان الانسان لا یدسر وهو رهین السجن
 محروم من الحرية فكل ما كنت أراه من أشجار وصخور عمرت عمر الدنیا القديمة
 كان یحیل الی انه لم یخلق الا بالامس

خطر فی ذهنی ساعة خاطر البود الی قرانا ولكن الف مانع — وان شئت
 قتل الف وهم — قد تحول بین المرء و بین مبیته فی وطنه وما أدراك ان من هذه
 الموانع ما یترقی من الألم المصّ الذي لا أستطیع التعبیر عنه اذا رأیت أمة عظیمة
 عبدتها حرّة قد أصبحت فی قبضة حاکم وجميع ما یحصل فی هذا الوطن لا یقل عن
 ذلك ایلاماً للقلب ولا ازهاقاً للنفس

یوجد فی جمیع عصور التاريخ جال بررة صالحون رأوا من الواجب علیهم لا تقسم
 ولأوطانهم ان یخمدوا هذه الاوطان وهم بمنزل عنها قتل هؤلاء هم فیما ارى أشد
 حباً لها لانهم سواء قربوا منها أم بسدوا عنها یحیون بتفحلتها ویفتشون بتجاهلتها
 فی سبیل الخیر وبما لها من الآمال فی الوصول الیه . جرحهم فی صمیم أقدتهم ما من
 أنسهم من القروح وان كان یدو من حال الامة عدم شعورها بالمالها کان فی مرور
 الزمن علیها والاعتماد علی احتیالها من قوة التأثير ما یکنفی لاندمالها جمیعاً . مثل
 هؤلاء المتلوعین بالاعتراب والذی یلومون الناس وحوادث الدهر ولكن اذا حاول
 مجادل امامهم ان یتقص من کرامة قرانا ومحط من شأنها استشاطوا غضباً وینسج الدم
 فی عروقهم . ذلك ان هذه القطعة من الارض التي تازلوا عن سکنها مختارين قد تقلد
 حوا فی احتیالهم وأخذ بمجامع قلوبهم فتراهم یدلون الوطن نفسه فی اعزاز شان المني الذي
 قام فی أذهانهم منه ویفضلون الحکم علی انفسهم بالبعد عنه علی رؤیتهم ایام مهینة ذلیلاً .

كأني يسأل يقول : لماذا اتخذت هذه المادة وهي تقييد أفكارك ومذاكراتك كل يوم بحسب المتعاقبة والاتفاق فاجبه ان هذا مطوي ايام مدينتي في السجن اسره للناس لأنني لم يكن لي فيه أنيس أمارحه الحديث كنت اكتب كأني ارسل نفسي . اه
الشذرة الثانية

(تعليم السميات قبل الاسماء)

لم تخلف طريقها في تربية « أميل » أملاً من آمالي فلتبقى على ما هي بيده من تهذيبه وسبقه بما تقدمه له من الأسى وبما توجه الى نفسه . من الثقة بها . على أننا من عهد أن انعم الله علينا باللقاء رأينا من الفيد أن تقدم الملل بيننا لأن التلميم — ان لم أكن غالباً في حكمي — هو من وظائف الوالد غالباً وأما التربية فلها من أعمال الوالدة وان أردت ان تعلم ابنك من قيام كل ما بسمه فاقول :

لا يدرس « أميل » شيئاً درساً منتظماً فهو انما لفد دروسه الاولى في علم التاريخ الطبيعي منفردة على نحو من الاتفاق وذلك بمثابة ما كان يجده كل يوم على شاطئ البحر من أنواع المحار والصدف . ثم اني أمكنه من النظر بالمظار المظلم (الميكروسكوب) وهو آلة شائعة الاستعمال جداً عندما يحرك كأجزاء بعضها فيكبره بعض عجائب المحلوقات غير المتعاقبة في الصغر واره بالمرقب (التليسكوب) وهو آلة أرصد بها النجوم لئلا عجائب المحلوقات غير المتعاقبة في الكبر . وقد ألقاه من الزجاج بالماء الملح ووضعنا فيه حيوانات ملامية وحيوانات قشرية وأسيا كما وكنا نجد ما به كل غماسة ايام ومنه تلقى « أميل » كل ما عرفه فيما أرى من علم حياة الحيوانات التي تعيش في جوف البحر . وفي بعض الايام أكرر بمشهد منه بعض عجائب سهلة جداً في الكيمياء والملاحة زار على جهاز إيسي حينئذ الدارين . ان بعض الادراك تأثير بعض الاجسام الفطرية في بعض . وراني يوماً أضغ مقاييس للحرارة والهواء ومع كونها لم تكن من الاقنات في شيء بدالي منه انه ادرك استسلها في الجلة لأنني رأيت يربد عما كانتا . جميع ما تقدم هو كتب تعليمنا حتى الآن

لا بد ان أكون أنا و « أميل » تابعين في التلميم لمذهب ارسطاليس لأن اغاب درسا يحصل في وقت التزء فاني أدع لامور الكون وحوادثه تبيدهذه غير متعرض لها بشرح ولا تفسير الا ان يكون اجابة مما يوجه الي من الاسئلة مجتهداً في أن يكون الشرح واضحاً والبيان واقعياً . وقد عرفت من محاوره ان الوسيلة الى اصغائه الي هي

تأجيل فكرة التفكير عند محادثته وإن كثيراً ممن يأخذون على أنفسهم تعليم الاطفال ليتمكنون لهم في البيان ويفرطون في الترحيح كالو كانوا في حاجة الى ان يتقنوا بذلك لانفسهم انهم على معارف واسعة وعلوم جمة . انا لا اعلم « اميل » شيئاً بل اني اعلم معه فموضاً عن كوني أعلمه طريقي في النظر أجهل في معرفة طريقته وتبينها وملاييل الى معرفته بحال أجهله مثله أو أجهله . نعم ان هذه الطريقة ليس من شأنها ان تبلي قدر الاستاذ في نظر تلميذه وأنه لا بد في اتباعها من خفة النقل عن الغرض وتنازله عن بعض شهوده ولكن ما هو متبع الآن من نقش صفيح العلوم وقوانينها وقضاياها في اذهان الاطفال ايس هو لا كرقم الالفاظ على الرمل

ما كذا البحث عند الطفل هي كثيرها من الملل كما نرى بالاعتماد والمراس فان الشوق الى معرفة الاشياء يتولد في الانسان ولا يولد معه وانما يكتسب ذوق الملاحظة الاستقلالية بالملاحظة نفسها . ان لي أن اعين نبي « اميل » والفتاة بأن أربه ما لا يراه في الاشياء لأول نظر . اليها غير أنه في هذه الحالة يجب ان يكون هو مصدر الميل الى ذلك أيضاً وان يكون صدور هذا الميل منه فطرياً . ثم ان الاطفال في الجملة مدفوعون جداً بسائق الطبع الى الاكثر من السؤال فرأيت أن التمهيد لهم بالجواب قبل السؤال ويجاوز حدود ما يطلبون معرفته مما تجنّب به نار هذا الاستعداد المبارك لان ذلك يضي بكثير منهم الى التزام السكوت ليكفوا انفسهم مؤنة سامة الدرس وطولة « اه »

﴿ قوانين التعليم الرسمي والجمعية العمومية ﴾

« البند الثانية »

تتم في الجزء الماضي ملخص ما دار بين مفتي الديار المصرية والنظر الداري من المناقشة والراجعة في اقتراح عرض قوانين التعليم في مدارس الحكومة على مجلس شورى القوانين كاتر قوانين الحكومة . وتذكر في هذا الجزء ملخص ما دار في الجمعية بين الناظر والشيخ علي يوسف في ذلك مع بيان رأينا فيه ثم نقد القانون فقول (الشيخ علي) : « الضمانات » (١) التي ذكرها سمادة ناظر المعارف انما هي كافية في التغييرات الادارية كتحدد أوقات الدروس وخصص للمدرسين وأما القواعد

(١) رأى القراء في البند الأولي أننا كنا نضع كلمة « الضمانات » و « الضمانات » بين علامتين بمنزلة كاهنا اشارة الى « منها الذي يخلف ما استعملت فيه وهو المرض فكان ناظر المعارف يقول ان قوانين التعليم في نظارته خسة أمراض ونحن نقول انها أكثر

الكلية المتعاقبة بالعلوم من حيث ترتيبها في التعليم واللغة التي تعلم بها قريبا لايصح تغيير قوانينها في أقل من عشرين سنة مثلا لذلك يجب الفهم . والتعليم باللغة الأجنبية معناه نقل أشخاص الى العلم وأما التعليم بلغة الأمة فهو نقل العلم الى الأمة فيهل على الطالب معه أن يتفهم به بعلومه ويأخذه به من كتب التعليم . وقد نشأ عن التعليم باللغة الأجنبية قلة التاليف بالعربية وعدم وجود الأساتذة الأكفاء في المدارس الحرة ولم تقم من ذلك « ضمانات » فاطر المعارف . فالتقوانين المعمومة يجب عرضها على مجلس شورى القوانين اذ لا يكفي فيها نظر الحكومة وحدها

(الناظر) ان الطرق المتبعة في التعليم ما وضعت الا بعد تجارب شتى بمعنى ان هذا العلم الذي تبين ان تسليمه بالعربية أخف يكون تسليمه بها والعكس بالعكس اذ للدار في ذلك على الكتب والمدرسين والأقرب للترقي . وبما يتبعه من « الضمانات » وغيرها يتضح ان وضع « البروجرامات » يتبع فيه أحسن الطرق وأفضلها ام كما كتب (الشيخ) ذلك براد به الأسهل في التعليم والذي يريد هو نفع الأمة وقد كان منذ عشرين سنين مؤلف كتب في الطب والطبيعة وغيرها من العلوم قياتي بها التلميذ فيستفيد منها أبوه وأمه ولا شيء من ذلك الآن لأن التعليم والتأليف باللغة الأجنبية فيجب أن يكون التعليم الوسط بلغة البلاد ويصح أن يكون في المدارس العالية باللغة الأجنبية

(الناظر) يترتب على هذا جعل التعليم ناقصا . وانتشار العلم في البيوت لا يكون بوجود الكتب في أيدي أفرادها اذ لا يفهم الكتاب الا من كانت عنده مبادئ العلوم وعند ما رأى أعضاء الجمعية ان الناظر يريد كلامه ويحتج « بضماناته » كما حدث نتيجة برحوب الخلاج بمجلس الشورى على قوانين التعليم قال حسن بلنسي « كذا ان أحسن ضمان هو إرسال قوانين التعليم لمجلس الشورى وأمر امرئ قيس بأخذ آراءه » فقرر بأغلب الآراء « طلب ذلك من الحكومة » ولا أدري هل كان في المخالفين أحد غير فاطر المعارف ؟ ان كان فاعلمه من بعض الموظفين الذين يرون موافقة الناظر تأييدا لحزب الحكومة وان كانت المصلحة واحدة والشورى من الحكومة أما الجواب الأول للناظر فقد أحسن الشيخ علي في قصده بقدر ما يجب له المجلس الرسمي وزوده ايضا بأن هذا التعليم الذي وصفه الناظر بأنه أنفع وأحسن وأفضل قد خالفت النظارة فيه ما اتفقت عليه الأمم الأوربية كلها وفي مقدمتهم الانكليز . ذلك أن التعليم الابتدائي في أوروبا لا يكون الا بلغة البلاد لأن حياة الأمة بانها

وتعلم لغة أخرى لاجل الزيد في العلم كتعلم الانكليزية الألمان هو من الكماليات التي يجب أن تكون بعد الضروريات . فهل وصل نظار مدارس ماربزا ومفتشوها — ان كان قانون التعليم برأيهم — الى ما لم يصل اليه فلاسفة اوربا وأساقفتها في علم التربية والتعليم ؟

فان قال الناظر اذا ثبت ان تعلم اللطيمات مثلاً أسهل باللغة الانكليزية منه باللغة العربية فكيف تنكب الطريق السهل ونسير في الخزوف الوعرة ؟ نقول له بعد التسليم : وهل تعدل عن الانكليزية الى التركية او البالية اذا ثبت عندك ان التعليم بها أسهل والتحصيل أقرب ؟ وانما قلنا أسهل وأقرب ولم نقل « أسهل » كما قال الناظر لأن الأنظمة لاشبه عليها الا اذا فسرنا بسهولة وقرب التحصيل اذ لا يمكن ان يقول عاقل اتى أسى بمحو لغة أمي واستبدال لغة أخرى بها لمنفعة من التلذذ وأي نفع في الدنيا يوازي ضرر اهلاك اللغة الأم التي هي من أقوى مقوماتها أو هي اقواها في نظر الأكثرين

وأما الجواب الثاني من أجوبة الناظر فأمثل ناقض له ما قلناه الجميلة من ترك المناقشة بالمكافأة والاصرار على ان الضمان على التعليم لا يكون للأمة الا برض قوانينه على مجلس الشورى والخزم بطلب ذلك من الحكومة . وماذا عسى أن يقال لمن يقول ان التعليم الابتدائي بلغة الأم يكون ناقصاً وجميع الأمم الحية عليه كأن الكمال لم يوجد الا في معارف مصر التي لا أثر لمعارفها بذكر بالنسبة الى سائر الامم . وماذا عسى أن يقال لمن يدعي أن انتشار الكتب العلمية في الأمة لا تأثير له في منفعة اليوت ورفق أفرادها ؟ أليس يحدث التلامذة في ميوتهم ومذاكرتهم في المسائل العلمية بأنهم بما يحيل الاصطلاحات العلمية مأثورة في اليوت لكثرة طروقها للمسامح : أليس الآباء والأمهات الذين تلقوا شيئاً من مبادئ العلوم وقضت عليهم شؤون العيشة بدم اتنام تعليمهم يتفقون بالكتب للؤلؤة اذا كانت بلغتهم ؟ بلى وانما نفود الى الكلام في قانون التعليم فنقول : ان في هذا القانون (البروجرام) عيوباً وتقصيراً نسرده ما يظهر لنا منها بالاختصار على ترتيب القانون وهو

(١) كون القرآن لا يدرس الا في السنين الأولى والثانية وكون الذي يقرأ منه جزأين فقط . والأمة ترغب في اقراء أولادها القرآن كله لما في قراءته من توفيق اللسان وتوحيده على الفصاحة في الطلق والاستقامة على الكتابة والحطابة ولكونه أصل الدين والوسيلة المعظمى لكمال من يهتبه . ولم نغن « الضمانات الخمس » عن

هذا النقص شيئاً »

(٣) كون تعاليم الدين والتهذيب في أثناء سنين فقط مع انه يجب أن يكون ذلك موزعاً على جميع السنين لأن الدين والتهذيب هما المقصود الأهم من التعليم ومن لم يتمكن منهما يكون خاسراً في حياته وان تعلم جميع الفنون الأخرى . ولم تكن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٣) كون الوقت المخصص لتعليم الدين والتهذيب مائة ساعة واحدة في الأسبوع مع ان اللغة الأجنبية التي تعلم من السنة الأولى الابتدائية الى آخر يوم من أيام التعليم المالي لها سبع ساعات في الأسبوع من السنتين الأوليين ، فالساعات المقررة في القانون لتعليم علوم الدين وعلم التهذيب ٣٦ ساعة في السنة و٧٢ ساعة في مدة الدراسة كلها وتقتال منها أيام الاعياد والموااسم ماقتتال . فائدة نحو مائة أيام وهي لا تكفي لتعليم الاكل . فهل تكفي ببركة « الضمانات الخمس » لمعرفة الله وما أوجبه على عباده من أصول الايمان وتنفيذ الاخلاق وكيفية العبادات مع التهذيب المدني الديوي الذي نوه به ذلك القانون . هذا اكبر عيب ونقص في نظام المعارف ولم تكن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٤) كون علم الدين لا شأن له في درجات ترقى لتلاميذه في الامتحان للمبرعها بالخبره فلو فرضنا ان تلميذاً بلغ في فهم الدين ومعرفة احكامه مبلغ الأئمة وكان مساوياً لآخر في سائر العلوم فان هذه المعرفة لارفعه عنه درجة واحدة فان زاد ذلك الآخر درجة واحدة في الحظ الافرنجي مثلاً فانه يرتفع بذلك ويتقدم على ذلك الامام الديني الجليل . ومن لاحظ ان اتلاميذه لا يجتهدون الا لأجل السبق في الامتحان وعلم ان تفهين لا مجال فيه لتسبق لأئمة لأدرجة فله علم ان للتفكير متمسكاً بعلم تفهين أو جاهله منزله ومكانته وهذا نقص فاحش في قانون التعليم ولم تكن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٥) كون المسائل التي يتدأ بها في تعليم الدين تملو على عقول المبتدئين وهي كافي الصفحة ١٢ من القانون « احتياج الانسان الى الدين — بيان الفوائد المترتبة على التمسك به — بيان انه ليس قاصراً على انواع العبادات بل هو مشتمل على مايلزم للانسان من المعاملات وغيرها ويرشده الى طريق الحجد والشرف في الدنيا والآخرة — أول ما أوجبه الدين — مايجب في حقه تعالى ومايستحيل ومايجوز — الحكمة في ارسال الرسل — مايجب في حقه عليهم الصلاة والسلام ومايستحيل ومايجوز —

نسب صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه وأمه .

ولاشك ان هذه المسائل يتوقف فهمها على معرفة الاحكام العقلية والالام بعلم الاجتماع فابتداء التعليم بها نقص . واذا فرضنا ان تلامذة السنة الثالثة الذين لم يكونوا تعلموا من الدين شيئاً مستعدون لفهم مقدمات هذه المسائل ثم لفهمها ثم فرضنا أنهم يعلمون المقدمات فمالقول يقدر المعلمون على تعليم ذلك كله مع علم التهذيب في ست وثلاثين ساعة وهو الوقت الممين لدرس هذه الاشياء كما تقدم ؟ اللهم ان هذا لا يستطيع ان يتصوره عاقل وانه لنقص فاحش وخطأ فاضح في قانون تعليم المعارف ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً

(٦) كون هذه المسائل غير محيطة بالمقائد الدينية فهناك مسائل أخرى تجب معرفتها وليس بهذه السنة تعليم المقائد وهذا نقص ضار متقد ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً آخر

(٧) كون الكتاب الذي تعلم به هذه المقائد وما معها ليس مؤلفاً على الوجه الذي يؤدي الى النفاة المذكورة في قانون اتمام قبل تلك المسائل التي ذكرناها ثم ان أثر تلك النفاة لم يظهر في تلامذة مدرسة من المدارس كلها أواجهم فنقول ان الممار على المعلمين في الوصول اليها وهذا اهمال عظيم ونقص محسوس ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً

(٨) كون قسم الاخلاق الدينية لا وجود له في تعليم مدارس الحكومة وهذا نقص عظيم ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً

(٩) كون علم الحلال والحرام . وما لا وجود له في التعليم الديني وهذا نقص قبيح والغاية من تعليم الدين لا تتم الا به ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً

(١٠) كون مسائل المبادات التي تدرس في السنة الرابعة غير كافية وغير مؤدية الى النفاة المطلوبة وكون الوقت المخصص لتعلم المبادات غير كاف وهذه أنواع من النقص والحلل حملناها واحدة لانه تقدم في قسم المقائد فغيرها . ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً . وقد طال الكلام في انتقاد تعليم القسم الديني ومن بين ثلثا خطأ في شيء من فائنا نرجع عنه لان قصدنا الاصلاح لا اظهار العيوب . وسنتكلم عن النقص في سائر الاقسام فيما يأتي ان شاء الله تعالى

أَنَا عَلِيٌّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

﴿ شهادة مفتي الديار المصرية لكتاب اسرار البلاغة ﴾

طلبنا من مولانا الأستاذ الامام مفتي الديار المصرية أن يكتب لنا رأيه في كتاب أسرار البلاغة الذي لاسمنا بارشاده فكتب حفظه الله ما يأتي :

اطاعت على كتاب. أ. رار البلاغة من تأليف الامام الجليل الشيخ عبد القاهر الجرجاني وسيت في ليله . وقرأته دوساً في الجامع الازهر . وقد وضعه مؤلفه في علم البيان والاستمارة والجاز وسلك المسلك الذي يوافق العقل البشري سلوكه في تصوير المعاني وتشخيصها على وجه تتأثر منه العقول بالأثر المطلوب من إبرازها لها . ولم أر كتاباً في هذا الفن لا يقلم متأخر ولا يقلم مقدم يقرب من هذا الكتاب في حسن الاسلوب وحيات المعنى ورواقه . ولقد كان كثرأ مخفياً لاتصل اليه يد الباحث حتى يقر الله لنا نسخة يث بها ليتأخذ أهل العلم من طرابلس الشام وكان فيها نقص ومحرّف فأرسلت أحد طلبة العلم الى الاستانة العلية ليقابلها على نسخة هناك ثم كتم تصحيحها أثناء الدرس فكان ظهور هذا الكتاب من نعم الله على المشتغلين بهذا الفن الجليل . وهو جدير بأن ينفع به الأستاذ وينطق منه التلميذ وترين به كل مكتبة في مشارق الارض ومغاربها

مفتي الديار المصرية

محمد عبده

﴿ دلائل الاعجاز ﴾

يبلغ قراء المتار ان الامام عبد القاهر الجرجاني قد أسس علمي البلاغة بكتابه المشهورين (أسرار البلاغة) الذي طبعناه وهو في فن البيان و (دلائل الاعجاز) الذي نطبعه وهو في فن المعاني . وانما سماه دلائل الاعجاز لأنه لا طريق الى معرفة كون القرآن الآن معجزاً ببلاغة (كما انه معجز بهدايته) الا بالقوانين التي وضعها في هذا الكتاب . وقد كتب رحمه الله تعالى مقالة أورسالة سهاها (المدخل في دلائل الاعجاز) وجعلها مقدمة له مينة لمرآته ، ودالة على مكانته ، ومصرحة بأنه هو الواضع للفن . وهي على اختصارها قد أشارت الى أصول قواعد النحو وقال بهد ذلك ان جميع

كلام العرب كان موافقاً لهذه القواعد فإذا قال معترض ما هذا الذي امتاز به القرآن حتى كان معجزاً ؟ نقول ان الجواب عن هذا السؤال هو كتاب دلائل الإعجاز لاجواب غيره . وأخي اذكر خاتمة كلامه في المدخل بتصنيفه مقسمة حتمه بها وهو « واذنا كان ذلك كذلك فما جوابنا لحصم يقول لنا : اذا كانت هذه الامور وهذه الوجوه من التعلق التي هي محصول النظم موجودة على حقائقها وعلى الصحة وكما ينبغي في متون كلام العرب ومنظومه ورأياتهم قد استعملوها وفهموها وتكلموا بمعرفة بها وكانت حقائق لا تبدل ولا يختلف بها الحال اذ لا يكون للاسم بكونه خبراً مبتداً أو صفة لموصوف أو حالاً لذي حال أو فاعلاً أو مفعولاً لفعل في كلام حقيقة هي خلاف حقيقته في كلام آخر . فما هذا الذي يحدد بالقرآن من عظيم المزية وباهر التفضل والحبوب من الرصف حتى أنجز الخلق قاطبة وحتى قهر من الباطن والقسماء بالقوى والقدر . وقيد الحواطر والفكر ، حتى خرس الشفايق ، (١) وعدم نطق الناطق ، وحتى لم يجر لسان ، ولم يُسَمِّ بيان ، ولم يساعد إمكان ، ولم يتدح لأحد منهم زبده ولم يمنح له جد ، وحتى أسأل الوادي عليهم عجزاً ، وأخذ منافذ القول عليهم أخذاً ؟ أليزمننا أن نجيب هذا الحصم عن سؤاله ، ونرده عن ضلاله ، وأن نطلب لهاده ، ونزيل الفساد عن رآيه ؟ (٢) فان كان ذلك يلزمننا فينبغي كسك ذي دين وعقل ان ينظر في الكتاب الذي وضعناه . (٣) ويستقصي التأمل لما أودعناه . فان علم انه الطريق إلى البيان ، والكشف عن الحجة والبرهان ، سمع الحق وأخذ به وأن رأى أن له طريقاً غيره أو أننا إليه ، ودنا عليه ، وهيات ذلك ، وهذه آيات في مثل ذلك ، اني أقول مقالاً لست أخفيه ولست أروم خصماً ان بدا فيه من سبيل اني اثبات معجزة في النظم ألا بما أصبحت عليه (٤)

(١) الشفايق ح شفقة بكسر الشين وهي لغة البير أو نحي كالرقة بخرجه البير من فيه اذا هاج . ويقال للفصح : هدرت شفايقه . يريدون الانطلاق في القول وقوة البيان ويقال في مقابل ذلك . خرس الشفايق (٢) الرأ هنا بمعنى الرأي كما قال ابن نباتة السعدي

يا أيها الملك الذي أخلاقه من خلقه ورواؤه من رآيه

(٣) يريد كتاب (دلائل الإعجاز) وهو صريح في كونه هو الواضع لعلم العاني

(٤) يريد نظم القرآن وأسلوبه وفي هذا البيت تصرع أيضاً بأنه هو الواضع لقن

فما نظم كلامك أنت نظمته
 اسم برى وهو أصل الكلام فما
 آخر هو بمعنك الزيادة في
 نظم ذلك ان الأصل مبتدأ
 وفاعل مستند فعل تقدمه
 هذا أص لأن لا تأنيك فائدة
 وما يزيدك من بدل التمام فما
 هذي قوائس كفى من تنمها
 قلت تأتي الى باب تعلمه
 هذا كذلك وإن كان الذين روى
 ثم الذي هو قصدي ان قال لهم
 تقول من أين أن لا نظم يشبهه
 وقد علمنا بأن النظم ليس سوى
 لو تعد الأربس الم غير ذلك له
 ما عاد الا يحسر في نطالبيه
 ونحن ما إن بنتا الفكر نظير في
 كانت حقائق باقى العلم مشتركا
 فليس معرفة من دون معرفة
 ترى تصرفهم في الكل مثلنا
 فما الذي زاد في هذا الذي عرفوا
 قولوا والا فاصفوا لا يان روا

مضى سوى حكم اعراب ترجمه (١)
 ثم من دونه قد انشبه
 ما أنت تشبه أو أنت تشبه
 تنق له خيرا من بعد ما يشبه
 اليه يركبته وحفا ويهبطه (٢)
 من منطق لم يكونا من مشابه
 سلطت فعلا عليه في تعديه
 ما يشبه البحر فضا من نواحيه
 الا انصرفت بمجاز عن نقضه (٣)
 يرون ان الذي داني الجانيه (٤)
 بما يجيب النقي خصا بمجاريه
 وليس من منطق في ذلك يحكيه
 حكم من النحو نفي في ترجمه (٥)
 معنى وصمد يملو في ترجمه (٦)
 ولا رأى غيري في تشبيهه (٧)
 أحكامه وزوي في مشابهه
 بها وكلا تراء فافدا فيه
 في كل ما أنت من باب تسميه
 بحرونة باقتدار في مجاريه
 حتى غدا المعجز يهيئ له
 كالصبيع مناجا في بين رايه

(١) ترجمه بالتمديد تدفعه برفق وتدوقه ومثله التخفيف (٢) يكسبه من الثلاثي
 ومنه الحديث «تكتب المدغم» (٣) التقصي التبع (٤) باغية طالبيه (٥) توخي
 الشيء تحريه وصمد طلبه (٦) صمد بالشد يد في كالاتي وهو هنا مقابل انتقيب في الارض
 الذي فيه معنى التفضل • ويقال صوب النظر وصمده اذا نظر في أسفل الشيء
 واعلامه • وعنى تقب بنفسه حافظا الحافض ولعله كان يراء قياسا للمسوع تعدي به في
 «فتقبوا في البلاد» (٧) تنهاه كاستعاه طلبه

وقد كان هذا الكتاب كدسي قبله كثيراً مخفياً فظفر الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده
بني الدار المصرية بنسخة منه وكان عند الأستاذ العلامة اللغوي الشيخ محمد محمود
الشنيطي نسخة أخرى وكلاهما كان محرراً ومبدلاً فلم الأستاذ الامام ان في المدينة
المنورة نسخة منه وفي بغداد أخرى فعمل على استساخهما وجمع الكتاب هو
والأستاذ الشنيطي بمقابلة النسخ الأربع فكان الكتاب الوحيد الذي اجتمع على
تصحيحه أعلم علماء العصر في المقول والمنقول

هذا وان هذا الكتاب أكبر من أسرار البلاغة حجماً ، وأغنى علماً ، فهو
يزيد عليه بنحو عشر ملازم وقد شرعنا بطبعه على ورق جيد وجعلنا قيمة الاشتراك
فيه مع ذلك كقيمة الاشتراك في أسرار البلاغة قرصاً بمجديوري الأذهار الذين سيكونون
أكثر الناس اشتراكاً فيه لأن الأستاذ الامام سيقراء درساً في الأذهار الشريف .
وسكون قيمته بعد تمام الطبع عشرين قرشاً أميراً من أراد الاشتراك فليدفع لنا
القيمة ويأخذ بها وصلاً بامضاءنا

بازار الحجة في الأذهار

في الاحتفال بتذكار محمد علي باشا

في يوم الأربعاء الماضي تم لتأسيس محمد علي باشا هذا الامارة في مصر مائة عام
عجري فاحتفل ديوان اوقاف بملتقى جامع الفلحة وتماثلت احتفال به مشيخة الأزهر
في الجامع الأزهر ومن بدع الزمان وغرائب الأيام أن يحتفل في بيوت الله تعالى بذكر
الأمرء والسلطين والطلمة من الحاكمين وهي البيوت التي اذن الله ان ترفع عن
الحفاظ الدينية ويذكر فيها اسمه وحده قرباً اليه وابتغاء مرضاته لا لذكر أمير
ميت ولا لمرضاة أمير حي . فلماذا تنفق اوقاف المسلمين على احياء البدعة ومخالفة السنة
ولماذا لا تكون أمثال هذه الاحتفالات في قصور التبعين كبايدين ورأس التين ؟ فحدد
علي لم يؤسس ديناً ولم يكن امام مذهب في دين وانما أسس ملكاً عضواً بنفسك
الدهاء والقوة والجبروت — هذا هو محمد علي في نظر الدين والحكمة في الاحتفال
بذكره والإشادة بحمده في بيوت الله تعالى دون بيوت الحكومة . يمر فيها جميع الناس

أما محمد علي في نظر التاريخ فهو من الرجال الماملين الذين لم ينظروا في
 لأن التاريخ سياسي أكثر مما هو ديني أو علمي وقد جرت العادة أن يتناقض
 للاسراء بمدحهم وودح سابقهم وجل ينالهم - ذات فاك ترى العالم الديني ال
 يحكم بكفر من يحكم بالقانون وظلمه ونسقه بقدر من وضع القانون باسمه وأحكام
 فيه بأمره فمدح الاسراء والاسلاطين وأنحاب الجاا أكثر، كذبت والسادح على الأمة
 وللتقند لمؤلاه أقرب الى المدل والاضاف وان احتمال ان يكون له هوى في بعض
 الاحوال واناقول في تاريخ محمد علي كلمة عادلة ترجو ان يتلقاها كل عاقل بالقبول وهي
 اذا ذكر الرجل بأعماله فامدح علي ثلاثة أعمال كبيرة وهي (١) تأسيس
 حكومة في بلاد مصر كانت مقدمة لدخول الأجانب فيها واحتلالهم لها. و (٢)
 محاربة الدولة العثمانية واطهار ضمها للبرية. و (٣) محاربة الرومانية وخضعت
 شوكتهم وإبطال امتداد دعوتهم. وكل عمل من هذه الاعمال محل نظر
 الناس من بعده له ومنهم من يمدح عليه وهم الاكثرون أو المحققون
 أما الاول فالكثيرون لاعماله يتوسمون فيه ماشاءوا لأن المجال واسع أمامهم
 فيذكروا ازالة دولة المماليك الظالمة الفاشية وهو عمل جليل ولكنهم يستدلون بذلك
 على ان دولته كانت عادلة وهذا غير صحيح فان حكومته كانت ظالمة منذ أسست الى ان
 تولى الاوربيون السيطرة عليها فكان الظلم يعل كلاكثروا والبقى يصف ككأ قوى
 فهو ذم ولكن الحسن في ازالة دولة المماليك من وجهين احدهما ان الظلم كان مشوشاً
 وحكومة محمد علي وابناء نظامه وكان متفرقا في حدة وكان غير محسوس
 وتأسيسها ان نتيجة هذا الظلم وهذه الوحدة هي تهديد السيل لدخول مدينة أوروبا في مصر
 والاعمال انما تمدح وتذم بذاتها وغاياتها والماملون انما يمدحون بحسن القصد والنية
 وبأمان الصل فاما محمد علي فقد آقن عمله ولكن قصده لا يمدح في نظر الدين ولا في
 نظر الفضيلة وانما يمدح في نظر منافع الحياة الدنيا وزينتها لأن سببه المصلحة بالدماء
 المحترمة تدل على انه لم يكن بقصد غير الملك وعظمته له ولذريته من بعده. وأما نتيجة
 عمله فهي كما قلنا دخول الأوربيين هذه البلاد ونشر مدتهم فيها وإلها سيطرهم عليها
 بالاحتلال الانكليزي فمن يرى ان هذا خير وسيلة لجراح البلاد وسعادتها فعليه ان
 يمدح عمل محمد علي. وأل يته مهاطلمو في الاموال والاعراض لأن الاصلاح الكبير،

لا يأتي الا بئال الثمن الكثير . ومن يقول . ان مدينة أوروبا سمر على البلاد . وان الاسلحة الانكليزية بلاد عليها ووال . فاجبكم على عمل تمدد علي وذريته بالإقتصاد ولا يحفظ له سوء الذكر الى يوم الناد .

وأما العمل الثاني وهو الخروج على الدولة العثمانية ومحاربتها وقهرها وإظهار ضعفها فلو سألت عنه أي مسلم في أي قطر لأجابك بأنه كان أضمر عمل عمله انسان على الاسلام والمسلمين لأنه في ذاته خروج والي على موليه وسلاطنه وتلك أكبر الحيليات . وأصبح الجنائيات . في الكرائم الالهية . وفي القوانين البشرية . وفي نتيجة اضماف وقهر لأقوى دولة اسلامية . في عصر قويت فيه الدول الأجنبية . فضعف بذلك الاسلام . ولم تهم لأهله قائمة بعد ذلك الى الآن . ولكنك لا تعدم ثلاثة تقارير ثلاثين من التلائمة للثيون المسلمين يتذر عن عماله أو بسده فضيلة ومحمدة . فاشد هؤلاء المدافعين أفا في الرأي وضاراً في النفس من يقول ان الدولة العلية لم تكن مريحة لاستقلاله . فكانت تدس الدسائس لزلزله . أي انه اتقم لنفسه من دوله . وحاربها لتحسين سلطته . ومن الناس من يقول ان تلك الحرب كانت بتواطؤ بين محمد علي ورجال الدولة العلية في الاستانة وأنهم هم الذين مكّنوا له في أرض مصر ليخرج على الدولة وأنه كان غرضهم الأخذ على يد السلطان محمود وتخفيف ساسته الاستبدادية ومنه من سنك الدماء . وعزل العمال والوزراء . بمجرد الهوى

وأما العمل الثالث وهو محاربة الوهابية فأكثر العامة أو كلهم يستقدون أنه كان خدمة للإسلام . كفرت عن محمد علي جميع الذنوب والآثام . أما الخواص فانهم يسمون ان الوهابية كانوا قائمين باصلاح الامم لئلا يلوئم لبلاد الاسلام مجده الأول وأن قائمين وسوا محمد علي بتجاربتهم هم أذا ورهبون الذين ينظرون الى غايات الأمور وعوأيها كما هو مصرح به في بعض توارخهم . وأما ما شاع في بلاد الشام والحجاز من ان الوهابية خارجون عن السنة وماحقون باهل البعدة فببعض المصنفات التي لفقها العلماء الرسميون المصانعون للحكام وهي ملوثة بالكاذب وانما مذهب القوم مذهب السلف في العقائد . مذهب الامام أحمد في الفروع ولهم تشديد عظيم على مخالف السنة . هذا هو اعتقاد الخواص وهم يقولون ان هذا العمل الثالث هو أكبر سيئات محمد علي وأنه به وبما سبقه كان أكبر بلاء على الاسلام والمسلمين في القرن الماضي

﴿ مكتوب عالم هندي من أركان النهضة الإسلامية ﴾

كتبه النا العلامة العامل . والسري الكامل . محسن الملك بهادر سيد

مهدي علي خان ناظم مدرسة العلوم (في على ١٢٨٠) وكان القلم السليم
حزماً ردة اليقظة أرسل اليه خطاباً في ١٢٨٠ ووجهها اليه من
فكتب اليه يقول بعد يوم الخطبة ما يلي :

« كانت ترد علينا في الاعوام الحالية تملكنكم الدولة وثمة تحركات
لا تزيد عليها وتستفيد من مقالها الضافة السامية الدينية الاسلاميه في الزمان
التكرات والبدع والتمائم الفاسدة التي انتشرت بين المسلمين انتشاراً عظيماً و
مالا حراماً من تالف الاذواق وتوارد الخواطر بيننا وبينكم فاذ انبأ قديراً
منذ عشرين عاماً في احوال المسلمين من يوم الغزاة التي تم قوا فيها حتى اضعوا كل ما كان
في أيديهم من العلوم والفنون والحكم والصنائع واتخذوا دينهم هرواً ولمّا قد جمعوا
كأنهم قوم لا يفلحون . فأخذنا ندعوهم الى الانباه من سلبهم الذي سبب استهزامهم
لا حيل تأخرهم عن الأفوام الذين كانوا شركاءهم في الوطنية بالمقاتلات الشهيرة في
الجرائد والمجلات . والخطبات والندوات والتأليفات ، فانهم لم يهتموا
على الأعمال النافعة كتحصيل العلم حسب موصفات الزمان وتعلم اللغة الأجنبية
(في الأصل اللسان) التي هي لغة حكماء الزمان مع الاقبال على تحصيل العلوم
الجديدة المفيدة ، والظفر في ثوبهم الاجتماعي . فوجههم اليه وادعائهم
في ادلائهم من كل الوجوه .

« ولكتنا قولاً مأسوساً ان جميع مؤلفاتنا ومصنفاتنا ورسائلنا
كلها في لغتنا الأوردية . (وفي الأصل لساننا) التي لا يفهمها في الغالب
والا كان يودي أن نرسل اليكم بعض مؤلفاتنا . أما الآن فاذ نرسل اليكم بعض
مؤلفاتنا وترسلوا لارسال مجلتيكم الغراء ولا تقطعوا عنا رسالتنا .

« وفي ثمة شاء جيلنا على غيركم الدنية ونفعكم بالاخبار في الامور الدينية
وارجاع مجدكم وحسنهم على أسباب التقدم المادية وثمة مبدعاً في الفنون
في مجلتيكم من المقالات القديمة الجديدة حد الانحجار المطبوعة يدوي . فاذ نرسل
تفرون ما يناسب ذوقكم من الكتب لأن ما وجدتموه في تلكم المطالعة فلا بد من
انه يلزمي أيضاً . فالرجاء أن ترسلوا الينا من أمثال تلك الكتب منها . مصنفات
ومصنفات حضرة الاساتذ الشيخ محمد عبده المصري صاحب رسالة التوحيد وغير ذلك من
الكتب المفيدة . الخ فتشكر لهذا الاستاذ حسن ظنه ونسأل الله ان يوفقنا جميعاً لما نراه



فمن يهادي الذين يستمعون القول
فيستمعون أحسن وأجمل من كلامهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المحكمة

١٣١٥

بأنها محكمة من بياض ومن يوثق
الحكمة فقد أوتي خبراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصرفى يوم السبت غرة ربيع الأول سنة ١٣٢٥ - ٧ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٢)

باب أخبار النبوة وآثار السلف الصالحين

نشر في هذا الباب ما يعرف بالمسؤول أصل مدانيهم ومنشأ سعادتهم التي ذهب بركه

في القضاء في الإسلام - النبرة الرابعة ما به القضاء

(تجدد) أركان القضاء وأصول الحكم في الإسلام أربعة الكتاب
العزيز والسنة المتبعة والاجتهاد في الرأي والمشاورة في الأمر وإنها الأركان
عظيمة ، وأصول قوية ، والأساس الذي بنيت عليه هذه الأركان « درء

المناسد وجلب المصالح والمنافع » ولهذا كان الاجتهاد شرطاً في القاضي لوجوب تطبيق الاحكام على المنفعة في كل زمان ومكان بحسبه . فمن يدعى انه وجد في أمة من الأمم أساس أثبت من هذا الأساس وأركان أقوى من هذه الأركان فليدنا على ذلك والا فليدعن لنا الناس بأن شريعتنا خير الشرائع وأساس العمران ولا يحتج علينا بسوء حال قومنا الذين ما رعوها حق رعايتها في زمان ولا مكان . أما الاخبار والآثار الدالة على ما ادعيناه فهذا بعضها

(الحديث ٢٥) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال له لما بعثه الى اليمن : « كيف تقضي ؟ » قال أقضي بكتاب الله قال « فإن لم تجد في كتاب الله » قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فإن لم تجد في سنة رسول الله » قال أجتهد رأيي وبلا آلو (أي لا أقصر) قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدره وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضى به رسول الله » . فهذا دليل على ان القاضي مفوض اليه تحري الحق في القضية والاجتهاد لاستبانة المدل المطلوب في الكتاب والسنة وذلك بعد اختياره من أهل الكفاءة الذين استوفوا الشروط التي نوهنا بها من قبل وقد اتبع هذه الطريقة الانكليز في هذا المصرف العمدة عندهم في الاحكام اجتهاد القاضي العادل (ح ٢٦) عن عمرو بن العاص وأبي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « اذا اجتهد الحاكم فإخطأ فله أجر وان أصاب فله أجران »

(٢٥) رواه ابو داود والترمذي والدارمي (٢٦) رواه البخاري ومسلم . وكذا الحاكم والدارقطني واحمد بالفاظ اخرى

والذي يصيبه الحاكم أو يخصه هو الحق وإصابة الحق هي العدل ومتى تحرى الحاكم العدل ولم يتعمد الميل الى أحد الخصمين يظهر له الحق في الغالب فإذا تعمد الجور اختلط عليه الامر وكان مخذولاً في الدنيا والآخرة . يدل على ذلك الحديث الآتي وهو

(ح ٢٧) عن وثالة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « مامن مسلم ولي من أمر المسلمين شيئاً الا بعث الله اليه ملكين يستدانه ما نوى الحق فاذا نوى الجور على عمد وكلاه الى نفسه » . ويظهر من النصوص الواردة في الحق والعدل ان مراد الشرع منهما هو ما يعرفه الناس بالقطرة السليمة والمثل وإنما شرعت الأحكام ووضعت القواعد تهدي الحاكم الى طريق الوصول الى الحق الذي يتعمد الظالمون اخفاءه

(ح ٢٨) عن علي كرم الله وجهه قال قلت يا رسول الله اذا بتمتني في شيء أكون كالسكة المحماة أم الشاهد يرى ما لا يراه النائب ؟ قال « بل الشاهد يرى ما لا يراه النائب » وهذا دليل على ان مراعاة المصالح والمنافع هي الأصل في القضاء لأن الأحكام القضائية ليست من الأمور التبعية وإنما هي وسائل لمعرفة الحقوق وإعطاء كل ذي حق حقه ولذلك لا يحل لمن حكم له بشيء يعلم انه ليس له أن يأخذه وان كان القاضي هو الرسول عليه الصلاة والسلام كما يعلم من الحديث الآتي وهو

(٢٧) رواد الطبراني ورواه البيهقي بلفظ آخر بمعناه من حديث ابن عباس وضعفوه ورواه البزار بلفظ آخر وفي سنده منتهى (٢٨) رواد احمد والبخاري في التاريخ والدورقي وابو نعيم في الحلية وابن عساكر وابن منصور

(ح ٢٩) عن أم سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي بغيري مما سمع فن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار ، والألحن بالحجة هو الأبلغ قولاً والأفصح عبارة . وبقي من أركان الحكم المشاورة ولا أعرف فيها حديثاً مرفوعاً يتعلق بالتمضاء وحسبنا الامر العام بها في القرآن وستأتي شواهداها في آثار السلف

(ح ٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو يخطئ الناس بدعوائهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن الميمن على المدعي عليه » قال النووي في شرح مسلم : وفي رواية البيهقي باسناد حسن أو صحيح زيادة عن ابن عباس مرفوعاً « ليسكن البيئته على المدعي والميمن على من أنكر »

(ح ٣١) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « البيئته على المدعي والميمن على المدعى عليه »

(ح ٣٢) عن وائل بن حجر قال : جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة الى النبي (ص) فقال الحضرمي : يا رسول الله ان هذا قد غلبني على أرض كانت لأبي . قال الكندي هي أرض في يدي أزرعها لبس له فيها حق فقال النبي (ص) للحضرمي « ألك بيئة ؟ » قال لا . قال « فلك يمينه » . فقال يا رسول الله الرجل فاجر لا يبالي على ما تلف عليه فقال رسول الله (ص) لما أدبر الرجل « أما لئن حلف على مال لياكله ظلياً »

(٢٩) رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن الأربعة (٣٠) رواه أحمد ومسلم

(٣١) رواه الترمذي (٣٢) رواه مسلم والترمذي وصححه

ليقين الله وهو عنه معرض »

قال الامام الحافظ الفقيه ابن القيم الجوزية في كتابه (إعلام الموقعين)
 مانصه : البينة في كلام الله ورسوله وكلام الصحابة اسم لكل ما يبين الحق
 فهي أهم من البينة في اصطلاح الفقهاء حيث خصوصها بالشاهدين أو الشاهد
 واليمين . ولا حجر في الاصطلاح ما لم يتضمن حمل كلام الله ورسوله عليه
 فيقع بذلك الناطق في فهم النصوص . ونذكر من ذلك مثالا واحدا وهو ما نحن
 فيه - لفظ البينة - قالها في كتاب الله اسم لكل ما يبين الحق كما قال تعالى
 « اقمنا رسلنا بالبينات » وقال « وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم
 فاستأثروا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات » وقال « وما تفرق الذين
 أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة » وقال « قل اني على بينة من
 ربي » وقال « أفمن كان على بينة من ربه » وقال « أم آتيناكم كتابا فهم على
 بينات منه » (١) وقال : « أولم تأتوهم بينة ما في الصحف الأولى » وهذا
 كثير لم يتخص به لفظ البينة بالشاهدين بل ولا استعمل في الكتاب فيها البينة
 اذا عرف هذا فقول النبي صلى الله عليه وسلم للمدعي « ألك بينة »
 وقول عمر : البينة على المدعي . - وان كان هذا قد روي مرفوعا -
 المراد به أنك ما يبين الحق من شهود أو دلالة ؛ فان الشارع في
 جميع المواضع يقتضيه ظهور الحق بما يمكن ظهوره به من البينات التي هي
 أدلة عليه وشواهد له ولا يرد حقا قد ظير بدليله أبدا فيضيع حقوق
 الله وعباده ويعملها . ولا يقف ظهور الحق على أمر ممين لا فائدة في
 تخصيصه به مع مساواة غيره في ظهور الحق أو رجحانه عليه ترجيحاً

(١) قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر (بينات) والباقر (بينة)

لا يمكن جحدده ودفعه كترجيح شاهد الحال على مجرد اليد في صورة من على رأسه عمامة ويده عمامة وآخر مكشوف الرأس يدو أثره ولا عادة له بكشف رأسه . فيينة الحال ودلالته هنا تفيد من ظهور صدق المدعي أضعاف ما يفيد مجرد اليد عند كل أحد فالشارع لا يهمل مثل هذه البيئة والدلالة ويضيق حقايلهم كل أحد ظهوره وحجته . بل لما ظن هذا من ظنه ضيعوا طريق الحكم فضاع كثير من الحقوق لتوقف ثبوتها عندهم على طريق ميين وصار الظالم الفاجر ممكناً من ظلمه وجفوره فيفعل ما يريد ويقول لا يقوم علي بذلك شامدات اثنان . فضاعت حقوق كثيرة لله ولعباده وحيثما أخرج الله أمر الحكم العام عن أيديهم وأدخل فيه من أمر الامارة والسياسة ما يحفظ به الحق تارة ويضيع به أخرى ويحصل به المدوان تارة والعدل أخرى ولو عرف ما جاء به الرسول على وجهه لكان فيه تمام المصلحة المغنية عن التفريط والمدوان

« وقد ذكر الله سبحانه نصاب الشهادة في القرآن في خمسة مواضع فذكر نصاب شهادة الزنا أربعة في سورة النساء وسورة النور . واما في غير الزنا فذكر شهادة الرجلين والرجل والمرأتين في الاموال فقال في آية الدين « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان » فهذا في الحمل والوثيقة التي يحفظ بها صاحب المال حقها في طريق الحكم وما يحكم به الحاكم فان هذا شيء وهذا شيء . وأمر في الرجة بشاهدين عدلين وأمر في الشهادة على الوصية في السفر باستشهاد عداين من المسلمين أو آخرين من غيرهم وغير المؤمنين هم الكفار والآية صريحة في قبول شهادة الكافرين على وصية (المسلم) في السفر عند عدم

الشاهدين المسلمين وقد حكم به النبي صلى الله عليه وسلم والصحابه بعده ولم يجبيء بعدها ما ينسخها فان المائدة من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ وليس لهذه الآية معارض البتة ولا يصح أن يكون المراد بقوله «من غيركم» من غير قبيلتكم فان الله سبحانه خاطب بها المؤمنين كافة بقوله «يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم» ولم يخاطب بذلك قبيلة معينة حتى يكون قوله «من غيركم» أيها القبيلة . والنبي صلى الله عليه وسلم لم يفهم هذان الآية بل إنما فهم منها ما هي صريحة فيه وكذلك أصحابه من بعده «وهو سبحانه ذكر ما يحفظ به الحقوق من الشهود ولم يذكر ان الحكم لا يحكمون الا بذلك . فليس في القرآن في الحكم بشاهد وعين ولا بالتكول ولا باليمين المردودة ولا بإيمان التمساة ولا بإيمان الامان وغير ذلك مما يبين الحق ويظهره ويدل عليه . اه المراد منه وذكر بديه ما تفقوا عليه من الشهادات وما اختلفوا فيه

آثار السلف . عبرة للخلف

فضاء الخلفيتين (١) روى الدارمي والبيهقي عن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر اذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما يقضي به قضى به بينهم وان لم يجد في كتاب الله نظر هل كانت من النبي صلى الله عليه وسلم فيه سنة فان علمها قضى بها فان لم يعلم خرج فسأل المسلمين فقال أنا في كذا وكذا فظفرت في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجده في ذلك شيئاً فهل تعلمون ان النبي (ص) قضى في ذلك بقضاء

فربما قام اليه الزهط فقالوا نعم قضى فيه بكذا وكذا فيأخذ بقضاء رسول الله (ص) ويقول عند ذلك : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نينا وإن أعياء ذلك دعا رؤس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به . وإن عمر بن الخطاب كان يفعل ذلك فإن أعياء أن يجدي القرآن أو السنة شيئاً دعا رؤس المسلمين وعلماءهم واستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى بينهم . وإنا كنا كان يرجع الى أقضية أبي بكر لأنها مبنية على ما ذكر فربما ذكرته بدليل كان عنه ذاهلاً . ولينظر في سؤال مثل أبي بكر رضي الله عنه عن قضاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكون الصحابة كانوا يخبرونه بما لا يعرفه منها فانه حجة على الجماعين الذين كانوا يزعمون أن مقلديهم كانوا محيطين بالسنة لا يغيب عنهم منها شيء . وقد ورد بمعنى هذا الأثر آثار أخرى . وفي المحاكم لأن ضرب عن المشاركة (٢) روي البيهقي عن ابن سيرين انه قال : إن كان عمر بن الخطاب يستشير في الأمر حتى إن كان يستشير المرأة فربما أبصر في قولها الشيء يستحسنه فيأخذ به . « وفي هذا الأثر من الفقه تكريم النساء ومشاركتهم للرجال في الرأي حتى في الأمور العامة وهذا مما يرفع نفوسهن التي كانت قبل الاسلام مهضومة . وما روى عنه من انه قال : خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة فمعناه لا تتبعوا أهواءهن على ان سنده ضيف

كتاب عمر في القضاء (٣) روي الدارقطني والبيهقي وابن عساكر عن أبي العوام البصري قال كتب عمر الى أبي موسى الاشعري : « أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم أذ أدلي اليك ^(١) فانه لا ينفع تكلم

(١) أدلي اليك أي تخصم اليك وقال ابن القيم أي ما توصل به اليك من الكلام

بحق لانتفاذه. آس^(٢) بين الناس في وجهك ومجاهدك وقضائك، حتى لا يضيع
شريف في حيفك ولا يئأس ضعيف من عدلك. البينة على المدعي واليمين
على من أنكر. والصالح جائز بين المسلمين إلا صالحاً أحل حراماً أو حرم
حلالاً. ومن ادعى حقاً غائباً أو بينة فاضرب له أمداً ينهي اليه فإن يئس^(٣)
أعطيته بحقه وإن أعجزه ذلك استحللت عليه القضية فإن ذاك بلغ في المذر
وأجل للعمى^(٤) ولا يمنعك قضاء قضيت فيه^(٥) اليوم فراحت منه رأيك^(٦)
وهديث فيه^(٧) لرشدك أن تراجع فيه الحق^(٨) فإن الحق قد سمع لا يخطئه^(٩)
شيء وصراجعة الحق خير من التمادي في الباطل^(١٠) والمسلون عدول
بعضهم على بعض^(١١) إلا مجرباً عليه شهادة زور أو مجلوداً في حد أو ظليماً في
ولاء أو قربة^(١٢) فإن الله تعالى تولى من العباد السرأثر وستر عليهم الحدود
إلا بالبيئات والأيمان. ثم القهم القهم فيما أدلى اليك مما ورد عليك^(١٣) مما
ليس في قرآن ولا سنة. ثم فائس الأمور عند ذلك وأعرف الأمثال^(١٤)
ثم أعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق. وإياك والنضب والفاق

الذي تحكم به بين الخصوم. وفي نسخة كثر العمال إذا أدى اليك ولعلها تحريف
(٢) في نسخة كثر العمال (وآس) والمعنى ان يئس (٣) في نسخة كثر العمال
« فإن جاء بينة » (٤) في الكنز (وأحلى) وذكر في نسخة في هامش اعلام
الموقعين وهي تحريف كما حرف فيه لفظ لعمى فكتاب (الاعلاء) (٥) في الكنز
(قضيت) (٦) في الكنز (لرأيك) (٧) في الكنز (إن تراجع الحق) (٨) في
الكنز (لا يخطئ الحق) (٩) الجملة في الكنز (١٠) عطف (١١) في الكنز زيادة
(في الشهادة) (١٢) المستثنيات في (كثرة) كثر مرفوعة والظنين المقيم في شهادته
للقراءة أو الولاء (١٣) في الكنز (أدلى اليك) (١٤) في الكنز زيادة لفظ (والاعلاء)
وليس المراد أنه يقيس على كلام غيره وإنما ميزان القياس ما ذكره بعد

والضجر والتأذي بالناس والتنكر عند الخصومة أو الخدم (شك أبو عبيد)
فإن القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر^(١١)
فمن خلصت نيته^(١٢) في الحق ولو على نفسه كرهه الله ما بينه وبين الناس .
ومن تزين لهم بما ليس في نفسه شأنه الله^(١٣) فإن الله تعالى لا يقبل من
من العباد إلا من كان خالصاً . فإظنك بثواب عند الله^(١٤) في عاجل رزقه
وخزائن رحمته . والسلام عليك ورحمة الله^(١٥) »

قال ابن القيم بعدما أورد هذا الكتاب في إعلام الموقعين : « وهذا
كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة والحاكم
والمنقذ أحوج شيء إليه وإلى تأمله والتفقه فيه » ثم شرحه شرحاً مطولاً .
وقد اعتمدنا في نصه هنا على نسخة إعلام الموقعين لأننا رأيناها أصح
وذكرنا ما وجدناه من الاختلاف بينها وبين نسخة « كنز العمال » في
المهاشم وليس فيه شيء جوهري .

القسم العمومي

﴿ آثار محمد علي في مصر ﴾

لفظ الناس هذه الأيام في محمد علي وماله من الآثار في مصر
وأهلها وأكثرت الجرائد من الخوض في ذلك والله أعلم ماذا بعث المادح
على الأطراء ، وماذا حمل القادح على الهجاء ، غير أنه لم يبحث باحث في
حالة مصر التي وجدها عليها محمد علي وما كانت تصير بالبلاد إليه لوبقيت

(١٤) في الكنز (ويحسن له الذخر) (١٥) في الكنز (نفسه) (١٦) - سقط لفظ الجلالة من
نسخة الكنز (١٧) في الكنز (وما ظنك بثواب الله) (١٨) آخر الرواية في الكنز (والسلام)

وما نشأ عن محوها واستبدال غيرها بها على يد محمد علي . اذكر الآن شيئاً في ذلك ينتفع به من عساده ينتفع ، ويندفع به من الوهم ما ربما يندفع ، كانت حكومة البلاد المصرية قبل دخول الجيش الفرنسي فيها من أنواع الحكومات التي كانت تسمى في اصطلاح الفرنسيين حكومات الاشراف وتسمى في عرف المصريين حكومات الالتزام وتعرف عند الخاصة بحكومات الأقطاع . وأساس هذا النوع من الحكومة تقسيم البلاد بين جماعة من الامراء يملك كل أمير منهم قسماً يتصرف في أرضه وقوى ساكنيها وأبدانهم وأموالهم كما يريد فهو حاكمهم السياسي والاداري والقضائي وسيدهم المالك لرقابهم . ومن طبيعة هذا النوع من الحكومة أن تموفيه الأثرة وتغلظ فيه أصول الاستبداد تتوفاوته وتترفع نفس كل أمير الى توسيع دائرة ملكه بالاستيلاء على ما في يد جاره من الامراء . فكان من مقتضى الطبيعة ان كل أمير لا يملك عن التدبير والتفكير فيما تعظم فيه شوكته ، وما يدفع به عن حوزته ، وان يكون الجميع دائماً في استمداد إما للوثوب وإما للدفاع . ولكن الامراء في مجموعهم كانوا يقاومون سلطة الملوك فيضطر الملك لاستماتهم ومحاباة بعضهم للاستعانة به على البعض الآخر فضعف بذلك استبداد الملوك فيهم حاجة الامراء الى المال كانت تسوقهم الى ظلم رعاياهم وكانت شدة الظلم تميل برعاياهم الى خذلانهم عند هجوم العدو عليهم . ظهر ذلك في خصوماتهم المرة بعد المرة فاضطر الامراء أن يخفوا من ظلمهم وان يتخذوا لهم من الاهلين أنصاراً يضبطونهم عند قيام الحرب بينهم وبين خصومهم . أحسن الاهلون بحاجة الامراء اليهم فزادوا في الدالة على

الامراء واضطروهم الى قبول مطالبهم فعمظت قوة الارادة عند أولئك الذين كانوا عبيداً بمقتضى الحكومة وانتهى بهم الأمر ان قيّدوا الامراء والملوك معاً ولم يكن ذلك في يوم أو عام ولكنه كان في عدة قرون كما هو معروف عند أهل المعرفة

نعم كانت الحكومة في مصر على نوع تخالف به جميع الحكومات المشرقية وكانت البلاد متوزعة بين عدة أمراء كل منهم يستقل قسماً منها ويتصرف فيه كما يشاء وكان كل يطلب من القوة ما يسمح له بمدة يده الى ما في يد الآخر أو يدفع به صواته فانخصام كان ذاهبهم والحرب كانت أهم عملهم . لذلك كان كل منهم يستكثر من المال كما استطاع ليُمَدّ منهم جنده ولكن كانت تُعوزُهُ مؤثنتهم اذا كثروا فاضطروا الى اتخاذ اعوان من أهالي البلاد فوجدوا من العرب أحزاباً كما وجدوا منهم خصوماً . ثم رجعوا الى سكان القرى فوجدوا فيهم ما يحتاجون اليه فاتخذوا بيوتاً منها أنصاراً لهم ضد الحاجة وعرف هؤلاء حاجة الامراء اليهم فارتفعوا في أعينهم وصار لهم من الامراء مثل ما لهم أو ما يقرب من ذلك . لهذا كنت ترى في البلاد المصرية بيوتاً كبيرة لها رؤساء يعظم نفوذهم ويعلموا جاههم ذلك كان يقضي على كل أمير من أولئك الامراء أن يصرف زمنه

في التدبير : واستجلاب النصير ، وإعداد ما يستطيع من قوة لحفظ ما في يده والتمسك من إخضاع غيره ، أنصاره من الأهالي كانوا يجارونه في ذلك خوفاً من تعدي أعوان خصمه عليهم فوقمت القسمة بين الأهالي ولا تزال أسماء الأقسام معروفة الى اليوم — سمد وحرام . هذا يحدث بطبعه في النفوس شتماً وفي الزرائم قوة ويكسب القوى البدنية والمعنوية

حياة حقيقية مهما اختفرت نوعها . فكانت العناصر جميعها في استعداد لأن
يتكوّن منها جسم حيّ واحد يحفظ كونه ويعرف العالم بمكانته

جاء الجيش الفرنسي والبلاد في هذه الحالة . دخل البلاد بسهولة
لم يكن يظفروا . احتل عاصمتها واستقر له السلطان فيها . لم تكن الا أيام
قليل ، حتى ظهر فيه القلق وعظمت حوله التلاقل ، أخذت القوى الحيوية
السكّانة في البلاد تظهر فكثرت الذنن ولم تقطع الحروب والمناوشات ولم
يهدأ رؤساء المساكر بال . يدلّك على ذلك شكوى نابليون نفسه في
تقريره الى كان يرسلها الى حكومة الجمهورية من اصطفايدالمربان لعساكره
من كل طريق ، وسلبهم أرواحهم بكل سبيل ، واضطر نابليون أن يسير
في حكومة البلاد بمشورة أهلها وانتخب من أعيانها من يشركه في الرأي
لديبرها طوعاً لحكم العليسية التي وجدها

قتل بعض رؤساء الجيش واضطربت عليه البلاد وجاء الجيش العثماني
وعاونه الجيش الانكليزي وخرجت عساكر الفرنسيين من مصر ولا
أطبل الكلام فقد ظهر محمد علي بالوسائل التي هيأها له التقدر

ما الذي كانت تظفاره البلاد من نوع حكومتها ؟ كانت تنظر ان
بشرق نور مدينة يضيء لرؤساء الاحزاب طارقيهم في سيرهم بلوغ آمالهم
وقد كان ذلك يكون لو أمهاتهم الزمان حتى يعرف كل منهم ما بلغ به غيره
الغاية التي كان يقصدها في بلاد غير بلاده . وما كان بينهم وبين ذلك الا
أن يخططوا بأهل البلاد الغربية ويرفع الحجاب الذي أسدله الجهل دونهم .
أو كانت تنظر ان يأتي أمير عالم بصير فيضم تلك العناصر الحية بعضها الى
بعض ويؤلف منها أمة يحكمها حكومة منها ويأخذ في تقوية مصباح

العلم بينها حتى ترتقى بحكم التدرج الطبيعي وتبلغ ما أعدته لها تلك الحياة الأولى
 ما الذي صنع محمد علي؟ لم يستطع أن يحى ولكن استطاع أن يمتد.
 كان معظم قوة الجيش معه وكان صاحب حيلة بمقتضى القطرة فأخذ
 يستعين بالجيش وبمن يستميله من الأحزاب على إعدام كل رأس من
 خصومه ثم يعود بقوة الجيش وبمخزب آخر على من كان معه أولاً وأعانته
 على الحسم الزائل فيمحقه وهكذا حتى إذا سحقت الأحزاب القوية وجهه
 عنايته إلى رؤساء البوت الرفيعة فلم يدع منها رأساً يستتر فيه ضمير (أنا)
 واتخذ من المحافظة على الأمن سبيلاً لجمع السلاح من الأهابين وتكرر
 ذلك منه مراراً حتى فسد بأس الاهالي وزالت ملكة الشجاعة منهم وأجوز
 على ما بقي في البلاد من حياة في أنفس بعض أفرادها فلم يبق في البلاد رأساً
 يبرف نفسه حتى خلعه من بدنه أو نفاذ مع بقية بلده إلى السودان فهلك فيه
 أخذ يرفع الأسافل ويعلمهم في البلاد والقرى كأنه كان يحسن لشبهه
 فيه ورثه عن أصله الكريم حتى انحط الكرام وساد اللثام ولم يبق في
 البلاد إلا آلات له يستعملها في جباية الاموال وجمع العساكر بآية طريقة
 وعلى أي وجه فحق بذلك جميع عناصر الحياة الطيبة من رأي وعزيمة
 واستقلال نفس ليصير البلاد المصرية جميعها أقطاعاً واحداً له ولأولاده
 على أثر اقطاعات كثيرة كانت لامراء عدة

ماذا صنع بعد ذلك؟ اشرأبت نفسه لأن يكون ملكاً غير تابع
 للسلطان العثماني فجعل من المدة لذلك أن يستعين بالأجانب من الأوربيين
 فأوسع لهم في المجاملة وزاد لهم في الامتياز خارجاً عن حدود المعاهدات
 المنعقدة بينهم وبين الدولة العثمانية حتى صار كل صعلوك منهم لا يملك

قوت يومه ملكا من الملوك في بلادنا يفعل ما يشاء ولا يُسأل عما يفعل .
وصغرت نفوس الأهالي بين أيدي الأجانب بقوة الحاكم وتمتع الأجنبي
بمحقوق الوطني التي حرم منها وانقلب الوطني غريباً في داره، غير مطمئن
في قراره، فاجتمع على سكان البلاد المصرية ذلآن — ذل ضريبة الحكومة
الاستبدادية المطلقة وذلّ ساءهم الأجنبي إياه ليصل الى ما يريد من
غير واقف عند حد أو مردود الى شريعة

قالوا : انه اطلع نجم العلم في سماء البلاد . نعم غني بالطب لاجل
الجيش والكشف على الحنجي عليهم في بعض الاحيان عند ما يراد ايقاع
الظلم بمتهم . وبالهندسة لأجل الري حتى يدبر مياه النيل بعض التدبير ،
ليستغل أقطاعه الكبير ،

هل تفكر يوماً في إصلاح اللغة عربية أو تركية أو أرثودية ؟ هل
تفكر في بناء التربية على قاعدة من الدين أو الأدب ؟ هل خطر في باله
أن يجعل للاهالي رأياً في الحكومة في عاصمة البلاد أو أمهات الاقاليم ؟
هل توجهت نفسه لوضع حكومة قانونية منظمة يقام بها الشرع ويستقر
العدل ؟ لم يكن شيء من ذلك بل كان رجال الحكومة إيمان من الارثود
أو الجراكسة أو الأرمن المورلية أو ما أشبه هذه الاوشاب وهم الذين
يسمهم بعض الأحداث من أنصاره اليوم دخلاء ، وكانوا يحكمون بما
يهوون لا يرجعون الى شريعة ولا قانون وإنما يفتنون مرضاة الامير ،
صاحب الاقطاع الكبير

أين البيوت المصرية التي أقيمت في عهده على قواعد التربية الحسنة
أين البيوت المصرية التي كانت لها القدم السابقة في ادارة حكومة أو سياستها أو

سياسة جذدها مع كثرة ما كان في مصر من البيوت الرقيقة المأدبة والثابتة الاوتاد، أرسل جماعة من طلاب العلم الى اورنا ليتعلموا فيها . فهل أطلق لهم الحرية أن يثبوا في البلاد ما استقدوا ؟ كلا ولكنه استعملهم آلات تصنع له ما يريد وليس لها ارادة فيما تصنع . ووجد بعض الأطباء الممتازين وهم قليل ، ووجد بعض المهندسين الماهرين وليسوا بكثير ، والسبب في ذلك ان محمد علي ومن معه لم يكن فيهم طبيب ولا مهندس فاحتاجوا الى بعض المصريين ولم يكن أحد من الأعوان مسلطاً على المهندس عند رسم ما يلزم له من الأعمال ولا على الطبيب عند تركيب أجزاء العلاج فظهر أثر استقلال الارادة في الصناعة عند أولئك النفر القليل من النابضين ، وكان ذلك مما لا تخشى عاقبته على المستعبدين

هل كانت له مدرسة لتعليم الفنون الحربية ؟ أين هي وأين الذين ينمو من طلابها ؟ فان وجد أحداً فبغ فهل هو من المصريين ؟ عدوا ان شئتم أحياء أو أمواتا . ووجد كثير من الكتب المترجمة في فنون شتى من التاريخ والفلسفة والأدب ولكن هذه الكتب أردعت في المخازن من يوم طبعت وغالقت عليها الأبواب الى أواخر عهد اسماعيل باشا فأرادت الحكومة تفرغ المخازن منها . وتخفيف ثقلها عنها ، ففترتها بين الناس فتناول منها من تناول . وهذا يدلنا على انها ترجت برغبة بعض الرؤساء من الأوربيين الذين أرادوا نشر آدابهم في البلاد لكنهم لم ينجحوا لأن حكومة محمد علي لم توحيد في البلاد قراء ولا متفهمين بتلك الكتب والفنون

كانوا يخطفون تلاميذ المدارس من الطرق واقفاء القرى (الأقفاء الناس المجوهولون) كما يخطفون عساكر الجيش فهل هذا مما يحبب القوم في السلم ويرغبهم في ارسال أولادهم الى المدارس ؟ لا بل كان يخوفهم من المدرسة كما كان يخيفهم من الجيش . حمل الأهالي على الزراعة ولكن يأخذ الغلات ولذلك كانوا يهربون من ملك الأتبان كما يهرب غيرهم من الهواء الاصفر ، والموت الأحمر ، وقوانين الحكومة لذلك العهد تشهد بذلك

يقولون انه أشأ المعامل والمصانع ؟ ولكن هل حبب الى المصريين المسجل

والصناعة حتى يستبقوا تلك المعامل من أنفسهم ؟ وهل أوجد أساندة يحفظون علوم الصناعة وينشرونها في البلاد ؟ أين هم ؟ ومن كانوا ؟ وأين آثارهم ؟ لا بل بَقِصَ الى المصريين العمل والصناعة بتسخيرهم في العمل والاستبداد بثمرته فكانوا يتربصون يوماً لا يعاقبون فيه على هجر العمل والمصنع لينصرفوا عنه سائحين عليه ، لا عنيين الساعة التي جاءت بهم اليه ،

يقولون انه أنشأ جيشاً كبيراً فتح به الممالك ودوخ به الملوك ، وأشأ الأسطولا ضحماً ثقل به ظهور البحار ، وتفتخر به مصر على سائر الامصار . فهل علم المصريين حب التجند وأنشأ فيهم الرغبة في الفتح والغلب وحب اليهم الخدمة في الجندية وعلمهم الاقتضار بها ؟ لا بل علمهم الهروب منها وعلم آباء الشبان وأمهاتهم أن ينوحوا عليهم معتقدين انهم يساقون الى الموت بعد ان كانوا ينتظمون في أحزاب الأمراء ومحاربون ولا يبالون بالموت أيام حكم الممالك وكان من ينظم في الجندية على عهد محرز مصر لا يخرج منها الا بالموت . هل شعر مصري بمظلمة أسطوله أو بقوة جيشه ، وهل خطر بهال أحد منهم أن يضيف ذلك اليه بأن يقول هذا جيشي وأسطولي أو جيش بلدي أو أسطوله ؟ كلام لم يكن شيء من ذلك فقد كان المصري بمد ذلك الجيش وتلك القوة عوناً لظلمه فهي قوة خصمه . كذلك كان يمدها كل غنائي في مصر أو في غير مصر . ليقبل لنا أنصار الاستبداد كم كان في الجيش من المصريين الذين بلغوا في رتب الجندية الى رتبة البكباشي على الأقل ؟ فما أثر ذلك في حياة مصر والمصريين الأسوأ الأثر — أثر كله شر في شر لذلك لم تلبث تلك القوة أن تهدمت واندمت

ظهر الأثر العظيم عند ما جاء الاسكندر لاجراء ثورة عرابي . دسخل الانكاي مصر بأهبل ما يدخل به دأمر على قوم ثم استقروا ولم توجد في البلاد نخوة في رأس تبت لهم أن في البلاد من يحامي عن استقلالها وهو ضد ما رأينا عند دخول الفرنسيين الى مصر وبهذا رأينا الفرق بين الحياة الاولى والموت الاخير وجهله الاحداث فهم يسألون أنفسهم عنه ولا يهتمون اليه

لا يستحي بعض الأحداث من ان يقول ان محمد علي جعل من حدران سلطانه بنية من الدين ، أي دين كان دعاية لسلطان محمد علي ؟ دين التحصيل . دين الكراج .

دين من لادين له الا ما بهواه ويريده . والا فليقل لنا أحد من الناس أي عمل من أعماله ظهرت فيه رائحة للدين الاسلامي الجليل ؛ لا يدكرون إلا مسألة الوهابية وأهل الدين يعلمون أن الاغارة فيها كانت على الدين لا للدين . نعم ان الوهابية غلوا في بعض المسائل غلوا أنكروا عليهم سائر المسلمين وما كان محمد علي يفهم هذا ولا سلك دماءهم لارجاعهم الى الاعتدال وانما كانت مسألة سياسية محضة تبعها جراءة محمد علي على سلطانها العثماني وكان معه ما كان مما هو معروف

نعم أخذ ما كان للمساجد من الرزق وأبدلها بشيء من النقد يسمى فائض رزنامة لاساوي جزأ من الالف من ايرادها . وأخذ من أوقاف الجامع الازهر ما لو بقي له اليوم لكانت غلته لاتقل عن نصف مليون جنيه في السنة وقرر له بدل ذلك ما يساوي نحو أربعة آلاف جنيه في السنة

وقصارى أمره في الدين انه كان يستميل بعض العلماء بالخلع أو اجـالـهم على الموائد لينفي من يريد منهم اذا اقتضت الحال ذلك وأفضل العلماء كانوا عليه في سخط ماتوا عاياه

ولا أظن أن أحداً يرتاب بعد عرض تاريخ محمد علي على بصيرته ان هذا الرجل كان تاجراً زارعاً وجندياً بالأسلأ ومستبداً ماهراً لكنه كان لمصر قاهراً ، ولحياتها الحقيقية مصدماً، وكل ما نراه الآن فيها مما يسمى حياة فهو من أثر غيره متمنا الله بخير وجهاننا من شره والسلام (مؤرخ)

(بقية الاجتماع الثالث لجمعية أم القرى)

(المتعقد في مكة المكرمة في ١٨ ذي القعدة سنة ١٣١٦)

أجاب (السعيد الانكليزي) ان المسلمين من حيث مجموعهم أغنياء لا يعوزهم المال اللازم لتدرج في العلوم حتي لاسياحات البحرية والقطبية . لان فريضة الزكاة على مالكي التصاب والكفارات المالية جاعلة لفقراء الامة وبعض الشؤون العمومية نصيباً غير قليل في مال الاغنياء بحيث اذا عاش المسلمون مسامحين حقيقة أمنوا الفقير

وعاشوا عيشة الاشتراك العمومي المنتظم التي يتنى ما هو من نوعها اغلب العالم المتأمن
 الافرنجي الذين لم يهتدوا بعد لطريقة نبيلها مع انه تسمى وراء ذلك منهم جمعيات
 وعصيات مكونة من ملايين باسم (كوهون وفينان ونهباست وسوسيا لست) كلها
 تطلب التساوي أو التقارب في الحقوق والحالة المعاشية ذلك التساوي والتقارب
 المقرر في الاسلامية ديناً بوسيلة انواع الزكاة والكفارات ولكن تعطيل ابناء الزكاة
 وايها الكفارات سبب بعض الفتور المبحوث فيه كما سبب اهمال الزكاة فقد اثرات
 العظيمة من معرفة المسلم ميزانية ثروته سنوياً فيوفق نفقائه على نسبة ثروته ودخله .
 ولا شك ان الواحد من الاربيين يني ان يبذل لاجل هذه الثمرة وحدها . والشرعية
 الاسلامية هي أول سريعة سافت الناس والحكومات لاصول الميزانية المؤسس عليه
 فن الاقتصاد المالي الافرادي والسياسي

ويخيل الي أن سبب هذا الفتور الذي أدخل حتى بالدين هو فقد الاجتماعات
 والمفاوضات وذلك ان المسلمين في القرون الاخيرة قد نسوا بالكلية حكمة تشريع
 الجماعة والجمعة وجمعية الحج وترك خطبائهم ووعاظهم خوفاً من الامراء التعرض
 لاشئون العامة كما ان علماءهم صاروا يسترون جيبهم بمجملهم للحدث في الأمور العامة
 والحوض فيها من الفضول والاشتغال بما لا يعني وعدمهم اتيان ذلك في الجوامع من
 اللغو الذي لا يجوز وربما اعتبروه من الغيبة او التجسس أو السعي بالفساد فسرى
 ذلك الى افراد الامة وصار كل شخص لا يهتم الا بخويصة نفسه وحفظ حياته في يومه
 كأنه خلق امة وحده وسيديوت غداً وهكذا صار المسلم جاهلاً ان له حقوقاً على الجماعة
 الاسلامية والجماعة البشرية وان لهما عليه مناهما ذاهلاً عن انه مدني بالطبع لا يعيش
 الا بالاشتراك ناسياً او هاجراً أوامر الكتاب والسنة له بذلك (مرحى)

ثم يتوالى القرون والباطلون على هذه الحال تتسلق في الامة فقد الاحساس الى درجة
 انه لو خربت هذه الكعبة والعريذ بالله تعالى لم تقطع الجياد أكثر من لحظة ولا
 اقول لما زاد الناس على سبعة أيام كما ورد في الاثر لان المراد باؤتلك الناس
 اهل ذلك الزمان

وإذا دققنا النظر في حالة الأمم الحية المعاصرة وهي ليس عندها ما عندنا من الوسائل الشريفة للاجتماع والمفاوضات نجدهم قد احتالوا الاجتماعات ولاستراء السمع وتوجيه النظر بوسائل شتى .

(٩) ومنها تخصيصهم يوماً في الاسبوع للبطالة والتفرغ من الاشغال الخاصة لتحصل بين الناس الاجتماعات وتتعقد الندوات فيدبثون ويتناجون

(١٠) ومنها تخصيصهم أياماً يتفرغون فيها للمذاكرة في مهمات الاعمال لاعظم رجاها الماضين تشويقاً للتمثل بهم

(١١) ومنها اعدادهم في مدنهم ساحات ومبتديات تسهلاً للاجتماع والمذاكرات والقاء الخطب وابداء التظاهرات

(١٢) ومنها ايجادهم المنزهات الزاهية العمومية واجراء الاحتفالات الرسمية والمهرجانات بقصد السوق الاجتماعات .

(١٣) ومنها ايجادهم محلات التشخيص المعروف (بالكوميديا) و (التياترو) بقصد اراءه العبر واستراء السمع للحكم والوقائع ولو ضمن أنواع من الخلاعة اتخذت شباكاً لقاصد الجمع والاسماع ويعتبرون ان نفعها اكبر من ضرر الخلاعة

(١٤) ومنها اعتاؤهم غاية الاعناء بتسميم معرفة توارثهم المالية المفصلة المدججة بالعلل والاسباب تمكيناً لحب الجنسية .

(١٥) ومنها حرصهم على حفظ المبادئ المنبهة وادخار الآثار القديمة المنوثة واقتناء النفائس المشعرة بالفخر .

(١٦) ومنها اقامتهم النصب المفكرة بما نصبت له من مهمات الوقائع القديمة .

(١٧) ومنها تسهرهم في الجرائد اليومية كل الوقائع والمطالعات الفكرية .

(١٨) ومنها بثهم في الاغاني والنشائد الحكم والحماسات الى غير ذلك من الوسائل التي تكتسب في القوم نشأة حياة اجتماعية وتولد في الرؤس حمية وحاسة وفي النفوس سمواً ونشاطاً .

أما المسلمون فانهم كما سبق بيانه أهملوا استعمال تلك الوسائل الشريفة المؤسسة عندهم للشورى والمفاوضات والتناصح والتداعي اعني بذلك الجماعة والجمعة وجمعية الحج حتى كأن الشارع لم يقصد منها غير اداء الفريضة فقط بصورة تمسدية بسيطة والحال ان حكمة الشارع ابلغ من ذلك وعندي ان هذا أعظم اسباب الفتور. (مرحى)

فاجابه (الامام الصفي) ان هذا أشبه بالعوارض من الاسباب فهو البقي بان يكون دواء للداء ونحن مهتمون ابتداء بمعرفة سبب الفتور .

ثم قال اني ارى ان السبب الاكبر للفتور هو تكبر الامراء وميلهم للعلماء المتنافقين المتنافقين الذين يتصاغرون لديهم ويتذللون لهم ويحرفون أحكام الدين ارفعوا ايديها وبين أحوالهم فإذا رجي من علماء يشترطون دينهم دنياهم ويقبلون يد الأمير لقبول العامة أيديهم ويحرقون أنفسهم للمظالم، ليطاعوا على ألوف من الغنم، أكبر همهم التحاسد والتباغض والتخاذل والتفاضل لا يحسنون أسراً من الأمور حتى الخصومة فتراهم لا يرغمون إلا بتكفير بعضهم بعضاً عند الامراء والعامة .

وهذا داء عياد صعب المداواة جداً لأن تكبر الامراء يمنهم من الميل الى العلماء العامالين الذين فيهم نوع غفلة لا بد منها ونعما هي مزية لولاها لفقد الدين بالكلية. (مرحي) فلا شك ان أفضل الجهاد في الله في هذا الزمان الحظ من قدر العلماء المتنافقين عند العامة وتحويل وجهتهم لاحترام العلماء العامالين حتى اذا رأى الامراء انقياد الناس لهؤلاء اقبلوا هم أيضاً عليهم رغم أنوفهم واذعنوا لهم خوفاً أو كرهاً على انه يجب على حكماء الامة المجاهدين في الله ان يمتنوا بالوسائل البينة التي تفت عقول العلماء العامالين لان العلم رافع للجهل فقط ولا يبرق عقلاً ولا كياسة فيلزم تعاليهم وتعرضهم كيف تكون سياسة الدين وهكذا يفعل الحكماء عندنا معاشر اسلام الصين ولا تفقد أية بلدة كانت رجالاً حكماء لبلاء يتنازرون طبعاً على العامة لهم نوع من الولاء حتى على العلماء .

وهؤلاء الذين نسبهم عندنا بالحكماء هم الذين يتناق عليهم في الاسلامية اسم أهل الحل والعقد الذين لا تعقد (الامامة) شرعاً الا بينهم وهم خواص الطبقة العليا في الامة الذين أمر الله عز شأنه نبيه بمشاورتهم في الامر الذين لهم شرعاً حق الاحتساب والسيطرة على الامام والعمال لانهم رؤساء الامة ووكلاء العامة والقائمون في الحكومة الاسلامية منام مجالس النواب والاشرف في الحكومات المقيدة ومقام الأسرة المملوكية التي لها حق السيطرة على الملوك في الحكومات المطلقة كالفن وروسية ومقام شيوخ الانخاد في أزاء امراء المشائر العربية او تلك الامراء الذين ليس لهم من الامر غير تنفيذ مايرمه الشيوخ .

واذا دققنا النظر في أدوار الحكومات الاسلامية من عهد الرسالة الى الآن نجد

ترقيها وانحطاطها تابعين لقوة أو ضعف احتساب أهل الحل والعقد واشترائهم في تدبير شؤون الأمة .

وإذا رجعنا البصر الى التاريخ الاسلامي نجد ان النبي عليه السلام كان أطوع الخلوقات للشورى امتثالاً لأمر ربه في قوله تعالى (وشاورهم في الامر) حتى انه ترك الخلافه لجرد رأى الأمة .

ثم كان أول الخلفاء رضي الله عنه أشبه الناس به حتى انه أخذ رأي سرارة الصحابة فيمن استخلف . ثم إن الخليفة الثاني اتبع أثر الأول وان استأثر في ترتيب الشورى فيمن يخافه ثم لما اجتهد الخليفة الثالث في مخالفة رؤساء الصحابة في بعض المهمات لم يستقم له الامر وظهرت الفتن كما هو معلوم ثم إن معاوية رحمه الله كان قليل الاستقلال بالرأي فحسنت أيامه عما كان قبلاهما . وهكذا كانت دولة الامويين تحت سيطرة أهل الحل والعقد لاسيما من سرارة بني أمية فانضمت على عهدهم الاحوال كما كان ذلك كذلك على عهد صدر السياسين حيث كانوا مدغنين لسيطرة رؤساء بني هاشم ثم لما استبدوا في الرأي والتدبير تخالفوا أمر الله واتباع طريقة رسول الله سأت الحال حتى فقدوا الملك . وهكذا عند التدقيق في كل فرع من الدول الاسلامية الماضية والحاضرة بل في ترجمة كل فرد من الملوك والامراء بل في حال كل ذي عائلة أو كل انسان فرد نجد الصلاح والفساد دائرين مع سنة الاستشارة أو الاستقلال في الرأي .

فاذاقرر هذا علمنا ان سبب الفتور العام المبحوث فيه هو استحكام الاستبداد في الامراء عُتُوا وتكبراً وترك أهل الحل والعقد الاحتساب جهلاً وجبانة وهذا عند بعض الاقوام المسلمين وأما الأكثر فقد اسوا لاعلماء هداة ولا سرارة اباة بل هم فوضى في الدين والدنيا ولا بدع فيمن يكونون على مثل هذه الحال ان لا يرجي لهم دواء الابائية بعض الحكماء الذين ينجبون من أمة طبقة كانت من الامتة وقد قضت سنة الله في خلقه ان لا تخلو أمة من الحكماء .

فأجاب (العالم النجدي) ان شؤون السياسة في الصين تختلف كثيراً عما في غيرها وليس في الصين ملوك كثيرة وأمرء جبارة كما عند غيرهم فالحكام في الصين آمنون ومن جهة أخرى لم يزل الاسلام في الصين خفيفاً خفياً لم يفسده الفتن والتشديد ومع ذلك ترى الفتور شاعلهم أيضاً ونحن الآن نجت عن السبب العام لهذا الداء وليس كل السبب أحوال الامراء والعلماء .

نم قال اني أجزم ولا أقول أظن أو إخال ان سبب الفتور الطارئ للملازم لجامعة هذا الدين هو هذا الدين الحاضر ذاته ولا برهان أعظم من الملازمة وما جاء الحقاء إلا من شدة الوضوح فهل بقي من شك بعد هذه الاتجاه التي سقت في جميعتنا ولا سيما ما يه الحقق المدني في ان الدين الموجود الآن بالنظر الى ما دين به لا بالنظر الى ما نقره وباعتبار ما نعلمه لا باعتبار ما نقوله إيس هو الدين الذي تتميز به أسلافنا مئين من السنين على العالمين كلا بل طرأت على الدين طوارئ تغير غير نظامه .

وذلك ان الخلف تركوا أشياء من أحكامه كاعداد القوة والعلم والمال والجهاد في الدين والامر بالمعروف وانزاله المنكر واقامة الحدود وابتناء الزكاة وغير ذلك مما أوضحه الاخوان الكرام . وزاد فيه المتأخرون بدعاً وتقيدات وخرافات ليست منه كشيوخ عبادة القبور والتسليم لمدعى علم القيب والتصرف في المقدور .

وهذه الطوارئ من تغيرات أو مبركات أو مبركات أو مبركات أكثرها يتعلق باصول الدين وبعضها باصول الاصول أعنى التوحيد وكفى بان يكون ذلك سبباً للفتور وقد قال الله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) - مريحى

ولقائل ان يقول اذا سلمنا ان الدين تغير عما كان عليه فثا تأثير ذلك في الفتور العام الذي هو من شأن الحياة الدنيا وما نحن أولاء نجد أكثر الامم الحية التي نخطها قد طرأ على دينها التغير والتبديل في الاصول والقواعد ولم يؤثر ذلك فيها الفتور بل زعم كثير من حكماء تلك الامم انهم ما اخذوا في الترتي الا بعد عزهم شؤون الدين عن شؤون الحياة وجماهم الدين امرأيتاقي بالنفس ولا علاقة له بشؤون الحياة الحاربه على نوايس الطبيعة

فالجواب على ذلك أنه كما يطالب كل انسان بان يكون صاحب ناموس اى متبعاً على وجه الاطراء في اخلاقه واعماله قانوناً ما موافقاً ولو في الاصول فقط لقانون الهيئة الاجتماعية التي هو منها والافىكون لاناموس له منفوراً منه مضطهداً فكذلك كل قوم مكلفون بان يكون لهم ناموس عام بينهم ملائم في الجملة لقوانين الامم التي لها معهم علاقات جوارية او تجارية او مناسبات سياسية والا فيكونون قوماً متوحشين لاخلق لهم ولا نظام منفوراً منهم مضطهدين .

وذلك ان الناموس الطبيعي في البشر هو ناموس وحشي لاخير فيه لان فانيه هي تنازع البقاء وحفظ النوع والتراحم على الاسهل والاعتماد على القوة وطلب النفايات

وحسب الرئاسة وحرص الادخار ومجازاة الظروف وعدم التبات على حال الى غير ذلك وكلها قواعد شر ومجالب ضرر لا يملكها غير ناموس شريف واحد مودوع في فطرة الانسان وهو اذعانه الفكري للقوة الغالبة اى مرفقه الله بالاهاام الفطري الذي هو الهاام النفس رشدها فاهلها فجزرها وتقواها (مرحى) ،

ولاريب في ان هذه الفطرة الدينية في الانسان علاقة عظمى في شؤون حياته لانها أقوى وأفضل وازرع يعدل سائر نوااميسه المضرة ومخفف مرارة الحياة التي لا يسلم منها ابن انى وذلك بما يؤمله المؤمن من المجازاة والمكافأة والانتقام منه وله (مرحى)

وعند تدقيق النظر في حالة جميع الاديان والتحليل تدقيقاً تاريخياً توجد كلها ناشئة عن اصل صحيح بسيط سماوي لا ترى فيه عوجاً ولا أمناً وبوجد ان كل دين كان في اوله باثماً في أهله النظام والتشاطر ورافياهم الى أوج السعادة في الحياة الى ان يطرأ عليه التأويل والتحريف والتفنن والزيادات رجوعاً الى اصليين اثنين (الاشراك بالله والتشديد في الدين) فيأخذ في الانحطاط بالآلة ولا يزال نازلاً بها الى أن تبلغ حالة اقبح من الحالة الاصلية الهامجية فتفتني بالانقراض او الاندماج في أمة أخرى أو يتدارك الله تلك آفة بعناية باغة فيبيعث لهم رسولا يجدد دينهم أو يخلق فهم أنبياء او حكماء يصاحون لهم ما فسد من دينهم كما حصل ذلك في الادم الماخضية كعاد وتمود وكالسرمان واسرائيل وكسنان واسماعيل وكما قال الله تعالى (وما كان الله ليضل قوماً بعد اذ هدهاهم حتي يبين لهم ما يتقون)

وعند التأمل يوجد الشرك والتشديد كأنهما أمران طبيعيان في الانسان يسعى وراءهما جهده بسائق النفس وقائد الشيطان لان النفس تميل الى عبادة للمشهود الحاضر اكثر من ميائها الى عبادة للمعقول الغائب ومفعولة على التشديد رغبة في التميز والشيطان يسمف النفس بالتسويل والتأويل والتحويل والتضليل الى ان يفسد الدين (مرحى) ثم اذا رققنا النظر في حالة الاسلامية في القرون الاخيرة نجد هاهنا اكثر أهل القبلة قد أصابها بعض ما أصاب غيرها من الاديان قبلها كما أخبرنا الله تعالى بقصصها في كتابه المبين ووعداً يوقوعاً فيه سيد المرسلين وارشدنا الى طرائق التخلص منه ان كنا راشرين أعنى بذلك ما طرأ على الاسلامية من التأويل والتحريف في بعض اصولها وكثير من فروعها حتي استولى عليها التشديد والتشوش وتطرق اليها الشرك الخفي والحبي عن دينها وشهاها فامست محتاجة الى التجديد بتبيين الرشد من النقي وعندني

ان هذه الحال اعم واعظم سبب لاقترار المبحوث فيه قال الله تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا) (مرجحي)

وانتم ايها السادة الافاضل في غناء عن ايضاح ذلك لكم بوجه التفصيل
قال (الاستاذ الرئيس) اني أرى ان البحث في اعراض الداء واسبابه وحجراته
وما هو الدواء وكيف يستعمل قد نضج او كاد وقد قررنا في اجماعنا الاول التناضح
في ما هي الاسلامية وما يتبع ذلك مما أدرجناه في برنامج المباحث واني اني اني اني اني
أخينا العالم التجدي نعم المدخل لثقل البحث ولا سيما اذا تكرم بتفصيل ما اجله لان
مسائل منشأ الديانات وسببها في مسراها واسباب طوارئ التغيير والتحريف
عليها كلها مسائل مهمة تقتضي تدقيق النظر واستقصاء التحقيق وتحسن فيها الاطلاقة
والاستيعاب بناء عليه نرجو من العالم التجدي ان يتكرم باعادة ما قرره سورة منفصلة
في اجماعنا الآتي اذ قد أذن لنا الوقت بالانصراف اليوم اهـ

باب التربية والتجديد

السورة الثالثة منه جريدة الاسم

تربية الذكور مع الاناث وتعليمهما معاً

اني لا أخشى منية أفرطي وأفرط هيلانه في ملنا الى تلك الصية التي القتها
العاصفة بين أيدينا لجواز ان يطالبها بعض ذويها يوماً ما وكيفما كانت نتيجة هذا الميل
فلا بد له هنا من اثبات امر يتماق بعلم تركيب الانسان ووظائف اعضائه فأقول :
كانت دولوريس لما التقطناها و آويناهما الى بيتنا محلا لجمع الميوب التي توجد في
نظائرها اللاتي من قبيلها وبلادها فانها كانت مع طرافها مكسلا واناء قليلة العناية
بشأنها وان كان لا بد من الصريح فانت انها كانت كثيرة الوساخة وكان هذا الاغفال
منها لنفسها مع مقدار عظيم من التفجع والتدال من موجبات دز هيلانه وحزنها
ولم ينفع في الكسر من زهوها والمطامنة من تافها ما اتخذته لذلك من المظلات

وضرب به التوبيخ و انواع الايلام الخيفة ولما كان فيها من حسنة المزاج والتهيج عند مخالفتها فيما تريد كانت لاسدي ادني اشياء لتعلم . أفرغت هيلانه جهدها في ايقاظ عقل هذه الحسنة ناعسة الغابة (١) من سباته فاحقق مسماها وبطل أثر ما استعملته من التماويل والطلاسم لرد هذا السحر الذي لا يدري اى جنية خبيثة من جنات الير ورمها به على ما يظهر وان اردت ان تعلم من الذي أبطل هذا السحر فاعلم انه «أويل» ذلك لان «ويل» (لولا) الى ان تصيحه وان تتحامي ضروب سحرته بها وانواع زرايته عليها كان أشد تأثيراً في ارادتها من جميع عضلاتها ونصائحتها

كان هذا أول ساعقان (لا هيل) على قلبها وهي لاخطر فيه في سنهما من ذلك الحين وقع التنافس بينهما . من جهة فاشدة زهوة وشغفه بآله من التقدم عليها في علومه الغريبة وأما من جهة فالتغير بها ورغبها في منازعة ذلك التقدم والرجوع من هذا التمدنفس أن يعود دوماً بالفايدة على كليهما فان درسهما ما يجتمعين أحسن وأحسن منه متفردين لانه اذا اعتبر (أويل) نفسه أعلم من (لولا) اجهدت في التبريز عاياه في ميدان المطامعة

أرى ان هذه الصعبة تجد حلاً في الخلافةهما أيضاً فائدة كبرى فان الاطفال على

(١) راجع ناولت بقوله «هذه نسنة ناعسة الغابة» الى اسطورة من اساطير الكتاب الفرنسي شارل بيروك المسماة حكايات الجن ماخصها ان احد الملوك وزوجته ابتلانا المقام مدة طويلة ثم رزقا فتاة حسنة شجلاها في كفالة سبع جنيات وأولاهن ولحمة أعداها اكل واحدة منهن بحفة فاخرة لها كيس من الذهب الخالص فيه ملحقه وشوكة وسكين من الذهب أيضاً وفي أثناء جلوسهن على المائدة جاءت جنية محجوزة ثامنة لم يكن حضورها في الحساب فقدمت لها بحفة بلا كيس فظنت ذلك احتقاراً لها تخافت احدى الجنيات ان تسمى هذه المعجوز الى المولودة فخرجت ثم ان كلاً من الاخريات منح المولودة سمة جميلة ما عدا المعجوز فانها قالت ان الفتاة ستحرق يدها بمنزل وتموت فجنات الجنية التي كانت خرجت وقالت انها لن تموت ولكن يفساها الناس مائة سنة ولا يفظها الا ابن ملك من الملوك ثم اتفق ان الفتاة رأت مغزلاً في يد معجوز فتناولته فحرق يدها فسقطت نائمة ثم نقلت الى قصر لوالدها في غابة وبعد مائة سنة ايقظها ابن ملك وتزوجها

علم تام بما يشتركون فيه من السيوب ولا يبقى بعضهم على بعض في تشهيرها وتمييزها
ايهاا لذلك ترى «أميل» قلما يقره «لولا» فيما يراه فيها من القائص وهي أيضاً لا
تقصر في ان تبكى له الصاع بمنه يدون ان يكون في هذه المشاغبات الحقيقة ما يكدر صفو
مودتهما الثمينة في شيء وكاني بقتل يقول ان هذه المزاياب بينها توجد في معاشرته
الأخ لاخته ووجودها مما فاحيه باقي في شك من ذلك لعدم تمام الشبه في الجهتين .

زرت فيها مضي مدرسة لاصم اليكم كانت تقسم في أول نشأتها الى قسمين أحدها
للذكور والآخر للاناث فلم تلبث التجربة ان كشفت عيوب هذا التقسيم فان الصبايا اللاتي
كن مقصورات في قسمهن كان يبدو عليهن التأخر عن الفلمان سنة أو سنتين ولم يكن
الفلمان أنفسهن بارعين في التقدم والتجراح فخطر في بال الفاعلين على المدرسة ان
يجمعوا الفريقين في غرف واحدة فكانت نتيجة هذا التغيير محموده فانه لم يمض الا يسير
من الزمن حتى زال تأخر أحد الفريقين والمحطاطه عن الآخر وتقدم الآخر تقدماً
بالانزعاج فيه ذلك لان العجب الذي هو خالق فعلري في الذكر والاني والطمع الذي
حاج في نفوس الفلمان وجود منافسات زاهيات بأنفسهن بينهم واهتمامهم بأن يظهروا
في أعينهم بمتازين عنهن كل ذلك ساعد من الجهتين على ازدياد درجة معارفهم في
دروسهم مع انهم كانوا هم التلامذة الاواين لم يتغيروا وانما ظهر ان قواهم تضاعفت
لماذا لا يصح في حق الناطقين والناطقات ما صح في حق الصم اليكم .

انما يعارض القائمون على تربية الناشئين في الجمع بين الذكور والاناث بحجة
الحفاظة على الاخلاق والآداب ولو كانت هذه المعارضة مبنية على سبب صحيح لكانت
وحية سديدة ولكن لا بد ان نجيب هؤلاء المعارضين بانهم لم يفكر أحد مطلقاً في جمع
هذين الصنفين في قاعات النوم العامة ولا شك ان تقسيم مجال المدرسة واقبيتها
والرياضات المدرسية بالحكمة واتدبير يحجب كثيراً من المضار التي يخشى منها على
الآداب والاخلاق

على ان العمل العقلي انما جعل لتذليل الفرائز والشهوات الخبيثة وقمعها
لا تثبيتها وهبوطها وانى خلافاً لاو تلك المعارضين ارى ان في الفريق الكلي بين الصنفين
خطراً على الفضيلة فان فرط الاحتراس والاحتياط الصادر عن الرياء وانتفاق لا يكون
منه الا دعوة الفساد الى الاحتيال لتطرق الى الاخلاق من سبيل الشر فلا يابث ان
يظهر فيها وان كثرة بت روح الحذر في أظهر المعاملات واعفها توفق في اليافعين

ما هو أنهم من شهواتهم وتظاهروا بأنهم كانوا من أشواقهم فبذبحي إن نزال هذه
لخدمة السادة وبعض من البنات سرور الله التي فخرهم عليها وجماعها في نفوسهم
ساجداً لما فرضه عليهم

لا أريد هنا أقدم أن الذكر والاشئ في التربية سيان يصاح لاجدها كل ما يصاح
للآخر كلا بل أن كلا منهما يقتضي تربية خاصة لاختلافهما في المواهب والقروض
والفرض المخلوقين من أجله . على أن نرى التباين والباينات من الصنفين يتكافؤ
ويتناسبون في بعض ذرى العلوم والفنون الجميلة والشعر فلا جدربنا أن نفكر
باعداد الاردواج بين ما أوتيته الانثى من رقة الوجدان وما أوتيه الذكر من حصافة
البيان فإن في ذلك لذة حياة الصنفين . وإن تربية شعري النوع الانساني منغلزلين
كأنهما لا يشتركان في شيء مما خلقنا لاجله تعجيلاً بقطع الصلة الاجتماعية وأما تقديم
الجمية الى الصبي وتفهمه أنها ستكون له في مستقبله رفيقة في العمل والتكسح في سبيل
الحرف والعمل والحق فهو أكثر انطباقاً على مقتضى الفطرة وعلم الاخلاق
ونرى كل حال من تعليم « لولا » و « أميل » معاً الى أن يقتضي الحال التفريق
التي لأرجو لكل منهما خيراً كثيراً من وراء هذا الاقتراح العقلي . اهـ

قوانين التعليم الرسمي

البند الثالثة في تعليم البنات

إن المذامر العشرة التي ذكرناها في البند الثانية من انتقاد قوانين التعليم الرسمي
كانت في موضوع تعليم الدين وقد فائنا التلبية على معظم آخر عظيم وهو
(١١) لم يرد في قانون التعليم ما يدل على أن البنات يعلمن ما يختص بالنساء من
الأحكام والآداب الدينية ورجعنا الى كتب التعليم فلم نجد فيها شيئاً من ذلك . ونحن نعلم
كما نعلم نظارة المعارف أن النساء ليس هن مورد من موارد العلم الا هذه المدارس فإذا
جاز أن يكتب التلاميذ بعض ما يفوته من الأحكام الدينية في المدرسة بمعاشرة أهل
العلم الديني وحضور مجالسهم وسماع الخطب الدينية في يوم الجمعة وحضور دروس
الوعظ في بعض المساجد فمثل هذا لا يأتى للبنات ولا للنساء لأنه ليس فيهن علمات
بأمور الدين فيقتبس بعضهم من بعض ولم يجر العادة بحضورهن الجمعة ومجالس
العلم في المساجد

ثم ان البنات احوج من الصبيان الى الدين عقائده واعماله وآدابه لسبب آخر وهو ان صنفهن في الشرق لا يزال في تأخر عظيم والنسبة بين الرجل والنساء في مصر كالنسبة بين المصريين والنوع فاذا قرأت جريدة أو كتاباً على رجل وامرأة من الأميين فإن الرجل يفهم منك مالا يفهم المرأة وأكثر النساء لا يفهمن من المقروء شيئاً لذلك نشكر للحكومة ما نراه من الرغبة في تعليم البنات ولكن التعليم بغير تربية قليل الجدوى ولا يزال أكثر الناس عندنا يعتقد ضرر تعليم البنات وليس لنا من هؤلاء المتعاملات في المدارس حجة عليهم فإن آداب هؤلاء البنات غير مرضية والسبب في ذلك عدم العناية بالتربية التي ملاكها الدين . فاذا كانت الحكومة توافقتنا على ان الحاجة الى تعليمهن أشد لأنهن أضعف عقلاً فعلينا أن نوافقنا على ان الحاجة الى تربيتهم أشد أيضاً لأنهن أضعف نفساً

وهناك وجه ثالث لوجوب العناية بتربيتهم أكثر من تعليمهم وهو ان طيفهم الطبيعية هي التربية لا التعليم فيجب أن تكون التربية هي المقصودة لهم بالذات من المدارس وان يكون التعليم ممدداً لها ومساعداً عليها . ونظارة المعارف لا تخالفنا في ان ملاك التربية الدين لا سيما عند المسلمين ولا تقدر أن تنكر تعصيرها في تعليم الدين وإيهاها لتربيته

وان تعجب فمجب أن موظفي النظارة من غير المسلمين كانوا ولا يزالون أشد محافظة على آداب البنات الإسلامية من كبار الموظفين المسلمين . فمن ذلك ان بعض الضباط من الانكليز كان يعلم البنات في المدرسة السنية الألعاب الرياضية البدنية وهي ضروب شتى منها الانحناء والاثناء وتحريك بعض الاعضاء دون بعض وكان المعلم لا يستغنى في تعليمه عن اللبس والجس وربما مع ذلك الحث فراع الامر بعض الدماميين الذين لم يفقدوا نعمة الدين فاحتالوا في تباعث ذلك بعض كبار الموظفين في المعارف من المسلمين وما كانوا جاهلين فلم يقد ذلك حتى اتفق ان زار المدرسة بمقرب ناشأ وكيل النظارة ورأى بعينه ما رأى فعاد الى الديوان وأصدر أمراً بمنع ذلك

واذكر خبر (مسز جريغنس) انظاره الاولى للمدرسة السنية التي كانت قبل (فوربز) التي عززت في السنة الماضية فلقد كانت من خير من البتت أرض الانكليز تربية وحرية ونشالة وانصافاً ولا أغلو في الاطراء . اذا صعدت بها أفق الفلاسفة والحكماء . ومن مآثرها ان اقترحت على نظارة المعارف أن تازم جميع البنات في

مدارسها يتعلم الديانة الإسلامية والتربية عليها عملاً . قالت : ان تعاليمها تربية لا يفيد وان التربية لا تكون بغير دين وان توحيد طرق التربية والتعاليم ضروري فلا يصح أن يكون في مدرسة واحدة دينان وان أولى الأديان بالترجيح في مدارس حكومة إسلامية وبلاد إسلامية هو دين الحكومة وأكثراً أهالي البلاد فالتبعية يجب على نظارة المعارف تعميم الديانة الإسلامية في مدرسة البنات وجعلها الزامية . ومن آثارها تقبيل البنات ، وكنّ قبائها في المدرسة حاسرات ، فأخبرها بعض المعلمين لما عرف فضلها بأن كشف رؤس البنات أمام المعلمين محرم في الديانة الإسلامية وان الصلاة لا تصح من مكشوفة الرأس فكشبت الى النظارة تطلب ان تجعل لكل بنت في المدرسة قناعين في السنة فاجيب عليها . فطلب هذه النظارة الحكيمة الفاضلة تعميم التربية الدينية حجة على النظارة وقد كانت احدي « ضمانات » ناظر المعارف ولكنها لم تقن شيئاً بل لم يطل عليها الامد في المدرسة حتى استبدلت بها النظارة فويز

اعتقد المصريون المعارفون بخبرها ان المستر دنلوب تقم عليها أنها غير متعصية للديانة المسيحية فأخرجها وهو العامل المستقل في النظارة بدون « ضمانات » الناظر وزاد هذا الاعتقاد رسوخاً سوء . سيرة النظارة التي خلفتها ولكن القوم لم يلبثوا ان عزلوا النظارة الاخرى لما كثر الارجاف بها وانكروا عليها مخادعة المستر هوتن المفتش الانكليزي في المدارس واستبدادها في المدرسة . ويقال ان اللورد كرومر هو الذي أوعز الى النظارة والمفتش أن يستقيلاً معاً وإيمانه حكم لا يرد . نعم كان من سوء سيرة هذه النظارة استقالة الاستاذين الفاضلين الشيخ حسن منصور والشيخ محمد عز العرب من المدرسة ومن خدمة معارف الحكومة وهما من خير الاساتذة تعاليماً وتربية بل لا يوجد في مصر افضل منهما لتعاليم البنات . فكانت استقالتهما من أسباب سوء الاعتقاد بالنظارة وان شئت فقل بالمحتالين وكانت الجرائد كالأهالي مجمعة على عدم الرضى بحالة المدرسة ولا يوجد فيما أعلم موظف في الحكومة اتفقت على الارتياح لعزله الجرائد الإسلامية والقبطية والسورية الا المستر هوتن ونظارة المدرسة السنية

عند هذا المقلعاً محمد للمحتلين ولم يشذ عن هذا الاحداث السياسة المشهور بالخطأ في كل ما يكتب فقد اتخذ عزل النظارة والمفتش دليلاً على سوء قصد المحتلين ولاك عرضهما لو كان خرج به عن محيط الادب وكتب كتابة لا يصح ان تكتب في الجرائد التي تعرض على جميع الاقطار ولكن كلامه لا احر له في الامة وقد مضى الزمن الذي

كان الناس يرون فيه كل عمل يعمله المحتلون قبيحاً فقد زالت عشاوة السياسة الحرقاء عن عيون الاكثرين فهم يرون الحسن حسناً والقبح قبيحاً وقد قلنا في البذة الماضية انه لم يبق نظارة ولا مصالحة للحكومة الا واعترف الاهالي بالاصلاح الذي حصل فيها الا نظارة المعارف قاتها لاتزال منار السوء الظن لأن الاصلاخ الحقيقي انما يكون في التربية والتعليم والناس يقولون ان التعليم تدلى في عهد الاحتلال وصلاسيه دون ما كان عليه من قبل وان تحسن نظامه. وانما يرى الواقفين على عناية المعارف الجديدة باعانة الكتابيب الاهلية وتنظيمها مع ابقائها على استقلالها يحمدون ذلك ويمدونه من الاصلاخ ولا ينكرون منه الا كون حفظ القرآن غير مكافأ عليه وانها لغلطة من واضع القانون لم تكن عنها « الضمانات الحسنة » شيئاً بل لارأي في هذا القانون « الضمانات » فمضى ان يصلحه المستر دنلوب في سنة اخرى فيكون له ولقومه التناء الجليل

هذا — وقد كدتا نخرج عن موضوع هذه البذة وهو تعليم البنات وتربيتهم فالامة تطلب والمدة تشفع ان تكون عناية المعارف بتربية البنات الدينية اشد ولكن قانون التعليم والعمل الذي في المدارس يدلان على ماقلناه من اهمال التربية والتفكير في التعليم فالى ذلك توجه انظار اهل الحل والعقد العاملين

بَابُ الْحَبِيبِ الْأَمِيرِ

﴿ مستقبل الحجاز . وأمير مكة المكرمة ﴾

نشر المؤيد الأغر من أيام رسالة مطولة « لعناني صادق » عنوانها (مستقبل الحجاز) تكلم فيها صاحبها عن حالة البلاد في هذه الأيام كلاماً تاريخياً ينبغي أن يعلم وحل على أميرها الشريف (عون الرقيق باشا) حجة « نكرة عدله فيها سيئات اذا صحت الرواية فهي اقبح السيئات ولكن الكاتب عدعاياه أيضاً ما يمدله فكان بذلك متهماً بالفرس أو الجهل وقلما نجد كاتباً يقف عند حدود الاعتدال . اما السيئات الحقيقية فهي الظلم في أرض الحرم والاستبداد في الحكم وعدم العناية بحفظ الامن بل اتهمه بغرض الاعراب بالجباية لسلب المال منهم وهذا شيء عظيم لانلوم الكاتب على التطويل بذمه وفقده وان كان أكثر كلامه من قبيل الشعر لا من قبيل سرد الحقائق وبيان الاوصاف .

و يظهر أن افترض من الكتابة حمل السلطان على عزل الشريف من اماره مكة المكرمة .
 ومن غلو الكاتب المتكر شعراً مخاطبة السلطان والاستغاثة به بكلام لا يقال الا في
 الله تبارك وتعالى كقوله « قاليك يتوسل النائمون . وبيك يستغيث المؤمنون ، باغياث
 المستغيثين ، وأمان الحافقين » . وانه لكلام تشعر من توجهه لغير الله تعالى قلوب
 المؤمنين . واذا كانت مبالغته في الذم على نسبة مبالغته في المدح فلا شك انه كاذب فيها
 كتب فالذي يحمل السلطان آلهما اتباعاً لهواه لا يبعد ان يجعل الشريف شيطاناً اتباعاً
 لهواه . ونحجب من المؤيد كيف نشر هذا الاطراء وأقره

ولو ان الطاعين في هذا الأمير كثيرون لما حفلنا بهذه الرسالة وقد كنا نوهنا
 في التار (١٤ : ٢) الصادر في ٩ صفر سنة ١٣١٧ برسالة مطبوعة وردت علينا في بريده
 سنغافور اسمها « فتح الكون . من فطائع عون » وهي مملوءة بالشكوى من
 الشريف وقد كتب الناب يومئذ انها ترجمت ووزعت في الأقطار فكان لها تأثير عظيم
 « حتى ان بعض المساجد قطع الخطبة لمولانا الخليفة أيده الله تحاشياً من الكذب بأنه
 خدم الحرمين الشريفين » وقد ارسلت هذه الرسالة يومئذ الى الحضرة السلطانية
 ويظهر ان ذلك كان من عمل جمعية ولكن لم يظهر لها أثر لأن الشريف متفق مع
 السلطان والسلطان راضٍ عنه

وصاحب رسالة « مستقبل الحجاز » يؤكد القول بأن الشريف يجتهد في إقناع
 الناس بأنه لا فضل صلة الا باذن السلطان ومرضاه لينفهم منه فاذا ثبت هذا السلطان
 فربما يعزل الشريف أو يرسل اليه والياً حازماً يقل يده ويحفظ الأمن ويكون هذا
 حجة على الذين يقولون ان السلطان يجب أن يكون الشريف خائناً غاشياً ليعلم
 المسلمون في جميع أقطار الأرض بأن حكم الترك أفضل من حكم أشرف العرب

ومما عده صاحب الرسالة (مستقبل الحجاز) من سيئات الشريف هدم بعض
 القبور والقب والمساجد التي بنيت على بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم وتقصير
 لزيارتهم وقال إنه أزعجهم في قبورهم وكذلك القبر المنسوب الى أمنا حواء عليها السلام .
 ومن أين لمثل هذا الكاتب الذي عده هذه الاعمال ذنباً لا يفتر أن يعلم ان النبي
 صلى الله عليه وسلم أسر بطمس القبور المشرفة ونهى عن بناء المساجد على القبور ولمن
 فاعليها ونهى عن شد الرحال الى مثلها

أخرج الامام أحمد ومسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي في - منهم

عن أبي الهياج الأسدي عن علي رضي الله عنه أنه قال « أبئنتك على ما بشئني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سوتيه » قال الامام الشوكاني في شرح هذا الحديث بعد ما ججع أن رفع القبور زيادة عن القدر المأذون فيه بجرام ما قصه :

« ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولاً أولياً القبر والمشاهد المعمورة على القبور وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد وقد لمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاعلى ذلك كما سيأتي وكما قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفايد يبي لها الاسلام . منها اعتقاد الجهة لها كاعتقاد الكفار للأصنام . وعظم ذلك فظنوا انها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر فعملوها مقصداً لطلب قضاء الخوائج وملجأ لنجاح الطالب وسألوا منها ما يسأله المباد من ربه وشدوا اليها الرحال وتدحوا بها واستاثروا . وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت تعمله بالأصنام الا فعلوه فانا لله وانا اليه راجعون . ومع هذا المنكر الشنيع ، والكفر الفظيع ، لا نجد من ينضب الله ويفتار حية للدين الخيف لا علماً ولا متعاماً ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً . وقد نوارد اليان من الاخبار ما لا يشك معه ان كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم ذاتوجهت عليه عين من جهة خصمه حلف بالله فاجر أفاذا قيل له بعد ذلك احلف بشيخك ومعنذك الولي الفلاني تلغشتم وتلكأ وأبى واعترف بالحق . وهذا من أبين الأدلة الدالة على ان شركهم قد بلغ فوق شرك من قال انه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة . فيا علماء الدين ، ويا ملوك المسلمين ، أي رزء الاسلام أشد من هذا الكفر ؟ وأي بلا لهذا الدين اضر عليه من عبادة غير الله ؟ وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ؟ وأي منكر يجب انكاره ان لم يكن انكار هذا الشرك الين واجباً ؟ » اه تم تحمل الشوكاني بعد ما تقدم بقول الشاعر :

لقد سمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

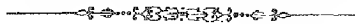
ولو ناراً ففخت بها اضاءات ولكن أنت تطفئ في رمد

والسبب في موت العلماء والامراء الذي عناء بالتبذيل هو اختيار مرضاة العوام الذين قد فهم هذا المنكر على مرصاة الله تعالى فالعوام بمقتضى طبيعة الكون تبع لهم ولكنهم لضعف ارادتهم وانحلال عزائمهم جعلوا أنفسهم تبعاً للعوام وسدبراً الذين اتبعوا من الذين اتبعوا

وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث جابر أنه قال: «نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر وإن يكتب عليه وأن يبقى عليه» ولفظ الكتابة لم يذكره مسلم ولكنه على شرطه كما قال الحاكم والتجديد الطلاء بالجص وهو الكلس والخير والنهي حقيقة في التحريم.

وأخرج أحمد والبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» زاد مسلم والنسائي وأخرج أحمد وأصحاب السنن إلا ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» وقد عدّ العلماء اللعن من علامة كون المصبة من الكبار وما كان كذلك يجب إزالته. فإذا تصدى مثل شريف مكة لإزالة هذا المنكر عملاً بسنة جده عليه أفضل الصلاة والسلام لقدرة على ذلك نمدحاً عاصياً ومبتدعاً لقول كاتب جاهل ومجهول ونحاطب الساطن بما لا يحاطب به إلا الله عز وجل لأجل التكبر به؟؟ لقد اقلب المعروف مكرماً والمنكر معروفاً فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

أما مستقبل الحجاز فهو مما لا يصح لمثل هذا الكاتب أن يخوض فيه إلا إذا عرف ماورد من الأخبار النبوية فيه وأخذ حطاً من علم طبائع الأمم وسلمت بشيء من ذلك إن شاء الله تعالى في مقالة نكتبها في مستقبل الإسلام. ولا يفهم من انتصارنا للحق في مسألة القبر ومساجد القبور أننا نتصر للشرىف على كل حال فأننا كنا أول من وجه أنظار مولانا السلطان أيد الله دولته إلى تحقيق ماينسب إليه في أمر الأمن وعدمه والظلم في الحرم وفصل مايجب من إزالة ذلك وذلك من مدة سنتين كما أشرنا إليه في أوائل الكلام ونكرر ذلك الآن والله الموفق وإليه ترجع الأمور



(وفاة الشيخ أحمد الحنبلير) نهى البنا بريد الهند في الشهر الماضي وفاة هذا العالم الفاضل والأديب الكامل الذي يعرف قراء المنار بعض فضله وغبته المالية من قضاؤه التي نشرت في المنار مما كان ينشد في جمعية ندوة العلماء. وقد كانت وفاته في يومئذ في ١٩ محرم رحمه الله تعالى رحمة واسعة وعزى آله وأصدقائه أحسن العزاء

(وفاة عفتين) في ١٧ صفر توفيت العفيلة عائشة عصمت كريمة المرحوم اسماعيل باشا تيمور وأخت الفاضل أحمد بك تيمور وكانت أدبية شاعرة في العربية والتركية والفارسية وقد لقبها المؤيد بشاعرة مصر في هذا العصر. ففسأل الله أن يحسن عزاء أخيه وأحبائها الكرام

وفي ١٩ منه توفيت والدته الفاضلة التليل احمد بك تيمور فاجتمع على هذا الفاضل مصابان عظيمان في شهر واحد مصاب الأخت ومصاب الأم وله أكبر عزاء بما وفقى له من اتباع السنة في تشييع الجنازة والمآثم إذ كان قدوة صالحة للناس الذين اعتادوا أن يراو في جناز السكراء والامراء ألوان البدع كحلمة مجامير الفضة ومخافها الملاى بالرياحين وكطعمة الخدم المؤترة بأزور الحرير وكزعفا الصالحين بالاشمار والادعية والصلوات وغير ذلك . ولكن أحمد بك تيمور انفرد دون أولاد الباشوات في مصر بمزيد الاستقامة واتباع السنة والاستئصال بالعلم والأدب بل لا تكاد ترى في هذه البلاد شاباً مثله في استقامته وأدبه وإن كثيراً من أهل الفضل ليودون ابطال هذه العادات الفسيدة ولكن إرادتهم ضعيفة لا تقوى على ما يقومون من الانتقاد ورميهم بالبخل على الموتى ومثل أحمد بك تيمور يصح أن يكون قدوة لهؤلاء اذا وفقهم الله تعالى

ولقد سمعت نقرأ من العامة يتحدثون في الطريق ونحن مشاة في تشييع الجنازة يسأل بعضهم بعضاً عن السبب في خلو هذه الجنازة من الصياح والضجيج ويجوبونهم أشراً باله آتفاً فأجابه آخر بأن هذا هو السنة حدث الله تعالى أن جبل في العامة من يفرق بين السنة والبدعة ويعرف أهلها فكما نري صديها الكامل احمد بك تيمور في مصابه نهته بما وفقى له من إقامة السنة وحذل البدعة ونسأل الله ان يجعله قدوة حسنة لامثاله من الوجهاء الذين هم قدوة لسائر الطبقات . في جميع التقاليد والعادات

(نصير محمد علي) استحسن الفضلاء ما كتبناه عن محمد علي وأعجبوا به وهنؤنا بمحمدية الدين والأمة به إلا حدث السياسة فانه شتمنا في جريدته وعسيراً بلقب (البخيل) يعني أننا لسنا من سلالة الفرعنة وقد أمرنا الله بالأعراض عن مثله . ومحمد الله أننا من ذرية أفضل أميائه فوالدنا حسيني وأما حسنية . وذلك أفضل عند كل مسلم من السلالة الفرعونية . وأما إرجاف الحدث بذكر الاستعداداتورة كالثورة العربية فهو بما لا يفهم لأن الثورة لا تكون إلا لمقاومة قوة ولا قوة في مصر إلا للمحتلين فان كنا نحن ومن « نصيرنا ومحمينا » نريد أن نشور عليهم فأننا نستحق من سمادة الحدث الثناء لا الذم وإن كان يعني أننا نشور على جانب آخر فذلك الجانب هو الذي يشكو الحدث دائماً من سلب حقوقه ونشكو نحن والعقلاء من الثورات المعنوية التي هاجها عليه هذا الحدث وأمثاله وكان من أثرها ما كان وما هو كائن مادام هؤلاء الأحداث متصانين به

(شروط الواقفين • وعدم التعبد بكلام غير المصوبين)

جرى على الالسنه واشتهر بين الناس قول بعض الفقهاء « ان شرط الواقف كنص الشارع » وهو ما عليه عمل المحاكم من عهد بعيد الى اليوم فيتمسكون بكلمات كتبت في « الوقفيات » وربما لم يكن يفهمها الواقف وانما كتبها الكاتب فيما يكتب من عباراته التقليدية ويتركون احيانا المقصود

من الوقف للشارع والواقف وقفا عند هذه الالفاظ . وقد رأيت بمخاً
 نفساً في هذا الموضوع الامام الحافظ الفقيه ابن القيم في كتابه (اعلام
 الموقعين) أحببت ان أنشره في المنار ليعلم الناس ان ديننا دين مقاصد عالية
 ومصالح تقوم بها المنفعة لا دين الفاظ تبتدع ثم تتبع قال رحمه الله تعالى
 مناقشا فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية في مسائل خالفوا فيها النص أو
 خرجوا عن القياس الصحيح مانصه بمقدمته :

« فصل : وقالت الحنفية والمالكية والشافعية اذا شرطت الزوجة
 ان لا يخرج الزوج من بلدها أو دارها وان لا يتزوج عليها ولا يتسرى فهو
 شرط باطل قتر كوا محض القياس بل قياس الأولى فانهم قالوا لو شرطت
 في المهر تأجيلاً أو غير نقد البلد أو زيادة على مهر المثل لزم الوفاء بالشرط
 . فأين المقصود الذي لها في الشروط الأولى الى المقصود الذي لها في هذا
 الشرط ؟ وأين فوائده الى فوائده ؟ وكذلك من قال منهم لو شرط ان
 تكون جميلة شابة سوية فبانت عجوزاً شهواه قبيحة المنظر انه لا فسخ لاحدها
 بفوات شرطه حتى اذا فات درهم واحد من الصداق فلها الفسخ بفوائده
 قبل الدخول فان استوفى المقصود عليه ودخل بها وقضى وطره منها ثم
 فات الصداق جزيه ولم تظفر منه بحجة واحدة فلا فسخ لها . وقسم
 الشرط الذي دخلت عليه على شرط ان لا يودها ولا يشق عليها ولا
 يطأها ولا يشق على أولاده منها ونحو ذلك مما هو من أفسد القياس
 الذي فرقت الشريعة بين ما هو أحق بالوفاء منه وبين ما لا يجوز الوفاء به
 وجتم بين ما فرق القياس والشرع بينهما وألحقتهما أحدهما بالآخر . وقد
 جعل النبي صلى الله عليه وسلم الوفاء بشروط النكاح التي يستحل بها الزوج

أمراته أولى من الوفاء بسائر الشروط على الإطلاق فجاءتوها أتم دون
سائر الشروط وأحقها بعدم الوفاء

« وجعلتم الوفاء بشرط الواقف المخالف لمقصود الشارع كترك
النكاح (أي بأن وقف على أهل هذه التكية ما لم يتزوجوا) وكشرط الصلاة
في المكان الذي شرط الصلاة فيه وإن كان (المصلي) وحده وإلى جانبه
المسجد الأعظم وجماعة المسلمين . وقد أُلني الشارع هذا الشرط في
النذر الذي هو قرينة محضة وطاعة فلا تميم عنده بقمة عنها الناذر للصلاة
إلا بالمساجد الثلاثة (المسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس)
وقد شرط الناذر في نذره تمينه فألغاه الشارع بفضيلة غيره عليه أو مساواته
له فكيف يكون شرط الواقف الذي غيره أفضل منه وأحب إلى الله
ورسوله لازماً يجب الوفاء به ؟ وتعيين الصلاة في مكان معين لم يرغب
الشارع فيه ليس بقربة وماليس بقربة لا يجب الوفاء به في النذر ولا يصح
اشتراطه في الوقف

« فإن قلتم : الواقف لم يخرج ماله إلا على وجه معين فلزم اتباع
مآينه في الوقف من ذلك الوجه والناذر قصد القربة والتقرب إلى الله
في المساجد غير الثلاثة فتعيين بعضها لغو . قيل فهذا الفرق بينه يوجب
عليكم إلغاء مالا قرينة فيه من شروط الواقفين واعتبار ما فيه قرينة فإن
الواقف إنما مقصوده بالوقف التقرب إلى الله فتقربه بوقفه كتقربه
بنذره فإن الماقل لا يبذل ماله إلا لما فيه مصلحة عاجلة أو آجلة والمرء في
حياته قد يبذل ماله في أغراضه مباحة كانت أو غيرها وقد يبذله فيما يقربه
إلى الله . وأما بعدم ممانته فأنما يبذله فيما يظن أنه تقرب إلى الله . ولو قيل

له ان هذا المصرف لا يقرب الى الله عز وجل أو ان غيره أفضل منه وأحب الى الله منه وأعظم أجراً لبادر اليه . ولا ريب ان الماقل اذا قيل له اذا بذلت مالك في مقابلة هذا الشرط حصل لك أجر واحد وان تركته حصل لك أجران فانه يختار ما فيه الاجر الزائد فكيف اذا قيل له ان هذا لأجر فيه البتة ؛ فكيف اذا قيل له انه يخالف لمقصود الشارع . مضاداً له يكرهه الله ورسوله . وهذا كشرط النزوية مثلاً وترك النكاح فانه شرط ترك واجب أو سنة أفضل من صلاة النافلة وصومها أو سنة دون الصلاة والصوم . فكيف يلزم الوفاء بشرط ترك الواجب والسنن اتباعاً لشرط الواقف وترك شرط الله ورسوله الذي قضاؤه أحق ، وشرطه أثق ، « يوضحه انه لو شرط في وقفه ان يكون على الاغنياء دون الفقراء ، و كان شرطاً باطلاً عند جمهور الفقهاء ، قال أبو الممالي الجويني - هو امام الحرمين رضي الله عنه - : ومظم أصحابنا قطعوا بالبطالان . هذا مع ان وصف التقى وصف مباح ونعمة من الله وصاحبه اذا كان شاكراً فهو أفضل من التقير مع صبره عند طائفة كثيرة من الفقهاء والصوفية فكيف يلغى هذا الشرط ويصح الترهيب في الاسلام الذي أبطله النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله « لا رهبانية في الاسلام » . يوضحه ان من شرط التزب فانما قصد ان تركه ^(١) افضل واجب الى الله فقصد ان يتبهد للموقوف عليه بتركه وهذا هو الذي تبرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه بعينه فقال « من رغب عن سنتي فليس مني » وكان قصد اولئك الصحابة ^(٢)

(١) كذا في الاصل والمراد ترك النكاح ولم يذكر في الجملة ولعله سقط من النسخ

(٢) يريد الذين أرادوا ترك الزوج كعثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه

هو قصد الإزالة، ثم من بينه سواء فاتهم قصدوا ترفية^(٣) أنفسهم على العبادة وترك النكاح الذي يشغلهم تقرباً إلى الله بتركه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيهم ما قال واخبر ان من رغب عن سنته فليس منه . وهذا في غاية الظهور فكيف يحل الإلزام بترك شيء قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان من رغب عنه فليس منه ؟ هذا مما لا تحمله الشريعة بوجه^(٤)

« فالصواب الذي لا تسوغ الشريعة غيره عرض شروط الواقفين على كتاب الله سبحانه وعلى شرطه فما وافق كتابه وشرطه فهو صحيح وما خالفه كان شرطاً باطلاً مردوداً ولو كان مائة شرط وليس ذلك بأعظم من رد حكم الحاكم اذا خالف حكم الله ورسوله ومن رد فتوى المفتي . وقد نص الله سبحانه على رد وصية الجنف (وفي نسخة الخائف وكلاهما بمعنى الجائر) في وصيته والآثم فيها مع ان الوصية تصح في غير قرينة وهي أوسع من الوقف وقد صرح صاحب الشرع برد كل عمل ليس عليه أمره فهذا الشرط مردود بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يحل لأحد ان يقبله وليعتبره ويصححه

ثم كيف يوجبون انوفاء بالشروط التي انما أخرج الواقف ماله من فامها وان لم تكن قرينة ولا لواقفين فيها غرض صحيح مما يقرهم إلى الله

(٣) فسر الترفية في هامش الاصل باتسكين والاقامة على الشيء (٤) أبعد من هذا عن قصد الشارع الوقف على تشریف القبور وبناء القبب المساجد عليها وعلى إيقاد السراج والشموع عليها وذلك من المحرمات التي لمن النبي صلى الله عليه وسلم فاعاها فيجب على القاضي ان ينصح من أراد الوقف على محرم أو مكروه وان لا يقبل منه وان يدلّه على أفضل ما يتقرب به إلى الله تعالى بوقفه كمساعدة الجمعيات الخيرية وبناء المدارس لتعليم الأمة

ولا يوجبون الوفاء بالشروط التي اشترطت المرافعة لهم بالزوج بشرط وفائه لها بها ولها فيها أصح غرض ومقصود وهي أحق من كل شرط يجب الوفاء به بنص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهل هذا الا خروج عن محض القياس والسنة ؟

ثم من المعجب المعجاب قول من يقول : ان شروط الواقف كنصوص الشارع . ونحن نبرأ الى الله من هذا القول ونمتذر اليه سبحانه مما جاء به فائمه ولا نعدل بنصوص الشارع غيرها أبدا . وإن أحسن الظن بقائل هذا القول حمل كلامه على أنها كنصوص الشارع في الدلالة وتخصيص عامها بخاصها وحمل . طلقها على مقيدتها واعتبار مفهومها كإمتير منطوقها وأما ان تكون كنصوصه في وجوب الاتباع وتأثير من أخل بشئ منها فلا يظن ذلك بمن له نسبة ما الى العلم . فاذا كان حكم الحاكم ليس كنص الشارع بل يرد ماخالف حكم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك . فشرط الواقف اذا كان كذلك كان أولى بالرد والإبطال . فقد ظهر تناقضهم في شروط الواقفين وشروط الزوجات وخروجهم عن موجب القياس الصحيح والسنة وبالله التوفيق

« يوضح ذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا قسم يعطي الاهل حظين والرب حظا وقال « ثلاثة حق على الله عونهم » وذكر منهم الناكح يريد المفاف . ومصححوا هذا الشرط عكسوا مقصوده فتألفوا عليه مادام عزبا فاذا تزوج لم يستحق شيئا ولا يحل لنا ان نمينه لأنه ترك القيام بشرط الواقف وان كان قد فعل ما هو أحب الى الله ورسوله فالوفاء بشرط الواقف المتضمن لترك الواجب أو السنة المقدمة على

فضل الصوم والصلاة لا تحل مخافته ومن خالفه كان عاصيا آثما حتى اذا
 خالف الأوجب الى الله ورسوله والارضى له كان باراً مثابفاً بما بالواجب عليه؛
 « يوضح بطلان هذا الشرط وأمثاله من الشروط المخالفة لشرع
 الله ورسوله انكم قلتم كل شرط يخالف مقصود المقدم فهو باطل حتى أبطلتم
 بذلك شرط دار الزوجة أو بلدها وأبطلتم اشتراط البائع الانتفاع بالمبيع
 مدة معلومة وأبطلتم اشتراط الخيار فوقف ثلاثة وأبطلتم اشتراط نفع
 البائع في المبيع ونحو ذلك من الشروط التي صححها النص والآثار من
 الصحابة والقياس كما صحح عمر بن الخطاب وسمد بن أبي وقاص وعمر بن
 بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان اشتراط المرأة دارها أو بلدها وان لا
 يتزوج عليها ودات السنة على ان الوفاء به أحق من الوفاء بكل شرط وكما
 صححت السنة اشتراط انتفاع البائع بالمبيع مدة معلومة فأبطلتم ذلك وقلتم
 يخالف مقتضى المقدم وصحتم الشروط المخالفة بمقتضى عقد الوقف لعدم
 الوقف إذ هو عقد قرينة مقتضاه التقرب الى الله تعالى ولا ريب ان شرط
 ما يخالف القرينة يناقضه منافضة صريحة فإذا شرط عليه الصلاة في مكان
 لا ينجلي فيه إلا هو وحده أو واحد بسند واحد أو اثنان فمطلوه عن الصلاة
 في المسجد الاعظم الذي يجتمع فيه جماعة المسلمين مع قدمه وكثرة
 جماعته فيتمدها الى مكان أقل جماعة واقص فضيلة وأقل أجرا اتباعاً لشرط
 الواقف المخالف لمقتضى عقد الوقف خروج من محض القياس وبالله التوفيق
 » يوضحه ان المسلمين مجمعون على ان عبادة الله في المسجد من
 الذكر والصلاة وقراءة القرآن أفضل منها عند المقابر فإذا منعتم فعلها في
 بيوت الله سبحانه وأوجبتم على الموقوف عليه فعلها بين المقابر إن أراد ان

بناول الوصف والا كان تناوله حراما كنتم قد التزموه بترك الاحب الى الله الا نفع لعبد والمعدل الى بعض المنفصول والمنهي عنه (أي كالعصاة الى القبور أو بقرها) مع مخالفته لتصد الشارع تفصيلا وقصد الوانف إجمالا فانه إنما يقصد الارضى لله والأحب اليه ولما كان في ظنه أن هذا إرضاء لله اشترطه فنحن نظرنا الى مقصوده ومقصود الشارع وأنتم نظرتم الى مجرد لفظه سواء وافق رضى الله ورسوله ومقصوده في نفسه أولا

«ثم لا يمكنكم طرد ذلك أبدا فانه لو شرط ان يصلي وحده حتى لا يخاطب الناس بل يتوفر على الخلوة والذكر أو شرط ان لا يشتغل بالعلم والفقه ليتوفر على قراءة القرآن وصلاة الليل وصيام النهار أو شرط على التقى ان لا يجاهدوا في سبيل الله ولا يصوموا تطوعا ولا يصاوما النوافل وأمثال ذلك فهل يمكنكم تصحيح هذه الشروط . فان أبطلتموها فتمل النكاح افضل من بعضها أو مساو له في أصل القرينة وفعل الصلاة في المسجد الاعظم النتيق الاكثر جماعة افضل وذكر الله وقراءة القرآن في المسجد افضل منها بين القبور فكيف تلزمون بهذه الشروط المنفصلة وتطالبون ذلك ؟ فإما هو التنازق بين ما يصح من الشروط وما لا يصح ؟ ثم لو شرط المبيت في المكان الموقوف ولم يشترط التعزب فأنجتم له الزوج فطالبته الزوجة بحقيها من المبيت وطالبتموه بشرط الواقف منه فكيف تقسمونها بينهما أم ماذا تقدمون ؟ أما أوجب الله ورسوله من المبيت والتسم فلزوجة مع ما فيه من مصلحة الزوجين وصيانة المرأة وحفظها وحصول الايواء المطلوب من النكاح ؟ أم ما شرطه الواقف وتجهلوا بشرطه أحق والوفاء به التزم ؟ أم تمنعونه من النكاح والشارع والواقف لم يمنعه منه ؟

فأخى أن ميته عند أهله أن كان أحب إلى الله ورسوله جازله بل استعجب
فلا نص ولا قياس ولا مصلحة لا واقف ولا الموقوف عليه ولا مصلحة
لله ورسوله والمقصود بيان ما في الرأي والقياس من التناقض والاختلاف
الذي يبين أنه من عند غير الله لأن ما كان من عنده فانه يصدق به بوضوح
ولا يخالف به بوضوح وبالله التوفيق »

(النتيجة) ان مسألة الاوقاف هي من المسائل الحيوية في شؤون المسلمين فلو
احسن المسلمون إدارة الاوقاف الخيرية وصرفوها في الوجوه النفعي فانها
تكون اكبر الوسائل لتقدمهم وارتقاءهم ولكنهم يستندون بشروط الواقفين
التي تبدلها بمض الفقهاء وانما يستندون عن صرف الاوقاف في الوجوه
النفعي والمنافع العامة ولكنهم اذا لاح لهم شيء منها وشبوا عليه والتمسوه
التماساً من غير انظر الى شرط الواقف ولا الى نص الشارع وكذلك شأن أهل
الطبقة الملياق علوم المسلمين في أعظم معهد للعلم الاسلامي يأكل الاغنياء
حقوق الفقراء ويهضم الكبار ما وقف على الصغار فهم حجة على أنفسهم
وكلام هذا الامام المجتهد وبرهينه حجة على كتبهم ولا بد ان يجيء يوم
ترزق فيه سلامة الملامين، فتصرف أموال الاوقاف في مصلحة المسلمين،
أو تقع في سلطة المتولين، اذا دنا على هذا الجود المبين، والمراقبة للمتقين

باب الأسئلة والأجوبة

قراءة المولد بالتركية (س ١) من الشيخ م. م. في مصر : ما حكم الله في
قراءة قصة مولد النبي العربي صلى الله عليه وسلم باللغة التركية في بيت الله
تعالى على قوم من العرب وبمحضر الملوك الذين لا يعرفون الا لغة نبيهم

كما يجري ذلك كل عام في مسجد الحسين (رض) وإن تفضل السيد
فذكر أصل ذلك في دين الله أو في السياسة الوضعية شكره الله والناس
(ج) يشبه أن يكون هذا من اللغو الذي لا يعني ولا يفيد لانه لا يفهم
وقد وصف الله المؤمنين بالإعراض عن اللغو في آيات من كتابه كقوله «وإذا
سموا للغو أعرضوا عنه» وقوله عز وجل «والذين هم عن اللغو معرضون»
وقوله جل ذكره في وصف عباده «وإذا مرؤوا باللغو مرؤوا كراما» .
وأخرج أحمد وأبو داود عن عثمان بن طلحة (رض) أن النبي صلى الله
تعالى عليه وآله وسلم دعاه بعد دخوله الكعبة فقال : «إني كنت رأيت
فرني السكيش حين دخلت البيت فنسيت أن آمرك أن تحمها فحرمها
فانه لا ينبغي أن يكون في قبلة البيت شيء يلهي المصلي» ونهى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن الخلق (جمع حلقه) يوم الجمعة قبل الصلاة كما
في حديث أحمد وأصحاب السنن الأربعة . وقرأ قصة المولد يتحلقون في قبلة
المسجد ويرطن خطيبهم بالقصة التركية ولا شك أن ذلك يلهي المصلي ولا
فائدة فيه فهو داخل من منع الحديث من هذا الوجه أيضاً . وقد نهى الفقهاء
عن رفع الصوت في المسجد بالقرآن الكريم . وبالعالم النافع إذا كان يشغل
المصلي . فما بالكم بمن يرطن بالتركية على قوم لا يفهمون منها شيئاً ؟
أما أصل ذلك في السياسة فهو أن أمراء السوء لما صعب عليهم إقامة
الدين على وجهه جعلوا هذه المواسم المبتدعة من شعائر الإسلام ليوهبوا
عامة المسلمين بأنهم قائمون بإقامة الدين وإحياء شعائره وأن رياستهم الدينية
هي بحق . ولم يحكم الترك هذه البلاد جعل بعضهم قراءة قصة المولد بالتركية
لأن الأمير هو المقصود بالاحتفال وقراءة القصة لا الأمة وإنما على هذه

ان تستمد دينه وإحياء الشرائع الإسلامية . وأعجب من هذا ان نحو الامة العربية وصرفها ليمان في مدارس الدولة العثمانية (وقفها الله وأيدها) باللغة التركية لأبناء العرب في سوريا وغيرها وكذلك علم الدين . وقد عين أحد الأئمة من علماء الدين في بعض مدارس سوريا الاميرة كأئمتهم لم يجدوا مسالما يحسن تعليم الديانة الإسلامية بالتركية . فالأصل في مدد السياسة إحياء لغة الامة الحاكمة وإماتة أعبادها وانتهى الخلل الى هذا الحد . ومن هذا القبيل ان سلطاننا المعظم (وقفه الله) كان أرسل بعض الوعاظ الأتراك ليعلموا العرب في عمان والكرك دينهم وليس في المعلمين من يعرف العربية ولا من الراد تعلمهم من يعرف كلمة تركية لانهم من صميم العرب الذين لا يزالون على بدوهم

مس المحدث القرآن (س ٢) ومنه : ان كثيراً من المسلمين شعروا بحاجتهم الى حفظ القرآن الكريم ونذروه فلما هموا بذلك صدقهم تحريم الفقهاء مس المصحف لغير المتوضي وما رضوا حياهم في ذلك من تقليب اوراقه بنحو عود او مسه بنحو خرقه أو حمله مع متاع الخ لانهم يعتبرونها الاعيب فهم الآن في حيرة والرجاء كشف الغمة في هذه المسألة ولكم من الله المثوبة ومن المؤمنين الدعاء والشكر اهـ

(ج) مسألة مس المحدث المصحف خلافة بين المسلمين وكذلك قراءة الجنب القرآن وبني للإنسان ان يحكم الاحتياط في المسائل الخلافية المتعارضة الدلائل . والاحتياط ممن يريد قراءة القرآن بالمصحف للتدبر والتبهد ان يختار قول من قال بوجوب الداهية من المحدث الاكبر للقراءة ومن المحدثين لمس المصحف . وليس من الاحتياط ان يترك المسلم حفظ القرآن لانه يتعسر او يتعذر عليه الحفظ ما لم يحمل القرآن ويمسه على غير

وجنوه خفته حيث هو الأحوط والأفضل . ونشير الى الخلاف في المسئلة وادله بالاجاز فقول

أما قوله تعالى « انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون » فقد فسروا الكتاب المكنون باللوح المحفوظ والمطهرين بالملائكة . ومنهم من قال المطهرين من الاحداث وجعل الكتاب المكنون صفة للقرآن . قال البيضاوي في تفسير الآية « لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجنسية وهم الملائكة . اولاً يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نقياً بمعنى نهي اولاً يطلبه الا المطهرون من الكفر » اهـ وتفسير المطهرين بالملائكة مروى عن ابن عباس وقادة . وأما حديث « لا يمس القرآن الا طاهر » فهو ضعيف لا يحتاج به وكذلك حديث « لا يمس المصحف الا على طهارة » كما جزم بذلك فيهما النووي وابن كثير . على ان بعضهم قال ان المراد بالطاهر المؤمن او الطاهر من النجاسة والمروى عن ابن عباس والشمي والضحاك وداود جواز مس المصحف لحدث حدثاً اصغر . والخلاف كبير في الحدث الاكبر حتى قيل انه لا ينجس فيه من الائمة الا داود الظاهري ولكن لا يعرف للجماهير دليل وبقية القراءة ولا نزاع في جوازها مع الحدث الاصغر وقد ضعفوا ما ورد في الحديث في منع القراءة مع الجنابة ولكن الجماهير على التحريم . وأخرج البخاري عن ابن عباس انه لم ير في القراءة للجنب بأساً . قال في نيل الاوطار : ويؤيده التمسك بموم حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يذكر الله على كل احياء وبالبراءة الأصلية حتى يصح ما يصاح لتخصيص هذا الموم ولانقل عن هذه البراءة . اهـ ومع هذا لا أحب لحفظة القرآن القراءة مع الجنابة ولكن لا بأس بمعلمهم للمصحف مع الحدث الاصغر والقراءة كذلك وانصح لهم أن يتحروا الطهارة والوضوء ما أمكن ذلك والله الموفق

الظلم بالأكابر من الشجرة (٤) الشيخ محمد بن محمد بن أبي الأزهري : أرحم حضرة تكلم
أن توضحوا معنى قوله تعالى « ولا تقربوا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » وأن
تبينوا معنى ظلمه مع ملاحظة قوله تعالى « والظالمون هم الظالمون » وأن تبينوا معنى
قوله تعالى « وعصى آدم ربه فغوى » مع ملاحظة عصمة الأنبياء

(ج) ترون معنى الآية الأولى في نبذة التفسير من هذا الجزء وتقدم الكلام
في مصيبة آدم وعصمة الأنبياء في الدرس ٣٤ من المقائد في (ج ٣ : ٥)

والظلم أهم من الكفر فكل كفر ظلم وليس كل ظلم كفر فمن قصر في فضيلة
أو عمل نافع فقد ظلم نفسه بمقدار ما فاتته من ثمرة النفع وفائدة العمل فقوله تعالى
« والظالمون هم الظالمون » لا يعني هذا لأن يكون الظلم وصفاً راسخاً فيهم بافطم
أنواع وهو الاعتماد في النجاة يوم القيمة على الشفاعة ونحوها لا يمنع أن يأم غير الكافرين
بنوع آخر من أنواع الخفية . وقد فسر بعضهم الظلم في قوله تعالى « والذين إذا
فعلوا فاحشة أو ظالموا أنفسهم ذكروا فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله »
ولم يفسروا على ما فعلوا وهم يعمون « بالعفوية وأنت ترى أن هذا ذنب تنظره العفوية .
والشرك ظلم عظيم « أن الله لا يغفر أن يشرك به »

إسهار الذمية قرأنا (س ٥) عبد الفتاح أفندي البدن بالاسكندرية : إذا أراد المسلم أن

يتزوج ذمية واقفاً على أن يجعل صداقها شيئاً من القرآن الكريم فهل يصح ذلك ؟

(ج) يصح جعل المنفعة مهراً وتعليم القرآن أعظم المنافع لأنه نور وهدى للناس

وقد أخرج أحمد والبخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد (رض) أن النبي صلى

الله عليه وآله وسلم تزوج رجلاً فقيراً امرأة فوصت أمرها إليه بمائة من القرآن

ولفظة المصدق زوجتكما بما ملك من القرآن « وكان الله عنه أمين له الدور التي يحفظها

وفي روايات وأحاديث أخرى ذكر التاميم وتعيين الدور وفي بعضها ذكر عشرين آية

والراجح أن ذلك في وقائع متعددة ثبت بالسنة أن تعليم القرآن يصح أن يكون مهراً

وعليه الجماهير الاخفية « ولم أر من استثنى الذمية في هذا المقام ولا من ذكرها فيه

وأنت تعلم أن القرآن أفضل ما يدعى به إلى الدين وأكبر المنافع ولا شك أن رضا

هذه الذمية بتعليم شيء من القرآن إنما هو لاعتقادها أن فيه منفعة لها « ولكن الذي

منهوه هو تملك القرآن لغير المؤمنين حذراً من إهائته « ومن أراد الاحتياط ووافقة

الجميع فليضف إلى التعليم قليلاً من المال « هذا ما ظهر لنا من الجواب والله أعلم بالصواب

الإنسان في الأربع فمبدأ التري - الدين والإسلام والديك والنصوف

في مكة المكرمة يوم السبت العشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦
انتظم عقد الجمعية في هذا اليوم صباحاً وقرئ النشيط السابق حسب المادة
وأذن الأستاذ الرئيس بالمرور في البحث

فقال (العالم التجدي) : أي أطلب السامع من السادة الاخوان عن إمامهم
بمقامات وتفرقات هم أعلم مني بها بل هي عندهم في رتبة البدييات ولكن لا بد منها
للباحث رعاية لقاعدة التسلسل الفكري والترتيب القياسي فأقول :

ان النوع الانساني مفطور على الشعور بوجود قوة غالبة عاقلة لا تكفي تصرف
في الكائنات بنواميس منتظمة فالإمامة يعبرون عن هذه القوة بانفظ الطيمة والراشدون
من الناس مهتدون الى ان لهذه القوة من هو قائم بها يعبرون عنه بانفظ (الله) ثم ان
هذا الشعور يختلف قوة وضعافاً حسب ضعف النفس وقوتها ويختلف الناس في تصور
بوصف ماهية هذه القوة حسب مراتب الادراك فيهم أو حسب ما يصادفهم من التقي
عن غيرهم وذلك هو الضلال والهداية . على ان الضلال غالب لأن موازين العقول
البشرية مهما كانت واسعة قوية لا تسع وتحمل وزن جبال الأزلية والأبدية والآمال
والآلزام والامكان ونحو ذلك مما يسمى العلم به لصعوبته علم ما وراء العقل ولهذا
لا يقال في الضالين انهم منحطون عقلاً عن المهتدين بل كثير منهم في الماضين
والحاضرين اسما عقلاً بمراتب كثيرة من المهتدين ولكن صعوبة التصور والحكم
أوقعتهم في بحار من الأوهام وظلمات من الضلال . على ان البارئ تعالى قدر اللطف
: مض عباده واراد اقامة الحجة على الآخرين فأوجد بعض أفراد من البشر تميزوا
في تصور ووصف ماهية هذه القوة تميزاً كبيراً فساروا هداة للناس وهم (الأنبياء)
عالم السادة والسلام . وقد قام بعض هؤلاء الانبياء الكرام فيمن حولهم من الناس
مقام المشركين وأبتوا براهين خرق السادات على يدهم عند التجدي أي عند طلب
ذلك منهم (١) أن مخاطبتهم مكلفون باتباعهم وهم (المرسلون) فأمن بهم من أي
شهدوا لهم بالرسالة والبعوهم في هديهم مستسلمين فأخرجوهم من بحار الأوهام
الى ساحل الحكمة ومن ظلمات الضلال الى نور الهداية وهؤلاء هم (المؤمنون)

(١) المنار - هكذا قرر التجدي هنا والممزوف في علم الكلام ان التجدي طلب
المعارضة للمعجزة بأن يقول الرسول هذه آية صدق فأتوا بمثلها أو فآمنوا

هذه مقدمة اولي (مرحى)

ومن المؤمنين نحن مفسر (المسلمين) علمنا بما علمنا ان محمد بن عبد الله الهاشمي
لقريشي العربي اجل البشر حكمة وفضيلة وصدقنا به رسول الله الى العالمين كافة
صحيحاً ملة ابراهيم داعياً لعبادة الله وحده هادياً الى ما يكلف الله به عباده من امر
ونهي كافرين لكل خير من الحياة وبعد الممات

ومن أهمات قواعد الدين عندنا ان نعتقد ان محمداً باق رسالته لم يترك ولم يكن
منها شيئاً وانه أتم وظيفته بما جاء به من كتاب الله وبما قاله أو فعله أو أقره على سبيل
التشريع اكلاً لدين الله

ومن أهم قواعد ديننا أيضاً انه محفلور علينا ان نزيد على ما باعنا اليه رسول الله
أو نقص منه أو نتصرف فيه بمقولنا بل نجزم علينا أن نتبع ما جاء به الصريح المتكلم
من القرآن والواضح الثابت بما قاله الرسول أو فعله أو أقره وما اجمع عليه الصحابة ان
أدركنا حكمة ذلك التشريع أو لم نقدر على ادراكها وان ترك ما يشابه علينا من القرآن
(يريد نفوذ فيه) فنقول له آمناً به كل من عند ربنا نوما يعلم تأويله الا الله

ومن قواعد ديننا كذلك ان نكون مختارين في باقي شؤوننا الحسنية نتصرف فيها كما
نشاء مع رعاية القواعد العمومية التي شرعها أو ندب اليها الرسول ونقتضيها بالحكمة
أو الفضيلة كعدم الاضرار بالنفس أو الغير والرفقة بالضعيف والسعي وراء العلم النافع
والكسب بآداب الأعمال والاعتدال في الأمور والانصاف في المعاملات والعدل في
الحكم والوفاء بالمعهد الى غير ذلك من القواعد الشريفة العامة . وهذه مقدمة ثانية

ويتفرع عن هاتين المقدمتين مسائل مهمة ينبغي افرادها بالبحث تباعاً واشباعاً .
منها ان أصل الانبياء بوجود الصانع أمر فطري في البشر كما تقدم فلا يحتاجون فيه الى
الرسول وانما حاجتهم اليهم في الاهتداء الى كيفية الايمان بالله كما يجب من التوحيد والتزكية .
هؤلاء قوم نوح وقوم ابراهيم وجاهلية العرب واليهود والنصارى ومجوس فارس ووثنيو
الهند والصين ومتوحشو أفريقيا وأسرنا وسائر البشر كلهم كانوا ولا يزالون أهل فطرة
دينية يعرفون الله وليس فيهم من ينكره كلياً كما قال عز من قائل « وأن من شيء
الا يسبح بحمده » بل يطلب على البشر الاشارة بالله فيخصصونه تعالى شأنه بتدبير
الأمور الكلية والشؤون المظالم كالخليفة وتقسيم الارزاق والاجال كأنهم يحاكونه عن
تدبير الأمور الجزئية ويتوهمون ان تحت أسرهم مقربين وأعواناً ووسطاء من ملائكة
وجن وأرواح وروحوانات وشجر وحجر وانه جعل لهم وللنوايس الكونية

من املاك وطبائع وميالات النفسية من سحر وتوجيه فآكر دخلاً وتأثيراً في تدبير الامور الجزئية ايقاعاً أو منماً واعطاهم شيئاً من القوة القدسية وعلم الغيب ونوهمهم هـ. نأبئ عن قياسهم ملكوت ذي الجبروت على ادارة الملوك في اخذ اسمهم بتدبيرهم مات الامور وتقوى بعضهم مادون ذلك الى المال والأعوان واستعانهم بالبطانة والحاشية ودرباطهم بحرى الاعمال بالقوانين والنظامات (مرحى)

ومن تتبع نوارخ الأمم العابرة وأفكار الأمم الحاضرة لا يربط فيها قرورها من ان آفة البشر الشرك الذي أوضحناه فقط وكفى بالقرآن برهاناً فقد قال الله تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » وقال تعالى « بل اياه تدعون » وقال تعالى « فلا تدعوا مع الله أحداً » وقال تعالى « متذبذباً يشفع عنده ألا باذنه » الى غير ذلك من الآيات البينات المثبتة ان زيف البشر هو الاشرار من بعض اوجوه فقط لا الانكار ولا الاشرار المطابق لأن العقل البشري مهما تسفل لا ينزل الى درجة الشرك المطلق

بناء عليه حيرت سادة الله تعالى جلّت حكمته أن يبعث الرسل يتقدمون الناس من ضلالة الشرك ويتأشرونهم من وحدة سرّه في الحياة الدنيا والآخرة ويدونهم الى رأس الحكمة أي (معرفة الله) حق معرفته لكي يمدوه وحسده وبذلك تم حجة عليهم وبذلك يكون حريتهم التي تحميهم من أن يكونوا أرقاءً أدلاً لا أثق شيئاً من ارواح وأجسام وأوهام « قنطرة الايمان بأن (لا اله الا الله) عتق العقول من الأمر وقنطرة الاذعان بأن « محمداً رسول الله » اتباعه حقاً في شريعته التي تحول بين المسلم وبين نزوعه الى الشرك وتأييده سعادة الدارين

« نأبئ الاسلام ما أكرهه » أو قبح ما أحبهه . لا يهتدى الى الوحيه الا بجهد عظيم ويندفع أو يتقاد بشجرة الى الشرك فيتأبس به على مراتب ودرجات في اعتقاد وجود قوة قدسية ترجى وتنسى في غير الله أو تباعاً لله ذاهلاً عن انه لو كان في الارض والسماء. الله غير الله — أي أصحاب تصرف في شيء ولو في تحريك ذرة من مل — لفسدنا قالاس سرهموا الاعراض عن ذكر الله الى ذكر من يتوهمون فيهم أنهم شركاء وأنقاد لله فيمبدونهم أي يظلمونهم ويخضعون لهم ويدعونهم ويستمدون منهم ويرفعون حاجاتهم اليهم ويرجون عند ذكر اسمائهم الخير ويتوقعون من سخطهم الشر وقد قال الله تعالى « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً » والله صادق الوعد نافذ الحكم . وفي الواقع والعصروية والطبع لا ميسرة أشد ضنكاً من معيشة المشركين



الدين وصفهم الله عن وجل ما هم لأعظم لما قال : « لا شرك » وقال : « لا يعظم ربك » وأما قوله : « لا يعظم ربك » فمما لا يخفى على من سمع من النبي صلى الله عليه وسلم من أن الشرك فقال من أنكره .

أولاً واحداً من الأمور التي أقرب لنا فقهت الأمور

ثانياً : « المسمى جماً » كأنك يفعل الرجاء الخلق

ومثل الخلق الأربعة في الموجودين وذلك كقولك : « لا يعظم ربك » فمما لا يخفى على من سمع من النبي صلى الله عليه وسلم من أن الشرك فقال من أنكره .

ثالثاً : « المسمى جماً » كأنك يفعل الرجاء الخلق

ومثل الخلق الأربعة في الموجودين وذلك كقولك : « لا يعظم ربك » فمما لا يخفى على من سمع من النبي صلى الله عليه وسلم من أن الشرك فقال من أنكره .

رابعاً : « المسمى جماً » كأنك يفعل الرجاء الخلق

ومثل الخلق الأربعة في الموجودين وذلك كقولك : « لا يعظم ربك » فمما لا يخفى على من سمع من النبي صلى الله عليه وسلم من أن الشرك فقال من أنكره .

خامساً : « المسمى جماً » كأنك يفعل الرجاء الخلق

ومثل الخلق الأربعة في الموجودين وذلك كقولك : « لا يعظم ربك » فمما لا يخفى على من سمع من النبي صلى الله عليه وسلم من أن الشرك فقال من أنكره .

سادساً : « المسمى جماً » كأنك يفعل الرجاء الخلق



الشيء (الشيء) "الشيء" واحد وإذا أتت إلى لغة فتراد به في الأندلس
 . ومن هذه اللغة الم واحد والأحد صفتان لله تعالى منهاها المفرد الذي
 ذاته لا يؤتى منه غيره . وأنشأ معنى مادة الشرك لغة الجاهل واستعمله الاشرار
 بالله وفي اصطلاح المؤمنين الاشرار بالله في ذاته أو ملكه أو صفاته

ثم اذا وزعنا اعتقادات من وصفهم الله بالشرك في كتابه العزيز على هذه الأنواع
 الثلاث نجد مظنة (الاشرار في الذات) قائمة في اعتقاد الحلول وهو أنه تعالى شأنه عما
 يسمون أئمة أو يقني بعض الأشخاص في ذاته كقول الصاري في عيسى ومريم
 عليهما السلام وقول عليهما في وحدة الوجود . وهذا النوع من الشرك غير التصور
 والعرب حتى عند اساطير أهلهم ولذلك يسميه الصاري حقيقة سرية ويسميه
 غلاتنا حقيقة ذوقية (مرسي)

أما مظنتا (الاشرار في المالك) فدخل تحتها اعتقاد اختصاص بعض المخلوقين
 بتفسير بعض الشؤون السكونية كاعتقاد اليهود في ملك الموت وكاعتقاد بعض الناس
 بعرف غير الله في شيء من شؤون السكون كقول من يقول : فلان عليه ذرك البر
 أو البحر ، أو الشام أو مصر ،

وأما مظنتا (الاشرار في الصفات) فهي الاعتقاد في مخلوق انه متصف بشيء
 من صفات السكك من المراتبة العليا التي لا تدنى الا لواجب الوجود جلّت شؤنه .
 . مما الدوع أكثر شيوعاً من النوعين الأولين لثلاثة أسباب :

(الأول) كون غير الاحدية والخالفية ونحوها من الصفات الخاصة بالله تعالى
 . ذاتاً . فتركها غيرهم . والاداء الراشد من تميز الجد الفاسق بين . . . في
 المخلوقين وبين مراتبها الخاصة به تعالى

(الثاني) ما ناقشناه من تفويض الله تعالى بعض الأمور إلى الملائكة واستجابة

له . لا بد من معنى (الاسلام) وعدم ذكر هذا اللفظ يدل على انه سقط من الأصل
 . . . (البيان) وهو التصديق القطعي بلا تردد وسقط بعده لفظ الاسلام فصار تفسيره
 صريحاً لا لبس فيه . (١) فسر العبادة بالمشهور في كتب اللغة وغيرها ولكن استعمال
 العرب يدل على أنهم لا يسمون كل تذلل وخضوع عبادة وإنما يخصون العبادة بالخصوع
 الثاني عن الاء ناد بساطه غيبية وراه الأسباب العادية

دعاه المقربين، ولم كرامته تعالى بعض مبادئ الصالحين، ووعدته بقبول شفاعة من يأذن لهم بها يوم القيامة فالتبس على الجهلاء التفريق بين هذه وبين التصرف.
(الثالث) هو كون التعظيم مدرجة طبيعية للإغراق والتعالي، ومطية سرية السير لا ياتوي غناها عن تجاوز الحدود إلا برغم الطبع وتوفيق الله. ولذلك قال في الرسل أولو العزم الشدائد في كبح جماح الناس عن اثباتك مُعظمهم مع الله تعالى في مرتبة بعض صفاته العليا وركبوا متون الساعب والمزائم في إرجاع الناس إلى حد الاعتدال وشددوا النكير على إطرار الناس إياهم وحذروا وأبذروا من مقاربة مظان الشرك حتى الحقي الذي يدب ديب النمل

ومن المعلوم عندنا أن نيتنا عليه الصلاة والسلام لبث عشرة أعوام يقاضي الأهوال في دعويه الناس إلى التوحيد فقط وسعى أمته الموحدين وأزل الله القرآن رايه في التوحيد وتأسس دين الله على كلمة (لا اله الا الله) وحجرات أفضل الذكر الحكمة ان المسلم مهما رسخ في الإيمان يبقى محتاجاً إلى نفي الشرك عن فكره احتياجاً مستمراً وذلك من شدة ميل الإنسان إلى الشرك ولشدة التباسه عليه ولشدة قربه منه طبعاً فتسأل الله تعالى الحساية (مرحى) وما هذا خاص بالمسلمين بل منعت الأمم كلها لما يكذبون فيها رسالها الكرام الا وقعت في الشرك كقوم موسى عليه السلام فارقهم أربعين ليلة فاتخذوا العجل (مرحى) (للاجتماع بقية)

بَابُ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ

(*) السُّورَةُ الرَّابِعَةُ مِنْهُ مَبْرُورَةٌ أَسْمَى

(الجزيرتان - والتعليم بضرب الامثال)

يحسن أحياناً في حوار الأطفال أن يكون تفهيمهم الحقائق على طريقة ضرب الامثال
سأني «أميل» منذ أيام لماذا وجد في الناس فقراء وبدا لي من «لولا» كثرة اهتمامها بمعرفة العلة في أن فهم أء
حري على اللسنة جواب مشهور لهذين السؤالين وهو «ذلك ما أراد الله»

(*) مغرب من باب تربية اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر

وما كنت لأجيبوا بمثل ذلك التعاليل، لأنه فيما أرى ليس من شأنه أن يؤدي إلى اذهان الأطفال - حتى كبيراً - مدخل الفناء البالية وما كنت أيضاً لأدخل منها في أعوس مسائل علم الاقتصاد السياسي وأحدما . من أجل ذلك رأيت أن أحسن جواب أخرج به من هذه الحيرة أن أقص عليهم ما قصت :

روي أنه كان يوجد في مكان سحبي من بحر لست على يقين من معرفته جزيرة بنى فيها الأغنياء قصوراً من المرمر وزرعوا في أرضها بساتين وحدائق ذات بهجة ربوا فيها من الازهار ما يندر وجوده في غيرها واحترفوا بركاً توفيراً لأسباب اللذة ولم يكن في الدنيا ما يبادل زخرف مواثدهم فقد كان يطاف عليهم بصحاف من الذهب فيها اقتصار ضخمة طبخت بمِرْقَة سلطان البحر (وهو ألذ ألوان العظام في ذوق « أميل ») وكانوا في لباسهم بالفين حد الإفراط في التأنق خصوصاً نساءهم وكان أولادهم يلعبون (١) الكعبة في الميادين العامة بكرات من الماس

وأما فقراء تلك الجزيرة فكانوا يعيشون حفلة وكانت صباياهم تقدو كل يوم في الشمال من الثياب فتطوف بأبواب الأغنياء التماساً لما ألقاه خدمهم من قمامات مواثد الشبهة . ولم يقتصر الأغنياء في سوء معاملتهم على استعمالهم في الاعمال الشاقة الممقونة بل انهم كانوا يحرقونهم ويلغوا من ذلك الى حد انهم كانوا يحظرون على ذوي الثياب الرثة منهم أن يوجدوا في المنزهات العامة ولم يكن لهذا الحظر من سبب سوى خوفهم على بُسْط هذه المنزهات الهندسية أن تدنسها أقدامهم أو خشيتهم أن يكون منظر يؤسهم قذى في عيونهم وهذا هو الاقرب الى الحقيقة

من أجل ذلك كله غادر الفقراء المدينة ذات ليلهم وآووا الى جبالاً تسمى بالاغنياء فكان رأي الشبان منهم أن يأخذوا أسلحتهم ويسطوا عليهم وهم نيام في ضاحجتهم ويقتسموا أموالهم فقام من بينهم شيخ حكيم ورَبِصٌ بهم حتى قَرَّتْ شفتهم ثم قال اياكم أن تفعلوا من ذلك شيئاً لأسباب ثلاثة أبدى لكم : أولها ان الأغنياء يقوم على حراستهم في صروحهم خدم هم شر منهم وكلاب أضرى من الحراس أنفسهم . ثانيها اني لأعتقد ان سطوكم هذا عليهم وسلبكم لأموالهم يكون من العدل لأتتهم قد كسبوا هذه الأموال

(١) الكعبة بالضم والتشديد لمبة : يأخذ الصبي خزقة فيدورها ويجعلها كأنها

كرة ثم يتقاسمون بها وتسمى هذه اللعبة في الحضر باسمين فالأخرى فيقال لها التون وأما الأجرة فيقال لها البكسة .



التي تحمدونهم عليها أو كرهاً أسلافهم من وجوه شريفة أو خديعة ثم ملكوهم
بعدمهم بمقتضى قوانينى مع كوني لا أدرك كمها كل الادراك انه لا بد لوجودها
من سبب لان جميع الناس يحفظون عليها انصحتون لاحكامها حتى الآن. ثانياً ما يجوز أن
تزعوا اليوم من أعدائكم بملككم عليهم بدون ان يسلبه غداً منكم غيركم بقوته وضعفكم
فعلينا اذن أن تفكر جيداً في اتخاذ وسيلة اخرى. لابد انكم سمعتم بوجود جزر
اخرى في البحر غير هذه الجزيرة التي قضى علينا نحن طاعنا بالولادة فيها فقد حكى
الافرقاء الملايين اخواننا الذين يحضرون الى هنا بغيرهم مشحونة بالارزاق ومواد
الزخرف التي يستعملها الاغنياء منهم رأوا غير مرة في أسفارهم ارضين تزد من الماء
مكتلة بالنباتات والاشجار الكبيرة المثمرة ويستفاد من حكايتهم ان احدى هذه الجزر
خالية من السكان ولا يقصدها الا ارادكم حتى تصبح جنة جنة الفار دانية الخي فان
لنا واعد قوية نساعدنا بل المال وهذا اذا مع شيخوختي سأكون لكم فاد فيه
وامدكم سدائي عند الحاجة فذا هو رأيي قد انشيت به اليكم فانظروا ماذا يقولون.
فقلني جميعهم نفيحتهم بالبلد وما علموا ان هاجروا الى تلك الجزيرة متعاقبين
على سفن واهة صنعوها بفساد من الراج خصاصهم قدام الاغنياء فرحاً لفر هؤلاء
العواناء ولم يستطيعوا كتمان فرحهم ان كانوا يصدقون ويجهرون بقولهم جيداً جيداً
هذا الخلاص

قالما كانت تلك السفن تقل الاشخاص المهاجرين لانهم كانوا لا يملكون شيئاً
استغفر الله بل انهم حلوا معهم فيها أدوات عمام
مضى على سفرهم بضع سنين نقطعت فيها اخبارهم واختلفت اقوال أهل الجزيرة
في شأنهم فمن قال ان البحر ابلهم ومن وافهم بانهم اكمل بعضهم نساءً وبناهم في
هذه الايام اذ رأوا ذات يوم غيرة مشحونة بالثقل ونسروا النجارة ردت على
ميناء جزيرتهم فلم يلبثوا ان عرفوا من لهجة ملاحيها وبعض ملاح وجوههم اسم من
سكانها السابقين وقد أخبرهم هؤلاء الملاحون انهم آتون من جزيرة اخرى استقامت
فيها أمورهم ونجحت نجاحاً عظيماً لانهم ما حرقوا الارض وأحيوا مواتها حتى جلبتها
الحصاد ومالها الزارع والمواشي فاعتبر الاغنياء هذه الاخبار من الأساطير وقهقروا
سماها قهوة المجانين.

على ان الملايين لم يكونوا مبشرين في شيء مما قالوا فانه كان يخرج من ارض تلك
الجزيرة الفقرة على نحو من السحر حتمول مكسوة بالزروع وقرى ومدن وطرق

لأنه كان من عادتهم أن يبيعوا ثيابهم وألباسهم في الجزيرة وفي غيرها وقد كانت
عالمهم بالكيفية وروايتهم كانوا يبيعون ألباسهم بدوراً فكتب أن يرقى وأن يترجمهم لذلك
كانوا يذكرون ببناءهم العمل وأنشأهم على حبه

أصبح الأمر على خلاف ذلك في جزيرة الاغنياء فكانت الزودة فيها تنقص من
يوم الى يوم لأن سكانها لما كانوا من فرط البكر والتكسل بحيث أنهم يستكفون أن
يتولوا بأنفسهم حراث الأرض لم تات ان امتلأت عاقولاً وتعلقت جميع الحرف والصنائع
لقد داهمها وتبع ذلك زوال مواد الزخرف وتداغت الصروح وانقصور فلم يجد من
الرجال من يقم مائة دها

فرع الاغنياء في بدايا هذا الانحطاط الى صناع الجزيرة المجاورة لهم فلم يحبوا
دعوتهم لأنهم كانوا على بيئة مما كانوا ياملون به اخواتهم فلم يرضوا لانفسهم ما قاساه
هؤلاء من ضروب الاهانة

ثم ان من بقي في الجزيرة من سكانها كانوا يملكون كثيراً من الذهب والفضة وأنهم
اشترى من التجار الاجانب كل ما كانوا في حاجة اليه مدة من الزمن ولكن كل كثر لا بد
من تفراده بالغنى من الكثرة ما بلغ خفوساً اذا كان أصله لا يجدد من أجل ذلك لم يمتص
الابضع ستين حتى غابت أموالهم وأنشأوا ينددون ولات حين مندم على ما فرط
منهم من القسوة والطغى في ماملة الفقراء

صاروا الى حالة محزنة جداً فقد نحل عنهم من كانوا يحوطونهم من الخدم والخدم
لجزمهم عن دفع اجورهم وعجزت خيلهم عن جر محلاتهم لفقدها من كانوا يوقون
على تقديتها واصلاح شأنها وكانت نساؤهم ترى في الشوارع متعلمات ناعلا من الديباغ
منوثة الاعقاب ولا يلبس جلابيب من الحرير المذهب كلها بمزق ومخرق لا يمتحنجل
او تلك السيدات الجليات ان يرقن ثيابهن بايديهن فاذا نظر اليهن ناظر وهن في هذه
الاهدام بهذا الصلف والمعجرفة بمتة حائلن الى الضحك والاستهزاء بهن لو لم يكن
من القسوة والظلم الاستهزاء بالنساء البائسين ولو كانوا من الاشرار

وجملة القول ان جزيرة الاغنياء المترفين قد أصبحت جزيرة الفقراء المدمين
كان القحط يزداد فيها من سنة الى أخرى فقد ضمت الأرض عن التحصيل لمدى
ما كان يخدمها من الأيدي وكاد الاغنياء يموتون جوعاً في صروحهم ولو لم يتداركهم
او تلك الفقراء الذين اخرجوهم من ديارهم بالأفراط في سوء معاملتهم ويساعدوهم
بما فضل عن حاجتهم لهلكوا عن بكرة أبيهم

كان « أميل » كثير الاسماء التي في حكماتي لهذه القصة وما فرغت منها حتى
 ابندرفي بقوله : « يستفاد من القصة اذن أن العمل هو سبب الغناء والزروة »
 فأجبت ان هذا ليس بملرداً ولكن أقل فائدة له انه ينفي الأثم التي تعرف بملامح
 العدل وتسلكها . اهـ

باب الحجة على الأعداء

﴿ أحياء محمد علي وأما خلفه ﴾

نشرنا ما نشرناه في المنار من الخلاصة التاريخية لمحمد علي الكبير وحده وليس فيه تم من
 لذكر بيت الإمارة (المائة الحديوية) في مصر بمدح ولا قدح ولكننا لم نسلم من
 عقارب السعاية فقد قال المخالون إننا أهنا هذا البيت الرفيع وهم كاذبون فالتنا براً .
 من اهانة البيت أو اهانة أي فرد من أمرائه . ولكن خواص الناس الذين اتفق لهم
 الاطلاع على خطبة مصطفى بك كامل التي ألفها وضمها وقرأها في الاسكندرية قد
 عجّبوا لما فيها من المبالغة والغلو في مدح محمد علي وذكروا خلفه في الإمارة لاسيما اسماعيل
 باشا ومن بعده . وانما عجّبوا — ولا عجب في خطا الأحداث — لعلمهم بأنه لا يراد
 بالخطبة خدمة لتاريخ ولا تأييداً لمعتقد ولا تنبيه الأمة الى عمل معين يمكن ان تعمله
 وانما المراد بها ارضاء الأمير الخاضع والفرع اليه والشهرة بين الناس . ولهم ان
 يصحبوا بمن يحاول ارضاء انسان بقوله أن جدك الأعلى نبي وأنت وأبوك وجدك
 الأدنى هدمتم وجدكم الأعلى أحياء وأنتم أمتم وجدكم الأعلى حفظ وأنتم أضعتم .
 فهذا هو ملخص الخطبة ونحن نزيد تفصيلاً تبرئة للمنار من قول السعاة المخالين انه
 أهان البيت الحديوي الآن ونوحياً للأفكار الى هذه المسئلة الحيوية التي هي أم المسائل
 الاجتماعية والسياسية في مصر

كلام الخطبة المؤيد بكلام صاحبها في حريته وذكروا قوله صريح في أن الأمة
 المصرية أمة حية قوية هزيرة الجانب مستعدة لأن تبدل الأثم وتلوها في كل علم
 وكل عمل وانما يظهر أثر هذا الاستعداد وهذه الحياة اذا كان أميرها ومدير شؤونها

... التي لا تترك في الدنيا ... ولذلك جاءها محمد علي السكندر القادر وهي على شرف
 النيل ، أعمال أيديها أعظم الأعمال . وصريح أيضاً في أن مصر الآن في ذل وصغار
 وضعف وهوان ، حقوق مقصورة ، وظائف مملوكة ، عزائم مقبورة ، ومزايا مستورة ،
 ولكنه سكت عن التصريح بالسبب للعالم به ثاقبه مع عدم إمكان التصريح به لأن كل
 إنسان بهم أن اليف الذي يقط الرقاب ويطلق الهام وهو صديقي مُقَاتِل لا يجوز عن
 ذلك بعد النبي والناس . وإن العمل الذي يقدريه الإنسان وهو ضعيف ومريض
 يكون أندر عليه بعد عود الصدقة وتوب العافية . فكيف دوخت الأمة المصرية الأثم
 الذوية وطغرت نالها من الحرية المستمدة مع محمد علي واستقامت وحتت للانكليز
 على عهد أبيه فيق وعمران الثاني ، إن هذا العجيب بالسان قال . صغاني بك كامل . ولسان
 بالبل منهم كلامه يقول

• مادة السيف أن يزهو بجوهره • وليس يعمل الأفي يدي بطل
 جاني السيف الرماح من الخطبة إلى الأمة المصرية التي فتحت البلاد والامصار وكان
 عددها يومئذ لا يزيد عن ثلث عددها اليوم قادرة على بلوغ غاية المز ... وجاء فيها
 أن محمد علي ماضرب وغلب وساد ، وأخضع لسانان مصر البحار والبلاد ، الا
 بمقل المصري وبأسه . وجاء في الصفحة الخامسة أنه أخذ مصر « وهي عليه ضئيلة
 لا حراك بها » ... « فأراها بعد عهد الشقاء وزمن البلاء وأيام المحن والفتن قادرة
 على القيام بأعظم الأعمال . فيها من روح الحياة وقوة الهوس ما يرحح الحيال
 الراسيات ، وتجر أمامه الشم الثابتات . » ثم ذكر الجند الذي جنده وهو جند الغزاة
 القناحين وأنه « أخرج من أولئك الفلاحين الذين طاملا تصرف فيهم السكوارت كما
 شئت إيصلاً وشجعاناً استمرت الأرض تحت أقدامهم إجلالاً وإعظاماً ومجيزت
 جيوش العالم عن مجاراتهم ومناظرهم ، » . وفي الصفحة الخامسة كشف السر عن
 ظهور المصريين بعد ذلك الذل المهين بمظهر القناحين القادرين وهو أن (محمد علي)
 الذي أدرك بوسع عقله كنوز هذا الاستعداد في المصريين « لم يترك لليأس سلطاناً
 على نفسه » . كانه يقول إن الأمير الموجود لم يدرك هذا الاستعداد بعد ظهوره في
 أكمل مظهر يعمل جده وكان جده رأته وهو كثر تخفي وإن هذا يئس من نفسه
 ومن أمته ولذلك لم يتصد للاستفاد بكنوز استعدادها الظاهرة . نعم انه لم يصرح بهذا
 ولكنه قال في أول الصفحة السابقة أن من يعرف جيش مصر وأسلوطها في زمن

محمد علي ، مثل : ان حركاته ، مشاعته ، محاماته ، انما هي القوة ، وأصل حملها أمة عادها
برمان ، فلم يتركها ارادة ، ولم يتركها غير لباس توج من والاستسلام ، . فهل يمكن أن
نفسر هذا الحادث الاثني على راية معين ، ما تقدم من عدم معرفة الأمير الحاضر
بقوة الأمة المصرية ، وأما من نفسه ، وما شاع في الأمة في أعلى الدرجات . . . ؟؟
وكانه ذكر الاسطول ، من ريشة البواخر الخديوية على عهد هذا الأمير

بعد هذا نوهت الخطبة (ص ٧) ، بالعمل والمصانع التي أنشأها محمد علي في المدائن
والبحري ، وبالمعامل الذين رتبهم لهم ، ولم يذكر الامن ، عدم تلك المعامل ، ومن
سبب أذى هذه الأمة الجبان من الأعمال بعد ارتقامها فيها ، ثم عادت الى التسوية بالقوة
التي ، والسياسة ففي النسخة الثانية ان (محمد علي) ، أحاط بمصر يد من القوة
والدنية ، وجمع شملها ، بعد ان كان ، مفرقة ، بين طوائف الأمة ،
وهو من مصر عفا ، قلباً شاعراً ، ساعداً ، رديداً ، ونبواً ، تبارداً (كذا) ، وله
تلك المدرسين ، وطناً ، وأمة ، وحكومة ، مع عن اليوم ، وأما ،
والشمسية ، والإفهام ، أهم الناح ، ترفع الرية المصرية ، التي كذب
وأنزل ، فأن ذهبت هذه الزايات ، حل محامها ،
شجبت من أعلى مكانة ، إلى استل نهور ، الكلام الآن أحقاد
ذلك ، الدين ، الموروث ، وفروا الشمل ،
السياسة والإفهام ، إلى ذلك ، على هذا ما بعده في الخطبة

بناءً في الصفحة السادسة ، ما تقدم ان حكومة محمد علي كانت ،
ثلاثة لا تقوم دولة بغيرها ، بدون إحياء ،
الاجني ، إلى أعلى القطار ،
ثالثاً الامتناع عن الدين واجتنابه ،
تسكروا بهذه المبادئ التي لا تقوم دولة بغيرها ،
أساس الاستبداد كما في (ص ١١) من الخطبة ،
حتى ضباط المساكر من ترقية الجراكسة والاراك (الدخلاء) في الوظائف السامية
وحرمان أبناء الوطن العزيز ،
وناروا يعطون أحداً المبادئ ،
حكومتها ،

دور الحطاب في الحياة السياسية، والحطاب في مصر ليس من هذا القبيل فهم الحطاب
 من طائفة من العامة التي لا تملك لسانها ولا كفالة من فهم لسانهم، فالحطاب في مصر يدعى
 وإن كان فله من عين فهم وكيف يكون هو مؤلف الخطبة ومذاهبها ولا يفهمها !!!
 وفي المذخبة المشهورة فصل الحطاب في مقابلة الخطبة بين الماضي والحاضر قال
 «مصر اليوم تحسب الاستسلام للإنكسار والرشح لسلطته والامتثال لأرادته، وهي
 على التي ردت عن القادسي تحت إدارة محمد علي في ثلثي رأيه ثم أتت على الأمة المصرية
 ماب الاكليل ما أتت وذكر ان الكبرياء أرادت أن تقضي على هذا الملك الجديد وهذه
 الدولة البائسة ثم ما أجادوا من بعد بنو مصر في أمته هم وأولاد محمد علي أي أمه هو أم
 فتوكت الزمور والبلاد أسفة على فسادها من جهة هذا الجور الباطل والعزم القاهر والوطنية
 الحقة والهمة الجديدة» فطوف في الكلام صريح في أن الذي أرى الأكليل في ذلك العزم
 القاهر في نفسه وفي الأمة المصرية هو الذي عليه وهو الذي كثر أمام الأمة في الاستقلال
 المعروف، أما أن يعرف هذا الاستقلال الحاضر لم يقد أن يكون الاكليل أمير هذه الأمة
 أنه أنه قال بغيره هو السند والامام في هذا الاستسلام.

ولكن أكثر المدعيين ان لم نقل انهم قالوا ان الأمير الطاهر (ونفسه الله
 تعالى) قد نبه مصر على وعزمه، وولد ما يسمونه بدينه وعلمه، ولكنه لم
 يجد في البلاد رجالاً أصحاب عرائس يملأ بهم كاهن محمد علي، والسبب في هذا هو
 انهم في المار الماضي من كون محمد علي وجيد الشجاعة والعزيمة والتجدة في
 البلاد فأمر بها، وأمرها حتى قويت بعد ولايته في زمن قريب، فثقلت (آثار محمد علي
 في مصر) التي أتت في الجزء الماضي يمكن أن يحتاجها من يعتذر لأميرنا الحاضر
 (أبد الله) وإذا سلمت هذه الفسحة والذات التي ذكرت في الخطبة لمحمد علي فهي
 حجة على كل أولاده وأحفاده ويجب أن تبهت في نفوس المصريين حب محمد علي
 وبعض جمع ذريته الحاكين ومقتهم لأنهم هم الذين أضاعوا الاستقلال النفوس ففزع في
 أثره استقلال البلاد لاسيما بعد الدين واعطاء الوظائف «للدخلاء»

وان تعجب فمجب سمي بعض الذين يزعمون حب سمو الخديو الحاضر أو سموه بأنهم
 إليه باسم النصيحة بأن يجتهد في مقاومة كل صاحب ارادة وعزيمة في مصر حتى قال
 أحدهم سموه «إذا لم تقطع هذه الرؤس الثلاثة كما فعل جسدك فلا يفسدوا لك الملك
 في مصر» فليتب الله هؤلاء الذين يقدحون من حيث يمدحون، ويفشون في عين مابه

ينصحون * ويضرون الراعي والرعية اذا رأوا أنهم يشفقون *

وعما يصح ان يمد حجة صريحة في الخطبة على ما تقدم فيها بالمفهوم من ان خلف محمد علي هدموا ما بناه ، وأمتوا ملاحياه . فاني الصفحة ١٣ من المقابلة بين الامة المصرية ، والامة اليابانية ، وتفضل نشأة الاولى على الثانية والحكم بانها تسلك السيل الذي وجبها اليه محمد علي لبلغت من الشأن والشأ ما لا يكتفه كنهه . فاذا وجه الحاكم المطلق الامة الى شيء هو في طبيعتها واستعدادها فن الذي يحولها عنه بعد ذلك الحاكم المطلق الذي هو مثله ؟؟ الكلام صريح ، ليس بتبريض ولا تلويح ، هذه الخطبة من حيث المقابلة بين الماضي والحاضر ومدح محمد علي وهجو خلفه ولا تضرع لما فيها من القلو والكذب على التاريخ كزعم ان محمد علي وفق بين المدنية المصرية والدين الاسلامي وغير ذلك فمحمد علي لم يكن عالما ولا فيلسوفا وانما كان أميالا يعرف من علوم الدين ولا من علوم الدنيا شيئا . وفي الخطبة انه تعلم القراءة بعد الاربعين . ولكنه لم يتعلم من العلم شيئا وحسبنا ما تقدم في المنار من حقيقة امره . نعم اننا لم ننكر انه كان جديبا باسلا وشجاعا حازما وبذلك تيسر له ان يكون قائدا لأولئك الشجعان الذين آباد بهم ثم آبادهم

ونتي في الخطبة كلمتان لا بد من التنبه عليهما . احدهما ماجة ، في الصفحة ١٥ من انه بقي في مصر من الاستقلال الذي أزاله الانكليز قوة كبرى اليها انتهت وتنهى كل قوة في مصر وهي الساطرة المالية التي استمدت وتستمد البلاد منها كل نجاح وفلاح وهي عرش الحديوية الذي يمثل قوة مصر في ماضيها وآتيها . فهذا الذي يستطيع ان يفهم هذا الكلام . بعد كل ما تقدم من الايام ، وهل يصح ان يسأل قائله عن رأيه في استعمال صاحب هذا العرش التولي على هذه الامة الخطة لهذه القوة الكاسية أولا ، وتانيها فصحة في آخر الخطة للمصريين ان يتركوا لباس وينبوا عبقدهم المقتبل على « التربية الوطنية » ليخرج منهم رجال عظام يبذلون ليل الاوطان بالهار . فهل يريد انه ليس فيهم الآن رجال وهل يريد ان يتمدوا على أنفسهم « لاعلى عرش الحديوية وقوته الكامنة » وهل يمكن ان يعود اليهم محمد بن امير محمد علي الكبير ؟؟؟

كلانه ذكر التربية الوطنية التي يزعم انه المنفرد بالبحث عليها وانها الحمية للبلاد ليعلم الناس انه هو عبي الوطن بعد محمد علي ولذلك ختم خطبته بكلمة لم تطبع وهي : انني خيبت هنا سنة ١٨٩٦ خطبة كانت من أثرها هذا الانقلاب الكبير في التربية والتعليم وسيكون أثر هذه الخطبة اكبر وأعم في تهدم الوطن العزيز فخرج القوم يصحكون من هذا الفرو

﴿مصاب عظيم • بوفاة عالم حكيم﴾

في يوم الجمعة ٦ ربيع الاول أصيب الشرق بفقد رجل عظيم من رجال الإصلاح الإسلامي وعالم عامل من علماء الممران وحكيم من حكماء الاجتماع البشري ألا وهو الشيخ النهر ، والرحالة الحبيب ، السيد الشيخ عبد الرحمن الكواكبي الحلبي مؤلف كتاب طبائع الاستبداد وصاحب « سجل جمعية أم القرى » الملقب فيه بالسيد الفراتي . احتفظت المنية متأبته هذا الصديق الكريم ، والولي الحميم ، بل هدمت منا الركن الركين . وفوضت أقوى الدعائم والأساطين . فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لو كان الرناء والتأبين من موضوع انثار لريثته بما يليق بخطبه العظيم . وما كنت لاستمبر المدامع . لاستمبر القارئ والسامع ، ولا لاستمة الرناء من خيال الشعراء ، ولا الحزن من قواد الخفاء . وانما استبالي القلب . بمض ما يجحد من الكرب ، فانه ما أجزني خطبه كحبله ، ولا أمضي كرب ككربه .

حزني عليه دوره مسلسل . مهما انتهى الى النفاذ انقلب ولكنني أدع الرناء والتأبين ، لأفاضل الشعراء الجديين . وأذكر في التارما يليق بموضوعه من خلاصة سيرة هذا الرجل ليعلم القراء منها كيف ينبت الشرق الرجال العظام . وكيف تصبهم الامم والحكام . ولكون ذكرى لمن يذكر ، وعظله لمن يعتبر ، وأبدأ بترجمة اللقيد الرسمية وهي مطبوعة في ورقتين رسميتين أحدهما مصدق عليها من والي حاب المشير عثمان توري باننا ورؤساء حكومة حلب يومئذ والثانية مصدق عليها من الوزير راتب باشا والي حاب وهي الاخيرة . وانما أبدأ بالسيرة الرسمية لأنها من مواد استنباط بيئة الاجتماعية والسياسية والادبية وهذا تعريفاً باختصار :

بالسيرة الرسمية هو عبد الرحمن أقدي ووالده الشيخ أحمد أقدي من آل الكواكبي ومن المدرسين في الجامع الاموي الكبير والمدرسة السكوكية وآخر وظيفة كان فيها عضوية مجلس ادارة ولاية حلب وبينهم من بيوتات المجد والشرف (خاندان) المشهورة في الاستانة العلمية وحلب . ولد السيد عبد الرحمن أقدي الكواكبي في ٢٣ شوال سنة ١٢٦٥ وتعلم القراءة والكتابة في المدارس الاهلية الابتدائية ثم استنصر له أستاذ مخصوص علمه أصول اللسانين التركي والفارسي . وتلقى العلوم العربية والشعرية بمدرسة الكواكبية المنسوبة لأشهره وأخذ الاجازات من علمائها ودرس فيها . وهو يقرأ ويكتب بالعربية والتركية . وقد وقف على العلوم الرياضية والطبيعية

ومن ثلثة تجرير الجينة الرسمية
(فوات) بسمها التركي والعربي من سنة ١٢٩٢ الى سنة ١٢٩٧ . ومنه جرت
الشبهاء التي أنشأها في حلب سنة ١٢٩٣ وكان هو الخور لها
(خدمته ووظائفه) دخل في وظائف الدولة رسمياً في الثامنة والعشرين من عمره
وفي سنة ١٢٩٣ عين محرراً رسمياً في الجريدة الرسمية بسمها (كانه كان في سنة ١٢٩٢
يحررها بهسقة غير رسمية للاختصار) براتب قدره ثمانمائة قرش . وفي ٥ ربيع
الاول سنة ١٢٩٥ عين كاتباً فخرياً للجنة المعارف التي تأسست في ولاية حلب (بعد
بالمعظمي ما كان بدون راتب) وبعد ثلاث سنين اندمجت إدارة اللجنة بزيادة فيها قيم
بثمانية (الاشتغال العمومية) وعين عضواً فخرياً فيها . وفي ٢ جمادى الاولى عين
محرراً للمقالات (مسجل المحكمة) وفي ١٦ ربيع الثاني سنة ١٢٩٨ صار مأموراً
بالاجراء (رئيس قلم المحضرين) في ولاية حلب . وفي ٧ رمضان سنة ١٢٩٨ عين عضواً
فخرياً في لجنة امتحان المحامين . وفي ٢١ ربيع الاول سنة ١٢٩٩ عين مدرساً فخرياً لمطبعة
الولاية الرسمية . وفي ٧ رجب سنة ١٢٩٩ عين رئيساً فخرياً للجنة (قومية) للثلاثة
وفي ٢٢ ذي القعدة سنة ١٢٩٩ عين مأموراً بوزارة العدلية (الخنائية) في الاستانة نظراً
في محكمة التجارة بولاية حلب . مع الإبقاء في وظيفته الاولى (محرر المقالات) وفي سنة
١٣٠٣ انفصل من هذه الأخيرة . وفي ٤ رجب سنة ١٣٠٤ عاد الى وظيفته مأموراً بالاجراء
وفي ٢٣ رجب سنة ١٣١٠ عين رئيساً للبلدية

الى هنا انتهت وظائف الترجمة الرسمية الاولى وجاء في اثنائها بعد ذكر ماتهم
انه في ٢٩ من ربيع الاول سنة ١٣١٢ عين رئيساً كتاب المحكمة الشرعية في حلب
(مسكاتب) بقرار من مجلس النواب في دار السلطنة . وفي ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣١٢
عين ناظراً ومفتشاً لصلحة المحصل الدخان (البرنجي) التي تترك مع نظارة الخبازية في
ولاية حلب ومتصرفية الزور وفي اثناء ذلك اتفق مع ادارة المصاحبة واتفاد على أن
يستلم من المصلحة جميع ما توافقه من الخان (الخ) الى الولاية والمتصرفية بزيادة كثيرة
عن القدر المعتاد وجميع ما يزرع فيه مائه ويولى بمهنته . في اثناء ذلك بلغ من المال يزيد
عما كانت تنبع به المصلحة دخلها زيادة كبيرة . وفي غضون ذلك استقال من رئاسة
كتاب المحكمة الشرعية ثم في ٩ ذي الحجة سنة ١٣١٤ أعيد اليها وعين رئيساً
للجنة البيع والفرغ (أي استبدال الاراضي الاميرية من أصحاب اليد بالمال) . وفي
٧ ربيع الاول عين رئيساً أولاً لفرقة التجارة في حلب ورئيساً لمجلس ادارة المصرف

الوسام المجيدي من الدرجة الثالثة اهـ
 ان من ينظر في هذه الترجمة الرسمية ولم ين عطف المترجم ولا يسميه في هذه
 الوثائق العلمية لادبية الاربية العلمية الختوية التجارية الزراعية المالية يقول ان
 صاحبها من اوساط الاس لامن افراد الرجال الذين يمدون من علماء الاجتماع وأركان
 العمران وهنذي الأمم كما وصف في فترة الدول ولكن من يعلم انه في كل عمل من
 أية صناعة في إقضان العمل وحكمة الإدارة كيف يشاء كيف يحسن رجل هذه الاعمال
 للتبليغ . وإذا وقف إحدناك على معنى سيرة في الترجمة وقوة الإرادة وعلم ما كانت
 أسمه إليه نفسه ويربي إليه فلأرد وفرا بعض . فبذلت به قريحته الوقادة ، وفكرته
 الفعالة . علم أنه من افراد الرجال . وانما لما كان يربى منقوسا من الزمان والمكان
 وانما لم يثنى عما وقفنا عليه من سيرة في مدة تحببنا له في هاتين السنتين اللتين
 أقامهما في مصر

(أدبه وأخلاقه) توفيت والدته الفقيده وهو في أول سن التمييز فعهد والده
 بتربيته الى خاله (م . بونات انفاكية) من نواحي النساء الاوانى فلما يعرف ثمانين
 التبرق لاسمها في هذا الزمان كانت تعرف بالعقل والكياسة والدهاء والأدب البارع
 فنشأته على أدب اللسان والنفس فكان من أخلاقه الراسخة الحلم والأناة والرفق
 والزهادة والبزء والشجاعة والتواضع والشفقة وحسب الفهماء . وقد كنت أكنل من
 عمره معجبا بأمانه حتى كنت أقول اني أراه يترقى في رد السلام ويحك في جواب
 من يحبه عدة ثوان ولا اكاد أعرف أخلاقا أعصى على الاستقاد من أخلاقه ولقد كان
 لسان الحال يصفه بقول بن دريد

يعتصم الحلم بجنتي جُوتِي اذا دباح العَيش طارت بالحي
 * لا يطأيني طمع مبدئس اذا اسهل طمع أو أطبى *
 والحلم خير ما اتخذت حيلة وأنفس الابرار من بسد التقي

(علمه ومعارفه) يزيد على ما جاء في السيرة الرسمية ان الفقيه درس قوانين الدولة
 درسا دقيقا وكان محيطا بها يكاد يكون حافظا لها وله انشاءات علميا يدل على دقة نظره في علم

الاسماء والاشياء وهذا هو العلم الذي لا يتغير ولا يتبدل ولا يتغير في
أولهم العلوم التي هي في الأشياء والاشياء والاشياء هي التي هي في
الأشياء والاشياء هي في الأشياء والاشياء هي في الأشياء والاشياء هي في
في أعمارهم. إلا أن الأراء في الأشياء والاشياء والاشياء هي في الأشياء
في الشرق ولا في الغرب في بعض الأحيان في بعض الأحيان في بعض الأحيان
فلاحة الشرق وكتابه في بعض الأحيان في بعض الأحيان في بعض الأحيان
والسياسة والمبادئ والاشياء في بعض الأحيان في بعض الأحيان في بعض الأحيان
من المؤامرات والجزائرية التركية ونحوها في بعض الأحيان في بعض الأحيان في بعض الأحيان
ينبغي فيه الحكمة أو الفلاحة في بعض الأحيان في بعض الأحيان في بعض الأحيان
كيف يكون أثره لو تربي وتعلم في بعض الأحيان في بعض الأحيان في بعض الأحيان
عنده من مواد العلم ومعرفة الآلة والحكمة في بعض الأحيان في بعض الأحيان في بعض الأحيان
التي لم تكن تداركه في بعض الأحيان في بعض الأحيان في بعض الأحيان

(عمله وجهته) كانت وجهة العقيد في كل عمل أو محاولة هي النفع العامة فالله تعالى والأد
وجهه هو الشريعة في الامم تكن تعرف الخير الدالاهية ولم تكن بضاعة الكتاب أو شئ
فيها ولو كان في الامم حرية لاجل الدالاهية لكان في (الامر) الاثر الحيدوي وان كان الدالاهية
يحكم بالاستبداد كالارض النوبولانا في (الامر) الدالاهية في (الامر) الحيدوي من الحرية
الامر انشأها لأن نفسه الاية لم تسلم على صفة الحكم بها كان في وهكذا كان الله في
وطبقه - ولي ياسة الدية فكان أول من علمه للبلدان (الامر) على طرف المدينة
من (الامر) اسلاسل من الحديد تمنع الحمار التي كانت ذبذبة الممرات وتتمتع من
من التردد في حوثهم جعل الحمار التي تحول الى الدالاهية مكاناً أو مكانة
من (الامر) وكانت (الامر) (الامر) في (الامر) الانشاء أخذها
من البلدية بالانضمام ولا يشر على (الامر) في أحد تقرره من الرؤساء فلما علم ان
الرئيس الجديد لا يصلة (الامر) من (الامر) الدالاهية عرض عليه أربعين ألف
قرش أو أكثر على (الامر) (الامر) في (الامر) سكتة عنه فلم يقبل العقيد
أن يأخذ لنفسه شيئاً ولكنه قبل أن يكون المبيع (الامر) في البلدية فلم الوثلي
بهذه الزيادة في الصندوق وسعى في أن يكون له (الامر) في (الامر) ذلك فمضاه
وهكذا كانت سيرته مع الحكماء في كل وظائفه أوجابها - يهدي للإصلاح فيصدونه
عنه لأجل منفعة ماله أو لتفليل نفوده فلا يشر له على (الامر)

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوفى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أول الأنياب

المسحاة

١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول
فيستمعون أحسنه أوتاك الذين هداهم
الله وأوتاك هم أولو الأنياب

﴿قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوى و «مناراً» كمنار الطريق﴾

مصر في يوم الاثنين غرة ربيع الثاني سنة ١٣٢٠ * ٧ يوليو (حزيران) سنة ١٩٠٢

﴿ باب العقائد من الأموال الدينية ﴾

(الدرس ٣٥ — عدد الأنبياء ومواطنهم وتعدد هم)

(المسألة ٩٦) عدد الأنبياء والمرسلين روي في عددهم أحاديث لا يحتاج بشيء منها ومنها الضميف والموضوع وأمثلها ما رواه أحمد والطبراني وابن حبان والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء عن أبي أمامة قال : قلت يا رسول الله كم عدة الأنبياء ؟ قال « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمعا غفيرا » وفي رواية للحاكم والبيهقي عن أبي ذر « والمرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر و آدم نبي مكلم ». ومن حديث أنس عند الحاكم وابن سعد أن الأنبياء ثمانية آلاف ويفهم منه أن المراد بهم المرسلون وفي حديث جابر عند ابن سعد وأبي سميد عن الحاكم « إني خاتم ألف نبي أو أكثر » ولعدم الثقة بهذه الروايات قال العلماء بالوقف في مسألة عدد الأنبياء لأن القائل بعدد يكون نافيا لما زاد عنه فهو كالكذب بالزائد وما يدرى له لعل هناك زيادة . هكذا قالوا وأقوى منه أنه قول علي الله بغير علم فهو من الكذب عليه جل ثناؤه ومن اتباع الظن في الأمور الاعتقادية « وان الظن لا يغني من الحق شيئا » . وقد قال تعالى لنبيه « مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ » فخصبنا من العدد ما قصصه الله تعالى في القرآن أن الرسل الذين ذكروا في القرآن يجب الإيمان بهم تفصيلا . قال تعالى « وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . وَوَهَبْنَا لِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ

ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين. وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كلٌّ من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضّلنا على العالمين» فهذا هو تفضيل النبوة والرسالة فيفضلون به سائر الناس. وقد وردت هذه الأسماء متصلة على هذا الوجه. وقال تعالى: «واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبيّاً» وقال جلّ جلاله في ذكر قصص المرسلين «وإلى عاد أخاهم هوداً» وقال «وإلى ثمود أخاهم صالحاً» وقال «وإلى مدين أخاهم شعيباً» أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً ومثله ما بعده وقال تعالى «واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار» فيذكر ذا الكفل بين الأنبياء. ولم يبق إلا ذكر الفاتح وهو آدم والخاتم وهو محمد عليهم الصلاة والسلام وذكرهما في القرآن مستفيض

(م ٩٧) معاهد الأنبياء ومواطنهم: إن المعروف من تاريخ هؤلاء الأنبياء الكرام يدل على أنهم كانوا كلهم أو جلهم من بلاد العرب وما يتصل بها من الشام وفلسطين والعراق كأن هذه القطعة الصغيرة من الأرض التي يكون منها القاموس الهندى والبحر الأحمر والبحر المتوسط شبه جزيرة هي منبت الأنبياء والمرسلين من بعد آدم أي من عهد نوح إلى عهد محمد عليهم الصلاة والسلام. وكأن الله تعالى اختص أهلها بالهداية دون سائر خلقه وإن القول بحصر النبوة والرسالة في هذه البقعة لمن أقوى شبه الملاحظة على الدين وهو يناق في ما تقدم في بيان وجه الحاجة إلى إرسال الرسل فيمكن أن يطلوا ذلك بهذا إن صبح وقد سمعهم مارأوا في كتب اليهود والنصارى من حصر الأنبياء في بلاد فلسطين والشام وما

جاورها على البحث في أخلاق أهل هذه البلاد وطبائهم وعاداتهم فزعموا
أن عند خواصهم استعداداً خاصاً للقيام بالدعوات الدينية والمذاهب والرياسة
الروحية وأن عند عوامهم استعداداً لإجابة كل داعٍ واتباع كل ناعقٍ قالوا
ولأجل هذا حدثت الأديان والمذاهب والفرق في هذه البلاد دون غيرها
هذه الوسواس لا منفذ لها إلى قلب من يفهم القرآن فقد قال جلّت
حكيمته « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا
نَذِيرٌ » فهذا نصٌّ قاطع صريح في أن هذه الرحمة الإلهية والهداية السماوية
كانت منحة عامة لجميع الأمم في كل بقعة من بقاع الأرض. وإنه لقول
فصل ، تصافح فيه العقل مع النقل ، فإن قيل لم لم يذكر في بيان هذا
الإجمال بذكر الأنبياء والمرسلين نبياً أرسل في الهند أو الصين أو أوربا
أو أميركا ؟ نقول إن ذكر الأنبياء لم يأت بياناً لإجمال في هذه الآية وإنما
أتى لبيان سنن الله تعالى في الأمم مع أنبيائهم لأجل العبرة للنذيرين .
وتثبيت المرسلين ، قال تعالى « لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ »
وقال « وَكَلَّا نَقْصُصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ قَوْمًا ذَكَرْ » وكل من
العبرة والتثبيت إنما يكون بما هو معروف ولو بوجه ما ولذلك تكرر
ذكر الأنبياء الذين تعرف أقوامهم أو بلادهم بالتفصيل أكثر مما لا يعرف
إلا بالإجمال . ويمكن ذكر آية واحدة لبيان أن رحمته تعالى لعباده
يارسال الرسل لهدايتهم عامة لأن جميع الخلق عيال الله تعالى وهو بهم
رؤوف رحيم . أ رأيت لو جاء هذا النبي المربي قومه بذكر نبي كان أرسل في
أميركا منذ مائة ألف سنة مثلاً وذكر لهم بعض شأنه معهم أكان يحصل له
من العبرة بعض ما حصل من أخبار أمة اليهود ، وخبر صالح في ثمود ؟

كلا إن ذكر الجمهور المطلق يحمل على التخيل والاختراع ، ويقول الناس في أمثالهم : إذا أردت أن تكذب فأبعد الشهود . ولذلك كان يأمرهم أحيانا بسؤال اليهود ، ونزل في قصة نوح ، « وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون »

وما يدرينا أن كونفشيوس كان نبياً مرسلًا إلى أهل الصين ، فإن آثار هدايته وحكمته لم تمح بالمرّة وكذلك يقال في بوذا فإن قيل يوجد في عقائد القوم ما يحكم الإسلام بأنه لا يمكن أن يكون من دين الله لاسيما ما في الديانة البوذية من الشرك بالله تعالى ؟ نقول أليس يوجد في عقائد من صرح القرآن الحكيم بأن كتبهم سماوية ، وديانتهم إلهية ، أمثال هذه العقائد التي يعدها الاسلام وثنية ؟ فما يدرينا أن هذا دخل على القوم بالتأويل والتحريف كما دخل على من بعدهم إلى يومنا هذا « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ » إذن إن طول الأمد على البعثة مظنة الفسوق عن أمر الله تعالى والمبر بين أيدينا وعن أيماننا وشمائلنا ، فآلهمنا اللهم رشدنا

فإن قيل : إذا جوزتم أن تكون الأمم التي سبقت لها آداب سامية ، ومدينة زاهية ، قد استمدت ذلك من الديانة السماوية ، كما قلت في الأمة الصينية ، فاهو الحكم في الأمم الهمجية التي لا يكاد يفصلها عن الحيوان الأعجم إلا بدو البشرة والضحك بالطبع كـ بعض زوج أفريقيا وسكان بعض جزائر القاموس المحيط الأعظم ؟ إن قلتم إنه بمث فيهم أنبياء فأين آثار هدايتهم في الأمة ؟ وإن قلتم لما يرسل إليهم رسول فأين العموم في قوله

تعالى « وإن من أمة لا خلا فيها نذير » فالجواب أن الله جلت حكمته خلق هذا الانسان وجعل كماله الوجودى بالارتقاء التدريجى فى عمله بالكون وعمل الكون به فكأما استعد لمرتبة من مراتب ذلك الكمال أعطاه إياها فهو يأخذ دائماً بقدر استمداده . وإطلاق القول فى العموم والخصوص يراعى فيه قيد ماعرف فى نظام الوجود أنه شرط له فإذا قلنا إن الأنثى تلد أو كل أنثى تلد فالمراد أنها تلد فى سن الولادة وبشرطها الوجودى فلا ينقضه كون الصغيرة لا تلد . فإذا فرضنا أن المسئول عنهم لم يظهر فيهم مرشد ينذر قومه بما يعطيه الإلهام الإلهى من المعرفة سوء ما هم فيه من إفساد ويدلهم على الحق وطرق الإصلاح فلا شك أن ذلك لعدم استعدادهم لفهم الحق ومعرفة الخير من الشر

على أن عدم ارتقاءهم فى المدنية لا يدل على أنه لم يظهر فيهم نذير ولا مرشد لأن الناس فى كل عصر لا يستفيدون فى هداية الأنبياء إلا بقدر استعدادهم فكم من نبى لم يؤمن به إلا النفر القليل كما ورد فى نوح عليه السلام . وكم من نبى لم يؤمن به أحد كما قال تعالى بعد ذكر قصة نوح « ثم بثنا من بعده رسلاً إلى قومهم فجاءهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل » وأكثر الأنبياء قد درست آثارهم فى الشرق حتى أن صحف إبراهيم لم يحفظ منها شئ وهو أبو الأنبياء و خليل الرحمن والذي حفظت له الذكر الحسن جميع الأمم المؤمنة لأنها كانت قد ارتقت وصار فيها من يعرف قدر العظماء ويحفظه ولأن النبوة تسلسلت فى ذريته باتصال فهل ينكر مع هذا أن لا يحفظ إلا أنبياء الذين يظهرون فى الأمم الجاهلة المهمجية أثر ؟

(م ٩٩) ارتقاء الدين جرى الدين فى سنة الارتقاء وكان كماله فى الشرق

وذلك من عهد إبراهيم إلى عهد محمد خاتم النبيين فالأنبياء ليسوا مساوفا في إصلاح الأمم في عقائدها وأعمالها وآدابها وروابطها الاجتماعية لأن الحاجة إلى الإصلاح تختلف باختلاف الأمم والأقوام فالبدو أقل من الحضرة ضللا في الفكر وأقل علما لأنهم أهل فطرة لم تتحكم فيها المذاهب الوضعية والآراء النظرية وأقل فسادا في الأخلاق والآداب لأنهم لم يفسدوا عن الترف وليس في البداوة من الشئون الاجتماعية مثل ما في الحضارة فتحتهاج إلى ما تحتاج إليه من الشرائع المدنية والقضائية والسياسية .

كان الناس على بساطتهم وسلامتهم فطرتهم فمادب فيهم الفساد لم يفسدوا إلا بالتدريج فكان يظهر فيهم الشرك في العبادة وهو التوجه إلى شيء من المخلوقات يكون صلة بينهم وبين الخالق الذي تشعر به فطرتهم، ولا يربط به علمهم ولا تحده مخيلتهم، ويفشو فيهم بعض الشرور فيظهر الله فيهم واحدا منهم كبير المثل زكى النفس يلهم قلبه ويوحى إليه أن ينذرهم العقوبة على ظلمهم وينهاهم عن الشرك والرديلة ويأمرهم بضدها، بذلك تستقيم حال من أطاعه لأن هذا الذي طرأ عليهم هو الذي يطفى نور الفطرة بالتمادي فيكون الإنسان به شيطانا مريدا . ألا ترى أن من الأنبياء من لم يذكر له القرآن إلا الدعوة إلى التوحيد فقط . ومنهم من ذكر له النهي عن معصية كانت فاشية فكان يدعو إلى التوحيد وينهى عنها دائما كما جاء في قصة لوط من النهي عن الفاحشة دائما . وكقوله تعالى في رسالة شعيب عليه السلام « وإلى مدين أخاهم شعيبا قل يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تمقصوا المكيات والميزان » ثم حكى عنه « ويا قوم أوفوا المكيات والميزان » . فيفهم من تكرار ذلك أن المقصود الأعظم من رسالة شعيب عبادة الله تعالى وحده

وإيفاء المكيال والميزان لأن قومه كانوا مُطَّقِّين (كأكثر الباعة في مصر لهذا العهد) إذا كانوا على الناس يستوفون وإذا كانوا أووزنهم يُخسِرُون ولم تكن رسالة موسى بهذا الاختصار فقد كانت لها شريعة واسمة وفيها هجرة وحرب لأن معيشة الحصار وحكم الامتداد أثرا في بني إسرائيل تأثيراً أفسد طباعهم من جهة وجعلهم مستمدين لحياة مدنية فاضلة من جهة أخرى فكانت هدايتهم أصعب .

(م ١٠٠) تعدد الرسل وسماتهم : كان الناس أمة واحدة على فطرة الله التي فطر الناس عليها وذلك عند ما كانوا على البداوة التي هي أقرب إلى الحياة الفردية منها إلى الحياة الاجتماعية فقضت سنة الارتقاء أن يزيدوا اجتماعا بالندرج فكانت بعد البيوت والأمر العشائري والفصائل والقبائل والشعوب والأمم . وكانوا كلما ارتقوا درجة في الاجتماع تقوى فيهم الأطماع التي يقتضيها التنافس في الحظوظ ويكونون في حاجة إلى علم واسع بالمصالح والمنافع المشتركة . وكان يظهر فيهم عند الدخول في كل طور من هذه الأطوار هداير رشدونهم إلى ترك الضار بأنفسهم منفردة ومجموعة ويدلونهم على مابه تسلّم أرواحهم من الفساد في الاعتقاد والأخلاق وفي ذلك سعادة الدنيا والآخرة . وبهذا وما قبله يُعلم أن المقصود من بعثة الأنبياء والمرسلين واحد في الجملته وأنه يختلف في تفصيله باختلاف أحوال الأقوام وأن أولئك الهداة المصلحين لم يكتسبوا علم إصلاح الأمم اكتسابا بالتعليم وإنما كانوا ممتازين بفطرتهم السليمة عن قومهم امتيازاً كانوا به على علم بالإصلاح ضروري عندهم سمي خلفاء منشأ وسرعة حدوثه في النفس وحياء (راجع الكلام على الوحي في المسألة ٦٢ من الدرس العشرين - ٤: ٢٥٢)

وكان علمهم مؤثرا في النفس باعثا لها على العمل به لانه وجداني
إلهي لا من استنباط التصور والفكر الذي يصحبه الشك والتردد أي
انه كان يقع في قلب صاحبه ومعه علم آخر وجداني وهو أنه من الله تعالى
سواء نزل على القلب في اليقظة أم في المنام .

ونتيجة هذا وذاك أن علم الرسل وأعمالهم متفاوتة بحسب أحوال
أمتهم وبذلك فضل الله بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات وسمى بعضهم
أولى العزم ومنه ومن اختلاف اللغات في الاقوام يعلم أنه الرسل قد
يتمددون في زمان واحد بين أقوام ولو متجاورين وقد يتمددون في
أمة واحدة للتعاون كموسى وهرون في بني اسرائيل . وإذا كان فضل بعض
الرسل على بعض يكون بحسب حال الأمم التي بعثوا اليها وما يستلزمه
إصلاحها من العلم والعمل فموسى جدير بأن يكون أفضل من صالح وشعيب
والمرسل الى الخلق كافة أفضل من المرسل الى أمة معدودة . وهذه المناسبة
ومتناسبة كون إرسال الرسل كان على حسب حاجة البشر الى الإصلاح
الروحي والاجتماعي نتكلم في الدرس الآتي عن ختم النبوة وخاتم النبيين
عليه أفضل الصلاة والتسليم

(ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)

بقلم الشيخ أمين أفندي عز الدين من اهل العلم والادب في طرابلس الشام وزيد مصر الآن
صدق الله العظيم وكذب هوس الناس : تقوم أمام المحراب تماثيل
بشرية يحركها حكم العادة أي ديننا بالتكبير والسنننا بالتلاوة والتسبيح ويحني
ظهورنا للرکوع ويثني عظامنا للسجود من غير أن يلم بنا شعور به - هذه

الأوضاع أو يفعل في أنفسنا تأثير من تلك الأعمال فضلاً عن نظر في مقاصدها وتوجه إلى غاياتها ونحسبها من الصلاة التي قال فيها رب محمد صلى الله عليه وسلم : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ونحن مشمرون للفواحش عن ذراع سبيلان الله نحن ما نحن مصلون .

الصلاة ما جعلها الله أفعالاً ميةً وأوضاعاً جامدة تقصد لذاتها ولكن جعلها مظاهر سكرية ومواقف خضوع تؤذن الناس أنها شعار مناجاة بين العبد وبين ربه كل يوم ليكون هذا الإنسان على نوع من ذكر الله تعالى في ممارك معاشه ومعامع حياته وفي الآخرة أعد الله له أجراً عظيماً . تعالى الله أن يكاف قلوباً غلفاً ونفوساً جلفاً باختلاجات عضوية فارغة الإناء ثم يعد لقاءها حسن الجزاء .

’ الصلاة أفعال مخصوصة ذات أركان معلومة جعلها دين الله الإسلامي مراقبة لمراقبة المعبود أنزلت من السماء مائدة تحمل للأرواح غذاءها من العالم النوراني كيلا تضل في الغربة ويتغلب عليها سلطان الشهوة الذي يأتيه رزقه من مطاهي هذه الطبيعة كل يوم . خلق هذا الإنسان طامنين متباينين لكل منهما مطالب تناسب طبيعته وتلائم درجته في الوجود . أحدهما : مادي كثيف حكم الله عليه أن يتكفف هذه الطبيعة في وجوده وبقائه والثاني : أثري لطيف يستمد وجوده من النور القدسي ويستفيض بقاءه من النفحات الإلهية فالأول جسم والثاني روح .

تناول الجسد وجوده من هذه البسائط الأرضية فجرت عليه قوانين الطبيعة واعتورته أحكام المادة من قوة وضعف وزيادة ونقص وتحلل وتركب وأصبح من أجل ذلك في حاجة شديدة لتمويض ما تستلبه

منه نواميس التحليل مثلاً بمثل وجنساً بجنس وذلك غذاؤه وأما الروح فهو وإن كان آمناً على وجوده من غارة الفناء وتحلل الأجزاء إلا أنه هبط من السماء وله مع العالم المادى شئون يريد كل من المتجاورين أن يكون هو المتغلب ليتمكن من امتلاك هذا الهيكل الإنسانى فيستعصمه فى أمياله ويتصرف فيه كيف يشاء ومن ثمة كان الروح مضطراً أن يستمد من عالمه الملوئ ما يتولى به على التغلب أو يحفظ به مركز استقلاله وهذا هو غذاؤه، متى تمت الغلبة للروح رفرت بهذا الإنسان إلى معاهدها الأولى فى مظاهر الملكوت ومصاف الملكية وأذنت له أن يتصرف بما فى آفاقه من الكونيات المادية إلى حيث يحمله من شئونه الحيوية على عكس من الجسد إذا تسنم صهوة القلب واقتدم سرير السلطة فإنه يهبط بالإنسان إلى عالمه فى الدركات السفلية وبرزخ المعجم من الحيوانات إلى حيث تترفع الطبيعة أن يحسها بكفه تصرف أو تمكنه من وطء، فأى الطريقتين خير ؟

أراد الإسلام بهذا الإنسان خيراً فحتم عليه فى سائر أحواله أن يحجب مطالب عالمه الروحى ويتقاعس عن مشتهيات عالمه المادى ما استطاع ودعاه أن يقف بين يدي ربه سبحانه وتعالى خمس وقفات فى اليوم يناجيه بهيئة الذل وشمار الخضوع بحيث ينبذ ما سواه فى المرأ ليتأهل لقبول الفيض الإلهى الذى هو لروحه غذاً تنقوت به وتعتمد عليه فى مناوراتها مع جسم والمادة وتلك هى الصلاة التى تنهى عما تنهى وتقرّب إلى الله زانئ تلك التى كفكفت جبروت أولئك القوم البهايمية فى ربح من الزمن وهى التى كان مؤمن القلب فى القرون الغابرة يتغيب فيها عن

مشاعره بحيث لم يكن يشعر بالقواجم الخطرة والمؤلمات الجسدية ولو كان في هذه نشر عظمه أو عرق لحه وهامو تاريخ حياة القوم كانوا يملون أو الصلاة ماهية دعاءاتها الخشوع . كانوا يملون أن ما فيها من الاعمال انما هو ركن ثانوي يقصد به تمثيل الخضوع القلبي على الجوارح ليشترك السر والملائنية في التذلل والسكينة فطفقوا يصلون متجردين عن المشاغل الفكرية وهو السبب فيما يبلغنا عنهم من الغيبة عن مشاهد الكون في خلال الصلاة أما نحن فانا ذهبنا إلى ان الصلاة انما هي تلك الاعمال الظاهرية لا تدخل فيها الخشوع ولا يغنى فيها خضوع وأقبلنا نجتزئ بتلك الوقفات الجادية والاختلاجات الانسانية وهي لا تصدقنا عن فحش نأثية ولا تنهانا عن منكر نفعله فهل نخلف قول القرآن أم نحن لم نكن مصلين ؟ زعم أننا لم نحاطب خطاب التكليف بتلك الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر حيث فهمنا أنها هي الكاملة وسكان القوم لا يملقون اهل أمر الله إذ أمر باقامة الصلاة ان تكون ناقصة أم دلت الاقامة في قوله تعالى (اقيموا الصلاة) على ذلك المعنى الناقص ؟

استغفر الله . قال صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فانه يراك . اللهم ما للهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً

﴿ الملائكة والنواميس الطبيعية ﴾

سأل سائل : اذا كانت الملائكة هي عبارة عن القوى المعنوية . والنواميس التي بها نظام العوالم الحية . فما معنى « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً » وأمثاله ؟ والجواب : ان الذي تقدم في التفسير هو ان الملائكة عالم مستقل مستتر عنا وانما كان ذكر القوى والنواميس الطبيعية جذبا لمنكري الملائكة الى التصديق لأن بعض ماورد يوافق ما يعتقدون فكيف يكفرون لاختلاف الالفاظ لأن الكلام كان ارجاعا لنصوص الدين الى أقوالهم

﴿ القسم المموى ﴾

نمذج في كتاب دلائل الإعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني وهو يطبع الآن

فصل

(في الكلام على من زهد في رواية الشعر وحفظه . وذم الاشتغال بعلمه وتبعه)
لا يخلو من كان هذا رأيه من أمور (أحدها) أن يكون رفضه له
وذمه إياه من أجل ما يجده فيه من هزل أو سُخْفٍ وهجاء وسب وكذب
وباطل على الجملة (والثاني) أن يذمه لأنه موزون مقفى ويرى هذا بمجرد
عيياً يقتضى الزهد فيه والتزهد عنه (والثالث) أن يتعلق بأحوال الشعراء
وأنة غير جميلة في الأكثر ويقول قد دُمُوا في التنزيل ، وأى كان من
هذه رأيا له فهو في ذلك على خطأ ظاهر ، وغلط فاحش ، وعلى خلاف
ما يوجب القياس والنظر ، بالضد مما جاء به الأثر ، وصح به الخبر .

أما من زعم أن ذمه له من أجل ما يجده فيه من هزل وسُخْفٍ وكذب
وباطل فينبغي أن يذم الكلام كله . وأن يفضل الخرس على النطق والعُمى
على البيان . فمتور كلام الناس على كل حال أكثر من منظومه والذي
زعم أنه ذم الشعر بسببه وعاداه بنسبته إليه أكثر لأن الشعراء في كل
عصر وزمان ممدودون . والعامّة ومن لا يقول الشعر من الخاصة عديد
الرمل . ونحن نعلم أن لو كان متور الكلام يُجمع كما يُجمع المظلوم . ثم
تمدّ عامدٌ بجمع ما قيل من جنس الهزل والسُخْفِ نثراً في عصر واحد
لأربى على جميع ما قاله الشعراء نظماً في الأزمان الكثيرة وانعمه حتى
لا يظهر فيه ، ثم إنك لو لم ترو من هذا الضرب شيئاً قط ولم تحفظ
إلا الجِدَّ المحض وإلا ما لا يعاب عليك في روايته وفي المحاضرة به وفي

نسخه وتدوينه لكان في ذلك غنى ومندوحة ولو وجدت طلبتك ونلت مرادك وحصل لك ما نحن ندعوك اليه من علم الفصاحة فاختر لنفسك ودع ما تكره الى ما تحب (هذا) وراوى الشعر حاك وليس على الحاكى عيب ، ولا عليه تبعة ، اذا هو لم يقصد بحكايته أن ينصر باطلاً ، أو يسوء مسلماً ، وقد حكى الله تعالى كلام الكفار فانظر الى الفرض الذى له روى الشعر ومن أجله أريد وله دون تعلم أنك قد زغت عن النهج وانك مسىء فى هذه المداوة وهى المصيبة منك على الشعر . وقد استشهد العلماء لغريب القرآن وإعراجه بالأبيات فيها الفحش وفيها ذكر الفعل القبيح ثم لم يعبهم ذلك إذا كانوا لم يقصدوا إلى ذلك الفحش ولم يريدوه ولم يرووا الشعر من أجله . قالوا وكان الحسن البصرى رحمه الله يتمثل فى مواعظه وكان من أوجعها عنده :

﴿ اليوم عندك دللٌ واحدٌ يشها وغداً لغيرك كفها والمعضم ﴾

وفى الحديث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذكره المَرْزُبَانِي فى كتابه باسناد عن عبد الملك بن عمير أنه قال أوتى عمر رضوان الله عليه بحمل من اليمين فأتاه محمد بن جعفر بن أبى طالب ومحمد بن أبى بكر الصديق ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ومحمد بن حاطب فدخل عليه زيد ابن ثابت رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين هؤلاء المحمّدون بالباب يطلبون الكسوة فقال ائذن لهم يا غلام فدما بحال فأخذ زيد أجودها وقال هذه لمحمد بن حاطب وكانت أمه عنده وهو من بنى لؤي فقال عمر رضى الله عنه أيهات أيهات وتمثل بشعر مُحارة بن الوليد :

اسرّك لما صرّع القوم نشوة خروجي منها لما غير غارم^(١)
 بريثاً كأنى قبل لم أك منهم وليس الخداع مرتضى في التنادم
 رُدّها ثم قال ائتنى بثوب فأنته على هذه الحلال وقال أدخل يديك
 فخذ حلة وأنت لا تراها فاعطهم : قال عبد الملك فلم أر قسمة أعدل منها
 وعمارة هذا هو عمارة بن الوليد بن المغيرة خطب امرأة من قومه
 فقالت لا أتزوجك أو تترك الشراب فأبى ثم اشتد وجده بها خاف لها
 أن لا يشرب ثم مر بمحمار عنده شرب يشربون^(٢) فدعوه فدخل عليهم
 وقد أنفذوا ما عندهم فنحر لهم ناقته وسقام يرديه ومكثوا أياماً ثم خرج
 فأبى أهله فلما رآته امرأته قالت ألم تحلف أن لا تشرب فقال :

ولسنا بشرب أم عمر وإذا نشوا ثياب الندامى عندهم كما افنائم
 ولكننا يا أم عمر و نديمنا بمنزلة الرّيان ليس بعائم^(٣)
 أسرك -- البيتين -- فإذا : رب هزل صار أداة في جسد ، وكلام جرى
 في باطل ثم استعين به على حق ؛ كما أنه رب شيء خبيث ، توصل به
 إلى شريف ، بأن ضرب مثلاً فيه ، وجعل مثلاً له ؛ كما قال أبو تمام :

والله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس
 وعلى المكس قرب كلمة حق أريد بها باطل فاستحق عليها الذم
 كما عرفت من خبر الخارجى مع غلى رضوان الله عليه ، ورب قول حسن

(١) صرع بالشديد كصرع بالخطيف . والتسمير في هنا للنشوة السكر . ومن شأن
 المنتشى أن يتلف ماله فيخرج غارماً . وأن لا عمارة نشوة أدنى إلى الغم ، وسكرة أثبت
 على الظلم ، ومثل عمر من يخرج منها هو سام ، لا ظالم ولا غارم ، (٢) الشرب بالفتح
 جماعة الشاربين (٣) العائم ذو العيمة « كعجيمة » وهى شهوة الابن مع قومه

لم يحسن من قائله حين تسبب به إلى قبيح كالذي حكى الجاحظ قال: رجع طائوس يوماً عن مجلس محمد بن يوسف وهو يومئذ والى اليمن فقال: ما ظننت أن قول سبحان الله يكون معصية لله حتى كان اليوم سمعت رجلاً أبلغ ابن يوسف عن رجل كلاماً فقال رجل من أهل المجلس سبحان الله كالمستمظم لذلك الكلام ليفضب ابن يوسف، فبهذا ونحوه واعتبروا جملة حكما يبينك وبين الشعر.

(وبعد) فكيف وضع من الشعر عندك وكتبه الملقمت منك انك وجدت فيه الباطل والكذب وبعض ما لا يحسن ولم يرفعه في نفسك ولم يوجب له المحبة من قلبك أن كان فيه الحق والصدق والحكمة وفصل الخطاب وأن كان مجنى ثمر العقول والألباب، ومجتمع فرق الآداب، والذي قيّد على الناس المعاني الشريفة، وأفادهم الفوائد الجليلة، وترسل بين الماضي والغابر، ينقل مكارم الأخلاق إلى الولد عن الوالد، ويؤدى ودائع الشرف عن الغائب إلى الشاهد، حتى ترى به آثار الماضين، مخلدة في الباقين، وعمول الأولين، مردودة في الآخرين، وترى لسكل من رام الأدب، وابتنى الشرف، وطلب محاسن القول والفعل، مناراً مرفوعاً، وعلماً منصوباً، وهادياً مرشداً، ومعلماً مسدداً، وتجذفيه للثاني عن طاب المآثر، والزاهد في اكتساب المحامد، داعياً محرصاً، وباعثاً، ومحضضاً، ومذكر أومعروفاً وواعظاً ومثقفاً، فلو كنت ممن ينصف كان في بعض ذلك ما يغير هذا الرأي منك، وما يحدوك على رواية الشعر وطلبه، ويعلمك أن تعيبه أو تعيب به، ولكنك أبيت إلا أن تسبق اليك، والابادى رأى عنك، فأقفلت عليك قلبك،

وسددت عما سواه صممك ، فمى الناصح بك ، (١) وعسر على الصديق
 الخليط تنبيهك ، نعم وكيف رويت « لأن يمتلى جوف أحدكم في جافيرة »^(٢)
 خير له من أن يمتلى شمراً ، ولتجبت به وتركت قوله صلى الله عليه وسلم :
 « ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا »^(٣) وكيف نسيت أمره
 صلى الله عليه وسلم بقول الشعر ووعدده عليه الجنة . وقوله لسان « قل
 وروح القدس معك » وسماعه له ، واستنشاده إياه ، وعلمه صلى الله عليه
 وسلم به ، واستحسانه له ، وارتياحه عند سماعه ؟

(أمّا) أمره به فن المعلوم ضرورة وكذلك سماعه إياه فقد كان حسان وعبد الله
 ابن رواحة وكعب بن زهير يمدحونه ويسمع منهم ويصنف إليهم ويأمرهم
 بالرد على المشركين^(٤) فيقولون في ذلك ويمرضون عليه . وكان عليه السلام
 يذكر لهم بعض ذلك كالذي روى من أنه صلى الله عليه وسلم قال لكعب

(١) عن عجز أصله عبي فادغم (٢) حديث رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن
 وغيرهم عن أبي هريرة وعن غيره والرواية المشهورة فيه « حتى يره » أى يفسده
 وفي رواية بخذف حتى يره وفي أخرى حذف حتى وقرأها بعضهم حينئذ يره بالفتح وبعضهم
 بالضم ولم أر من رواه بالقاء « فيره » كما في نسخة المصنف . وفي رواية ابن عدى
 عن جابر « لأن يمتلى جوف الرجل قبحاً أو دماً خير له من أن يمتلى شعرأما هجيت
 به » (٣) الحديث مشهور رواه أصحاب الصحاح وغيرهم ورواية المصنف ملفقة من
 روايتين فقد وردت كل جملة من طريق . وأما الجملتان معاً فقد جاءت في حديث ابن
 عباس عند أحمد وابن ماجه هكذا (إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكماً) وعند
 ابن عساکر من حديث علي باللام وله تنمة وهي « وإن من العلم لجهلا وإن من القول
 عيالا » (٤) روى الخطيب وابن عساکر عن حسان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له :
 اهج المشركين وجبرائيل معك إذا حارب أصحابي بالسلاح فحارب أنت باللسان . وفي
 حديث جابر عند ابن جرير أنه قال يوم الأحزاب (من يحمي أعراض المؤمنين) قال

«مانسى ربك وما كان ربك نسيا شعر أفلته»^(١). قال وما هو يا رسول الله؟
قال: «أنشد يا أبا بكر» فأنشد أبو بكر رضوان الله عليه:

زعمت سخينة أن متطلب ربها وليُفْلِن مُغَالِبُ الغَلَابِ^(٢)
(وأمّا) استنشاده إياه فكثير. من ذلك الخبر المعروف في استنشاده
حين استسقى فسقى قول أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمةً للارامل
يُطِيفُ به الهلّاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل
الآيات. وعن الشعبي رضى الله عنه عن مسروق عن عبد الله قال

كعب أنا يا رسول الله فقال (إنك محسن الشعر) فقال حسان بن ثابت أنا يا رسول الله
قال (نم اهجم أنت فسيحك روح القدس) وكتب الأستاذ الامام في هامش
النسخة الأصلية بازاء اسم كعب: (لهله كعب بن مالك لأن ابن زهير وإن مدح لكنه
لم يؤمر بالشعر المناضلة عن الاسلام فقد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع)
ويؤيد قول الأستاذ مارواه ابن جرير عن ابن سيرين ومليحه أن المهاجرين رغبوا
إلى النبي عليه الصلاة والسلام أن يأمر عليا بهجاء الرهط الذين هجوه (وهم عمرو
ابن العاص وعبد الله بن الزجرى وأبو سفيان بن الحارث) فقال ليس على هنالك
وعرض بالأنصار فانتدب لذلك حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة. وفيه أنه
استنشد كعباً وهو راكب ناقته فأنشد الآيات التي أولها:

قضينا من تهامة كل ريث وخير ثم أجمحن السوفا
لحيرها ولو نطق لقال قواطعهن دوساً أو قفصا
قال: فأنشد الكلمة كلها فقال النبي صلى الله عليه وسلم (والذي تقضى بيده
لهي أشد عليهم من رشق النبل) قال ابن سيرين: فثبت أن دوساً إنما أسلمت بكلمة
كعب هذه. (١) قال الأستاذ الامام (هذا هو كعب بن مالك) (٢) كتب في هامش
الأصل: سخينة لقب تبرز به قريش لأنها كانت تأكل السخينة وهي طعام من دقيق
الشعير واللبم وتسخن وذلك في أيام المجاعات. والحديث رواه ابن منبده وابن
عساكر عن جابر

لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القتلى يوم بدر مصرّعين فقال
صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضى الله عنه «لوان أبا طالب حتى لملم أن
أسيافنا قد أخذت بالأنامل» قال وذلك لقول أبي طالب^(١)

كذبتم وبيت الله أن جدما أرى لتلتبسن أسيافنا بالأنامل
وينهض قوم في الدروع اليهم نهوض الروايا في طريق حلال

(١) البيت الذي فيه لفظ الأنامل في قصيدة أبي طالب هو قوله
وقد حالقوا قوماً علينا أظنة يعضون غيظاً خافنا بالأنامل
والبيت الذي فيه كذبتم هو قوله :

كذبتم وبيت الله ترك مكة ونظعن إلا أمركم في بلابل
وفوله : كذبتم وبيت الله نبى محمداً ولما نطاعن دونه وتناضل
والبيت الذي فيه لتلتبسن الخ هو قوله :

وأنا لعمر الله إن جدما أدوى لتلتبسن أسيافنا بالأنامل
والذي فيه ينهض الخ هو قوله

وينهض قوم في الحديد إليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وبهذا تعلم ما في بيتي الشيخ . اه من هامش الأستاذ الامام

(تفسيره) قوله أظنة جمع ظنين وهو التهم . والظنة بالكسر التهمة وجمعها ظنين .
وجمع فعيل على أفعلة غير قياسي ولكنه ورد ومنه قوله تعالى « أشجع عليكم » . وقول ترك
مكة أى لا تتركها . ومنه قوله نبى محمداً أى لا نبزاه ولفظ (محمداً) منسوب بنزع
الحافض . يقال أبزى فلان بفلان إذا غلبه وقهره أى لا تغلب بمحمد ولا تقهر عليه
والحال أننا لم نطاعن دونه بالرمح وتناضل عنه بالسهم فالجملتان منفيتان بلما حال من نائب
الفاعل . وقوله (لتلتبسن أسيافنا بالأنامل) أى يختلطن الاشراف بما تفكك بهم في الحرب ،
والروايا جمع رواية وهو ما يستقى عليه من غير وغيره ، والصلاصل القرب فيها بقايا الماء
واحدها صلصلة بضم الصادين وهى بقية الماء في الاداوة والقربة - يريد أن قومه ينهضون
مقتلين بالحديد تسمع له قعقة كصلصلة الماء في المزادات

ومن المحفوظ في ذلك حديث ابن مسعدة الانصاري^(١) جمعه وابن أبي حدرد الاسلمي الطريق قال فتذاكرنا الشكر والمعروف قال فقال محمد كنا يوما عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لحسان بن ثابت : « انشدني قصيدة من شعر الجاهلية فان الله تعالى قد وضع عنا آثامها في شعرها وروايتها » : فأنشده قصيدة للأعشى هجاءها علقمة علانة

علمم ما أنت إلى عامر الناقض الاوتار والوتر

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا حسان لا تعد تنشدني هذه القصيدة بعد مجلسك هذا » فقال يا رسول الله تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا حسان أشكر الناس للناس أشكرهم لله تعالى ، وإن قيصر سأل أبا سفيان بن حرب عني فتناول مني . وفي خبر آخر فشئت مني وأنه سأل هذا عني فأحسن القول » فشكره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك . وروى من وجه آخر ان حسان قال يا رسول الله من نالتك يده وجب علينا شكره . ومن المعروف في ذلك خبر عائشة رضوان الله عليها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير آ ما يقول « أياتك » فأقول

ارفع ضيفك لا يضر بك ضعفه يوما فتدركه المواقب قد نمت
يجزيك أو يشي عليك وأن من أثني عليك بما فعلت فقد جزي

(١) الحديث رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج وابن عساكر عن محمد بن مسلمة بلفظ (يا حسان أنشدني من شعر الجاهلية فان الله قد وضع عنك آثامها في شعرها وروايتها) وفيه أنه قال له بعد إنشاد القصيدة (يا حسان لا تعد تنشدني هذه القصيدة فإني ذكرت عند قيصر وعنده أبو سفيان وعلقمة بن علانة فأما أبو سفيان فتناول مني وأما علقمة فحسن القول وأنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس)

﴿ تمة الاجتماع الرابع لجمعية أم القرى ﴾

ثم إذا انقلبنا في البحث إلى ماهو الشرك في نظر القرآن وأهله لتتقنه نجد أن الله تعالى قال في اليهود والنصارى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » مع أنه لم يوجد من قبل ولا من بعد من الأحبار والرهبان من ادعى المائلة ونازع الله الخالقية أو الإحياء أو الإماتة كما يقتضيه انحصار معنى الربوبية عند العامة من الاسلام ، حسبما تلقوه من مروحي الشرك بالتأويل والايهام ، بل الأحبار والرهبان إنما شاركوا الله تعالى في التشريع المقدس فقط فقالوا هذا حلال وهذا حرام فقبل منهم أتباعهم ذلك فوصفهم الله بأنهم اتخذوهم أرباباً من دون الله ونجد أيضاً أن الله تعالى سمى وریشاً مشركين مع أنه وصفهم بقوله « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » أى يخصمون الخالقية بالله ووصف توسلهم بالأصنام إلى الله بالعبادة فكفى عنهم قوله « ما عبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » والمعظمة من المسلمين يظنون أن هذه الدرجة التى هى النوسل ليست من العبادة ولا الشرك ويسمون للنوسل بهم وسائل ويقولون إنه لا بد من الوساطة بين العبد والرب « وإن الوساطة لا تنكر »

ويعلم من ذلك أن مشركى قريش ما عبدوا أصنامهم لذاتها ولا لاعتقادهم فيها الخالقية والتدبير بل اتخذوها قبلة يعظمونها بدائها والسجود أمامها أو ذبح القرابين عندها أو النذر لها على أنها تماثيل رجال صالحين كان لهم قرب من الله تعالى وشفاعه عنده فيحبون هذه الأعمال الاحترامية منهم فينفعونهم بشفاء مريض أو اغناء فقير وغير ذلك وإذا حلفوا بأسمائهم كذباً أو اخلوا فى احترام تماثيلهم بغضون فيضرونهم فى أنفسهم وأولادهم وأموالهم

ونجد أن الله تعالى قال « فلا تدعوا مع الله أحداً » وأصل معنى الدعاء النداء ودعا الله اجتهد إليه بالسؤال واستعان به والدليل الكاشف لهذا المعنى هو قوله تعالى « بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون » وكذلك أنزل الاستعانة به مقرونة بعبادته فى قوله حلت كلمته « إياك نعبد وإياك نستعين »

وبما ذكر وغيره من الآيات البينات جعل الله هذه الأعمال لقريش شركاً به حتى أوحى النبي صلى الله عليه وسلم فى الحلف بغير الله أنه شرك فقال « من حلف بغير

قد قرأت القرآن فلم أتبع لأثوم من بهم فيه لعل أتبع فيقوم به فيهم فلا يتبع فيقول قد قرأت القرآن وقت به فلم أتبع لأحتظرن من يبيت مسجداً لعل أتبع فيحتظرن من يبيت مسجداً فلا يتبع فيقول قد قرأت القرآن وقمت به واحتظرت من يبيت مسجداً فلم أتبع والله لا أتنبهم بحديث لا يحدونه في كتاب الله ولم يسمعه عن رسول الله لعل أتبع » ومنهم فئة اخترعوا عبادات وقربات لم يأت بها الإسلام ولا عهد له بها إلى أواخر القرن الرابع فكان الله تعالى ترك ديننا ناقصاً فهم أكملوه ، أو كأن الله جل شأنه لما نزل يوم حجة الوداع « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » أو كأن النبي عليه السلام لم يتم كما يزعمون تبليغ رسالته فهم أعجزها لنا أو كتم شيئاً من الدين وأسر به إلى بعض أصحابه وهم أبو بكر وعلي وبلال رضي الله عنهم وهؤلاء أسروا به إلى غيرهم وهكذا تسلسل حتى وصل إليهم فأفشوه من أرادوا من المؤمنين بالله ورسوله عما يأفكون ، أليس من الكفر بإجماع الأمة اعتقاد أن النبي عليه السلام شخص التبليغ أو كتم أو أسر شيئاً من الدين (مرحى) ومنهم جماعة اتخذوا دين الله لهموا ولعبوا فجعلوا منه النقي والرقص وتقر الدفوف وودق الطبول ولبس الأخضر والأحمر والألب بالنار والسلاح والعقارب والحيات يخدمون بذلك السطاء ويسرهبون الحق

ومنهم قوم يعتبرون البلادة صلاحاً والجل خشوعاً والصرع وصولاً والهديان عرفاً والجنون منتهى المراتب السبع للكمال

ومنهم حلفاء كهنة العرب يدعون علم الغيب بالاستخراج من الجفر والرهل أو أحكام النجوم أو الروحاني أو الزارجة أو الأبرجديات أو بالنظر في السماء أو السحاب أو الودع أو باستئدام الجن والمردة إلى غير ذلك من صنائع التديس والإيهام والخزعبلات وليس العجب انتشار ذلك بين العامة الذين كالأنعام في كل الأمم والأقوام بل العجب دخول بعضه على كثير من الخواص وقليل من العلماء كأنه من عزيز السمكالات في دين الإسلام « مرحى »

فهذه حالات السواد الأعظم من الأمة وكلها إما شرك صراح أو مظنات لشرك حكمها في الحكمة الدينية حكم الشرك بلا إشكال وما نجر الأمة إلى هذه المظنات

الجاهلية والتعبير الاصح رجع بها إلى الشرك الأول إلا الميل الطبيعي للشرك كما سبق بيانه مع قلة علماء الدين وتهاون الموجودين في الهدى والارشاد

نعم إن رد العامة عن ميلها أمر غير هين وقد شبه النبي عليه السلام معاناته الناس فيه بقوله « مثلى كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولهها جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويفلنهن فيقتحمعن فيها فإنا آخذ في حجزكم عن النار وأنتم تَقْجَمُونَ فيها » (١) وقد قال الله تعالى في العلماء المتهاونين عن الإرشاد كيلاً يقابلوا الناس بما لا يهون « إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار » وقال الرسول عليه الصلاة والسلام « لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماءهم فلم ينتهوا فجالسهم في مجالسهم وآكلهم وشاربهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنه على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » (٢) فالنبتة كل النبتة على العلماء الراشدين ولم يزل والحمد لله في القوس مزع ولم يستغرقنا بعد انزعاع العلماء بالكلية كما أنذرنا به النبي عليه السلام في قوله « إن الله لا يقبض العلم انزعاعاً من الناس ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهلاء فاستلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » (٣) ولا حول ولا قوة إلا بالله

ثم قال : ولنتقل من بحث الشرك والإعراض عن ذكر الله إلى بيان أسباب التشديد في الدين وحالة التشويش الواقع فيه المسلمون فأقول

(١) الحديث رواه أحمد ومسلم عن جابر بلفظ « مثلى ومثلهم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الفراش والجناب يقعن فيها وهو يذهن عنها . وأنا آخذٌ بحجزكم من النار وأنتم تفتنون من يدي » (٢) رواه الترمذى وقال حسن غريب (٣) رواه الشيخان وأصحاب السنن ما عدا أبا داود عن عبد الله عمرو وأما مسلم « إن الله لا يقبض العلم انزعاعاً ينزعاه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهلاً فاستلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » وفي البخارى « من المباد » بدل « من الناس » وقال « حتى إذا يبق عالم » كما هنا

باب التربية والتعليم

(*) النُزرة الخامسة من جريدة الراسم

الخط الديواني

اشأ « أميل » يخط بالقلم خطاً مناسباً لحاله ولكفى في شك من جريه على قواعد الخط في شيء مما يكتب

كان الخط فيما مضى كأنه من صفات الكاتب الذاتية وكان يدل على حالة من أحواله سواء فيه الحسن والقيع ولذلك وجد متوسمون يعتقدون أنهم يقرأون في خط من لا يعرفونه من الناس ضروب استعداده النفسي ولا بدع في هذا فإن كل أعمال الإنسان منبعثة عن أخلاقه وسجاياه فلا شيء من الاستحالة ولا من البعد عن الحقيقة على ما أرى في أن يكون الخط وهو الأثر الدقيق الثابت لصنوف الوجدان وأنواع المعاني على الورق سمة من سمات النفس وأمانة من أمارات الطبع . يشهد لذلك أن من الذين خطوطهم بين أيدينا قد عبروا في حياتهم طريقتهم في صوغ حروفهم عدة مرات فلا يمكن أن يكون هذا التفسير الذي يحق لنا المراهنة على حصوله بعير شعور منهم أجنبياً عن بعض استحداثات حصلت في عقولهم . ومن الأمور التي يعتمد الباحثون في هذه المألة أنهم تنبهوا إليها ولا حظوها إن أقرب أطوار الكاتب إلى الفطرة هو ذلك الطور الذي يكون فيه خطه موسوما بأقرب السمات إليها أيضاً . اخترع الناس في هذه الأيام للخط طرقاً لا شك أن لها مزية في نهضه وتقويم يد الكاتب ولكنها متى انتشرت وعم استعمالها اتحدت الخطوط وتشابهت فلم يبق بينها فروق تميز بعضها من بعض فنحن في هذا القرن قرن السكك الحديدية والأفلام الحديدية نسارع كلنا إلى تحقيق الوحدة في كل شيء

له أن هذا الزيل إلى صناعة اقتصر على أمارات الفسك وقوالب المعاني السكان الخطب هيئاً ولكنه لم يقف عندها بل تمدها إلى الفكر نفسه

أنا على يقين من وفرة علومنا ومعارفنا فليست هي التي تعوزنا إذ قد وجدت

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر

طرق سهلة صيرت مبادئ العلم وآداب اللغة والفنون الحيلة قريبة التناول لجميع الناس وكل يوم يستش الناس ناشئة أنوار المعارف بيننا وهو أمرنا بعد عن التنازع في جلالة خطه وعظم شأنه ولا يخفى لا أرى على حرجاً أن سألت في هذه الاسئلة وهي : هل ارتفع عقل الإنسان في هذا القرن إلى مدارك اسمى مما بلغه في القرن الثامن عشر ؟ هل حصل له من قوة النفس والابصار الدأى إلى العمل والأخلاق الممتازة التي تتجلى في صورة مجتمعة الظلمة والأعمال البديعة أكثر مما كان له في ذلك القرن ؟ هل ارتفعت قوة الإدراك مع انتشار تساوى الناس فيها كل يوم ؟

والأمر في الذي تمت حولي فيعرف في السهول وما لا يخفى الدهش لما أراه من غلبة الأوساط في العقل وكثرتهم وتوسع الناس بحدود القول بأن العقل والاستعداد قد شاعا في هذه الأيام حتى عما السائلة فيهم غداؤهم به قلوباً الكل واحد أوسع فيه عقل غيره واستعداده لكان هذا القول أصح وأقرب إلى الصواب . نعم إن قرنا قد وصل إلى طريقة بديعة في الاكتشاف من الأدوات والآلات الميكانيكية للأفكر وقامت المهارة في الفنون مقام الاستعداد الفطري والمزمنة وأزهد في التكلف في آداب اللغة وروح الإلهام والانسانية وسالت الدسيسة والحداء في مجرى الحياة وشوشتها الفضلي والجدارة من عرشها وملا محالها فترنا الآن مدحدرين على طريق مستقيم عام إلى محور شروق النفس في الرجاء في القتال والخلق محو ناماً معانيك أيها الإنسان من الآن أن نضع بأن نكون لجميع الناس .

ولاشك أن هذه الحالة هي تدبير العقول الآن ترجح إلى أسباب كثيرة ليس من غيرهم استعدادهما بها نظام معين وساهمادان الحرية السياسية عدداً وأهملنا المزايا بالناسخ المادية ومنها أمر لا يعنى اغفاله ولا استحققت اليوم وهو أن التربية الحالية التي هي عليها اليوم أقرب إلى سترعوب الأطفال وإخفاء مواضع الضعف فيهم بعين تدبير التعليم السريعة التي تسجد لتكون آلة محضة . أقول أنها أقرب إلى ذلك منها إلى أنها اكتشاف مكنونهم بمواهب الطبيعة وإزدياد قدرتي القادتين على التعليم سويدياً . ينبغي أن العرش من أهملهم وكدهم في العلم إنما هو ذيل الفخر بأن يكونوا أمثالاً معينين يملكون سائر الأرقاء إلى المناصب ويملون الفنى ويمتصون منهم أن ساعوا إليها وهم بذلك يكررون بحمل الأحداث على أن يبينوا أن المواضع والصنعة هما أقرب لمروق النجاح وأحسن وسائل الفلاح . اهـ

السُّرُورَة السَّادِسَة

﴿ مذهب تشغيل المعلمين بالأعمال المادية الشاقة ﴾

توجد في بعض المدارس بانكثرا عادة قديمة يدهش منها الأجانب كثيراً ذلك أن التلامذة - فيما يوجد منها عديني راتون وهارو وهي التي يدخلها أبناء السراة غالباً - يخدم بعضهم بعضاً وليس أمر الحادية والمخدومية فيها متعلقاً بمكانة التلميذ في قومه ولا بنسب أهله أو فقرهم بل بالأقدمية وبعض الدرجات المدرسية فيجوز أن يازم الطفل النقي السرى بتفويض ثياب الطفل الفقير الوضع وتأدية مطالبه وتنظيف غرفته وإيقاد نارهم وتسوية طعامه وحمل كتبه إليه في قاعة الدرس فيقع الإلزام بالخدمة على من يجعلهم المدرسة في الدرجات الدنيا من أقسامها .

والذي استهجنه من هذه العادة هو ما يكون بين التلميذين الخادم والمخدوم من رابطة التابعة الثانية فإن الأقدمين من التلامذة يسرون أحياناً مع من يتبرونهم خدماً لهم من إخوانهم - في غاية القسوة حتى إنه يقع منهم في حصم ماشراً في قصص مولير (١) للضئكة من الشتم وضربات الأكف وجميع ضروب سوء المعاملة التي كانت تقع من صفار الموالى على خدمهم بأرجلهم وأيديهم الخفيفة الحركة ، أولئك الخدم الصغار الذين كانوا بالأمس أرقاء صبراً على الدل مستسلمين للجور يصرون في الغد سادة قساة متجبرين وهكذا شأن الدنيا وبثل هذا تتنقل جميع أنواع العتو والطغيان من سلف إلى خلف .

لا أرى فيما عدا هذا العيب شيئاً في هذه الطريقة فانه لا ضرر مطلقاً في أن يقوم بخدمة المدرسة التلامذة أنفسهم . ولقد عرفت فيما مضى مدرسة كان يديرها رجل وافر العقل على الفكر اختار هذا المذهب وتيسر له أن يجني منه فوائد كبرى في تربية الناشئين ذلك أنه عهد بمعظم أعمال مدرسته إلى جماعات من التلمذان واليافين متقسمين إلى طوائف على حسب مقتضيات أذواقهم وضروب ميلهم الفطري لأنهم كانوا في هذه الأعمال مختارين متطوعين فكان الواحد منهم إما لباداً أو كنساً أو وقاداً للمصاييح أو موقظاً لآخوانه في الصباح أو منظماً لقاعة الدرس وكانوا يتناوبون خدمة

(١) مولير هو أكر واحد شاعر قصصي فرنساوي ولد في باريس سنة ١٦٣٢

ومات في سنة ١٦٧٣ مسيحياً

المائدة وكانت الأعمال المسخرة التي تقتضي أكثر من غيرها إخلاصاً أبجل من غيرها أيضاً في نظر التلامذة لأن رئيس المدرسة كان يتظاهر بميزتها عن غيرها بما كان يوزعه من شارات الشرف على من كان يدعوهم إقدامهم إلى مبالغتها . ولينك زرت هذا المكان حتى كنت تشاهد مقدار النجس الفرح الذي يديه كل تلميذ في القيام بعمله الذي كأنه فرض اختياري أوجبه على نفسه . كان من مزايا هذه الخدمة البيئية للتلامذة أنها كانت تسلية لهم من عناء الدروس لأنه كان من رأى رئيسهم أن في المراحة بين الأعمال استراحة من مشقتها وكان من غرضه فوق ذلك أن يلقى في نفوسهم معنى احترام جميع الوظائف وكل فروع العمل اليدوي فإن الإنسان لا يحقر من غيره ما يباشره هو بنفسه .

إني أتمرض لي في بعض الأحيان أحوال تعلمني على اعتقاد أن مانديع من حب المساواة ليس إلا رياءً ومفاقاً لأن أرى من لا تفر السنتهم عن اللبس بهذه الدعوى لا يهرون على مقتضاها في أعمالهم فالطفل الذي يرى في المدارس أو البيوت أناساً استؤجروا لخدمته يستنتج من ذلك طبعاً أن الأعمال الشاقة أو الكريمة هي من حظ الطبقة السفلى من قومه ولا يفيد في محو هذا الاعتقاد من نفسه أن تخدمته في المستقبل عن ضرورة تقسيم العمل بين الناس أو عن غير ذلك من المسائل النظرية الكثيرة فإنه يعلم كمال العلم أن ليس للخدم أن يكافأ إلى مواليد سادتهم ولما كان يومهم في الدنيا أنهما يجدها لأن يكون من الدنيا رفاقاً به بذلك مؤنة الاشتغال ببعض الأعمال التي من شأنها أن توسع يديه أو تقدر وجهه . كان رأيه في هذه الأعمال لا بد أن يتقل إلى من يمارفونها من الناس فيحكم عليهم بحكمه عليها وبذلك لا يكون إلا كثير الاستيفاء إلى احتقار جميع الصنائع والريازية عليهم .

صممت أنا وهيلانه على تكليف «أميل» بعمل كل ما يلزم لفرانشيه وهجرته وثباته ولا أكره مطلقاً أن أراه عسج تعليمه ويسوى عند الحاجة طعامه فإن الفائدة التي تعود عليه من ذلك ليست قاصرة على كونه تعلم عدم امتحان من يكسبون قوتهم بثل هذه الأعمال بل إرفاءه أيضاً تنمية لطيفته الشخصية بتعويده على الاستغناء عن مساعدة غيره فلا أسير المسكين من يعجز عن خدمة نفسه . اهـ

الاحتفال السنوى بمدرسة الجمعية الخيرية وخطبة المفتي

في أصل يوم الجمعة ٣١ ربيع الأول احتفل في قبة الفورى الاحتفال السنوى للعتاد بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية في القاهرة وقد أجاب دعوة رئيس الجمعية الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية الحزم الغفير من الفضلاء والوجهاء خصه وا الاحتفال : ابتداء أحد التلامذة بترييل آيات من سورة الفتح ثم ارتقى أحد التلامذة المنكح الذى يشتر عليها التلامذة فاعطى كتاباً ففتحته وقرأ فيه جملة صلاة قراءة صحيحة فساله الرئيس مان معناها فيبده : ثم اختبر آخرون بالاعراب والحساب وبرسم خريطة أفريقيا والتاريخ الطبري ككيفية السورة النبوية وقرأ بعضهم مقالات محفوظة في فوائد الصوم وفوائد التربة وغير ذلك فحسبوا جميعاً وصفق لهم النادى مرات متعددة . وأذكر الأستاذ المنقضى التصفيق على القوم أنه بدعة فتركه بعضهم وأصر عليه الآخرون . فإن بعضهم يراه من العادات الباحة التى اقترن بها تنشيط التلامذة وادخال السرور على قلوبهم وبعضهم لم يحل إليه الانكار . وكان الرئيس كعادته يناقش كل تلميذ فيما يقول ويطلب منه التعبير عما قاله حفظاً بعبارة اعرفية . ثم ورع الجواز وحى على ما ذكرنا في السنة الماضية فقام أحداهما ربيع المال الذى جمع لاقامة تذكار لعلى باشا مبارك لخدمته للعارف في مصر والثانية تبرع الأستاذ الشيخ عبد الرحيم المدرش فهذا وزع على ثمر من الماجحين في المدرسة . وأما الأول فاستقر الرأى على أن يشرى به كل عام كتب نافعة تعطى للتلميذين اللذين يفوقان سائر التلامذة ممن اتعوا التدة بشرط أن يشتغلا بعد المدرسة بتعلم صنعة من الصنائع وكذلك كان . وبعد ختم الاحتفال بترييل أحد التلامذة آيات من الكتاب العزيز وقف رئيس الجمعية فشكر للحاضرين سعيهم في الخير واشاهدة أولاد الفقراء المتعلمين ثم قال مامعناه ملخصاً : لا بد أن يكون بعض الحاضرين ممن يشتغلون بعلم التربة ينتقد علينا شيئاً انا أو اقهم على انتقاد قبل أن أذكره وأجيب عنه وهو أن يحفظ التلامذة مقالات في الدين والآداب كالذى سمع منهم الآن فيها من الحكيم والمعانى العالية ما لا ترقى عقولهم إلى الاحاطة به وما تعجز ألسنتهم عن بيانه بغير العبارة المحفوظة . أعيد القول بأن هذا الانتقاد صحيح وأن حشو الازهان بحفظ ما لا يفهم يفسدها ويذهب باستعداد العلم منها . ومدارس الجمعية تهتم

بهذا الأمر فنحن نؤكد دائماً على المعلمين أن لا يعلّموا التلامذة كلاماً لا يفهمونه والعمل على هذا والفقيه من ورائه لتحقيقه

وأما ما سمعتم فقد جاء من باب الاستثناء لفرس صحيح يوافقنا عليه المتقنون بآدى الرأي . ذلك ان التلميذ يخرج من مدرستا إلى العمل غالباً ولا ثمة لنا بأنه يسمع في خطب المساجد ولا في دروسها شيئاً من حكم الدين وأسراره التي تمت النفس على العمل بأحكامه كالتي سمعتم من حكم الصوم . وكذلك لا نرجو أن يجد معيها من معاهد العلم يسمع فيه شيئاً من مباحث التربية وعلم الاجتماع والآداب العالية بالأولى قرأنا أن يحفظ كل تلميذ بعض مقالات في هذه المقاصد بمجهود في إيفائه معانيها بالحكمة كما يقتضيه منه ويوكل الفهم التفصيلي إلى حوادث الزمان وارتقاء الفكر فيها فلهذه المحفوظات القليلة المفيدة دحر لئلا يند في مستقبله وهي كبدرة وسعت في أرض صالحة يتعاهدها الزمان بالسقي والتغذية حتى تنمر الثمرة الصالحة إن شاء الله تعالى

إذا أحلم النظر في أحوال المسلمين يومئذ ، يرك علم الدين على هذا الركن من بيان فوائده وحكمه وغرسها في النفوس (وهو الفقه الحقيقي في الدين) قد أدى إلى تركه من بعض المسلمين والاثنيان به على غير وجهه من بعض آخر . واضرب المثل بفريضة الزكاة التي حفظ التلاميذ مثالة في فوائدها في العام الماضي كما ذكر من حضر احتفاله وفريضة الصوم التي سمعتم فوائدها ومن التي تلي الزكاة في الترتيب

الزكاة ركن من أركان الإسلام وبذل المال في إقامه هذا الركن فضيل من أنواع البذل ولذلك قرأت الزكاة بالصلاة في القرآن في أركان المواضع وقد جعل الله اتفاق المال في سبيله آية الإعان . وجعل زكاه علامة الشافق والكفران ، فقال الخليفة الأول بعاصمة الصحابة كلهم رضي الله عنهم ما مني الزكاة . ومع هذا كله روى المسلمين قد هدموا هذا الركن ونسوه حتى كأنه ليس من الدين فالبطلان . أطال الأستاذ الكلام في الزكاة وفي مضره تركها ثم اسفل إلى الصوم وبين أن بعض المسلمين تركوه وان الذين يصومون لا يؤدونه هذه التعريضة على الوجه الذي أراده تعالى بقوله « كتب عليكم السيئة كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » وأوضح هذا بذكر ما عليه الناس . ثم اسفل إلى الكلام في تعميم مدارس الجمعية فقال ان مدارس الجمعية وضعت لتعليم أولا انقرا . ما لا بد منه لكل إنسان وهو أن يحسن القراءة بلفه أمته ويعرف ما يجب عليه من أحكام دينه ويتربى عليه عملاً والحساب

والتاريخ وتقوم البلدان . فاما من مبادئ التاريخ الطبيعي وحفظ الصحة وأدب العاشرة . ولا بد علينا من تعليم هذه الأبناء على وجه يومي في أربع سنين وسن الطب لا يتجاوز الخمس عشرة سنة . وليس عندنا لغة أجنبية لأننا لا نعد التلامذة للوظائف والشهادات وإنما نعدهم للعمل بالحرف والصنائع وما ذكرنا من التعليم لا يستغنى عنه صانع ولا زارع .

قال . كنت أحب أن يكون هذا التعليم عاماً في البلاد ومتميزاً في جميع الطبقات ثم يتسنى بعده لكل طبقة أن تتناول من العلوم والفنون واللغات في المدارس الثانوية والعالية ما هي مستعدة له . ولكن النافع المتعارفين بالعلم والتعليم من التوجه إلى سلوك هذه الطريقة أمران متضادان . إن رغبة الناس متعمدة إلى جعل التعليم ذريعة لأشد الشهادة لأنها تزيل الاستعداد في الحكمة والسبب في رغبة الناس في خدمة الحكومة هو أن الناس لعدم إقتدارهم بأنفسهم ولجهلهم بطرق الكسب الواسعة وضغف علمهم عن سلوكها يود كل واحد منهم أن يكسبه الله موارد من الرزق متضمنون يعتمد عليه وإن كان وشلاً آسأ فإذا استخدم بمائة وحسين قرشاً ولو في أعلى الصعيد أو السودان ينال آمناً مطمئناً ويلقى هم الدنيا وراء ظهره إلا إذا تسرله السعي في شفاعاة قريب في راتبه أو ينتقل بها إلى مكان آخر مكانه . ولو استعمل مواهبه التي منحة الله إياها وكدر في طلب الرزق من طريقه الواسعة لاسيما التجارة لجار أن يكون من أهل الداء الواسع وشعب الخفيف ماشاء أصحاب هذه النفوس الحاملة الصغيرة ثم انتقل إلى بيان السبب الآخر في عدم التوجه إلى التعليم النافع فقال :

أما نائي السنين فذو اقل ، وعلاجه أفسر ، أتدرون ما هو ؟ هو المعلمين والمربين قاننا نحتاج في العلم الابتدائي إلى من يبدى التسديد في السنة الأولى بألف با فلا تنتهي السنة الرابعة إلا وهو يقرأ ويكتب ويعرف ما ذكرناه آنفاً وعرض ما بكم غودجيه . والذين يسمنون هذا النوع من التعليم قليلون . وقد عزمنا على تهيئة مدرسة للجمعية ولكننا عند المذاكرة فيها كنا نشكو من قلة المعلمين . إننا نحتاج معلماً لأحدى مدارسنا فعلن ذلك الجرائد فيجئنا الراعيون بالعشرات فمنعهم ونحسار من نراه الأمثل وإن لم يكن على حسب الرغبة تماماً ثم يتمرن على طريقته في المدرسة مع طول التثنية والفتيش ومثل هؤلاء يجدر بنا أن نسميهم معللي الضرورة

قال : ذكرت هذا لأوجه نفوس العلماء والوجهاء إلى تلافى هذا الخطب ومدادوا هذه العلة التي هي أم العلل وذلك بإنشاء مدرسة لتجريب المعلمين ولابد في هذا من سعى العلماء ومساعدة الأغنياء . ثم شكر للحاضرين سعيهم فأنصرفوا شاكرين . أقول كتبت بعد أيام من الاحتفال في إثر انصراف في الصحة فإن تقصت من فوائد الخطاب ففي غير الموائد الأصلية وإن زدت فربما كان كلمة في معنى الكلام تزيد في إيضاحه

﴿ باب الأخبار والآراء ﴾

(تتمة سيرة السكواكي)

وكان أول عمل عملي في إدارة محاسن النابذة هو قطع عرق الرشوة من العمال الذين يباشرون الأعمال والصالح ويسمى (الجاوشية) ولكنه زاد في راتبهم لعله بأن الذي يضطر أكثر العمال إلى الرشوة هو قلة الراتب . وكان من ظلم الوالي بعد عزل الفقيد من رئاسة النابذة أن أوجع راتب الجاوشية كما كان وألزم صاحب الترجمة بدفع ما كان زاده لهم في مدينه إلى صندوق البلدية كما ألزمه بدفع ما أنفق على سلاسل الحديد التي منع بها الجمال من طرق النساء لأن الوالي أمر بإزالتها عقب ذلك ثم عاد فأمر بإعادتها بعد زمن قريب ولكنه لم يعد إلى الفقيد الفرامة التي ظن بها ولما عين رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية كانت المحكمة في أسوأ الأحوال في الصورة والمعنى فكان يتفق على إصلاحها من حيث حتى أنه استحضر لها السجوف والاستئثار من بابه ومنع اختلاط النساء بالرجال إذ حال السكك مكاناً ينظر فيه دوره للنقاضي ورتب الأوقات ونظم الدفاتر . . .

وكان صاحب عزيمة قوية لايهاب حاكماً ولا يخاف ظالماً وعزمه على أن يصب عليه قد كان ينجح في عمله عند ما عين مديراً ومفتشاً لبلدية حصر الدخان كما تقدم في السيرة الرسمية حتى وقع النزاع بينه وبين عارف باشا والي حلب يومئذ فبطل العمل عمل العقيد في ضبط هذه المصلحة ما تجزأت إدارتها العمومية والبلدية جميعاً حتى كانت تحترق في ولاية حلب دون سائر بلاد الدولة . وكان المشتغلون بهرب الدخان البلدي ويبيع في حلب سبعائة رجل فممن لهم رواتب شهرية ومنعهم من هرب بحكمة بحسبة . وسيأتي بمجمل خبره في عدل الوالي عند الكلام على بعض المصوبات التي نقيها في طريقة

كانت مدة الاتفاق الأول مع مصلحة حصر الدخان ثلاث سنين فانهصل من إدارة العمل والتفتيش بعد سنتين بالسبب الذي أُلغى إليه ولتفة الفقيد نفسه واقتداره على العمل ذهب إلى الاستانة بعد عزل عارف باشا من ولاية حلب ففقد اتفاقاً آخر مع المصلحة والحكومة مدته عشر سنين وكان أراد أن يضم إلى ولاية حلب ومصرفية الزور ولايتي بيروت وسورية فلم يرض له ذلك من استشاره من الأقربين فرجع عنه . وقد نجح أيضاً في المرة الثانية ولكن حدثت بعد أربع سنين الفتنة الأرمنية قهبط الأرمن الدخان من عدة بلاد وقتلوا موظفي المصلحة فكان الفقيد يخسر في الشهر بضعة عشر ألفاً من الليرات فتوسل بذلك إلى الاستانة بحل العقد وإبطال الاتفاق فتم له ذلك بعد عناء وخسارة عظيمة ولإخلاقه بحب المصلحة العامة كانت أكثر وظائفه نفرية أي غير راتب كما عرف من الترجمة الرسمية وتزيد على هذا أنه كان يبذل شيئاً من ماله فوق ما يأخذه من راتب بعض الوظائف لأجل ترقية العمل وإتقانه وهذا خلق لم يعرفه الشرق في هذا العصر مشرعانه : طلب من الحكومة عدة امتيازات بأعمال عظيمة لم تكن تخطر لأهل

بلاد على بال . (منها) إنشاء مرفأ في السويدية وطريق حديدي منها إلى حلب . و (منها) جلب نهر الساجور إلى حلب لأن ماء المدينة قليل ولو تم هذا العمل لأحييت به أرض واسعة فكانت جنات وحدائق . (ومنها) أن عينا خوارقة سفع جبل بين أرمناز وأدلب قد أغرقت أمواها تلك الأرض فجعلتها مستنقعات تضر الناس ولا يأوى إلى غاباتها إلا الخنزير البري فذهب الفقيد إليها واختبر حال الأرض والعين اختياراً هندسياً زراعياً فعلم أنه يمكن جر مائها إلى أدب القليلة الماء وتجفيف تلك المستنقعات فتصير نافعة ونحيا أرض أدلب ونحيا أهلها فطلب بذلك امتيازاً .

و (منها) إنارة حلب وبرهيك ومرعش واورفه بالكهربائية بواسطة شلال يحدثه من نهر العاصي في محل اسمه المضيق بالقرب من دركوش تابع لجسر الشفر وكان اختبر المكان اختباراً هندسياً فعلم أن أحداث الشلال فيه ممكن . (ومنها) استخراج معدن نحاس من أرغنه التابعة لولاية حلب . وقد حال دون إعطاء بعض هذه الامتيازات ما يحول دون كل مصلحة عامة يطلبها الوطنيون كالرشوة ونحوها . وقد كان أعطى امتياز استخراج النحاس واشتغل به ثلاث سنين ونيف وبعد ذلك أرادت حكومة الولاية إبطاله لأمر ما فادخلت مع الفقيد في العمل بعض الأجانب وتوسلت بذلك إلى إبطاله

خدمته للناس وللحكومة : كان اتخذ له مكاناً بين داره ودار الحكومة سجا للمركز

يأتون إليه وكلاء الدعاوى البارعون فكان يؤمه أصحاب الحاجات والقضايا يستشيرون صاحب الترجمة في حل عقد المشكلات ، ويستضيفون برأيه في دياجير المهمات ، وكان في الغالب ينصل بينهم بالتراضي ، ويفهمهم عن المحاكم والقاضي ، فإن احتجج قضية إلى الحكومة يندب لها من رماة أهلها لمن الوكلاء لها من وإن كانت عظيمة الشأن يندب نفسه ويحكم المبتطل حتى يحق الحق لصاحبه . وقد كان قصاد ذلك المركز يكادون يزيدون على قصاد دار الحكومة . وكانت الحكومة نفسها تستشير في الشؤون العامة وتعتمد على رأيه مقاومة الحكام له : ورث الفقيه عن سلفه السادة الأمراء علو الهمة وقوة العزيمة

وعدم المبالاة الأخطار فهو من سلالة السيد ابراهيم الصفوى الأردبيلي المهاجر إلى حلب وما حديث الصنوية في الامارة مجهول . بهذا كان رحمه الله تعالى لا يهاب الحكام ولا يندارهم مع أن حكومتهم في الحقيقة استبدادية . وهذا هو الذي أحبط أعماله في بلده وذهب بمرؤته . غاصب عارف باشا أحد ولاة حلب فأغرى بعض الناس بأن يكتب إلى الاستانة شاكية ، من سيئات الوالى شارحاً لما فعل الوالى بذلك فعمد مكتمة لحبس الفقيه وضبط أوراقه وزور عليه ورقة سماها (لائحة تسلم ولاية حلب إلى دولة أجنبية) وطلب محاكمته ناهياً وحكم القانون في هذه الجريمة الاعدام ولكنهم غلطوا في معاملته بالحبس وطلب الاستئناف غلطاً قانونياً ما كان ليخفى على الفقيه فكُتِبَ إلى الاستانة كتابة مطولة يسهر فيها أن خروج حكومة اولاية عن حدود القانون هو من دلائل تحملها عليه وتجرها لئله وطلب أن يحاكم في ولاية أخرى فأجيب عليه وحوكم في بيروت بحكم إمرائه وما زال يبيع الوالى حتى عزل بعد عودته إلى حلب وكان هو أول من شره بالويل بواسطة إحدى الولايات ثم انه أخرج من حلب باهانة عظيمة لأنه أو عز إلى اصناف الثمراء الذين كانوا يسمون الفقهاء بهم لندسه بإهانتهم فاجتمعوا عند داره بهيئات غريبة قترك أهله وخرج كالحارب وسافر إلى الاستانة وتبعه الفقيه ليحاكمه ولكنه لم يكدر حمل إليها حتى مات قهراً

وكان الشيخ أبو الهدى أفندى الشهير من أعدائه ويقال أن السبب الأول في ذلك إباء الفقيه أن يصدق على نسب الشيخ أبى الهدى هذا وإن الشيخ أبى الهدى صار يقرب أشراف حلب وكانت هذه التقاية من قبل في آل السكواكي . ومن آداب الفقيه العالية أنه كان هاشمى على صفات الشيخ أبى الهدى الحسنة كالروية والكرم والدكاء والثبات وقلة كان يخوض بالنقادة إلا مع الخواص الذين يعرفون الحقائق فكانت عداوتهما عداوة العقلاء

خسر الفقيد بتلك المحاكمة ألوفا من الجنيئات وخسر أضعافها إدارة شركة انحصار الدخان للمرة الثانية أيضاً لأن الحكومة مكلفة بحفظ أما كن الشركة فلما حدثت فتنة الأرمن امتنع الوالى عن إرسال العساكر لمنع نهب الارمن مال الشركة. وخسر بسبب مداراة الحكم غير ذلك من المزارع والارض (منها) مزرعة (جفتلك) جميل باشا الوالى التى اشترها منه الفقيد فاعتدى عليها زعماء التركان باغراء خفى حتى أخذوها . (ومنها) مزرعة (جفتلك) كانت مستقعات تابعة للاراضى الاميرية فألف لها شركة وأخذها من الحكومة وحفظها فأغرى الغرون بعض عشائر الاكراد بالتعدى على حصته فآكهم فحكم لهم عليه بالمساعدة الخفية. وفى أثر ذلك سافر مباهراً إلى مصر سياسته ورأيه فى الإصلاح : لم يكن الفقيد فى اشتغاله بخدمة بيته وبلده وحكومته

غافلاً عن شئون المسلمين العامة فقد كان يقرأ الجرائد التركية والمصرية حتى الممنوعة التى كانت تدخل إلى حلب كغيرها بوسائط خفية . ولما هاجر إلى مصر كان أول أثر له فيها طبع سجل جمعية أم القرى وكان يقول ان لهذه الجمعية أصلاً وأنه هو توسع فى السجل ونفذه ست مرات آخرها عند طبعه منذ سنتين ونيف أى عقب قدومه إلى مصر . وقد قال لما مرة إن الإنسان يتجرأ أن يقول ويكتب فى بلاد الحرية ما لا يتجرأ عليه فى بلاد الاستبداد بل ان بلاد الحرية تولد فى الدهن من الافكار والأراء ما لا يتولد فى غيرها . ومن يقرأ الكتاب يظن أن صاحبه صرف معظم عمره فى البحث عن أحوال المسلمين وتاريخهم فى عقائدهم وعلومهم وآدابهم وتقاليدهم وعاداتهم ومنه يعلم رأى الفقيد فى الإصلاح وقد كنا معه على وفاق فى أكثر مسائل الإصلاح حتى أن صاحب الدولة مختار باشا الغازى اتهمنا بتأليف الكتاب عندما اطلع عليه ورعنا نشير إلى المسائل التى خالفنا الفقيد فيها فى هامش الكتاب عند طبعه وأهمها الفصل بين السلطين الدينية والسياسية .

أما آراؤه ومعارفه السياسية فحسبنا منها كتاب طبائع الاستبداد الذى يكاد يكون معجزة للكتاب السياسيين . وقد زعم زاعمون ان معظم ما فى هذا الكتاب مقتبس من كتاب لميلسوف ايطالى فى الظلم . ومن كان له عقل يميز بين أحوال الإفرنج الاجتماعية وأحوالنا ودونهم فى العلم وذوقنا يعلم أن هذا الوضع وضع حكيم شرقي يقتبس علم الاجتماع والسياسة من حالة بلاده حتى كأنه يصورها تصويراً وإذا لاحظ مع ذلك ان هذا الكتاب كان مقالات مختصرة نشرت فى المؤيد ثم مدها صاحبها مد الأديب المعاطى وزاد فيها فكانت كتاباً غافلاً يتجلى له علمه الأول بصورة أوضح وأجلى

وإذا علم بعد هذا كله أنه تقهه بعد الطمع وحذف منه قليلا وزاد فيه كثيرا، أعلم اليقين أن بدوع علم هذا الرجل صدره وأنه كان يزداد في كل يوم، وبصاأنا وتفجرا، ثم إننا قد لمقدّمته أن بعضه ثمر درس، وبعضه تحصيله، والبعض الآخر علم، ثم يولد إنسان عالما ولكن فرقا عظيما بين من يحكي كلاما كبيرا، وبين من يكتبه (أو يقرأه) وبين من يحكي عقله في علوم الناس فيأخذ ما صح عند، ويبدل ما لا صح، من كان له مثل هذا الفضل الحاكم في كليات العلوم فهو السيد، وإن كان احتجابه هذا في العلوم العقلية والكونية وهو أعلم أن كان يزداد في العلوم الدينية.

[illegible][illegible]

يقول الحكمة من بناء ومن يؤثرت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر الأول الألب

المكتبة

١٣١٥

فمن عادى الذين يستمعون القول
فتمنوا أحسن أو تلك الذين عداهم
الله وأولئك هم أولو الألب

(قال عليه السلام: إن للإسلام ضوى و « مناراً » كنار الطريق)

(مصر في يوم ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢٠ - ٢٢ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٢)

﴿ باب الدهر والزهري ﴾

الدهر والزمن (س ١) احمد افندي عبد الكريم بالزقازيق: نقرا ونسمع كل يوم من مدام الدهر نظما ونثرا من جميع الملل ما لا يخفى عليكم ولا نعلم ما يقصدون بالدهر الذي ينسبون اليه افعالا كالرفع والخفض والسر واليسر وما مسمى هذا الاسم اهي المدة الزمانية ولا دخل لها في الأفعال أم ماذا؟ والحامل لي على هذا السؤال اني سمعت من أحد العلماء حديثاً أدهشني وهو: « لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله » وقد نري أكثر سابي الدهر من العلماء الذين لا يغيب عنهم هذا الحديث فإراكم في هذا السؤال وفي صحة الحديث أجيبيوني ولكم مزيد الشكر ومن الله الاجر

(ج) اختلف العلماء في تفسير الدهر والزمان والنسبة بينهما فقال الرابع الدهر اسم لسدة العالم من مبداه الى منتهاه ثم صاروا يطلقونه على المدة الطويلة وأما الزمان فيطلق على المدة الطويلة والقصيرة اطلاقاً حقيقياً وزعم السعد ان الدهر طول الزمان . وقد فشا بين الأدباء والشعراء ذم الدهر والزمان ونسبة الحوادث السيئة اليهما وتري شعراء العرب بدم الاسلام فلما يذمون الدهر وإنما يذمون الزمن . ولا يقصد هؤلاء ولا أولئك بالزمن أو الدهر حركة الفلك أو الليل والنهار أو ما يقول المتكلمون في تعريف الزمن « مقارنة متجدد معلوم لمتجدد وهووم » وإنما يقصدون ان تماسهم أو شقاءهم وكل ما يشكون منه لم يكن من تقصيرهم وإنما علته عدم موآاة الشؤون الكونية المتعلقة بغيرهم من الخلق ولما كانت هذه الشؤون التي يتوقف عليها النجاح مع سعي الانسان غير مينة صاروا ينسبونها الى أهم

شيء يمكن أن تسند اليه وهو الزمن أو الدهر

وقد حكى الله تعالى عن بعض الملاحدة نسبة الإحياء والاماتة الى الدهر فقال « وقالوا إن هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما علم بذلك من علم أن هم الا يفتنون » والظاهر أنهم يعنون ان هذا هو المعروف طول الدهر فلا يوجد شيء آخر يحيي ويميت وهذا الذي المطلق جهالة لا دليل عليها . وأما الحديث فقد جاء في صحيح مسلم بلفظ « لا بسبب أحدكم الدهر فان الدهر هو الله تعالى » وورد بلفظ آخر عند أبي داود والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وهو : « قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر فاني أنا الدهر أقلب الليل ونهاره » ورواه غيره وله ألفاظ أخرى لا حاجة الى استقصائها . ولم يرد اسم الدهر في أسماء الله تعالى لانه أطلق عليه سبحانه على سبيل التجوز والمعنى فيه ان الشيء الذي سنده اليه الناس الافعال ولا يعرفون حقيقةه وإنما يسمونه الدهر لأنهم غير متبين في علمهم الناقص هو الله جل شأنه لانه هو القاعل المختار الذي يرجع اليه الامر كله

الدعاء والقضاء وطول العمر (س ٧) أحمد أفندي متولي بمصر : اطاعت على حديث في تفسير الخازن هذا نصه : عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر » وهذا مضاف لما تقدمه من انه لا راد لقضاء الله وان العمر لا يزيد ولا ينقص لقوله تعالى « لكل أجل كتاب » وقوله جل ذكره « فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » فالرجاء افادتنا عن ذلك

(ج) اتفق القل مع المعتل على ان كل ما يقع في الوجود فانما يقع

بحسب ما في علم الله تعالى لأن وقوع شيء على خلاف ذلك يستلزم الجهل وهو محال على الله تعالى فما خالف هذه العقيدة خلافاً حقيقياً فهو مردود ونقطع بأنه مكذوب على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا لم يمكن تأويله وإرجاعه إليها . وقد أول العلماء حديث « لا يرد القضاء الا الدعاء » فقالوا قد يكون في علم الله تعالى ان فلانا يصاب بكذا أو يكون بصد أن يصاب به فيدعوه الله فينكشف عنه البلاء الذي كان مائلاً نزوله او دوامه على عدم الدعاء وانكشفه على الدعاء ويسمون هذا القضاء المعلق . أما القضاء المبرم وهو ما سبق في علم الله تعالى أن يكون لا محالة فهو الذي لا يمكن أن يرد . وإذا كان هذا التقسيم لاجل الجواب عن هذا الحديث فهناك أحاديث لا يمكن ان يجاب عنها منها ما أخرجه أبو الشيخ عن أنس عن فوعا « أكرم من الدعاء فان الدعاء يرد القضاء المبرم » وما أخرجه ابن عساكر عن غير ابن أوس مرسل « الدعاء جند من أجناد الله مجندة يرد القضاء بعد برهم » . والحديثان ضعيفان السند جداً والحديث الوارد في السؤال رواه الترمذي والحاكم . وقد ذكر المحدثون ان من علامة الحديث الموضوع مخالفته للمقائد القطعية والاصول الثابتة ومنها مخالفته للعقل والوجود

وأما كون البر يزيد في العمر فقد ورد بمعناه أحاديث في الصحيح وهو كلام في الاسباب لا في علم الله تعالى وقضائه في العباد . قال بعض العلماء في تفسيره ان أهل البر يكونون أمة الناس عيشاً لما بينهم وبين والديهم وأهلهم وسائر الناس من الحب وحسن المعاملة وهذه هي الزيادة في العمر فان من يعيش بالناكدة والفجور كأنه لم يعيش لأن حياته تذهب سدى . وفيه وجه آخر وهو ان البر وحسن الاخلاق والاعتدال في الامور من

اسباب الصحة واعتدال المزاج والصحة هي مادة طول الحياة في الغالب وهذا بما تاتي بالنسبة لحالة البنية واستعداد الشخص لا بالنسبة لما في علم الله تعالى لانه لا يتغير وأكثر الكلام بين الناس يكون في الاسباب لا في أصول العقائد وقد أوضحنا هذه المسئلة في الدرس ١٦ من الامالى الدينية (راجع ٣: ٥٥٨)

رضاع الزوج من الزوجة (س ٣) م ٥ ص ٥ في الجزية : اذا رضع الزوج ندي زوجته هل يحرم عليه ؟

(ج) لا فان حكم الرضاع انما يثبت في الصغير عند جماهير العلماء من السلف والخلف والمروي عن الائمة الاربعة وغيرهم انه لا تأثير له بعد الحولين وفيه حديث رواه الدارقطني عن ابن عباس « لا رضاع الا ما كان في الحولين » وفي حديث صحيحه الترمذي عن ام سلمة « لا يحرم من الرضاع الا ما فلق الامعاء وكان قبل القطام » والمراد بفلق الامعاء كونه عمدة في التغذية ولكن وردت احاديث اسخ من هذه في التحريم برضاع الكبير وقد اجابوا عنها بما يحتمل البحث ومن اراد الاحتياط فاجتنب كل ما فيه خلاف . وأما سؤالكم الاول فالتا لم نعرفه وسنجيب عن اقتراحكم في الطلاق عند سنوح الفرصة .

القسم العمومي

فرنسا والاسلام

لا تزال دولة فرنسا في حيرة وعمة لا تهتدي مهما الى طريقة تطمين اليها في سياسة مستعمراتها الاسلامية فكثرتها من الفلاسفة والسياسيين يواصلون البحث في الاسلام على مر الايام والاعوام لأجل اشراع هذه

الطريقة وما هم بشرعها ولما تطعن نفوسهم الى شئ كاطمئنان نفس انكلترا في سياسة مستعمراتها الاسلامية وغير الاسلامية . لقد ظهرت نتيجة حسن سياسة انكلترا في ارتباطها بحرب الترانسفال فلقد كانت عاجزة عن تأديب مملكة واحدة من ممالكها الاستعمارية الواسعة اذا هي تألبت عليها وثارت تريد الخروج من دائرة سلطتها . والله يعلم ما يكون من أمر مستعمرات فرنسا معها اذا وقعت في مثل ذلك الارتباك وانتهت الى مثل ذلك الخطر الذي كانت فيه انكلترا أيام كانت الحرب في شبابه .

سلكت فرنسا مع المسلمين مسلك العنف والضغط حتى حالت بين المسلمين الذين تحت سيادتها أو حمايتها وبين العلم والتعليم وزعمت ان فرقا بينها وبين انكلترا فانها تحكم شعوبا لا تزال الشبهة الاسلامية والشجاعة العربية متمكنة في نفوسها وان انكلترا تسوس قوماً فسد بأسهم وهجرتهم الشجاعة والشبهة بما توالى عليهم من ظلم حكاهم كالهنديين والمصريين الذين لا تخشى بادرتهن . ولا تحذر غائلتهن . وجهات أقرب حوادث التاريخ في مصر وهو خروج المصريين على حكامهم الذين يدينون بدينهم وينطقون بلغتهم عندما أمكنتهم الفرصة من الخروج عليهم حتى كان العلماء وهم أبعد الناس عن السياسة من خطباء الثورة المصرية ودعاتها بعدما كانوا يقولون بوجوب طاعة هؤلاء الحكام والخصوع لهم . ولا أنسى كلمة سمعتها من كبير العلماء في بلد من سوريا قالها في محفل كبير ذكرت فيه الثورة المصرية فقال ذلك الشيخ رحمه الله « كلنا عمريايون » ودعا المرابي وحزبه بالنصر .

واذا وجد في العلماء رجل واحد بصير بالسياسة كان يحذر المرابين وينذرهم سوء عاقبة الثورة كالشيخ محمد عبده فذلك لا ينافي أن الجماهير

كانوا راضين عنها وداعين اليها

أتجهل فرنسا ان سياسة الظلم والقسوة التي نفخت روح الثورة في المصريين الجبناء في نظرها على حكاهم المسلمين تحشى عاقبتها من الجزائريين والتونسيين وهم من أهل النجدة والبأس والشجاعة والشهامة ؟ أتجهل السر في سكون هؤلاء الذين عهدم بالثورة غير بعيد عند ظهور انكسار انكلترا في الحرب المرة بعد المرة ؟ السر ظاهر غير مكتوم وهو انهم في رخاء من العيش يرفلون في ظلال الحرية التامة ونعيمها . نعم انهم تتمنون الاستقلال التام لأنه هو كمال الحياة الاجتماعية ومن نجا من الاستعباد والاستغلال ، يشتهي كمال الاستقلال ، ولكن الناس لا يذهبون الى الثورة الا بالظلم والتضييق فان الانفجار نتيجة الضغط

اذا كانت انكلترا لا تساعد استمداد الشعوب على الترقى كما هو شأنها في زنجبار فلها قلما تعارضه لانها الاتحارب الطبيعة فقد كان مسلمو الهند في جهل وخول فتركهم وشأنهم فظهر فيهم مرشدون اشتغلوا بتربيتهم وتعليمهم فصادفوا من الحكومة الانكليزية ارتياحاً بل تشيظاً ومساعدة وأعطتهم الحرية التامة في انشاء المدارس والجرائد وعقد الجمعيات . والبريد عندهم حرف لم نسمع ان جريدة منعت عن الهند وان مكتوباً ضاع او رسالة اختزلت او كتابا ارسل فلم يصل فهل تعامل فرنسا اهل الجزائر بمثل هذه المعاملة او بما يقرب منها ؟؟

لقد كان لفرنسا في سيرة الانكليز في الاستعمار ما يفيها عن كثرة البحث والتأليف والتصنيف في حال المسلمين وكيف ينبغي ان يساموا ويغنيها عن تأليف اللجنة التي انشأتها من عهد قريب لتمحيص البحث في

هذه المسئلة

يحكم كتاب فرنسا وساستهم على المسلمين من غير ان يستشيروهم او يبرفوا ما يكتبه الاحرار المارفون بالدين وأهله عنهم ولكن بعض حكاهم يستكتبون بعض المصانين لهم ما ارادوا وينشون انفسهم وقومهم بما يوهونهم ان هذا هو رأي علماء المسلمين واهل الرأي فيهم . اكثر ما يكتبه الفرنسيون عن الاسلام والمسلمين يحفظ القلوب ويثير الاحقاد ويخرج الاضغان وكل هذا يحتمل ما دامت القوة فاذا عرض عليها ما يضعفها فنالك يحصدون شر ما يزرعون . وليس من العقل الاغترار بدوام القوة

الفرنسيون ابعد الناس عن الدين وعن التعصب له ولكنهم اذا كتبوا عن الاسلام فانما يفتنون السوم ويظنون المسلمين بظل من يحموم؛ الا ما كان من فيلسوف حكيم يكتب للعالم لا السياسة . حكومة الجمهورية ليست مسيحية فتعصب على الاسلام لاجل النصرانية وانها لتقاوم النصرانية في بلادها كماقاوم الاسلام في مستعمراتها ولكنها تفتقد ان المسلمين قوم حرب وان دينهم يطالبهم بان يكونوا سائدين غير مسودين وانهم يتربصون بمن يسودهم الدوائر حتى اذا ماسنحت لهم الفرصة وثبوا ، فسلبوا ونهبوا ؛ وان السياسة الواقعة ان يوضعوا في الاوفاق ؛ وتمثل الأيدي الى الاعناق ؛ وان تحجب شمس السلم عن الانظار ؛ وتحول بين الاسماع وما في العالم الاسلامي من الاخبار ؛ وان تراب الحكومة السائحين ، اذا كانوا مسلمين أو عثمانيين ؛ - ومن الاعتقاد ما هو وطن وان بعض الظن اثم . ولا شيء يخرج الصدور ؛ ويمض النفوس مثل هذه

المعاملة السوءى لأنها برهان على ان هذه الحكومة تبغض المسلمين والجاهل لا يعرف سبباً للمداوة والبغضاء الا الأمر المأم وهو الدين لذلك يعتقد الاكثرون في المستعمرات الفرنسية ان فرنسا تبغض المسلمين لأنهم مسلمون يعبدون الله من دون المسيح ويؤمنون بمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم نحن والمقلاء نقول ان الأمر ليس كذلك ومثلنا من يقدر على إقناع المسلمين لأننا من خدمة الدين والعلم فيهم ولكن هذا الاقتناع يتوقف على وصول صوتنا الى تلك المسامع وفرنسا لا ترضى بذلك بل ولا ترضى بأن يتعلم المسلمون الا اللغة الفرنسية التي تزيد المسلمين بغضا في فرنسا كما صرح بذلك بعض كتابها وذلك انهم يرون في الكتب والجرائد الفرنسية الطعن الموجه مصوباً دائماً الى صدور المسلمين . وفرنسا أقدر منا على إقناع المسلمين بحسن نيتها وسلامة عاقبتها اذا برهنت عليه بالعمل ولكن يتعذر عليها إقناع مسلم واحد بالقول وان أوتيت من سحر البيان ، وخلاصة الانسان ، ما لم يؤثته انسان ؛

فرنسا في شك صريح من أمر مسلمي مستعمراتها لا تدري أيمكن أن تعيش معهم في وئام ، وهدوء وسلام ، ثم ذلك من الأماني والاهام التي لا تدرك ولا ترام ، ولا شك عندنا نحن في الامكان ، وان رتاب لا يقنعه البرهان ، ولكن ربما تقنعه حوادث الزمان ، والمريب يكون دائماً في حذر ، والظالم لا يمكن ان يأمن التغيير ؛ ولو أخلصت فرنسا النية لعرفت القضية ، وبانت الأمانة ؛

لواطقت فرنسا لأهل الجزائر حرية العلم والدين وحافظت فيهم على أحكام شريعتهم وآدابها وساعدتهم على ترفي بلادهم وعمرانها وأقامت

فيهم العدل وأباحت لكل أحد أن يعازجهم ويرى ما هم فيه حيثئذ من غبطة ونعيم لكانت هذه المعاملة الحسنى اقوى جاذب يجذب جيرانهم المررا كشيئين الى الدخول في حكم الولاية الجزائرية قبلا بمد قبيل لاسيما اذا جعلت للولاية حاكما مسلما يصدر الاحكام الشرعية وينفذها .

قد نعلم ان من الفرنسيين من يسخر من هذا الكلام اذا سمعه متوهما اننا نقوله خداعاً لهم لاعن اعتقاد منا بصحته . ولا يعلم الساخر المفروض اننا أقرب الى الشك في كون إحسانهم معاملة المسلمين خيراً للمسلمين منا الى الشك فيما قلناه فان الظلم والقسوة في المعاملة هي التي تربى الأمم وترجع اليها استعدادها المفقود ، او تبعث فيها استعداداً لم يكن بالموجود ، ولقد كانت الحرب الروسية العثمانية اكبر منية للمسلمين الى الحياة الاجتماعية في مشارق الارض ومقاربها وإب كانت اكبر خسارة على المسلمين في الظاهر . وان من سياسة المسلمين وعقلائهم من يعتقد ان نجاح الاسلام الاكبر يتوقف على سقوط كل هذه الحكومات الاسلامية التي بقيت لها رسوم ماثلة فان أعظم ادواء المسلمين الاجتماعية اعتمادهم على حكوماتهم واستبداد حكامهم بهم فلن تعود اليهم قوتهم الحقيقية واستقلالهم الذاتي الا بسقوط هذه الرسوم ليرجموا الى قوتهم الذاتية الاستقلالية

بهم يفسر مسلمو الجزائر وتونس وغيرهم عداوة فرنسا للسيد المهدي السنوسي وهو من رجال الدين وشيوخ الطاريق ولما اذا يكتب الفرنسيون في جرائدهم وكتبهم انه لا بد من استئصال قوته ، واصطلام دعوته ؛ واتخاذ جذوته ؛ كما بينا ذلك في العدد ٢٣ من منار السنة الاولى ولما اذا لا يحفل الانكازين بذلك ولا يبحثون عن زواياه واتباعه في السودان ومصر ولما اذا لم

يكتب أحد من الانكليز ناصحاً قومه وهيناً لهم الحيل والوسائل التي
تفتت بها القوة السنوسية ؟؟ ان سياسة فرنسا في أفريقيا خرقاء وربما
تكشف هذه المناوشات الاخيرة بينها وبين المهدي السنوسي آخرها الا اذا
أراد الله لها زيادة الاستدراج والاملاء الى أجل مسمى وإلى الله المصير
(يطلب خبر محاربة فرنسا والسيد المهدي السنوسي في باب الاخبار)

نموذج من كتاب دلائل الإعجاز الامام عبد القاهر الجرجاني

(حمة الكلام على من زهد في رواية الشعر وحفظه ، وذم الاشتغال بعلمه وتبعه)
كان آخر أقوال في التبعة الماضية ان النبي كان يستنشد عائشة فنشده ما تقدم

قالت فيقول عليه السلام « يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبده صنع
اليك عبدي ممر وفاهله شكرته عليه فيقول يارب عذبت انه منك فشكرتك
عليه قال فيقول الله عز وجل لم تشكرني اذ لم تشكر من أجرته على يده » :
(وأما) عليه عليه السلام بالشعر فكما روي ان سودة انشدت
« عدي و تيم تبني من تحالف » فظنت عائشة وحفصة رضي الله عنهما
انها عرّضت بهما وجرى بينهما كلام في هذا المعنى فاخبر النبي صلى الله
عليه وسلم فدخل عليهن وقال « يا ويا لئن ليس في عديكن ولا تيمكن قيل
هذا وإنما قيل هذا في عدي تيم وتيم تيم » . وتام هذا الشعر :

تحالف ولا والله تهبط تلمة من الارض الا انت لئلا عارف^(١)
الا من رأي المبدين أو ذكرا له عدي وتيم تبني من تحالف

(١) التلمة تطلق على ماء علا وعلى ما سفل من الارض وقيل هي ما اتسع من فوهة الوادي

وروى الزبير بن بكار . قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
ابو بكر رضي الله عنه رجل يقول في بعض أزقة مكة :
يا أيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبيد الدار
فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر هكذا قال الشاعر » قال
لا يا رسول الله ولكن قال :

يا أيها الرجل المحول رحله هلا سألت عن آل عبيد مناف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا كنا نسميها .
(وأما) ارتياحه صلى الله عليه وسلم للشعر واستحسانه له فقد جاء فيه
الخبر من وجوه من ذلك حديث النابغة الجعدي قال أنشدت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قولي :

بلغنا السماء مجذبا وجدودنا وأنا نرجو فوق ذلك مظهرا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أين المظهر يا أبا ليلى ؟ » فقالت الجنية
يا رسول الله قال « أجل إن شاء الله » ثم قال « أنشدني » فأنشدته من قولي :
ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادٍ تحمي صفوه أن يكدر^(١)
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حلیم إذا ما أورد الأمر أصدر
فقال صلى الله عليه وسلم « أجبت لا يفضض الله فاك » قال الراوي

(١) البوادر جمع بادرة وهي الحدة أو ما يبدر من الإنسان عند الحدة
من الحفة إلى الانتقام بالقول أو الفعل . والحديث رواه ابن عساكر وابن التاجر
بلفظ [مجذبا] بدل [مجذنا] وفيه أنه أنشد اليتيم بمسد ذلك من نفسه فقال له
عليه السلام « لا يُفضض فوك » مرتين قال الراوي وهو يملئ بن الأشدق فاقد رأيت
بمسد عشرين سنة ومائة وإن لأسنانه أشرا كأنه البرد . والأشهر الحدة والرقعة في
أطراف الأسنان والتحزيز الذي يكون فيها

فَنظَرْتُ إِلَيْهِ فَكَأَنَّهُ الْبَرْدُ الْمُهْلُ مَاسَقَطَتْ لَهُ سَنَ وَلَا انْفَلَتْ تَرَفُّ غُرُوبُهُ^(١)
 (ومن ذلك) حديث كعب بن زهير روي أن كعباً وأخاه بجيراً
 خرجا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغا أبرق العزاف فقال
 كعب لبجير: ألق هذا الرجل وأنا مقيم ههنا فانظر ما يقول وقدم بجير
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام فاسلم وبلغ ذلك
 كعباً فقال في ذلك شعراً فاهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه فكتب إليه
 بجير يأمره أن يسلم ويقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول وأن من
 شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل منه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وأسقط ما كان قبل ذلك فقدم كعب وأنشد النبي صلى الله عليه
 وسلم قصيدته المعروفة :

بانت سعادة قلبي اليوم مقبول	متيم إثرها لم يفد من لول ^(٢)
وإسعاد غداة البين أذرحات	الأثمن غصيص الضرف مكحول
تجلو عوارض ذي ظلم إذا التسمت	كانه منهل بالراح مه لول
سح السقاء عليه ماء حنية	من ماء أبطح ضحى وهو مشمول ^(٣)

١٠ « الغروب الأسانور فيقها برهها كذا في الهامش بخط الاستاذ . قبل هذه الجملة
 « ولا انفلت » ويظهر لي أن اسماها « ولا انفلت » وهي مع ريم غروب جملة
 واحدة . والاسلاف النعم الأثر ٢٠٢ . من تيمه الحب اذا أختاروا فسد أو ذهب
 « به وعقله » والميم المذلل للميم . والغلول من وضع الغل في علقه وفي رواية
 « مكبول » وهو القيد بالكمل أي القيد ٣٠٣ . وفي نسخة « سح السقاء عليها » أم الرواية
 الشهورة في البيت فهي

شجبت بذى سبهم من ماء حنية ساقى بأبطح ضحى وهو مشمول

أكرم بها خلة لو انها صدقت موعودها أولوا أن التصح مقبول^(١)
حتى أتى على آخرها فلما بلغ مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الرسول سيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول^(٢)
في فتية من قريش قال قائلهم ببط مكة لما أسلموا زولوا
زوالوا فازالوا انكاس ولا كُشف عند اللقاء ولا ميل مازيل
لا يقع الطعن الا في نحورهم وما بهم عن حياض الموت تهليل
شم المرانين أبطال أبوسهم من نسج داود في الهيجا مارييل
أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخلق أن اسمعوا قال وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من أصحابه مكان المائدة من القوم
يتخلقون حلقه دون حلقه فيلتنف الى هؤلاء والى هؤلاء والاخبار فيما
يشبه هذا كثيرة والأثر به مستفيض

وان زعم انه ذم الشعر من حيث هو وزون مقفى حتى كان الوزن
عباءة وحتى كان الكلام اذا نظم نظم الشعر اتضع في نفسه وتغيرت حاله ،
فقد أبدع وقال قولاً لا يعرف له معنى وخالف العلماء في قولهم : انما الشعر
كلام فحسنة حسن وقيحه قبيح^(٣) . وقد روي ذلك عن النبي صلى
عليه وسلم صريحاً :

فان زعم انه انما كره الوزن لانه سبب لان يفتى في الشعر ويبتلى به . قلنا اذا

٤٤ وفي رواية « وبأمرها خلة (٥) وفي رواية لنور بدل سيف . ولا تفسر
الابيات فالتقصيدة شهيرة . وشروحها في الايدي على اني لم ار أحداً من المحدثين رواها
(٦) روى الدارقطني في الافراد عن عائشة والبخاري في الأدب والطبراني في
الوسط وابن الجوزي في الواهيات عن عبد الله بن عمر . والشافعي واليهود عن ع
مرسل : (الشعر كلام بمنزلة الكلام فحسنة حسن الكلام وقيحه قبيح

كنا لم ندعه الى ان . . . من أمر ذلك وانما دعواته الى اللفظ الجزل ، والقول الفصل ، والمنطق الحسن ، والام الين ، والى حسن التمثيل والاستعارة ، و الى التلويح والاشارة ، والى صنعة تمهيد الى المعنى الحسيس فتشرفه ، والى الضئيل فتفخمه ، والى النازل ترفعه ، والى الحامل تنوّه به ، والى العاطل فتجليه ، والى المشكل فتجليه ، فلا متعلق له علينا بما ذكر ، ولا ضرر علينا فيما أنكر ، فليقل في الوزن بما شاء ، وليضعه حيث أراد ، فليس ينبغي أمره ، ولا هو مرادنا من هذا الذي راجعنا القول فيه ، وهذا هو الجواب المتعلق ان تعلق بقوله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » وأراد أن يجعله حجة في المنع من الشعر ، ومن حفظه وروايته ، وذلك اننا نعلم انه صلى الله عليه وسلم لم يمنع الشعر من أجل ان كان قولاً فصلاً ، وكلاماً حزلاً ، ومنطقاً حسناً ، وبياناً ، كيف وذلك يقتضي ان يكون الله تعالى قد منعه البيان والبلاغة ، وحماه فصاحة والبراعة ، وجعله لا يبلغ مبلغ الشعراء في حسن العبارة ، وشرف اللفظ وهذا جهل عظيم . وخلاف لما عرفه العلماء وأجمعوا عليه من انه صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب . وانما يقال ان يكون المنع من أجل هذه المعاني وكنا قد أعلمناه اننا ندعو الى الشعر من أجلها ونحدد بطايه على طابها كان الاعتراض بالآية محالاً ، والتعلق بها خطلاً من الرأي والاحلال :

فان قال اذا قال الله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » فقد كره للنبي صلى الله عليه وسلم الشعر ونزهه عنه بلا شبهة وهذه الكراهة وان كانت لاستوجبه اليه من حيث هو كلام ومن حيث انه بليغ بين وفصيح حسن ونحو ذلك فانها تتوجه الى أمر لا يد لك من التلبس به في طلب ما ذكرناه مرادك من الشعر وذلك انه لا سبيل لك الى أن تميز كونه كلاماً عن كونه شعراً حتى اذا رويته التبت به من حيث هو كلام ولم تلتبس به من حيث هو شعر هذا محال . واذا كان لا يد لك من التلبس بموضع الكراهة فقد لزم العيب برواية الشعر واعمال اللسان فيه . قيل له (١) هذا منك كلام لا يتحصل وذلك انه لو كان الكلام اذا وزن حظ ذلك من قدره وأزرى به وجلب على المفرغ له في ذلك الثقال أثماً ، وكسبه ذمماً ، لكان من حق العيب فيه أن يكون على واضع الشعر أو من يريد له مكان الوزن خصوصاً دونك من يريد له أمر خارج عنه ويطلبه لشيء سواه ، فاما قولك انك لا تستطيع ان تطلب من الشعر ما لا يكره

حق تلتبس بما يكره فاني اذا لم أقصده من أجل ذلك المكروه ولم أرد له وأردته لأعرف به مكان بلاغة ، وأجمله مثلاً في براعة ، أو أحتج به في تفسير كتاب وسنة وأنظر الى نظمه ونظم القرآن ، فأرى موضع الإعجاز وأقف على الجهة التي منها كان ، وأبين الفصل والفرقان ، فحق هذا التلبس ان لا يمتد علي ذنباً وان لا أواخذ به اذ لا تكون مؤاخذه حتى يكون عمداً الى أن تواقع المكروه وقصد اليه (١) وقد تتبع العلماء الشعوذة والسحر وعنوا بالتوقف على حيل الماء وهين ليعرفوا فرق ما بين المعجزة والحيلة فكان ذلك منهم من أعظم البراذن كان الغرض كريماً والقصد شريفاً هذا واذا نحن رجعنا الى ما قدمنا من الاخبار ، وما صرح من الآثار ، وجدنا الامر على خلاف ما ظن هذا السائل ورأينا السبيل في منع الذي صلى الله عليه وسلم الوزن وأن يخطأ لسانه بالكلام الموزون غير ما ذهبوا اليه ، وذلك انه لو كان منع تنزيه وكراهة لكان ينبغي أن يكره له سماع الكلام موزوناً وأن ينزه سمعه عنه كما ينزه لسانه ولو كان صلى الله عليه وسلم لا يأمر به ولا يبحث عليه ، وكان الشاعر لا يمان على وزن الكلام وصياغته شعراً ولا يؤيد فيه بروح القدس ، واذا كان هذا كذلك فينبغي أن يعلم أن ليس المنع في ذلك منع تنزيه وكراهة بل سبيل الوزن في منعه عليه السلام اياه سبيل الخطأ حين جعل عليه السلام لا يقرأ ولا يكتب في أن لم يكن المنع من أجل كراهة كانت في الخطأ بل لأن تكون الحجة أبهر وأقهر ، والدلالة أقوى وأظهر ، ولتكون أكم للجاحد (٢) وأقع للمعاند ، وأردت لطالب الشبهة ، وأمنع في ارتفاع الرتبة ،

وأما التعلق بأحوال الشعراء بأنهم قد ذموا في كتاب الله تعالى فما أرى عاقلاً يرضى به أن يجمله حجة في ذم الشعر وتهجينه ، والمنع من حفظه وروايته ، والعلم بما فيه من بلاغة ، وما يختص به من أدب وحكمة ، ذلك لانه يلزم على قود هذا القول أن يعيب العلماء في اتهمادهم بشعر امرئ القيس وأشعار أهل الجاهلية في تفسير القرآن وغريبه وغريب الحديث ، وكذلك يلزمه أن يدفع سائر ما تقدم ذكره من أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالشعر واصفاً اليه واستحسانه له ، هذا ولو كان يسوغ ذم القول من أجل قائله ، وأن يحمل ذم الشاعر على الشعر لكان ينبغي أن يخص

(١) وقال ان كلمة (قصداً) معطوفة على (عمد) (٢) أكم من كم البعير اذا شد

فاه بالكمام عندها حجة ثلاثا بعض أو لأجل منعه الأكل

حديث آخر « هلك المتعلمون » (٢) أي المتشددون في الدين وظن بعض الصحابة أن ترك السجور أفضل بالنظر إلى سكرة تسريع الصيام فهاهم النبي عليه السلام عن النصيحة في تركه : وقال عمر رضي الله عنه في حضور رسول الله لم يأت إلا أن يصل الثالثة بالفرض « بهذا هلك من قبلكم » (٣) فقال النبي عليه السلام « أصاب الله بك يا ابن الخطاب » وانكر النبي عليه السلام على عبد الله بن عمرو بن العاص التزامه قيام الليل وصيام النهار واجتناب النساء وقال له « أرغبت عن سنتي » فقال بل سنتك أبنی قال « فإني أصوم وأفطر وأتسلي وأائم وأكبح النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » (٤) وقد كان عثمان بن مظعون وأصحابه صبروا على سرد الصوم وقيام الليل والاحتشاء وكانوا حرموا النظر على أنفسهم ظناً به قربته إلى ربهم فهاهم الله عن ذلك لأنه غلو في الدين واعتداء فيه شريع فأنزل « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعبدوا الله لاتباع المعبدين » أي أنه لا يجب من تعدي حدوده ومارسه من الاقتصاد في أمور الدين : وقد ورد في الحديث الصحيح قوله عليه السلام « والذي نفسي بيده ما تركت شيئاً يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا أمرتكم به وما تركت شيئاً يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا أنهيكم عنه » (٥) فإذا كنتم الدارع يأمرنا بالإنعام ما وسع لنا من الحدود فما معنى نظرنا النصيحة في المزيد وورد في حديث البخاري « أن أعظم المساءين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسأله » (١) وبمقتضى هذا الحديث نقول ما أحق بعض المخففين المتشددين بوصف المجرمين . وهذه مسألة السواك مثلاً فإنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها أنه قال « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك » (٢) فهذا الحديث مع صراحته في ذاته أن السواك لا يتجاوز حد التدب جملة الأكثرين سنة وخصه بعضهم يعود الأراك وعمم بعضهم الأصبع وغيرها بشرط عدم الإدماء وفصل بعضهم أنه إذا قصر عن شبر وقيل عن فتر كان مخالفاً لسنة وتفتن آخرون بأن من السنة أن تكون فمحة مقدار نصف الإبهام ولا يزيد عن غلط أصبع وبين بعضهم كيفية استعماله فقال بسند يعض رأس الخنصر ويمسك بالأصابع الوسطى ويدعم بالإبهام قائماً . وفرض بعضهم أن يبدأ بدخاله مبلولاً في الشدق الأيمن ثم يراوحه ثلاثاً ثم يتلفن وقيل يتعضن ثم يراوحه ويتعضن ثانية وهكذا يفعل مرثلة وبحث بعضهم في أن هذه المعضنة هل تكفي عن سنة المعضنة في الوضوء أم لا ومن قال لا تكفي حجت بنصفان الغرغرة : واختلفوا في أوقات استعماله هل هو في اليوم مرة أو عند

كل وضوء أو عند تلاوة القرآن أيضاً حتى صاروا يشتركون بعمود الأراك يخالون به
القم يابساً والبعض يمدون له كثير من الخواص منها أنه إذا وضع قاتمير كبه الشيطان
والبعض خالف فقال بل إذا نفي بورت مستعملة الجذام : ويتوهم كثير من العامة
أن السواك بالأراك من شعار دين الإسلام إلى غير هذا من مباحث التشديد والتشويش
للمؤدين إلى الترك على عكس مراد الشارع عليه السلام من التمدد إلى تمهد الضم
بالتنظيف كيف كان

ثم قال « العالم النجدي » هذا ما ألهمني ربي بيانه في هذا الموضوع وربما كان
لي فيه سقطات ولا سيما في نظر السادات الشافعية من الأخوان كالسلامة المنصري
والرياضي الكردي لأن غالب العلماء الشافعية يحسنون الظن بفلاة الصوفية ، ينتمون
لهم الاعتذار وهم لأشد أبصر بهم منا معاشر أهل الجزيرة لفقدانهم بين أظهرنا
كلياً وتدنسهم في سواحنا ولولا سياحتي في بلاد مصر والعرب والروم والشام لما
عرفت أكثر ما ذكرت وانكرت إلا عن سماع ولكن كنت أقرب إلى حسن الظن ولكن
ما بعد البيان لتحسين الظن مجال وما بعد الهدى إلا الضلال فسأل الله تعالى أن
يهدينا سواء السبيل

فاجابه « العلامة المنصري » : أن أكثر الصوفية من رجال مذهبنا ونحن معاشر
لشافعية نتناولهم كثيراً ما يتكره ظاهر الشرع وتتمسك له وجوهاً ولوضعية لانتها
نرى مؤسسي التصوف الأوائل كالحنيد وابن سبعين من أحسن المسلمين حالاً وقالوا
وفيما يلوح لي أن منشأ ذلك فينا جملة أمور منها كون علماء الشافعية بعيدين عن
الامامة والسياسة العامة العهد قصيراً . ومنها كون المذهب الشافعي مؤسساً على
الأحوط والأكمل في المبادئ والمبادئ أي على العزائم دون الرخص : ومنها
كون المذهب مبنياً على مزيد العناية في الذنوب ، فالشافعي في شغل شاغل بمحو بصمة نفسه
وهم مستمر من جهة دينه وتحول على تصحيح الذنوب وتحسين الظن ومن كان كذلك
مال بالطبع إلى الزهد والاعتجاب بالزاهدين وحل أعيان المظاهرين بالصلاح على الصحة
والإخلاص بخلاف العلماء الخفية فأنهم من عهد أبي يوسف لم يقطع قاهم في النظر في
الشؤون العامة في عموم آسيا وكذا المالكية في الغرب وأمارات أفريقيا والحنبالية والزيدية
في الجزيرة ومن لوازم السياسة الحزم وتغليب سوء الظن واتقان النقد والأخذ بالجرح
ومحاسبة الشؤون لأجل العمل بالأسهل الأنسب

وقد امتاز أهل الجزيرة في هذا الخصوص بأنهم كانوا ولا يزالون بعيدين عن التوسع

في العلوم والفنون وهم لم يزالوا أهل عصية وصلابة رأي وعزيمة ، وقد ورد قول النبي عليه السلام فهم « ان الشيطان قد أيس أن يعبد المسلمون في جزيرة العرب ولكن في التحريش » (١) أي اغراء بعضهم ببعض وكذلك أهل الجزيرة لم يزل عندهم بقية صالحة كافية من السابقة العربية فاذا قرأوا القرآن أو الحديث أو الأثر أو السيرة يفهمون المعنى المتبادر باطمئنان فينفرون من التوسع في البحث ولا يعيرون سماعاً للاشكالات فلا يحتاجون للتدقيقات والابحاث التي تسبب التشديد والتشويش ، وأما غيرهم من الأمم الإسلامية فيتلقون العربية صنعة ويقاسون البناء في استخراج المعاني والفهمات ومن طبيعة كل كلام في كل لغة أنه إذا مخضته الأذهان تشعبت ونشبت فيه الافهام وربما جاز أن يقال في السادة الشافعية ولا سيما في علماء مصر منهم أن انطباعهم على سهولة الانقياد سهل أيضاً دخول الفنون الدينية المستحدثة عليهم ودماثة أخلاقهم تأبى عليهم اساءة الظن ما أمكن تحسينه فلذلك حازت هذه الفنون التصوفية المستحدثة قبولاً عند علماء الشافعية الأوائل

هذا وحيث قلنا ان من خالق المصريين سهولة الانقياد ولا سيما للحق وكذلك علماء الشافعية الأكراد كلهم أهل نظر وتحقيق فلا يصعب حمل الشافعية على النظر في البدع الدينية خصوصاً ما يتعاق منها بمضنات الشرك الحساب للمقت والضنك ولا شك أنهم يمثلون أوامر الله في قوله تعالى (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) وقوله تعالى (اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) هذا وكثير من علماء الشافعية الأقدمين والمتأخرين المنتسبون للمذهب السافى السديد ، المقاومون للبدع والتشديد ، والحق ان التصوف المتغالى فيه لاتصح نسبته لمذهب مخصوص فهذا الشيخ الحلي رضي الله عنه حنبلي وصوفي

قال (الاستاذ الرئيس) ان أختاً العالم التجدي يعلم أن ما أفاض به عاينها لأخبار عليه بالنظر الى قواعد الدين وواقع الحال وكفى بما استهد به من الآيات البينات برأيهن دامغة ، والله على عباده الحجة البالغة ، وعجالة التردد التي ختم بها خطابه يترك بها الحكم لرأي الجمعية ما هي لا تزع من فقد حرية الرأي والخطابة فأرجوه وأرجو سائر الاخوان الكرام أن لا يتهينوا في الله لومة لائم ورأي كل منا هو اجتهاده وما على المجتهد سبيل وليعلموا أن رائد جمعيتنا هذه الإخلاص قلله كافل بتجاربها وغاية

كل منا إعزاز كلة الله والله ضامن إعزازه قال تعالى «ان تَتَّخِذُوا اللَّهَ تَعَصُّرُكُمْ»
 نعم هذا النوع من الارشاد أعني الانتقاد على الاعتقاد هو شديد الوقع والصدع
 على التائبين في الوهلة الاولى لأن الآراء الاعتقادية مؤسسة غالباً على الورثة والتقليد
 دون الاستدلال والتحقيق وجارية على النماون دون التقانع . على أن أعضاء جمعيتنا هذه
 وكافة علماء الهداية في الأمة يشربون والحمد لله من عين واحدة هي عين الحق الظاهر
 الباهر الذي لا يخفى على أحد فكل منهم يحتاج في فكره ما يحتاج فكر الآخرين عنيته أو
 شبهه لكنه يهرب التصريح به لغلبة الجهل على الناس واستفحال أمر المدلسين وبخاف
 من الانفراد في الانتقاد ، في زمان فشا فيه الفساد ، وعم البلاد والعباد ، وقل أنصار
 الحق ، وكثر التخاذل بين الخلق ،

ويسرنى والله ظهور الثمرة الاولى من جمعيتنا هذه أعني اطمئنان كل منا على اصابة
 رأيه والاطلاعه على أن له في الآفاق رقفاً يرون ما يراه ، ويسيرون مسراه ، فيقوى
 بذلك جنانة ، وينطلق لسانه ، فيحصل على نشاط وعزم في اعلاء كلة الله ويصبح غير
 هيب لوم اللاتعنين ، ولا تحامل الجاهلين . ومن الحكمة استمهال الدين والتدرج
 والحزم والثبات في سياسة الارشاد كما جرى عليه الانبياء النخال عليهم الصلاة والسلام
 وقد بسطت ذلك في اجتماعنا الأول وسنلاحظه في قانون الجمعية القادمة الذي نقرره
 ان شاء الله بعد استيفاء البحث في طريقة الاستهداء من الكتاب والسنة في اجتماعنا
 الآتية أما اليوم فقد انتهى الوقت وانتصف النهار

إِلَّا تَتَّبِعُوا لِي لَا تَفْلَحُوا سَاعَةً

﴿قوانين التعليم الرسمي -- انتقاد﴾

(النبة الرابعة تعاليم اللغة والتاريخ والعلوم)

انتقدنا في البذ السابقة قانون التعليم الرسمي من حيث تعاليم الدين وودنا لو
 نعم لتظاره المعارف عذراً نعتدها على تلك العيوب وضرر وبالقصور ونشكلم في هذه
 النبة على تقصير القانون فيما يتعلق بتعاليم اللغة العربية عامة الأمة والبلاد وتعاليم التاريخ والعلوم
 العيب المام الأكبر هو ما جاء في عرض كلامنا على اقتراح الجمعية العمومية أعني
 مزاحمة اللغة الأجنبية للغة البلاد في التعليم الابتدائي وقد خرجت نظارة معارف

مصر في هذا عن سنة اثنتي عشرة سنة اوروبيين كلهم فهي لاتجد لها دولة اوروبية تقديري بها . ولم تكتف بتعلم قواعد اللغة الأجنبية ومبادئها بل زادت على ذلك تعليم مبادئ العلوم بها فالتاريخ الطبيعي يبدأ به في السنة الثانية وله درس واحد في الاسبوع يقرأ بالعربية ثم يقرأ في السنتين الثالثة والرابعة باللغة الأجنبية وله فيها درسان في كل أسبوع فكان دروس السنة الثانية تمهيد لما بعدها فتكون لغة البلاد وسيلة لامتصاصه . وكذلك الحال في علم تقويم البلدان الا ان دروسه في الثالثة والرابعة ثلاثة في كل أسبوع . ومن نظر في جدول توزيع حصص الدروس في التعليم الثانوي لايري لازاء خصوص اللغة العربية من الجدول الالقط والاصفار فالعلوم كلها تقرأ باللغة الأجنبية وهي الحساب والهندسة والجبر وتقويم البلدان والتاريخ والطبعة والكيمياء والرسم . وكان « الضمانات الخمس » التي قدمها ناظر المعارف لنواب الامة في الجمعية العمومية هي التي جمعت دروس الترجمة من حصص اللغة العربية في الجدول الابتدائي والثانوي ليزيد العدد فتقنع الامة بان لغتها قد اعتني بها وادخلت فيها العلوم والفنون ولكن هذا غش وخداع فان الترجمة كما تكون من اللغة الأجنبية الى العربية تكون بالعكس والناية الكبرى فيها باللغة الأجنبية ومعلومها هم معلمو اللغة الأجنبية وأكثرتهم غير بارع بالعربية فكان الاقرب الى الصواب ان تعد الترجمة من دروس اللغة الأجنبية . فدروس الاسبوع في التعليم الثانوي ٣٣ درساً ثمانية منها لغة العربية نفسها (النحو والصرف والبلاغة) والباقي لغة الانكليزية تسعة لنفس اللغة وواحد للترجمة والباقي للعلوم . وما يدل على ان حصص الترجمة تعد من دروس اللغة الأجنبية إهال الكلام عليها في الفصل الذي يشرح كيفية تعليم العربية من القانون وذكرها في الفصول التي يشرح فيها كيفية تعليم اللغة الأجنبية

الأمر الذي تهتم الامة في التعليم وتود لضمانا عليها ثلاثة — الدين وهو في المرتبة الأولى واللغة وهي في المرتبة الثانية والتاريخ وهو في المرتبة الثالثة — فأما الدين فقد بينا وجوه تقصير المعارف فيه وجملته كالرسم المدارس

وأما اللغة العربية فتقصرها فيها من وجهين أحدها نسبي وهو جعلها دون اللغة الأجنبية والواجب أن تكون فوقها وثانيها عدم تعليم العلوم والفنون بها والواجب أن تجعلها لغة العلم لأن الامة لانحيا حياة حقيقية لا يجعل لغتها لغة العلم ليقس بذلك تعليم العلم فيها فتكون حياتها العلمية ممد لحياها المعاشية والقومية . وإذا نحن جعلنا للعلم لغة ولسائر الشؤون لغة أخرى نكون قد جعلنا في مقومات حياة الامة تنازعا

يصل العلم عن العمل ولا يمكن أن يكون العلم مرشداً إلى العمل والعمل منبعثاً عن العلم إلا إذا كان العامل علماً ونتيجة هذا من غير تطويل بشرح المقدمات أن أحد الامرين واجب لكمال الحياة إما نقل العلم إلى لغة الأمة وهو العقول المقبول وأما نقل الأمة إلى لغة العلم العالوي وهذا إعدام الأمة وجعلها غذاءً ومعدة الأمة التي تنتقل إلى لغتها وما اخل أن ناظر المعارف ورجال «ضمانات المجلس» من أمته يرضون بذلك سرّاً وجهراً فإن كان لهم من الأمر شيء فليعلموا أبناء الأمة العلوم بانها وإن كانوا مغلوبين على أمرهم للمستردنلوب ومن يصعده فلا يعارض ناظر المعارف الجمعية العمومية في طلبها عرض قوانين المعارف على مجلس الشورى ولا يكارى نفسه وقومه بزعمه إن قوانين نظائره موافقة لصحة الأمة ومؤيدة منها بخمس ضمانات !!

وأما التاريخ فهو عند جميع الأمم الحية قوام التربية الاجتماعية به تنفخ روح حبة الجنس والأمة والوطن في الناشئين فتعليم التاريخ كانت اللبائب المانيا وانكلترا انكلترا وغير نسا فرنسا فالغرض الأول من علم التاريخ معرفة الانسان أمته أو معرفته نفسه من حيث هو أمة تم معرفته سائر الأمم لمعرفة مكانه منها ومكانها منه وبذلك يحصل الانسان العلم النافع الذي هو غاية كل تربية وتعليم وهو الذي عرفه حكيمنا الامام بقوله « العلم ما يبرئك من أنت بمن مأك »

لما كان هذا هو الغرض من التاريخ فقد أصابت الأمم الأوروبية بتأقبن الناشئين في أول الأمر تاريخ أمتهم مفصلاً تفصيلاً وجمالهم تاريخ بقية الأمم في الدرجة الثانية فالبلند عدم لا يعرف شيئاً من عظمة غير قومه وأمه إلا بعد أن يشرب قلبه عظمة سانه وجهم وحب بلادهم . ويقال إن أكثر الالمانيين لا يكادون يعلمون شيئاً عن غير بلادهم وأمهم إلا إجمالاً لأن الواجب في رأيهم على كل انسان أن يعرف نفسه وقومه الذين سعادته بسعادتهم وشقاؤه بشقاؤهم . وأما معرفة أحوال بقية الأمم فالتما تجب على طائفة من الناس كالذين يتصدون للسياسة وللتعليم ونحو ذلك مما يحتاج فيه إلى معرفة تاريخ الآخرين وأحوالهم

على هذا كان الواجب على نظارة معارفنا أن تجعل تاريخ الاسلام والسيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين في مقدمته هو أول ما يقرس في نفوس تلامذتنا وأن توسع في تاريخ جميع الدول الاسلامية وبيان أسباب تقدمها وتأخرها حتى تنتهي بالدولة العثمانية والبلاد المصرية جزء منها وبعد هذا كله تملقن التلامذة بالإجمال تاريخ سائر الأمم لاسيا المجاورة للممالك الاسلامية ليعرفوا نسبهم إلى قومهم ونسبة قومهم إليهم .

ما أدت نظارة المعارف هذا الواجب ولا رعته حتى راعيت فاتها لم تعتبر جنسية قوامها في الدين ولا في اللغة ولا في الحكومة (وهي العثمانية) ولكنها اعتبرت أن جنسيتها نسبتها إلى مصر وأن سلف هذه الأمة العربية هم الفراعنة والرعاة واليونان والرومان والعرب وخلفها الترك فهي والأوشاب تملأ التلازمة في الطور الابتدائي تاريخ هذه الأمم الكثيرة بهذا الترتيب .

وأما تعليم التاريخ في القسم الثانوي ففي السنة الأولى منه يعلمون تاريخ الرجال وذكورهم في القرون وليس فهم مسلم ولا عربي الا محمد على باشا واسماعيل باشا أمير مصر . وفي السنة الثانية أقسام (١) الدولة الرومانية (٢) الدولة الانكليزية ١٨٣٠م الحروب الصليبية ١٠٤٠م الدولة العثمانية ١٥٠٠م عظم دولة اسبانيا وفيها الإصلاح المسيحي ١٦٠٠م عظم فرنسا (٧) ارتقاء روسيا وفيه تاريخ المثلثة الشرقية وما فقدته الدولة العثمانية من أملاكها وتقلب وسياساتها . . . (٨) ارتقاء بروسيا (٩) نابليون (١٠) المستعمرات الأوروبية . وفي السنة الثالثة أقسام أيضاً (١) قيام أم أوروبا (٢) نحو الحرية السياسية في أوروبا (٣) المدنية عند جميع الأمم ما عدا المسلمين (٤) تقدم مصر (٥) أسباب ارتقاء واضمحلال الأمم باختصار . وكل هذا يعلمه الاورسيون بلغتهم فاعتبري أيها الأمة المصرية « بصمات ناظر المعارف الحس » واطمئي له ولها . . .

ما أجدر هؤلاء التلامذة بأن يشبوا لا يعرفون لهم أمة ولا جنساً ينتمون إليه ويفخرون به ويعملون على إحياء مجده ومجدهم فخراً . بل ما أجدرهم بفساد الفطرة التي نراها في بعض أجدانهم الذين ينادون بالوطنية المصرية بغير عقل . فإن قيل لهم هل الوطني المصري هو من يسكن مصر ويتخذها وطناً قالوا : لا لا لأن من يسكنها النزلاء الأفرنج وهؤلاء يحترمون في الظاهر ويبغضون في الباطن ومنهم الدخلاء العثمانيون من سوريا وغيرها وهؤلاء يمتنون في الظاهر والباطن . وإن قيل لهم هل الوطني المصري ما كان من سلاسل القبط والفراعنة فيجب أن نبغض من يسكن مصر من سلاسل العرب والترك والأرثوذكس الجراكسة وإن كان حكامنا منهم ؟ قالوا : لا لا أن الجنس انقبضي هو شر الاجناس فسميه وطنياً ظاهراً ولكننا في الباطن نفصل عليه المسلمين المصريين . فإن قيل لهم : إذن ان جنسيتكم هي الاسلام فيجب أن تعصموا مع كل مسلم من أي مملكة كان . قالوا : لا لا ان هذا يناقض (الوطنية الحقة) واننا لا نعتد الا بالمسلمين المصريين الاصليين لا بالذين سكنوا مصر من عهد قريب . فهذه الذبذبة والحيرة عند هؤلاء الاحداث من المسلمين ليس لها سبب أقوى من

هذا التعليم المذبذب . ونظامه ان نتيجة هذا التعليم الجناية على الرابطة الدينية وعلى الرابطة اللغوية وعلى الرابطة الوطنية لأن هؤلاء الاحداث لا يحبون كل أبناء وطنهم بحيث يفضلونهم على سواهم . نعم ان مضرته وفساده في القبط أقل منها في المسلمين فان التبطي المتعصب يقول ان المصري هو القبطي فقط وكل من عداه دحيل . وغير المتعصب يقول ان المصري هو من يقيم في مصر ويحذها وطنياً ينفعها ويتفهمها سواء كان شقيقاً أم غربياً مسلماً أم مسيحياً . ولا يقول بهذا القول الا أفراد قليلون على اني أحكم بوجودهم بالرأي والتخيل لا بالمعرفة والاختبار

رب قائل يقول ان غرض الحكومة أن تربي الناشئة على هذا الرأي . ونحن نقول ان هذه غاية لا تدرك الا بمحو الدين وذلك متعذر على الحكومة اذا فقدت الدين وأرادت محوه ولكن حكومة البلاد اسلامية والشعب الكبير اسلامي واذا وجدت آداب الاسلام الحقيقية فهي تقتضي الوطنية الحقيقية وهي اتفاق جميع سكان البلاد على مافيه خيرهم وخير بلادهم ومعاملة الجميع بالعدل والمساواة بينهم بالحقوق وقد أوتينا هذا في مقالة (الجنسية والباية - الاسلامية) فلتراجع في المجلد الثاني والله أعلم

أنا علي الحسيني

الهدايا والتقاريط

(كتاب حاضر المصريين أو سر تأخرهم) كتاب صنفه أحد شبان المصريين النجباء المولدين بالبحث وهو أحد اقدي عمر أحد مستخدمي مصالحة البريد تكلم فيه على حالة المصريين الاجتماعية في معيشتهم وكسبهم وعاداتهم وآدابهم وعلمهم وقد جمعه ثلاثة أقسام قسم الاغنياء وقسم للاحتوسطين وقسم للفقراء . ولا شك أن المؤلف قد تعب في الوقوف على عادات الطبقات الثلاث في الحبة والزواج والعشرة بين الزوجين وتربية الاولاد وتعاليمهم وعاداتهم في الثقافة والبذل والادوام . وفي معرفة أحوالهم في التجارة والزراعة والصناعة والطباعة والكتب والجرائد التي تنشر فيهم . ويحبه في جميع هذه المسائل بحث انتقاد صحيح يابح الافكار المستعمدة الى السعي في اصلاح الخلق وانهاء الزلل . ولا يفتع الناس شي مثل علم ما هم فيه من نافع وضار

لذلك نقول ان هذا الكتاب من أضع ما كتب في العربية في هذا العصر
 الكاتب تحرى الصواب وبيان الحقائق بقدر الاستطاعة مع الوقوف عند حدود الادب
 فإن قصر في بعض المسائل فعذره انه لم يستمد من كتب مؤلفة ينقل عنها بسهولة
 وانما استمد من المشاهدة والاختبار وان ما اتى من ذلك له كثير على من كان
 مشغولا بوظيفة صغيرة كوظيفته تستغرق معظم أوقاته في خدمتها وقد طالعا جملة
 صالحة من الكتاب فوافقناه في أبحاثه وقد اتفقا عليه التخصير في تصحيح عبارة الكتاب
 وعدم بدئه بالبسملة الشريفة عملا بالحديث الشريف وأتباعا لسنة المسامحين سلفهم
 وخلفهم . وقد قرظ الكتاب القاضي الفاضل أحمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة
 مصر وأجازه وأتى عليه وبدأ تقرظه بسنة البسملة على أن العادة لم تجر بذلك وكأنه أراد
 مع اتباع السنة تنبيه المؤلف على تركها بالعمل دون القول

أقول اني لا أوفي هذا الكتاب حقه في التقريظ الا ينقل بعض فوائده في أجزاء
 أخرى على أنه هضم حق المنار عند كلامه على الجرائد الدينية فإنه لم يكتب عنه الا جملة
 وجيزة في الهامش اعترف فيها بعناية المجتهد بالإصلاح الديني والتفكير عن البدع
 ولكنه عرض فيها بنا بأن الأور الشخصية سببلا علينا وقد ظهر لنا منه انه رجع عن
 هذا الرأي والله أعلم بالسرائر وهو الموفق للصواب

(كنز الجواهر في تاريخ الأزهر) كتاب مختصر أنفه الفاضل الشيخ ساميان رصد
 الخفي أحد المشتغلين بالعلم في الجامع الأزهر الشريف واهل الأزهر أجدر الناس
 بمعرفة تاريخه والتأليف فيه . الكتاب يشتمل على مقدمة ذكر فيها بمشة النبي صلى الله عليه
 وسلم واستطرد منها الى الفتح الاسلامي الذي كان منه فتح مصر وفيها الكلام على جامع
 عمرو بن العاص وجامع ابن طولون . وبني المقدمة خمسة مقاصد أحدها في ابتداء
 تأسيس الجامع وما عرض عليه بعد ذلك بمجده فيه وثانيها في أروقة الأزهر والتوسيع
 لها وثالثها في شيوخ الأزهر وأشهر علمائه لهذا العهد ورابعها في الحوادث الشهيرة
 كحادثة رواق الشوك في أثناء الولاء وخاتمتها في عادات أهل الأزهر ويتلو ذلك
 خاتمة في أحوالهم وفيه عدد المشتغلين بالعلم في القطر المصري وبيان مواضعهم

ومنذا ذكر من عادات أهل الأزهر انه لا يمكن لاحد من أن يعمل عملا يكتب
 به لافي أسد الغمام ولا يصاد قال (بل اذا اتى شيئا يتفجع به يمد في أعين اترابه
 كأنه افتقر ذنباً عظيماً) وذكر أن هذه هي عادة فقهم . وذكر أن غير المصريين
 (٤٠ - المنار)

من المجاورين في الأزهر أحسن حالا من المصريين في المعيشة والنظافة . وذكر من أسباب سآخة المصريين في ابدانهم وثيابهم وآنيهم الانهماك في الطب وما يقع بين المشتركين منهم في المعيشة من العناد والتواكل وفاته ان يبين ان الاشتراك هو الذي يساعد على النظافة لتوزيع الاعمال وان الوساخة واختلال نظام المعيشة يشوش الذهن ويضعف العقل فلا يفيد معه الانهماك في الطب كثيراً . قال : «وأما عادتهم في الاكل وهو غالب اكل المجاورين فهو فول مدمس ونابت وطعمية ومخللا وكرائاً وغير ذلك من الاشياء التافهة لفقرهم بلا فرق بين مصري وغيره وكذلك غالبهم يقوم بمسألة بنفسه كفضل ثياب وطبخ وغير ذلك هذه عبارته بجزءها ويسوء ما جداما أراد في الكتاب مثالها من كثرة الغلط والخطأ

ثم ذكر كيفية القاء الدروس والمطالعة قال (واعتنائهم فيها بفهم العبارات وحل التراكيب والمناقشات بالاعتراضات والاجوبة عنها والاطلاق والتقييد والمفهوم والمنطوق وغير ذلك من غير اعتناء بالحفظ فتجد كثيراً منهم يحرا العلوم في الفهم في التكراس وإذا سئل من خارج فقل ان يجيب اعتمد استحضاره) اهـ بالحرف أيضاً والكلام صحيح وصريح في انه لا غناية عندهم بتحصيل ملكة العلم وتكيف النفس بها بحيث تكون قادرة على الكلام في المسائل عند السؤال والتناسبة وانما العلم الذي يكونون فيه بجراً زائراً هو المناقشة في عبارات الكتب التي يقرؤونها واعادة ما كتبه الشراح وأصحاب الحواشي على المتن قراءة

وبالجملة ان في الكتاب فوائد لا توجد في غيره من المصنفات في تاريخ الأزهر التي هي أوسع منه وأحسن تحريراً وصفحات الكتاب تزيد على ٢٠٠ وثمنه خمسة قروش ويطلب من جميع المكتاتب المشهورة بمصر والاسكندرية وطبعاً فتبحث على قرأته (شذا العرف . في فن الصرف) كتاب صنفه الاستاذ الفاضل الشيخ أحمد الحللاوي مدرس العربية في مدرسة دار العلوم سابقاً . وقد تصفحت بعض أوراقه ورأيت تقسيمه وتبويبه فظهر لي انه أحسن كتاب لتعليم هذا الفن . وكان طبع في سنة ١٣١٢ باذن نظارة الداخلية بناء على شهادة الشيخ الانبائي شيخ الجامع الأزهر لذلك المعهد بصحته وخلوه من الخطأ . وقد طبع في هذه السنة طبعة ثانية بالمطبعة الاميرية بعد تنقيح واطافة كثير من الامثلة والشواهد وهذا من مزايا الكتاب فتبحث كل طالب لفن الصرف على قرأته

(كتاب الحساب) كتاب يؤلفه الفاضل عوض أفندي خليل، مؤسس وناظر مدرسة
الاجتهاد الوطنية ببولاق وصاحب مجلة السمر الصغير المدرسية. وقد أصدر الجزء
الاول منه وأودعه ماهر مقرر للتعليم في السنة الاولى الابتدائية بحسب قانون التعليم
في المعارف (البروغرام) فبحث الثلاثة على الاستفادة منه
(المستظرفات) كتاب وضعه الاديب ابراهيم أفندي زيدان جمع فيه من كتب
الأدب والتاريخ كثير آمن الواوادر الأدبية والفكاهية والفرايمية وطبع في مطبعة الهلال
على نفقة مديرها الهمام مري أفندي زيدان وثمن النسخة منه خمسة قروش ويطلب
من مكتبة الهلال وهو مما يرغب فيه الناس فلا حاجة الى الترغيب فيه
(كتاب رسائل ارشد الأفكار الى طريق الارباب) للشريف منصور أفندي
رئيس جمعية التعاون الاسلامي. وقد كتب هذه الرسائل في مسائل سئلمها فاجاب
عنها بفهمه واجتهاده على طريقة المتصوفة وقد تصفحنا بعض صفحاتها فاعلمنا منها
اننا نخالفه في بعض مسائلها ولا سعة معنا في الوقت الآن لقراءتها وبيان ما رآه صوابا
وما نراه متقدماً وربما يسمح لنا الوقت بذلك بعد

باب الحيف في الأكل

﴿ حرب فرنسا والسومسي ﴾

كتب بعض كبار التجار في طرابلس الغرب الى صديق له في بعض البلاد وكان
سأله عن أخبار بلادهم مانصه بحروفه :

«وردلنا جواب من يومه تاريخ ١٩ ماي افرنجي ووصل لطرفنا تاريخ ١٤ ربيع
اول سنة ١٣٢٠ قال فيه بعد السلام : . وبعد أخي فقد تم البحث الذي وقع علي كما
اخبرتني في شأن سيدي المهدي (يعني الشيخ السنوسي) ولما ان كانت بقي طبق
الاحسان والصدق مع الله تعالى وخلقك سئمت والحمد لله على كل حال . والان انا
سافرت الى فرانسه ثم ارجع الى قسطنطينه الجزائر ثم اسافر من هناك نائياً بالمطلوب

من فضلك الكريم ان تجعل لنا جوابا على كل مسألة داخل جوابنا هذا وتسال خافية سيدي المهدي ولا تذكر لي الا الخبر الصحيح

اولا : ماهي الاخبار الواردة لكم من ناحية داركلم . و . البركو . وزاوية الشيخ سيدي المهدي بعد ما وقع من الحرب بين الفرنسيين وعرب أولاد سليمان والتوارق واستيلاء فرانسه على . بير هلالى .

ثانياً : هل يرضى الشيخ سيدي المهدي بالصلح مع دولة فرانسه بواسطتي فان كان يقبل وان كان غرضه المافية لصلاح الجميع فخيرني بذلك فالكلم الدولة الفرنسية ويكون الخير ان شاء الله وان كان نيته الحرب مع فرانسه والجهاد سنبرني وانفجحي وقل للخليفة يعرفك بالحقيقة ولا يستخوش مني أبداً . لايد تعرفني بمقتيسة الامر . وان وجب السفر الى طرابلس فعرفني أقدم الى طرفكم ؟
ثالثاً : ما بلغ اليكم من أخبار واداي ؟

رابعاً : ماهي أحوال اخوان طريقة سيدي المهدي مع دولة الأتراك هل اعتقاد الاخوان مثل الزمان الاول أم لا ؟

خامساً : من مات من الأعيان في المحاربة التي وقعت في بير هلالى ؟ عامي بذلك الشيخ سعد البراني والشيخ غيظ والشيخ شرف الدين وغيرهم اهـ

قال التاجر : « حاصله : وقعت محاربة كبيرة بين دولة فرنسا والشيخ سيدي المهدي وأكثتها دولة فرنسا وأن الجواب الوارد لنا هو من نفس مهندس طائفة فرنسا نحن نرسله الى جنيوب ونحكي لهم بالكيفية وهم يعرفون شغلهم . بنا ينصرف الاخوان على القوم الكافرين . وير السوادين واقع فيه حرب واليوم صار للدولة فرنسا مع المهدي مثل ما صار للاتكليين مع الزنايفال ندعو الله أن يهلك دولة فرنسا . وارسلنا جواب الى رجب خوجه المذكور وعرفناه هذه المسئلة لاتهمنا والسلام اهـ مكتوب التاجر والمقارن لهذا المكتوب يظهر له انه كتب عن معرفة انه صدق لاشبهة فيه ولكن فيه شيئاً من الإيهام . قال الذي أرسل صورته لنا : حبنا لو عامنا من هو صاحب التحرير المرسل الى التاجر واين هي المدة بؤمة ؟ وما معنى قوله : تتم البحث الذي وقع علي ؟ وقد ذكر التاجر صاحب المكتوب انه مهندس طائفة فرنسا وسماه رجب أو رجب خوجه . فما هذا السر ؟ هل الرجل مسلم كما يظهر من كلامه أو مسلم جعفرافي (كما تقولون في المنار) يريد أن يتنفع من فرصة الخلاف بين السنوسي وفرنسا ؟

او هو مسلم من مسلمي الجزائر وتونس موظف عند فرنسا ويريد أن ينجدها ويخدم سيده المهدي ؟ وربما كان قوله « تم البحث » الح إشارة الى أنهم قنشوا عليه لكونه جاسوساً من قبل المهدي أو متهماً بالجسس ، والذي حماني على هذا الظن قوله في آخر الجملة (سيامت) . ويفيد قوله : (وتساءل خليفة سيدي المهدي) أن للمهدي خليفة مقيماً في طرابلس الغرب . والذي يجعل في النفس رغبة من قول صاحب المکتوب هو قوله : « ولا يستخوش في أبداً » وقوله : « ما هي أحوال الإخوان مع دولة الأتراك » الح

أما نحن فنعلم أن لسيده المهدي السنوسي خلفاء في طرابلس وكل بلاد افريقية الشمالية والوسطى وصحاريها وترجع أن المهندس صاحب المکتوب جاسوس فرنسي كما أنه مهندس ولذلك لم يجاوبه التاجر عن أسئلته

﴿ مسيح الهند والثمار ﴾

سبق لنا رد على القائل في الهند المدعي أنه المسيح الموعود به وعلى كتابه الذي سماه عجائز المسيح ، وإن كان قوله كالحج ، وسجده دون سجع شق وسطيح ، وقد ترجمت رد الثمار عليه الجرائد الهندية ، وأذاعته في تلك الممالك القصية . فاستشاط الزجل غضباً ، وملاً النواحي سباباً وصخباً ، والمؤمن ليس بسباب ، ولا بدئ ولا صخا ، فهل يكون المرسلون والمسيحاء ، من أهل السفه والبذاء ، وهل ينزل الوحي على أهل الألهام ، وتقام الحججة على الأثام . بالسخرية والاستهزاء ، والقول الهراء ، والانتصار للنفس ، ومكارة الحس ، والتفخ والتبجح ، والتجريح والتذقح ، كأفعل هذا المدعي في الكتاب الذي لفته في الرد على « الثمار » ، فكان مجابة الحزبي والعارف وقد سماه « الهدي والتبصرة لمن يرى » ، وملتصحت الهداية بشتم الوري ،

بمدان أهدي اليها كتابه ، وأرسل شتمه وسبابه ، كتب اليها أحد كبار علماء الهند من لاهور كتاباً يشكو فيه من انتشار البدع في الهند وقال فيه « الآفة التي لا تذكر . والمعاناة التي لا تسطر ، هي فتنة المسيح الدجال الهندي الشهير بـ « ميرزا غلام أحمد القادياني » . فهي لا تقطع كبير السواني ، وهو في زعمه الباطل مجدد مهدي مالم يحدت مسيح مرسل إمام عند شريعة قائلين . مالم من دنيا ولادين ، والحق أنه رجل خيال مختار . بطال شطار ، يدعي الوحي والنبوته ، وثبت للمسيح النبوة ، ويحرف

آيات القرآن بتأويلات فاسدة ، ويتنطع في أحاديث التي بمخرعات كاسدة ، ثم ذكر هذا العالم مجادلته اماما الهند وافحامهم اياه وانصرافه لدعوة العلماء في غير الهند ومنهم الفسيفر صاحب النار وانتقل من هنا الى ذكر ردنا على كتابه (اعجاز المسيح) وذكر ان الجرائد الهندية نقاته عن النار ، وكان له شأن في تلك الديار ، آثار من ذلك المدعي اشجانه . وأما في السب لسانه ثم رغب الينا في الرد عليه وقال :
« فان لتحريركم وقماً في النفوس ، أشد من حرب البسوس ، »

فيم ان من وظيفة النار الرد على أمثال هذا المدعي ، ولو لم يرغب الينا فيه ذلك العالم الألمي ، ولكن الرد انما يكون على الشبهات ، التي تساق مساق اثباتات . وليس لهذا المدعي شبهة يستند اليها . ولا تنكأ بنوكاً عليها . الا ذلك المؤلف الذي هو حجة عليه . بل سبهم منه تصوب اليه . فقد ادعى انه معجز للبشر . لا تأتي بمنه القوى والقدر ، فما هو وجه الإعجاز فيه . الذي جعله عمدة تحفته ؟ ان قال ان العمدة . هي قسرة المدة . فاني أفتيه في سبعين ، ولا يقدر على مثل ذلك أحد من العالمين ، نقول : أولاً اننا لا نصدقك في هذا التجديد على انه طويل . فهل ناك عليه من بنية ودليل ، وثانياً ان كثيراً من العلماء انقوا كتباً طويلة . في مدة قليلة . ولم يدعوا أن ذلك من المعجزات . لأنه ليس من حروف العادات ، فاختاري الف شرحه على الايسر وحي في يوم من أقصر الأيام . ونخرج به أحداً من الأنام . وثالثاً اننا نعلم منه محكمين من أهل الانساف . يرضى بهم كل منا ومنه للحكم في مواضع الخلاف ، وعند ذلك نظهر له أننا ليط كتابه في الفقه والفحوى . والمأقبة كما قال الله تعالى للتقوى . اعلم الناس أن تحدي النبوة والرسالة . لا يكون بالخطأ والجهالة ، وان ادعاء اقادة الدين وتأيد الشريعة . لا يكون بتقويض أركانها الرفيمة . وتشويه محاسنها السية السنية . وان اصلاح نفوس المسلمين . لا يكون بشتم العلماء والمرشدين ، وسنجد قبل تعيين المحكمين في اظهار بعض ما خالف فيه شريعة حاتم التبيين ، وموعدا الجزء الآتي أما الآن فلاننا نذكر بعض عباراته في الرد علينا ، وما وجه من الطعن الينا . لعلم القراء ببالغ آداب ، وعسافته في خطابه . قال بعد ما زعم أنه أثرتنا بكتابه (اعجاز المسيح) على علماء الحرمين والشام والروم مانعه :

« ثم لما بلغ كتابتي صاحب النار ، وبالله معه بعض المكاتب الاستفسار ، ما احتجني ثمة من ثمار ذلك الكلام ، وما انتفع بمعرفة من معارفه العظام ، ومال الى التكمم والايذاء بالافلام ، كما هو عادة الحاسدين والمستكبرين من الأنام ، وطفق يؤذي ويرزى

غير وان في الازراء والانتظام ، ولا لاولى الكرم والاكرام ، كما هو سيرة الكرام ،
وعمدان يؤاني ويفضحي في أعين العوام كالانعام . فسقط من المنار الرفيع والتي
وجوده في الآلام ، ووطني كالخصى ، واستوقد نار الدين وحصى . وقال ما قال وما
أمن كأولى النحى . وأخذ الى الأرض وما استسرف كأولى التقي . وخرب بعد ما علا ،
وان الحروز شيء عظيم فما بال الذي من المنار هوى ، واشترى الضلالة وما اهتدى ،
أم له في البراعة يد طولى ، سيزم فلا يرى . نبأ من الله الذي يعلم السر وأخفى .
ثم قال : « وكنت رجوت ان أجد عندك نصري ، فقامت لتندد بهواني وذلي ،
وتوقعت ان يصلي منك تكبير التصديق والتقديس ، فسمعتني أصوات الثواقيس ،
وظننت ان أرضك أحسن المراكز . فخرحتني كالأكز والواكر . وذكرتي بالنوش
والنفس والسبعية ، نبذاً من أيام الحصائل الفرعونية . واست في هذا القول كالمتندم ،
قل النصل للمتقدم . وكنت أتوقع ان يتسرى بمواخاتك هي ، ويرفض بمجندك كتيبة
« ، فالأسف كل الأسف ان الدراسة أخطأت ، (أى فلم يصدق عليه حديث
ثم افراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » لانه ينظر بظلمة غروبه) والروية ما تحققت .
جئت بالمعنى المنكسر ربك ، (وهنا اشارة فيجة تليق بقائنا ولا تاتي بزماعة من
المفهم الله تعالى لمداية خلفه) فهذه نموذج بعض مزاياك ، (أنت النموذج وكم
مذكرا) وعلمت ان تلك الأرض أرض لا يفارقها النطق ، وتقور منها الى هذا
« من نار الكبر » الى « فى (كذا) الله عن موسى . لم تركها وما عفى » (وهذا
« الأدب ») « موسى الكلم ونسب اليه الخطأ والذنب والتقصير . على ان تعلم
« صبر واهلاً كما بين الله لايده عليه السلام)

ثم قال بعد مكبرة في ردنا على كتابه ونسبته للباطل والتكلف مانفسه : « وحسبتك
حيباً يوحني كنسيم الصباح ، فرايت كدمه ساكي (كذا) السلاح ، وخاتك
تهدر بصوت مبشر كالخمام . فأريت وجهك المنكر كالخمام ، وأعجبتك حديثك وشدتك
من غير التحقيق (كذا) . فأخذني ما يأخذ الوحيد الحار عند فقد الطريق ، لكنني
اسررت الامر ، وقلت في نفسي لعله تصحيف في التحرير . وما عميد الى التوهين
والتحقير . وكيف قصد شرأ لا يزول سواده المعاذير . وكيف يمكن الجهر بالسوء
من مثل هذا التحرير ، (يذم ويمدح) ولما تحققت انه منك تقلدت اسمحتي
للجهاد ، وقلت مكانك يا ابن الضاد ، وعلمت أنك ما تكلمت بهذه الكلمات ، الا



حسداً من عند نفسك لا لإظهار الواقعات ، (التي لا أدعي المسيحية فاحسده على دعواها ولا شيء آخر يحسد عليه) فابتدت قصداً ، أثلا يصدق الناس حسداً ، فان علماء ديارنا هذه يستقرون حياة الازراء ، فيستغزهم ويحرمهم علي كلما قات للآزراء ، ولولا خوف فسادهم لسكت ، وقوتهم وما تجللت ، ولكن الآن أخاف على الناس ، وأخشى وسوسة الخناس ، وأن بعض الشهادات ، أبلغ من الضرب بالمرهفات ، فأخاف أن يجرد الاشتغال من كلمات المنازل ، ويسقط منه ويبقى على صورة النار . »

ثم ادعى انه كان غلب علماء الهند وسرق سجمات من كلام الحريري وقال « قال آن أحبي اللئام بعد الممات ، وشد المنازل عندهم بالخزعبلات ، (كذا) فأرى انهم يتصلفون بان تأفون القتال ، ويدعون الفضل ويخضعون للمال ، ويرجعوا الى شرمهم وزادوا شداً ، بما جاء النار شيئاً اذا ، وجاز عن التصدد جداً ، (كذا ما لاري والحريري استعملها بالراء من الجور) فأكبر كد حزب من العميين ، الخ .
ثم ذكر انه كثيراً ، كان يغني عن المعريين والبردين وقال : « وكن رأيت أن صاحب المنازل ، عظم في عين هذه الاشعار ، (كذا) وأكبر شهادته بعض زاملة النار ، وكانوا يذكرونها بالغمي والاسجار ، فبانني ما يتخافتون ، وسرت على ما يسرون ويأثمرون . وأخبرتهم ينحكون علي وفي كل يوم يزيدون ، » — الى أن قال في صاحب المنازل ، « ان أسر علي لأزراء في الجريدة ، فأكل الخاسدون حصيدة لسانه فامسدة ، وتنفقوا قوله وجددوا الخصومة بعد ما قطعوها كاهو من شيم القرائع البليدة ، وحسبوا علمه كالاساحة الحديثة وأشاعوها في الأخبار (الجرائد) والجوالب الهندية . وكتبوا كلما يشق سماعه على الهمم البرية المبرمة . وأذوا قلمي كاهي عمادة الرذل والسفها ، وسيرة الأراذل من الأعداء . ثم قال : « وما أغضبي أن يكتب المنازل من مكارف كمكارف كتابي ، ويرى ريقاً كبريق ما في قرابي ، ثم مع ذلك تناجيني نفسي في بعض الاوقات . ان من الممكن أن يكون مدير المنازل بريئاً من هذه الإلزامات ، ويمكن انه مأمود الى الاحتمار والطاح كالعجماءات ، بل أراد أن يصمم كلام الله من سمار المتضاهات . وانما الاعمال بالنيات ، (وههنا حاشية في الاصل ذكر فيها انه يشي ان سبب غيظي منه حكمه بمنع الجهاد) وان كان هذا هو الحق فلا شك انه ادخرا . في هذه المقالات ، كثيراً من الدرجات ، وأى ذنب على من سبني لحسية الفرقان ، لا بالاحتمار وكسر الشان ، » — الى أن قال : « ولكنني متذكر كمثل اعتذاره . فان الفتن قد أثمرت من أقواله وأخباره » الخ الخ

بني الإسلام من بناء ومن يوثق
الكنة فقد أوتي خير أكبر أو ما
سأله أو لا كما كرسه

المسجد

١٣١٥

فمن عبادي الذين يستمعون القول
فيتقون أحسن ما نزلك الذين هديهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الثلاثاء غرة جمادى الأولى سنة ١٣٢٠ - ٥ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٢)

﴿باب المقاسم منه الامالى الدينية﴾

(الدرس ٣٦) محمد رسول الله وخاتم النبيين

الكلام في نبوة خاتم النبيين لا يتجلى للمقول كمال التجلي الا بعد بيان
مستلثين تجملان مقدمة له — احدهما بيان حاجة البشر الى رسالته العامة
والثانية بيان استمداد الناس لها

(المسئلة ١٠١) حاجة البشر الى هداية عامة الحاجة الى بعثة النبي عليه
الصلاة والسلام في الجملة تعرف من البحث في حاجة البشر الى ارسال الرسل
كما تقدم في الدرسين ١٨ و ١٩ (راجع المنار ١٤٠٩ - ١٤٠٨) ولا يوجد في اعداء
الاسلام المؤمنين بالوحي والنبوة عاقل ينكر أن الرب كانوا في اشد
الحاجة الى بعثة رسول منهم ينتاشهم من تلك الوثنية، ويخرجهم من هاتيك
الجهالة والهمجية، وأن تأثير هداية محمد فيهم كان مثل تأثير هداية موسى
في بني اسرائيل او اعظم واطهر ولكن الذين ينكرون حاجة الناس كافة الى
هذه الهداية الالهية على لسان محمد عليه السلام كثيرون. وانما حال بينهم
وبين معرفة هذا الحق المبين التقليد الاممى. فالتقليد أعدى اعداء الحق في
الدين والعلم وفي كل شئ. لأن التقليد ليس له عينان فينظر في الدليل
والبرهان، بل ينكر الحس والبيان، ويكابر الوجود والوجدان، وانما نكتب
ما نكتب ليزداد الذين آمنوا ايماناً وليعتبر اصحاب العقول المظلمة والافكار
الحرّة من غير المؤمنين

بيان حاجة جميع الامم الى الإصلاح المحمدي يتوقف على معرفة
تاريخ الامم قبل الاسلام لاسيما تاريخ اهل الكتاب الذين يدعون ان في

كتبهم ما ينفي عن هداية الاسلام واصلاحه . ولا يمكن سرد تاريخ الامم تفصيلا في التمهيد لمسئلة من مسائل العقائد ولكن في الاجال مع الاحالة على كتب التاريخ غناء . وقد كتب استاذنا الامام نبذة في ذلك وافية بالمرام في « رسالة التوحيد » التي هي حجة الاسلام في هذا الزمان وما بعده الى من شاء الله واننا نقبضها هنا فانظر هذه البلاغة في الإيجاز ، التي تكاد تبلغ به حد الإعجاز ، قال حفظه الله :

« ليس من غرضنا في هذه الورقات أن نلم بتاريخ الامم عامة وتاريخ العرب خاصة في زمن البعثة المحمدية لتبين كيف كانت حاجة سكان الأرض ماسة الى قارعة تهز عروش الملوك وترزق قواعد سلطانهم الغاشم وتخفض من أبصارهم المقودة بعمان السماء ، الى من دونهم من رعاياهم الضعفاء ، وإلى نار تنقض من سماء الحق على أديم الأنفس البشرية لتأكل ما أعشوشبت به من الأباطيل القاتلة للعقول . وصيحة فصحي تزعج الغافلين ، وترجع بالباب الداهلين ، وتنبه الرؤوسين ، الى أنهم ليسوا بأبعد عن البشرية من الرؤساء الظالمين ، والهداة الضالين ، والقادة الغارين ، وبالجملة تؤب بهم الى رشد يفيم الانسان على الطريق التي سنّها الله له ^(١) » إنا هديناه السبيل » ليلغ بسلوكة كما له ، ويصل على نهجها الى ما أعترف الدارين له ، ولكننا نستعير من التاريخ كلمة يفهمها من نظر فيما اتفق عليه مؤرخو ذلك العهد نظر إيمان وإصاف

« كانت دولتنا العالم ^(٢) — دولة القرس في الشرق ودولة الرومان

١٦٠ ألفرد بالطريق فطرة الله التي فطر الناس عليها ٢٥ شروع في بيان الكلمة المتعارة قال في الدرس: وفاتني وقت الكتابة ذكر دولة الصين فإنها كانت أيضاً مفرقة

في الغرب - في تنازع وتجادل مستمر . دماء بين المالمين مسفوكة ، وقوى
 منهوكة ، وأموال هالكة ، وظلم من الإحن حاسكة ، ومع ذلك فقد كان
 الزهو والترف والإسراف والفخفة والتفنن في اللاذ بالنساء حد مالا
 يوصف في قصور السلاطين والأمراء والقواد ورؤساء الأديان من كل
 أمة وكان شر هذه الطبقة من الأمم لا يقف عند حد فزادوا في الضرائب
 وبالنوا في فرض الأتاوات حتى أثقلوا ظهور الرعية بمطالبهم وأثروا على ما
 في أيديها من ثمرات أعمالها وانحصر سلطان القوي في اختطاف ما يسد
 الضمير . وفكر العاقل ، في الاحتيال لسبب العاقل ، وتبع ذلك أن استولى
 على تلك الشعوب ضروب من الفقر والذل والاستكانة والخوف
 والاضطراب لتفقد الأمن على الأرواح والأموال .

نشرت مشيئة الرؤساء ارادة من دونهم فماد هؤلاء كأشباح اللاعب
 يديرها من وراء حجاب ، ويظنها الناظر اليها من ذوي الالباب ، ففقد
 بذلك الاستقلال الشخصي ووطن افراد الرعايا أنهم لم يخلقوا الا لخدمة
 ساداتهم وتوفير لذاتهم كما هو الشأن في السمجوات مع من يقتنيها . ضلت
 السادات في عقائدها وأهولتها وغلبتها على الحق والمدل شهواتها ولكن
 بقي لها من قوة الفكر أربابا يهاها فلم يفارقها الحذر من أن بهيص النور
 الالهي الذي يحاطل القطر الانسانية فديفتق الغلف التي أحاطت بالقلوب ،
 ويحرق الحجب التي أسدلت على العقول ، فتهتدي العامة الى السبيل ،
 ويثور الجمل الفقير على السدد القليل ، ولذلك لم ينفذ الملوك والرؤساء أن
 ينشئوا سحبا من الاوهام ، ويهيؤوا كسفا من الاباطيل والخرافات ،

بالحروب الاهلية والحرب مع الزكائن وسند كرها في طيبة ثانية ان شاء الله تعالى

ليقدفوا بها في عقول العامة فيملظ الحجاب ويعظم الرين ويحتق بذلك نور
 الفطرة ويتم لهم ما يريدون من المنلوين لهم . وصرح الدين بلسان
 رؤسائه أنه عدو العقل وعدو كل ما يثمره النظر الا ما كان تفسير الكتاب
 مقدس . وكان لهم في المشارب الوثنية يتابع لا تنضب ، ومدد لا ينقد ،
 هذه حالة الاقوام كانت في معارفهم ، وذلك كان شأنهم في معايشهم ، عبيد
 أدلاء ، حيارى في جهالة عمياء ، اللهم الا بعض شوارد من بقايا الحكمة
 الماضية ، والشرائع السابقة ، أوت الى بعض الأذهان ومعها مقت الحاضر ،
 ونقص العلم بالناظر ، ثارت الشبهات على أصول المقائد وفروعها بما انقلب
 من الوضع ، وانعكس من الطبع ، فكان يرى الدنس في مظنة الطهارة ،
 والشره حيث تنظر القناعة ، والدعارة حيث ترجى السلامة والسلام ، مع
 قصور النظر عن معرفة السبب وانصرافه لأوّل وهله الى أن مصدر كل
 ذلك هو الدين . فاستولى الاضطراب على المدارك وذهب بالناس مذهب
 الفوضى في العقل والشرية مما . وظهرت مذاهب الإباحيين والدهريين
 في شعوب متعددة وكان ذلك وبلا عليها فوق ما رزّت به من سائر الخطوب .
 « وكانت الأمة العربية قبائل متخالفة في النزعات ، خاضعة للشهوات ،
 غر كل قبيلة في قتال أختها وسفك دماء أباطالها ، وسي نساؤها وسلب
 أهوالها ، تسوقها المظالم ، الى المدامع ، ويزين لها السيئات ، فساد الاعتقادات ،
 وقد بلغ العرب من سخافة العقل حدّا صنعوا أصنامهم من الحلوى ثم عبدوها ،
 فلما جاعوا أكلوها ، وبلغوا من تضعضع الأخلاق وهما قتلوا فيه بناتهم
 تخلصا من عار حياتهن ، أو تنصلا من نقات مميشهن ، وبلغ الفحش
 منهم مبلغا لم يعد معه للمغاف قيمته . وبالجملة فكانت رُبط النظام الاجتماعي

قد تراخت عقدها في كل أمة ، وانقضت عراها عند كل طائفة
« أفلم يكن من رحمة الله بآبائك الأقباط أن يؤدبهم برجل منهم يوحي اليه
رسالته ، ويمنحه عناية ويمدده من القوة بما يتمكن منه من كشف تلك القمم ،
التي أظلت رؤس جميع الأمم ، ثم كان ذلك وله الأثر من قبل ومن بعد » اهـ
فلم مما أورده الاستاذ الامام ان فساد الامم كان من فساد رؤساء
الدين ورؤساء الدنيا وهم الملوك والامراء وان قصارى سير القريتين كانت
محسورا في اطفاء نور القطرة الالهية وهدم ركني السمادة البشرية وهما
استقلال الفكر واستقلال الارادة . فاذا قيل انه كان في الدنيا دينان
سماويان أي دين اليهود ودين النصارى وكتابان الهيمان وهما التوراة والانجيل
فكان يعني عن نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الهام الله تعالى رؤساء
الدينين وحمله الكتابين أن يقيا أصولهما ويسيرا على صراطهما ويدعوا الناس
الى ذلك . نقول في الجواب ان دين اليهود كان خاصا بشعب اسرائيل وهم
المخاطبون بالتوراة دون - واهم لئلم الله تعالى ان هذا كتاب يصلح لهدايتهم
وهدمهم في الزمن الذي أنزل فيه وبعده الى أجل مسمى . وبعد ذلك أفسد
بنو اسرائيل في الارض فسلط الله عليهم الوثنيين فسبواهم وخرّبوا ديارهم
وأحرقوا كتابهم . ثم ان كتاباً منهم اسمه (عزرا) كتب لهم بعد زمن
طويل ما يحفظه من كتابهم وشريعتهم باذن الملك الوثني ومنها الاسفار
الخمسة التي يسمونها التوراة وهي تحكي عن موسى بضمير الغائب وفيها ذكر
وفاته وليس ذلك مما أوحى اليه . ولولا ان الله أخبرنا في كتابه بأن اليهود
نسوا حظاً مما ذكروا به لاجمع ماذكروا به ولولا انه احتج عليهم بعدم
العمل بالتوراة والحجة تقوم ببعض كلام الله كما تقوم به كله - لما صدقنا

كلمة واحدة من كتبهم ولا وثقنا بحكم واحد من أحكام شريعتهم . وحاصل القول ان الله تعالى لم يحمل التوراة منذ شرعها هداية عامة مرشدة لجميع البشر الى كمال النظرة فكيف تصاح لذلك بمداطراً عليها وعلى الناس ماطراً . وأما السيد المسيح عليه السلام فإنه لم يأت بدين جديد وانما ديانته اليهودية وشريعته التوراة ولكنه كان صلحاً لان اليهود جحدوا على ظواهر الشريعة حتى صاروا كالماديين فأرسله الله الى خراف اسرائيل الضالة ليهديهم الى الروحانية ويبلغ فيها بمقدار ما بانوا في الظواهر والماديات ليكون ذلك تمهيداً لدين الفطرة الذي يجمع بين مصالح الروح والجسد . وأما الديانة البولسية التي انتشرت في أوروبا بتعليم بولس ثم مساعدة قسطنطين ومن بعده من الملوك والزامهم الناس بها فهي لا تنطبق على ما قلناه سابقاً في وجه حاجة البشر الى ارسال الرسل لهدايتهم الى سعادة الدنيا والآخرة بتربية الروح والجسد وليس فيها قاعدة واحدة من قواعد الفطرة وانما هي عبارة عن شيء واحد وهو الايمان بالمسيح على الوجه الذين يقولونه وانه لا حاجة مع هذا الايمان الى العمل بالشريعة . والظاهر من نصوص كتب العهد الجديد ان المسيح خلص العالم كله من المذاب من آمن به ومن لم يؤمن وانما يفضل المؤمن به غيره بأنه يحل فيه روح القدس . قال يعقوب في رسالته : « وليس من أجل خطايانا فقط بل من أجل خطايا العالم كله » . وقد ظل أهل أوروبا على هذا الدين عدة قرون يخبطون في دياجير الاوهام والجهالات حتى دخل عليهم الاصلاح الاسلامي من بلاد الاندلس والشرق كما سنبينه

(م ١٠٢) الاستعداد لعموم البش : حاجة الناس الى الشيء تولد فيهم

الاستعداد له فاذا استدللنا بالملة على المملول فلنا أن نستنبط استعداد الأمم لمصلح عام يرسله الله تعالى لهداية الأمم من شدة حاجة الأمم الى ذلك الإصلاح واذا استدللنا بالمملول على الملة فاللدليل أوضح لانه ههنا وجودي مشهود لانظري مستنبط وهو قبول الأمم على اختلافها في الاديان واللغات والمواقع هذا الإصلاح الروحي الاجتماعي الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام بالوحي الالهي والالهام فقد انتشر الاسلام في المشرق والمغرب بسرعة لم يعرف التاريخ مثلها حتى كان ملك الاسلام بعد ثمانين سنة من ظهوره أوسع من ملك الرومان بعد ثمانمائة سنة والرومان أعظم أمم التاريخ الماضي في الحروب والفتوحات .

... هذا هو الإصلاح الذي غير هيئة الارض وبدل نظام الاجتماع الانساني في السياسة والحرب والمدينة والعلوم والآداب على أيدي أمة كانت قبل الاسلام أبعد الأمم عن السياسة والمدينة والنظام والعلم وهي الأمة العربية . ألم تر أن نور الهداية الفطرية ماخبا بعد الاسلام من مكان الا وأومض أو تألق في مكان آخر وان دعائم العمران ماتداعت في مملكة الا وشيدت في غيرها وان غرس العلم والفلسفة ماذبل أو تصوح في أرض الا ونما وترعرع في سواها - كل ذلك كان ينتقل مع الاسلام فكما ظهرت قوة الاسلام في مكان ظهرت بها ومهما هذه الاشياء حتى اذا ضعف الاسلام والمسلمون في الشرق والغرب ضعف العلم والعمران والمدينة في العالم كله ولكنه لم يذهب من العالم فيحتاج العالم الى مصلح آخر ينبي له قواعد الاجتماع على أصول العلم الصحيح ومن الكون اذ لو حصل ذلك لما كان محمد خاتم النبيين . ولكن تلك القواعد انتهت

من مسلمي الاندلس ومسلمي الشرق الى اوربا مع تلامذة ابن رشد وفي الكتب التي أخذها الصليبيون من المسلمين .

من عجيب أمر استعداد العالم لهذا الإصلاح العام سرعة انتقال العلم من قطر الى قطر ومن خافق الى خافق أيام مدينة العرب لأول عهدا مع صموية المواصل بين الحافقين فقد كان المؤلفون من الاندلس وبلاد البربر ينقلون من كتب المؤلفين المعاصرين في العراق من المشرق كما كان هؤلاء ينقلون عن أولئك في كل عصر فكانت تلك الهمم الكبار ، تمنهم عن الكهرباء والبخار ، وآية أخرى من آيات هذا الاستعداد حفظ العلم والتاريخ فقد كان الكتاب يوجد قبل الاسلام في الامم ثم يذوب ويضجحل كأن لم يكن شيئا مذكورا رأيت الاسرائيليين على غلوهم في دينهم كيف مرت عليهم السنين والاحقاب وليس عندهم من كتاب شريتهم الا نسخة واحدة حتي اذا فقدت ذهبت الثقة بمجموع ديانهم الا ما كانوا يحفظون ويمارسون . وقس بهم العرب الاميين وانظر كيف حفظوا كتابهم في الصدور والسطور . وكيف رأوا في الصدر الاول أن يرسلوا بالمصاحف الى الاقطار لتكون أصولا يكتب عنها بصفة رسمية لأن مصحفا يرسله خليفة رسول الله بمشاورة أصحاب رسول الله واتفاقهم له حكم النقل المتواتر المجمع عليه ولولا ذلك لكان نقل المصاحف مقصورا على الافراد الذين كانوا يحملونها . واذا اشتبه في هذه الحال بكلمة اختلف فيها ناقل مع ناقل أو حافظ تقع الخيرة ن الترجيع لعدم وجود أصل مجمع عليه أو عدد كثير من المصاحف مأخوذة عن ذلك الاصل أو عدد مثله من الحفاظ . ولكن ذلك لم يقع فلا خلاف بين المسلمين في كلمة ولا في حرف من حروف القرآن العزيز

من آية استعداد الأمم للإصلاح الاسلامي على الطريقة الأولى
 (الاستدلال بالملة على المملول) النظر في أصول هذا الإصلاح فيها حاجة
 البشر الطبيعية الى رابطة عامة بين الأمم المختلفة في الجنس واللغة والدين
 فقد كانت هذه الروابط خاصة تجمع طائفة محصورة ليعيش أفرادها معيشة
 اجتماعية ولكنها تجعلهم أعداء للطوائف التي ترتبط برابطة أخرى والاسلام
 جاء لجمع كل الأمم كما سنبينه بعد . ومنها إقامة قواعد العمران والاجتماع على
 سنن الكون التي تعرف بالاختبار . ومنها تقييد سلطة رؤساء الدين والدنيا
 وجعل مصالح الأمم شورى بين أهل الرأي منهم وأصحاب الحل والمقيد
 للمرضيين عندهم ومنها جعل أحكام الشريعة دائمة على درء المفاسد وحفظ
 المصالح وتحكيم المرف . وكل الأمم الراقية انما ارتقت بمثل هذه الاصول
 التي وضعها الاسلام سواء لقبت بلقب الاسلام أم لم تلقب به

ومن آية ذلك على تلك الطريقة أيضاً ما أثبتته علم الاجتماع من ارتقاء
 الانسان بالتدريج فبعد ان كان في ظلمات من بحر الوثنية اللجي من فوقه
 . موج من فوقه سحاب لا يكاد يرى شيئاً من نور الفطرة ارتقى في الوثنية من
 الاعتقاد بتأثير - ظواهر الطبيعة التي لا يفهم معناها من حجاب ونبات
 وحيوان وإسان الى الاعتقاد بأن تلك المعبودات لا تؤثر بنفسها وإنما
 تقرب من يخضع لها من واجب الوجود وتشفع له عنده في قضاء الحوائج .
 بهذا الاستعداد اصطلح الاسلام بالتوحيد جرائيم الوثنية من جزيرة العرب
 ثم انتشر التوحيد الخالص في العالم مؤيداً بالعلم فلم ينجب مصباحه في مكان
 الا واشرق في غيره . فأكثر أهل أوربا اليوم . موحدون لا يمتدنون
 بسلطة ولا تأثير في الكون الا لمدير الكون الذي وضع سننه ونواميسه

« وخلق كل شيء فقدره تقديرا » ولقد كان النبي قبل الاسلام يبعث بالتوحيد فيؤمن به النفر أو القوم فلا يمضي عليهم زمن الا ويمودون الى الوثنية ويكسبون لها الدلائل من الدين فيجى التوحيد بالمرّة . ولكنه لم يبعث بعد ظهور الاسلام وان دبت الوثنية الى بعض المسلمين وصفت عندهم بصنعة الدين بضروب من التأويل والتعريف . وسنوضح مسألة الاستعداد بما قاله الاستاذ الامام في ارتقاء الامم بالدين وبسبب ظهور الاسلام في العرب الأميين فانظر ذلك في الدرس الآتي

القسم المصري

(الزواج وشبان مصر وشواتها)

أكثرت الجرائد اليومية الخوض في هذه الايام في مسألة اجتماعية ذات بال وهي ميل كثير من الشبان المصريين الى الزواج بالأوربيات وإحجام كثير منهم عن الزواج بالمرّة وزعم بعض الباحثين ان السبب في الامرين هو عدم وجود بنات مصريات « ميريّات » يصلحن لشبان مصرّة المثريين وههنا شرح بعض الكتاب سوء حال تربية البنات ووصف من جهلن وأظنن في التنفير عنهن . وكنت أحب أن يكثر الكتاب البحث في تربية البنات في ممرض غير ممرض تفضيل الزواج بالأوربيات والترغيب عن الزواج بالوطنيات

المسئلة كبيرة وفروعها متشعبة ولطريق البحث فيها نواشط كثيرة وكأني بهذه النواشط قد تمتلأت أمامي فلا أدري أي ناشط اختارني ابتداء السير لأصل منه الى الطريق الاعظم . ولكتني أقول قبل كل قول : إن

الذين تزوجوا بالأوربيات أو يفضلون الزواج بهن هم أبعد المصريين عن التربية الصحيحة النافعة . وإن أكثر الذين يترشّون بالزواج يتربصون الظفر بزواج غنية لا بزواج مهندبة متربة .

ثم أقول أنه لا تربية عندنا للفتيان ولا للفتيات وإن الأناث يقربن من الذكور في الاخلاق والآداب والمعادات والرغبات ولكن الفرق بين التربين في التعليم فالتعلمون أكثر من المتعلّيات ولكن أكثر هذا العلم مما لا يصح التفاضل فيه لأنه قليل التأثير في الحياة المنزلية والحياة القومية والحياة المالية . ولوارثي المتعلمون في شؤون الحياة لاصحوا بيوتهم ورأس إصلاح البيوت تربية البنات فكما يريد الرجال يكون النساء لأنهم القوامون عليهم والقوة بأيديهم فهم يسيرون العمران كيف شاؤوا .

ورب متفرنج غبي ينفض رأسه إذا سمع قولنا : كما يريد الرجال يكون النساء . ويقول ان هذا قول من لا يعرف الحقائق فإن الاوربيين يقولون : كما يريد النساء يكون الرجال . ويؤكد أيها الفر المتفرنج ان في كلمة سادتك شيئاً من المبالغة وإن كان نساؤهم وصلن الى درجة من الاستقلال والعناية بالتربية بسبي الرجال صار لهم بهاشان في تربية الاطفال يصح معها ان تقال هذه الكلمة فيهن ولكن شأن بلادنا ونسائنا مبين لشؤون

التربية شي والتعليم شي آخر — التربية هي تصاهد القوى الجسدية والنفسية ومساعدتها على الوصول الى الكمال المستعدة له في أصل القطرة حتى يكون الربى إنساناً كاملاً سوياً في خلقه . هذباً في خلقه نافعاً لنفسه ولقومه والتعليم إبداع صور المعلومات في ذهن المتعلم . وقد وجد في مدارس مصر شيء من التعليم الناقص ولكن التربية لم توجد في المدارس ولا في البيوت فإ

بقي في الامة من الاخلاق الفاضلة والآداب الصحيحة فهو على قلته من - ورماتركه
 السلف الصالح من التراث وأشد الناس جناية عليه واتلاقاً له هؤلاء المتعلمون
 الذين انتموا بالتعلم الجديد فصاروا يقيمون أنفسهم وأمتهم قليلون
 جداً وإنما ساعدتهم على الانتفاع استمداد قوي في القطرة وبعض الاخلاق
 والآداب الموروثة ولذلك يمد نجاحهم شذوذاً لا نتيجة طبيعية لهذا التعليم
 الناقص في المدارس . وهؤلاء لا ينصحون لشبان أمتهم ان يتزوجوا
 بالاوربيات ، وإنما ينصحون لهم أن يربوا ويملوا البنات ، وإذا اشتكوا
 فأنما يشتكون من جهل الاغنياء وبحلهم إذ لا يسمحون بشيء من فضل
 ما لهم لانشاء معاهد أهلية للتربية والتعليم

أما تلك الحائلة من سائر المتعلمين وهم الاكثرون - على انهم قليل في
 مجموع الامة - فانها لم تستفد من التعلم الا رطانة لثة اوربية بها يتكئون
 من معاشره بنايا الافرنج مسالخات أو متخذات أخذان . وان عقائل
 نساء الافرنج ليترفعن ويستنكفن ان يعاشرن هؤلاء القلمان السفهاء الاحلام
 بلة الاقتران بهم وقبولهم بعوله لمن فهذا التبجح الذي يتبججه شباننا في الجرائد
 يعلمهم أعمامو التبجح بتفضيل البنايا لاجنبيات على المحصنات الوطنيات

لولا هؤلاء المتعلمون لما راج سوق الفحش في مصر . لولا هؤلاء
 المتعلمون لما نشأ داء الزهري في البلاد . لولا هؤلاء المتعلمون لما فشا
 السكر في القطر . لولا هؤلاء المتعلمون لما عرف اليسر والقرار في وادي
 النيل . لولا هؤلاء المتعلمون لما قتن الناس بزخرف الاثاث والرياش
 والماعون التي تجلب من أوروبا فذهب بثروة البلاد . لولا هؤلاء المتعلمون
 لما خربت تلك البيوت الماسرة التي ورثت الثروة والمجد عن أب وجد .

لولا هؤلاء المدامون لما انتهكت حرمان الدين وتركت فضائله وسنته .
فبإذا يفخر هؤلاء المتعلمون المبرورون على البنات الاغرار الجاهلات
ولماذا يترفعون عليهن مع ان جهلن لم يحسن على الامة والبلاد بمض ما جناه
علم اولئك المنبجحين المترفين

البنات الجاهلة تنبى في بيت زوجها تربية جديدة لأن المندراء
لا تستقر أخلاقها وعاداتها على شيء الا بعد الزواج كأنها قبل ذلك ترى كل شيء
موقفاً غير ثابت لأنها في طور غير ثابت تنظر في كل يوم الانتقال الى
الطور الذي بعده الذي حكمت القطرة بان تقضي حياتها فيه وهو كونها
زوجة رجل ثم أما لولد . فليت شعري كم عدد المتعلمين الذين تزوجوا
من هؤلاء المنداري واشغلوا بتربيتهم ليعيشوا معهن عيشة راضية ؟ كم عدد
الذين أحصنوا بالزواج فرضوا بازواجهن حتى لا يفسدوا مواخير ولا بيوت
السر ؟ وباليات شعري كم عدد البيوت التي كان فيها هؤلاء المتعلمون
صالحين مصلحين وأزواجهم فاسدات مفسدات ؟ أظن بل أوقن أن الرجال هم
الذين يفسدون النساء بسوء المعاملة وقبح السيرة الا ما جاء على سبيل الشذوذ .
فما بال تلك « الفتاة المميدة » التي أرادت الدفاع عن اخواتها التحيصات
طفت تدمهن وتهجوهن في مقالاتها التي نشرتها في المؤيد توسلا الى
كلمة تسترضي بها الشبان في آخرها بأههم مقصرون وبأن في البنات
الآن من المتعلمات من يليق بهن

التميزة الكبرى في تربية بنات مصر هي أنهن يكمن هؤلاء الشبان
المبرورين ويعاشرهم وهذه الفئة فاشية في المتعلمين والمتعلمات أكثر من
فسوها في الجاهلين والجاهلات والذنب في هذه التميزة على الشبان فنههم

بدت الفتنة واليهام تهود لانهم هم الذين يمرضون لا يغواء البنات . وقد حدثني غير واحد منهم بأنه لا يكاد يوجد تلميذ الا وله خليله من البنات . ولكن لا تكاد توجد بنت بدأت شاباً بالمنازلة والمناغاة . فاذا كان هذا حظ شبابنا المتعلمين من البنات فماذا يتعمون عليهم من فساد التربية ! أتتقم بعضهم على من يحبها انها لا تحسن الرطانة بلغة أوربية . كيف وهو أوسع مادة في المسائل التي يكلمها بها بلغته المرفية منه باللغة الاجنبية لانها لا تكلمان الا باللغو والمزدبان الذي يناسب المشاق الذين لا تربية لهم ولا تهذيب . يوهنا بعض الكتاب ان هؤلاء المتعلمين يود أحدهم أن تكون له زوجة تعلمت . ثم لا تعلم لتكون حياته معها إنسانية بالمذاكرات العلمية والادبية لحيوانية محضة مقصورة على التمتع البهيمي . وبإيت هذا كان صحيحاً ولكن يحزننا ويغضبنا أنه غير صحيح فان موضوعات حوارهم ، في أنديةهم وسمارهم ، دون ما يقتضيه علمهم الناقص كأن فساد التربية حال بينهم وبين الانتفاع بالعلم . ومنذ الذي يطلب العلم ليميل به أوليكمل ؟؟ كلنا نعرف علة طلبهم للعلم . هي أخذ الشهادة التي تعدهم لوظائف الحكومة والفرش من وظائف الحكومة الاكل مع الراحة لما جيلوا عليه من الكسل . نرى أحدهم يجده ويكد قريحته بأخف مدة الدراسة حتى اذا ما نال ورقة الشهادة التي سماها بعض الأوربيين (جلدة الحمار) قال : ذهب دور التعب والعناء وجاء دور التمتع . على انه لم يكن في طور الدراسة مصروفاً عن التمتع فترك البحث والمذاكرة في كل مائة له الا اذا كان رزقه منه كالمهندسين والاطباء وقليل ما هم

ان من يدرس العلم لحاجة كرشه وفرشه كالثور الذي يدرس ليأكل

بل ربما كان الثور أنفع منه لأنه يأكل ويأكل غيره من عمله بدرس
الخطبة ولكن أكثر الذين يدرسون العلم عندنا لا يأكلون ولا يأكل أحد
من مرة دراستهم وهم الذين قال فيهم الشاعر :

ودرس ثورين قد شدا إلى قرن أفنى وأنفع من تدريس حبرين
أين أثر علم هؤلاء المتفجيين في التأليف أو العمل ؛ أين الأندية
والسمار الأدبية ؛ أين الجمعيات العلمية ؛ أين الشركات الصناعية ؛ أين الأعمال
التجارية ؛ أين التأليف النافعة في المعلوم اللغوية أو العلمية أو الأدبية أو الدينية .
أخرت ذكر الدين لأن أكثر هؤلاء الممثلين ، أجرب به من العامة المؤمنين ،
ولا يخفى أن الكلام كله في المجموع لا في عموم الافراد فان من التلامذة من
يرغب في العلم لتفضله ونفعه ومنهم من أحسن أهله أدبه وتربيته

فيامشرف المتفجيين بالعلم - وإن كان الجهل خيرا منه - إذا فتنم بالاوريات
أو استغنيتم بالسفاح عن الزواج الشرعي أو كنتم ترجؤون الافتتان ليظفر أحدكم
بامرأة غنية يتنعم بها لها لان المدرسة ربه على الترف والكلل . ما فاسم عليكم
بالشرف الذي تذكرونه ؛ والوطن الذي تتوهمونه ؛ بل أقسم عليكم بالله
الذي تمبدونه ، أن لا تمزدوا عن ذلك بتميزة اخواتكم ؛ والبرزاء
بامراتكم ؛ ومن كان منكم يمار على قومه وبلاده فليجتهد بتربية نفسه ثم
تربية الاقرب فالاقرب . واعلموا انه لو وجد عندنا تربية وتعليم لوجد
عندنا رجال واذا وجد الرجال توجد النساء كما يريد الرجال ويوجد المال
ويوجد الاستقلال فالرجال هم الذين عملوا كل شئ في الماضي وهم الذين
يملكون كل شئ في المستقبل وخير لهم ان يكون نساؤهم عوناً لهم من أن
يكونوا كلاً عليهم والسلام على من علم وعمل

الاجتماع الخامس لجمعية أم القرى

(في مكة المكرمة يوم الاحد الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦)

في الوقت المعين من هذا اليوم تكامل الاجتماع واستمدت الهيئة لهذا كره والسماع وقرأ كاتب الجمعية ضبط الجلسة السابقة حسب القاعدة المرحية

قال (الاستاذ الرئيس) سنبعث بعد يومين في وضع قانون للجمعية الدائمة والتي أرى أن نفوض للجنة منا من الذين سبق لهم دخول في جمعيات علمية أو الذين لهم وقوف على مباني الجمعيات القانونية ولا سيما العربية المروفة باسم (أكاديميات) لتنظمتنا هذه اللجنة سانحة قانون نضعها تحت البحث في الجمعية

وإني أكلف بهذه اللجنة أخانا السيد الفرائي ليقوم بكتابتها وأخانا السعيد الانكليزي ليفيد اللجنة عما يعلمه عن الأكاديميات وعن مجربات جمعيات ليفرول ورأس الرجا وأخواننا المسلمة المصري والصاحب الهندي والدقق التركي وهذا برئهم لانه أنهم ١١ وهؤلاء خمسة أعضاء فهل تصوب الجمعية ذلك وترى فيه الكفاية والكفاءة أم تستدرك شيئاً

ثم ابتدر (السيد الانكليزي) للمقال مخاطباً الاستاذ الرئيس فقال اننا مسلمي (ليفرول) حذبوا عهد بالاسلام ولنا اشكالات مهمة تتعلق ببحث اليوم أعني بطريقة الاستهداء من الكتاب والسنة لان أكثرنا قد اهتدينا والحمد لله الى الاسلامية منتقلين اليها من (البروتستانتية) أي الطائفة الانجيلية لا من الكاثوليك أي الطائفة التقليدية فديل طبعاً لاتباع الكتاب والسنة فقط ولا نتفق بقول غير مصوص فيما ندينه وقد تركنا دين آبائنا وقومنا لتبع دين محمد بن الاسلام عليه الصلاة والسلام لا لتبج الحنفي أو الشافعي أو الحنبلي أو المالكي وان كانوا نفاة ناقلين

ولنا جمعية منتظمة لها شعبتان في امريكا وجنوب افريقيا ونحن راغبون أن نسي سميّاً حينئذ في الدعوة للدين السامي الاسلامي المبين والاقوام الذين ندعوهم غالبهم متدنون أي افكارهم متورة بالعلوم والمعارف وأكبر أمنا معصود بهداية فثنين اثنين الاولى البروتستانت والثانية الزنادقة -

أما أمنا في البروتستانت فلأنهم منقلبون حديثاً من الكاثوليكية انقلاباً ناشأ عن

ترجيحهم الاقتصار على الانجيل ومجموعة الكتب المقدسة متوافقة أى باهال الشروح والتفسيرات والمزيدات التى لا يوجد لها أصل صريح فى الانجيل • والبروتستان فى أوروبا وأمريكا يزيدون على مائة مليون من النفوس كلهم مطغورون على الدين قليلو السناد فى الاعتقاد • يستمدون لقبول البحث والاعتقاد للحق بشرط ظهوره ظهوراً عفوياً ولا سيما اذا كان الحق ملائماً لأبواب هجرهم الكاثوليكية من نحو انكارهم الرئاسة الدينية والرهانية والتوسل بالقدسين وطلب الشفاعة منهم واحترام الصور والتماثيل والدعاء لأجل الأموات وبيع الغفران والقول بان البطارقة قوة قدسية وقوة تشريعية وان لأبواب صفة العصمة عن الخطأ فى الدين وأن للاساقفة ومن دونهم من القسيسين مراتب مقدسة الى غير ذلك مما يتبع فى النصرانية سلطة دينية وتشديدات تعبدية لا يوجد لها أصل فى الانجيل •

وقد يشبه هؤلاء البروتستان فى رأيهم فئة قليلة من اليهود تعرف باسم القرائين وهم الآخذون بأصل التوراة والمزامير التابذون للتأمود أى لتفسيرات ومزيدات الاجار والملاحامين الأقدمين •

أما الفئة الثانية فهم الزنادقة المارقون من النصرانية كلياً ادمم ملائمتها للعقل وهؤلاء فى أوروبا وأمريكا كذلك يزيدون على مائة مليون من النفوس غالبيتهم يستمدون لقبول ديانة تكون معقولة حرة سمجة تريحهم من نصب الكفر فى الحياة الحاضرة فضلاً عن العذاب فى الآخرة •

ومن غريب نتائج التدقيق ان افراد هذه الفئة كلما بمدوا عن النصرانية نفوراً من شركها وخرافاتها وتشديداتها قربون طبعاً من التوحيد والاسلامية وحكمتها وسماحتها • فتنبه على هذا الحال وهذه الآمال ترى جمعية (ليفر بول) أهمية عظيمة لتحرير مسألة الاستهداء من الكتاب والسنة وتصور حكمة وسماحة الدين الاسلامي للعالم للتمدن فأرجو حضرة الأستاذ الرئيس أن يسمع لي بتفهيم مسألة الاستهداء على اسلوب المحاوررة والمساجلة مع بعض الاخوان الافاضل فى هذا المحفل العلمي العظيم •

فاجابه (الأستاذ الرئيس) بقوله له ساحل من شئت وخطب من أردت فالأخوان كلهم علماء أفاضل حكماء

فقال (السيد الانكليزي) مخاطباً العالم العجدي المك بامولاي قد صورت فى مقدمة خطابك فى التوحيد من هو المسلم والزمته العمل بالكتاب والسنة فأرجوك

أن سرفي أولا ما هو الكتاب وما هي السنة .

قال العالم المجدي : اما الكتاب فهو هذا القرآن الذي وصل اليه بطريق
الاشبه فيه الاجماع الكامة ووافق الامة عليه وثابتوا اليه اجلا عن جيل حفظا في
الصدور وضبطا في السطور مع الحرس الملبس على كيفية ادائه لدقاً وعلى هيئة املائه
كتابة ومع الاعتناء الكامل في تحقيق اسباب النزول ومكانه ووقته ومع حفظ اللغة
العربية المضرة القرشية التي نزل بها لا يتقان لا مزيد عليه . وبقاء القرآن محفوظاً من
التدوير والتغير وهو حجات الرب الى الآن هو أحد وجوه اعجازه حيث جاء مصداقاً
لقوله تعالى : « ما كنا نحن نزلنا الذكر » وانه لحافظون .

اما السنة فهي ما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام أو فعله أو أقره ولم يكن
صدر منه ذلك على سبيل الاختصاص أو الحكاية أو العادة وقد اعتنى الصحابة ولاسيما
التابعون تابعوهم رضي الله عنهم بحفظ السنة حديثها وآثارها وسيرها غاية الاعتناء
وتدقيقها بالرواية والسند المتسلسل متحررين لئلا يوقى منتهى مراتب التجري والتثبت
وفد حازم بعض مدونات السنة ونوقاها بما قبلوا علما في الامة فوسات اليها بكمال
الصحة خصوصاً منها الكتب الستة .

قال (السمعاني الشافعي) لا يشك أحد في الصدوق المعاند في انه لم يسلع ولم يباع
أمة من الأمم شاة المسلمين في اعتنائهم بحفظ القرآن الكريم وضمهم التاريخ النبوي
أي السنة وكذلك يقال في اعتنائهم باللغة العربية التي هي آلة فهم الخطاب .

وبالنظر الى ذلك كان يجب أن يجرى الشرية الاسلامية أحسن تحرير فلا يوجد فيها
ما وجد في غيرها بسبب عدم ضبط أصولها من اختلافات ومباينات مهمة بين العامة
الائمة فارجوا أن تبين لي ما هو منشأ هذا التشتت الذي نراه في الاحكام .

أجاب (العالم المجدي) ان الاختلافات الموجودة في الشرية ليس كما يظن شاملة
الاصول بل أصول الدين كلها والبعض من الفروع متفق عليها لأن لها في القرآن
أو السنة أحكاماً صريحة قطعية الثبوت قطعية الدلالة أو ثابتة باجماع الامة الذي لا يجوز
العقل فيه ان يكون عن غير أصل في الشرع (1)

١٠٠ - المثار - هذا القول غير مسلم اذ يجوز العقل ان يقول المجتهدون في زمن من
الازمان قد لا يأتوا على خطأ في الاجتهاد لاسيما اذا كانوا قليلي العدد كما هو الواقع بعد الصدر
الاول . وقد حصل مثل هذا في جميع الملل والذي لا يجوز هو الذي لا يمكن أن يقع

أما الخلافات فانما هي في فروع تلك الأصول وفي بعض الاحكام التي ليس لها في القرآن أو السنة نصوص صريحة بل بعض علماء الصحابة رضي الله عنهم وفقهاء التابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة المجتهدين أخذوا تلك الاحكام التي اختلفوا فيها إما تلقياً من بعض الصحابة فكلّ قلّد من صادف «١» وإما استنبطوها اجتهداً من نصوص الكتاب أو السنة بالمداول المحتمل أو بالمفهوم أو بالاقضاء أو من قرائن الحال أو قرائن القال أو بالتوفيق أو بالتخريج أو التفريع أو بالقياس أو باتحاد المسألة أو باتحاد النتيجة أو بالتأويل أو الاستحسان وهذه الاحكام الخلافية كلها ترجع الى دلائل إما فطعية الثبوت ظنية الدلالة أو ظنية الثبوت ظنية الدلالة . ولكل واحد من المجتهدين أصول في التطبيق وقوانين في الاستنباط يخالف فيها الآخر ومنشأ معظمها الخلافات التحوية والبيانية .

ثم ان أكثر الخلافات هي في مسائل المتاملات وعلى كل حال جاحدها لا يكفر بإتفاق الأئمة بل المتخالفون لا يفسق بعضهم بعضاً اذا كان التخالف عن اجتهاد لا عن هوى نفس أو تقصير في التبع الممكن للمقيم في دار الاسلام (مرحى) قال (السيد الانكليزي) اني أشكرك على ما أوجلت وأوفحت غير انك لم تذكر في جملة أسباب الاختلاف في اعتبار النسخ والمنسوخ بين آيتين أو حديثين أو آية وحديث وانني أظن ان ذلك من أعظم أسباب الاختلاف في الأحكام . أسبابه (المسلم النجدي) ان نواضع الأحكام قليلة ومعلومه والخلاف فيها أقل لأن النسخ في زمن التشريع لم يحصل إلا عن حكمة ظاهرة كالتمرير في منع السكر كالهي عنه حالة الصلاة ثم تعمم منه . وكتفير المقضي للتوارث بالإخاء وهو التقطيع التي حصلت بين المهاجرين وذوي أرحامهم في بدء الأمر ثم لما تلاخعتوا بعد فتح مكة نسخ ذلك وجعل التوارث بالنسب . وكالدعوة في أول الاسلام الى التوحيد والدين بمجرد الموعظة بدون جدال ثم به بدون صدع ثم به بدون قتل ثم به في أهل جزيرة العرب فقط ثم بتعميمه مع قبول الجزية والخراج من غيرهم (٢) «مرحى»

«١» وهذا أيضاً غير صحيح فان هؤلاء الأئمة ما كانوا مقلدين للصحابة «٢» شرع الاسلام أو السيف خاصاً بأهل جزيرة العرب بقصد احكام الوحدة السياسية في الوحدة الجنسية لا كما يتوهم الطاعنون في الاسلامية انها لم تقم الا بالسيف لاهل الأصل وما ذكره في الدعوة وفي تحريم الخمر ليس بالنسخ في شيء

قال « السيد الانكليزي » ان ما وصفت من أصول الاجتماع وقوانين استنباط الأحكام قد أنتج خلاف ما يأمر الله به في قوله تعالى « اقضوا الدين ولا تسرفوا فيه » وخلاف مائة قضية الحكمة فهل من وسيلة سهلة لرفع هذا الفرق .
أجاب « العالم النجدي » اني لا أهتدي لذلك سبيلاً^١ ولعل في الاخوان من يتصور وسيلة لهذا الأمر المهم

فابتدر « العلامة المصري » مخاطباً السيد الانكليزي وقال : ان رفع الخلاف غير ممكن مطلقاً ولكن يمكن تخفيف تأثيراته . وذلك أنه لما كان معظم الاختلاف كما قرره اخوانا العالم النجدي في الفروع دون الأصول وفي السنن والمندوبات والصغار والمكروهات دون الثماير والواجبات والكبار والمكرات وكان أكثر الامامة هم العلماء الذين لا يقدرون أن يميزوا بين الواجب والسنة والمندوب وبين الفل والمباح أو يفرقوا بين الكفر والحرام وبين الكبيرة والصغيرة والمكروه تنزيهاً والتقوى بل تنقسم الأحكام كلها في نظرهم الى نوعين أحدين فقط مطلوب ومحظور وبعبارة أخرى الى حلال وحرام وكانت أحكام الشريعة كثيرة جداً فالامامة يجدون أنفسهم مكلفين بما لا يطيقون الإحاطة بمفرقة فضلاً عن القيام به ويرون ان لا مناص لهم من التهاون في أكثره أو بعضه فقوم أحدهم بالبعض دون البعض فيأتي بالفضل ويتهاون بالواجب ويتساهل بالمكروه ويقدم على الحرام وذلك كما قلنا لاستكثاره الأحكام وجهله بمراتبها في التقديم والتأخير « ٢ »

بناء على ذلك أرى لو أن فقهاء الأمة كإفرقوا مراتب الأحكام على المسائل يفرقون المسائل أيضاً على المراتب في متون مخصوصة . فيمقدون لكل مذهب من المذاهب كتاباً في المبادئ ينقسم الى أبواب وفصول تذكر في كل منها الفرائض والواجبات فقط وتطوي ضمها الشرائط والأركان بحيث يهال ان هذه الأحكام في هذه المذاهب هي اقل ما يجوز به العبادة .

« ١ » الاديان والمذاهب كلها مصابة بالانشقاق فهذه البروتستانتية تفرقت في مدة مائتي سنة الى ما يزيد على مائتي فرقة وهذه أحكام الأحوال الشخصية من نكاح ونحوه في النصرانية مختلف فيها بين الكنائس أو بين رؤساء كل كنيسة اختلافاً لا يمتدى منه الى نتيجة . اه من الأصل « ٢ » كالارثاكيتمون بالسكن والمكروهات أكثر من الواجبات والنهايات اه من الأصل

والمقامون كتاباً آخر يقع في عشرين الأقسام، الفصول تذكر فيها السنين
بحيث يقال إن هذه الأحكام ينبغي رعايتها في أكثر الأوقات، ثم كتاباً ثالثاً منسج
الأولين تذكر فيه سائر الزوائد بحيث يقال إن هذه الأحكام رعايتها أولى من تركها.
وعلى هذا النسق يوضع كتاب للمصنفات يقسم إلى أبواب وفصول تسمى فيها
المكفورات والكبائر وكذا الصفات والمكروهات ومثل ذلك تقسم كتب المعاملات على
طبقات من الأحكام الإجماعية أو الاجتماعية أو الاستثنائية.

فيمثل هذا الترتيب يسهل على كل من العامة أن يعرف ما هو مكلف به في دينه
فيعمل به على حسب مراتبه وأمكانه وبهذه الصورة تظهر ساحة الدين الخفيف وبصير
المسلم مطعش القلب مثله كمثل تاجر له دفتر وقيود وحسابات وموازنات منتظمة
فيعيش مطمئن الفكر وكم بين هذا التاجر وبين تاجر آخر حساباته في أوراق
منتثرة ومعاملاته مشقة متزايدة في فكره لا يعرف ماله وما عليه فيعيش عمره مرتبك
البال مضطرب الحال «مرحى»

باب في بيان أسرار الحكمة

الجزرة السابعة منه جريدة أراسم (*)

﴿رويا منام أرجوان تحفة لنا الأيام﴾

رأيتني غطياً جواداً أسيح في بلاد مجهولة لأدري إن كانت من الدنيا القديمة
أو الجديدة ولكنني بحسب ما بداني من ظواهرها أرى أنها لابد أن تكون واقعة على
نجوم بلاد الألدورادو (١) أو الأوتوبيا (٢)

(*) مررب من باب تربية الياقوت من كتاب أميل القرن التاسع عشر
[١] الألدورادو كلمة إسبانية معناها بلاد الذهب وتطلق على بلاد يزعم الناس
أن ضابطاً من مدينة بيزارا اكتشفها في أمريكا الجنوبية وأنه كان يوجد بها من الذهب
وخيرات الأرض شيء كثير ثم أطلقت هذه الكلمة على بلاد الرخاء والنعيم [٢] الأوتوبيا
كلمة يونانية تطلق على بلاد وهمية جرت أمورها على أحسن ما يتخيل من النظام
وصفها كاتب اسمه توماس موريس في كتاب له

بصرت في طريقي بمخاض مسيجة بالسيجة خضراء فيها قملان من البقر والغنم
وغيرها من الحيوانات المجترة التي لا توجد قط في مراعينا نسوم آمنة لا كلب يجرسها
ولا راعي يراقبها ولا حظ في انتظام طرق الري في هذه البلاد وحسن توزيع الماء
بين جهاتها على نحو يشير الاستحسان ويدعو الى الاعجاب انه كان من مزاياه امتلاء
جوؤها بالنسيم البارد المنمش على مافيها من حرارة النهار وشاهدت سلاسل من
الفضات مكللة بالاشجار كأنها في تنابها واتصال بعضها ببعض تخطط للرياح والسحاب
طريقهما. ضرب الفنى سرادقه حول قرى هذا الريف وظهرت على أهله آثار التهمة
والاغتياب نسأوه حسان وولده انه أسوياء أمحاء الابدان يشرون حكومتهم بأنهم
سيكونون سلا قويا بإسلا

ثم رأيت حواضر هذا القطر قائما كن لرؤيتها اقل مني دهشا لرؤية قراء ومما
أرشدت اليه في احداها بأن كانا أقما في عصر يسميه أهلها الآن عصر الحمجية
احداها سجن والثاني مأوى للمساكين وقد أصبحا من أهلها خلا لمدام اللصوص
والبؤساء ومع انه لم يبق لوجودها قائدة حفظهما بالقانون على شؤون المدينة
ايكون للاجانب فيها ذكرى لتاريخهم .

حدد في هذه البلاد مالتاس وما عليهم من الحقوق والفروض وما للحكومة وما
عليها من ذلك وامتاز بمضه عن بعض امتيازاتنا ولهذا تجد الرعايا لا يولون حكمهم
من شؤونهم الا مالميس من صاحبهم ان يتولوه بأنفسهم وحقيقة الامر ان القوانين
فيها على قلبها جذاً وصدورها عن رأي من اختارهم الأمة نواباً عنها لا سيلها الاعلى
ما كان من الاعمال متعلقاً بالحكومة ولما كان الناس جميعاً هم الذين قدسوا أنفسهم
هذه القوانين لحماية كل منهم كانت مخالفتها وعدم الرضوخ لاحكامها حقاً وسخفاً على
انهم يؤمنون بمدىها والتقليل من سلطانها بترقية العلوم وبث اضواء المرقان

رائهم هو حاكمهم المطاع أمره التافذ قوله ولم يعهد أن ملكا من الملوك الممتنعين
في صياصهم الممتزين بمحسوسهم كان له من المعامل والمنازيس ما يعادل ما يحيط به ذلك
الحاكم من ضروب الكفالة وأنواع الضمان المؤبد له القائمة على اعزازة بالقوم أحرار
يتفكرون في كل ما يكتبون ويكتبون كل ما يتفكرون وانه ليدعشهم كثيراً على ما يرى
أن يعلموا أن فوق الأرض أمماً في قدرتها ان تستسلم لحاكم رذلت في نفسها في قبضة ظالم .
لاقت في هذه المدينة شيخاً لا أذكر اكن ولا كيف لاقته وقع التعارف بيني وبينه

فأخذ على نفسه أن يشرح لي نظام حكومتهم ويدلّوني بي على المعاهد المدة للمنافع العامة لأنني لم أرق المدينة قصوراً بنيت لبعض الأفراد توفية لأسباب لذاته ولا مساح ولا دور للجيش ولا مواخير للفحش .

لما رافني ما شاهدته قلت للشيخ هل لك أن تخبرني باسم ذلك التوسع الكبير الذي سن لكم هذه القوانين .

فبسم ضاحكا من قولي وقال أراك آتيا من عالم آخر فأعلم أن قوانيننا ليست من وضع البشر واني أراكي الآن مضطرا الى أن أقص عليك تاريخنا في كلمات قليلة فاستمع لما أقول : أننا قبل اليوم بنحو قرنين لم تكن أحسن حالا من غيرنا من الأمم و آخر ملك تولى علينا ولا نذكر منه شيئا حتى اسمه (لان النسيان أحسن عقاب للساينين الأشرار) خلع من عرشه بمد حكم أسخط عليه جميع رعاياه وألهم على نبذ طاعته والخروج عليه ثم عرض الثأرون بمد خلمه صوراً مختلفة وأشكالاً متنوعة للحكومة وكادوا يقتلون على اختيار حاكم لولا أن آباءنا بما كان لهم من الحكمة والدراية قد تراجموا وقال بعضهم لبعض ان الأولى لنا أن نرجعي الفصل فيما شجر بيننا وأن نترك لأعقابنا الغر لا أنفسهم فيها هو خير لهم فانه لاخير في أحسن الأوضاع ولا في أعدل القوانين ان لم نجد في أخلاق الناس وسيلة لاستبقائها وحينئذ اتفق القوم على أن يبقوا من قوانينهم القديمة أكثرها مطابقة لحكم العقل حينا من الدهر وأن ينشؤا الحيل الجديدة في هذه الفترة على حب الحرية والاخذ بها ثم لما لم تر مدرستنا أنها أصل نظامنا السياسي فهي بنا إليها .

أخبرني الى مكان على مقربة من المدينة فما هو إلا أن تجلي الخري في اسمعائه .
للشريعة فسر أو هيكل فوق روعة شجره قد عدل اتساعه واتساح ارجائه ماله من الضخامة والجلال لو أردت أن اصف لك جملة لميت بذات . بني كل قسم من أقسامه الداخلية على طريقة حديثة في فن العمارة وبلغ من الأزدان بما وضع فيه من التماثيل والصور وآثار الفنون الى حيث ان جدرانها كانت تكاد تكفي أن تكون وحدها طريقة من طرق التعظيم تكون ماحوته يتقش على اذهان التلامذة ومشاعرهم وينقسم هؤلاء الى عدة أعم يمثل كل منها جيلا من أجيال الانسان وقد وقع ذلك البناء في وسط مشاهد تأسر القلب وتأخذ باللب بما فيها من ضروب التباين ووجوه التخالف فتجد حوله الآجام والعمود ومساقط الماء وتحت البحر .

وقد كنت على إحدى حافات الدروس فإذا بنا، إن يفسرون أنواعاً مختلفة من الرياضات البدنية بالمسارعة والسدود والرمية بالنوم وأكثر ما عشت له في هذه الحلقه أن معلميها كانوا من هنود أمريكا الحمر الأصاين كما عشت ذلك من لوسهم ونواقة أنصاتهم وما كان على شعورهم من مواد الزينة الوهمية

قال لي الدليل إن هذه الفيلة الموحشة لم تأت إلى بلادنا إلا من عهد قريب إنما حذبها إلى حدودها حرس أخلاق فومنا ورقة طباعهم فلما لم تفرهم أعداء لنا كما يفعل غيرنا بل دعواهم في مشاركتنا في نعم الحياوة وأرشدناهم إلى ما تحصله لنا من الفوائد ونزولنا بينين لهم مدارج حبائنا على الدابة، ولما كنا لا نحول ما لهم من انه أحب الإدارة التي نحن محرومون منها قد عرشنا عليهم معاوضة المنافع ومبادلة ثم اتفق قسبي فربى هم ذلك منا وهاهم أولاً الآن يروون أنباءنا على إجمال الألام الجديدة فبهم معنيين من حياهم وعلى أسس نعمت البصرهم وأسماعهم في أنجساب ما ينسب لهم من الحبايل والبطلان ما يكاد لحناهم من الكتمان ويمودونهم على البدالة في تقي اعتبارهم وأبوابهم موافقة لاطمان الإرادة وعلى تعرف أخلاق الحيوانات وعواذها في حالتها الموحشة

وفما نحن نحول داخل هذا المكان الذي هو منقسم كما قلت إلى دارات مختلفة تربية والتعليم شهدت أحد الأبناء التي تقام في هذه الدارات التاريخية أو العلمية من حين إلى حين نأول لي أننا في آتنا (اسمة بلاد اليونان) إن لم أكن وأهلاء أبصرت قائداً في بلادهم وبول شاخسة امامي على صخرة يعملوها معبد وتمثيل والهة صنعت من النحاس الأحمر والمرمر ورأيت في الجانب الغربي لهذه القلعة دهاليزها التي اقامها بريخيس (١) وكانت أشبه طوائف من الفرس في أنزيه يونانية يشبهون اليونان في اطوارهم وأحوالهم تشخيصاً بقرب من النظرة ويشككون بلغتهم ويقلونهم في تزجهم في المدينة أو غدوهم إلى مرافئ يريه (٢) ومونيخي (٣) وقالير (٤) فاستغربت ما رأيت مع قلعة استغراب الخالم واقسمت بأنني بروما خوس لاكتنهن هذا السر فإذ رأى صاحبي شدة ولحي بمعرفة حقيقة ما رأيت قال لي إن الامر في غاية السهولة ذلك اسمنا أمين لنا بالاختبار إن التاريخ في تعليمه للاحداث يمر بأذهانهم

(١) بريكلبس أحد رجال حكومة آتنا الأقدمين (٢ و ٣ و ٤) يريه ومونيخي

وقالير كلها مدن يونانية فيها مرافئ

مرور القال غير نارك له فيها آثار آياتة احسننا في ان نجعل له حجة نعلم فيها سورة
فقرى تلامذة تاليفهم في علمه على مطامعة ما كان في العصور الخالية بل انهم
يمشون في تلك العصور .

فقلت له لا بد أن تكون جمهوريتكم قد بلغت من الزروة غايها حتى تقوم بنفقات
هذه العمارات فيلج أبوابها غيرة اهلها في طرق الكسب والانهام التي تدبر
تفتتها بشهها على اني ارجو ان لا تخدع بما اراد فان ما نقله بذلا لال و اسرافا في
هو في الحقيقة تدبير له وتوفر ولودج ما سمعه عن أوروبا القديمة لكان ما تنفقه انما
على حكوماتها في جانب التدبير وما تنفقه على التعليم العام في طرف التقدير واما نحن
فأمورنا تجري على خلاف ذلك فنسكو متالانا كافتنا اولاً تكاد تكون شيئاً وتنسحق
كل اوراقنا على ما سارنا فكان لنا بالسير على هذه السنين ما يسمى في عرف التجارة
صفقة رابحة والله طريقنا في التربية فالتا ببركتها استغنيا عن اتخاذ جيش دائم وكهنتوت
ونغيرها . . . الانتقال الى توقع الحكومات في . . . هوان الثقافة وتؤديها الى الخراب

هذه الامة التي شل على الآن اسمها لا تصعد في تربية عنول ابنائها وتقوم
طبايعهم اعداؤهم لان يتبعوا في مستقبلهم نظاماً مقرواً كثناً ما كان بل انها عقدت
الثية على أن تقل ما ينتج من التربية الحرة المؤسسة على نواحيس الآتون واصول العلم
من الثمرات فبعثها اقدامها على ان تمهد بمستقبل بلادها الى معارف الاحيال الجديدة
وعلمهم فهي تعتبر المدرسة امة في سبيل نشأتها لها قوانينها كما أن للحكومة قوانينها
وبرى تلك القوانين كانتا مقدمة لهذه وبكر بتعليم البلاذة ممارسة ما يحل به الرجال
من الفضائل القومية .

ليس امامي المدرسة على البلاذة أدنى سبيل الى التأديب ولكمهم لا يسلون عنها
بما يفترونه من مخالفة قوانينها وعواظها بل انهم يعاقب بعضهم بعضاً على ما يقع منهم
من المخالفات فالمخالفون يحاكمون الى محكمة يتخب اعضاؤها من اخوانهم لمدة معلومة
ومن مصلحة هؤلاء الاعضاء ان يبدلوا في احكامهم وان لا يطمعوا فيها دواعي الهوى
والغرض لعلهم ان الاعتداء على حقوق الناس قد يمود عليهم ضرره في الحال او
في المال ويقوم امام هذه المحكمة محاميان احدهما من جانب المدعي والثاني من
جانب المدعى عليه فينارها وقائع الدعوى بالرزانة والوقار ثم يصدر الخلفون المتطوعون
احكامهم وهي واجبة الاحترام على الدوام وما يحكم به من الجزاء يصير على كونه غاية

(٤٥ - الثاني)

في الحقة من الاطباء الذين كانوا في قبة كبريائهم من
حكمة الاطباء من قبل

قدّم الدنيا بالخدمة فبات يأخذ ثمنها وبقدر ما كان لها غير قسم الجسم من الدنيا
 يحضرون معهم في غرف التعليم بمنهم الذين هم في سبي نهاراً
 قال لي الشيخ أننا نقول كثيراً في صلاة الجمعة أننا نؤمن على ما لنا من الدنيا
 المضيوي في النفوس فهو اللاني نهداهن نور ربح الجوارح والصفات على أنوار
 نرى المهر من هؤلاء في الرياضات البدنية والذين أنفسهم إمامهم في ساحاتهم
 الحركات التي هي مقامه البأس والقوة والمتمكنين بهم من بنوا أحباءه لا تسبق
 يمشون بين أيديهم على من الكبرياء والبرهان من بين في سبيل انفسنا
 والبالغة حروباً عوانا كل ذلك في سبيل أو شانهن وجميع انفسنا في سبيل
 فحين أنهن سائبات الرأي سريانه الحكم في مواد الفنون كان معاه والشرع في طيب
 أنفسهم يتركون الى رأيهم في حضانة الفنون في وتصوير فاذ هن خجعت
 في الدور. أمّا حسان الاعمال ووهن منهن منهن في سبيل الفنون والاعمال
 كذا يمتد أحباءنا على أن في سبيل الفنون والاعمال في سبيل الفنون والاعمال
 وجدانهم لحسن أعمالهم في سبيل الفنون والاعمال في سبيل الفنون والاعمال
 الاعمال ينفقها بالاعتدال والبساطة وبما في سبيل الفنون والاعمال في سبيل
 مثل لهم في الفروس التي كتب عليهم ادائها

لا يزال صدق الكلمات الاخيرة التي سمعناها من ذلك الشيخ حين في انبيك
قال لي في نهاية حديثه لو طالت زمن ملكك بيتا لشاهدت من مناجاتك ما لا أشك
في ثقتك كل يوم في شوقه وابي شوقه والجميع الحبيب في شوقه كيد في نفسه
ما كان يربطنا بما بيننا من قيود الحب والوفاء التي كانت ككناجيج يهودا
وبرودة وبقية الحرارة الحية وأن تعرف أن الأمم الحرة إنما تنشأ برجالها الاحرار
وأن آبائنا لم ينجفوا في أن يلدوا في وجدان كل انسان أقوى لاسر على الاستبداد
لاعتقادهم أن أحسن الحكومات أقاله وحوذاً فتراهم قد فضلوا أن ينفقوا في
شؤون الاحداث وجدان العدل والحق الذي لا تقهره الحوادث ولا تمنحوه الكوارث
على أن يدونوا لهم قانوناً نظامياً في كتاب ربما أن رياح النسيان وعمواسف الثورات
الدخيلة كانت صرخته من زمن بعيد وجهة القول أن الحكومة عندما ليست هي التي
تدير المدرسة بل المدرسة هي التي توجدوا، شهاها

آثار علي بن الحسين

﴿ الهدايا والتقاويظ ﴾

(نائبس النظر) كتاب وجيز صنفه الفقيه الأصولي أبو زيد عبيد الله بن عمر ابن عيسى الديلمي الحنفي في علم الخلاف وهو أول من صنف في خلاف الأئمة في الفقه . وعلم الخلاف نافع لمن يريد معرفة مدارك الأئمة ودلائلهم ووجوه الترجيح فيها شجر ينهم من الاختلاف في الأحكام فهو فرع من علم أصول الفقه . وقد سمي في طبع هذا الكتاب التبيين مصطلق القبايني الدمشقي كما هو شأنه في السمي بإظهار كتب الأئمة الأربعة وبشرها . طبعه على نفقته وثقة محمد افندي أمين الحنابلة على أجود الورق السامع الموجود في مصر . وكنت أود أن يقف على نصحيحة أحد المشتغلين بالفقه والأصول . ولا أعرف كتاباً طبع في علم الخلاف غيره فمسي أن يقبل أهل العلم على مطالعته .

وقد طبع في آخر الكتاب رسالة (الأصول التي عليها مدار كتب الحنفية) وهي نحو أربعين أصلاً وضعها الإمام أبو الحسن الكرخي من فقهاء القرن الثالث ووضع لها لامية والشواهد الفقه عمر النسفي المتوفى سنة ٥٣٧ ونحو نورد بعض أمثلتها عبرة .

تذكرين قال : « الأصل أن كل آية تحتاج قول أصحابنا فإنها تحمل على النسخ أو على الترجيح والأولى أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق » وإليته ذكر : جهاً آخر وهو الرجوع عن قول أصحابنا إلى الآية الكريمة ولو عند عدم ظهور وجه وجيه في التأويل . ومنها قوله : « الأصل أن كل خبر (أي حديث نبوي) يمينه بخلاف قول أصحابنا فإنه يحمل على النسخ أو على أنه يمارض بمثله ثم صار إلى دليل آخر أو ترجيح فيه عما يحتاج به أصحابنا من وجوه الترجيح أو يحمل على التوفيق . وإنما يفعل ذلك على حسب قيام الدليل فإن قامت دلالة النسخ يحمل عليه وإن قامت الدلالة على غيره صرنا إليه » أي أنه لا بد من تصحيح قول فقهاءهم والعمل به على كل حال . ونجمن قول كما يحمل نسخ الآية أو الحديث بحمل رجوع ذلك إليه عن قوله فالنسخ قليل جداً ولكن الأقوال التي رجوعه التي يرجع عنها العلماء أكثر من أن تحصى . يقال هذا بذاك وسبق ووجه آخر له لامل بالآية أو الحديث ما هما أصل الدين فإن قبل قول الفقيه فاما يقبل لاستناديهما أو حمله ولو ظناً فاذا تمارض الأصل والفرع يصمل بالأصل . ومنها أن الثقة قبل الكتاب والسنة أعظم . ومنها أن خطأها محال وكل امام فقيه عرضة للخطأ . ومنها

انها أسع وأفصح الكلام فيه - وما أسهل وبيانها أعظم والله الهادي وهو أعلم وأحكم
(هذه الأسد) قصة تاريخية تشرح حوادث الثورة العربية الشهيرة وقوميتها
وتأثيرها وهي من تأليف القاصي الشهير لسكندر زحاس الكبير . وقد عرّفها سديفة
الفاضل فرح أفندي أنطون صاحب مجلة الجامعة بمائة وأشرها تباعا في ذيل مجلته
جما في أربعة أجزاء واسم الثالث منها (وشة الأسد) والرابع (قريبة الأسد) وهي
أفصح القصص المعربة فيما اظن لأن مطالعة حوادث الانقراض في الأثم هي أكبر المبر
وأولى الناس بالأقبال على قراءة هذه الاخبار من دبت فيهم نسمة الحياة الاستغالية .
واستمدوا لأن يكونوا أمة حية ؟ فسي أن يرغب شابنا وشبابنا عن مطالعة النقص
الغرامية الصحفية الى مطالعة مثل هذه القصة التي تفوق تلك الذلة وتزبد على النعمة .
(مجلة المجلات العربية) نهي صديقتنا الفاضل محمود بك بسبب صاحب هذه
المجلة بما وفق له من زيادة ألقائها وتكثرت فوائدها فقد صدر آخر جزء منها يزيد
على ما تقدم في الفوائد العلمية والأدبية وكثرة الرسوم الجيدة التي لم نسبقه اليها
مجلة عربية . فسأل الله أن يزيد مجلته بكيمانه كلالاً ووفقه الناس لأن يزيدوا عليه اقبالاً
والحجاج بن يوسف قصة تاريخية غرامية تتلو قصصاً نشرت فيها في التاريخ
الاسلامي ويتلوها غيرها في فهم الحائقة السادسة من سلسلة وفيها خبر حصار مكة
على عهد عبد الله بن الزبير وقتل ابن الزبير والكلام في أخلاق أهل الحريم
وعاداتهم . مؤلف هذه القصص صديقتنا المؤرخ السب جرحى أفندي زيدان صاحب
مجلة الهلال الفراء . وقد اشتهرت هذه القصص بنشرها في الهلال بل زاد اشتهار
الهلال وانتشاره بها لما فيها من اللذة والفائدة ومازلت أمي نفسي بمطالعة هذه القصص
من أولها . مطالعة تأمل والتمتدنا ونناصح لي ذلك

وقد رأيت من المسلمين من يتخذ هذا الوضع من وجهين أحدهما ان من شأن
القصص ان تكون فيها أخبار كاذبة فيشتبه على القارئ الحق بالباطل وأنهما استغفال
نسبة الشك والفرام الى رجال سلفنا الكرام . وقد كان بعض هؤلاء المتقدين
كتب رأيه في جريدة المؤيد ورد عليه المؤلف بما عرف واشتهر . وقد تصفحت
ورقات من هذه القصة فالتفت أن الحوادث الغرامية لم تستد الى احد من رجال السلف
المطام . والائمة الذين يجولون عن الاشتغال بالمرام . وأما مسألة الاشياء فقد رأينا في
مقدمة هذه القصة ما يكشف عن الحقيقة فيها وهو قول المؤلف : « فالمددة في رواياتنا
على التاريخ وانما تأتي بمجودات الرواية تدوياً للمطالعين . فبقى الحوادث التاريخية على

حالتها ونذج في خلالها قصة غرامية تشوق المسامح الى استتمام قراتها. فيصح الاعتماد على ما يجي في هذه الروايات من حوادث التاريخ مثل الاعتماد على أي كتاب من كتب التاريخ من حيث الزمان والمكان والاشخاص الاماقتضية القصة من التوسع في الوصف بما لا تأثير له على الحقيقة ، امولنا الثقة بالمؤلف الفاضل بأنه لا يكتب عن الاسلام والمسلمين الا ما يستقده وان لم يكن مسلماً لأنه من أبعد خلق الله عن التعصب الديني وأحسنهم انصافاً فان فرط منهما أوجب الانتقاد أو يوجه فهو عن غير سوء قصد . ولا شك أن قراءة هذه القصص مفيدة فمن يرى من المتقدين أن فيها تقصيراً فليصنف ما هو خير منها . واننا لا تحزب لصديقنا بما لا نقد واذا اتسع لنا مطالعة هذه القصص أو بعضها وظهر لنا فيها خطأ فها ننبه عليه ان شاء الله تعالى . وثمن النسخة من هذه القصة عشرة قروش وأجرتها في البريد قرشان وتطلب من مكتبة الهلال بمصر .

(مسامرات الشعب) قصص مختصرة يؤلفها أو يربها بعض المشتغلين بالكتابة والادب لمكتبة الشعب ومطبعها فطبع وتشر على نفقة صاحب المكتبة والمطبعة الهام ويصدر في كل شهر قصتين . وجمل ثمن القصة قرشاً اميرياً وقيمة الاشتراك الى ستة عشر قرشاً . وقد ذكر في مقدمتها انه يقصد بنشر هذه القصص التهذيب وخدمه الوطن . وانما يتحقق هذا اذا جعلت هذه القصص حكايات عن أخلاق الشعب وعاداته مع استحسان الحسن واستهجان المستهجن ولم أر أعلق بهذا القصد من القصة الرابعة واسمها (الحال والمآل) فقد أودعها كاتبها أحد حافظ أقدى عوض بياناً في كيفة عشق الناشئين والناشئات ، وما يتبع ذلك من المفاسد والتكرات . وستكم عنها في جزء آخر

بَابُ الْحَبِيبَةِ الْوَبَاءِ

(الوباء والمدوى والوقاية)

ظهرت الهيضة الوبائية في بلدة . وشاة التابعة لمديرية أسسوط وانتقلت الى القاهرة ثم ظهرت في عدة بلاد وقد اعتنت الحكومة بالوقاية منها واهم رجال الصحة بمنع انتشارها بقدر الامكان ولا أظن ان الضاية في غير القاهرة مثلاً فيها وان كان متيسراً . على ان حفظ الماء من القفارة في الاويلف حصر جداً والزلم الناس بالنظافة هناك

أعسر . ومما يزيد الويل . انك عند مساعدة ذهابي بالحكومة فيما بعد وفاتهم لانهم
لجهلهم يتوهمون ان الحكومة تسمى في اهلاكم ، تريد اهلانهم ، وفيهم حتى ان
الاكثرين يعتقدون ان اطباء الحكومة يدفعون انصارين او ذرية السامية ليعتوهم
ولا شك ان هذا الوهم فاسد وان الحكومة خير لهم في هذه الحال من اهلهم ومن
انفسهم لانها تجهد في وقايتهم قبل ان يصابوا وفي مصلحتهم بعد ذلك اعلم ومعرفة
وانما نخدمهم برجالهم وتفق عليهم اموالهم المحفوظة عندها

ونحن لا ننفذ على الحكومة الا بدم الاستثناء بالتنظيف حيث يسكن الوطنيون
كاعتنائها به حيث يسكن الاجاب . فقد استغاثت الجرائد بمصاحبة العجبة طالبة
تنظيف بعض الجهات القذرة التي اتخذها الناس مناصع (والمناصع هي المواضع يتخلى فيها
للبول والغائط) كدارع الخايج من جهة باب الحاق . فكان الواجب على الحكومة
ان تأمر بجمع التخلي هناك وفي أي شارع ثلاثي على فيه مصاب فيحمل اللباب جرائم
الداء من يراؤه الى البيوت المجاورة . وشي آخر لا يزال ينتقد من رجال الصحة
وهو معاملة الناس بالمخالطة والحشونة عند اداء وظائفهم وهم يعلمون ان الناس معذرون
بالجهل ولعل هذه المعاملة لطفت بذا من جبابه سبب الدخالية بالانطاف في المعاملة
ومن اسباب انتشار الوباء جهل الأهلين بصحة المدوى وهي ثابتة شرعاً وعادياً
واختباراً بالمشاهدة . وأما المدوى المنفية بالحديث فهي ما كان يعتقد في الجاهلية من
حصول ذلك عليه من غير قدرة الله تعالى وفي روايات الحديث ما يدل على ذلك .
أخرج أحمد والبخاري من حديث أبي هريرة : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة »
ولا سفر وفر من المخدم كما تفر من الأسد » فبعد ان نرى ما كان تعتقده الجاهلية
من ان الوباء من الجحشوم . وسرع الحامان بين شجر وغيره من شجر البصرة في
حديث المخدم بن العامه الحسين لاسيما الشافعية قالوا بانبات المدوى في شجر
من الاسباب العادية التي قام بها نظام الكون . وأخرج البخاري ومسلم من حديث
أبي هريرة : « لا عدوى ولا هامة ولا سفر . ولا يحمل الممرض على المسح » ويحذر
المصح حيث شاء . قيل ولم ذلك يا رسول الله قال « لأنه أذى » وهذا أصح من
من الأول في اثبات سببية المدوى . وأخرج أحمد والبخاري ومسلم عن أسامة بن
زيد وعبد الرحمن بن عوف والفساني عن الأول وأبو داود عن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال « اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليها واذا وقع وأنتم بأرض
فلا تخرجوا منها » فهذا الحديث الصحيح أصل في الحجر على المصابين ان يخرجوا

فيخالطوا الناس الأصحاء فتنتقل اليهم بذلك العدوى . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة
ومن أسباب انتشار الوباء الجهل بمداواة الصحة والوقاية من الأمراض . ولو
كان الناس يعملون بالآداب الشرعية لكان لهم فيها غناء . فإن أهم أركان الصحة النظافة
والاحتياط في الأكل والشرب . فأما النظافة فهي عند المسلمين من خصال الإيمان .
وقد اشترط في تطهير الأشياء وتنظيفها عند الشافية وأكثر أهل هذا القطر منهم
أن يكون للماء الطاهر وارداً على الشيء الذي يراد تطهيره لا موردأ . وهذا الشرط
موافق للصحة . فإن التوب أو المضو المتنجس اذا ورد على الماء ينتشر في الماء
ميكروب المرض واذا ورد الماء عليه يزيل النجاسة وما فيها من الميكروبات . ولا يجوز
وضع النجاسة في الماء ولا اليد المتنجسة فيه على تفصيل في ذلك . وبما لاخلاف فيه
بين المسلمين أن كل ما علم ضرره بالاختبار أو بقول الطبيب الموثوق به فالواجب اجتنابه
وأما الاحتياط في الأكل والشرب فأحسن ما يذكر فيه الآن ما روي عن النبي
صلي الله تعالى عليه وسلم في بيان سبب عدم قبول الطبيب الذي أهداه اليه المقوقس
ملك القبط وهو « لانا كل حتى مجوع واذا أكلنا لا نشبع » ولأذكر من خرج
من الحديثين وهو مذكور في كتب السير . وهذا أصل عظيم في الوقاية من الهیضة
الوبائية فان جرائم الهیضة لا تضر الا اذا انتقلت من المعدة الى الامعاء في طعام
غير مهضوم . فمن يأكل عن جوع حقيقي ولا يكثر من الاكل فانه يهضم ماأكله
بسهولة فاذا وجد في طعامه أو شرابه شيء من جرائم الهیضة الوبائية (الكوليرا)
فانه حينئذ يهضم ولا يضر . واذا كان مع هذا براعي النظافة في الطعام والماء
مراعياً فيه وصلياً الاطباء فذلك اكمل الاحتياط .

ولا يتوهم ان الحديث المذكور آنفاً يدل على ان العلاج غير مطلوب شرعاً فقد وردت
الاحاديث الصحيحة والحسنات لكل داء دواء الا الموت وفي رواية الا اهرم وكثير
من الاحكام الشرعية بنى على قول الاطباء حتى في العبادات . فالاعتماد على قول
الطبيب المدلل في ذلك واجب شرعاً وكذلك غير المدلل ان صدق قلنا كثيراً ما يجزم
بصدق من لم توجد فيه صفات المدالة الشرعية كلها لانا عرفنا صدقه وهوراه بالتجربة

﴿ ابطال المولد الحسيني وغيره ﴾

أمرت الحكومة بابطال المولد الحسيني وغيره لأن الاحتياط الصحي يقتضي بتقليل
الاجتماع والازدحام في أيام الوباء لاسيما . مثل اجتماع الموالد المشتبهة على الفعش والفجور

فبشر عباده الذين يستمقون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداه
الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

بشر عباده الذين يستمقون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداه
الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : إن الاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

مصر في يوم الاربعاء ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٠ - ٢٠ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٢

(الفيلسوف أبو الوائيد محمد بن رشد قاضي القضاة في الاندلس)

هذا الفيلسوف أشهر فلاسفة المسلمين وأكبر أساتذة أوروبا في العلم والفلسفة لأن فلسفته انتقلت من الأندلس (إسبانيا) إلى سائر بلاد أوروبا فكانت مبدأ نهضة الأوربيين الحاضرة . ولد سنة ٥٢٠ في قرطبة . وتوفي سنة ٥٩٥ في بلاد المغرب . وقد انضمت مجلة الجامعة القراء تاريخه وتسكمت عن فلسفته وانتشرت إلى مسائل أخرى كذهب المتكاملين في الوجود والمقابلة بين الاسلام والتسريانية في اضطهاد العلم والفاسفة وعدمه . وقد وقع في تلك الترجمة غلط في هذه المسائل . والانسان دائماً عرضة للخطأ والغلط فيما تصفه وأتقنه فكيف يكون حاله فيما لم يتعلمه بالتلقي عن أهله إذا تسكك أو كتب فيه . وإن صاحب الجامعة الفاضل لم يتعلم علم الكلام الذي هو فاسفة العقائد الاسلامية لأنه ليس مسلماً ولا فلسفة اليونانيين لأنها قد نسخت بالفلسفة العصرية فلا شك عندنا أنه لم يعتمد تسكير القاضي ابن رشد ولا نسبه أنه المتكاملين في العقائد إلى إنكار ارتباط الاسباب بالمسببات . ولكن بعض الذين قرأوا تلك الترجمة في مجلته أساءوا الظن به واحتموا عليه ورعبوا اليها في الرد عليه لأن من وظيفة المنار الدفاع عن العقائد الاسلامية وعن أئمة المسلمين وطلب بعضهم مثل ذلك من بعض اساتذتنا الاعلام ، الذين يرجع إليهم إذا اشتكر من ليل الشبهات الظلام ، ولما رأينا ذلك الاستاذ وعد الطالبين بأن يكتب

في بيان حقيقة تلك المسائل التي وقع فيها الخطأ امسكنا نحن عن الكتابة لأنه هو الأجدر بالفصل بين الحق والباطل . والذي إذا قال لم يترك مجالاً لقائل ، وقد تفضل علينا وعلى الجامعة بما كتب فنشر في هذا الجزء مقالته في فلسفة ابن رشد ومذهب المتكلمين . وسننشر في الأجزاء التالية مقالاته في الاضطهاد في النصرانية والإسلام »
تمهيد لقالة الأستاذ الحكيم : لا بد لفهم قراء النار هذه المقالة من ذكر ما قالته الجامعة في فلسفة ابن راشد لأن كاتب المقالة لم يذكر فيها الا مواضع النقد قالت الجامعة :

﴿ المادة وخلق العالم ﴾

« ان أعظم المسائل التي شغلت حكم قرطبة مسألة أصل الكائنات ، وهو يرى في ذلك رأى ارسطو . فيقول ان كل فعل يفضى إلى خلق شئ إنما هو عبارة عن حركة . والحركة تقضى شيئاً لتحركه ويتم فيه بواسطتها فعل الخالق وهذا الشئ هو في رأيه المادة الأصلية التي صنعت الكائنات منها . ولكن ما هي هذه المادة ؟ هي شئ قابل للانفعال ولا حذله ولا اسم ولا وصف . بل هي ضرب من الافتراض لا بد منه ولا غنى عنه . وبناء عليه يكون كل جسم أبدياً بسبب مادته أى انه لا يتلاشى أبداً لان مادته لا تتلاشى أبداً . وكل أمر يمكن انتقاله من حين القوة إلى حين الفعل لا بد له من هذا الانتقال والاحداث فراغ ووقوف في الكون وعلى ذلك تكون الحركة مستمرة في العالم ولولا هذه الحركة المستمرة لما حدثت التحولات المتتالية الواجبة لخلق العالم بل لما حدث شئ قط . وبناء عليه فالعامل الأول الذي هو مصدر القوة والفعل (أى الخالق سبحانه وتعالى) يكون غير مختار في فعله لأن الحرية والاختيار يقتضيان كونه محدثاً والخالق نزه عن ان يكون محدثاً

﴿ اتصال الكون بالخالق ﴾

« هذا فيما يختص بخلق العالم ، وهو مذهب قريب جداً من مذاهب الماديين كما ترى . ولكن كيف يستولى العامل الأول على الكون ويديره »
« لابن رشد في ذلك تمثيل يدل على حقيقة مذهبه في هذه المسألة الخطيرة . فانه يشبه حكومة الكون أى تديره بحكومة المدينة . فانه كما ان كل شؤون المدينة تتفرق وتسبح إلى نقطة واحدة وهي نقطة الحاكم العام فيها فيكون هذا الحاكم مصدر لكل شؤون الحكم ولو لم تكن له يد في كل شأن من هذه الشؤون كذلك الخالق في الاكون فانه نقطة دأرتها ومصدر القوات الى تدبيرها وان لم يكن له دخل مباشرة

في كل جزء من هذه القوات . فبناء على ذلك لا يكون للسكون « اتصال » بالخالق مباشرة . وإنما هذا الاتصال يكون للعقل الأول وحده وهذا العقل الأول هو عبارة عن المصدر الذي تصدر عنه القوة للعكواكب . وعلى ذلك فالجاء في رأى فيلسوف قرطبة كون حى بل أشرف الأحياء والسكاكيات ، وهى مؤاغة في رأيه من عدة دوائر يعتبرها أعضاء أصلية للحياة والنجوم والكواكب تدور في هذه الدوائر . أما العقل الأول الذى منه قوتها وحياتها فهو في قلب هذه الدوائر ولكل دائرة منها عقل أى قوة تعرف بها طريقها كما ان للانسان عقلا يعرف به طريقه وهذه العقول السكيرة المرتبطة بعضها ببعض والتي تلى بعضها بعضاً محكومة بعضها ببعض إنما هى عبارة عن سلسلة من مصادر القوة التي تحدث الحركة من الطبقة الأولى في السماء إلى ارضنا هذه . وهى عالمة بنفسها وبما يجرى في الدوائر السفلى البعيدة عنها . وبناء على ذلك يكون للعقل الأول الذى هو مصدر كل هذه الحركات علم بكل ما يحدث في العالم .

(طريق الانصال)

« وان قيل ما هى علاقة الإنسان بالخالق . فالجواب عن ذلك يأخذه ابن رشد أيضاً عن ارسطو من الفصل الثالث من كتابه « النفس » وخلاصة ذلك ان السكون عقلا فاعلا وعقلا منفعلا فالعقل الفاعل هو عقل عام مستقل عن جسم الإنسان وغير قابل للامتزاج بالمادة وأما العقل المنفعل فهو عقل خاص قابل للغناء والتلاشى مثل باقى قوى النفس وإنما يقع العلم والمعرفة باتحاد هذين العقلين . ذلك ان العقل المنفعل يميل دائماً للاتحاد بالعقل الفاعل كما ان القوة تقتضى مادة تنفذ فيها والمادة تقتضى شكلاً توضع به . وأول نتيجة تحصل من هذا الاتحاد تدعى العقل المكتسب ولكن قد تتحد النفس البشرية بالعقل العام اعتماداً أشد من هذا فيكون هذا الاتحاد عبارة عن امتزاجها حد الامتزاج بالعقل القديم الأزلى . ولا يتم هذا الاتحاد بالعقل الاكتسابى الذي تقدم ذكره فانما وظيفة العقل الاكتسابى ايصاله إلى حرم الخالق الأزلى دون أن يدعمه به . وأما ادعاه واتصاله به فهذا أمر لا يتم الا بطريق « العلم » فالعلم إذاً هو سبب « الاتصال » بين الخالق والخالق . ولا طريق غير هذا الطريق . ومتى اتصل الإنسان بالله صار مثله عارفاً بكل شئ في الكون ولم يعد يفته شئ . ولكن كيف يتصل الإنسان بالله ؟ يتصل به بان ينقطع إلى الدرس والبحث والتفكير ويحرق بنظره حجب الاسرار التي تكتمف السكون فانه متى حرق هذا الحجاب ووقف على كنه الأمور وجد نفسه

وجها لوجه امام الحقيقة الابدية

« اما التصوفة فانهم يقولون ان هذا « الاتصال » يتم بواسطة الصلاة والتأمل والتجرد وليس العلم ضروريا له

« وبناء على ذلك تكون فلسفة صاحب الترجمة عبارة عن مذهب مادي قائده العلم . والكون في رأيه كما مر بك إنما صنع بقوة مبادئ قديمة مستقلة محكومة بعضها ببعض وكلها مرتبطة ارتباطاً بهما بقوة عليا ومن هذه المبادئ شئ يستولى على العالم وينزع فيه العقل فهو عقل الانسانية . وهذا الشئ الذي يسميه عقلاً أيضاً هو عقل ثابت لا يتغير أى انه لا يتقدم ولا يتأخر لا يزيد ولا ينقص . والناس يشتركون فيه ويستمدون منه بكميات متباينة . على أن من كان منهم أكثر استمداداً منه كان أقرب إلى الكمال والسعادة »

(الخلود)

ثم تسكمت الجامعة بعد ما تقدم عن رأى ابن رشد عن خلود النفس فقالت بعد كلام ما نصه : « قال : ان العقل الفاعل العام الذى تقدم ذكره « من صفاته انه مستقل ومنفصل عن ثلاثة وعين قابل للفناء . والملاشاة ، والعقل الخاص المنفصل من صفاته الفناء ، مع جسم الإنسان ، وبناء عليه يكون العقل العام الفاعل خالداً والعقل للمفعل قايماً ، ولكن ما هو العقل الفاعل للعام الذى هو خالد في رأى ابن رشد » ان هذا العقل الخالد هو العقل المشترك بين الإنسانية فالإنسانية اذاً هي خالدة وحدها دون سواها ، وبناء على ذلك لا يكون بعد الموت حياة فردية ولا شئ مما يقوله المائدة عن الحياة الثانية » اهـ

(دفع وهم عن فلسفة ابن رشد والمتكلمين)

(لأستاذ حكيم ، وفيلسوف عليم)

قرأت ما نشرته الجامعة من ترجمة ابن رشد . مرت على ما نقلت من آراء المتكلمين وآرائه بغير تدقيق لأننى أعرف آراء الفريقين من قبل ولم يكن لى قصد إلى القصد وإنما أريد أن أستفيد جديداً . لهذا لم أهدف نظرى لأول وهلة الاعلى ماحوته تلك الجملة (الاضطهاد في النصرانية والإسلام) قرأها بتروء وانتهيت منها إلى حكم من الجامعة يخالف ما اعتقد

ولا يلتزم مع ما أعرف ويصرف المارفون من الشواهد التاريخية ، عنه ذلك تخرجت نفسي إلى كتابة سطور ، أشير فيها إلى كشف مستور ، أو إعادة ذكر مشهور على أسماع الجمهور .

لا فاني بعض قراء تلك الترجمة فرأيت الأثر في نفسه أشد ، ولسانه في الغيب أحد . وذكر أُمَيَّاء في غير هذا الفصل من الترجمة ولَقَّتَنِي إلى إعادة النظر فيها رجعت إلى الترجمة فوجدت فيها موضحين آخرين يظنن من الكلام عنهما ، وبأن أحاديث الجامعة فيها لو كانت منزلة الجامعة من نفس منزلة غيرها من المجالات التي لا بُدَّ أن كاتبوها لا ينقل ما يقع تحت أنظارهم ، أو تحيّر ما يمر عن أهوائهم وأفكارهم ، من دون عناية بتقرير الحقيقة ، ولا رعاية لمتطلبات القراء - لوجدت من شواغل عملي ما يصرقني عن ذكر ما عرض فيها ، لكنها من المجالات التي لو أهملت مباحثها من إنسام النظر وجعلتها في جانب مما تستحقه من النقد ليخمسها حقها ، ونُبِوتُ بها عن موضعها .

لهذا رأيت أن أذكر لها ما رأيت في ذينك الموضعين وأبين حقيقة الأمر في الثالث . أما الموضمان فهما : (فلسفة المتكلمين وآراؤهم في الوجود) و (فلسفة ابن رشد وآراؤه في خلق العالم واتصال الكون بالخالق وطريق اتصال الإنسان به والخلود) وهما موضوع كلامي اليوم « فلسفة المتكلمين وآراؤهم في الوجود »

قالت الجامعة « فلسفة المتكلمين هذه (أي في وجود العالم) مبنية على أمرين . الأول حدوث المادة في الكون أي وجودها بخلق خالق . والثاني وجود خالق مطلق لا يحرف في الكون ومنفصل عنه ومبهرج له

وبما أن الخالق مطلق التصرف في كونه فلا تسأل إذاً عن السبب إذا حدث في الكون شيء لأن الخالق نفسه هو السبب وليس من سبب سواء. إذاً فلا يلزم عن ذلك قطعياً أن يكون بين حوادث الكون روابط وعلاقات كأن ينتج بعضها عن بعض لأن هذه الحوادث تحدث بأمر الخالق وحده. وفي الإمكان أن يكون العالم بصورة غير الصورة المصور بها الآن وذلك بقدرة هذا الخالق. ثم ذكرت في الجملة التي تلي ما تقدم أن هذه قوضى، وأن رجلاً جديداً قد دخل شيئاً من النظام فيها^(١).

حدوث المادة عند المتكلمين ليس منتهى أن تكون يخلق خالق فإن الخلق في اصطلاحهم هو الإيجاد وكون المادة صادرة عن موجد لم يختلف في علم الكلام والفيلسوف الإلهي. فأرسطو يقول إن المادة قد استفادت وجودها من موجدها وهو الواجب. وواسطة فيض الوجود عليها هو العقل الفعال على ما سيأتي بيانه وإن كان لا أول لوجودها وإذ حدثت المادة عند المتكلمين هو وجود الأجسام وعوارضها بعد أن لم تكن موجودة بحيث يفرض لوجودها بداية زمانية تنتهي إلى الاستلزام من جانب الماضي. ولا يجوز أن يوصف بالآزلية إلا الله وحده صفاته عند القائلين بأنها وجودية. وقبل هذه البدايات التي لا يتكلم بها أهل النظر وجود سوى وجود خالق الكون ثم إنه أرسطو إيجاد الكون فأرجعه من عدم البحث. هذا هو بناء مذهب المتكلمين وهو مذهب أهل النظر

(١) ذكرت الجامعة الغراء أن جميع هذا الروح الشكافي في مجلة تبار واستشهدت لذلك التفسير الذي تقيسه من دروس الاسماء الإمام كبير رجل النهضة الإسلامية الحاضرة

من المسيحيين واليهود أيضاً فلم يخالف فيه ملى من أهل الملل الثلاث .
أما كون هذا المذهب وحده هو الذي يصح أخذه من القرآن أو
أنه يجوز أن يتفق مع معاني القرآن رأى آخر بل هو الذي يظهر منه فذلك
ببحث آخر لسنا بصدد الآن فإن كلامنا في تصوير مذهب المتكلمين .
الأصل الثاني - وهو وجود خالق مطلق التصرف - لازم للأصل
الأول لأن هذا العالم إذا كان موجوداً بفعل موجد فوجده هو خالقه
وهو مطلق التصرف بمعنى أنه يختار ما يخلق على الوجه الذي يخلق .
والمتكلمون وإن اتفقوا على أن خالق العالم مختار انقسموا إلى فريقين
عظيمين فالقدرية منهم ويسمّون بالمعتزلة أيضاً قالوا : إن الخالق وضع
للكون نظاماً تنطبق أصوله على مصالح المخلوقين وأودع في المخلوقين
قوى أو قُدراً تصدر عنها آثارها بطريق التوليد والسببية أو بطريق
الإرادة والاختيار . فهذا فريق من المتكلمين لا يخالف الفلاسفة في قولهم
بلزوم الآثار لمصادرهما أو تأثير قدر المخلوقين في أفعالهم . وقد بقي من
أهل هذا المذهب إلى اليوم طائفة الشيعة الإمامية والزيدية فإنهم لا
يخالفون المعتزلة في هذه الأصول . فإذا حدث في الكون حادث سأل
صاحب هذا المذهب عن سببه المباشر وإن كانت جميع الأسباب تنتهي
إلى مصدرها الأول وهو الخالق كما يسأل الفيلسوف بلافرق .

والفريق الآخر الذي عنته الجامعة وهو الذي يرى إسناد الآثار إلى
الخالق مباشرة لم يقطع العلاقة بين الأسباب الظاهرة ومسبباتها بل قال
إن الله يُصدر وجود المسبّب عند وجود السبب فلا يقال : إن الأكل
(مثلاً) هو الذي يحدث الشبع بل الشبع شيء يحدثه الله عند الأكل ولكنه

لا يحدّثه عند الخوى إلا إذا أراد أن يخرق النظام الذي جرت به سنته
 لأمر عظيم يريد توجيه النفوس إليه . وتحمّل هذا الفرق على هذا القول
 إنكاره نسبة الإيجاد ومنح الوجود إلى شيء سوي واجب الوجود وقالوا
 في الأفعال الاختيارية إن الله يوجدها عند تعلق كسب العبد بها ولهم في
 تصور معنى الكسب كلام طويل لا يليق بهذا المقال استيفاءً . وقالوا
 إن الأسباب والآلات لا بد منها في صدور الأثر إلا أن الذي يعطيه
 الوجود عند استكمالها هو الخالق ، ولهذا اتفق جميع المتكلمين على أن
 التكليف بالأحكام الشرعية يعتمد التمكن من الإتيان بالمكلف به من
 حيث حال المكلف وصرحوا بأنه لم يقع تكليف بشيء إلا إذا تيسرت
 أسبابه وارتفعت الموانع منه ، غير أنهم يقبّون هذه الأسباب بالعادية لأنه
 ليس من الواجب على الخالق أن يلتزمها مع اعتقادهم بأنه قررها وجرت
 سنته بها . ولقبوا ما يحدث في العالم مخالفاً لما يخرق المادة . وليس كل
 غريب عندهم خارقاً للمادة بل الخارق هو الذي يدخل في مكنة قوه حادثه
 ولا يقدر على إحداثه إلا نقاد . على مخالفة النظام الذي سنّه وهو الله

هذا الفريق من المتكلمين يستند في إثبات صفة العلم لله تعالى إلى ما
 هذا العالم من النظام وإلى ما حواه ذلك النظام من الأسرار والحكم وهل
 يتأتى هذا الاستناد منهم إن لم يقولوا بوجود الملافة بين الأسباب وسببها
 كال من هذا الفريق آفة تناول بحججهم كثيراً من الفنون كالطب ، ما من
 المواليد الثلاث الحيوان والنبات والمعدن منهم الأعمه الرارزون كغفر الدين
 الرازي وأبي بكر الرازي ومحمود الرازي وأمثالهم ومهم مثل الإمام
 أبي بكر الباقلائي . وكيف ييسر نقائل أنه لا علاقة بين الأسباب

والمسببات أن يبرع في فنون بناؤها على الارتباط بين الآثار وما يقارنها في العادة مما هو مصدر لها في بادئ النظر.

فإذا حدث في الكون حادث سأل صاحب هذا المذهب عن سببه الذي جرت سنة الله بأن يكون معه وإن شئت قلت سأل عن السبب الذي أصدر الله وجوده عنده . وهل يمكن أن يقول المتكلم أنه لا علاقة بين وجود الولد ووجود والديه أو بين جودة العمل وعلم العامل أو بين غزارة الثمر وخدمة الشجر ؟ هذا شيء لم يقل به قائل منهم قط وإلا لما قرأ واحد منهم كتابا ولا خبط في صحيفة سطر لأنه لا علاقة بين المطالعة والفهم ولا بين التحرير والأفهام .

فإن شئت أن تقول إنه مذهب مع ذلك غامض يكذب ذهن في فهمه فلك أن تقول وأن تنعم النظر حتى تفهم مبانيه وأصوله وأن تناقش بالدليل الدليل . وعلى الله قصد السبيل .

القول بنفي الرابطة بين الاسباب ومسبباتها جدير بأهل دين ورد في كتابه أن الإيمان وحده كاف في أن يكون للمؤمن أن يقول للجبل تحوّل عن مكانك فيتحول الجبل^(١) يابق بأهل دين يمدّ الصلاة وحدها إذا أخلص المصلّي فيها كافية في إقداره على تغيير سير الكواكب وقلب نظام العالم المنصرى وليس هذا الدين هو دين الإسلام دين الإسلام هو

(١) الله . . . يشير إلى ما جاء في إنجيل لوقا من الباب ١١ « ٢٣ » لأنّي الحق أقول لكم ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن ان ما يقوله يكون فمّا قال يكون له . ٢٤ لذلك أقول لكم كلما تطلبونه حينما تمشلون فآمنوا أن تتألبوه فيكون لكم »

الذي جاء في كتابه «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم» الآية «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» الخ «سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا» وأمثالها «ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار» الآيات . فلا يمكن لأهل هذا الدين وهو هو أن يقطعوا كل علاقة بين الأسباب في هذا العالم والمسببات ولهم أن يتيهوا على أبواب ذلك الدين الآخر بأن دينهم لا يوضع أساسه على دعوى من الخوارق لا يثبت أن يحسف بالسالك فيه إذا سال عليه سبيل الدليل ، وإنما وضع على مستقر من الحقائق لا يتزلزل بالقائم عليه مهما عظم القال والقبل ، وليس من الممكن لمسلم أن يذهب الى ارتفاع ما بين حوادث الكون الترتيب في السببية والمسببية الا إذا كفر بدينه قبل أن يكفر بعقله .

نعم طرأ فساد على عقائد بعض المنسبين الى ائمة ذلك المذهب وأساؤا الظن بالفدرو تظاهروا وابتترك الأسباب في أقوالهم ، وان كانوا أشد الناس تمسكاً بها في ردائل أعمالهم ، وتعلقوا من الخوارق بحبل وهن ميلا إلى أهواء من جاورهم من الملل فظن الناظرون في قذائف أفواههم ، ان هذه الأوهام مما بنى عليهم اعتقاد أسلافهم ، فلا يفترون بعد ذلك معتقداً يظن أولئك الناظرون ولا بما يتوهمه هؤلاء الواهون «سبحان رب العزة عما يصفون» . هذا ما يتعلق برأى الجامعة في مذهب المتكلمين أو فلسفتهم وانتقل الآن إلى روايتها مذهب الفيلسوف ورأيها فيه .

(فلسفة ابن رشد ورأيه في المادة وخلق العالم)

المادة وخلق العالم قالت الجامعة: إن المادة «ضرب من الافتراض لا بد منه» الافتراض يراد به عند الإطلاق الفرض وهو في اصطلاح

الفلاسفة مالا وجود له والمادة عندم موجودة كما قالت الجامعة فيما قبل ذلك التبريد وفيما بعده .

ثم قالت : « وبناء عليه فالمامل الأول الذي هو مصدر القوة والفعل (أى الخالق سبحانه وتعالى) يكون غير مختار في فعله لأن الحرية والاختيار يقتضيان كونه محدثا والخالق ينزه عن أن يكون حديثا » . وقالت بعد هذا بسطرين : « وهو (أى مذهب ابن رشد) مذهب قريب جدا من مذاهب الماديين كما ترى » ثم ذكرت أن الفلاسوف يشبهه حكومة الكون بحكومة المدينة وأن المباشرة لا تصرف في الكون هو العقل الأول وحده وأن السماء كون حتى مركب من عدة دوائر والعقل الأول في قلب هذه الدوائر والكل دائرة « قل أى قوة تعرف بها طريقها » الخ أما مسألة نفي الاختيار فقد ذكرت عليها إبهامها يؤدى ذكرها كذلك الى استنتاج ان مذهب ابن رشد قريب من مذهب الماديين وليس الأمر في حقيقته كذلك .

يعلم كل ناظر في مذاهب فلاسفة اليونان أنهم كانوا فريقين إلهيين وماديين والأولون فريقان مشاؤون وإشراقيون والثانيون أتباع أرسطو باسم المشائين وأتباع أفلاطون باسم الإشراقيين .

وأول مميز للإلهيين عن الماديين أن الأولين يقولون بوجود واجب يرى من المادة والمديات بوجود عقول مجردة عن المادة وغواشيها وبأن الواجب علما بذاته وبجميع ما يصدر عنه وعن آثاره وإن للمعقول المجرد عقلا علما بذواتها وبمبادئها وما يصدر عنها . والماديون لا يقولون بشيء من ذلك أبته فالتقريب بينهما تقريبا بين النقيضين . وابن رشد من

مقرر من مذهب أرسطو فهو من الإلهيين .

وتشبيهه الفيلسوف لتدبير الكون بتدبير المدينة الأكبر دليل على مفارقة الماديين كما يفارق المجرد والمادة وقد شرطوا في هذا التشبيه أن المدبر خارج عن المدبر مفارقة له منزّه عن مخالطته .

أما العقل الأول فليس كما تقول الجامعة . فإن العقل الأول جوهر مجرد عن المادة وهو أول صادر عن الواجب وقد صدر عنه الفلك التاسع المسمى عندهم بالفلك الأطلس ونفس ذلك الفلك تدبر مركبة الحزني وعقل آخر هو العقل الثاني وعن هذا الثاني صدر الفلك الثامن المسمى عندهم فلك الثوابت ونفسه والعقل الثالث وهكذا إلى أن صدر عن العقل التاسع فلك القمر ونفسه والعقل العاشر وهو المسمى عندهم بالعقل الفعال أو العقل الفياض وعن هذا العقل صدرت المادة المنهوية واليه يرجع ما يحدث في عالمها . ولا يكون العقل الأول ولا غيره من العقول في قلب تلك الدوائر عند أحد من هؤلاء الفلاسفة الإلهيين بل هو مفارق لها كما أن نفوسها جواهر مفارقة أيضاً ولها تعلق بأجسادها كتماق أنفسنا بأبداننا على ما سيأتي بيانه .

والذي حمل الإلهيين على ذلك مبالغتهم في تنزيه الواجب وقولهم إنه واحد من جميع الوجوه وزعمهم أن الواحد من كل وجه لا يصدر عنه إلا الواحد فيلزم أن لا يصدر عن الواجب إلا واحد وهو الفاعل الأول . ولما تعددت وجوه الفاعل في ذاته والنسبة بينه وبين مصدره الماقلة لذاته وعقله لموجده صح أن يصدر عنه متعدد . ولهم في الاستدلال على حياة الأفلاك مقدمات لا حاجة إلى ذكرها لأن الكلام في تصوير مذهبهم

لا في تقريره أو إبطاله

فالمقول عند الفيلسوف ليست مخالطة للمادة ولا يفشها شيء من
ظلماتها وليس العقل الاول بمدير الكون وإنما هو مصدر الفلك الاعلى
ومفيض نفسه عليه وخزانة مقولاته . وهكذا الأمر في كل عقل مع الفلك
الذي صدر عنه وتدير العالم المنصرى وهو ما دون فلك القمر راجع الى
العقل العاشر وهو العقل الفعال .

قال الفلاسفة الإلهيون: ولا يجوز أن تكون لأفعال الله غايات واغراض
تبعثه على إصدارها وإن ما يصدر عنه إنما يفيض بمحض الجود المطلق عن
غنى مطلق وقد صرح ابن رشد في تهذيبه للإلهيات أرسطو وبذلك وهذا
مبالغة منهم في نسبة الكمال إلى الله على أن ما يصدر عنه إنما يصدر عن علم
فالقدي ينفي عنه أنما هو الاختيار بمعنى التردد بين الغايات ثم ترجيح إحداها
أما الاختيار بمعنى أن الفعل صدر عن علم العالم بدون إكراه عليه فذلك
لا ينفيه أحد منهم . والمليون من متكلمي ولاهوتيين وإن لم يصرحوا
بذلك قالوا بما يؤول اليه والتزموه فقد ذهب جمهورهم والمؤول على رأيه
عند قومه منهم أن علم الله محيط بالكليات والجزئيات أزلاً وأبداً وقد
تعاقت إرادته بتخصيص كل كائن بما هو عليه على حسب علمه وعلمه لازم
لذاته أزلي بأزلية ذاته وكل ما يكون في الكون لابد أن يقع على وفاق مع
علمه الأزلي جل شأنه فلا تردد عنده بين الغايات بل ما يصدر عنه اليوم كان
لابد أن يصدر عنه . والأسباب والمسببات وارتباط بعضها ببعض مما
انتظم في علمه فهي تصدر عنه على حسب ترتيبها في العلم . وسواء كان القول
غامضاً أو غير غامض وسواء توجه عليه من النقد ما يصيب الجواب عنه

إذا روعيت بقية الأصول أو لم يتوجه كل ذلك لا يدفع عنهم أنهم قالوا بنى الاختيار بالمعنى المعروف عند الناس وإن ثبت الاختيار بالمعنى الذى يليق بكمال الله تعالى فالفلاسفة وجمهور المتكلمين واللاهوتيين على وفاق في حقيقة المسألة وإن اختلفت العبارات . فإن رشد رحمه الله لم يخرج في آرائه عن المليون فلا يصح أن يكون مذهبه مذهب الماديين ولا قريباً منه .

طريق الاتصال

يتوهم الناظر في هذا العنوان في الجامعة مع مراعاة الفصل الذى تقدمه فيها أنه عنوان لرأى ابن رشد في طريق اتصال الكون بالخالق فإذا استمر في قراءة ما بعد العنوان الى آخر الفصل علم ان المراد طريق اتصال الانسان وحده بخالقه وعثر في آخر البحث على هذه العبارة : « وبناء على ذلك تكون فلسفة صاحب الترجمة عبارة عن مذهب مادى قاعدته العلم » : اما ما بين العنوان وهذه العبارة فهو مما لا يمكن أن يتحصل له معنى مفهوم في مذهب الفيلسوف . وإنى ذا كرر لك رأيه في اتصال الإنسان بالله أى قربه منه وسماذته به وفي طريقة تكميله لنفسه حتى يسعد لذلك القرب وبذلك تعرف أن ما جاء في الجامعة ليس بالذى تصح سببته اليه خصوصاً بمدقوها إنه أخذ مذهبه في ذلك عن أرسطو من الفصل الثالث في كتابه (النفس) وما قاله أرسطو في ذلك الكتاب معروف مشهور .

اثبت أرسطو وتبعه ابن رشد وجل فلاسفة الإسلام أن نفس الإنسان التى هو بها إنسان وهى ما يقبونها بالنفس الناطقة --- جوهر مجرد عن المادة لا هو جسم ولا حال في جسم وإنما له علاقة بالجسم يديره ويصرفه وشبهوا هذه العلاقة بعلاقة الملك بالمدينة وهو خارج عنها ولهذا

النفس آلة في الجسم بها يكون التدبير
وقالوا ان انطباع المحسوسات والممانى الجزئية في الحواس الظاهرة
والباطنة على ما فصلوه يمد النفس لقبول الكميات ويهيئها لتلقي
المعقولات عن مفوضها عليها وهو العقل الفعال الذي سبق لنا ذكره
وجعلوا مراتب النفس في استحصالتها كمالها العلمي وبلوغها ذروته
اربعا (الأولى) العقل الهبولاني وهو قوة استمداد النفس نحو المعقولات
وتسميته عقلا تسمية مجازية و(الثانية) العقل بالملكة وهي القوة التي تحصل
لنفس عند حصول المعقولات الأولى مثل الجزء والكل ومثل الحكم
بأن الأول أصغر من الثاني ومثل النفي والاثبات والحكم بأنهما لا يجتمعان
في محمول واحد لموضوع واحد . وكذلك كل ما خلص من محسوس وهو
لا يحتاج في تخليصه إلى فكر ، والنفس تنهياً بهذه القوة لا اكتساب
المعقولات الثانية إما بالفكر . وإما بالحدس وليس الحدس هو الظن كما
هو في المشهور بل هو سرعة انتقال النفس من المبادئ إلى المطالب أو
انتقال النفس من المعلومين إلى الوسط الذي يصل بينهما ومن ذلك إلى
معلوم ثالث بلا تجشم نظر ولذلك جعل مقابلاً للفكر الذي هو النظر
بمعينه ؟ و (الثالثة) قوة تسمى العقل المستفاد وهي أن تحصل المعقولات
الثانية بالعقل متمثلة كالأولى مشاهدة في الذهن . والرابعة قوة تسمى
(العقل بالفعل) وهي ما به تتمكن النفس من استحضار المعقول
المكتسب المفروغ منه متى شاءت من غير افتقار إلى اكتساب
قالوا والذي يرقى بالنفس في هذه المراقي هو العقل الفعال وهو ذلك
العقل العاشر المصروف للمادة المنصرفة لأعقل الإنسانية العام كما تقول الجامعة

فإن أرسطو وابن رشد لا يقولان بعقل يسمى عقل الإنسانية العام بل كان ذلك من مزاعم أفلاطون التي عني أرسطو بإبطالها وتبعه ابن رشد وغيره في نفيها . فالعقل الفعال هو الذي يخرج النفس من العقل الحيواني إلى العقل بالملكة ومن العقل بالملكة إلى العقل المستفاد ومنه إلى العقل بالفعل ولما كان العقل الفعال جوهرًا عقليًا بالفعل كانت المعقولات بأسرها حاصلة له بالفعل أما نقوسنا فهي عقول بالقوة ولكنها إذا استمدت استعداداً خاصاً للاتصال بذلك العقل أي بالإقبال عليه وتوجيه وجهتها نحوه ارتسم منه فيها الصور العقلية الخاصة بذلك الاستعداد الخاص لأحكام خاصة . وإدراك المماني الجزئية بواسطة الحواس وحركة النفس في المعقولات الأولى والبحث والتجربة والدرس وما ينبج هذا النحو كل ذلك من محصلات الاستعداد لقبول المعقولات في الموضوعات التي كان الاستعداد فيها . فإذا أعرضت النفس عن العقل الفعال والتفتت إلى جانب الحس أو إلى صورة أخرى غير التي حصلت لها بذلك الاستعداد انعج الممثل الذي كان أولاً كأن المرأة التي كان يحاذي بها جانب القدس ، قد أعرض بها عنه إلى جانب الحس ، أو إلى شيء آخر من الأمور القدسية .

قالوا : وهذا الاتصال الذي يفيض به العقل الفعال على النفس ما استعدت له من المعقولات له علة وعاتته قوة بعيدة هو العقل الحيواني وقوة كاسية هي العقل بالملكة وقوة تامة الاستعداد لها أن تقبل بالنفس جهة الإشراف متى شامت بتلك متمكنة وهي المهيبة بالعقل بالفعل

ثم إن الفيلسوف وأتباع مذهب أرسطو ذكروا آراء بعض الفلاسفة ممن لا يمتد بقولهم وفيها ما يشبه ما نسبته الجامعة لابن رشد منها أن الجوهر

المائل إذا عقل صورة عقلية صار هو إياها . واستدلوا على استحالة هذا القول بأنه يلزم عليه أن يصير النفس جميع المقولات التي تحصل لها وتصير المقولات كلها مقولاً واحداً بل يلزم عليه انعدام النفس ووجوده ما عقلته أو استحالة النفس إليه وهو محال وخلاف الفرض . وتلقوا عن فرغوريوس أنه قال : إن النفس الناطقة إذا عقلت شيئاً فإنما تعقل ذلك الشيء باتصالها بالمقل الفعال وهو حق في رأيهم ولكنه قال إن معنى اتصالها بالمقل الفعال أن يصير هي نفس المقل الفعال لأنها تصير المقل المستفاد والمقل الفعال يتصل نفسه بالنفس فيكون المقل المستفاد . وقد أبطلوا هذا القول بأنه يستلزم أن يكون المقل الفعال متجزئاً قد يتصل منه شيء دون شيء وهو مجرد لا يتجزأ أو تتصل به النفس اتصالاً واحداً تكون به النفس كاملة واصله إلى كل مقول وهو ليس بحاصل في جميع الأحوال وقالوا إن دعوى اتحاد شيء بشيء آخر على معنى استحالة الأول إلى الثاني قضية شعرية غير مقولة فلا يصح النظر فيها . أما استحالة النفس إلى المقل الفعال فلم يقل به أحد .

فقد عرفت من هذا أن اتصال النفس بالمقل الفعال ليس معناه البناء فيه أو الاندغام كما عرفت الجامعة بلا مناد أن ترتفع النفس بقوامها عن ظلمة الضيعة بما يكون لها من الاستمداد وتجذب نحو المالم الأعلى فتشرد فيها المعلومات بمحاذاتها لمطامع ذلك النور الأجل ، فهل مع هذا يصح أن يقال : إن النفس الناطقة غير مقولة ؟

فإنه ليس هو فوضيعة إن النفس الناطقة التي هي موضوع التصورة المحركة من مطبعة في جسم تقوم به على هي جوه من عقل ذو آلة بل هي

فاذا امتحال الجسم عن أن يكون آلة لها وحافظاً للعلاقة معها بالموت لم يضر ذلك جوهرها بل تكون باقية عما هي مستفيدة الوجود من الجوهر العقلي . فالنفس بعد مفارقتها للبدن باقية على استقلالها لا تنضم شخصيتها بالقضاء في شيء سواها لا عقل فمال ولا وجود واجب وهي تسعد بكمالها المسمى والأدبي الذي حصلته مدة تعلقها بالبدن . وجوز الفيلسوف أن تعلق بعد فراقها للبدن بجسم آخر من عالم آخر تتخيل فيه ما هو لذتها . وتشق بحملها ورداءة ملابسها . فالنفس عند الفيلسوف باقية خالدة . خلودها خلود لشخصها المتميز من كل شيء سواها سواء كان عقلاً فمالاً أو غيره . فهل بهذا هذا يدعى الفيلسوف مادياً ومذهبه مذهباً مادياً قاعدته العلم ؟ لا بل هو إلهي ومذهبه مذهب إلهي قاعدته العلم قائل بخلود النفس وسمادتها وشقاؤها وعذابها ونعيمها كما رأيت .

بقى علينا أن نشير إلى ما نقله فلاسفة أوربا عن الفيلسوف الجليل ابن رشد في مبدء العلم ومصدر وجوده . قالوا لم يكن يُعرف العلم والفلسفة عند الأوربيين إلا في مدارس المسلمين في إسبانيا فكان يقصد تلك المدارس طلاب العلم من كل ناحية كان يجلس في درس الفيلسوف عند عظيم لم تأت نهاية القرن الثاني عشر (الميلادي) إلا وقد انتشر بين المسلمين بشو من العلم رأى زرع طمأنينة الكثرة ثم أفرغ القبايض على مفاتيح الغلوب بذلك التويت الواقفين على أبوابها يأتون من الشاؤون المقائد والأفكار أن يدخل فيها ويظربون عنها ما لا يلائم إلى أي أخذ ينسحب إلى تعريبهم حجابهم عن الحقائق أجمع برسمه ورسوله إلى واحد هو حيلة الكل وهو روح يسوم به كل جزء منه . وقالوا إنه

الذي نشر هذا المذهب بين الناس ثم تلازمة ابن رشد قههم بعض علمائهم من ذلك أن ابن رشد كان يقول إن مبدأ العالم هو أصل عرضته له صور العالم أو روح ظهر في مظاهر الكائنات كما يقول الصوفية أو نحو ذلك، واستنتج هذا رأياً آخر وهو أن كل صورة من صور الموجودات إذا بطأت فإنما تعود إلى أصلها وهو الوجود المطلق وظن الواهم أن الأرواح تعود إلى مفارقة الأجسام إلى مشرقها العام، وتفقد امتيازها فيه، وذلك كله وإن ذهب إليه بعض النظار من الأوربيين غير ما يقول ابن رشد. أما ما يقول ابن رشد فهو كما ترى :

قال ابن رشد وكل من تابعه على رأيه ولم يخالفوا في ذلك أرسطو أن الممكن لا وجود له في ذاته وإنما يستفيد الوجود من غيره وقد كانوا قالوا إن جميع مافي الكون ماعدا واجب الوجود المبرأ من المادة وغواشيها فهو ممكن فكل مافي العالم فهو مستفيد الوجود من غيره فذلك الغير إن كان ، كئنا فكيف يسطي الوجود وهو لا وجود له إلا من غيره فإذا استمد منه مستمد فإنما يستمد من فضل ذلك الوجود الذي جاءه من موجدته إلى أن ينتهي إلى الوجود الأول . فكل وجود سطع على الممكنات فهو فائض من وجود الواجب فلا وجود إلا من وجوده أو كل وجود فهو شماع لضيائه وجوده فإذا حرر المعنى من هذا على وجه أمكن عند العقل وجده يرجع إلى ما قاله السيد الشريف من أنمة أهل السنة وغيره وهو إن الممكن ليس بشيء في ذاته ثم يكون شيئاً بالإيجاد . والإيجاد لو حقيقته أمر اعتباري انزاعي له منشأ في الواقع وذلك المنشأ هو ذات الموجد وماهية الوجود الممكن التي صارت شيئاً تلك السببية الإلهية

حينها ~~ويكون وجودها~~ وهي ما يمتنعونه تطاق القدرة بالقدر. وما هي الممكن
ليست تجوز ولا الوجود أمر موجود قائم بها. فإذا ليس من وجود
قصر الأمر إلا وجود الواجب فكان الوجود الحقيقي واحداً وسبب
ما يسمى وجوداً أو موجوداً فإما ينال ذلك بالإضافة إلى الوجود الحقيقي
وأولى بالتسمية أن تكون مجازة من أن تكون حقيقية.

مع ذلك لا يزال صاحب هذا القول يعتقد بتجرد الواجب عن
المادة والمدة إلا أن من تلقفه منه توسع فيه حتى كان من ذيله رأى
القائلين بأن الموجد الأول روح سار في العالم وإليه يرجع كل أشخاصه
لنقاء شخصيتهم فيه وما هو برأي ابن رشد ولا يفرقه

على أن الصوفية وم المصرحون بوحدة الوجود المبرون بالشهود
أولاً والقضاء آخر الأناطون في ذلك بما لم ينطق به أحد سواهم لم يقولوا
بزوال هويّات النفوس زوالاً حقيقياً بل قالوا: إنها خالدة بعد مفارقة
الأبدان ولكنها تسد في غلورها باستغراقها في شهودها، وذهولها عن
كل ما يشغلها عن مصدر وجودها، فهي غيبة برقائه عن معرفتها بنفسها
وهو ما يبرر عنه بالقضاء ولقائه، والمعروف بهجته، وهو معنى تنصرون
إليه كما في البازنخ، وإن كفى في شرحه لأهل أخى الإشارات.

وقال الجامعة لا تكتب على الكتاب فيما كتب، ولما أجاب به من طلب،
فقد وقى عنها لما ألغى مع علماء بالقدرة عليه. لكن لما أن توجه القتب إليه
هذا ما أوردنا إيجاز القول فيه متعلقاً بفلسفة التكلمين ورأى
الفيلسوف وسبقه يقال آخر فيما حكمت به الجامعة من الكلام، على
الشيء الذي ~~يكونه~~ الإسلام، إن شاء الله تعالى.

تمة الاجتماع الخامس لجمعية أم القرى

قال (المحدث البني) اننا معشر أهل اليمن ومن يلينا من أهل الجزيرة كما اننا لم نزل ببيدين عن الصنائع والفنون فكذلك لم نزل على مذهب السلف في الدين بيدين عن التفنن فيه ومسلكنا مسلك أهل الحديث وأكثرنا يخرج الأشكال على أصول اجتهاد الإمام زيد بن طي بن زين العابدين أو أصول الإمام أحمد بن حنبل واني أذكر للاخوان حالتنا الاستهدائية عسى ان الذكرى تنفع المؤمنين . وعسى أن يطم السامعون ولاسيا الأتراك ومن يحكون أنامن أهل السنة لا كما يوهمون أو يشبهون فأقول ان المسلمين عندنا على ثلاث مراتب العلماء والقراء والعامة .

فالطبعة الأولى (العلماء) وهم كل من كان متصفاً بخمس صفات

(١) أن يكون عارفاً باللغة العربية المضرية القرشية بالتعلم والزواولة معرفة كفاية لفهم الخطاب لا معرفة إحاطة بالمفردات ومجازاتها وقواعد الصرف وشواذها والنحو وتفصيلاته والبيان وخلافاته والبديع وتكلفاته بما لا يتيسر إقناعه إلا لمن يفنى ثلثي عمره فيه مع أنه لا طائل منحه ولا لزوم لأكثره إلا لمن أراد الأدب .

(٢) أن يكون قارئاً كتاب الله تعالى قراءة فهم للمبتادر من معاني مفرداته وتراكيبه مع الاطلاع على أسباب النزول ومواقع الكلام من كتبها المدونة للأخوذة من السنة والآثار وتفسير الرسول عليه السلام أو تفسير أصحابه عليهم الرضوان ومن المعلوم أن آيات الأحكام لا تجاوز المائة والخمسين آية عدداً (١)

(٣) أن يكون متضلعا في السنة النبوية المدونة على عهد التابعين وتابعيهم أو تابعي تابعيهم بدون قيد بآلة ألف أو مائة ألف حديث بل يكفي ما كفي مالك في موطنه وأحمد في مسنده ومن المعلوم أن أحاديث الأحكام لا تجاوز الألف وخمسة مائة حديثاً بدأ (٢)

(٤) أن يكون واسع الاطلاع على سيرة النبي وأصحابه وأحوالهم من كتب السيرة القديمة والتواريخ المعتبرة لأهل الحديث كالحافظ الذهبي وابن كثير ومن قبلهم كابن جرير وابن قتيبة ومن قبلهم كمالك والزهري واضرابهم .

(٥) أن يكون صاحب عقل سليم فطري لم يفسد ذهنه بالمنطق والجدل التعليميين (٣)

(١) قد أحاط بها التفسير الأحمدي الهندي (٢) وقد أحاط بها الإمام الشوكاني البني (٣) قد حقق القريون ان لا ثمرة من المنطق كليا فأهملوه مع انهم يقتنون بالبحث عن وسائل تفاهم المعجوات ا هـ من الأصل . ولعله يريد بها أحاط بالشوكاني

والفلسفة اليونانية والإلهيات الفيشاغورسية وباحثات الكلام وعقائد الحكماء ونزاع
المعتزلة وإغرابات الصوفية وتشديدات الحوارج وتخرجات الفقهاء المتأخرين وحشويان
الموسمين وتزويقات المرائين وتخرجات المدلسين (مرحى)

فأهل هذه الطبقة يستهيمون بأنفسهم ولا يقلدون إلا بعد الوقوف على دليل من
يقلدون فإذا وجدوا في المسألة قرآناً ناطقاً لا يتحولون عنه لغيره مطلقاً وإذا كان
القرآن محتتملاً لوجوه فالسنة قاضية فيه مفسرة له . ثم ما لم يجدوه في كتاب الله
أخذوه من صحيح سنة رسول الله سواء كان الحديث مستفيضاً أم غير مستفيض عمل
به أكثر من واحد من الصحابة المجتهدين أم لم يعمل به إلا واحد فقط ومتى كان
في المسألة حديث صحيح لا يعدلون عنه إلى اجتهد ثم إذا لم يجدوا في المسألة حديثاً
يأخذون بإجماع علماء الصحابة ثم يقول جماعة من الصحابة والتابعين ولا ينقدون
بهم دون قوم فإن وجدوا مسألة يستوى فيها قولان رجحوا أحدهما بدرجة يقوم
في الفكر لا يذهبون فيه أصولاً موضوعية غير مشروعة أو طرقاً مقررة غير مشروعة
وأهل هذه الطبقة عندنا ينورون أذهانهم بأصول استدلالات الإمام ربنا رضي الله عنه
أو غيره من الأئمة في تخريج الأحكام واستنباطها من النصوص بدون تقيد بتقارير
أحدهم خاصة دون غيره . لأنهم لا يجوزون اتباع إمام إذا رأوا ما ذهب إليه في المسألة
بعيداً عن الصواب فلا يقلدون أحداً تقليداً مطلقاً كأنه نبي مرسل

والطبقة الثانية هم (القراء) وهم الذين يقرأون كتاب الله تعالى أفراد فهم
بالإجمال مع اطلاع على جملة سالحة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لا
يستهدون في أصول الدين بأنفسهم لأنها مبنية غالباً على قرآن ناطق أو سنة صريحة
أو إجماع عام مفسر لغير الناطق والصرح

وأما في الفروع فيتبعون أحد العلماء الموثوق بهم عند الشك من الأقدمين أو
الماضين بدون ارتباط بمجتهد محصوص أو عالم دون آخر مع سماع الدليل والميل
إلى قبوله كما كان عليه جمهور المسلمين قبل وجود المذاهب

والطبقة الثالثة هم (العامة) وهؤلاء يذهبون مع ما كان الدليل يقتضي الإقناع
فالعلماء عندنا لا يجسرون على أن يقولوا في مسألة مظاعاً ما لم يدركوا معها دينها من

كتاب متفق الأخبار الذي سرحه وهو ليس له . والهرميون لم يهابوا المنطق وإنما
خرجوا به عن الطريق المحنة

الكتاب أو السنة أو الإجماع ولو كان المستفتى أعجمياً أمياً لا يفهم ما الدليل وطريقته هذه هي طريقة الصحابة كافة والتابعين عامة والأئمة المجتهدين والفقهاء الأولين من أهل القرون الأربعة أجمعين (مرحى)

والترام علمائنا هذه الطريقة مبنى على مقاصد مهمة أعظمها تضيق دائرة الجراءة على الافتاء بدون علم وفي هذا التضيق على العلماء توسعة على المسلمين وسد لباب التشديد في الدين والتشويش على القاصرين ولهذا الحكمة البالغة بالغ الله ورسوله في التكبر على المتجاسرين على التحليل والتحریم والمستسلمين لمحض التقليد

فالعالم عدنا لا يستطيع أن يجيب إلا عن بعض ما يسأل ولا يأبى أن يقف عند «لا أدري» بل يحذر ويخاف من غش السائل وتغيره إذا أجابه بأن فلاناً المجتهد يقول إن الله أحل كذا أو حرم كذا لأن السائل لا يعلم ما يعلم هو من أن هذا المجتهد الذي ليس بمعصوم كثيراً ما يخالف في قوله من هو أفضل منه من الصحابة والتابعين ومن أنه يتردد في رأيه وحكمه كم اجتهد وكم رجح ومن أن أكثر دلائله إما ظنية الثبوت أو ظنية الدلالة أو ظنيتهما ومن أنه لم يدون ما قاله ولكن نقله عنه الناقلون وكما اختلفوا في الرواية عنه بين سلب وإيجاب ونفي وإثبات وكما زيف أصحابه اجتباؤه ورأوا غير ما رآه ومن أنه أى المجتهد إنما اجتهد لنفسه وبلغ عذره عند ربه وصرح بعدم جواز أن يتبعه أحد فيما اجتهد وتبرأ من تبعه الخطاء

فهذا (الإمام مالك) رضى الله عنه يقول ما من أحد إلا وهو مأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل المؤرخون أن المنصور لما حج واجتمع بمالك على الذهاب معه ليحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على المصحف فقال مالك لا سبيل إلى ذلك لأن الصحابة افترقوا بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام في الأمصار يريد أن السنة ليست بمتجمعة في موطنه الذي جمع فيه مرويات أهل المدينة

وحكى في الإيقات والجواهر أن (أبا حنيفة) رضى الله عنه كان يقول لا ينبغي لمن لا يعرف دليلي أن يأخذ بكلامي وكان إذا أفتى يقول هذا رأى النعمان بن ثابت يعنى نفسه وهو أحسن ما قدرناه عليه فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب

وروى الحاكم والبيهقي أن (الشافعي) رضى الله عنه كان يقول : إذا صح الحديث فهو مذهبي . وفي رواية إذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي الخاطئ وأنه قال يوماً للمعز بن إبراهيم لا تقلدني فيما أقول وانظر في ذلك

لنفسك فانه دين وكان يقول لا حاجة في قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن (أحمد بن حنبل) رضى الله عنه أنه رأى بعضهم يكتب كلامه فأنكر عليه وقال تكتب رأياً لعل أرجع عنه وكان يقول ليس لأحمد مع الله ورسوله كلام وقال لرجل لا تقلدى ولا تقلد ما لك ولا الأوزاعى ولا الحنفى ولا غيرهم وخذ الأحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة وأسس مذهبه على ترك التأويل والترقيع بالرأى واتباع الغير فيما فيه طريق العقل واحد ونقل الثقة أن (سفيان الأورى) رضى الله عنه لما مرض مرض الموت دعا بكتبه ففرقها جميعاً

وروى عن (أبى يوسف وزفر) رحمهما الله تعالى أنهما كانا يقولان لا يحل لأحد أن ينقى بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا وقيل لبعض أصحاب أبى حنيفة أنك تكثر الخلاف لأبى حنيفة فقال لأنه أتى من الفهم ما لم نؤت فأدرك ما لم ندرك ولا يسعنا أن ننقى بقوله ما لم نفهم دليله وجمع (مرحى)
ثم قال أيها الإخوان الكرام قد أطلت المقال فاعذرونى فانى من قوم القوا ذكر الدليل وإن كان معروفًا مشهورًا وقد ذكرت طريقة علماء العرب في الجزيرة منوها بفضلها لا بفضلهم على غيرهم كلام بل غالب علماء سائر الجهات أحد ذهنا وأدق نظرا وأغزر مادة وأوسع علماً ولذلك لم نزل نحن في تعجب وحيرة من نظر أولئك العلماء المتبحرين في أنفسهم العجز عن الاستهداء وقولهم بسد باب الاجتهاد

نعم لم يبق في الإمكان أن يأتى الزمان بأمثال ابن عمر وابن عباس أو النجعي وداود أو سفيان ومالك أو زيد وجعفر أو النعمان والشافعي أو أحمد والبخاري رضى الله عنهم أجمعين ولكن متى كلف الله تعالى عباده بدين لا يفقه إلا أمثال هؤلاء النوابغ العظيم أليس أساس ديننا القرآن وقد قال تعالى عنه فيه (إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) وقال تعالى (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً) وقال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال تعالى (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن) فما معنى دعوى العجز والتخيل بمن قالوا (قلوبنا غلف) حماتا الله تعالى (مرحى)

أما السنة النبوية أفلم تصل إلينا مجموعة مدونة مهمة أئمة الحديث جزأهم الله خيراً الذين جابوا الأقطار والبلاد التي تفرق بها الصحابة رضى الله عنهم بسبب الفتوحات والفتن فجمعوا متفرقاتها ودونوها وسهلوا الإحاطة بها بما لم يتسهل الوقوف عليه لغير

أفراد من علماء الصحابة الذين كانوا ملازمين النبي عليه السلام .
وكذا يقال في حق أسباب النزول ومواقع الخطاب ومعاني الغريب في القرآن
والسنة فإن علماء التابعين وتابعيهم والناسحين على منوالهم رحمهم الله لم يأثروا جهدا
في ضبطها وبيانها .

وكذلك الأئمة المجتهدون والفقهاء الأولون علمونا طرائق الاستهداء والاجتهاد
والاستنباط والتخريج والقياس النظر على النظر فهم ارشدونا إلى الاستهداء
وما أحد منهم دعانا إلى الاقتداء به مطلقاً (مرحى)

ثم اننا إذا أردنا ان ندقق النظر في مرتبة علم أولئك المجتهدين العظام لانجد فيهم
علما وهيباً أو كسباً خارقاً للعادة فهذا الإمام الشافعي رحمه الله وهو أغزرهم مادة
وأول وأعظم من وضع أصولاً لفقهاء نجد قد أسس مذهبه على اللغة فقط من حيث
المشترك والمتباين والمترادف والحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والشرط والجزاء
والاستثناء التصل والمنفصل والمنقطع والعطف المرتب وغير المرتب والقور والتراخي
والحروف ومعانيها إلى قواعد أخرى لا تخرج عن علم اللغة وتابع أبا حنيفة في إدخاله
في أصول مذهبه بعض قواعد منطقية مثل دلالة المطابقة والتضمن والالتزام ومعرفة
الجلس والنوع والفصل والخاصة والعرض والمقدمين والنتيجة والقياس والنتج . واتبعه
أخيراً في قياس ما لم يرد فيه قرآن أو حديث على ما ورد فيه وهكذا فتح كل من أولئك
الأئمة العظام لمن بعده ميداناً واسعاً فجاء أتباعهم ومدوا الأطناب وأكثر من الأبواب
ونفسوا في الأشكال وتنويع الأحكام وأحدثوا على الأصول والكلام . وهذا التوسع
كله ليس من ضروريات الدين بل ضرره أكثر من نفعه وما أشبه الأمور الدينية
بالأمور المعاشية كلما زاد التأنيق فيها بقصد استكمال أسباب الراحة انسلبت الراحة

والقول الذي فيه فصل الخطاب ان الله سبحانه وله الحكم لم يرض منا ان نتبع الا علم
الأفضل بل كفنا بان نستهدي كتابه وسنة رسوله على حسب امكاننا وطاقتنا وهو يرضى منا
بجهدنا حيث قال تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) فنسأل الله التوفيق لسواء السبيل .

قال (الأستاذ الرئيس) إني أحمد الله تعالى على توفيقه إيانا إلى هذا الاجتماع
البارك الذي استفدنا منه ما لم نكن نعلمه من قبل عن حالة إخواننا وأهل ديننا في
البلاد المتباعدة ولم يكن يسمع بعضنا عن بعض شيئاً إلا من السيلاح المنكسرين الجهلاء
الذين لا يعرفون ما يصفون أو من أهل السياسة والعلماء المشيعين لهم الذين ربما
يموهون الحق بالباطل بقصد تفريق الكلمة ومنع الائتلاف (مرحى)

ثم قال هذا واليوم قد انسحب ذيل الظل وقرب الزوال وأذن لنا الوقت بالانصراف .

باب التربية والتعليم

(الأزهر والأزهريون - د. فاضل هندی)

إلى السيد الحكيم الفاضل محرر مجلة الفاروق.

لست في حاجة إليها السيد الحكيم لأن أسباب لكم القول في فضل الانتقاد والتعديين وما لهم من الأيادي في ترقية الامم فان العوان لا تعلم الحجرة ، وهذا مناركم الاغتر لا يكاد يقف على رأس كل سنة حتى يكون قد ذكر قصولا ضافية في الانتقاد . وانه القوم لما اعوج من اعمال الامم والرافع لما حمل من شأنها والآخذ بيدها على مدارج الرقي والكمال . وعلم الله انه لاحامل لي على أن أوجه بسطوري هذه السبك آملا في نشرها على صفحات مناركم إلا عظيم الثقة ووطيد الامل بانكم لا تحشون في الله لومة لائم وأنه لا يوقفكم عن السير في سبيل الاصلاح غرض لحيان أو هتات مما يكتب في صدر فلان .

خرجت ذات يوم إلى منتزه الجيزة لأبدد ما تراكم بصدرى الحرج من الهموم والاكتدار في تلك الرياض الفسيحة وذلك الغاء المتمد حتى إذا كنت على قيد اذرع من رأس المنتزه الجديد حيث تقف هناك سركبات الكهرياء القادمة من الأهرام فالجيزة إذا أنا باحد صبية الفلاحين وهما أخذ ناحية عن أعين الناس وهو قابض على كثير من الأوراق المكتوبة يتصفحها واحدة واحدة وبعضها يتناثر من بين يديه إلى حيث تتلاقفها ابدى الرياح فعميت بها اضعاف عبته من قبل فاهويت إلى واحدة منها وقد جرى بها الريح إلى ما تحت قدمي فاذا بها كلام غريب فقصمت نحو الفلام وتلطفنت في طلبها منه وأمرته ان يذهب فيجمع لي ما فرقته في الهواء في مقابلة فاس اعطيته إياه ففعل شاكرًا وذهب طيب خاطر راضى النفس بعد ان مدت منه أنه عثر عليها وقد كنت في خلاف على طريق الكهرياء فلما بين الجيزة والجزيرة واخذت أنا طريقى الأول إلى حيث أختار اللوح القائمة على ضفة النيل الغربية فجلمت هناك في طلبها الوارفة . وكان الوقت انيلا وصرت اقلها واحيل فيها النظر واظليل الفكر حتى تكشف لي امرها بعد عاويل إيمان هائل روية انها صديقات سودها بهن افاضل المند المولعين بالعلم من الاسلام الذين من امة جمال لها (الله أباد) وعلمت من مجموعها ان الرجل احسنهم رجلاهم احظاظ رجواب

اقتار من حيث لا صاحب له إلاهمة يحاول أن يبطأ بها قلة العيوق ونفس تنزع به إلى
 ذرى شرف لا تتطاول إليه الاعناق وقد تجلى لى من رسائل كانت ترد إليه أن الرجل
 سيد بلادة ، وأشرف ، من جلدته ، قدم هذه الديار سائجاً متجولاً كاجال في كثير غيرها
 من بلدان المسلمين ولا هم له التقيب عن ادواء الأمة الاسلامية وأسباب انحطاطها
 وقد عاهد صدقاً له في (حيدر اباد) على أن يوافيه برسائل متتالية يصف له بها كل
 ما يراه من ادواء الاسلام وعوامل ضعفه وأسباب تأخره . ولقد قلبت في الاوراق
 كثيراً وقد كتب بعضها بالأوردية والبعض بالعربية على احد فيها ما يشير إلى الرغبة
 في كتابتها وصونها عن أنظار غيره فلم يظهر لى إلا عكس ذلك فقد وجدت في أولى
 رسالته عبارة صريحة يأذن لصاحبه فيها بنشر ما كتب ويكتب لكل من أحب . وأهم
 ما رأيت في تلك الرسائل ثلاثاً بعث بها إلى صاحبه في حيدر اباد يصف له فيها الأزهر
 والأزهريين بعبارة لا سلم من العجمة ولكن لم يركب بها مخارم الاغراب ولم يتدل
 إلى حبس العامة لمخالفة وقد نحى في انتقاداته خشن القول وغليظ الكلام حتى
 جاء كلامه أكرم اعتماد واعفه واكفه واحمله . لذلك احببت ان ابث بها إلى أعظم
 مجلة إسلامية وارسخها قدماً في الاسلام وأحبها لشر فضائل رجاله وأحرصها على
 رأب صدعهم ومداداة دأهم . وقد تصرفت بالعبارة تصرفاً لا يمس شيئاً من المعنى
 راجياً أن لا تضيقوا إلى املاء . والله لا يضيع أجر من احسن عملاً ، وهذه صورة الرسالة الأولى

(من القاهرة إلى حيدر اباد)

سلام عليك أيها الأخ الفاضل امد الله في حياتك ولا حرمنى إياك واسمع على
 رد ، خلاصتك . وبعد فقد ورد إلى كتابك الكريم أحوج ما كنت إليه فاستعذبت
 وحسن موقعه من قارىء ما ذكرت أيها الاخ من استبطاء المراسلة واشفاقك من أن
 يصرم التعمد حبل اللود ويطنى غلة الشوق والوجد ويضرب على ماسبق به الوعد قائلاً
 استغفر لك الله في ذلك وهو العالم بمالك في فؤاد أخيك مهما شطت به دار الضربة
 وبعدت به النجعة . وما كان لى وأنت موضع ثقة ومكان اخلاصى وبك أعتمد عليك
 اعتمد ان أظهر قولك زورة طيف أو اسى وعدك لحة طرف وإنما هى الاسفار
 أو رثنى من الضعف والشعوب والانضاء ، ما لو رأته لاصبحت عذرى فيما ارتكبت
 من الابطاء ، ويعلم الله انى اكتب لك ما اكتب وأنا نضو سفر قد الحفنى من وعثاته
 جلباباً ، وفل اطرفة ضربت على من رواقها قباباً ، ولقد كان الاجدر بى أن لا اكتب لك

كله حتى أنزید من الراحة أياماً واسترد بعض ما فقدت من القوة لولما أخصاه من جرح صدرک وتغير فؤادک - فأما ما ذكرتى به وأخذتنى على تأخيرہ وسألتنى إنجازہ من زیارة مدرسة الأزهر الاسلامیة الهائلة واستعجالى زیارتها إن لم أکف فعات ثم بالکتابة الیک بما استبان لى من أمرها وطریقة التعليم بها وأن أسهب لك القول فیا أجدہ بها من مواضع القند وثلاث حظة . فقد صادف جمیع ما ذكرت سابق رأى منى فيه . وإن منسة یزید عدد طالبیها على تسعة آلاف من المسیدین ما بین مصریین وسوریین روسیین وعرب والترک وبربر وهنود لجدره بأن لا أنساها فی سباحى بل جدریة بأن تكون زیارتها ودرس أحوالها جل ما أنا قاصد من تحوالى فی ربوح الاسلام غیر أن کتابک قد ورد على وأنا لم یکن لى غیر یومین فی القاهرة وقد مضى یومان آخران من تاریخ ورودہ وأنا لم أنز تلك المدرسة إلا زورة واحدة لما ذکرک من الضعف واللغوب وسأ کتب نموذجاً بما وقع لى منها فی تلك الزورة من جملة النفسيل والاسباب لمرها من الرسائل ولا غرو أنها الفاضل ان أنک رسالى هذین مختصرة فی الوصف مقصورة على ما ذکرته لك على وجه الجملة شأن من کاب سرب الدار سرب اللغة فأقول :

کثیراً ما کنت أسمع من أخوانى فی الهند إذا تحدثتہ فی شأن الأزهر کلمة مقولة وهى (الأزهر أكبر مدرسة اسلامیة على سطح الكرة الأرضیة) فکنت اهتمر لذلك من الارباح و طرب « کما اهتمر بحب البحارح الفصن الرطب » . ولما کان یقع فی أذنى إذ ذاک انه على کثرة طالبيه وتعدد معلمیه لقلیل النظام بمثل طریقه التعليم عقم نتیجة والکن ما کان ذلك لیتزع من فای تلك الهرة وذاك الاعجاب به وکثرة طلابه وما کان ابولس من أن أجد فیہ إذا دخلته قلیلاً من النظام وبهین الترتیب ولقد بدت لیلۃ قدومى إلى القاهرة من الوجد لزیارته بایلة الماسوع . حتى إذا کنت من صباح القد وبلغت الساعة . . أسرع بركوب عربة إلیه ودخلت فاداً ساحة مترامية الأنحاء لافرش فیها إلا الغرباء ولا غطاء علیها إلا السماء غیر انها تخلو من جمال هندام فی جدرانها وکمال هندسة فی شکبها واتقان صنعة فیا یحیط بها من الأبواب والنوافذ ورأیت بها والفصل کما تعلمون شتاء أناساً کثیرین یشمسون وقد اشتغل البعض بتلاوة القرآن والبعض بالمذاكرة فی کراسة یدیه وآخرین ما بین

مستلق على ظهره ومنكب على وجهه ومن بينهم من التفوا حول أدون المآكل
ياكلون فيها بشهوة النهم فألقى في روعى لأول الأمر أنها ساحة يستريح بها الطلبة
في أوقات معلومة بعد طول الطاعة والدرس ، وإجهااد القوة ونصب النفس ، فعذرتهم
إذ ذاك على استقائهم وانسكابهم وتراحمهم على المآكل لتعويض ما اندثر من أدمغتهم
عقب الجهد والتحصيل ، والاشتغال الطويل ، غير أني لم ألبث هنية حتى أخبرني
صاحب إلى جانبي من الطلبة السوريين — وكنت قد اصطحبته لمثل هذه الحال —
بأن تلك الساحة قطعة من المدرسة نفسها وإن ما أراه إنما هو نظامهم في الطلب
والتحصيل فكنت أن أضحك إذ ذاك وتلبد فكري بغيوم السكر والحزن حتى
أوشكت أهالك أسي وغماً — ولقد كنت أرى في تلك الساحة الرجل وقد كبرت
سنه حتى خارت قوته ورق عظمه فألقى ظهره ، وضعف عضده ، حتى رعشت يده ،
وكل بصره حتى لا يبصر إلا شفاً وأنه على ذلك كاهه ليجلس وإلى جانبه في حديث
السن عن الشباب ماطر له شارب ولا خط له عذار وكلاهما يدرس ويتفاهم مع
الآخر على أنه من أضرايه في الطلب ومناقسيه في التحصيل ويجلس كل منهما في حلقة
درس واحد ، ثم اختزقت تلك الساحة وأنا مدهوش العقل ذاهل اللب لما أراه من
اجتماع الأضداد والتناقضات وولجت من باب هناك إلى المقصورة المعدة للتدريس
وقد كنا قبيل الظهر فإذا محل فسيح الأرجاء ذو سقف يقوم على نحو أربعمائة
عمود يحال لي منه شكلها أنها نقلت إليه من المعابد والهياكل القديمة تميد بها تلك
الألوف ميداناً وهم على مثال من رأيت في صحن المدرسة من اختلاط الحابل بالنابل
ونلاشي النظام والترتيب إلى حد ظننت معه أنهم مأمورون بذلك وإن من قوانين التعليم
هناك استئصال حب النظام من الصدور كما يستأصل الخلق السيئ ، وأعجب ما رأيته بين
الطلبة من سلطان العادة على النفوس أن الطالب هناك لا تحوله المذاكرة ولا يروق
التحصيل إلا إذا رفع صوته بأقصى ما في إمكانه فيتألف من مجموعهم دوى يصم أدن
القادم عليهم فاخترق في صاحبي السوري الجموع حتى انتهى بي إلى محل هناك يقال له
(بواق الموام) فصعد بي على مدارجه إلى غرفة هناك استرحت بها قليلاً وكان قد
أذن الظهر فقال لي صاحب هلم نمر بالدروس وهي منتظمة أما الدوى فلا يلبث أن
يسكن لاشتغال الطلبة بالساج من معلمهم فلم أتمالك نفسي علم الله من البكاء
على أثر قوله انتظام الدروس وقلت ومبهجتي تذويج من الأسى فتجسدر من عيني

دموعاً : يا حبذا ذاك الدوى لو كان زججراً رعد تبشر بسقوط غيث العلم من سماء
على صدور الطالبين ، فتنبت ما يقوم بشفاء داء الإسلام والمسلمين .
ثم قمت وقام صاحب حتى إذا كنا في واسطة الدرج أخذت أرسم له كيف
يخشي في الدروس وذلك أن يبدأ بدرس أول كتاب يدرسه في النحو ثم ينتقل
بالتدريج حتى درس آخر كتاب اصطلاحوا أن يكون خاتمة الطلب في الفن فعمل وكان
أول درس وقفت عليه درس الكتاب الأول وأول كلمة سمعتها فيه قول المعلم « واختلف
في الجار والمجرور هل هو متعلق بظرف أو بفعل ؟ » فالتفت إلى صاحبي وقلت أوتبرأ
في ياهذا ، ألم أقل لك أن تذهب إلى أول كتاب فقال : لم أهرء بك والشيخ إنما يقرأ
أول كتاب في النحو ، يقرر ثانياً درس في الكتاب . فقلت لن يشت ما تقول في نفسي
حتى تربي آية ذلك فأشار إلي غلام يليه من الدرس فسأله ماذا يقرأ الشيخ بصاحبي ؟
قال الكفراوى . قلت أنا والكفراوى ماذا ، قال أول كتاب يقرأ في النحو . فأخذت
ييد صاحبي إذ ذاك وأنا خجل من اتهاى إياه وقلت اذهب في توا إلى الدروس الثانوية
حتى أرى ماذا يقرأون .. ولا أريد أنها الأنخ أن أطيل لك القول في هذه الرسالة
بتفصيل مارأيت به بعد ذلك أن أحمل لك فيه القول إجمالاً . وجدت معلم الكتاب الثانى
يشغل بتعريف المركب عند الشاططة طويلاً ثم لوى زمام الكلام إلى تعريفه عند
اللفويين فالبيانين فالتم حذيقين إلى فنون أخر ذهب عن أسمائها وحفظ تعاريف
واضعها . أما الدرس الثالث فكان الشيخ فيه منهكاً في تعريف الرتبة واختلاف
الأطباء الأقدمين فيها وما قالوا في تكييف الصوت إلى كلام طويلاً . وكان ذلك كله
استطراداً من قول الشنعة اللفظ صوت مشتمل على بعض الحروف وعلى ما ذكرت لك
كان الحال في بقية الدروس حتى إذا انتهيت إلى درس آخر الكتب كان يخجل لى أن
الشيخ إنما يلفظ رطاً لا يفهمها وبنى لأنهم لك وأنت أعلم قدرى انحناء بالبرية
وشدة شغف بها أنه لم يعلق بذهي من كل ما سمعته إلا كلمتين إحداها قوله « بن أجزاء
كل جملة وعلى رأس كل كلمة » قال الشيخ رحمه الله تعالى « والثانية ذكر سبب تسمية
سيويه من أن سيب اسم لراحة بالفارسية وويه اسم للفتح . هذا ما رأيت وأقول لك
على الجملة في مدرسة بعيدة الصيت طائفة الشهرة في كل قطر من بلاد المسلمين حتى كاد
بعضهم أن يعلق بها الأمل في نجاح كل عمل .

ومما هو جدير بى أن أجهل لك فيه القول في الرسالة ان سنى الطلب يقلب
أن تكون من خمس عشرة سنة إلى ما يحتمل أن يعمر إنسان والطالب يشغل

هناك بالكتاب الأول في السنة الأولى ثم بالكتاب الثاني في الثانية ثم بالثالث والرابع والخامس والسادس في خمس سنين ثم ينتقل من النحو ويكون قد حضر ما يقابله من كتب الفقه إلى علوم البلاغة ثلاث سنين ثم يصرف ما بقي في تلقى كتاب كبير في الأصول وفي خلال هذه المدة يكون قد حضر في أوقات غير منبوبة ولا منتظمة علوم التوحيد والمنطق والتفسير وبعد أن يأتي على ذلك كله درساً يكون يكون على خيار من أن يقدم شهادة الدراسة أو يرجع إدراجه إلى تلك الكتب والفنون فيلقاها درساً درساً ويؤمنون ذلك فيما بينهم - إعادة المذهب . وقد ضمنى مجلس مع أحد المترشحين لشهادة الدراسة وكان ممن أعادوا المذهب فرأيت منه رجلاً وقوراً صالحاً على رأس الخمسة والأربعين من عمره غير أن بلسانه حسيه وعياً فسمعت إلى أن أعرف مبلغ علمه بالكتابة فقدمت إليه بلطف طلب ورقة سؤالاً راجياً أن يكتب لي ما تيسر من إنشائه ولما لم أفتح أكترت عليه من الإلحاح والإلحاف في الطلب فاكتمى بأن أخرج لي كتاباً كان قد حرره لأخ له من أبيه أصغر منه سنًا يرتزق من الملاحة والزرع رجو منه إرسال شيء من النمود والراد ويشره بقر نيل الشهادة أحببت أن أبش به إليك بعد أن أتم لك بالله قسماً حاضلاً لا آتما فيه ولا حاشاً أنه على أصله ما تحوّن منه حرفاً واحداً وهو كما ترى قد قبضت من أسطره روح البلاغة وانظافاً منها نور البيان وحفت منها غضاضة الدوق في التعبير ولقد كانت النفس تجد لها بعض السأوى وتلمس لكتابها شيئاً من العذر لولم تكن الرسالة محشوة بالأغاليط الصرفية والاحجثات النحوية كما يظهر ذلك لأول نظرة فيها - والله حكمة خافية في ثمانى سنوات مضت في درس النحو والصرف - هذا ما أذكره لك في رسالى هذه إجمالاً وسترى فيما يتلوها إن شاء الله . واسمها يا شافياً والسائم عليك ورحمة الله (الإمضا)

وسأوفي حضرات قراء الدر الأغر بالرسالتين الباقيتين اللتين أرسلهما لصاحبه من هذه الرسالة كما قلت عاباً في آداب الانتقاد والاعتدال مما يستعمل قلوب العقلاء إليه ويستند إليه الشاء عليه .

عبد المزين عثمان العريشى

بالأزهر

(ملاحظة) قد سأمت هذه الرسالة بنفسياً لكتاب الأديب ورياً لكيفية تعليم في الأزهر يعرف ذلك بالتصديق من لا يعرفه من أهل الأفطار الإسلامية ومنتظر أن تكون الفائدة في رسالى الهندى الآخرين أنهم في هذه الرسالة .

آثار علمية أدبية

« أفكوهة أدبية للشاعر المجيد مصطفى افندى صادق الرافعى »

يا طير ما للنوم قد طارا	وما قضينا منه أوطارا
كأن هذا السهد لا يأتي	يطلب من أحماننا نارا
إن كنت ظمآن فدى أدمى	نفجرت في الأرض أهبارا
أر كست ذا مسغبة فالتقط	حبة قلبي كيفما صارا
أو كنت مشتاقاً فكن مثلاً	على التسوى يا طير صبارا
وجارنى إن كنت لى صاحباً	فان خير الصحب من حارى
يا طير كم فى اهب من ساعة	يزيد فيها العمر أعصارا
إن قلت تليى بها فكرة	جرت على الأفكار أفكارا
أوقلت أنساها اقم الهوى	من حرها فى القاب تذكارا
والصب ما ينك فى حيرة	تزيده حزناً وأكدارا
مالى أرى الأطيّار نواحة	كأنما فارقن أطيّارا
وما لأغصان الربى تلتقى	كأنما استودعن أسرارا
فاسأل نسم الصبح إن مر فى	هل حملته الغيد أسوارا
واسأل عن الدار والدار	أزور يوماً ههنا الدار
كأنها الجنة لكى	أطنت من وحدي بها الدار
مساؤها مظلمة أحما	وأرضها طلع أقصارا
وكم بها من أكل إن رنا	سلت لك الأجنان ديارا
وإن منى غطر فى تيهه	هزت لك الأعطاف خطارا
لا أنكر السحر وذات طرفه	أصبح بين الناس سجارا
يا فاتن الصب على رغمه	والمرأ لا بهشيق مختارا
طورا بنا هجر وطورا نوى	أهكذا تخلق أطوارا
لوشبهوا بدر السما درهما	لشبهوا وجهك دينارا
وكم درار فيك نظمها	تجل أن تحسب أشعارا
لو أن بشارا حكى مثلها	أعطت لواء الشعر بشارا

﴿ الهدايا والتقاريف ﴾

(حبر السلام ، في القراءة خلف الإمام . وقرة العينين ، برفع اليدين)
 كتمان مختصر ن الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري صاحب
 الجامع الصحيح جمع في الأول ما رواه من الأحاديث النبوية الدالة على وجوب
 القراءة خلف الإمام في الصلاة وفي الثاني ما رواه في إثبات رفع اليدين عند الركوع
 وروى في الثالث من حديث الأول . والأحاديث في المسألتين كثيرة . وقد تذكرت
 الآن أبي سمعت أستاذنا الفقيه المحدث الشيخ محمود بن أبي الطرابي الأزهرى
 (رحمه الله تعالى) قال وهو يقرأ لنا شرح البخاري في أوائل طلبنا للعلم أن البخاري
 روى رفع اليدين عن خمسين صحابياً وله فيه كتاب ومن ذلك اليوم تمكنت أن أرى
 هذا الكتاب الذي أثبت البخاري المسئلة فيه بالتواتر حتى رأيت مطوعاً في هذه
 الأيام . وكنت أعجب لترك الناس هذه السنة حتى الذين اثبتوا أنهم كالشافعية .

الحنفية يتركونها لأن شيوعهم قالوا إنها مكروهة لأنها لم تثبت عند إمامهم وإن
 كان كل من شئ رآه علم السنة منهم موافق بأنها ثابتة عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بثبوتاً لو وقع مثله لإمامهم لما تركها مرة واحدة وأما الشافعية فإنهم قد
 يتركونها مسابرة للحنفية . على كالب هذه السطور إمامنا باستاذة الشيخ حسين أفندي
 اجبر فرقت يدي عند الركوع والقيام منه ومن التشديد الأول كما هو دأبي فلما
 فرغت من صلاة قاتني أحد الشيوخ من الشافعية وكان حاضراً الصلاة : هلا ترك
 رفع اليدين أدباً مع أستاذك ؟ فقلت ما معنى أستاذي أن أترك السنة أدباً معه ولا أرى
 أن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يناقى الأدب معه . فقال ذلك الشيخ : إن
 إمامك الشافعي ترك القنوت في الصبح أدباً مع الإمام أبي حنيفة عند ما زار قبره .
 فقلت معاذ الله شئ من الإجماع المسئلة لأجل أحد من الناس وقد أول العلماء هذه
 الحكاية على تفسير ثبوتها (وما هي بثابتة) بأن الإمام ترك القنوت تشبهاً عرضت له
 في زيادته من إجماعه وقتئذ . فصدفتي الأستاذ وقال نعم هكذا أولوها

فإنهم المسلمون يؤمنون بالشيخ الذين يؤمنون بترك السنة مسابرة لأنهم الجاء
 من لأحد . وبهذا لأهل السنة من الأمم . ومثل هؤلاء الشيوخ الذين يرجعون
 القنوت إلى إمامهم الشافعي يرجعون إلى إمامهم الحنفية والعلماء والمصلحين من المعاصرين
 من أهل السنة والجماعة يتركونه لم أشك الخلق في حصرهم وإمامة أئمتهم إذا

درسوا وخطبوا فيزيدونها غروراً

الكتابان اللذان نحن بصدد تفرّظهما طبعاً معاً في المطبعة الخيرية على نفقة صاحبها
الهام السيد عمر الحشاش وباعان في مكتبته فنبحث بحسب السنة السنية على عقائدها والعمل
بهما «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب»

(الروضة الانيقة . في بيان الشرعة والحقيقة) كتاب يدل اسمه على مساهمة من
تصنيف العالم الصوفي الشيخ عبد العزيز الديري التوفي سنة ٦٩٧٠ رحمه الله تعالى .
وفي الكتاب مسائل نافذة يصح أن تجعل حجة على الدين يدعون التصوف ويشككون
حرمات الدين . ويدعون أنهم أولياء الله وأحياءه . من ذلك أنه عقد باباً للانكار
على مشايخ الطريق الذين يحتسمون بالنساء وزعمون أنهم يرشدونهن واستشهد
لذلك بعدم مصافحة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للنساء عند مبايعتهن على الايمان
وغير ذلك وقال انه لا يصلح لتعليم النساء الا الراشخون في العلم والدين بشرط عدم
الحلوة وعدم اظهار الزينة . على ان المرأة انما تتعلم من الأجنبي ما يجب عليها إذا لم
يكن لها محرّم يعلمها . وقد ختم المؤلف هذا الباب بفصل قال فيه :

« وقد زاد قوم فرغوا ان اجتماعهم بالنساء والشبان وتعاطى هذه الأمور مما
تحصل به البركة فان قرب المرأة أو الشاب من الرجل الصالح سبب لحياة القلب فان
النور يسرى من القلب إلى القلب وأشبه هذه الخارف الباطلة . فؤلاء قهوم تشبهوا
بالشياطين فان الشيطان يسول للجاهل أموراً محرمة وزينها بصور باطلة . فهذه
جيلة فسق وحيلة مكر وخديعة كذب . فليت هؤلاء . حيث وقعوا في هذه الصباغ
لم يضيفوا إليها ما هو أقبح منها فان العاصي للعتوف بمصيته أخف أمناً وأقل جرماً
ويجب على من له أمر أن يردع هؤلاء بالتعزير الشافي والزجر الكافي ومن لم يقدر
على ذلك فليتهم نهياً كافياً فان لم يقبلوا وجب الإنكار عليهم بالقلب كما قال الله
تعالى « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا » الآية اهـ

وقد وضع ناشر الكتاب في آخره قواعد جميلة منها هذه القاعدة الثابتة . قال :
إذا حقق أصل العلم وعرفت مواد وجرت فروعه ولاحت أصوله كان الفهم فيه
مبدولاً بين أهله . فليس التقدم فيه بأولى من التأخر وإن كان له فضيلة السبق .
فالعلم حاكم ونظر التأخر أتم لأنه زائد على المتقدم . والفتش من الله مأمول لكل
أحد . والله در ابن مالك رحمه الله حيث يقول : إذا كانت هذه العلوم منحة إلهية
ومواهب اختصاصية فقير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من

التقدمين ، نعوذ بالله من حسد يسد باب الإحصاف ، ويصد عن جميل الأوصاف .
 انتهى (وهو عجيب) والكتاب مطبوع طبعاً حسناً على ورق جيد ومكتوب عليه
 (أياماً سنة ١٣٤٠) فإنه ينتشر بين أهل الطريق فينتفعوا باعتداله
 (الحال والبال) قصة وضعها أحمد حافظ أفندي عوض كما ذكرنا في تقرير
 (قصص مسامرات الشعب) شرح فيها كيفية عشق الفتيان والفتيات أو التلامذة
 والتلميذات في مصر وكيف يخوى بعض البات للتعلمات بعضاً وقد علمنا أنه لم يذكر
 إلا بعض الواقع بالاختصار . القصة أنفع القصص التي ألفت لمكتبة الشعب أو أنفع
 ما ألفت الشبان المصريون من هذه القصص وإن كانت في عبارتها دون ما كتب
 حافظ من قبل لأنه كان في وجل من طروق هذا الباب الذي يظهر من وراءه سوء
 التربية في قومه وفي حذر واشفاق من عدل المعاذلين ، ونوم اللامعين ، فلم ينطلق
 قلبه بحرية نامة وله الفضل أن طرق هذا الباب من أبواب الجِد

موضوع القصة بنت اسمها (أسماء) نشأت (ولا أقوم تربت) في حجر الدلال
 ثم وضعت في المدرسة فصاحبت فيها بنت أحد الأثرياء من المصريين المتفرجين حتى
 ضارت تركب معها أحياناً إلى بيت أبيها فترى فيه الأثاث والرياش وكيفية المعيشة
 على الطريقة الأفريقية فمقت عادات بيت أبيها الشرقة وفي هذا المقام إلمام بكيفية
 الانتقال من العادات الشرقية إلى العادات الغربية في شؤون المعيشة .

امتدت العاشرة بين البنين حتى ركبنا يوماً للزهة فلتسبهما في الطريق أحد الشبان
 التعلمين الذين قال حافظ في وصفهم « كان مبلغ ما تعلموه من المدارس وما تلقنوه من
 دروس الحياة مقصوراً على العناية باللباس وتنسيق هئامهم ووضع طرايتهم المائلة
 إلى جهة الأذن على شعر لامع مدهون بكذا وكذا . . . وياقة مرتفعة ورباط رقية
 فيه دبوس من الماس وبإس (أي سراويل) ضيق وخواتم من الذهب ومنظار
 بسلسلة ذهبية وحذاء أصفر رفيع براق » وكان هذا الشاب عشيق الفتاة المصرية
 فكشفت أسماء بعشقتها وسألتها عن العشق ولما عرفت أنها لا تعرفه نبذتها بلقب
 المسكنة . ثم أقبل الشاب وصالحهما مسامحاً ولما صافح أسماء اضطربت من الحجل
 لأنها لم تتعود ذلك فقال لها رفيقها : « مالي أراك قد دخلت وهل في الحديث
 والتسليم على الشبان عيب ؟ إنما العيب أن لا ينظر إلينا أحد ولا ينظر إلى محاسننا
 إنسان » ثم رغبت في قراءة القصص العرامية وأعطتها واحدة منها فقتنت أسماء بأخبار
 العشق والغرام ، وشغلت عن الدرس والمنام ، فتغير حالها حتى تنهت والدتها لذلك

التغير وسألها عن سببه فكذبت في الجواب . قال المؤلف « وليس الصدق صفة
محترمة عندنا معاشر المصريين بل يكاد الإنسان أن لا يعرف له منزلة . بل إن شئت
قل لنا تعلم الكذب في يومنا من آبائنا وأمهاتنا » ثم إن أسماء تعلمت
العشق فشقت شاباً مهنياً

ثم إن المصنف ذكر أن البنات أسماء ونجدة حضرننا احتمال عرس صديقتها للثانية
ووصف فيه ماهو جار في مصر الآن من مغازلة النساء المتعلمات للرجال من النواقد
والسكوى وهـ سرب النساء الحجر حبراً ، وذكر أن أسماء تعلمت في تلك الليلة من
البنات السرب على أنه من « القندان والودة » فلما علت مع صديقتها قادت إلى النواقد
كغيرها فأبصرت كل منهما من تحب وكنا على موبد منهما فأشارا إليهما بالانطوار
فما لبثا إلا أن حصل التعارف بين الجميع (كذلك المادة بين الأحداث من
العاشقين والعاشقين في مسرحة أخبار المخرجين) ثم ركت أسماء مع عشيقها في
مركبته كما ركب عشيق نجدة معها في مركبها واطلقوا إلى الجزيرة ، ولكن ساء صاحب
أسماء سكرها وهتكها الذي تعلمته من نجدة وعنهها على ذلك فوعده بأن سيكون كما
نحب وهبات ذلك فإن السائر في طريق الرديلة كمن يمشي في حياى لا يفح حتى
يبلغ القرار كما أشار إليه المصنف . ثم إن عاشق أسماء يأس من صلاح حالها فتركها ثم
فنى أهلها عليها بالبرج بأحد أولاد العمدة الأغنياء فبست كارهة وعامت زوجها
أقبح المعاملة لاحتقارها إياه أنه لا يعرف امرأته وفتون النكاح والبهك وكان أولاً
عجبها وتحمل إهانتها حتى عيل صبره فأبغضها وغلقت بالراقصات ورف البغايا وشرب الخمر
واعترلها بالمرّة . فشكت يوماً إلى صديقتها القدعة فأشادت عليها بأن يعامه بالمثل فتعلم
منه البغاء فعملت فأصابت بذلك الزهري وانتقل المرض منها إلى ولدها بالعدوى . عاش
فيها المرض فقرح بدنها وأقربت سجنها وتحول ذلك الجمال إلى قببح تشعر منه الجلود
وانتهى بالجنون ثم بالموت

هذا هو الوباء السارى في حياة مصر الادبية وما وصف كاتب القصة الابعلى
من علم فهل يوجد في مصر قوم ينفرون على الملة والأمة فيسعون في تربية الناشئين
والناشئات تربية دنيئة تصادم هذه الشرور ، وتقلل من هذا الفجور ،؟ الآباء مهملون
والأمهات جاهلات فماذا يفعل البنون والبنات ؟

إذا كان رب البيت بالطبل ضارباً فلا تلم الاولاد فيه على الرقص
الرجال هم الذين يغيرون أحوال الأمم الاجتماعية وليس عندنا رجال . نعم إن خير

رجال مصر هم الذين أسسوا الجمعية الخيرية الإسلامية ولكن عملهم اللامع لا يزال ناقصاً
فإذا استطاعوا أن يوجدوا مدرسة كلية في مكان بعيد من المدن بل عن الناس ربون فيها
طائفة من الناشئين حتى يكونوا رجالاً عاملين فذلك باب النجاح دون سواه وإن
لم يستطيعوا فستقبل مصر مظلم جداً والله أعلم بمصير الأمور

﴿ قصص (روايات) مجلة الهلال ﴾

حاءنا من بعض فضلاء القراء ما يأتي بهجروفه

« رأيت في مجلة النار الصادرة في عرة جمادى الأولى سنة ١٣٢٠ تقریظاً
للرواية الأخيرة من روايات حضرة محرر مجلة الهلال التي عنوانها (الحجاج بن يوسف)
وقد ألتعم فيه إلى ما انتقد به على المؤلف حينما ظهرت رواية (عذراء قريش) وقد
ظهر لبعض القراء أن حضرتكم لا تتقنون على هذه الروايات لما قدمتموه من الاعتذار
عما يشوبها من الأكاذيب التي هي من لوازم وضعها مع أن منها نسبة العشق إلى مثل
محمد بن أبي بكر رضى الله عنهما مع شهرته في التاريخ بضد ذلك وتشبه عذراء قريش
بالرجال ووقوفها في مجمع الصحابة ترشدهم إلى حقائق الدين وتوبخهم على ما حصل
منهم في بدء الفسنة المشهورة ولا يخفى حضرتكم أن مثل مقدمته التي نقلتموها لا يرى
الكتاب مما يأتي به مخالفاً لحقائق التاريخ كما هو مبدأ الإسلام في كراهة الكذب على
أية حال . وإنى متيقن أنكم لو كنتم اطلعتكم على هذه الرواية لما قلتم كلمة واحدة في
تقریظها . وما كنا نهم لو جاء هذا المدح في غير مجلة النار التي هي المجلة الدينية
الموثوق بها فيما تبديه من الآراء في احكام الدين فعظم القراء يطلبون من حضرتكم
الافصاح عما يرون فيها لأن المسألة عظيمة إذ اساسها تاريخ الإسلام والصحابة الذين هم
الاسوة الحسنة في اعمالهم وهم نقلة الحديث وهم الثقات فيما يروون وأنا واثق أن
كلمة منكم ليست ككلمة من غيركم فنسأل الله لنا ولكم التوفيق إلى الحق والسلام »
(النار) قد صرحنا في تقریظ القصة الأخيرة بأننا لم نقرأ القصة التي
ينشأها صاحب الهلال في التاريخ الإسلامي فتحكم لها أو عليها . وإنما ندكرنا اننا
فرأنا في المؤيد ب. اسنها ونعسا أن بعض المتضلاء ناقلين من مؤلفها لأنه وصف
عن رجال السلف الكرام بالعشق الذي لا يليق بمقامه . وقلنا في القصة الأخيرة
اننا رأيناها خالية من هذا العيب وهذا دليل على انصاف المؤلف وعمله بما يقتضيه

تقد الناقد برجوعه عن نسبة العشق إلى الصحابة وأئمة السلف رضى الله عنهم .
والحاصل أن ما تنقده هذه القصص أمران أحدهما عدم حفظ كرامة السلف بأن
ينسب إليهم ما لا يليق بهم وقد كان المؤام وقع في هذا تقليداً للأفروج الذين لا يتحامون
مثله ويظهر أنه رجح عنه إرضاء لقراء ما يكتب من المسلمين . وثانيهما اشتباه الحق
بالباطل في سرد وقائع التاريخ مزوجاً بأخبار الغرام الكاذبة ونحن نرى أن المقدمة التي
تقلناها عنه تبرئه من هذا النقد إلا أن نكون غير صادقة . فذا كان يقول أن كل ما عدا
الحكاية المرآية من القصة هو من التاريخ المنقول فلا سبيل إلى محطئه إلا ببيان أن
بعض ما في تلك القصص وراء الحكاية الغرامية التي تتجلمج غير صحيح أو أن هناك
اشتباهاً بين الحكاية والتاريخ . فعل المتقد الشواهد والبيانات إذا ادعى هذا وعلمنا
أن نشره وبين رأينا فيه والله يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضيه

البدع والخرافات

والتقاليد والعادات

(مسيح الهند)

ولاً هذا نرحل المدعى المذهبية والمسيحية الهند صراخاً ونهر انكسب ورسائل
الناطقة بدعواه في الهند ثم في سائر الأقطار الإسلامية . ولكن ينبغي أحد حقيقة
مراده والأصول التي يدعو إليها كنيسته ورسائله كتب دمج كسج السكان بل هو
أقل وأضعف فإن صبر الإنسان على قراءته ليهم مراده يرجع إلى دهنه بعد القراءة
فلا يجد فيه إلا إطاراً هذا المدعى أو الدعى نفسه والإغراف في الشئ عنها ودم الذين
لا يؤمنون به ولا يحبون دعواه . وربما يجد في الكتاب الطويل كلمات في دينه الجديد
لا يعقل أحد لها فائدة إلا زلفه للانكار ليركوه وشأنه يتمتع ببقية الذي زعم أن الله
منحه إياه (المسيح) كنسجه حكم الجهاد وتحريمه على المسلمين وكهده الانكار
والدعاء لهم لانهم يحمونه

ليخبرنا هذا المسيح الدجال أين المسلمون المستعملون بالجهاد فيحمل ركن دعوته
وأس اصلاحه ارجاعهم عنه . ألم بر أن معظم بلادهم ذهبت من أيديهم لاهلهم

أمر المدافعة عنها ؟ أم بر أن الأجانب الذين يعيرونهم بأنهم أمة حربية قد سبقوهم في
الفتون الحربية حتى سادوا عليهم ؟ فهل نزل عليه الوحي من أوروبا بأن الحرب عار
على المسلمين ، وفضيلة للمسيحيين . فصدق الوحي الأوربي وقام يدعو إليه قومه
ليهدمهم ويلم شتمهم ورأب صدعهم

يرغم أن الأخبار الواردة في نزول المسيح كلها تصدق عليه . الأخبار ناطقة
بنزول عيسى ابن مريم فأين عيسى عليه السلام ، من غلام أحمد القادياني عليه اللام .
الأخبار ناطقة بأن المسيح ينزل من السماء بين ملكين فأين الهند من السماء ؟ وأين
للافتنة من أتباعه البهلاء ؟ الأخبار نصف مسيح بما لا ينطبق عليه مهما تنطع في
التأويل . ورخرف الأباطيل . يقول إن ظاهر القرآن يدل على أن المسيح قد توفي
وأهم اكتشفوا قبره . تقول إذا سلمنا ذلك أنه مات لأنه هو ظاهر القرآن فهل يدل
موته على أنك أنت المراد بالأخبار الواردة في نزوله ؟ كلا . فلما أن تؤول الأحاديث
تأويل لا مقبولا وإنما أن تقول إنها غير صحيحة منا وإن صحت سنداً لأن القرآن متواتر
فطعي وهو كلام الله تعالى فشكل قول خالقه فهو باطل إذا كان لا يتفق معه بالتأويل

يدعى هذا الدجال أنه جاء بخوارق العادات لأنه ألف كتاباً عظيماً في عيته
وحقيقته في أعين الناس ، لم يافيه من الهديان والوسواس ، فإذا كان التأليف السخيف
دليل البهية والندحية . فهل يكون التأليف الذي يستحسنه جميع العقلاء دليلاً على
الأنوهمية ؟ أبطل هذا العامل أن القرآن كان معجزة للنبي صلى الله تعالى عليه وآله
وسلم لأنه كتاب مؤلف ؟ كلا إنه معجزة لأنه اشتمل على أعلى العلوم الإلهية والاجتماعية
التي اهتدى بها الناس وصلحت عقائدهم وأخلاقهم وقد ظهر مع ذلك بلسان أمي لم يتعلم
شيئاً . فهذا هو المرحه الأعلى في إعجازه . ومن وجوهاً أنه وصل من البلاغة إلى
حد عجرت عن بلوغه البلغاء مع أن الجاني به لم يكن معروفاً بالبلاغة . ومن بلغ
الأربعين ولم يعرف له امتياز ثالثي فلا يعقل أن ينتقل مرة واحدة إلى درجة يفوق
بها جميع الناس بذلك الشيء إلا بامداد من بيده خرق العادات . والمؤيد من شاء
بآيات البينات . وأما زعمه أن الفاتحة تدل على مسيحيته وإن لعظ الرحمن الرحيم
بال على محمد خاتم الأنبياء . وعلى مسيحه أحمد القادياني فهذا أقبح تلابع بالقرآن
ويمكن أن يستدل صاحبه بكل كلام على كل شيء لأنه لا تنفيذ بلغة ولا عقل ولا فهم
فصلى أن يرجع هذا القادياني إلى رشده ، ونرى الجزر قلل من طغيانه ومده .

﴿ مثال من أمثلة طفولية الأمة - إبطال مدرسة فرجلى ﴾

خمس حسين بك فرجلى واحتمى على نظارة المعارف المصرية منذ أربع سنين لأنها لم تقبل بعض أولاده في مدارسها وسمول له تخمسه أن ينشئ مدرسة ينسبها إلى نفسه تكون حجة على « وطنيته » وزلنى يتزلف بها إلى أسيره وسلطانها لأنها ضد المحتلين فأوحى إلى الجرائد أن تنوه به فنوهت وساعدناها نحن على تنويعها لأن إنشاء المدارس الأهلية هو أفضل عمل يعمله الأهليون لأمتهم وبلادهم والرياء قنطرة الإخلاص كما يقول الصوفية . ومما تبجح به وافتخر أن مدرسته تزيد على مدارس الحكومة بتعليم التركية إثباتاً لجنسيته ، وتعليم الدين خدمة للأمة . وقد كان أول دليل على انقراج زاوية الحلف بين القول والعمل أن اللجنة التي عقدها في داره لانتخاب المعلمين للمدرسة عرض عليها فيمن عرض من المعلمين رجل اعترفت اللجنة بأنه أقدر المعروضين على تعليم الدين والعربية ، ولكن فرجلى بك ومستشاريه من الأحداث الذين يسمون أنفسهم « الشبية المصرية الحقة » ويمتازون بكثرة الخطب بالوطنية المبهمه لم يقبلوا هذا المعلم لأنه ليس مصرى . فلم تشفع لذلك الزجل عندهؤلاء الوطنيين ديانته الإسلامية . ولا جنسيته العثمانية

مع هذا كنا ندعو أن يثبت هذا الرجل في عمله حباً في الخدمة ولكن بلغنا في هذه الأيام أنه لم يتم على إجازة المدرسة الصيفية الشهر حتى أرسل إلى معلمها بخبرهم بعزلهم وإبطال المدرسة واختار هذا الوقت ليحرم الأساتذة من أجورهم مدقة الإجازة . الأمة في طفولية وسقوط الطفل ليس بمعجب وإنما العجيب ثباته فإذا سقطت مدرسة فرجلى فإن من ذوى المدارس الأهلية من هم أقوى عزيمته منه ولذلك ثبتت مدارسهم كالمدرسة العثمانية وكمدرسة الماجدى وغيرها . فلا نبأس إذا سقط قوم ونهض قوم ما دمنا نرى الأمة متحركة لطلب العلم والعمل . على أننا نرجو أن يشوب لفرجلى بك رشده ويتنق من عزمه الأخير والله الموفق وهو نعم النصير

(الوباء والعدوى) ثبت بالملاحظة أن في قى المصاب بالهضبة الوبائية وبراره مادة سامة حية تنمو وتزيد في الجوف الذى تدخله . فالعدوى التى يقولها الأطباء هى انتقال هذه المادة السامة من شخص إلى آخر كما ينتقل السوس والبقي والثعابين . إلا أن الفرق بين جنة الوباء وغيرها أن الأولى لا ترى إلا بالنظارة ولا احتياط الصحى هو ما يمنع انتقال جنة الوباء من مريض إلى صحيح والدواء الذى يطهرون به أمتعة المصاب كالدياء الذى يقتل البق والسوس . فما معنى إنكار هذه العدوى باسم الدين عن لا يعرفون ديناً ولا دنياً؟

يقول الحكمة من بقاء ومن يؤمن
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما
يذكر الأول الألب

المجلد الخامس

١٣١٥

فيشر جادى الذين يستمعون القول
فيؤمنون حسنة أولئك الذين هداهم
الله أولئك هم أولو الألب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوى و « مناراً » كئار الطريق)

(مصر في يوم الخميس غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ — ٤ ستمبر (ايلول) سنة ١٩٠٢)

— الاضطهاد في النصرانية والإسلام —

(المقالة الثانية لذلك الاستاذ الحكيم والفيلسوف العليم)

ذكرت الجامعة في الجزء الثامن من السنة الثالثة في سياق الكلام على ما جرى لابن رشد ان للناس آراء في : هل الدين المسيحي أوسع صدرًا في احتماله مجاورة العلم والفلسفة او ان الدين الاسلامي هو الارحم خلقًا والوسع حلماً من الدين المسيحي في قبول أهل النظر في الكون اذا تزولوا بداره ، ولا ذوا بجواره ، وذكر أن للقاتلين بتسامح الدين المسيحي مع العلم وأهله دون الدين الاسلامي أن فولثير وديدرؤ وروسوورنان قالوا فيما يضاد الدين ما قالوا ولم يصابوا بضرر وابن رشد لم يقل شيئاً سوى أنه قرّر ما قال أرسطو ووضحه مع تصريحه بسلامة اعتقاده ومع ذلك اهين وبصق على وجهه . وللقائلين بسعة حلم الاسلام ان الاسلام لم يحكم بأحراق احد لجرّد الزيف في عقيدته وكم حكمت المسيحية بذلك

ثم جعلت أهل الرأي الأول آخر من يتكلم وقالت : « فيرث عليهم
الأولون بقولهم : هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط أم مع
القريب والغريب معاً : ثم لا تذكرن الحروب والفتن التي قامت بين
شعوب المسلمين وحكامهم بسبب الاعتقادات الدينية فأضعفت امتهم ،
وفرت كلمتهم ، فلي يجوز ان تسموا محاربة شخص واحد وإيداعه (محاربة
للإنسانية) ولا تسموا كذلك محاربة شعب اشعب وأمة لامة » اهـ
ثم قالت الجامعة إنها لا تفصل بين القولين ، ولكنها افصلت فيهما فصلين ،
الأول في قولها : « إنا نرى ان السلطة المدنية في الاسلام مقرونة بالسلطة
الدينية بحكم الشرع لأن الحاكم المأمم هو حاكم وخليفة مما وُجد على ذلك فان
التسامح يكون في هذه الطريقة أصعب منه في الطريقة المسيحية فان الديانة
المسيحية قد فصلت بين السلطين فصلًا بديعاً بدلالة المسبيل الحاضر الحقيقية
ولتعدن الحقيقي وذلك بكلمة واحدة : أعطوا ما للقيصر لقيصر وما لله لله » وبناء على
ذلك فان السلطة المدنية في هذه الطريقة اذا تركت للسلطة الدينية مجالاً
للضغط على حرية الأفراد من أجل اعتقاداتهم الخصوصية فضلاً عن قيام
وسقي الارض بدمائهم البريئة فلها تيجي جنائية هائلة على الإنسانية وعلى ذلك
لا يكون في هذه الطريقة من التسامح أكثر مما في تلك اذا بدا منها تمس
ولو كان هذا النقص أخذ من نقص شقيته لانه لا تنقص أعظم من نقص
القادر على التمام » والفصل الثاني في قولها : « ان العلم والفلسفة قد تمكنا
الى الآن من التغلب على الاضطهاد المسيحي ولذلك نغامر سراً في ربة اوربا
وأينع وأثمر التمرد الحديث ولكنها لم يتمكنوا من التغلب على الاضطهاد
الاسلامي وفي ذلك دليل واقعي على ان النصرانية كانت أكثر تسامحاً » اهـ

الجواب الاجمالي

وإني أعجل في الجواب بما يلاقي هذين الحكمين اجمالا . أما الأول
فان كان الانجيل فصل بين السلطين بكلمة واحدة فالقرآن قد أطلق القيد
من كل رأي بكلمتين كبيرتين لا كلمة واحدة . قال في سورة البقرة
« لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم »
وقال في سورة الكهف « وتل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر »

وأما الثاني فأسأل الجامعة في جوابه : اين الاضطهاد الواقع على العلماء
اليوم عند المسلمين ؟ وأين اولئك العلماء المضطهدون ؟ وأريد بالعلماء اولئك
الذين يساوون من ذكرتهم من فولتير وديدرو وروسو واثامهم . وكيف
سأع لها ان تقول ما تقول وهي في ارض مصر ومصر بلاد اسلامية
وحلها كما ترى ؟ فاذا أرادت شاهداً على حال المسيحية والعلم فلتمر بنظرها
اليوم على أسبانيا وتوقف برهة من الزمان ثم تحكم . يمكنها ان تمد من
طلبة العلوم المسلمين مئين في مدارس المسيحيين من جزويت وفيرير
وأميركان وهي مدارس دينية خصوصاً مدارس الجزويت . فهل يمكنني ان
أجد طالبا واحداً مسيحياً في مدرسة دينية اسلامية يباح الدخول فيها لكل
طالب علم من أي ملة ؟ لا نجد الا قليلا منهم في مدارس الحكومة لعلهم
انها مدارس رسمية لم يقيم بناء تعليمها على الدين . فهل سمع ان والدا اضطيد
لانه بحث بولده الى مدرسة مسيحية يديرها قسوس مسيحيون ؟ الا بعد
هذا من تسامح الاسلام مع العلم اليوم ؟

لولا ان موضوع كلامي محدود باعتبار التسامح بالنسبة الى العلم والفلسفة وحدهما لذكرت لصاحب الجلالة ان يوجد في بلاده طائفتان تمد آحادهما بالألوف وتزعم كل منهما ان لها نسبة الى الاسلام وهي تمتد بما لا ينطبق على أصل من أصوله حتى أصل التوحيد والتنزيه عن الحلول ولا تقول بفرض من فروضه المعلومة منه بالضرورة . وأجمع فقهاء الأمة على انهما من قبيل المرتدين والزنادقة لا تؤكل ذبائح افرادهما ولا يباح لهم أن يتزوجوا من المسلمات وإنما اختلفوا في قبول توبة من تاب منهم ومن العلماء من قال لا تقبل توبته . وهم مع ذلك عاشون بجوار المسلمين ومضى عليهم ما يزيد على تسعمائة سنة وقد كانوا تحت سلطان المسلمين والاسلام في أوج القوة . دخلوا في حكم الأتراك وهم أيام كان ملك فرنسا يستنجد بملكهم وكانت عساكرهم على أسوار فينا . كان أولئك الذين يراهم المسلمون قد خرجوا من دينهم وأسروا عقيدة تناقض عقيدتهم قد ظهروا بأعمال تضاد أعمالهم وهم جيرانهم ومحت أيديهم وفي مكنة محوهم ومع ذلك ماشوا الى اليوم ولهم أحبة وأصدقاء بين المسلمين . وللمسلمين بينهم مصافون وأوداء فهل عهد مثل ذلك عن المسيحيين ؟

غير ان موضوع قولي محدود كما قلت فلا أخرج عنه وأرائي محدودة فيه بكلامي المجملة . ولكن لا يكفي ابيان ما عرضت به الجلالة في قولها « هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط او مع القريب والغريب الخ » ولا لتحقيق الحق فيما حكمت به في حكمها الا تفصيل تعرض فيه حالة الدين مع العلم تحت نظر القارئ على وجه يمكن معه الحكم عن فهم ، ولا تلبس فيه الحقيقة بانوهم

﴿الجواب التفصيلي﴾

أرى الجامعة جاءت في كلامها بأربعة أمور آتي بها على حسب ترتيب النسق في تعبيرها . (الأول) ان المسلمين قد تسامحوا لأهل النظر منهم ولم يتسامحوا المشاهير من أرباب الأديان الأخر (الثاني) ان من الطوائف الإسلامية طوائف قد اقتنلت بسبب الاعتقادات الدينية (الثالث) ان طبيعة الدين الاسلامي تأبى التسامح مع العلم وطبيعة الدين المسيحي تيسر لاهله التسامح مع العلم (الرابع) ان إيناع نحر المدينة الحديثة إنما تمتع به الأوروبيون . سرقة التسامح الديني المسيحي . فلا بد لي من الكلام على كل واحد من هذه الأمور الأربعة وابتدئ منها بالثاني لقلة الكلام عليه

﴿نفي القتال بين المسلمين لأجل الاعتقاد﴾

لم يسمع في تاريخ المسلمين بقتال وقع بين السلفين (الآخذين بعقيدة السلف) والأشاعرة مع الاختلاف العظيم بينهما ولا بين هذين الفريقين من أهل السنة والمعتزلة مع شدة التباين بين عقائد أهل الاعتزال وعقائد أهل السنة سلفيين وأشاعرة . كما لم يسمع بان الفلاسفة الاسلاميين تألفت لهم طائفة وقع الحرب بينها وبين غيرها . نعم سمع بحروب تعرف بحروب الخوارج كما وقع من القرامطة وغيرهم وهذه الحروب لم يكن مثيرها الخلاف في العقائد وإنما اشعلتها الآراء السياسية في طريقة حكم الأمة . ولم يقتل هؤلاء مع الخلفاء لأجل أن ينصروا عقيدة ولكن لأجل أن يغيروا شكل حكومة . وما كان من حرب بين الأمويين والهاشميين فهو حرب على الخلافة وهي بالسياسة أشبه بل هي أصل السياسة

نم وقمت حروب في الازمنة الأخيرة تشبه أن تكون لأجل العقيدة

وهي ما وقع بين دولة إيران والحكومة العثمانية وبين الحكومة العثمانية والوهابيين ولكن يتبنى الباحث، بأدنى انحراف، ان يعرف انها كانت حروبا سياسية ويبرهن على ذلك بالولاء المتمكن بين الحكومتين اليوم مع بقاء الاختلاف في العقيدة وبين الحكومة العثمانية وابن الرشيداء والوهابيين اما الحروب الداخلية التي حدثت بعد استقرار الخلافة في بني العباس وأضعفت الأمة وفرت الكلمة فهي حروب منشأها طمع الحكام وفساد اهوائهم وجهم الاستئثار بالسلطان دون سواهم . ومصدر ذلك كله جهلهم بدينهم وارتخاء جبل التمسك به في أيديهم . واكبر داء دخل على المسلمين في همهم وعقولهم انما دخل عليهم بسبب استيلاء الجبلية على حكومتهم . أقول « الجبلية » وأريد أهل الخشونة والغلظة الذين لم يهذبهم الاسلام ولم يكن لمقاتلته تمكن من قلوبهم . ولو رزق الله المسلمين ساكنا يعرف دينه ويأخذهم بامكانه لرأيتهم قد نهضوا والقرآن الكريم في إحدى اليدين وما قرر الاولون وما اكتشف الآخرون في اليد الاخرى ذلك لا آخرتهم وهذا لدنياهم وساروا يراحمون الاوربيين فيزحمونهم

مالنا وللحكام نعرض لهم ؟ الذي عليّ ان أقول ولا أخشى . نازعا : انه لم تقع حرب معروفة بين المسلمين للحمل على عقيدة من العقائد أو على تركها . على ان هذا الأمر الذي جاءت به الجامعة والجأنا الى الكلام فيه خارج عن الموضوع بالمرّة لأن الكلام في التسامح الديني مع العلم لاني تسامح عقيدة مع عقيدة أو دين مع دين وإلا لأوردنا لها من حروب الطوائف المسيحية بعضها مع بعض وحروبها مع غيرها ما يستغرق أجزاء الجامعة بقية هذه السنة اذا أوجزنا ما استطعنا . هل أذكرها بما كان يقع

في النسخة الخطائية من تلك الدماء بين الارثوذكس والكاثوليك على عهد القديسة الرومانية ؛ هل أذكرها بمحادثة برتلمي ستهيلير التي سفك فيها الكاثوليك دماء إخوانهم البروتستانت وأخذوهم في يومهم على غرة وقتلهم نساء ورجالا وأطفالا بماذا أذكر الجامعة من أمثال هذه الوقائع التي ودلها لباس الانسانية ، وتسألت لحدوثها البشرية ؛ هل يمكن لأحد أن يروي سادنة مثابا وقعت بين شعوب المسلمين بعضهم مع بعض بخلاف في المفيدة مها عظم الاختلاف

أهل المسلمين مع أهل العلم والنسب من كل ملة مسلمة

ثم أرجع الى الأصل الاول من الامور الاربعة لأن الكلام عليه اول منه على الأمر الثالث . واني لا أستدل على رعاية الاسلام لاحكامه من المثال في المقالة بقول كاتب مسلم وإنما أرجع في جميع ما أذكر الى كتب المؤرخين والفلاسفة من المسيحيين وأذكر أسماء جماعة من المسيحيين وغيرهم بانفوا من الخطوة عند الخلفاء وعامة المسلمين وخاصتهم فلم يافه غيرهم

قال المسير درابر أحد المؤرخين وكبار الفلاسفة من الاميركان : « ان المسلمين الأولين في زمن الخلفاء لم يقتصروا في معاملة أهل العلم من النصارى النسطوريين ومن اليهود على مجرد الاحترام ، بل فوضوا اليهم كثيراً من الاعمال الجسام ، ورفقهم الى المناصب في الدولة حتى ان هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة حنا مسنيه » (هو يوحنا ابن اسويه الشير) وقال في موضع آخر : « كانت ادارة المدارس مفوضة مع نيل الرأي وسمة الفكر من الخلفاء الى النسطوريين تارة والى اليهود تارة أخرى . لم يكن ينظر الى البلد الذي عاش فيه العالم ولا الى الدين

الذي ولد فيه بل لم يكن ينظر إلا إلى مكانته من العلم والمعرفة. قال الخليفة العباسي الأكبر المأمون: «إن الحكماء هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده لأنهم صرموا عقولهم إلى بل فطائل النفس الناضرة وارتقوا بقواهم عن دنس الضميمة هم ضياء العالم وهم وانضوا قوانينه ولولاهم لسقط العالم في الجهل والبربرية». وقال في موضع آخر: «إن الرب قد زحزحنا بجيش من أطباءه اليهود ومؤدبي أولاده من النسطوريين ففتحوا من مملكة العالم والفلسفة ما توا على حدوده بأسرع ما توا على حدود مملكة الرومانيين». ولست في حاجة إلى ذكر ما سنس الخلقاء والملوك من المدارس وأقلاموا من المراسد وما حشدوا من الكتب إلى المكاتب لأن هذا خارج عن بحثنا الآن وسيرد عليك شيء منه فيما بعد.

- فإني طائفة من الحكماء والعلماء الذين حظوا عند خلفاءهم -

أذكر من أشهر من حكماء بالخطوة عند الخلقاء جيورجيس ابن بختيشوع الجنديسي يوري طيب المنصور كان في سوقا كبيرا عت منزلته في عند المنصور لأنه كانت له زوجة عجوز لا تشي في شوق عليه المنصور ثم قد إليه ثلاث جوار حسان فردهن وقال: إن ديني لا يسمح لي أن أزوج غير زوجتي مادامت حية. فألقى مكانته حتى على زوجته. وبعد بض من المنصور لحمله في دار المنصور فخرج إليه ماشيا يسأل من سجد في ربه الحكيم في رجوعه إلى دمه يده مع أنه سجد في ربه في دار المنصور حنة فقل. رضيت أن تكون معي من زوجة أو غير زوجة. والمنصور بالخطوة وأمس بجوارحه ووجهه في دار المنصور في دار المنصور في دار المنصور بالامساك وكرهه البسطة في ربه من مملكة حنة في دار المنصور

مدافن آباءه كما طالب . ثم سأل من يخلفه عنده فأشار الى عيسى بن شهلاثا أحد تلامذته فأخذ هذه المنصور . كان جيورجيس فطوق يؤذي القسوس والبطارقة ويهددهم بمكانه عند الخليفة لينال منهم رغبته فشمع الخليفة بذلك فطرده . ومن حظي عند المنصور نوبخت المنجم وولده أبو سهل وكانا فارسيين على مذهب الفرس ثم كانت ذرية مسلمة لأبي سهل وكانوا جميعاً منجمين لهم شهرة في علوم الكواكب فافقه

ومن حظي بالسكينة العليا عند الخليفة المهدي توفيل بن توما النصراني المنجم وكان على مذهب الموارنة من سكان لبنان . وله كتب في التاريخ جلية وتقل كتاب أميروس الى السريانية بأفصح عبارة . ومن ارتفع شأنه عند الرشيد من الفلاسفة بنختيشوع الطبيب وجبريل ولده ويوحنا بن ماسويه النصراني السرياني . ولده الرشيد ترجمة الكتب القديمة طيبة وغيرها وخدم الرشيد . ومن بعده الى المتوكل . وكان يعقد في داره مجلساً للدرس والمناظرة ولم يكن يجتمع في بيت للمذاكرة في العلوم من كل نوع والآداب من كل فن مثل ما يجتمع في بيت يوحنا بن ماسويه . ومن علا قدره في زمن المأمون يوحنا البطريق مولى المأمون أقامه كذلك أميناً على ترجمة الكتب من كل علم من علوم الطب والفلسفة . وكذلك ارتفع شأن سهل بن سابور وسابور ابنه وكانا نصرانيين . وولي سابور بن سهل بخراسان جند سابور

وكان سلمويه بن بنان النصراني طبيباً عند الممتصم ولما مات جزع عليه جزءاً شديداً وأمر بأن يدفن بالبخور والشموع على طريقة النصارى . وكان بنختيشوع بن جبريل عند المتوكل يوماً فأجلسه بجانبه وكان

عليه دراعة حرير رومية بها فتق فأخذ المتوكل يحادثه ويعبث بالفتق حتى وصل الى النيق (هو ما اتسع من الثوب) ودار الكلام بينهما حتى سأله المتوكل : بماذا تعلمون أن الموسوس (المصاب بخبل في عقله) يحتاج الى الشدة فقال بجثيشوع : اذا عبث بفتق دراعة طيبه حتى بلغ النيق شددناه . فضحك المتوكل حتى استلقى

وفي أيام المتوكل اشتهر حنين بن اسحق النصراني المبادي وهو من أشهر المترجمين لكتب ارسطو وغيره وامتنع المتوكل صدقة فظهرت له عزيمة لا تقل فأفطمه اقطاع واسعة . وكان قد عرف بفصاحة العبارة وحسن الترجمة في زمن المأمون وهو في فكلفه بترجمة الكتب وكان يعطيه وزن ما يترجم ذهباً . وكانت بينه وبين الطينوري النصراني محادة أفضت الى طلب الحكم على حنين في مجلس الاساقفة بالحرم من الكنيسة فمات غماً لاضطهاد أهل طائفته مع منزلة وعلو قدره عند الخليفة وهذا الطينوري أيضاً كان من المقربين عند الخلفاء

ومن ارتفع شأنه عند الخلفاء والخاصة والامة في زمنه أيام خلافة الراضي متى بن يونس المنطقي النصراني الذي كان متفانياً في جميع العلوم العقلية أخذ عنه أبو نصر النازكي و انتهت اليه الرياسة في بغداد وكان من أهل دير قتي ونشأ في مدرسة نزار اري وقرأ على روافيل وبنيامين الراهبين اليمقويين .

ومن المقربين عند الخلفاء قسطا البعلبكي من فلاسفة درلة الانبار وهو نصراني طلبه الخلفاء الى بغداد لأجل الترجمة ثم نجى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي انتهت اليه الرياسة ومعرفة العلوم الحكمية في وقته

وقرأ على متى بن يونس وعلى أبي نصر الفارابي
ومنهم أبو الترج بن الطيب فيلسوف عالم . قالوا كان كاتب الجاثليق
ومتميزا في النصارى بغداد وكان يقرئ صناعة الطب في البيمارستان العضدي
وكان معاصراً للشيخ الرئيس ابن سينا والرئيس يمدح طبه ولا يحمد فلسفته
وله كلام فيه

ومن كانت له المكانة الرفيعة عند الخلفاء والخاصة والعامة ثابت بن
قرة الحراني الصابي من طائفة الصابئين المعروفة وتربى في بيت محمد بن
. موسى بن شاكر الفلكي المشهور وبلغ في علوم الفلسفة مبلغاً لم يدانه فيه
غيره وله تأليف كثيرة في المنطق والطب والرياضيات وبلغ عند المعتزلة
مقاماً تقدم فيه عنده على وزرائه . وولد ثابت هذا سنة احدى عشرة
ومئتين بمجران . ثم كان ابنه ابراهيم وسنان على قدم أبيهما . ومن خلفته
أبو الحسن ثابت بن قرة . وكان ثابت وابراهيم وسنان صابئين ولهم من
المنزلة ما علمت ومدحهم كثير من شعراء المسلمين وهم صابئة

ماذا أعدد للجامعة من الفلاسفة والحكماء من الملل المختلفة الذين
وسمهم صدر الاسلام . ولم يرض عنهم بالراعية والاحترام . هل تريد أن
أتم لها الكلام بذكر كثير من فلاسفة الاسلام المسلمين الذين نالوا اسمي
الدرجات وأعلى المقامات عند الخلفاء والملوك . هل أنا في حاجة الى ذكر
فيلسوف الاسلام أبي يوسف يعقوب الكندي وهو بصري الاصل .
ابن الامير اسحق الذي كان أميراً للبهدي والرشيد على الكوفة وهو من
ذرية الاشعث بن قيس أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
عالماً بالطب والفلسفة والهيئة والحساب والموسيقى واشتغل بالترجمة كما اشتغل

غيره بها فترجم كثيراً من كتب الفلسفة وأوضح الفاض منها وكانت له
المكانة العليا عند المأمون والمتنصم وولده احمد . هل أنا في حاجة الى ذكر
نبي موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن الذين اشتغلوا في مساحة الكرة
الأرضية ومعرفة محيطها وقطرها وما كان لهم من المنزلة عند الامراء
والخلفاء ؟ أذكر ابن سينا ومنزلته في قومه ووصوله الى مسند الوزارة
عند شمس الدولة ؟ أم أذكر الفارابي وما كان له من المكانة عند سيف
الدولة بن حمدان .

لاريب ان أبا العلاء الممرى يصلح ان يكون رجلاً ممن تعنى الجامعة
بنشر تراجمهم وقد قال ما لم يقل بمثله فولتير وروسو وقد مات مع ذلك على
فراشه وقبره اليوم مزار يرحل اليه في بلده

أظن انه يسهل بعد سرد ما عدناه أن يعرف قراء الجامعة ان الاسلام
كان يوسع صدره للغريب كما يوسمه القريب بميزان واحد وهو ميزان
احترام العلماء للعلم . ويسهل علي أن أتمس المذخر للجامعة بأنها عندما كتبت
ما كتبت تمثلت لها بعض حوادث قيل انها حدثت للدين وما حدثت له .
بل كان سبب حدوثها اما سياسة خرقاء . أو جهالة عمياء . أو تأريث بمض
السوءاء . لا أطيل خوف الاملال . وانتقل الآن الى الامر الثالث وهو
المقابلة بين طبيعة الدينين وهو أهم مما سبق ومما سيلحق

- في طبيعة الدين المسيحي وأصوله -

(تمهيد) ظنت الجامعة ان الدين المسيحي فصل بين الساطلة الدينية
والسلطة المدنية ولذلك كان في طبيعته التسامح . أما الدين الاسلامي فمن
أصوله ان السلطان ملك وخليفة ديني وذلك مما يصعب . مه التسامح في رأيها

ليس هذا بكاف في بيان طبيعة كل من الدين واستعدادها للتسامح مع العلم أو مع أية عقيدة تخالفها بل لابد من بيان أركان الدين وأهم أصوله التي ترجع إليها جميع القروع ومنها تصدر الآثار الحقيقية

عند النظر في أي دين للحكم له أو عليه في قضية من القضايا يجب أن يؤخذ ممحصاً مما عرض عليه من بعض عادات أهله أو مبادئهم التي ربما تكون جاءتهم من دين آخر . فإذا أريد أن يحتج بقول أو عمل لا تباع ذلك الدين في بيان بعض أصوله فليؤخذ في ذلك بقول أو عمل أقرب الناس إلى منشأ الدين ومن تلقوه على مذاجته التي ورد بها من صاحب الدين نفسه واثني أو جز القول في إيراد الأصول الأولى التي وردت في الأناجيل المعروفة الآن في أيدي المسيحيين . وجاءت في كلام أئمتهم الأولين . ثم إيراد ما جر إليه الأخذ بتلك الأصول بحكم طبيعة الدين

- الأصل الاول للنصرانية الخوارق -

أول أصل قام عليه الدين المسيحي وأقوى عمادله هو خوارق الماديات . تقرأ الأناجيل فلا تجد للمسيح عليه السلام دليلاً على صدقه إلا ما كان يصنع من الخوارق وعددها في الأناجيل يطول شرحه . ثم انه جعل ذلك دليلاً على صحة الدين لمن يأتي بعده فجعل لأصحابه ذلك كما تراه في الإصحاح العاشر من انجيل متى وغيره . وإذا تبعت جميع ما قاله الأولون من أهل هذا الدين تجد خوارق الماديات ، من أظهر الآيات على صحة الاعتقادات . ولا يخفى أن خارق المادة هو الأمر الذي يصدر مخالفاً لشرائع الكون ونواميسه . فإذا ساء أن يكون ذلك لكل من علا كعبه في الدين لم يبق عند صاحب الدين ناموس يعرف له حكم مخصوص

زاد الانجيل على هذا ان الايمان ولو كان مثل حبة خردل كاف في خرق نواميس الكون كما قال في الاصحاح السابع عشر من متى : « فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم » وفي الحادى عشر من صرقس « ٢٣ لأنى الحق أقول لكم ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن ان مايقوله يكون فمماقال يكون له ٢٤ لذلك أقول لكم كل ماطالبونه حينما تدلون فامنوا ان تنالوه فيكون لكم »

فكل بحث يؤدي الى أن للكون شرائع ثابتة وان للعالم والشرائع أو الاسباب أو الموانع أحكاما فى معلولاتها أو ماشرطت فيه أو ما تسبب عنها أو ما استحال وجوده لوجودها كان مضادا لهذا الاصل فى أي زمن وقد كان كل علم من علوم الاكوان لا بد فيه من هذا البحث فكل علم مضاد لهذا الاصل . ثم ان صاحب الاعتقاد بهذا الاصل لا يحتاج الى البحث فى الاسباب والمسببات لأن اعتقاده فى الشيء ان يكون وارادته لأن يكون كافيان فى حصوله فهو فى غنى عن العلم والعلم عند لما اعتقد فما أصعب احتماله اذا جاء يزعمه فى سلطانه

سورة الاصل الثاني للنصرانية سلطة الرؤساء

وبعد هذا الأصل أصل آخر وهو السلطة الدينية التي منعت الرؤساء على الرؤساء من غيرهم وما تسببه ضيقهم . وقد أحكم هذه السلطة ماورد فى ١٦- ١٩ من انجيل متى : « أعطيتكم مفاتيح السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات وكل ما تحله على

الأرض يكون محلولاً في السموات» وفي ١٨ - ١٨ منه «الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء . وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء»

فإذا قال الرئيس الكهنوتي اشخص انه ليس بمسيحي صار كذلك وإذا قال انه مسيحي فاز بها فليس المعتقد حراً في اعتقاده يتصرف في معارفه كما يرشده عقله بل عيناً قلبه مشدودتان بشفتي رئيسه فإذا اهتزت نفسه الى بحث أوقفها قابض على تلك السلطة . وهذا الأصل ان نازع فيه بعض النصاري اليوم فقد جرت عليه النصراية خمسة عشر قرناً طوالاً

❦ الأصل الثالث للنصراية ترك الدنيا ❦

وبعد هذين الأصلين أصل ثالث وهو التجرد من الدنيا والانتقطاع الى الآخرة . تجد هذا الأصل في الاناجيل وفي أعمال الرسل وكلمات في الكتب الأولى عشرت به . وتجد الأوامر الصادرة بالانتقطاع الى تلك العترة في كلام الرب من عالم الملك صريحة في الإصحاح السادس والعاشر والتاسع عشر من الانجيل متى . فما جاء في السادس : « لا تقدرون ان تخدموا الله والمال » ٢٠ لذلك أقول لكم لا تهتموا بحياتكم بما تأكلون وبما تلبسون ولا لأجسادكم بما للباسون أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس (اني أن قال) ٢٣ ولكن اطلبوا أولاً ما يكون لله وبره وهذه كلها أزيد لكم ٢٤ فلا تهتموا للبدن لأن البدن يهيم بما لنفسه يهيم في اليوم ثمرة » وقال في التاسع عشر : ٢٣ الحق أقول لكم انه يسر ان يدخل غني ملكوت السموات ٢٤ وأقول لكم أيضاً ان ضرور جهل من ثقب إبرته يسر من أن يدخل غني الى ملكوت الله » وفي العاشر : « لا تفتنوا



ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ١٠ ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا الخ »

وحت على الرهبانية وترك الزواج وفي ذلك قطع النسل البشري قال في (١٩ من متى) : « ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لاجل ملكوت السموات من استطاع أن يقبل فليقبل » . ثم ان ملكوت السموات قد نيط أمره بالايمان المجرد عن النظر في الاكوان فإذا يكون حظ صاحب الاعتقاد بهذا الأصل من النظر في أي علم والعلم لا دخل له في شؤون الآخرة والدنيا قد حرمت عليه . لا ريب ان همه يكون في الصلاة وصرف القلب بكليته الى العبادة دون سواها وليس الفكر في الحليقة من العبادة عنده فان عبادة الانجيل ليست شيئاً سوى الايمان والصلاة

« هذا الأصل الرابع للنصرانية الايمان بغير المعقول »

وبعد هذه الأصول أصل رابع وهو عند عامة المسيحيين أصل الأصول لا يختلف فيه كاثوليك ولا ارتودكس ولا بروتستانت وهو ان الايمان منحة لا دخل للعقل فيها وان من الدين ما هو فوق العقل بمعنى ما يناقض أحكام العقل وهو مع ذلك مما يجب الايمان به . قال القديس النزيل : « يجب ان تعتقد أولاً بما يمرض على قلبك بدون نظر ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت » فليس الايمان وهو الوسيلة الفردة الى النجاة في حاجة الى نظر العقل والكون وما فيه لا يهم المؤمن ان يحيل فيه نظره . وتقول القديس : « ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت » نوع من التفضل على النزعة البشرية الى الفهم وعلى الميل الفطري الى تصور ما يتعلق به الاعتقاد والا فجرد الايمان كاف في الخلاص . ثم الويل كل الويل لطالب الفهم اذا

دنى اجتهدته في شيء يخالف ما تلقى به إيمانه فكان معنى الفهم ان يحتاج
 الإنسان لنفسه ما يلبي به نفسه على إيمانه بغير المفهوم
 (الاصلي الخامس للتفسيرانية ان الكتب المقدسة حاوية كل ما يحتاج اليه الإنسان في العاش والمعاد)
 ثم ينضم الى الأصول الاربعة خامس وهو ان الكتب المعروفة بالهدى
 القديم والهدى الجديد تخنوي على كل ما يحتاج البشر الى علمه سواء كان متعلقاً
 بالاعتقادات الدينية والآداب النفسية والاعمال البدنية مما يؤدي الى نيل
 السعادة في المأكوت الأعلى أو كان من المعارف البشرية التي يتأتى للمعتدل
 الانساني ان يتمتع بها . قال تيرتوليان (وهو أفضل من وصف الاعتقاد
 المسيحي في نهاية القرن الثالث قبل ان تمرض عليه البدع الكثيرة) : « ان
 عقائد المسيحية أسست على الكتب السماوية ودليل صحة هذه الكتب
 قدمها وكونها أقدم من كتاب أميروس وأقدم من أقدم أثر معروف عند
 الرومانيين وأقدم من تأسيس الحكومة الرومانية نفسها والزم من ناصر
 الحقيقة ثم تحقق النبوءات التي وردت فيها » ثم قال : « ان أساس كل علم
 عندهم هو الكتاب المقدس وتقاليده الكنيسة وان الله لم يقصر تعليمنا
 بالوحي على الهداية الى الدين فقط بل علمنا بالوحي كل ما أراد أن نعلمه من
 الكون والكتاب المقدس يحتوي من المعارف على المقدار الذي فطر للبشر ان
 يتأمنوا به جميع ما جاء في الكتب السماوية من وصف السماء والارض وما فيها
 وتاريخ العالم مما يجب تسليمه منها ضارب العقل أو خائف شامس الحس
 فلي الناس ان يؤمنوا به أولاً ثم يجهدوا ثانياً في حمل أنفسهم على فهمه شيء
 على تسليمه شيئاً كما ترى وقال بعض فضلائهم : انه يمكن أن يؤمن بعض المحدثين
 بأكثره من الكتاب المقدس

الاصول السادس للنصرانية التفريق بين المسيحيين وغيرهم حتى الاقربين  ينظم تلك الاصول كلها اصل سادس وهو آخرها فيما أرى . ذلك الاصل هو الذي ورد في الاصحاح العاشر من انجيل متى وهو : « لا تظنوا أنني جئت لألقي سلاماً على الارض ، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً ٣٥ فاني جئت لأفرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها ٣٦ وأعداء الانسان أهل بيته ٣٧ » وقد صرح في عدة مواضع من الانجيل ان الاخلال بشيء من محبة المسيح أو بالانقياد الى جميع ما أوصى به موجب للهلاك وان كان قد جاء في مواضع كثيرة ان الايمان وحده كاف في الخلاص غير ان روح الشدة التي جاءت في قوله « لا تظنوا أنني جئت لألقي سلاماً بل » هي التي بقي أثرها في نفوس الاولين من المعتقدين بالدين المسيحي وغفت على آثار ما كان يصح ان تستثمره النفوس من بعض الوصايا الأخر  .

من هنا أعرض المسيحيون الأولون عن شواغل الكون وصدوا عن سبيل النظر فيه اظهاراً للنفي بالايمان والمعبادة عن كل شيء سواها وحجروا على هم النفوس ان تنهض الا الى الدعوة الى ذلك الايمان وتلك المعبادة ووسائل الدعوة هي الايمان والمعبادة كذلك فاذا نزع القول الى علم شيء من العالم وضعوا امام نظرها كتب المهد القديم وحصروا العلم بين دفتها استغناء بالوحي عن كل عمل للعقل سوى فهمه من عباراته وليس يسوغ لسبب ذي عقل فهمه بل انما يتلقى فهمه من رؤساء الكنيسة خوفاً من الزيف عن الايمان السليم (البروتستانت رأوا أنه يجوز تفسير الكتاب لفهم الكنيسة)

ثم ان لقاء السيف ووضع التفريق بين الاقارب والاحبة انما جاء حافظاً لذلك كله فاذا خطر على قلب أحد خاطر سوء يرمي الى مصادره شيء من أمور الايمان المقررة وجب قطع الطريق على ذلك الخاطر ولم يحز في شأن صاحبه هوادة ولا مرحة كما أفهمه المسيح بعمله على حسب ما ورد في الانجيل فقد قيل له: «٤٧» إني وأخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك ٤٨ فأجاب وقال لفلان له من هي أمي ومن هم اخوتي ٤٩ ثم مديده نحو تلاميذه وقال ها أمي واخوتي . ونحو ذلك مما يدل على وجوب المقاطعة بين من يمتد بالدين المسيحي ومن يحيد عن شيء من معتقده ولا يخفى ان الشيء يكون بزره ثم نباتاً ثم شجراً فانظر الى ما صار أمر هذه البدايات بحكم الطبيعة وقر في نفوس المسيحيين ان السلامة في ترك الفكر والأخذ بالتسليم وتقرر عند القوم قاعدة «ان الجهالة أم التقوى» (وكثير من أهل الأديان مسيحيين ومسلمين لا يزالون يحجرون على هذه القاعدة ببركة ما ورثوا عن أبناء الزمن الغابر) فخصروا التعليم في الاديان ومنعت الكنيسة ان ينشر التعليم بين العامة الا ما كان دعوة الى الصلاح وتقرير الايمان على وجه ظاهر . وبقي غير القسيسين في جهالة حتى بأمور الدين وحقائقه وأسراره . ظهرت ذات الذنب التي تنسب الى هالي في سنة ١٦٨٢ فاضطربت لظهورها اوربا ولجأوا الى البابا واستجاروا به فاجارهم وطردها من الجوف فولت في الفضاء مذعورة من لغته ولم تعد الا بعد خمس وسبعين سنة !!

لم يكن يسمح لأحد أن يبدي رأياً يخالف صريح ما في الكتاب وعندما أظهر بلاج رأيه في أن الموت كان يوجد قبل آدم أي ان الحيوانات كان يدركها الموت قبل ان يخطئ آدم بالأكل من الشجرة قام لذلك

ضوضاء وارتفعت جلبة وانتهى الجدل والجلاد الى صدور أمر امبراطوري
بقتل كل شخص يعتقد بذلك . يقول المؤرخ : وهكذا عد الاعتقاد بأن
الموت كان يزور الاحياء قبل آدم جريمة على الملك

أحرقت كتب البطالسة والمصريين بالاسكندرية على عهد جول قيصر
ثم ان تيوفيل بطريرك الاسكندرية اتحل أدنى الاسباب لاثارة ثورة في
المدينة لانلاف مابقي في مكتبة البطالسة بمضه بالاحراق وبعضه بالتبديد .
قال أورويسوس المؤرخ إنه رأى أدراج المكتبة خالية من الكتب بعد
ان نال تيوفيل الأمر الامبراطوري باتلافها بنحو عشرين سنة

ثم جاء بعد تيوفيل ابن أخته سيريل وكان خطيباً مفوها له على الشعب .
سلطان بفصاحته وكان في الاسكندرية بنت تسمى هيباتي الرياضية تشتغل
بالعلوم والفلسفة وكان يجتمع اليها كثير من أهل النظر في العلوم الرياضية
وكان لا يخلو مجلسها من البحث في أمور أخر خصوصاً في هذه المسائل
الثلاث : من أنا والى أين أذهب وماذا يمكنني ان أعلم . فلم يحتمل ذلك
القديس سيريل مع ان البنت لم تكن مسيحية بل كانت على دين آبائها
المصريين فأخذ يثير الشعب عليها حتى قعدوا لها وقبضوا عليها في الطريق
وهي سائرة الى دار ندوتها وجردوها من ثيابها وأخذوها الى الكنيسة
مكشوفة المودة وقتلوا هناك ثم قطع جسمها وجرد اللحم عن العظم وما
بقي منها ألقى في النار . يقول المؤرخ راوي هذه القصة : ولم يسأل سيريل
عما صنع بهيباتي ولم تنظر الحكومة الرومانية فيما وقع عليها ولعل ذلك كان
أول ما تقررت تلك القاعدة : « الناية تشفع للوسيلة »

مامن عقيدة ظهرت في المسيحية وأريد تقريرها من فريق ونازع فيها

فريق الا وقد سالت لها الدماء فليراجع التاريخ لتثمل أرض مصر مصبوعة
بدماء المسيحيين من فريقين مختلفين عندما أريد تشييد عبادة العذراء وأخذها
لله أباء كان ذلك في طبيعة الدين : ان من لم يتبع المسيح فهو هالك والهالك
لا يستحق الحياة . ألم نرى الاصحاح الخامس من الأعمال ان قصة الرجل الذي
باع جميع ما عنده وبعدها جاء الى بطرس أعطاه الثمن وادخل نفسه شيئاً أخفاه
عنه فاطلع بطرس على حقيقته الأمر ووبخ الرجل وعرف فيه بساب
سبائه من طريق التمسرة ثم جاءته أسرته وكان لها اطلاع على ما أخفى
عها ولم تهره فوجهها بطرس وأخبرها بموت زوجها فماتت هي أيضاً .
هذا كان القديس بولس جزءا على خلاص الرجل شيئا من مال نفسه
بمقدمه هدية لارسل فكيف تكون الحياة من حقه اذا خالف خطاء الله
في الارض وتبذموا يعتقدون

قال البابا انوسال الثالث عند التكلام في مؤتمر الدين بخلافات
الأمم في سنة ١٩٠٠ : « لا يجوز أن يترك لأولاد الجوريت سرقة دينهم
وترك الحياة لهم من « برحمان » فلم يصر الجزاء على الجانحين . و
عند اني أتاه لادعهم عند ترك الحياة لأولادهم فتمسكوا بها شربا من الفاسد
سبهم بشدة لا منق لهم من أن يعيشوا وقد سقط آباؤهم

مقاومة النصرانية للعلم

لا أجد في التاريخ ذكر العلم وفلسفة بعد ظهور المسيحية في الشرق
التي هي مهد الحضارتين وما بعده الا في أثناء المنازعات الدينية التي اناروا
فيها ناراً بساطان الملوك وأخرجهم جميع الجامع وثالثه بساط الدماء فتعتمد
شعلة العلم ويتنصر الدين المحض . وإنما الذكر كل الذكر لما كان بين

المسيحية وما جاورها من المال الأخرى من الحروب الدينية للحمل على
المقيمة بما كان يعتقد المسيحيون وما كان يقع بين ملوك أوروبا من التسافك
في الدماء باغراء رؤساء الكنيسة وأمر ذلك معروف عند من له إلمام
بالتاريخ وليس من موضوعنا الكلام فيه

ولكن أرى شبه نزاع بين العلم والدين ظهر في أوروبا بعد ظهور
الاسلام واستقرار سلطانه في بلاد الأندلس واحتكاك الأوربيين
بالمسلمين في الحروب الصليبية

رجع الآلاف من النزاة الصليبيين الى بلادهم وحملوا الى الناس
أخباراً تناقض ما كان ينشره دعاة الحرب من رؤساء الكنيسة من ان
المسلمين جماعة من الوثنيين غلبوا على الأرض المقدسة وأجلوا عنها دين
التوحيد ونشوا منها كل فضيلة وإخلاص وهم وحوش ضارية وحيوانات
مفترسة فلما قتل النزاة الى ديارهم قصوا على قوههم ان أعداءهم كانوا أهل
دين وتوحيد ومروءة وذوي ود ووفاء وفضل مجاملة

ثم كان الخليفة الحكم الثاني جعل من بلاد الأندلس فردوساً كما قال
الفيلسوف الاميركاني وكان اليهود والنصارى يتلاقون في تلك البلاد تحت
ظلال الأمن والحرية . قال بطرس المحترم الشير انه رأى كثيراً من
العلماء يأتون الى تلك البلاد لتلقي العلوم الملكية حتى من بلاد انكلترا
وأولئك الذين يسمعون الى طلب العلوم من أي بلاد جاؤا كانوا يجدون
فيها رحباً وسعة وكان قصر الخليفة يشبه ان يكون مصنعاً لا مكتب -
نسخ وتذهيب وتجليد الخ ما قال

ثم انتشرت صناعة الورق التي اخترعها العرب ثم اكتشفت المطبعة

وسهل على الناس ان ينشروا آراءهم بعد أن قُتِبت أفكارهم بما جلب اليهم
 رسل العلم الذين حملوه اليهم عن أهالي اسبانيا ومن حملوه مما جاورها . ثم
 انساب الى المقول شيء مما سماه الاوربيون فلسفة ابن رشد . عند ذلك
 اهتمت المسيحية بالأمر وأخذت تحارب كل ما يظهر على السنة الناس
 أو يرد على أسماهم مما يخالف ما في الكتب المقدسة وتقاليده الكنيسة .
 قال دي رومينس : ان قوس قزح ليست قوساً حربية بيد الله ينتقم بها
 من عباده اذا أراد بل هي من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء . فجلب
 الى روما وحبس حتى مات ثم حوكت جثته وكتبه فحكم عليها وألقيت في
 النار . وقيل في علة الحكم : انه أراد الصلح بين كنيسي روما وانكلترا .
 وأي ذنب أعظم من هذا الصلح ؟ هو أضخم بلارب من ذنب القول بان
 قوس قزح من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء

مراقبة المطبوعات ومحكمة التفتيش

انشئت المراقبة على المطبوعات وحتم على كل مؤلف وكل طابع ان
 يمرض مؤلفه أو ما يريد طبعه على القسيس أو المجلس الذي عين للمراقبة
 وصدرت أحكام الجميع المقدس بحرمان من يطبع شيئاً لم يعرض على المراقب
 أو ينشر شيئاً لم يأذن المراقب بنشره . وأوغز الى هذا المراقب أن يدقق
 النظر حتى لا ينشر ما فيه شيء يومي الى مخالفة العقيدة الكاثوليكية ووضعت
 غرامات ثقيلة على أرباب المطابع يعاقبون بها فوق الحرمان من الكنيسة
 (كأن الحكومة العثمانية على ما تنشر بعض الجرائد أخذت نسخة من
 قرار الجميع المقدس لتجري عليه مراقبة المطبوعات ولكن للسياسة لالدين)
 انشئت محكمة التفتيش لمقاومة العلم والفلسفة عند ما خيف ظهورها

بسمي تلامذة ابن رشد وتلامذة تلامذته خصوصاً في جنوب فرنسا وإيطاليا.
انشت هذه المحكمة القريبة بطلب الراهب توركاندا

قامت المحكمة بأعمالها حتى القيام في مدة ثمانين سنة — من
سنة ١٤٨١ الى سنة ١٤٩٩ — حكمت على عشرة آلاف ومئتين وعشرين
شخصاً بأن يحرقوا وهم أحياء فأحرقوا وعلى ستة آلاف وثمانمائة وستين
بالشنق بعد التشهير فشهروا وشنقوا وعلى سبعة وتسعين ألفاً وثلاثة وعشرين
شخصاً بعقوبات مختلفة فنذت ثم أحرقت كل تورا بالبرية

ماذا كانت وسائل التحقيق عند هذه المحكمة « المقدسة » ؟ وسيلة
واحدة هي ان يحبس المتهم وتجري عليه أنواع المذاب المختلفة بآلات
التعذيب المتنوعة الى أن يعترف بما نسب اليه وعند ذلك يصدر الحكم
ويتمتع التنفيذ . قرر مجمع لاتران سنة ١٥٠٢ ان يلزم كل من ينظر في
فلسفة ابن رشد . وطقق الدومينكان يتخذون من ابن رشد ولعنه ولعن
من ينظر في كلامه شيئاً من الصناعة والعبادة لكن ذلك لم يمنع الامراء
وطالاب العلوم من كل طبقة من تلمس الوسائل للوصول الى شيء من
كتبه وتحلية العقول ببعض أفكاره

اشتدت محكمة التفتيش في طلب أولئك المجرمين طلاب العلم والسعادة الى
كسبه ونيط بها كشف البدعة والحكم فيها ما اشتد خفاؤها — في المدن .
في البيوت . في السرايب . في الأنفاق . في المخازن . في المطابخ . في المغارات
في الغابات . وفي الحقول . فوفت بما كلفت به مع الهجة والسرور اللاتقين
بأصحاب النيرة على الدين عملاً بالقول الجليل « ما جئت لالقي سلاماً بل سيفاً »
كان يؤخذ الرهبان في صوامعهم ، والقسوس في كنائسهم ،

والاشراف في قصورهم ، والتجار بين بضائهم ، والصناع في مصانعهم ،
والعامة في بيوتهم ومزارعهم ، وحيثما وجدوا ، وانما ثقفوا ، ويوقفون
أمام المحكمة وتصدر الأحكام عليهم يوم اتهامهم

قرر مجمع لاتران أن يكون من وسائل الاطلاع على أفكار الناس
الاعتراف الواجب أدائه على المذهب الكاثوليكي أمام القسيس في
الكنيسة (أي الاعتراف بالذنوب طلباً لغفرانها) تذهب البنت أو الزوجة
أو الأخت لاجل الاعتراف بين يدي القسيس يوم الأحد فيكون مما
تسأل عنه عقيدة أيها أو زوجها أو أخيها وما يدور من لسانه في بيته
وما يظهر في أعماله بين أهله . فإذا وجد القسيس متلقي الاعتراف شيئاً من
الشبهة في طلب العلم غير المقدس على من سأل عنه رفع أمره الى المحكمة
فينتض شهاب التهمة عليه فإذا سأل عن الشاهد الذي عول عليه في اتهمه
لا يجاب وإنما يقام التعذيب مقام شخص الشاهد وهو من أهله حتى يعترف
أو قمت هذه المحكمة المقدسة من الرعب في قلوب أهل أوروبا ما خيل
لكل من يلمع في ذهنه شيء من نور الفكر إذا نظر حوله أو التفت وراءه أن
رسول الشؤم يتبعه وإن السلاسل والأغلال أسبق الى عنقه ويديه ، من
ورود الفكرة العلية اليه ، وقال باغلياديس ما كان يقوله جميع الناس لذلك
المهد : « يقرب من المحال أن يكون الشخص مسيحياً ويموت على فراشه »
حكمت هذه المحكمة من يوم نشأتها سنة ١٤٨١ الى سنة ١٨٠٨ على
ثلاثمائة وأربعين ألف نسمة منهم نحو مائتي ألف أحرقوا بالنار أحياء

اضطهاد المسيحية للمسلمين واليهود والعلماء عامة

لما كان ابن د ر . هو الينبوع الذي تفجر منه ماء العلم والحرية في

اوربا على زعم القسوس وكان ابن رشد استاذاً يتعلم عنده كثير من اليهود وقد اتهموا بنشر افكاره وآرائه ثم هو مع ذلك مسلم صب غضب الكنيسة على اليهود والمسلمين معاً فصدر الأمر في ٣٠ مارس سنة ١٤٩٢ بأن كل يهودي لم يقبل المعمودية في أي سن كان وعلى أي حال كان يجب ان يترك بلاد اسبانيا قبل شهر يوليو (تموز) ومن رجع منهم الى هذه البلاد عوقب بالقتل وأبيع لهم ان يبيعوا ما يملكون من عقار ومنقول بشرط ان لا يأخذوا في الثمن ذهباً ولا فضة وإنما يأخذون الأثمان عروضاً وحوالات . ومن ذا الذي يشتري اليوم ثمن ما يأخذه بعد ثلاثة أشهر بلا ثمن ؟ (يعني ان أموال اليهود تكون مباحة بعد جلاهم الذي يتم في يوليو) . وصدر أمر توركاندو ان لا يساعد أحد من سكان اسبانيا في أمر من امورهم . وهكذا خرج اليهود تاركين كل ما يملكون ناجين بارواحهم على انه لانجاة لكثير منها فقد اغتالها الجوع ومشقة السفر مع الدم والفقير وفي فبراير (شباط) سنة ١٥٠٢ نشر الأمر بطرد أعداء الله المناربة (المسلمين) من أشيلية وما حولها — من لم يقبل المعمودية منهم يترك بلاد اسبانيا قبل شهر ابريل (نيسان) وأبيع لهم أن يبيعوا ما يملكون على الشرط الذي وضع لليهود . ولكن وضع للمسلمين شرط آخر وهو أن لا يذهبوا في طريق يؤدي الى بلاد إسلامية ومن خالف فجزاؤه القتل . فؤلاء المساكين نفوا جميعاً الى القتل ان لم يكن قتل الجزاء عند الرجوع فأموت ملائيمهم بالتعب مع المرى والجوع

الا يجب القارى اذا رأى ان برونو يحرق بالنار حياً بعد حبس طويل سنة ١٦٠٠ لأنه قال بقول الصوفية في وحدة الوجود وقال ان

هذا العالم يحتوي على عوالم كثيرة . الحمد لله رب العالمين
ظهر القول بكروية الأرض — ذلك الأمر الذي عرفه المسلمون
وصار رأياً لهم في أول خلافة بني العباس ولم يتحرك له شعرة في بدن —
فأحدث اضطراباً شديداً في عالم النصرانية ولا يسع هذا المقال ما وقع
من الحوادث في شأنه

هل يصدق القارئ أن مقصده كريستوف كولب من السفر في
المحيط الاطلانطي لعله يكتشف ارضاً جديدة كانت من الأمور التي
اهتمت لها الكنيسة وحكم مجمع سلاماتك بأنه مخالف لأصول الدين ثم
أعيد النظر فيه وعرض على أقوال الآباء من كريستوم واوغستين
وجيروم وغريغوار وبازيل وانبرواز وعلى رسائل الرسل والأنجيل
والنبوات والزبور والاسفار الخمسة ولم ينتج هذا المرض شيئاً . ولكن
ساعده على مقاصد بعض الملوك رغم الكنيسة كما هو معلوم . قال
كريستوف كولب ان الذي أوحى اليه هذا القصد النبيل هي كتب
ابن رشد . من هنا نفهم لم قامت له الكنيسة وقعدت .

ما أشد تمسك الكنيسة بهذا الأصل الجليل « الساطة للقسوس
والطاعة على العامة » كل رأي لم يصدر عن ذلك المصدر الديني الذي يربط
ويحل في الارض والسماء فهو باطل يجب مقاومته بكل ما استطاع . لهذا
حكم على غاليلي الذمى ذهب الى ان حركة الكواكب هي على النظام
المعروف عند الفلكيين اليوم

مقاومة الكنيسة للحقن تحت الجلد : هل تدري ماذا حصل من المقاومة
لادخال الحقن تحت الجلد بمادة المرض ؟ اكتشفت هذه الطريقة

الطبية عند المسلمين في الاستانة ثم نقلها الى اوروبا امرأة تسمى ماري مونتاجو سنة ١٧٢١ فقامت قيامة القسوس وعارضوا في استعمالها واحتج في تعذيبها الى التماس المساعدة من ملك انكلترا وعادت هذه الشدة في المعارضة عندما اكتشفت طريقة تطعيم الجدري

مقاومة تسهيل الولادة : أي مقاومة لم يلاحظها اكتشاف تخدير المرأة عند الولادة حتى لا تحس بالملح. اكتشاف أميركاني رأت حضرات القسوس فيه انه يخلص المرأة من تلك اللعنة أو تلك المتوبة التي سجلت عليها في سفر التكوين (إذ جاء في الاصحاح الثالث منه : « وقال للمرأة تكثيراً أكثر اتعاب حملك بالوجع تلدين اولاداً »)

مقاومة السلطة المدنية وحرية الاعتقاد : نشر البابا منشور في سنة ١٨٦٤ جاء فيه لمن كل من يقول بجواز خضوع الكنيسة لسلطة مدنية أو جواز ان يفسر أحد شيئاً من الكتب المقدسة على خلاف ما ترى الكنيسة أو يعتقد بان الشخص حر فيما يعتقد ويدين به ربه . وفي منشوره سنة ١٨٦٨ ان المؤمنين يجب عليهم أن يقدوا نفوذ الكنيسة بأرواحهم وأموالهم وعليهم أن ينزلوا لها عن آرائهم وافكارهم ودعا الروم الارثوذكس والبروتستانت الى الخضوع للكنيسة الرومانية على هذا الوجه

في سنة ١٨٧١ كان النزاع بين حكومة بروسيا والبابا في عزل استاذ في إحدى الكليات رأى رأياً لا يروق للحزب الكاثوليكي فخرمه البابا وطلب من الحكومة عزله وكانت إحدى المضلات السياسية غير ان عزيمته بسمارك نصرت مدينة القرن التاسع عشر على سلطان الكنيسة وأبقت الاستاذ وجمعت التعليم تحت السلطة المدنية

مقاومة الجمعيات العلمية والكتب : لا أذكر الجمعيات العلمية (الأكاديميات) التي التفت والاجتماعات التي عطلت لالشيء كان فيها سوى هداية البشر الى مفاهيمهم وتنوير بصائرهم بكشف ما احتجب عنهم من سر الخليقة بالبحث النظري ومن الطرق العقلية من غير استشارة للسيطر الالهي وهو الكنيسة . ولكن أذكر شيئاً واحداً وهو ان الكريدينال اكسيمينس أحرق في غرناطة ثمانية آلاف كتاب بخط القلم فيها كثير من ترجمة الكتب الممول عليها عند علماء أوروبا لذلك المهدي

البروتستانت او الاصلاح

ربما يقول قائل ان هذا الذي ذكرت هو عمل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والكن قد قام في المسيحية مصلحون يرون إرجاع الدين الى أصل الكتب المقدسة ويصحون لامة أهل الدين ان ينظروا فيها ويفهموها وقد دفعوا تلك السيطرة عن الضمائر والمقول ومن عهد ظهور الاصلاح والرجوع الى أصول الدين الأولى بزغت شمس العلم بالمغرب وبسط للملم بساط التسامح وذلك لا يمكن أن يكون الا جريا مع طبيعة الدين لا أذكر في الجواب عن ذلك الا ما ذكر البروتستانت أنفسهم في تاريخ الاصلاح : استمرت عقوبة الموت قانوناً يحكم به على كل من يخالف ممتد الطائفة وقد أمر كلفان^(١) بأحراق سيرفيت في جنيف لأنه كان يعتقد ان الدين المسيحي كان قد دخل عليه شيء من الابتداع قبل مجمع نيقة . وكان يقول : ان روح القدس ينفس الطبيعة بأسرها . فكان جزاؤه على هذا ان شوي على النار حتى مات وهكذا أحرق فايي في تلوز سنة ١٦٢٩

(١) كلفان هو الزعيم الثاني للبروتستانت ولوتر الأول

كان لوتير أشد الناس أنكاراً على من ينظر في فلسفه ارسطو وكان ذلك المصلح يلقب هذا الفيلسوف بالخبزير الدنس الكذاب ونحو ذلك من الألقاب التي لا بأس بها اذا صدرت من أهل النيرة على الدين في طريق الدفاع عنه !! وكان كلفان أقل شئاً للفيلسوف من لوتير لكنه لم يكن أحسن ظناً به ولا أوسع صدر من يطلع على شيء من كتبه . وكان علماء المسلمين يلقبون هذا الفيلسوف «المعلم الاول» فتأمل الفرق بين الفريقين !! قالوا : البروتستانت قاموا يطالبون بالحرية في فهم الكتب المقدسة وبإبطال السلطة على غفران الذنوب والتجارة ببيع الثواب والسعادة الاخرية وإبطال عبادة الصور . ولكنهم لم يغيروا شيئاً من الاعتقاد بان الكتب المقدسة هي نبراس الهداية في طريق العلم البشري كما انها منبع نور الإيمان بالدين الالهي وأنه لا يباح للعقل أن ينساق في نظره الى ما يخالف شيئاً مما حوته وأنه لا حاجة الى شيء من العلم وراء ما ورد فيها . وبالجملة انهم لم يبطلوا أصلاً من الأصول الستة التي تقدمت إلا أنهم قالوا يمنع غلو الرؤساء في سلطتهم المبنية على الاصل الثاني في سابق قوائمنا

قالوا : ولهذا لم يكن مذهب الاصلاح اخف وطأة على العلم ولا أفضل معاملة له من الكاثوليك لأن كلا المذهبين يرجع الى طبيعة واحدة (وهي القائمة على الأصول الستة) ولم يكن لاهل النظر العقلي جزء في كلا الملتين الا القتل وسفك الدم

لو كنت ممن يحب الجدال في الدين لمددت فيما ذكرته من عناصر الدين المسيحي ما تضمنه قول بعض الناقدين عند الكلام على الحروب المسيحية واضطهادات الكنيسة « ما أهون الدم على من يمثل في عبادته أكل

الدم وعلى من يعتقد ان خلاص العالم الانساني من الخطيئة انما كان بسفك
الدم البرى على يد الممتدي الانيم لكنني في بحثي هذا لا أريد ان استعمل
قوة الخيال، ولا أن أذكر ما يمد من قيل الجدل، وانما آتي بما هو حكاية
حال، ليس للنظر فيها مقال،

الفصل بين السلطين في المسيحية

بقي علينا الكلام فيما جعلته الجامعة أساساً للفصل بين السلطين
الدينية والملكية وبه كانت طبيعة الدين المسيحي ادعى الى التسامح مع العلم
في نظرها. لو سلمنا أن في تلك العبارة معنى الفصل كما قالت الجامعة وقال
كثير غيرها ممن أرادوا مقاومة السلطة الدينية فاذا يفيد الفصل اذا كان
دين الملك نفسه يقضي عليه بمعادة العلم؛ أفلا يغاب اعتقاد الملك وما يملك
نفسه مما فيه نجاته الروحية على مطالب الملك؛ وكم من ملك جعل مصالح
مملكته قربانا لسلطان عقيدته. هب ان مصالح الملك تكون دائماً أغلب
على النفس من حكم العقيدة وقاهر الايمان والوجدان وقد أقام الدين
سلطين منفصلتين احدهما تحل وتربط في الارض وفي السماء فيما هو من
خاضعة الدين والأخرى تحل وتربط في الأرض فيما هو من خصائص
الدنيا. أفلا يكون هذا الفصل قاضياً بتنازع السلطين وطالب كل واحدة
منهما التغلب على الأخرى فيمن تحت رعايتهما معاً؛ وهل يسهل على السلطة
الدينية أن تدع رعاياها تتصرف في أبدانهم وأموالهم بل وفي عقولهم أيدي
الملوك بما تقتضيه مصالح الملك الثاني اذا كان ذلك التصرف مخالفاً لما جاء
في كنز المعارف وهو الكتب السماوية وتأويل الرؤساء الروجيين وسننهم
فاذا همت هذه السلطة بالمعارضة أقتصر الأخرى؛ هذا هو الذي وقع

في العالم المسيحي منذ ظهرت سلطة الدين
كيف يتسنى للسلطة المدنية أن تتغلب على السلطة الدينية وتقف بها
عند حدها والسلطة الدينية إنما تستمد حكمها من الله ثم تمد نفوذها بتلك
القوة إلى أعماق قلوب الناس وتديرها كيف تشاء . والملك لا قوة له إلا بأوئك
الناس المغلوبين للسلطة الدينية ؛ لا يتأتى للملك أن ينال تلك القوة إلا بعد
أن يتناول من الوسائل ما لا يد لإضعاف سلطتها . نعم هذا الفصل يسهل
التسامح لو كانت الأبدان التي يحكمها الملك يمكنها أن تأتي أعمالها على حدة
مستقلة عن الأرواح التي تحيا بها والأرواح كذلك تأتي أعمالها بدون
الأبدان التي تحمل قواها

ثم هل هذا هو معنى قول الانجيل ؛ القصة على ما جاء في الانجيل
أن بعض المرائين أراد أن يتسقط المسيح ليأخذ عليه ما يخ به فسأله :
أيجوز أن نمطي جزية لقيصر ؟ فأجاب لم تجربوني اثتوني بدينار لا نظر
إليه . فأتوه بدينار فقال : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ قالوا له لقيصر
فقال : اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . فمناه الظاهر من سياق القصة
أن صاحب السكة التي تعاملون بها اذا ضرب عليكم أن تدفعوا منها شيئاً
فادفوه له أما قلوبكم وعقولكم وجميع ما هو من الله وعليه طابع صنعته
فلا تمطوا منه لقيصر شيئاً . والعالم ليس مما عليه طابع فيصر بل عليه طابع
الله فلا يمكن أن يكون العلم تحت سلطة غير السلطة الروحية الدينية .
فأي تسامح مع العلم في هذا

- اعتقاد المسلمين في المسيح والمسيحية -

هذا الذي عرضناه من طبيعة الدين المسيحي وأوردناه من مشاربه

فيما بعد نشأته وما وقع من حوادث أهله مع طلاب العلم ورواد المعارف في كل زمن الى ما يقرب من أيامنا هذه كل ذلك مأخوذ من تاريخهم الذي كتبوه عن أنفسهم ومن نصوص كتبهم الدينية التي يتوكلون عليها فيما ذكرنا من سيرتهم وأعمالهم

أما رأيي ورأي أهل العقيدة الصحيحة من المسلمين في المسيح عليه السلام ودينه فهو على غير مارآه القارىء. أنا نعتقد ان المسيح روح الله وكلته ورسوله الى بني اسرائيل بعث مصداقاً لما بين يديه من التوراة وجاءهم من الدين بما فيه هدى لهم ورشاد في شؤون معاشهم ومعادهم ولم يطالبهم بتعطيل قوّة من قواهم التي وهبهم الله تعالى إياها بل طالبهم بشكر الله تعالى عليها ولا يشكر حق الشكر الا باستعمالها جميعها فيما أعدّها الله له . والمقل من أجبل القوى بل هو قوّة القوى الانسانية وعمادها والكون جميعه هو صحيفته التي ينظر فيها وكتابه الذي يتلوه وكل ما يقرأ فيه فهو هداية الى الله وسبيل للوصول اليه . وكل ما صح عندنا عن السيد المسيح لا يخالف شيء منه هذا الذي نعتقد . فان صح عنه شيء يكون في ظاهره مخافة لهذه الأصول أمكننا تأويله حتى يرجع . مناه اليها أو وكلنا الامر فيه الى الله وقلنا « لا علم لنا الا ما علمتنا » .

الدين دين الله وهو دين واحد في الاولين والآخريين لا تختلف الا صوره ومظاهره . وأما روحه وحقيقته ما طوب به العالمون أجمعون على ألسن الانبياء والمرسلين فهو لا يتغير — إيمان بالله وحده وإخلاص له في العبادة ومعاونة الناس بعضهم لبعض في الخير وكف أذاهم بعضهم عن بعض ما قدروا . وهذا لا ينافي الارتقاء في الدين بارتقاء عقول البشر

واستمدادهم لكمال الهداية . ونعتقد ان دين الاسلام جاء ليجمع البشر
كلهم على هذه الأصول ومن أهم وظائفه ازالة الخلاف الواقع بين أهل
الكتاب ودعوتهم الى الاتفاق والاخاء والمودة والائتلاف وهذا ما عمل عليه
المسلمون قرناً بعد قرن بحسب قوة تمسكهم بالاسلام

فإذا سأل سائل لماذا كان ذلك الذي قدمت فيما سبق هو اعتراف
فضلاء الأوربيين أنفسهم في متافاة طبيعة الدين للعلم واشتداده في موادته
فما هذا الانقلاب الذي حصل في أوروبا وما هذا التسامح الذي يتمتع به العلم
اليوم في أقطارها؟ لجوابه في الكلام على الامر الرابع مما ذكرت انظمة
وهو يكون بعد عرض طبيعة الدين الاسلامي وما يليق أن يكون له مع العلم
وما انجر اليه الحال بمقتضى تلك الطبيعة وما عرض عليه اسماء سترها وحال بينها
وبين أثرها في أخريات الأيام؛ وسنوجز القول فيه كما أوجزناه فيما مضى

باب الاسئلة والاجوبة

(ا) نخبة المتصوفة من الشيخ عبد الله عبد الرحمن بالقائيات : قال بعد كلام
يمرّض فيه بعلماء التقليد وعدم الثقة بهم وبثني فيه على المنار ما نصه
« ما يرى سيدي فيمن نفاق بالشهادتين أو بطلاق امرأته أو بأي عقد يحتاج
في اعتباره الى صراحة النطق ونطق به كما تضمنه هذه الفرقة (المتصوفة) في ذكرهم
وأريد تخفيفهم . اهو إسلام صحيح ، أو طلاق صريح ، أو عقد مقسّر شرعاً ؟
فان قائم بصحته كلية فما هذا الذي ينكره الناس على هذه الطائفة ؟ وان رأيت
غيره فأي شيء هو ؟ ألغو من الكلام ، لا يثبت به إسلام ، ولا يعطي ما يعطيه اللفظ
الصريح من المعاني »

(ج) التمهدة هي النطق لا بيان فيه وأصلها أصوات التبران عند الذعر وتقع
من الناس اضطراراً يقال : غنم الأبطال عند الكفاح في الحرب . وهذا هو الذي

يلبس القنى الحقيقي . فلما غمغم الانسان عجلاراً فإتاكما يكون لاجاً وعازلاً فلما جاء في
مره بكلمة الشهادة فلا يتدبها ظاهراً ولا باطناً . أما عدم الاعتداد بها في الباطن
فلأن الهب بأصل الدين سخرية وهزء وهو مزيد في الكفر فكيف يحصل به
الايان . وأما عدم الاعتداد بها في الظاهر فلا لأنها غير ظاهرة ورعا لا يعرف غير
السمع لها وقت في غمغمة . ولأن قرية المز . والسخرية تصرف الكلام عن ظاهره
ومثل هذا يقال في الطلاق لأن التقهاء من الحقة والشائبة يعتبرون هذا الطلاق
جداً فلما اعترف بأنه في غمغمة نطق بصيغة الطلاق المتبرة فرعاً يحكم القاضي عليه
بما خفيه تلك الصيغة في متعبه . وإذا كان للسمع بمقد ذلك فهو يسئل به أيضاً
والسائل يسئل إن القود التي من تلها أن يحكم فيها الحاكم تكون العبرة فيها بنظم
القول وبطريق وأما العبادات كالعبادة فيها بما ورد في الكتاب العزيز والنية الصحيحة
مع الاخلاص في القلب وسحة التوجه الى الله تعالى . فالتاس ينكرون على التصوفة
للمتضمن في الذكر أنهم اخرجوا لاهتهم عبادة لم يأتوا بها الله تعالى في كتابه ولا على
لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول لهم قوله عز وجل « أم لهم شركاء شرعوا
لهم من الدين لم يأذن به الله » وصدق عليهم قوله تعالى « اتخذوا دينهم هزواً وليلاً »
ولكل مسلم الحق في انكار كل عبادة لم ترد في الكتاب والنية في ذاتها أو صورتها فقد
أخبرنا الله تعالى في كتابه بأنه أكل لاديتكوا ثم علينا به نفس فكل من يرد فيه شيئاً
فهو مردود عليه لأنه مخالف الآية الشريفة وللحديث الصحيح « كل من أحدث في
أمرنا ما ليس منه فهو رد »

كل بدعة في الدين فهي ضلالة كما ورد في الحديث وأما البدع التي منها حسن ومنها
سيئ فهي الاختراعات للطفة بأسور البشر ووسائله ومقاصده وهي الراد بقوله صلى
الله عليه وآله وسلم « من سنعة حنة فهو أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة »
ومن سنعة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة . ولولا ذلك لكان
لنا أن نزيد في ركعات الصلاة أو سجداتها والله أعلم

(س ٧) خبرنا الشريعة محمد اقدى عيسى السيرة ببولاق : أروكم اقدى
عن (الشريعة) وهي ان تدخل امرأة تحمل عقداً من القوتل على احدى النساء
الراضات فيكون أثر ذلك في الواضحة أنها لا تحبل بعد ذلك أبداً إلا أن تأتي بقدمن
القوتل فقصه في الماء بكل مخصوص فاتها بعد ذلك تحبل وقد آتت كثرة التجارب
كثيراً من هذا فهل ورد عنه شيء في التسرع للشرف

(ج) الشرع أباح للناس أو أرشدهم إلى البحث عن منافعهم الدنيوية ليستفيدوا مما ثبت لهم فائدته ويجتنبوا ما ثبت لهم مضرته فلو فرضنا أن التجارب التي ذكرها السائل صحيحة محققة لكان حكمها في الشرع أنه يحرم على المرأة أن تدخل على النساء بمقد من اللؤلؤ لانهما تضرها بمنع الجبل ثأية لاسيما إذا كان العقد خفياً أو كانت النساء لا تصرف العلاج أو لا تقدر عليه . وأنه يجوز لمن منع حباها بذلك أن تعالج نفسها بوضع عقد من اللؤلؤ في المساء إذا أرادت إزالة المانع

أما نحن فلا نعتد بتجارب العامة ولا سيما النساء ولا نرضى لسائل أن يصدقهن بهذه المزاعم وكما نحن من أمثالها أكثر منهن في الزار . العاقل يشك في مزاعم هؤلاء الجاهلات إذا كانت في ذاتها قريبة في نظر العقل فكيف يصدقهن فيها يكون بعيداً . من النظر كسألتنا فان العقل لا يتصور علاقة لعقد اللؤلؤ بأمر الرحم والتناسل لاسيما في صورة الانفصال والبعد

باب الرد على شبهات المسيحيين ❦❦

(إيمان المسلمين وأعمالهم)

جاء في الجزء ٨ من مجلة بشارت السلام نبذة تحت هذا العنوان ما خصها أنه يجوز على مذهب أهل السنة . أن يؤمن أحد بالاسلام إيماناً حقيقياً وتبقى أعماله شريرة . واعترض الكاتب على هذا اعتراضين أحدهما « أن الإيمان الذي لا ينشئ في صاحبه توبة وعملاً صالحاً بل يتركه وسيئاته تفوق حسناته ومضاره تزيد عن منافعه . . . فهو إيمان باطل عديم النفع يحبط من كرامة الخالق ويزيد في شغفه الخلق . . . ثانياً . » « يحجب الإيمان الحمدي عن الخلاص التام » وقد أورد الكاتب بعد الاعتراض الأول كلمات من كتب المهديين تدل على أنه يطالب من الإنسان أن يكون كاهلاً ولكنها لا تدل على أن المؤمن يكون معصوماً من الذنوب . وأورد بعد الثاني كلمات تدل على أن الإيمان بالمسيح كاف للخلاص ولكن لم يشترط مع الإيمان عملاً صالحاً

لو كان هؤلاء المعارضون يعتقدون بما يقولون لكانت هدايتهم قريبة واقناعهم أقرب ولكنهم يلوكون الكلام ويلوون ألستهم بالكتاب ليفتوا به عامة المسلمين الجهلاء ولا يبالون أن كان الكلام حجة عليهم . عهدهم الجديد ناطق بأن البر والعمل بالتأموس الإلهي لا يبعثان عن الإنسان شيئاً وإنما يفني عنه الإيمان بالمسيح فقط وبذلك

يخبر ويرث الملكوت وإن كان ثمر الأشجار . وأفجر الفجار ، والقرآن لا تكاد يذكر الإيمان الاقروناً بذكر العمل الصالح . وورد في السنة الصحيحة أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان . وهذه السنة مؤيدة بخمس وسبعين آية من القرآن . وهذا ما عدا الآيات التي ذكر فيها العمل الصالح بدون ذكر الإيمان

قال تعالى « وإني أنذركم لناب و آمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » وقال عز وجل « ليس بآمناتكم ولا أمانتي أهل الكتاب . من يعمل سوءاً يجز به ولا ينجذ له من دون الله ولياً ولا نصيراً . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن قوئك بدخلون الجنة ولا يظلمون فيها » وقال جل ذكره « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين هم من الصلاة وما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا » وقال قدس أسأوه « والمؤمنون الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » فهذه السورة القصيرة أجمع بفضائل وأبلغ في الهداية من جميع الكتب التي في العالم . آية كانت أو غير سماوية وهي كافية لتكون ديناً مستقلاً أقوم بتفصيله

أن الشبكة التي يصيد بها الجاهلين هذا الكتاب وأمثاله إلى المسيحية هي أن خلاص الإنسان محصور في أن يؤمن . أي يقول وإن لم يعقل . أن الله مركب من ثلاثة أصول كل واحد منها عن الآخرين فالثلاثة واحد وإن أحد الثلاثة وهو الابن حل في جميع الإنسان بواسطة آخر وهو روح القدس فصار هذا الإنسان الإله وابن الإله وإنساناً وابن الإنسان وصار هو الله ثم أنه ساطع أعداءه على نفسه فضلبوه واحتمل الألم والألمنة الإلهية لأجل خلاص الناس من ذنب أبيهم آدم وذنوبهم لأنه لم يجد غير هذه الطريقة لخلاص عباده

لا يطلب هذا الكتاب وأمثاله ممن يدعوهم إلى دينه إلا هذا القول الذي لا يعقل ولا يحمل النفس على عمل صالح بل يجزئها على جميع المعاصي والجاهل يجب أن تباح له المعاصي ويكون ناجياً بكلمة يقولها . فإذا كان دعاة النصرانية قد بداهم أن يشترطوا مع هذه الكلمة التي يسمونها إيماناً ترك المعاصي والأعمال الصالحة فأية مزية لديهم غير تلك الكلمة التي لا تعقل ولا تفهم ؟ ألا يعلم أنه إذا دعا مساماً إلى دينه وطالبه بترك المعاصي وبعمل الصالحات فإنه لا يستطيع أن يصيده مهما كان جاهلاً لأنه يقول أن هذا يكلفني بمثل ما يكلفني به ديني ويؤيد علي ثقلاً آخر وهو الإيمان بما لا عقله ولا أفهمه

وهو أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد وإن الله عجز عن انجاء الناس بدون أن يبين ذاته العلية للحلول في أحدهم وبالتأم وبلعن نفسه

المسلمون يعتقدون أن الإيمان بهذب الاخلاق ويصالح الاعمال وأنه يجوز مع ذلك أن تغاب على المؤمن شهوته أو غضبه فيعمل شراً لاسيما إذا لم يترب على أعمال الإيمان من النشأة الأولى ولكنه يرجع ويتوب عن قريب قال تعالى « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » وقال سبحانه « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم » ومن التوبة أن يعمل صالحاً يكفر سيئته « إن الحسنات يذهبن السيئات » فإذا قُصِرَ فهو تحت مشيئة الله

فتبين مما ذكرنا بالاختصار أن الإيمان عند المسلمين يحرر الاعمال الصالحة وإن العمل لقيمة له في إيمان النصارى . أما قول بحلة بشارئ السلام في نتيجة الاعتراض الاول : « وبناء على ما تقدم كل إيمان لا يكون الكمال غايته والتقوى ثمرته فهو إما إيمان كاذب بالإله الحق كإيمان النصارى بالاسم واليهود بالاسم أو إيمان صادق لكنه بالإله باطل خيالي قائم على الاوهام » . فهو مسلم ولقد أنصفت فيما كتبت عن إيمان النصارى ولم يكن من شأنها ذلك فإن إيمانهم ليس إلا أسماء سموها وأقوالاً لا تعدو الغم لأن العقل ينكرها ، ولا يستطيع أن يتدبرها . وأما قولها بعد ذلك « وأظنك لم تنس ذكر القوم الذين هم على الاسلام بالإجماع وهم مع ذلك من أهل المعاصي والفسجور بحيث يحكم عليهم بالسجدة في جهنم مدة لا تنقص عن تسعمائة سنة ولا تزيد عن سبعة آلاف » الخ . فهذا التحديد فيه لم يصح في كتاب ولا سنة فهو لا يمتد به عند المسلمين وإن ذكر في بعض الكتب فكهم في الكتب من أحاديث موضوعة وأقوال مكذوبة ولا حاجة عناينا إلا في القرآن الكريم والاحاديث الصحيحة . وأما كلام المؤرخين في أمور الآخرة فلا يعتمد به ألم يكن منقولاً على أنه لا يجب الإيمان فيما يتعلق بعالم الغيب كاحوال الآخرة إلا بالقرآن والاحاديث المتواترة وهي قليلة جداً . وهذا الذي قلناه هو الاصل المأمور عليه عند المسلمين

وأما قوله تعالى « وإن منكم إلا واردة » فليس خطاباً للمسلمين كما زعم الكتاب لان الآيات التي فيها كلها في الكفار قليل ان الخطاب لهم خاصة وقيل انه عام والمراد بمرود المؤمنين حينئذ المرور عليها والجلو عندها قبل دخول الجنة وبذلك يعرفون مقدار نعمة الله تعالى عليهم بدخول الجنة

(كثتان) أحتم هذا الرد بكلمتين أولاها للمسلمين الذين يرسلون إلينا هذه الجرائد لئلا نرد عليها : لا يجوز نكح أيها المسلمون هذا الاعتداء الذي لم تعادوه ولا تصدوه من سيئات حرية المطبوعات فهو من حسناتها لأن هذا الاعتداء على الطعن بدينكم هو الذي يوقظكم من نومكم ويبحث فيكم شعور البحث والاستدلال ويحيي فيكم روح الفيرة المليئة والمباراة القومية حتى تعرفوا حقائق دينكم بالبراهين والدلائل والبحث لا يزيد الحق الا ظهوراً

والكلمة الثانية للتصارى المسترضين ، الذين يسمون أنفسهم مبشرين ، وهي : اننا نعتقد انكم تطلعون بدين الاسلام الذي لولاه لا يثبت دين في هذا العصر المنير مأجورين لا معقدين بما تقولون وما تكتبون . ولذلك يترك أحدكم التبشير اذا عزل من الحمية ومنع عنه الراتب الذي كان له . ولو كنتم تعتقدون بالدين لطمعتم ان دين الله واحد وهو تنزيه الباري وبوجيده والاخلاص في عبادته وترك الشرور وعمل البر ونفع العباد . وكنتم تزعمون ان الاسلام قد خدم العالم الانساني بهذا الاصلاح المتبحر وانه هو دين الانبياء اجمعين ظهر في اكل ارقاء ، وأخرج أهل الكتاب من الخلاف والمشكلات ولكن الهوى يصدكم عن هذا فاعملوا على مكانتكم انا عاملون ، وانتظروا انا منتظرون .

باب الوفاء والبراء

المصريون في أوروبا وسوء التقليد

لما ولع أمراء المصريين وكبرائهم بالاصطيف في أوروبا دب فساد التقليد في نفوس الطبقات المتوسطة المتصلة بهم فصار الكثيرون منهم مهاجرون الى أوروبا للتبذير الاموال ، واقتباس أسوء الاخلاق ،

وقد علمنا أن شيخاً من هؤلاء استدان مبلغاً من المال وسافر به الى باريس وقد اتخف بتناً له في المدرسة السنية برقعة بريدية مصورة (كرت بوستال) أرسلها اليها في البريد . ولوعم القراء ما هي الصورة التي عليها فكان لهم عبرة في هذا التقليد الضار ولا يكون التقليد الاضارا

تلك الصورة هي صورة أشهر بغي من مومسات باريس وقد صورت على الرقعة عارية لترغب الفساق بالاقبال عليها وكتب تحت الصورة وصفها ووصف مكانها وكتب الشيخ المصري لبقته تحت تلك الكتابة الفرنسية أنظري يا بغي ما أجل هذه الفادة

الباريسييه !!! فماذا نرجو من رجال يربون بناتهم هذه التربية وكيف نقول ان النبات
ملومات على فساد أخلاقهن وأديهن ؟ ولولو أن نظارة المدرسة السنية اطاعت على هذه
الرقعة مع البنت لطردها من المدرسة وأتت لها بالاطلاع عليها .

ولايتوهن أحد أن هذا الشيخ الجاهل هو من شيوخ العلم أو شيوخ الطريق .
كلا أنه من المتعممين الذين ليس لهم لقب أئدي أو ييك

﴿ ابن الرشيد وابن سعود في نجد ﴾

قد استولى ابن سعود على القسم الجنوبي من بلاد نجد الى حدود بلاد اليمن
فصار في يده نصف البلاد أو يزيد ، والباقي في يد ابن الرشيد ، ويود جميع الاهالي
لو خلصت الامارة لابن سعود لأنه أعلم وأرحم ، وابن الرشيد أجهل وأظلم ، والاميران
الآن في شبه هذه لأن ابن الرشيد يتوقع اعانة الدولة العلية وامدادها اياه بالرجال
والسلاح وهذا دليل على معرفته بعمقه . وعندنا ان الحكمة في عدم دخول الدولة
العلية في هذا الامر بانعمل لأن عاقبة ذلك وخيمة جداً . والخطر متوقع على كلا
الحالين الآتيين — اذا خلصت الامارة لابن سعود من غير أن يحاربه الدولة فإنه
يكون موالياها وخاضعا لامرها كابن الرشيد أو أشد ولاء وخضوعاً ، واذا غاب على أمر
البلاد بعد منامه من الدولة فيجئ أن يسقط نفوذها من قلب البلاد العربية وهذا
احد الخطرين . وأما الخطر الثاني وهو أشدها فهو ما يتخطر من اجتماع ابن سعود بدولة
انكفرت اذا جردت الدولة عليه جيشاً لا قبل له به . ولولا أن وصل الى آذاننا شيء من
الهمسات الخفية التي يتناجى بها جماعة الفتن في بلاد العرب لما كان يخطر في بالنا أن يكون
شيء من هذا وقانا الله وبلاد العرب من عواقب هذه الفتن

لهذا قلنا ان من الحكمة أن لا تسمي الدولة العلية أحد الخصميين بالفعل ولا شك
ان العاقبة الحسنة تكون لها اذا اتقت هذين الخطرين (والعاقبة للمتقين)

—————

(غامط في الجزء ١٠) في السطر ٦ من الصفحة ٣٧٠ كلمة دعوت والصواب (وعث)
وهي الأرض التي تعيب فيها الأقدام لئليها . وفي السطر ١٣ منها بجبيل والصواب
(بجبيل) . وفي س ٢٠ من ص ٣٨٠ كلمة من وجه ابها (في) وفي البيت ١٧
من ص ٣٩٢ (دبئارا) والصواب (بنارا) وفي البيت ٢٢ منها (بنارا) والصواب
(دبئارا) فليصحح

بوق الحكمة من بقاء ومن يؤمن
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أوامر والأبواب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فبينوا أن أحسن أولئك الذين هداهم
الله وأهتلك هم أولو الآلآباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الجمعة ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ - ١٩ ستمبر (أيلول) سنة ١٩٠٢)

❦ الإسلام والنصرانية . مع العلم والمدينة ❦

❦ وهو المقال الثالث لذلك الامام الحكيم . والاستاذ العظيم ❦

❦ طبيعة الاسلام مع العلم بحكم أصوله ❦

(تمهيد الاصل الاول) للإسلام في الحقيقة دعوتان -- دعوة الى الاعتقاد بوجود الله وتوحيده ودعوة الى التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم . فأما الدعوة الاولى فلم يعمل فيها الا على تنبيه العقل البشري وتوجيهه الى النظر في الكون واستعمال القياس الصحيح والرجوع الى ما حواه الكون من النظام والترتيب وتماقيد الاسباب والمسببات ليصل بذلك الى أن لا يكون صانعاً واجب الوجود عالماً حكيماً قادراً وان ذلك الصانع واحد لوحدته النظام في الالكون . وأطلق للعقل البشري ان يجري في سبيله الذي سنته له الفطرة بدون تقييد فنه الى أن خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وتحريك الرياح على وجه يتيسر للبشر أن يستعملها

في تسخير الفلك لمنافعه وإرسال تلك الرياح لنثير السحاب فينزل من السحاب ماء فتحي به الأرض بعد موتها وتنبث ماشاء الله من النبات والشجر مما فيه رزق الحي وحفاظ حياته — كل من آيات الله عليه أن يتدبر فيها ليصل منها الى معرفته

ثم قد يزيد تبييناً بذكر أصل للكون يمكن الوصول الى شيء منه بالبحث في عوالمه فيذكر ما كان عليه الأمر في أول خلقه السموات والأرض كما جاء في آية: «أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ» ونحوها من الآيات . وهو إطلاق لعنان العقل ليجري شوطه الذي قدر له في طريق الوصول الى ما كانت عليه الأكوان . وقد يزيد التنبيه تأثيراً في إيقاظ العقل ما يؤيد ذلك من السنة كما جاء في خبر من سأل النبي صلى الله عليه وآله : أين كان ربنا قبل السموات والأرض فاجابه عليه السلام : «كان في عماء تحته هواء» ^(١) والعماء عندهم السحاب . فترى القرآن في مثل هذه المسألة الكبرى لا يقيد العقل بكتاب ، ولا يقف به عند باب ، ولا يطالبه فيه بحساب ؛ فليقرأ القارئ القرآن يعني عن سررد الآيات الداعية الى النظر في آيات الكون — «أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ» . «وَأَيُّ لَهِمُ الْأَرْضِ الْيَتِيمَةُ أُحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَنُفِئَ يَا كُلُونِ» — «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاجْتَلَفَ الْأَشْيَاءَ وَالْأَوَانِ» وأمثال ذلك . فلو أردت سررد جميعها لآتيت

(١) رواه ابن جرير والطبراني وابو الشيخ في المظنة عن أبي رزين السائل (رض)

بأكثر من ثلث القرآن بل من نصفه في مقالي هذا .
 يذكر القرآن إجمالاً من آثار الله في الأكوان تحريكا للعبارة ؛ وتذكيراً
 بالنعمة ؛ وحفزاً للفكرة ؛ لا تقريراً لقواعد الطبيعة ؛ ولا إلزاماً باعتقاد
 خاص بالخلقة ؛ وهو في الاستدلال على التوحيد لم يفارق هذا السبيل ،
 انظر كيف يقرع بالدليل ، « لو كان فيها آلهة الا الله لفسدنا » « ما اتخذ الله
 من ولدٍ وما كان معه من إلهٍ إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلَّ بعضهم
 على بعضٍ سبحانه الله عما يصفون »

فالاسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالايان بالله ووحدايته لا يعتمد
 على شيء سوى الدليل العقلي ؛ والفكر الانساني الذي يجري على نظامه
 الفطري ، (وهو ماسميه بالنظام الطبيعي) فلا يدهشك بخارق للعادة ،
 ولا يفشي بصرك بأطوار غير معتادة ، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية ،
 ولا يقطع حركة فكرك بصيحة آلهية ، وقد اتفق الماسمون الا قليلا ممن
 لا يعتمد برأيه فيهم على ان الاعتقاد بالله مقدم على الاعتقاد بالنبوات وانه
 لا يمكن الايمان بالرسول الا بعد الايمان بالله . فلا يصح ان يؤخذ الايمان
 بالله من كلام الرسل ولا من الكتب المنزلة ^(١) فانه لا يعقل ان تؤمن
 بكتاب أنزله الله الا اذا صدقت قبل ذلك بوجود الله وبأنه يجوز ان ينزل
 كتاباً أو يرسل رسولا .

وقالوا كذلك ان أول واجب يلزم المكلف أن يأتي به هو النظر

١٠٠ المآز - أي لا يؤخذ منها بالتسليم بناء على انها من الله ولا يتنا في هذا أن يؤخذ
 الايمان بالله من كلام الرسل وكتبهم بما يقيمون من البرهان على ذلك لا بمجرد التسليم
 ولا باعتبار أنهم رسل الله ثم بعد الايمان بالله وبهم يكمل ايمانه بالاخذ عنهم

والفكر لتحصيل الاعتقاد بالله لينتقل منه الى تحصيل الايمان بالرسول
وما أنزل عليهم من الكتاب والحكمة

وأما الدعوة الثانية فهي التي يخرج بها الاسلام بخارق العادة وما أدراك
ماهو الخارق للعادة الذي يعتمد عليه الاسلام ، في دعوته الى التصديق
برسالة النبي عليه السلام ، هذا الخارق للعادة هو الذي تواتر خبره ، مع
يقطع أثره ، هذا هو الدليل وحده وما عدا ذلك مما ورد في الأخبار سواء
صح سندها او اشتهر أو ضعف أو هو فليس مما يوجب القطع عند
المسلمين . فإذا أورد في مقام الاستدلال فهو على سبيل تقوية المعتقد لمن
حصل أصله ، وفضل لمن التأكد من سلمه من أهله . ذلك الظاهر المتواتر
المعول عليه في الاستدلال لتحصيل اليقين هو القرآن وحده . والدليل
على انه معجزة خارقة للعادة تدل على ان موحيه هو الله وحده وليس من
اختراع البشر هو ان جاء من السماء نبي لم يسل السكائب ولا يمارس العاوم
وقد نزل على وتيرة واحدة هادياً لا ضال مقوماً للمسلمين . اختلاف نظام عام
الحياة من يتدي به من الأمم منذ انهم من غير ان يسموا بدين ولا نبي ولا
كانوا أشرفوا عليه . وهو مع ذلك من بلاء الأسماء . فما يروى
اليه كلام سواء حتى لقد دعي الزمخشري والبلغاء ان ياربوه . فلهذا
فمجزوا وجبوا الى الجنة . فبما يعرفون وسمعت الله واصطفاوا الى الجنة
الى ان أجازهم الى الشفاع من . فبما كان من أنسهم ما كانت من الشفا
الحق على الباطل وظهور الشمس التي لا تم تسميتها بأضوائها ، وتشرق
أنوارها في جوارها ،

وهذا الخارق قد دعا الناس الى النظر فيه يستولمهم وطولوا بأن يأتيوا

في نظرهم على آخر ما انتهى اليه قوتهم فإمّا وجدوا طريقاً لإبطال إعجازه أو كونه لا يصلح دليلاً على المدعى فعلمهم ان يأتيوا به . قال تعالى : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » وقال : « أفلا يتدبرون القرآن » . إن كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » وقال غير ذلك مما هو معطّلة بمقاومة الحجة بالحجة ولم يطالبهم بمجرد التسليم على رغم من العقل

معجزة القرآن جامع من القول والعلم ، وكل منهما مما يتناوله العقل بالفهم ، فهي معجزة عرضت على العقل وعرفته القاضي فيها وأطلقت له حق النظر في أحنائها ، ونشر ما انطوى في أثنائها ، وله منها حظه الذي لا ينتقض . فهي معجزة أعجزت كل طوق ان يأتي بمثلا ، ولكنها دعت كل قدرة ان تتناول ما نشاء منها ، أما معجزة موت حي بلا سبب معروف للموت أو حياة ميت أو إخراج شيطان من جسم أو شفاء علة من بدن فهي مما يقطع عند العقل . ويجب تبيينهم ، وانما يأتي بها الله على يد رسله لإسكات أقوام غلبهم الوهم ، ولم تضيء عقولهم بنور العلم ، وهكذا يقيم الله بقدرته من الآيات ، للأمم على حسب الاستعدادات ،^(١)

ثم ان الاسلام لم يتخذ من خوارق العادات دليلاً على الحق لغير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم ترد فيه كلمة واحدة تشير الى ان الداعين اليه يمكنهم ان يغيروا شيئاً من سنة الله في الخليفة ولا حاجة الى بيان ذلك فهو أشهر من ان يحتاج الى تعريف

(١) راجع الصفحة ٣٧١ من مجلد المنار الرابع وانظر الكلام في الآيات الكونية والآيات النفسية العلمية

بفتح الأصل الأول للإسلام النظر العقلي لتحصيل الإيمان

فأول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي . والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح فقد أقامك معه على سبيل الحجّة وقاضاك الى العقل ومن قاضاك الى حاكم فقد أذعن الى سلطته فكيف يمكنه بعد ذلك ان يجور أو يشور عليه .

بلغ هذا الأصل بالمسلمين أن قال قائلون من أهل السنة إن الذي يستقصي جهده في الوصول الى الحق ثم لم يصل اليه ومات طالباً غير واقف عند الظن فهو ناجح . فأي سعة لا ينظر اليها الحرج أكل من هذه السعة

بفتح الأصل الثاني للإسلام تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض

أسرع اليك بذكر أصل يتبع هذا الأصل المتقدم قبل أن أنقل الى غيره : يتفق أهل الملة الإسلامية الا قليلا ، من لا ينظر اليه على انه اذا تمارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل ونقي في النقل طريقان طريق التسليم بصحة المشهور مع الاعتراف بالمعجز عن فهمه ، وتفويض الامر الى الله في علمه ، والطريق الثانية تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق معناه مع ما أثبتته العقل . وبهذا الأصل الذي قام على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مهدت بين يدي العقل كل سبيل ، وأزيلت من سبيله جميع العقبات ، واتسع له المجال الى غير حد ، فمذا عساه يبلغ نظر الفيلسوف حتى يذهب الى ما هو أبعد من هذا ؟ وأي فضاء يسع أهل النظر وطلاب العلوم ان لم يسهم هذا القضاء ؟ ان لم يكن في هذا متسع لهم فلا وسعتهم أرض بجبالها ووهادها ، ولا سماها بأجرامها وأبعادها ،

﴿أصل ثالث من أصول الأحكام في الإسلام البعد عن التكفير﴾
هلاً ذهبنا من هذين الأصلين إلى ما اشتهر بين المسلمين وعرف
من قواعد أحكام دينهم وهو : إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من
مئة وجه ويحتمل الإيمان من وجه واحد حمل على الإيمان ولا يجوز حمله
على الكفر . فهل رأيت تسامحاً مع أقوال الفلاسفة والحكماء أوسع من
هذا ؟ وهل يليق بالحكيم أن يكون من الحق بحيث يقول قولاً لا يحتمل
الإيمان من وجه واحد من مئة وجه ؟ إذا بلغ به الحق هذا المبلغ كان
الاجدر به أن يذوق حكم محكمة التفتيش البابوية ويؤخذ بيده ورجليه
فيلقى في النار .

﴿أصل رابع في الإسلام الاعتبار بسنن الله في الخلق﴾
يتبع ذلك الأصل الأول في الاعتقاد - وهو أن لا يعول بعد الانبياء
في الدعوة إلى الحق على غير الدليل وأن لا ينظر إلى المجائب والغرائب
وخوارق المعاديات - أصل آخر وضع لتقويم ملكات الأنفس القائمة على
طريق الإسلام وإصلاح أعمالها في معاشها ومعادها . ذلك هو أصل العبادة
بسنة الله فيمن مضى ومن حضر من البشر وفي آثار سيرهم فيهم . فما جاء
في الكتاب العزيز مقرر لهذا الأصل « قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمَكْذِبِينَ - سَنَةٌ مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ
مِنْ رُّسُلِنَا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً - فَبَلِّغْ رِسَالَتَنَا الْأُولَىٰ فَإِن تَبَيَّنَ
لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا - أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » الخ
في هذا يصرح الكتاب بأن الله في الأمم والأحوال سناناً لا يتبدل

والسنن الطرائق الثابتة التي تجري عليها الشؤون وعلى حسبها تكون الآثار
وهي التي تسمى شرائع أو نوااميس ويبنى عليها قوم بالتقوانين ، مائلا ولا اختلاف
البيارات ، الذي ينادي به السكتائب ان نظام الجزية البشرية وما يمدت فيها
هو نظام واحد لا يغير ولا يتبدل ونبي من يطالب السادة في هذا الاجتماع
أن ينظر في أصول هذا النظام حتى يرد إليها أعماله ويبنى عليها سيرته وما
يأخذ به نفسه ، فإن غفل عن ذلك غافل فلا يتاملن الا الشقاء وان ارتفع
الى الصالحين نسبه ، أو اتصل بالمقربين سببه ، فهما بحث الناظر وفكر ،
وكشف وقرر ، وأتى لنا باحكام تلك السنن ، فهو يجري مع طبيعة الدين ،
وطبيعة الدين لا يتجافى عنه ، ولا تنفر منه ، فلم لا يعظم تسامحها معه ؟
جاء الاسلام لمحو الوثنية عربية كانت أو يونانية أو رومانية أو غيرها
في أي لباس وجدت ، وفي أي صورة ظهرت ؛ وتحت أي اسم عرفت ؛
ولكن كتابه عربي والعربية لغة أولئك الوثنيين ، أعدائه الاقربين ، وفهم
معناه موقوف على معرفة اوضاع اللسان ولا تعرف اوضاعه حتى تعرف
مواضع استعمال كلد وأساليبه ، ولن يكون ذلك الا بحفظ ما نطق به العرب
من منظوم ومنثور وفيه من آدابهم ومبادئهم واعتقاداتهم ما يمد عند الناظر
في كلامهم صورة كاملة من جاهليتهم وما فيها من الوثنية وأصولها ، فكيف
صنع المسلمون الأولون - ركبوا الاسفار ، وأنفقوا الامهار ، وبنوا الدرهم
والدينار ، في جمع كلام العرب منقطه وتدوينه وتفسيره توسكا بذلك
فهم كتابهم المنزل فكانوا يربوا في ذلك صريحا من صريحا وبالعامة ويرعون
من الله فيه حسن الشبهة ، فكان من طبيعة الدين أن لا يعثر النمل للدين
الذي ولد هو فيه - بل قد يكون من الدين علم ما ليس منه متى حسنت النية

في تناوله . وهذا باب من التسامح لا يقدر سعة الا أهل العلم به . أما المسيحيون الاولون فقد هجروا لسان المسيح عليه السلام سريانياً كان او عبرانيا وكتبوا الانجيل باللغة اليونانية ولم يكتب في العبرية الا انجيل متى فيما يقال . الا ترى أن اسم الانجيل نفسه يوناني ؛ كل ذلك كراهة لليهود الذين كان ينطق المسيح بلسانهم ويعظمهم بلغتهم . وتخرج من النظر في دواوين آدابهم ، وما توارثوا من عاداتهم

الاصل الرابع للاسلام قلب السلطة الدينية ﴿١﴾

أصل من أصول الاسلام انتقل اليه وما أجله من أصل - قلب السلطة الدينية والإتيان عليها من أساسها . هدم الاسلام بناء تلك السلطة ومحا أثرها حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله اسم ولا رسم . لم يتبع الاسلام لأحد بعد الله ورسوله سلطاناً على عقيدة أحد ولا سيطرة على إيمانه (على ان الرسول عليه السلام كان مبلغاً ومذكراً لا مهيئاً ومسيطرأ . قال تعالى « فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ») ولم يجعل لأحد من أهله أن يحل ولا أن يربط لأف الأرض ولا في السماء . بل الإيمان يقتضئ المؤمن من كل رقيب عليه فيما بينه وبين الله سوى الله وحده ، ويرفع عنه كل رق الا العبودية لله وحده ، وليس لمسلم مهما علا كعبه في الاسلام على آخر مهما انحطت منزلته فيه الا حق النصيحة والارشاد . قال تعالى في وصف الساجدين : « وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ » وقال : « وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ

(١) هذا الاصل هو ضد الاصل الثاني من أصول النصرانية (راجع ص ٤١٤)

الْمُفْلِحُونَ» وقال : « فلولاً تَقَرَّ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » فالسلمون يتناصحون ثم هم يقيمون أمة تدعو الى الخير وهم المراقبون عليها يردونها الى السبيل السوي اذا انحرفت عنه . وتلك الأمة ليس لها فيهم الا الدعوة والتذكير ، والانذار والتحذير ، ولا يجوز لها ولا لأحد من الناس أن يتبع عورة أحد . ولا يسوغ لقوي ولا لضعيف أن يتجسس على عقيدة أحد . وليس يجب على مسلم أن يأخذ عقيدته أو يتلقأصول ما يعمل به عن أحد الا عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . لكل مسلم أن يفهم عن الله من كتاب الله وعن رسوله من كلام رسوله بدون توسيط أحد من سلف ولا خلف . وإنما يجب عليه قبل ذلك أن يحصل من وسائله ما يؤهله لفهم قواعد الامة العربية وآدابها وأساليبها وأحوال العرب خاصة في زمان البعثة وما كان الناس عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم وما وقع من الحوادث وقت نزول الوحي وشي من الناسخ والمنسوخ من الآثار . فان لم تسمح له حاله بالوصول الى ما يمتد به فهم الصواب من السنة والكتاب فليس عليه إلا أن يسأل العارفين بهما . وله بل عليه أن يطالب المجيب بالدليل على ما يجب به سواء كان السؤال في أمر الاعتقاد أو في حكم عمل من الاعمال . فليس في الاسلام ما يسمى عند قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه

السلطان في الاسلام

لكن الاسلام دين وشرع فقد وضع حدوداً ورسم حقوقاً . وليس كل معتقد في ظاهر أمره بحكم يجري عليه في عمله . فقد ينبغى الهوى . وتحكم الشهوة . فيمط الحق . أو يمتدى التمتدي الحد . فلا تكمل الحكمة

من تشريع الأحكام الا اذا وجدت قوة لاقامة الممرد . وتنفيذ حكم القاضي بالحق . وصون نظام الجماعة . وتلك القوة لا يجوز ان تكون فوضى في عدد كثير فلا بد أن تكون في واحد وهو السلطان أو الخليفة

الخليفة عند المسلمين ليس بالمعصوم ، ولا هو مهبط الوحي . ولا من حقه الاستئثار بتفسير الكتاب والسنة . نعم شرط فيه أن يكون مجتهداً أي أن يكون من العلم باللغة العربية وما معها مما تقدم ذكره بحيث يتيسر له ان يفهم من الكتاب والسنة ما يحتاج اليه من الأحكام حتى يتمكن بنفسه من التمييز بين الحق والباطل . والصحيح والفساد . ويسهل عليه إقامة المدلل الذي يطالبه به الدين والأمة معاً .

هو على هذا — لا يخصصه الدين في فهم الكتاب والعلم بالأحكام بزية ، ولا يرتفع به الى منزلة ، بل هو وسائر طلاب الفهم سواء ، إنما يتفاضلون بصقل العقل ، وكثرة الاصابة في الحكم ،^(١) ثم هو مطاع مادام على المحجة ونهج الكتاب والسنة ، والمسلمون له بالمرصاد ، فاذا انحرف عن النهج أقاموه عليه ، واذا اعوج قومه بال نصيحة والإعذار اليه ،^(٢) « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »^(٣) فاذا فارق الكتاب والسنة في عمله ، وجب عليهم ان يستبدلوا به غيره ، ما لم يكن في استبداله مفسدة تفوق المصلحة

(١) المنار — من شواهد ذلك ارتفاع قدر العلماء على الخلفاء الذين قصروا عنهم في الفهم والعلم . ألم يأتك نبأ الامام مالك مع الخليفة هرون الرشيد (رحمهما الله) وكيف أنزل الامام الخليفة عن المنصة وأقعده مع العامة عند لقاء الدرس لأنه في رتبة المستفيد (٢) من شواهد ذلك قول الخليفة الأول رضى الله عنه في خطبة (وان زغت قوموني) راجع ٧٣٤ من مجلد المنار الرابع (٣) حديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما (راجع ٧٣٢ من مجلد المنار الرابع)

فيه . (١) فالأمة أو نائب الأمة هو الذي يعبه ، والأمة هي صاحبة الحق في السيطرة عليه ، وهي التي تخلفه متى رأت ذلك من مصلحتها فهو حاكم مدني من جميع الوجوه .

ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط الخليفة عند المسلمين بما يسميه الافرنج (تيوكراتيك) أي سلطان الهي . فان ذلك عندهم هو الذي ينفرد بتلقي الشريعة عن الله وله حق الأثرة بالتشريع ، وله في رقاب الناس حق الطاعة لا بالبيعة وما تقتضيه من المدل وحماية الحوزة بل بمقتضى الأيمان فليس للمؤمن مادام مؤمناً أن يخالفه وان اعتقد انه عدو لدين الله ، وشهدت عيناه من أعماله ما لا ينطبق على ما يعرفه من شرائعه ، لأن عمل صاحب صاحب السلطان الديني وقوله في أي مظهر ظهر اهو دين وشرع . هكذا كانت سلطة الكنيسة في القرون الوسطى . ولا تزال الكنيسة تدعي الحق في هذه السلطة الى اليوم كما سبقت الإشارة اليه

كان من أعمال التمدن الحديث الفصل بين السلطة الدينية والسلطة المدنية فترك للكنيسة حق السيطرة على الاعتقاد والأعمال فيما هو من معاملة العبد لربه . وتشرع وتفسخ ما تشاء ، وتراقب وتخاصب كما تشاء ، وتحرم وتمطي كما تريد ، وخول السلطة المدنية حق التشريع في معاملات الناس بعضهم لبعض . وحق السيطرة على ما يحفظ نظام اجتماعهم ، في مماشهم لاني معادهم ، وعدثوا هذا الفصل منبجاً للخير الأعم عندهم . ثم هم يهيمون فيما يرمون به الاسلام من انه يحتم قرن السلطين في شخص واحد .

(١) مثال ذلك ان يكون له عصية أقوى من الأمة يخشى ان ييدها بها « در »

ويظنون ان معنى ذلك في رأي المسلم ان السلطان هو مقرر الدين وهو واضح أحكامه وهو منفذها والايمان آلة في يده يتصرف بها في القلوب بالإخضاع ، وفي القول بالإقناع ، وما العقل والوجدان عنده الامتاع ، وبينون على ذلك ان المسلم مستعبد لسلطانه بدينه . وقد عهدوا ان سلطان الدين عندهم كان يحارب العلم ، ويحكي حقيقة الجهل ، فلا يقيس للدين الاسلامي ان يأخذ بالتساح مع العلم مادام من أصوله ان إقامة السلطان واجبة بمقتضى الدين . وقد تبين لك ان هذا كله خطأ محض وبُعد عن فهم معنى ذلك الأصل من أصول الاسلام . وعلمت أن ليس في الاسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة ، والدعوة الى الخير ، والتنفير عن الشر ، وهي سلطة خوفاً لله لا ذن المسلمين يقرع بها أنف اعلامهم ، كما خوفاً لاعلام يتناول بهامن أدنامهم ، ومن هنا تعلم « الجامعة » ان مسألة السلطان في دين الاسلام ليست مما يضيق به صدره ، وتخرج به نفسه عن احتمال العلم ، وقد تقدم ما يشير الى ما صنع الخلفاء العباسيون والأمويون الأندلسيون من صنائع المعروف مع العلم والعلماء . وربما أتينا على شيء آخر منه فيما بعد يقولون : ان لم يكن للخليفة ذلك السلطان الديني أفلا يكون للمفتي أو المفتي أو شيخ الاسلام . وأقول : ان الاسلام لم يجعل لهؤلاء أدنى سلطة على العقائد وتقرير الأحكام . وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهي سلطة مدنية قرررها الشرع الاسلامي . ولا يسوغ لواحد منهم ان يدعي حق السيطرة على إيمان أحد أو عبادة لربه أو ينازعه في طريق نظره

الاصل الخامس للاسلام حاية الدعوة لمنع الفتنة عن المسلمين

قالوا : إن الدين الاسلامي دين جهادي شرع فيه القتال ولم يكن

شرع في الدين المسيحي ففي طبيعة الدين روح الشدة على من يخالفه وليس فيها ذلك الصبر والاحتمال اللذان تقضي بهما شريعة المسألة وهي الشريعة التي وردت في كثير من الوصايا المسيحية « من ضربك على خدك الايسر فادر له خدك الايمن من سخرك ميلا فسرعه ميلين » ونحو ذلك . حتى لقد طلبت فيها محبة الاعداء وإن كانت محبة العدو مما لا يدخل تحت الاختيار بل ولا محبة الصديق وإنما الاختياري العدل بين الاعداء والاولياء . لكن في ملكوت الله كل شيء مستطاع ولا شيء فيه بمستحيل . قلنا : لكن انظروا هل دفع الشر بالشر عند القدرة عليه وعند عدم التمكن من سواه خاص بالدين الاسلامي أو هو في طبيعة كل قادر يُعذَرُ الى خصمه ؟ ليس القتل في طبيعة الاسلام بل في طبيعته العفو والمسامحة : « خُذِ الْفَوْأْسَ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » ولكن القتال فيه لرد اعتداء المعتدين على الحق وأهله الى أن يأمن شرهم ويضمن السلامة من غوائلهم . ولم يكن ذلك للإكراه على الدين ولا للانتقام من مخالفه . ولهذا لا تسمع في تاريخ الفتوح الاسلامية ، ما تسمعه في الحروب المسيحية ، عند ما اقتدر أصحاب « شريعة المسألة » على محاربة غيرهم من قتل الشيوخ والنساء والاطفال . لم تقع حرب إسلامية بقصد الإيادة كما وقع كثير من الحروب بهذا القصد بأيدي المسيحيين . وإنما كان الصبر والمسألة دينا عند ما كانت القدرة والقوة تعوزان الدين . وغاية ما يقال إن العناية الالهية منحت الاسلام في الزمن القصير من القوة على مدافعة أعدائه ما لم تمنحه لغيره في الزمن الطويل . فتيسر له في شيبته ما لم يتيسر لغيره الا في كهولته أو شيخوخته .

﴿ مقابلة بين الاسلام الحربي والمسيحية السلمية ﴾

الاسلام الحربي^١ كان يكتفي من الفتح بادخال الارض المفتوحة تحت سلطانه ثم يترك الناس وما كانوا عليه من الدين يؤدون مايجب عليهم في اعتقادهم كما شاء ذلك الاعتقاد . وإنما يكلفهم بحزبة يدفعونها لتكون عوناً على صيانتهم والمحافظة على أمنهم في ديارهم وهم في عقائدهم ومبادئهم وعاداتهم بمد ذلك أحرار لا يضيقون في عمل ولا يضامون في معاملة . خلفاء المسلمين كانوا يوصون قوادهم باحترام المبأد الذين انقطعوا عن المعاملة في الصوامع والاديار لمجرد العبادة كما كانوا يوصونهم باحترام دماء النساء والاطفال ، وكل من لم يعن على القتال . جاءت السنة المتواترة بالنهي عن إيذاء أهل الذمة وبقرار ما لهم من الحقوق على المسلمين (لهم مالنا وعليهم ما علينا) (من آذى ذمياً فليس مئاً) واستمر العمل على ذلك ما استمرت قوة الاسلام . ولست أبالي إذا انحرف بعض المسلمين عن هذه الاحكام ، عند ما بدأ الضعف في الاسلام ، - وضيق الصدر من طمع الضعيف - فذلك مما لا يلحق بطبيعته ، ولا يخلط بطيبته ،

المسيحية السلمية كانت ترى لها حق القيام على كل دين يدخل تحت سلطانتها تراقب أعمال أهله وتمنعهم دون الناس بضروب من المعاملة لا يجتهد الصبر معها عظم . حتى إذا تمت لها القدرة على طردهم بعد العجز عن إخراجهم من دينهم وتمييدهم أجنتهم عن ديارهم ، وغسلت الديار من آثارهم ، كما حصل ويحصل في كل أرض استولت عليها أمة مسيحية استيلاء حقيقياً . لا يمنع غير المسيحي من تمدي المسيحي الاكثرة العدد ، أو شدة العصد ، كما شاهد التاريخ وكما يشهد كتابوه . ذلك كله لأنه ما جاء يليق

سلاماً بل سيفاً ولأنه جاء ليفرق بين البنت وأمها والابن وأبيه^(١) والاسلام يقول كتابه في شأن الوالدين : « وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُكُمْ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ » فهو في اشتداده على المهديين لأنه لا يقضي بالفرقة بين أب وابن ولا بين أم وبنت . بل يأمر الأولاد المؤمنين ان يصحبوا آباءهم المشركين بالمعروف في الدنيا مع محافظتهم على دينهم

(١) تقدم نص الانجيل متى في هذا . ومثله قول انجيل لوقا ١٥ — ٢٥ و ٢٦ (وقال لهم) يسوع ان كان احد يأتي اليّ ولا يبغض أباه وأمه وامراته وأولاده واخوته واخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر ان يكون لي تلميذاً . وفي الباب ١٩ من هذا الانجيل مائصه (٢٧) أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملاك عليهم تأتوا بهم الى هنا واذا بخوهم قدامي . وأما أسفار التوراة فقد جاء فيها نحو ذلك في القسوة مع الالهيين المتخافين ومع . أثر المحاربين . قال في ١٣ : ٦ — ٩ من ثنية الاشترع (وإذا اغواك رآ أخوك ابن أمك أو ابنتك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذي مثل نفسك قتلاً نذهب ونعبد آلهة أخرى لم نعرفها أنت ولا آباؤك من آلهة الشعوب القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض الى أقصاءها فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره بل قتلاً تقتله (الخ)

وفي سفر التثنية أيضاً (٢٠ : ١٥ — ١٦) مائصه (حين تقرب من مدينة تتحاربها الى الصلح فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للسخير ويستعبد لك . وان لم تسلك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرب آهلك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فقتلها بنفسك وتأكل غنيمتك أعدائك الذي أعطاك الرب آهلك . وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة جداً منك التي ليست من مدن هؤلاء الامم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب آهلك نصيباً فلا تستبق منهم نسمة ما)

فانت ترى الاسلام من جهة يكتفي من الأثم والطوائف التي يتساب على أرضها بشيء من المال أقل مما كانوا يؤدونه من قبل قلبه عليهم وبأن يعيشوا في هدوء لا يكبرون منه ضد الدولة ولا يخلون بنظام السلامة العامة. ثم يرحي لهم بعد ذلك غنائ الاختيار في شؤونهم الخاصة بهم لارقيب عليهم فيها الاضاثهم . ومن جهة أخرى ينهى أفراد المؤمنين عن مقاطعة ذوي قرباهم من المشركين ويطالبهم بحسن معاملتهم . ففي طبيعته ان يكلل أمر الناس في سرائرهم الى ربهم ، وفي طبيعته ان يجير من لا يعتقد عقيدته ، ويحبي من لا يتبع سنته ، وان كان في عي من الجمالة ؛ وخبل من الضلالة ؛ أفترى انه يصعب عليه بعد ذلك ان يحتمل العلم والعلماء ؛ ويضيق به حلمه عن صنع الجليل بالفضل والفضلاء ؛ بمن ينفق عمره في تقرير حقيقة ؛ أو كشف غامض أو تبين طريقة . ؟ كلا ثم كلا . فن بحث ونقب ، وسبر وتحرر ، أو شق الأرض ، أو ارتقى الى السماء ، فهو في أمن من ان يعرض الاسلام له في شيء من عمله الا أن يحدث شغباً ، أو يفسد أدباً ، فبعد ذلك تمتد يد الملك لرد كيد الكائد ، وإصلاح الفاسد ، بإسماح من الدين

﴿الاصل السادس مودة المخالفين في العقيدة (١)﴾

المصاهرة - أباح الاسلام للمسلم أن يتزوج الكتابية نصرانية كانت أو يهودية وجعل من حقوق الزوجة الكتابية على زوجها المسلم أن تتمتع بالبقاء على عقيدتها ، والقيام بفروض عبادتها ، والذهاب الى كنيسها أو بيتها ، وهي منه بمنزلة البعض من الكل ، والزم له من الظل ، وصاحته في العز

(١) هذا الاصل الاسلامي هو ضد الاصل السادس لانصرانية (راجع ص ٤١٨)

والذل ، والترحال والحل ، بهجة قلبه ، وريحانة نفسه ، وأميرة بيته ، وأم
بناته وبنيه ، تتصرف فيهم كما تتصرف فيه ، لم يفرق الدين في حقوق الزوجية
بين الزوجة المسلمة والزوجة الكتابية . ولم تخرج الزوجة الكتابية باختلافها
في العقيدة مع زوجها من حكم قوله تعالى : « وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ جَعَلَ لَكُمْ
مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » فلها حظها من المودة ، ونصيها من الرحمة ، وهي
كما هي . وهو يسكن اليها كما تسكن اليه ، وهو لباس لها كما أنها لباس له ،
أين أنت من صلة المصاهرة التي تحدث بين أقارب الزوج وأقارب الزوجة
وما يكون بين الفريقين من الموالاة والمناصرة على ما عهد في طبيعة البشر .
وما أجلى ما يظهر من ذلك بين الأولاد وأخوالهم ؛ وذوي القربى لو دلتهم ؛
أفيعيبك ما يستحكم من ربط الألفة بين المسلم وغير المسلم بأمثال هذا التسامح
الذي لم يهد عند من سبق ولا فيمن لحق من أهل الدين السابقين عليه ^(١)
ولا يخفى على صحيح النظر أن تقرير التسامح على هذا الوجه في نشأة
الدين مما يعود الدواب على الشعور بأن الدين ماملة بين العبد وربّه ؛ والعقيدة
طور من أطوار القلوب ؛ يجب أن يكون أمرها بيد علام الغيوب ؛ فهو

(١) المنار — يقول بعض النصارى : إذا كان الاسلام أباح للمسلم أن يتزوج بالكتابية
ليتم البشر التآلف والعاطف ، مع التباين في العقيدة والتخالف ، فلماذا لم يسمح
للكتابي أن يتزوج بالمسلمة لهذا الغرض ؟ والجواب أن الرجال قوامون على النساء
لأنهم أقوى منهن فليس من العدل ولا من الرحمة أن يسمح لقوي يفرق دينه بينه
وبين زوجته الضعيفة وبأمره بيفضها وبيفض أولاده ووالديه إذا خالفوا عقيدته أن
يتزوج بامرأة مخالفة . أباح الاسلام ذلك لمن يعمل بما أمر من العدل والرحمة وهو المسلم

الذي يحاسب عليها ؛ أما المخلوق فلا تطول يده اليها ؛ وغاية ما يكون من المعارف بالحق ان يبه الناقل ؛ ويعلم الجاهل ؛ وينصح للغاوي ؛ ويرشد الضال ؛ لا يكثر في ذلك نعمة العشير ؛ ولا يسلك به مسالك التفسير ؛ ولا يقطع أمل النصير ، ولا يخالف سنة الوفاء ؛ ولا يجحد عن شرائع الصدق في الولاء ، ماذا ترى في الزوجة الكتابية لو كانت من أهل النظر العقلي وذهبت مذهبا يخالف مذهب زوجها ؛ أفينقص ذلك من مودته لها ؛ أو يضعف من شعور الرحمة التي أفاضها الله بينه وبينها ، فإذا كان المسلم يتعود الاحتمال بل يتعود المحبة والنصرة لمن يخلفه في عقيدته ؛ ودينه وملكته ؛ ويألف مخالطته وعشرته ؛ وولايته ونصرته ؛ أترأه لا يحتمل أن يرى بجواره من يعمل نظره في نظام الخليفة ليصل منه الى اكتشاف سر أو تقرير أصل في علم أو قاعدة لصناعة وان كان قد يخالف ظاهرا مما يمتد ؛ أو يميل الى رأي غير الذي يجد ؛ أفلا يسع هذا ما يسع المجاهر بالخلاف ؛ وهو ممة على ما رأيت من الائتلاف ؟؟

لو ذهبت أعداؤنا في طبيعة الاسلام من عناصر وأركان كلها تؤلف مزاج السكرم ؛ وتكون حقيقة المساعدة مع العلم ؛ لأطلت على القارئ أكثر مما أطلت . ولهذا أرى من الواجب علي أن أختم القول بذكر أصل أشرت اليه ولا غنى لما نحن فيه عن ذكره

﴿ الأصل السابع للإسلام الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة ﴾ (١)

الصحة الحياة في الاسلام . مقدمة على الدين . أو امر الخيفية السمحة ان كانت

تختطف العبد الى ربه ، وتملاً قلبه من ربه ، وتقم أماله من ربه ، فهي مع ذلك لا تأخذه عن كسبه ، ولا تحرمه من التمتع به ، ولا توجب عليه تقشف الزهادة ، ولا تجشمه في ترك اللذات مافوق الدادة ،

صاحب هذا الدين صلى الله عليه وسلم لم يقل « بيع ماتمك واتبعني » ولكن قال لمن استشاره فيما يتصدق به من ماله « الثالث والثالث كثير إنك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس »^(١)

الرخص - فرض الصوم على المؤمنين لكن اذا خشي منه المرض أو زيادته أو زادت المشقة فيه جاز تركه بل قد يجب اذا غلب على الظن الضرر فيه . الوضوء والغسل من شروط الصحة للصلاة الا اذا خشي منه الضرر أو عرضت مشقة في تحصيل الماء . القيام مما لا تصح الصلاة الا به الا اذا أصابت المصلي مشقة فيه فيسقط ويصلي قاعداً . السعي الى الجمعة واجب الا اذا كان حلاً غزيراً أو مطراً كثيراً أو ما يوجب تعباً ومشقة فيسقط . وهكذا تجب القاعدة قد عمت : « صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان » فترى الدين قد راعى في أحكامه سلامة البدن كما أوجب العناية بسلامة الروح الزينة واللبات - أباح الاسلام لأهله التجميل بأنواع الزينة والتوسع في التمتع بالمشتميات على شريطة القصد والاعتدال وحسن النية ، والوقوف عند الحدرد

(١) التار - يشير السكاك الى حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقد رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة . كان سعد مريضاً في حجة الوداع فعاده النبي صلى الله عليه وسلم وكان عازماً على الصدقة بثاني ماله وفي رواية بماله كله فسأله النبي عما ترك لولده فقال هم أغنياء . وفي رواية الجماعة انه لم يكن له الابنت . وفي رواية أحمد والنسائي انه أمره أولاً بان يتصدق بال عشر . والحاصل انه ما زال يراجمه حتى رضي الله عليه وسلم بالثالث وحرم الزيادة بالحديث

الشرعية ، والمحافظة على صفات الرجولية ، جاء في الكتاب العزيز : « يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ؟ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالنَّغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (سورة الأعراف)

ثم عد الله النعيم والجمال والزينة من نعمه علينا التي يذكرنا بها فضله، ويهيج بها نفوسنا لذكره وشكره ، كما قال : « وَالْأَنَامُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْعِيشِ إِلَّا نَشِيقَ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوْفٌ رَّحِيمٌ . وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ »

ثم قال : « وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَكُمْ كُلَّوْا مِنْهُ لِحِمَا طَرِيقًا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاقِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (سورة النحل) .

الاقتصاد — ووضع قانونا للانفاق وحفظ المال في قوله : « إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا . وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا » (سورة الإسراء)

النبي عن الفلوف في الدين - وخشي على المؤمن أن يفلو في طلب الآخرة
 فيهلك دنياه ويتشئ نفسه منها فذكرنا بما قصه علينا أن الآخرة يمكن
 نيلها مع التمتع بنعم الله علينا في الدنيا إذ قال : « واتبع فيما آتاك الله الدار
 الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ
 الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين »

فترى أن الإسلام لم يخس الحواس حقها ، كما أنه هيا الروح لبلوغ
 كمالها ، فهو الذي جمع للانسان اجزاء حقيقته واعتبره حيواناً ناطقاً لا
 جسمانياً صرفاً ، ولا ملكوتياً بحتاً ، جملة من اهل الدنيا كما هو من اهل
 الآخرة . استبقاه من اهل هذا العالم الجسداني ، كما دعاه الى أن يطلب
 مقامه الروحاني ، ليس يكون بذلك وبما بينه في قوله : « هو الذي يخلق
 لكم ما في الارض جميعاً » قد أطلق القيد عن قواه ، لتصل من رفقه الحياة
 (مع القصد) الى منتهاه ، والنفوس مطبوعة على التنافس قد غرر فيها حب
 التسابق فيما تستفده خيراً ، أو تجده لذيذاً او تظنه نافعاً

وليس في التريزة الانسانية ان يقف بها الطالب عند حدٍ محدود ،
 او ينتهي بها السعي الى غاية لا مطلع لارغبة وراءها ، بل خصها الله بالمسكنة
 من الرقي في أطوار الكمال من جميع وجوهه الى ما شاء الله ان ترقى
 بدون حدٍ معروف .

فاذا جمع سائق الانفس ومزجها ، ومرشدها وهاديها ، بين شاحدين
 شاحدين التمتع بمتاع الحياة الدنيا ، وشاحدين الرغبة في النعيم الدائم في الآخرة ،
 فقد جمع لها كل ما يسو بها عن الرضاء في الدنيا بالدون ، وفي الآخرة

بمذاب الهون ، فترى كل نفس تمضي مع استعدادها ، بشهامة فؤادها ، مضاه الزمير^(١) لا تخشى العثرة بالوعيد ، ولا تقعد عن مطلبها قعدة الرعد يده^(٢) فتطلب منافعها ، من هذا الكون الذي وجدت فيه ووجد لها ، تفسير في مناكب الارض ، ولا تكنتي عن الكل بالبعص ، وتبحث في رتبها ، ولا يقف بها ظاهرها عن باطنها ، ولا يحجبها ظهرها عن مديديها الى ما في جوفها ، ولا تجدد ايضدها عن النظر في الهواء ، والبحث في الماء ، والاهتداء بنجوم السماء ، بعد معرفة مواقعها ، وحركاتها في مداراتها ، واستقامتها وانحرافها ، وظهورها وخفوسها ، وبالجملة فكل مستعد لوجه من وجوه النظر ، او اللوج في باب من أبواب العلم ، ينطلق الى حيث يبلغ به استعداداه إما للنجاة من ضرورة ، وإما لاستتمام منفعة واستكمال لذة ، لا يجد من نواهي الدين ما يصدّه عن مطلب ، ولا ما يكف يده عن تناول رغبة ، أين هذا من ذلك الذي لا يرى الخلاص الا في مجافاة هذا العالم ولذائذه ويجد ان الفنى والثروة من الحجب التي لا تحرق تحول بينه وبين ملكوت السموات

كيف يتسنى للمسلم ان يشكر الله حق شكره ، اذا لم يضع العالم بأسره تحت نظر فكره ، لينفذ من ظاهره الى سره ، ويقف على قوانينه وشرائعه ، ويستخدم كل ما يصلح لخدمته في توفير منافعه ، كيف يشكر الله اذا توانى في ذلك وقد ارشده الله في كتابه وبسته نبيه الى أن عاله إنما خاق لأجله ، وقد وعظه الله تحت تصرف عقله ، انظر الى لطف الاشارة في الاية

(١) هو الحازم القوي العزيمة يزمع على الأمر فيمضي فيه ولا يثني والحيد الرأي المقدام

(٢) التوعيد البيان الكثير الارتعاد

المتقدمة « قل من حرم زينة الله » الخ حيث قال : « كذلك تفصل الآيات لقوم يعلمون » فأهل العلم هم الذين يعرفون مقدار نعم الله تعالى فيما يرفه به معيشتهم ، ويَجْمَلُ به هيأتهم ، ويجلي به زينتهم ؛

المسلمون مسوقون بنابل من دينهم الى طلب ما يكسبهم الرفعة والسؤدد ؛ والهوة والمجد ؛ ولا يرضيهم من ذلك بما دون الغاية ؛ ولا يتوفر شيء من وسائل ذلك الا بالعلم ؛ فهم محفوزون أشد الخبز الى طلب العلم وتلمسه في كل مكان ، وتلقيه من أية شفة وأي لسان ، فاذا لاقاهم العالم في أي سبيل ، أو عثروا به في أي جيل ، أو ظهر لهم من أي قبيل ، هشوا له وبشوا ، ونصبوا اليه وكمشوا ^(١) ، رشدوا به أو اصرهم ، وعقدوا عليه خناصرهم ، ولا يباليون ما تكون عقيدته ، اذا نفهتهم حكمته ، « الحكمة ضالة المؤمن فحسب وجدها فهو أحق بها » ^(٢) ألم يأتيهم عن ربهم : « يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب » ألم يسمعوا في وصفهم قوله : « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » ذلك شأن المسلم مع العلم اذا كان مسلماً حقاً . وذلك ما تنجر اليه طبيعة دينه . وحديث اطلبوا العلم ولو بالطين ^(٣) ان كان في سبيل

(١) لعل نَصَبُوا من نَصَب السَّيْرِ وهو ان يسير طول يومه سيراً لئلا . وكش الرجل كان سريماً ماضياً . وكش كشاً شجع واسرع (٢) النار — حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة ، ورواه غيره بالفاظ أخرى والمعنى واحد . ومنه رواية موقوفة على ابن عمر رضي الله عنهما « خذ الحكمة ولا يضررك من أي وعاء خرجت » وفي رواية عن علي كرم الله وجهه « الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق » (٣) رواه ابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الإيمان والمدخل وابن عبد البر في العلم والطبيب في الرحلة والديلمي في مسند الفردوس وغيرهم وله طرق كثيرة يقوي بعضها بعضا

لنظفه الى النبي صلى الله عليه وسلم مقال فسنده معناه متواتر فانه سند القرآن نفسه
فان الله يفضل العلم وأهل العلم بدون قيد ولا تخصيص . فالمسلم مطالب بطلب
العلم ولو في الصين ولم يكن في الصين مسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم
لاشئ ينقلب عند النفس الانسانية لذة بنفسه وان كان في أول أمره مطلوباً
لغيره مثل العلم . تطالب العلم أولاً لما جئت اليه في تقويم معيشة . أو ترفيه
حال . أو دفاع عن نفس وملة . ثم لا تلبث اذا أوغلت فيه أن تجهد اللذة في
العلم نفسه فتصير اللذة بتحصيله والوصول الى دقائقه غاية تقصده بنفسها .
وتضمحل فيها كل غاية سواها . وعلة ذلك ظاهرة فان العلم مسرح نظر
المقل والمقل قوة من أفضل القوى الانسانية بل هي أفضلها على الحقيقة
قد وضع لها العليم الحكيم لذة كما منح لكل قوة سواها نعيماً ولذة . ولست
في حاجة الى تمديد لذة البصر أو السمع أو الشم أو الذوق أو اللمس فالحیوان
يمر بها بله الانسان . وكل اعظم اختصاص القوة بالنوع عظمت لذته باستعمالها
فيما وجهت له فيمكنك ان تستشج من ذلك ان لا شئ عند الانسان الذم
كشف المجهول . وإحراز المعقول . وقد سمح الاسلام للمسلم ان يتمتع في
هذه الحياة الدنيا بما يلذ له مع القصد والاعتدال . أفلا يكون من لذائذه
ومتمات نعيمه أن يسيح في مملكة العلم ليمتع عقله ، كما يسيح في بساط
الأرض ليكسب رزقه ويقيم أهله ، على ان العلم كان من ضروريات معيشة
المسلم أو حاجياتها كما ذكرنا فاذا طفق يستنبط ماء للضرورة ، ويستجلي
سناؤه للحاجة ، فلا يلبث أن يصير هو حاجة نفسه ، وشاغله عن حاجات
حسه ، حتى يدخل معه في رسمه ، كما وقع لكثير من المسلمين . قال امام جليل
من أئمتهم « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله » (له بقية)

باب التربة والتعلم

المنزلة الثامنة منه بريرة الاسم (*)

﴿ تجلي العلم في العمل ﴾

زرت بالأمس أنا واهاميل، ولولا مسبك قصدير في بازرائس واقع على ضفاف خليج الحيل ولست أقضي العجب من منطف هذا الخليج الذي كانه في عظمه وجماله صدر تيتيس (١) أحاطت به السكة الحديدية فجعلت له من شريطها قلادة • يوجد المسبك تجاه الخليج ويتألف بناؤه من أماكن قديمة تقوم على أعمدة من الخشب تقطعها شقوق من البلاط الاسود لا يتردد الناظر اليها في أن يحسبها سقائف لانخفاضها وانفراجها للرياح من كل ناحية

رأينا في احدى هذه السقائف أكواماً من تراب أسمر يسمى بمعدن الحجر جمعت فيها ووزعت على غير نظام وتحتصر أعمال المسبك في احالة هذا التراب القسطنطيني اللون (كدا) الى معدن يطلبه للتجار كثيراً

كانت زيارتنا للمسبك في نحو الساعة التاسعة من المساء أي بعد غروب الشمس بزمان طويل في ليلة ظلماء كان يخال ظلامها بصيص نار الافران التي ينبت بالآجر وجعل لكل منها باب من حديد في وسطه ثقب مستدير كانه حذقة من نار

يصهر القصدير ويعد مكابته مخناً مختلفة تجرد مما كان متمزجاً به من المواد المكدره لصفاته وهي الحصى والكبريت والنحاس فاذا تم ذلك جاء وقت صبه وهي الساعة المشهورة • يخرج هذا المعدن الثقيل الصافي من ثقب في أسفل القرن وقد بلغ من الحرارة درجة البياض ويسقط في خابية من الحديد المصبوب فيذكر الناظر ساعة باستدارة سطحه ولمانه انقمر في احدى ليالي الصيف أبيض ساطعاً

اذا صب القصدير في الخابية آخر مرة (ولابد من اذابته أكثر من مرة) ألقيت عليه أغصان من الشجر الأخضر خصوصاً أغصان التفاح فتفوره وتمهجه

••••• مررب من (باب تربة اليافع) من كتاب أميل القرن التاسع عشر في التربية والتعليم

(١) تيتيس جنية من جنات أساطير اليونان

وويل حينئذ للعمال أو الناطرين الذين لا يبادرون بالابتعاد عنه ليتقوا عوادي هذا المعدن النضبان. ذلك أن فقايع الهواء التي تنفصل منه ترتفع معها قطرات محروقة تسمع لها نششة تنبجس من كل ناحية انجباس الشرر من باقة نار الزينة

لاجرمان « اميل » ولولا لم يدركا السر الكيماوي في جميع هذه الاستحالات التي تساورت معدن الحجر قبل صيرورته قصديراً بل انهما ربما لم يحصل في ذهنهما من مجموع ما حصل من الاعمال الا معنى في فاية الابهام ولكن قد شاقهما من هذا المنظر جذبه فانهما رجواني أن آخذها الى المسبك مرة أخرى

أرى أن القائمين على تربية الناشئين قد أفرطوا في التفريق بين العلم وبين ما يربطه بالصناعة من الروابط ومع كوني لا أنكر أن ما في المدارس من المعامل الكيماوية والمجموعات التعليمية والدروس العامة هو من المساعدات العظمى على التعلم واقصد قصداً أكيداً أن أستمع به على تعليم ولدي في مستقبله تراني أفضل الآن أن اختلف به الى معهد آخر تمثل فيه امامه الاعمال ونراه في له الوقائع

زرنا معاً متحفاً من متاحف الدقائق الأثرية في بانزانس وهي ليست كثيرة في بلاد كرونواي والكثير فيها انما هو المعادن المفيدة كالرصاص والقصدير والنحاس وغيرها من المعادن الحجرية الغربية فلم يلفت ذهن « اميل » ما في خزائنه من قطع هذه الدقائق للترتبة الا قليلاً وأما دولوريس فأخص ما استرعى نظرها ما يوجد فيها من قلذ البلور وبعض الحجارة التي لو تناولتها يد الصناعة لصارَت من مواد الزينة الجميلة

ثم أخذنا طريقاً بعد ذلك بأبام الى متحف كبير يمتد مكتوفاً على ضفاف المحيط بين جبال من الصوان بسجتها يد الانسان فكان مرآة في فطر الفلاحين أحسن من جميع متاحف الدنيا

ففرق عند الطفل بين أن يرى من وراء الزجاج معادن حجرية رتبت في رواق تريباً خالياً من دواعي التأثير وبين أن تمثل أمامه الصخور في وضعها الطبيعي ويشاهد الارضين وقد شاء وجهها وانقلبت ظهراً لبطن وكتل البلاط الاسود والرخام السبكي في جسامتها المريسة وقد تناوبها المصديع وبارود المدفع فأوسعها صدعا وأشبعها كسرا وقد هاج شوق « اميل » منظر أعمال النحت هيحاً شديداً فطفق يخاطب النحاتين ولا بدع فالانسان في سنه لا يستكشف أن يخاطب كل من

يراه لأن قلبه حينئذ لا يكون قد أفسده الكبر وقد استفاد من محاورته معهم فلم تذهب عليه عبثاً

ان فتى ايقوسياً اسمه هوج ميلار صار من أشهر العلماء في بريطانيا العظمى ببركة تكسيره الاحجار ونحتها من منحت حجر رملي قديم واستولى استيلاء المالك على اقليم ذلك المنحت الحافل بالدقائق الآتية وأصبح اسمه كأنه علم له

ربما احتذى « اميل » مثال هذا العالم اذا زرنا مما اقليم ديقو نشاير فاعتضد المطرقة وحمل التعاف قاني أراه مدفوعاً على ذلك بسائق الطبع لأنه يشتهي كغيره من أترابه أن يهجم على ما يلاقيه من العقبات فيدمره ويزيله ولأن الدقائق الآتية التي يستخلصها الانسان بنفسه من الصخرة أعلى في نظره كثيراً مما يجده منها مرتباً في المناخ ذلك لأن آثار الاجسام المضوية تتكون غالباً من الاحتواء في باطن الحجر بحيث أنه لا بد قبل استخلاصها من تمييزها منه بل ربما صح لي أن أقول أنه لا بد من تخمين وجودها بما يبدو من تحت غطائها الجافى من سمة تدل عليها أو طرف من أطرافها ثم ان الصخرة تارة تكون صلبة فتقاوم منحات المناحت وتتململه وطوراً تكون هشة فتلاشى وتفتت وفي كلتا الحالتين يهدم الخرق والخطأ بنقرة واحدة عمل الدهر في قرون كاملة وما أكثر ما يتعلم الطفل في هذا الجهاد نعم ان « اميل » سيخدع فيه غير مرة وسيتفق له أن يحسر لقطائه أو يعيبها على حين اعتقاده أنه حصل عليها سالمة من كل نقص ولكن لاشي في هذا فان مثله من اليافعين اذا غلبته العقبات للمادية وجد عليها وبشه ذلك على الانتقام لنفسه منها فلا يلبث أن يظهر بها

كأن مشاهدة المناحت واسطة ينتقل بها الذهن من علم طبقات الارض الى فن العمارة فسيذكر « اميل » اذا عرض له في طريقه ما في المدن من الابنية الفخيمة ان حجارها تحتمت من قاع البحار القديمة واذا رأى المابد والقصور فان نوع حجارها سيحضر في ذهنه الصخرة التي نحت منها والمخلوقات المضوية القديمة التي صارت هذه الصخرة رسماً لها.

العلم الذي يوصله الانسان بمرق جبينه ربما لا يكون واسماً ولكنه يكون متيناً واسعاً خذ لذلك مثلاً الزهرة التي تجنى من غور بعد اقتحام ما كان دونها من العقبات يكون لها في ذاكرة جانبها آثار أقوى مما يكون لزهرة رآها بلا غناء مجهزة

محفوفة في إحدى صحف المجموعات النباتية. وما يجمعه المرأبغسه من الحار والصدف على شاطئ البحر يدرب بصره على ادراك ما يميزه من صفاته الظاهرة أكثر مما يدربه على ذلك ما يوجد منه مرتباً ومعنوياً في رواق معد له فالبحث يكسب البصر واليد دربة ومراة

أنا لأشك في أن التجارب الكيميائية والطبيعية مفيدة لمن منحوا المسيل إلى التعلم ولكني أرى أن عامة الاطفال قد يبدون من الارتياح إلى العلم معه ولا به في الصناعة ومن الانفعال بما يرونه من آياته فيها أكثر مما يبدونه لثل هذه التجارب وقلما يوجد معمل من المعامل الكبيرة ألا وهو أيضاً مدرسة كبرى للعقل فلما أبهر ما يرى فيه من قوى للطبيعة مفيدة ومطلقة و(كل) مؤلف من عجلات وأسان تسحق الحبحر سحقاً وتمضغ الحديد مضغاً وتقطع الحشب قطعاً وآلاف مؤلفة من اتباض البخار الذي يحرك جسم هذا الكل وانسان استبدل باعضائه هذه الاعضاء الصلية في كده وكده خلعت محله وجرت على مقتضى إرادته وقام هو عليها يلاحظ مجاهداتها العجيبة بعين قريرة ساكنة. نعم ان هذا المشهد لا يأخذ أول الأمر الابصر البافع ولكنه متى كان فيه شيء من الشوق إلى العلم لا يلبث ان يسأل عن سبب هذه الحركات الاستقلالية وعما للمواد بعضها على بعض من التأثير المتناوب وبالجملة عن سر الطرق التي تحيل المادة الفطرية إلى محاصيل صناعية

ليس أحقر الاشياء بأقلها دائماً في صنعه اثاره للشوق ولا ملاحظته بأقل جدوى في التعليم فقلبة الكبريت والديوس والشمعة (كما يته فاراداي (١) حق البيان) لها بعلمي الطبيعة والكيمياء تعلق يدركه كل واحد من الناس ويعرفه لأول نظرة أنا أعلم أن تحصيل علم عدة من الصناعات والاختصاص به يقتضي أن يعيش الانسان اضعاف عمره ولذلك لا أرجو مطلقاً أن «اميل» اذا رأى غيره يشتغل بحرفة يحيط خبراً بأسرار العمل فيها. على أن الشبان أقل حاجة إلى الوقت من غيره فلو أن القائمين على التعليم احسنوا في توجيهه إلى غايته ما شككت ابداً في ان الطفل الذي بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمره يتعلم في المعامل شيئاً كثيراً وجملة القول ان لدينا في جميع المدن الكبرى بل وفي القرى كثيراً من معاهد

(١) فاراداي عالم انكليزي من أشهر علماء الطبيعة اشتهر بتأليفه في الكهربية

ولد في سنة ١٧٩٤ ومات سنة ١٨٦٧

العمل التي لو احتلف الطفل اليها لأدرك بالعيان والحس بعض قوانين المادة وتعلم حب العامل وتنظيمه ولكانت اقل فائدة له من ذلك ملاحظة طرق الصناعة أو الزراعة ان لم يباشر شيئاً من اعمالها بيديه وتلك منزلة اخرى له قايت شمري هل يصح في نظر العقل ان تنقل هذه اليتامى المتدفقة للعرقان وتجنس حقوقها من الضاية وتكون دراسة الالفاظ هي موضوع الاهتمام والرعاية اهـ

أنا على المسيحية

﴿ مثال من أمثلة تسامح الاسلام وضيق صدر المسيحية ﴾

تعرض صاحب مجلة الجامعة للكلام في علم العقائد الاسلامية وهو لاشك جاهل به لانه لو عرفه لكان مسلماً اولو كان مسامحاً لفرقه فزعم أن علماء الكلام (وهو العلم الذي وضع لاثبات العقائد ورد الشبه عنها) ينكرون ارتباط الاسباب بالسيئات وان كان القرآن يثبتها . وتعرض للكلام في طبيعة الدينين الاسلامي والمسيحي فزعم أن طبيعة الاسلام تنافي العلم والحكمة دون طبيعة المسيحية ولذلك ارتقت العلوم في أوروبا وماتت في البلاد الاسلامية بمعنى ان طبيعة الاسلام حكمت على المسلمين بالجهل والقبادة والبعد عن المدنية ونتيجة هذا انهم لا يرتقون الا اذا تركوا هذا الدين وصاروا نصارى ولئن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تبغ ملهم قل إن هدى الله هو الهدى » وتعرض للكلام في تاريخ بعض حكماء الاسلام فأورد عنه ما يقتضي كفره وهو غير صحيح . كل هذا في جزء واحد من أجزاء مجلته وهو أعظم جناية جناها على قارئها من المسلمين لانه يشكك غير العالم الراسخ في دينه والشك في الدين كفر قامت قيامة من اطاع على هذا الجزء من أذكاء المسلمين وعدوا هذه المجلة أضر عليهم من المجلات النصارية الدينية التي تطلعن في الاسلام طعناً صريحاً لأن مجلة الجامعة تكلمهم بلسان العام المحبوب عندهم بطبيعة دينهم فيحتش أن يفتر العاقل بما فيها وتلك المجلات والبرائد تقابلهم بالمدون الظاهر فينفرون منها . وقد عام القراء ان للمسيئين رجوا اليانا والى امام من أئمتنا راغبين في الرد ورأوا ان ذلك الامام كتب في بيان الحقيقة كتابة أثنى فيها على صاحب الجامعة وعلى مجلته على ما كان منه

وان تلك الكتابة كانت مثال الأدب والكمال الذي يليق بسعة صدر الاسلام وتسامحه مع المخالفين ، وان كانوا طاعنين وقادحين ، والتمس له العذر على طعنه بالدين القيم وبأعظم علمائه وحكمائه

ورأوا أيضاً ان التنازل قد حسن الظن فيه واعتذر عنه وبرأه من سوء القصد . ولكن صاحب الجامعة لم يرض بذلك كله وأثبت لنا في الجزء الاخير انه متعمد لذلك الظن ومصر عليه . وقد قابلنا على الاعتذار عنه بالسب والشتم

أما شتمه لنا فلاننا قلنا انه قال ما قال لأنه لا يعرف علم الكلام الاسلامي فنسبنا الى الجهل بعقائد ديننا مكافأة لنا وقال ان تلك المقدمة تنج هذه النتيجة . يعني ان « التفضيلة والحقيقة والضمير » التي يلهج بأسمائها تقضي علينا ان نقول انه لا يعرف اللغة الفرنسية اذا هو قال اننا لا نعرفها . وأما شتمه للامام صاحب الرد فلم ينتحل له - بياً - السب معروف وهو تأثير النصرانية في عدم التسامح وحملها على الشدة مع المخالف بقدر الاستطاعة . وفي مصر الآن من الحرية ما يسمح للصغير ، ان يتسامى ويتساق للظن في الكبير ، وربما زين الغرور اصاحبه ان كلامه الوضع في الرفيع هي الطريقة المثلى للانتقال من الضمة الى الرفع لذلك نرى أكثر للتطفلين على انشاء هذه الجرائد التي تبرز كل حين في مصر ثم تخفي كفضائع الماء يستهلون جرائدهم بالتيل من الجرائد النقية المنتشرة نوها انها تهتم بالرد عليهم فيكونون سواء ، وينالون مانال أولئك من النهرة والنزاه . ولا رضى هذه الحطة للجامعة وصاحبها

قال بعض الناس الذين رأوا الجامعة الاخيرة للامام : أرأيت ما كان من صاحب الجامعة الذي أثبت عليه وعلى مجلته حتى رفعها الى أعلى منزلة للمجلات . . . فقال الامام : « لا خسارة في حسن الأدب » ولم يزد على ذلك شيئاً

فهل يتوهم الرصيف المحترم صاحب الجامعة أن صاحب هذا الأدب الباهي يتنازل تواضعاً الى تصحيح مقاله والناية بارشاده بعد العلم بأنه لا قابلية فيه لذلك ولا استعداد ، ولا يعرف قيمة هذا الارشاد ، ام يتوهم ان أحد تلامذته يحفل برد سفسطة الجامعة ومحررها الكلام لأجل تصحيح أغلاطها . اماما تفننت به على المسلمين وتقول على اعتقادهم فاننا نبين الحق فيه لا بصفة رد أو مناظرة بل بجعله في باب رد شبهات المسيحيين وحبج المسلمين لأن الجامعة التي كان اسمها (الجامعة النمانية) ثم صار اسمها « الجامعة » فقط قد صارت « الجامعة النصرانية » ولا نصيب صاحبها

بخدمة الدين الذي ينتسب إليه ولكننا نصح له بالتروي والاعتدال
 «لنار» مجلة مليه كما أنها علمية أدبية وهي مع ذلك لا تعرض لدين الخالفين الأرثا
 على ما يستدلون به على الإسلام. والجامعة لا تعترف بأنها مجلة مليه مسيحية وهي مع ذلك
 تطن في الإسلام والمسلمين ابتداءً، وتفتخر الكلام في ذلك اقتحاراً، فهي في ظاهرها
 عامية أدبية محبة كالقطف والحلال وفي باطنها دينية مليه كراية صهيون وبشار الإسلام
 والمشرق ونحب لها ان يكون ظاهرها كباطنها.

قلنا ان صفار التلامذة لا يحفلون برد سفسطة الجامعة التي سمها رداً فان القيد
 الذي خلقته لتصحيح زعمها انكار المتكلمين للأسباب وهو أنهم ينكرونها كما يفهم
 الفلاسفة لا يفيد شيئاً. فان قولها الأول بالانكار كان مطلقاً وحكم المطلق ان
 يجري على إطلاقه كما هو معلوم. وقولها ان ابن رشد كفر الأشعرية وقال بضلالهم
 لأمر نسبها إليهم منها انكار الأسباب الضرورية. واستدلها بذلك على ان المتكلمين
 ينكرون الأسباب كما يفهمها الفلاسفة هو حجة عليها لأن ابن رشد يرد على الأشعرية
 بذلك رداً دينياً—وهو من علماء الدين الراشدين—لأنه يني عليه التكفير والتضليل
 والفلاسفة لا يسمون مخالفهم كافراً فكأن ابن رشد يقول ان من انكر الأسباب فهو
 عند المسلمين كافر اوضالاً لأن من اصول الإسلام التي يشهد بها القرآن وتنطبق على
 سيرة السلف والخلف للمهتدين ان الأسباب مبروطة بالمسيبات وان للكون سنناً ونواميس
 مطردة. قال الله تعالى فيها «ولن نجد لسنة الله تبديلاً ولن نجد لسنة الله تحويلاً»

وأما زعمه ان المعتزلة ليسوا من المتكلمين فكل طالب علم يعرف نقوله فيه على
 المسلمين. فالتكلمون منهم المعتزلة ومنهم الأشاعرة ومنهم الماتريدية. وكذلك الفقهاء
 منهم الحنيفة والشافعية والمالكية. وكما اختلف هؤلاء في بعض المسائل الفقهية وكلهم فقهاء
 اختلف أولئك في المسائل الكلامية وكلهم متكلمون. والجميع مسلمون من اهل القبلة.
 ومن أعجب المزايعم زعمه ان الاعتقاد بوجود التواميس (أي سنن الكون) والاعتقاد
 بتغيرها تقيضان لا يجتمعان. وهو يعلم ان الفلاسفة انفسهم يقولون بان مكان تغير
 التواميس بل يقولون بأن التغير حدث وبحدث بالفعل وهو ما يبرون عنه فئات
 الطبيعة. فان احتاج الفلاسفة الى تأويل هذه الفئات فالمسلمون احوج لأن اساس
 هذه الفلسفة كلها قوله تعالى: «ولن نجد لسنة الله تبديلاً»

وما يضحك صفار التلامذة استدلاله على معاداة الإسلام للعلم والعقل بكلمة

جارية على ألسنة العامة لا يعرف قائلها وهي « من تمنطق ترندق » ويفهمون منها أن من تعلم المنطق صار زنديقاً . هذه الكلمة لعامي مجهول في شخصه وفي ملته ودينه والدليل على كونه عامي أن معنى « تمنطق » لبس المنطق وليس معناها أنه تعلم المنطق خلافاً لما يوهمه المصباح ، يستدل بهذه الكلمة صاحب الجامعة الذي لا يراعي في قوله إلا الحقيقة والضمير ، على ما ذكره ينسي أو يتناسى أنه لا يوجد طالب علم في المسلمين لم يقرأ المنطق وأن الأزهري لا يعطي شهادة العالمية إلا لمن يؤدي الامتحان في علم المنطق ومثله جميع المدارس الإسلامية . ومن كلام حجة الاسلام « من لا يعرف المنطق فلا ثقة بعلمه »

لا يبعد أن يكون صاحب الجامعة قد كتب ما ذكرنا عنه وهو يعتقد أنه محرم . ويقرب أن يكون مغترأ بما أجاب به عن تخطئته في تايخيص فلسفة ابن رشد لأن سنده في هذا الجواب ثلاثة أمور (أحدها) زعمه أن النساخ من العرب كانوا يحذفون من كتب ابن رشد المواضع المهمة أو يبدلون فيها فراراً من الملام والاضطهاد . أي أن أولئك النساخ كانوا علماء بالفلسفة وعلوم الدين ومكلفين بأن يتصرفوا بما يتقنون به بحسب مآرئهم حتى يكون الكتاب مشتملاً على فلسفة النساخ لا فلسفة المؤلف . فإذا خالفوا إلهامهم من استأجرهم للنسخ أو اضطهدهم !!!

ثانيها أن الفيلسوف رنان — الذي نزهته الجامعة عن التعصب والذي علمنا عنه أنه كان أشد المتعصبين على الاسلام حتى أن السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده نظرا في باريس وارجعاه عن كثير من خطئه — قال أن العرب اخطأوا في فهم فلسفة اليونان ونقلها . ومنهم ابن رشد .

ثالثها أنه « لا مخلص للكتاب العربي اليوم . من أخذ تلك الفلسفة عن الافرنج انفسهم ولا يشترط في هذا الأخذ سوى حسن اختيار المؤلف أي أن يكون ثقة ومنصفاً غير متعصب لفريق دون فريق » وهذا ما توجته الجامعة « أه بنصه

ولا احتمال اغترار الكتاب بهذه المقدمات التي صحح بها قوله ونشره بأنها لا تروج عند أحد طلاب العلم لأمر » (أحدها) أن العرب قد اعتنوا بأمر النقل والرواية اعتناء لم يسبقهم به سابق ، ولم ياحقهم فيه لاحق ، ومن آثار ذلك أنهم نقلوا فلسفة اليونان ، بنسابة الدقة والإتقان ، وقد تعلموا اليونانية ولهم فيها قواميس . وقد اعترف لهم الافرنج المتصفون بذلك وفضلوهم به على انفسهم ومنهم سيد المؤرخ الشهير .

(ثانيها) أن الافرنج برعوا في علوم التجربة ولكنهم لا يوثق بهم في علوم النقل

فكتبهم طائفة بالكذب على الاسلام والمسلمين في دينهم وتاريخهم . قال سيديو في
مبحث اشتغال العرب بالعلوم الرياضية : « واما العرب بمجرد نقل كتب اليونان
حرفيا كما زعم بعض الافرنج » ثم ذكر انهم زادوا عليها ما اخترعوه في هذه الفنون .
وقال في أول المبحث الذي عقده « في عدم اقتصار العرب على شرحهم فلسفة
ارسطو ما نصه مبرها : « زعم الافرنج انه لم يكن فلسفة عربية وما ذاك الا لجهاشهم
بأشغال العرب فان جميع الدروس بمدارس أوروبا في القرون المتوسطة مستمدة من
تأليف العرب الفلسفية » الخ وقال غير ذلك بمئاته

(ثالثا) غير معقول ان الذين كانوا يستسخون الكتب الحكيمة كانوا يرضون بأن
يغير النسخ فيها وغير معقول ان النساخ كانوا يستطيعون التصرف في تلك الكتب
ويمملون بتلك الاستطاعة .

(رابعها) ان ما نقلته الجامعة عن الافرنج غير موثوق به لأن صاحبها غير عالم
بالفلسفة فيستطيع نقلها من لغة الى لغة اذا كان لم يفهم فلسفة المتكلمين بالعربية
فكيف يفهم فلسفة ابن رشد واليونان من الفرنسية ؟ ولو قرضنا انه أحسن
الفهم فلا يسهل علينا أن نقرض انه حسن القصد لظهور نقصه على الاسلام
والمسلمين . وإصراره على هذا التعصب ومماراته ومكابرته فيه بعد بيان الحق له
بالتي هي أحسن . وقد زعم في هذا الجزء ان المسلمين كاليهود والنصارى يستفدون ان
العالم وجد منذ بضعة آلاف من السنين وليس هذا من اعتقاد المسلمين في شيء . فإنا
يديرنا ان كل نقله من هذا القليل

وأما كلام الجامعة فيما سمته الأموال الجزئية فحسبنا فيه الخلط بين الاصطلاحات العلمية
ومعاني الكلم اللغوية . وزعمها ان ما قاله الامام في علاقة الانسان بالخالق غير صحيح لأن
رئان أنرد فصلا لهذا البحث استمان فيه بكلمات ارسطو اليونانية . وهل يقول عاقل
ان قول فلان غير صحيح لأن فلانا خالفه فيه . وما يدري صاحب الجامعة ان
ما قاله الامام هو الصحيح وما قاله رئان هو الخطأ ان صح نقلها عن رئان هذا وان
الامام مطلع على ما كتب رئان وغيره من الافرنج وقد كتب ما كتب

(الخاتمة) نشكر في ختام القول للجامعة ولصاحبها هذا التحامل على الاسلام
والمسلمين لأنه كان السبب في تصدي ذلك الامام العظيم الى بيان هذه الحقائق التي
تحيي الشهور الإسلامي في نفوس المسلمين وتبنيهم الى العمل بما يرشد اليه دينهم

القويم من الرغبة في العلم والحكمة ، وإعلاء شأن الأمة ، ومعالجة المخالفين بالمحاسبة ، وإن ظهوروا بمظهر المحاشنة ، وليس في كلام الإمام ، إلا برد الهدون والسلام ، الداعي الى حسن الائتلاف ، فلا يحشبن الرصيف منه إثارة الخصام ، وإن كان هو يحب الموازة ويدعو اليها فايدع الكلام فيما يتعلق بالإسلام . فإنه ليس من موضوعه ولا إنيه . ولا علم له بظاهره ولا خفيه ، وهذا القدر يكفي .

جاءنا من الأستاذ الفاضل صاحب التوقيع ما يأتي بنصه :

﴿ بماذا دفع العلماء نازلة الوباء ﴾

دفعوها يوم الأحد الماضي في الجامع الأزهر بقراءة متن البخاري موزعاً كراريس على العلماء وكبار المرشحين للتدريس في نحو ساعة جزياً على عادتهم من أعداد هذا المتن أو السلاح الحبري لكشف الخطوب وتفرج الكرب فهو يقوم عندهم في الحرب مقام المدفع والصارم والأسل وفي الحريق مقام المضخة والماء وفي الهیضة مقام الحیطة الصحية وعقاقير الأطباء وفي البيوت مقام الحضرة والشرطة وعلى كل حال هو مستنزل البركات ومستقر البركات

لما كان العلماء أهل الذكر والله يقول « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » فقد بنت أسألهم بلسان كثير من المسترشدين عن مأخذ هذا الدواء من كتاب الله أو صحيح سنة رسول الله أو رأي مستدل عليه لأحسد المجتهدين الذين يقلدونهم إن كانوا قد أتوا هذا العمل على أنه ديني داخل في دائرة المأمور به . والافمن أي خذاق الأطباء تلقوه ليتبين الناس منه أو من مؤلفاته عمل تلاوة متن البخاري في درة الهیضة عن الأمة وإن هذا داخل في نواويس الفطرة أو خارج عنها خارق لها . وإذا كان هذا السر العجيب جاء من جهة أن المقروء حديث نبوي فلم خص بهذه المزية مؤلف البخاري ولم يميز في هذا موطأ مالك وهو أعلى كتباً وأعرق نسباً وأغزر علماً ولا يزال مذهبه حياً مشهوراً . وإذا جروا على أن الأمر من وراء الأسباب فلم لا يقرؤه العلماء لدفع ألم الجوع كما يقرؤه لأزالة المنقص أو التي والإسهال حتى تذهب شجناء الجراية من صدور كثير من أهل العلم وعلى هذا القياس يقرأ لـ

شيء ما دامت العلاقة بين الشيء وسببه مفصومة

فإن لم يستطيعوا عزوه لهذا الدواء الى نهاس الأطباء سألوا للعلم منهم بالتسارخ

أن يرشدنا إلى من سن هذه السنة في الاسلام وهل قرئ البخاري لدفع الوباء قبل هذه المرة قلنا نعم انه قرئ للعرايين في واقعة التل الكبير فام يلبثوا أن فشلوا ومزقوا شرمق ونسلم انه يقرأ في الصوت لتأمن من الحريق والسرقة ولكن بأجر ليس شيئاً مذكوراً في جانب أجر شركة التأمين للمروقة مع أن الناس يسابقون إليها تسابقهم على شراء الدواء اذا نزل الداء ويمدلون عن الوقاية التي نحن بصددتها وهي تكاد تكون بالحجبان ومجدون في نفوسهم اطمئناناً لتلك دون هذه

فان لم يجد العلماء عن هذه المسألة اجابة شافية خشيت كما يخشى العقلاء حملة أهل الاقلام عليهم حملة تسقط الثقة بهم حتى من نفس العامة وحينئذ تقع الفوضى الدينية لتوقع من ضعف الثقة واتهام العلماء بالتقصير وكون أعمالهم حجة على الدين. هذا — وقد ليج الناس بآراء على أثر الاجتماع الهيفي الازمهي *

فمن قائل : ان العلماء المتأخرين من عادتهم أن يهرؤوا في مثل هذه التوازل من الاخذ بالأسباب والاصطبار على تحملها لمشقتها الشديدة ولنجؤن الى ما وراء الأسباب من خوارق العادات لسهولة ولا يهائم العامة انهم مرتبطون بعالم أرقى من هذا العالم المعروف الظلم فيكسبون الراحة والاحترام مما يظهرون على الأمة ظهور اجلال ويمتلكون قلوبهم ويسيطرون على أرواحهم ولهذا تمكنوا حتى فترت شررة الوباء فقرءوا تميمهم ليومها ان الخطر انما زال ببركة تميمهم وطالع بينهم

ومن قائل : انهم يخدعون أنفسهم بمثل هذه الاعمال بدليل ان من يصاب منهم لا يعالج مرضه بقراءة كراسة من ذلك الكتاب بل يعتمد الى الحجرات من النعنع والخل وماء البصل وما شابهها ويلجأ الى الطبيب ولا تلتفت نفسه الى الكراسة التي يعالج بها الأمة فهذا يدل على ان القوم يعملون على خلاف ما في وجدانهم لهذه الأمة خادعين أنفسهم بتسليم أعمال سلفهم. ومن قائل : ان عدوا من أعداء الدين الاسلامي أراد أن يشكك المسلمين فيه فدخل عليهم من جهة تعظيمه فادعى الي قوم من متعاليه السابقين أن يعظموا من شأنه ويرفعوا من قدره حتى يجعلوه فوق ما جاءت له الاديان فيدعون كشف نواب الأيام بتلاوة أحاديث خبر الأثام وروؤجون ما يقولون بأنه حرب وأن من شك فيه فقد طعن في مقام النبوة حتى اذا رسخت هذه العقيدة في الناس وصارت ملكة دينية راسخة عند العوام وجربوها فلم تفلح وقعوا والياد بالله في الشك واصابهم دوار الحيرة كما حصل ذلك على أثر واقعة التل الكبير من كثير من الذين يبتدقوا الدين من المسلمين حتى كانوا يسألون عن قوة البخاري الحربية ونسبته الى البوارج ساخرين

منه ومن قارنيه ولولا وقوف أهل الفكر منهم على أن هذا العمل ليس من الدين وأن القرآن يقول: «وَأَعْبُدُوا لَهُمَ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ» الخ اخلصوا واخلوا وقد جبراً هذا الامر غير المسلمين على الخوض في الدين الاسلامي واقامة الحجة على المسلمين من عمل علمائهم ولا حول ولا قوة الا بالله

ويقول قوم: ان التقايد: انج بالعلماء مبلغاً حرم على العقول النظر في عمل السلف وان كذبته العينان. وخالف الحس والوجدان، ويقول آخرون ممن لاخبرة لهم بهمة العلماء في مثل هذه الكوارث: أما كان ينبغي لهم أن يفتشوا في المساجد والاندية والولائم حاثين الناس على الوقاية من العدوى معضدين الحكومة في تسكين سورة الالهين مفاوضين الصحة في فتح المساجد وتمهدها بالنظافة فان هذا يرتبط بهم أكثر مما يرتبط بوقد أعيان القاهرة جزاء الله خير الجزاء

فان أعوزهم البيان وخبب القلوب بذلاقة اللسان فلا أقل من أن يؤلفوا رسالة في فهم ما ورد متشابهاً في موضوع العدوى حتى يعلم الناس ان الوقاية من الداء أمور بها شراً وعقلاً وسياسة فيكون كل فرد عارفاً عضداً للحكومة ولو طلبوا من الصحة طبع ما ألفوا وتوزينه على المصالح والنواحي للبت ذلك شاكراً وكان لهم الأثر النافع هذا مايقوله القوم في شأن علمائهم رفعة اليهم ليكونوا على بينة منه لانهم لا يختلطون بالناس إلا في الأفني والولائم والمآتم وان اختلطوا فقلما يناقشونهم في شيء يحرزوا من حديثهم في المناقشة ورهيم مناظرهم لاول وهلة بالزئج والزندقة فذلك يجاملونهم ويوافقونهم خشية الهجر والمعادنة. أما أنا فاني لا أزال ألح في طلب الجواب الشافي عن أسئلة دفع الوباء بقراءة الحديث وعن منح من البخاري مزينة لم يمنحها كتاب الله الذي نفتقد انه متعبد بتلاوته دون الحديث ولو كان هذا العمل من غير العلماء الرسميين اشترت عنهم وعن عمالهم صفحاً ولما خططت كلمة ولكنه من علماء لهم مراكر رسمية يزاحمون بها مراكر الامراء فيجب أن يؤبه لهم وان ينظر لعلمهم بازاء مراكرهم من الأمة التي يسألون عنها والله ولي التوفيق (متصح)

بَابُ الْوُضُوءِ وَالْوُضُوءِ

﴿الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدينة﴾

قد نشرنا من هذا الكتاب مقالين أحدهما اضهاد النصرانية للعلم بمقتضى

أصولها نشر في الجزء الحادي عشر الماضي واقتبسته جريدة المؤيد . وثانيهما أصول الاسلام القاضية بالتسامح مع العلم أنما وجدوا أكرام العلماء من أي ملة كانوا نشر في هذا الجزء . وبلي هذا مقال آخر في نتائج هذه الأصول الاسلامية المذكورة في هذا الجزء . وآثارها في ترقية العلم والعمران . وإيجاد مدنية فاضلة للانسان ، وسينشر في الجزء الآتي . وريداً بالشواهد التاريخية ، وشهادات المؤرخين والفلاسفة من الأمم الأوروبية ، ويتبع هذا مقال رابع في شرح حالة المسلمين في هذا العصر ، وما نكبوا به في كل قطر . ويحتم الكلام بمقال خامس في كيفية معالجة الداء ، وبيان النجاة من البلاء ، بحسب رأي هذا الطبيب الروحاني ، والامام الرباني ، لازال ذخراً للإسلام ، ومرشد الأنام ، وسينشر ذلك سابعاً في النار وربما وقفنا للتمجيد ببعض الاجزاء وأصدارها قبل وقتها اكراماً للقراء ، فقد رأينا منهم اقبالاً على ما نشر واعجاباً به لم نر ما يشابهه الا اعجابهم بالرد على موسيو هاتو . ولاغرو فهذه الحكم متدفقة من ينبوع واحد ، لا ينكره مكابر ولا حاسد .

﴿ عبرة وتنبية . في موت وجهه ﴾

كتب اليينا من بومباي (الهند) انه توفي فيها « حسي بك نائب سفير الدولة العلية » فيها فاحتفل المسلمون بتشييده احتفالاً عاماً وغلقوا الدكاكين وتركوا جميع الأعمال عامة يومهم . وسيرسلون كتاباً يعززون به أهله في الاستانة العلية والاعتبار في الخبر من وجوه — أحدها شدة تعاق مسلمي الهند بالدولة العلية ، لأنها أقوى الدول الاسلامية ، وهذا أثر من آثار هداية الاسلام الذي من مقاصده جعل البشر كاهم إخوة . ولولو جد في الهند مثلاً ما يوجد في مصر من أحداث السياسة وخطبات القتلة الذين يحثون قومهم على بغض كل من لم يكن له نسب عريق في بلادهم ويسئون هذا وطنهم بقي لحب الدولة العلية في قلوبهم عريق بغض ، ولا لحقوق المسلمين حكم بفرض ، (وثانيها) أن آمال المسلمين لا تزال معلقة بالسياسة ورجائها ، والحكومات وأعمالها ، ولتهم ينظرون أولاً الى انفسهم وأعمالهم ، ويعتمدوا بعد الله على كفاءتها واستقلالهم . (وثالثها) حرية الحكومة الانكليزية فلو أن أهل جاوه ارادوا أن يعملوا عملاً كهذا لتصدت لهم الحكومة الهولندية وصدهم عنه . فبالت المسامين الذين هب عليهم نسيم الحرية للتمش للأرواح يعرفون كيف تكون به الحياة الطيبة ويمملون بما يعلمون ولا يحفلون بما يلفظ به الغاشون الذين يقبحون لهم نعمة الحرية بذم مصدرها

﴿ السيد محمد المهدي السنوسي ﴾

نمت النابريقات أوروبا في النهر المياضي هذا الرجل العظيم الذي أشتهر بالعلم والعمل والدعوة إلى الله تعالى والإرشاد إلى طريق الرشاد فارتبنا في حجة الخبر وبربنا به التكذيب فما كان إلا أن أكدته الجرائد الغربية تأكيداً كبيراً وتسبها غيرها .

وقد اطمانا اليوم قبل طبع على كتاب من طرابلس الغرب لأحد التجار جاء فيه مانصه :
« وردت مكاتيب مشعرة بوفاة الأستاذ المهدي وبالتحقيق لم يثبت ذلك إلى الآن »

أسال بالكلية بل المتحقق انه انتقل إلى جهة من الجهات مجهولة .

« محاربة الفرنسيين بالقطار السودانية لم يحصل على خبر منها إلى الآن وقد كان في تلك المحاربة رجل من الجزائر أتى إلى قسطنطينة إحدى الممالك الجزائرية وأرسل إلينا جواباً يفيد انه قادم إلى طرفنا وعند وصوله نفهم منه حقيقة الواقع تفصيلاً واجتالاً وما الذي سيضمه الفرنسيون بخصوص ما ذكر ونعرفكم بذلك والسلام » اهـ

وسأني البحث في ذلك وقول من يكذب خبر المحاربة فيما ننشر من ترجمته

(الترجمة) جمع هذا الرجل من الصفات والحلال ، ما يندر أن يكون لأحد من الرجال .

— الشرف والعلم والهدى والإرشاد وسيادة المصيبة فهو الرجل الديني الوحيد الذي

كانت تلجح بذكره الجرائد الأوربية وتستقري أعماله وتتبع حركاته وسكناته ويثني

عليها الآراء السياسية بل كان على زهده وانزوائه في زاويته أشبه بملك عظيم أوقاد

بأسل مستعد لكفاح الأقران ، وقروح البلدان . وكان الناس في أوروبا وفي الشرق

مختلفين في أمره ، وهائمين في أودية الظنون من شأنه ، والاكترون يعتقدون أن

طريقه جامعة بين الدين والسياسة ومن أصولها الاستعداد للمدافعة والمقاومة عند الحاجة

إلى ذلك . واشتهر بين الناس في هذه البلاد وغيرها أن أتباعه كانوا يعتقدون انه

المهدي المنتظر . وقد عرفت أحد دروايشه الصالحين من محمراء طرابلس الغرب

واستفدت منه فوائد كثيرة عن السنوسيين فكان مما قاله لهم يعتقدون أن شيخهم هو

المهدي المنتظر . انه سيحج ويبيع في حرم مكة وفي عرفة الشك . في » وقال :

إذا ذهب سيدي المهدي إلى الحجاز فلا يتخلف أحد من المغاربة عن الحج في تلك

السنة إلا لعجز مقعد . وكان يقول أيضاً : أن من أصول الطريقة أحياء الأرض

وغرس الأشجار واقتناء السلاح . ونحن نعلم أن السنوسيين أتباعاً في مصر يكتفون

كل ما يعرفون من أمرها بل يكتفون في الغالب كونهم من أهلها

مثل هذه الأخبار وفلك الاحتمار ، هو الذي أثار في النفوس عندها ما أثار ،

وأما الأوربيون فثناؤهم وأحلامهم في السنوسيين حرائد فرسا وكها
(راجع صفحة ١٧٨ وما بعدها من مجلد المنار الأول مجديفة القول التي تؤيد هذا)
وقد باننا أن الحكومة الفرنسية قد خصصت مئة ألف فرنك في كل سنة لمقاومة
سلطة أصحاب الطريق في الجزائر وما يابها ويتصل بها وأن الذين يأخذون هذا
المال هم الذين كانوا يعظمون أمر التيجانية ثم صاروا يعظمون أمر السنوسية بما
يكتبونه في الجرائد والكتب والله أعلم بالحققة . وإنما غرضنا من هذه الجملة كلها
بيان اختلاف الناس في أمر السنوسية وعذرهم في هذا الاختلاف

وقد كتب في جريدة (الحاضرة) التونسية مقالة بنو قيع (محمد الحشاشي)
في بيان الطريقة السنوسية وترجمة صاحبها . قال الكاتب أنه كتب عن عام وروية
لأنه ساح في الصحراء الكبرى وما جاورها من البلاد المجهولة واختبر السنوسيين
الاختبار التام وكتب في ذلك رحلة سماها الرحلة الصحراوية . ولمخص من مقاله
المفيد لأنها أوسع ما كتبه المسلمون في هذا الرجل الكبير فقول

ساق أولا نسبه إلى سيدي إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط
ابن علي من فاطمة الزهراء عليهم السلام . ثم قال أن صاحب الترجمة من مدينة مستعظم
بعمالة وهران (التابعة لجزائر) من قبيلة الخطاطبة . أرنجل والده إلى مدينة فاس في
سنة ١٢٢٩ بعد أن حفظ القرآن بالروايات السبع وكان ابن ثمان فاجتمع بالشيخ أحمد
التيجاني شيخ الطريقة التيجانية الشهير وتلقى هناك العلوم حتى برز فيها ثم أرنجل إلى
المشرق سنة ١٢٤٥ قاصدا أداء فريضة الحج . وظهرت له كرامات عديدة في طريقه
فأقام بمكة المشرفة سنين عديدة ونشر في أسنائها طريقته المستمدة من نفس الطريقة
المحمدية التي أخذ أحزتها عن سيدي أحمد بن إدريس . فانتشرت الطريقة في الحجاز
واليمن إلى أن باغت العراق وفي سنة ١٢٥٩ انتقل إلى الجبل الأخضر من وطن درنه
وبنغازي (من ولاية طرابلس الغرب) وتصدى الإرشاد . وولده صاحب الترجمة
سنة ١٢٦٠ بالزاوية البيضاء فرباه التربية الدينية في مهدها العام والإرشاد . حفظ القرآن في
الثامنة ثم حفظ الكثير من المتون الفقهية وغيرها واشتغل بطلب العلم على الأستاذ الحافظ
لشيخ أحمد الربيعي بعد ما قرأ القرآن على مؤده الشيخ هاشم الصفاقي والحافظ الشيخ
مدين وأخذ عامي التفسير والتجويد والعلوم الأدبية عن الشاعر الأديب الشيخ
محمد أبو سيف وعامي الحديث والأصوات عن الشيخ أحمد الربيعي . جميع هؤلاء من علماء
المغرب بعضهم من الأقصى وبعضهم من الأدنى

« لهابيه »

الذين يسمون القول
بأنهم لا يسمون
بأنهم لا يسمون

المجلد

١٣١٥

الذين يسمون القول
بأنهم لا يسمون
بأنهم لا يسمون

(قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صوى و... مناراً... كمنار الطريق)

(مصر في يوم الجمعة غرة رجب سنة ١٣٢٠ - ٣ أكتوبر (تشرين) سنة ١٩٠٢)

الإسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية

(وهو المقال الثالث لذلك الامام الحكيم . والاستاذ العالم)

(ناتج هذه الاصول وآثارها في المسلمين)

الى م أفضت طبيعة الاسلام بالمسلمين ؟ وماذا كان أثرها في اسلافهم
الأولين ؟ - فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر واستولى بحيشه
على الاسكندرية بعد لحاق النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالرفيق
الاعلى بست سنوات في رواية وتسع سنوات في رواية أخرى والاسلام
في طلوع فجره ، وتفتح نوره ، فكان من بقايا ما تركت الازمان الأولى
رجل مسيحي من اليعقوبيين اسمه يوحنا النحوي كان في بدء أمره ملاحاً
يسير الناس بسفيته وكان يميل الى العلم بطبيعته فاذا ركب معه بعض أهل
العلم أصنى الى مذاكرتهم . ثم اشتد به الشوق فترك الملاحة واشتغل بالعلم

وهو ابن أربعين سنة فبلغ فيه ما لم يبلغه الناشئون فيه من طفوليتهم وقد أحسن من العلم فنونا كثيرة حتى عدَّ من فلاسفة وقته وأطبائه ومناطقته يقول كثير من مؤرخي الفريين ومؤرخي المسلمين ان عمرو بن العاص سمع به فاستدناه منه وأكرمه لعله ووقفت بينهما حجة ظاهر أمرها واشتهر حتى قال أحد فلاسفة الفريين : « ان المحبة التي نشأت بين عمرو بن العاص فاتح مصر ويوحنا النحوي ترينا مبلغ ما يسمو اليه العقل العربي من الأفكار الحرة والرأي العاني بمجرد ما أعتق من الوثنية الجاهلية ودخل في التوحيد الحمدي أصبح على غاية من الاستعداد لاجولان في ميادين العلوم الفلسفية والأدبية من كل نوع »

خالط المسلمون أهل فارس وسوريا وسواد العراق وأدخلهم في أعمالهم ولم يمنعهم الدين عن استعمالهم حتى كانت دفتارهم بالرومية في سوريا ولم تغير بالعربية الا بعد عشرات من السنين فاحتكت الأفكار بالأفكار وأفضت سماحة الدين الى أن أخذ المسلمون في دراسة العلوم والفنون والصنائع - فإني اشتغال المسلمين بالعلوم الأدبية ثم العقلية -

وبعد عشرين سنة من وفاته عليه الصلاة والسلام أخذ الخليفة علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه يحضُّ على تعليم الآداب العربية ويطلب وضع القواعد لما رأى من حاجة الناس الى ذلك . وأخذ المسلمون يتحسسون نور العلم في ظلام تلك القتن استرسالا مع ما يدعوه اليه دينهم وتبتهم لطلبه شريعتهم . وان كانت الحروب الداخلية التي اشتعلت نارها في أطراف بلادهم للنزاع في أمر الخلافة قد شغلهم عن كل شيء من مصالحهم فلها لم تشغلهم عن تلمس العلوم والتناول منها بالتدريج على

سنة الفطرة . فالبراعة في الآداب من علم بوقائع العرب وتاريخهم وقول
الشعر وإنشاء البليغ من اثر قد بلغت في خلافة بني أمية مبلغاً لم تبلغه أمة
قط في مثل مدتها . وكان الخلفاء الأمويون يعملون منزلها ويرفعون
مكانات الشعراء والخطباء والعلماء بالسير . ثم ظهرت آثار العلوم العقلية في آخر
دولتهم وترجمت جملة من الكتب العقلية والصناعية قبل نهاية القرن الاول .
نقل الخلفاء الأمويون دار الخلافة من المدينة الى الشام ولم يسيروا
في الزهد سيرة الخلفاء الراشدين فقد جاء رسول من القرس الى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه فلما سئل عنه ذل عليه فذهب اليه فاذا هو نائم على
الارض تحت نخل البقيع بين القراء وجاءت رسل الملوك الى معاوية
رحمه الله فاذا هو في قصر مشيد محلى البنيان بأجل ما يكون من الصنعة
العربية مزين بالجناات والرياض وينابيع الماء مفروش بأحسن الفرش يرى
الناظر فيه أنخر الأثاث والرياش . ولم يكن معاوية في ذلك قد خالف
الدين أو حاد عن طريقه وإنما تناول مباحاً وتمتع برخصة آتاه الله إياها ولا
يخفى ما في ذلك من ترويح فنون الابداع في الصنعة على اختلاف ضروبها
استغلوا بالعلوم الكونية في أوائل القرن الثاني

انقضت دولة بني أمية والناس في ظلمات من الفتن كما قلنا ودالت
الدولة لبني العباس واستقرت في نصابها من آل بيت النبي قرب نهاية الثلث الاول
من القرن الثاني للهجرة (سنة ١٣٢) ثم نقل المنصور عاصمة الملك الى بغداد
فصارت بعد ذلك عاصمة العلم والمدنية أيضاً . وأخذ المنصور ينشي المدارس
للطب والشريعة وكان قد جعل من زمنه ما ينفقه في تعلم العلوم الفلسفية
وأكل حفيده الرشيد ما شرع فيه وأمر بأن يلحق بكل مسجد مدرسة

لتعليم المعلوم بأنواعها . وجاء المأمون فوصلت به دولة العلم الى أوج قوتها ،
ونالت به أكبر ثروتها ، ويقال انه حمل الى بغداد من الكتب المكتوبة
بالقلم ما يقتل مئة بмир . وكان من شروط صلحه مع ميشيل الثالث أن
يمطيه مكتبة من مكاتب الاستانة . فوجد مما فيها من النفائس كتاب
بطليموس في الرياضة السماوية فأمر المأمون في الحال بترجمته وسموه
بالجسطي . ولايسهل على كاتب إحصاء ما ترجم من كتب العلوم على اختلافها
في دولة بني العباس أبناء عم الرسول صلى الله عليه وسلم

انشاءهم دور الكتب العامة والخاصة

وقد أخذت دول الاسلام تعني بديار الكتب عناية لم يسبقها مثلاًها
من دول سواها حتى كان في القاهرة في أوائل القرن الرابع مكتبة تحتوي
على مئة ألف مجلد منها ستة آلاف في الطب والفلك لاغير . وكان من
نظامها أن تمار بعض الكتب للطلبة المقيمين في القاهرة . وكان فيها
كرتان سماويتان احدهما من الفضة يقال ان صانعها بطليموس نفسه وإنه
أنفق فيها ثلاثة آلاف دينار . والثانية من البرنز . ومكتبة الخلفاء في اسبانيا
بلغ ما فيها ست مئة ألف مجلد . وكان فهرستها أربعة وأربعين مجلداً . وقد
حققوا انه كان في اسبانيا وحدها سبعون مكتبة عمومية . وكان في هذه
المكاتب مواضع خاصة للمطالمة والنسخ والترجمة

وبعض الخاصة كانوا يولعون بالكتب ويجمعون ديارهم معاهد
دراسة لما تحتوي عليه . يقال ان سلطان بخاري دعا طبيباً أندلسياً ليزوره
فأجابه ان ذلك لا يمكنه لأن كتبه تحتاج الى أربعمائة جمل لتحملها وهو
لايستغني عنها كلها . وكان حنين ابن اسحق النسطوري في بغداد ممن جمل

في داره مكتبة عامة يُقدِّم إليها طلاب العلوم العقلية والرياضية وكان ينبع
عندما كرتهم فيما يريدون المذاكرة فيه .

- انشاؤهم المدارس للعلوم وكيفية التدريس -

غطى بسيط المملكة الاسلامية على سعتها بالمدارس . نقول « على
سعتها » لأنها زادت في السعة على المملكة الرومانية بكثير . فكنت تجد
المدارس في كل الاقطار - في المغرب . في التناز من جهة المشرق . في
مراكش . في فاس . في اسبانيا من جهة المغرب .

كانت طريقة الاساتذة في التدريس أن كل مدرس يُدِّس درسه
ويكتب في الموضوع الذي يلقي الدرس فيه ما يريد ان يكتب ثم يلقيه على
التلامذة وهم يكتبون عنه ثم تكون هذه الدروس كتباً وأما التي تشر بين
الناس في كل علم . وهنا نبادر الى القول بأن المؤرخين قد أجمعوا على
أن جميع المقالات والكتب كانت تشر ويتداولها الناس بدون أدنى
مراقبة ولا حصر ولا نقص شيء مما كتب صاحب الكتاب غير ان مؤرخاً
واحداً رأيته ذكر أنه قد وضع قانون في بعض الممالك الاسلامية لشراء
كتب العقائد مقتضاه ان لا يشر منها شيء الا باذن . على أنني لا أعلم شيئاً
من ذلك وقع في الممالك الاسلامية أيام كان الاسلام إسلاماً

نرجع الى الكلام في المدارس الاسلامية . يقول جيون في كلامه
على حماية المسلمين للعلم في الشرق وفي الغرب : « ان ولاية الأقاليم والوزراء
كانوا ينافسون الخلفاء في اعلاء مقام العلم والعلماء ، وبسط اليد في الاتفاق
على إقامة بيوت العلم ومساعدة الفقراء على طلبه . وكان عن ذلك ان ذوق
العلم ووجدان اللذة في تحصيله قد انتشرا في نفوس الناس من سمرقند

وبخارى الى فاس وقرطبة . انفق وزير واحد لأحد السلاطين (هو نظام الملك) مائتي ألف دينار على بناء مدرسة في بغداد وجعل لها من الريع يصرف في شؤونها خمسة عشر ألف دينار في السنة . وكان الذين يُتقنون بالمعارف فيها ستة آلاف تلميذ فيهم ابن أعظم المظاء في المملكة وابن أفقر الصنائع فيها . غير ان القفير ينفق عليه من الريع المخصص للمدرسة وابن الغني يكتفي بمال أبيه . والمعلمون كانوا يُتقنون رواتب وافرة » اهـ

انقسمت الممالك الاسلامية في زمن من الازمان الى ثلاثة أقسام وتنازع الخلافة ثلاث شعبي . كان العباسيون في آسيا (الشرق) والامويون في الأندلس من أوربا (الغرب) والفاطيون في مصر من أفريقيا (الوسط) . ولم يكن تنافس هذه الدول الثلاث قاصراً على الملك والسلطان ولكن كان التنافس أشد التنافس في العلم والادب . وكان مرصد سمرقند قائماً في ناحية المشرق يثير الى ما كان عليه المشرقيون من العناية برياضة الافلاك ، ومرصد جيرالد في الأندلس يحجبه بأن أهل المغرب ليسوا بأحط منهم في الادراك ،

جميع المدارس في البلاد الاسلامية أخذت نظام الامتحان في المدارس الطبية عن مدرسة الطب في القاهرة وكان من أشد النظمات وأدقها . ولم يكن لطبيب أن يمارس صناعته الا على شريطة أن تكون بعد شهادة بأنه فاز في الامتحان على شدة . وأول مدرسة طبية أنشئت في قارة اوربا على هذا النظام المحكم هي أنشأها العرب في ساليرن من بلاد ايطاليا . وأول مرصد فلكي أقيم في أوربا هو الذي أقامه العرب في أشيلية من بلاد اسبانيا

ولم المسلمون بالعلوم الكونية على اختلافها، والفنون الادبية بجميع أنواعها، حتى القصص والاساطير الخيالية، في الاحوال الاجتماعية، وابتدأوا بأخذ العلم عن اليونانية والسريانية، وأخذوا ينقلون كتب الاولين من تلك اللسان الى اللغة العربية بالترجمة الصحيحة . وكان مترجمهم في أول الامر مسيحيين وصباثين وغيرهم ثم تعلم كثير من علماء المسلمين اللسان اليوناني واللاتيني وكتبوا معاجم في اللسانين . وذلك كله ليأخذوا العلوم من أصولها، وينقلوها الى لسانهم على حسب ما يصل اليه علمهم فيها، وكان المسلمون لأبناء العظماء في أول الامر من المسيحيين واليهود ثم انشئت المدارس الجامعة وكان المدرسون فيها من كل ملة ودين . كل يعلم العلم انى عرف هو بالبراعة فيه

❦ علوم العرب واكتشافاتهم ❦

كان علم العرب في أول الامر يونانياً لكنه لم يلبث كذلك الا دون قرن واحد ثم صار عربياً . ولم يرض العربي أن يكون تلميذاً لأرسطو وأفلاطون أو أقليدس أو بطليموس زمناً طويلاً كما بقي الأوربي كذلك عشرة قرون كاملة من التاريخ المسيحي

قالوا إن باكون هو أول من جعل التجربة والملاحظة قاعدة للعلوم المصرية وأقامها مقام الرواية عن الاساتذة والتمسك بأراء المصنفين وأطلق العلم من رق التقليد . ذلك حق في أوروبا . أما عند العرب فقد وضعت هذه القاعدة عندهم لبناء العلم عليها في أواخر القرن الثاني من الهجرة . أول شيء تميز به فلاسفة العرب عن سواهم من فلاسفة الأمم هو بناء معارفهم على المشاهدات والتجربات وان لا يكتفوا بمجرد المقدمات العقلية في

العلوم ما لم تؤيدها التجربة حتى لقد نقل جوستاف لوبون عن أحد فلاهية
الاوربيين : أن القاعدة عند العرب هي « جرب وشاهد ولا حظ تكن
عارفاً » وعند الأوربي الى مابعد القرن العاشر من التاريخ المسيحي « اقرأ في
الكتب وكرر مايقول الاساتذة تكن عالماً » . (فلي نظر المصريون وغيرهم
من الشرقيين كيف انقلب الحال ، وماذا أعقب من سوء المآل)

قال دي لامبر في تاريخ علم الحياة : « اذا عددت في اليونانيين اثنين
أو ثلاثة من الراصدين امكنتك ان تمد من العرب عدداً كبيراً غير
محضور » . أما في الكيمياء فلا يمكنك ان تمد مجرباً واحداً عند اليونانيين
ولكنك تمد من المجربين مئين عند العرب ولهذا عدت الكيمياء
الحقيقية من اكتشاف العرب دون سواهم . وقد كانوا يعدون الهيموسية
والفنون الرياضية من الآلات المنطقية ، يستعملونها في الاستدلال على
القضايا النظرية ، وهي من أصدق الأدلة في الايصال الى المجهولات
كما هو معروف

العرب هم أول من استعمل الساعات الدقاقة للدلالة على أقسام الزمن
وهم أول من اتقن استعمال الساعات الزوالية لهذا الغرض . وقد اكتشفوا
قوانين لثقل الأجسام جامدها ومائتها حتى وضعوا لها جداول في غاية
الدقة والصحة كما وضعوا جداول للأرصاد الفلكية وكانت تلك الجداول
معروفة يطلع عليها الناظرون في سمرقند وبغداد وقرطبة حتى لقد وصلوا
بتلك القوانين الى ما يقرب من اكتشاف الجاذبية

لا يمكنني في مقالتي هذا ان أعد ما اكتشف العرب ولا ما زادوه في
العلوم على اختلاف أنواعها فذلك يحتاج الى سفر كبير . وقد أحصى ذلك

أهل المعرفة والانصاف من فلاسفة الاوربيين ومؤرخيهم . وربما يتيسر
لأبناء الأمة العربية أن ينشروا ذلك لآخوانهم حتى يعرفوا ما كان عليه
أسلافهم .^(١) ولكني أذكر كلمة قالها بعض حكماء الغربيين^(٢) : « تأخذنا
الدهشة أحياناً عند ما ننظر في كتب العرب فنجد آراء كنا نعتقد أنها لم
تولد الا في زماننا كالرأي الجديد في ترقى الكائنات العضوية وتدرجها
في كمال أنواعها فان هذا الرأي كان مما يعلّمه العرب في مدارسهم وكانوا
يذهبون به الى أبعد مما ذهبنا فكان عندهم عاماً يشمل الكائنات غير
العضوية والمعادن . والأصل الذي بنيت عليه الكيمياء عندهم هو ترقى
المعادن في أشكالها . قال الخازني : اذا سمع الشعب الجاهل ما يقال بين
العلماء ان الذهب قد قلب في الأشكال المختلفة حتى صار ذهباً ظنّ من
هذا أنه مرّ في صور معادن أخرى فكان رصاصاً ثم قصديراً ثم صفراً ثم
فضة ثم صار بعد ذلك ذهباً ولا يعلم ان الفلاسفة اذا قالوا ذلك فانما
يقصدون منه ما أرادوه من قولهم في الانسان انه وصل الى حالته الحاضرة
بالتدرّج ومن طريق الترقى وهم لم يمتنوا بقولهم هذا انه قلب في صور
الأنواع المختلفة كأن كان ثوراً ثم حمراً ثم فرساً ثم قرداً ثم صار بعد ذلك
إنساناً » اهـ ويقول الفيلسوف كوستاف لوبون : « ان العرب أول من علّم
العالم كيف تتحق حرية الفكر مع استقامة الدين »

وهنا أنكر على بعض فلاسفتهم ماقلوه عن ابن رشد من انه ذهب
في حرية الرأي الى تقصّ أصل الدين وقال إن الروح لا بقاء لها بعد فناء

(١) قد نشرنا مجلة صالحة من ذلك في مقالات (مدينة العرب) في المجلد

الثالث (٢) هو الفيلسوف دراير الامبركاني

الجسد وإنما الذي يبقى هي أرواح الأنواع . فإن هذا خطأ عرض لهم من سوء فهم كلامه في بيان بقاء الأنواع دون الأشخاص فإنه قال كما قال ارسطو وغيره : ان الأشخاص توجد وتفتى وأما الأنواع فهي باقية لاتزول . وهذا باب آخر يفاير بالمرّة ما استنتجوا منه (وقد سبق الكلام في بيان رأيه من وجه آخر) ^(١) كما أخطأوا في قولهم عنده إنه كان يعتقد بأن الله روح العالم يظهر في صورته والشكل يرجع اليه بمعنى انه يفتى في ذاته ولا يبقى في العالم باق آخر وهو يقرب من قولهم السابق . فان ابن رشد كان مسلماً وكان يعرف ان الاسلام لا ينافي العلم وإنما ينافي هذا الضرب من الوهم الذي لم يسقط فيه أحد الا من عثرة في طريق العلم أو الاسترسال مع الخيال . وكثير ممن سكروا بهذا الرأي أفاقوا منه . ولكن كتب ابن رشد التي بين أيدينا تبعد بنا عن نسبة هذا الرأي اليه كما سبق بيانه ^(٢) ولكنني لا أنكر نسبته لو نسب الى ابن سبعين وهو ممن أخذ عن تلامذة ابن رشد فان في كلامه ما يدل على ذلك

ويقول فيلسوف آخر : « ان العلوم التي تلقاها العرب عن اليونانيين وغيرهم وكانت ممتدة بين دفات الدفاتر مقبورة بين جدران المكاتب أو مخزونة في بعض الرؤس كأنها أحجار ثمينة في بعض الخزائن لاحظاً للانسانية منها سوى النظر اليها - صار عند العرب حياة الآداب ، وغذاء الارواح ، وروح الثروة ، وقوام الصنعة ، ومهمازاً للقوى البشرية يسوقها الى كمالها الذي أعدت له . وليس في الاوربيين من درس التاريخ وحكم العقل ثم ينكر ان الفضل - في إخراج اوربا من ظلمة الجهل الى ضياء العلم وفي تعليمها

كيف تنظر وكيف تشكر وفي معرفتها ان التجربة والمشاهدة هما الاصلان اللذان يبني عليهما العلم -- انما هو للمسلمين وآدابهم ومعارفهم التي حملوها اليهم وأدخلوها من اسبانيا وجنوب ايتاليا وفرنسا عليهم . وكان من حظ العلم العربي والأدب المحمدي عندما دخل الى ايتاليا ان البابا كان غائباً لأن كرسيه كان انتقل الى فرنسا في أفنيون نحو سبعين سنة فدب العلم الى شمال ايتاليا واستقر به القرار هناك . ان شوارع باريس لم تفرش بالحجارة الا في القرن الثاني عشر وقد رصت بالبلاط على نحو مارصت به مدن اسبانيا . اهـ

ويقول آخر : « لا أدري كيف أعطانا الاسلام في مدة قرنين عدداً من الفلكيين بطول سرد أفراده وان الكنيسة تسلمت على العالم المسيحي اثني عشر قرناً في اوربا ولم تمنحنا فلكياً واحداً »

هذا النماء والزكاء العلمي لم يكن خاصاً بطائفة دون طائفة بل كان الناس في التمكن من تناوله سواء . وانما كان التفاضل بالجد والعمل . والفضل في ذلك كله حلم الخلفاء وعماهم وسماحة الدين ويسره وسهولته على أهله وأهل ذمته . قال بعض فلاسفة الغربيين قولاً يعرّفه الحق وتبته المشاهدة : « ان شعوب الأرض لم ترق قط فاتحاً بلغ من الحلم هذا المبلغ (يريد فاتحي الاسلام على اختلافهم) ولا ديناً بلغ في لينه ولطفه هذا الحد »

﴿ أخذ الخلفاء والأمراء . بيد العلم والعلماء ﴾

ان الخلفاء الذين يقال عنهم انهم رؤساء دين وحكام سياسة معاً كانوا هم بأنفسهم المتعلمين للعلوم الداعين الى تعلمها . كانوا العالمين الماملين . كان خليفة كالمأمون يضطهد أحياناً أعداء الفلسفة . وقد عرف التاريخ كثيرين من أرباب الشهرة الذين قضوا في سجنه الشهور أو السنين لأنهم كانوا

يما دون الفلسفة ظناً منهم ان منها ما يمدو على الدين فيفسده . هل رأيت في غير الاسلام رئيساً دينياً يضطهد أعداء العلم وجفاة الفلسفة ؛ لملك لا تجده أبداً . كان أهل العلم والأدب عامة يجدون من الاحترام عند الخلفاء والأمراء والخاصة ما يليق بهم كيفما كان حالهم . وسأضرب المثل بالشيخ أبي الملاء المعري لشهرته بين الناس بما يشبه الزندقة : يذكر علي بن يوسف القفطي أن صالح بن مرداس صاحب حلب خرج الى المرة وقد عصى أهلها عليه فنازلها وشرع في حصارها ورمائها بالمنجنيق فلما أحس أهلها بالثلب سعوا الى أبي الملاء بن سليمان وسألوه ان يخرج ويشفع فيهم فخرج ومعه قائد يقوده فأكرمه صالح واحترمه ثم قال : ألك حاجة ؟ قال : الأمير أطال الله بقاءه كالسيف القاطع لان مسه وخشن حده ، وكانهار البالغ قاطب وسطه وطاب برده ، « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » فقال له صالح قد وهبتها لك . ثم قال له انشدنا شيئاً من شعرك لترويه فانشدته على البديهة أبياتاً فيه فترحل صالح . فانظر كيف وهب الأمير بلداً عصى أهله لفيلسوف معروف بما هو عنه معروف . ولو ذكرت مانال العلماء والفلاسفة عند الأمراء والخلفاء لطال بي المقال أكثر مما طال وفيما سبق كفاية لككتف

﴿ إزالة شبهتين وبيان حقيقة الاضطهاد ﴾

قد يتوهم قوم ان الاضطهاد قد يظهر في مقت العامة وخلقهم ما يخلقون من المقتريات على أهل العلم والفكر الحر وهمس بعضهم في آذان بعض وتمازجهم على أهل الفضل ولمزم إياهم بالألقاب بل واحقارهم في بعض الأحيان وهذا النوع منه عند المسلمين بلا تكثير . وهو خطأ ظاهر لأن

هذا النوع مما يكره أهل العلم لا تخلو منه أرض ولا تطهر منه بلاد مهما بلغ أهلها من الحرية ومهما بلغ ذوق العلم من نفوس أهلها فإن القائمين على عقيدة الكاثوليك الى اليوم في أرض فرنسا نفسها يعقنون الفلاسفة الذين يظهرون بعمادة الكنيسة ويكتبون ما يوهن قواعدها وقد يخلق عليهم أحزاب الكاثوليك ما لم يقولوه ويرون ان النظر في كتبهم لا يجوز في شريعة الدين . ونحن لا رتاب في ان نحو هذا كان عند المسلمين أيام كانت سوق الفلسفة رائجة عندهم ولكنه ليس من الاضطهاد في شيء وإنما هي نفرة الانسان مما لا يعرف مع ترك صاحبه وشانه يمضي في سبيله الى حيث يشاء

يقول آخرون : ان التاريخ يروي لنا ان بعض أرباب الأفكار قد أخذ السيف لملأه في فكره فلم يترك له من الحرية ما يتمتع به الى منتهى ما يبلغ به وليس يصح أن ينكر ماصنع الخليفة المنصور وغيره بالزنادقة وأقول : ان كثيراً من الفلأ اذا انتشر بين العامة أفسد نظامها وأضر بأمنها كما كان من آراء الحلاج وأمثاله ^(١) فتضطرب السياسة للدخول في الأمر لحفظ أمن العامة فتأخذ صاحب الفكر لا لأنه تفكر ولكن لأنه لم يرد أن يقتصر حق الحرية على شخصه بل أراد أن يقيد غيره بما رآه من الحرية لنفسه مع أن غيره في غنى عما يراه هو حقاً له وتخشى الفتنة اذا استمر مدعي الحرية في غلوائه فلماذا يرى حفاظ النظام أن أمثال هؤلاء يجب أن ينتفى منهم المجتمع صوتاً له عما يزعزع أركانه . ونحن نرى الفلسفة

(١) المنار — ذكر امام الحرمين في كتابه (الشامل) في اصول الدين انه كان بين الحلاج والجنابي رئيس القرامطة اتفاق سري على قلب الدولة وان ذلك هو السبب في قتل الحلاج

اليوم تضطهد الدين هذا الضرب من الاضطهاد . ألم تقض الحكومة
الفرنسية على الراهبين والراهبات أن تكون جمعياتهم ومدارسهم تحت
سيطرة الحكومة وان لا ينشأ شيء منها الا بإذن من الحكومة ومن لم
يخضع لذلك تمحل جمعيته وتقل مدارسه بقوة السلاح . وقد ينفي من البلاد
كما نفي كثيرون في سنين سابقة ؟ ولكن هل يسمى هذا اضطهاداً ؟ كلا
ولكن الاضطهاد حق الاضطهاد هو اضطهاد محكمة التفتيش واضطهاد
رؤساء الاصلاح بعدها في أول نشأتهم

ماذا يقول القائلون ؟ ان التعليم عند المسلمين كان غريباً أمره ، يكاد
يكون خفياً سره ، مسجد أو مدرسة تابعة لمسجد يجلس فيها للتدريس
الفقيه والمتكلم والمحدث والنحوي والمتأدب والفيلسوف والملكوي والمهندس ؛
ينقل الطالب من بين يدي الفقيه ليجلس بين يدي الفيلسوف ومن مجلس
الحديث الى مجلس الأدب . واذا وقعت مذاكرة بينهم في مسألة من
المسائل أخذت الحرية مأخذها في الإقناع والإلزام وسقطت قيمة الفلوس
في التعبير وأخذ التسامح بينهم مأخذهم . كان عمرو بن عبيد رئيس المعتزلة
وأشدهم صلابة في أصول مذهبه ومع ذلك هو من مشايخ الامام البخاري
صاحب الصحيح وكانت له منزلة عند المنصور تملو كل ذي منزلة عنده حتى
قال له يوماً وهو خارج من بين يديه : « رهيت لكل الناس حباً فلقطوا
الا أنت يا عمرو بن عبيد » فانظر كيف كان لامام من أئمة السنة أن يصل
سنده في الحديث برئيس من رؤساء المعتزلة ولا يرى في ذلك بأساً

اذا عدَّ عادًةً بعض رجال العلم الذين أخذتهم القسوة في الاسلام
وقتلهم حماقة الملوك باغراء الفقهاء وأهل الفلوس في الدين فما عليه الا أن ينظر

في أحوالهم فيقف لأول وهلة على ان الذي آثار أولئك عليهم ليس مجرد المصيبة للدين وأن ليست الفيرة عليه هي الباعث لهم على الوشاية بهم وطلب تنكيلهم . وإنما تجمد الحسد هو العامل الأول في ذلك كله والدين آلة له . ولهذا لا ترى مثل ذلك الأذى يقع الا على قاضي قضاة (كائن برشد ورجوع الحاكم الى العفو عنه وإزالته منزله دليل على ذلك) أو وزير أو جليس خليفة أو سلطان أو ذي نفوذ عظيم بين العامة . وهذا كما يقع من الفقهاء مثلاً لا يذاه الفلاسفة يقع من الفقهاء بعضهم مع بعض لا هلاك بعضهم بعضاً كما يشهد به العيان ويحكي لنا التاريخ فليس هذا كذلك معدوداً من معنى اضطهاد الدين والفلسفة لأن التحاسد أكثر ما يقع بين من لا دين لهم على الحقيقة وان لبسوا لباسه . وإنما ذلك الاضطهاد هو الذي يحمل عليه محض الاختلاف في العقيدة أو ظن المخالفة للدين في شيء من العلم أو العمل لضيق الدين عن ان يسمع المخالف بجانبه وهذا لم يقع في الاسلام . اللهم الا أن يكون حادث لم يصل إلينا

هذه طبيعة الدين الاسلامي عرضت عليك في أهم عناصرها ومقومات مزاجها . وهذا كان أثرها في العالم الشرقي والغربي . وهذه سعة فضل الدين وقوته على احتمال مخالفته وتيسيره لأولئك المخالفين ان يحتضوا به متى رضوا بأن يستظلوا بظله . هل في هذا خفاء على ناظر ، وهل يرضى لبيب لنفسه أن ينكر الضوء الباهر ، أفلا يبسم الاسلام عجباً وهو في أشد الكرب لمقوق أبناءه ، من أديب لم يكن يعدم من أعدائه ان لم يحسبه في أحبابه ، عند ما يراه يستد سهمه اليه ، ويجور كما يجور الجائرون في حكمه عليه ؟؟

﴿ الاسلام اليوم — أو الاحتجاج بالمسلمين على الاسلام ﴾

﴿ المقال الرابع لذلك الامام الحكيم ﴾

ربما يسأل سائل فيقول : سلمنا ان طبيعة الاسلام تأبى اضطهاد العلم بمعناه الحقيقي وأنه لم يقع من المسلمين الأولين تعذيب ولا إحراق ولا شقن حملة العلوم الكونية ، ومقوي العقول البشرية ، لكن أليس العلماء من المسلمين اليوم أعداء العلوم العقلية ، والقنون العصرية ، أوليس الناس تبعاً لهم ؟ أفلا يكون للأديب عذره فيما يراه ويسمعه حوله ؟ ألم يسمع بأن رجلاً في بلاد اسلامية غير البلاد المصرية كتب مقالا في الاجتهاد والتقليد وذهب فيه الى ماذهب اليه أئمة المسلمين كافة . ومقالا بين فيه رأيه في مذهب الصوفية وقال انه ليس مما انتفع به الاسلام بل قد يكون مما رزى به . أو مايقرب من هذا وهو قول قال به جمهور أهل السنة من قبله . فلما طبع مقاله في مصر تحت اسمه هاج عليه حملةُ المهائم ، وسكَّنةُ الانواب المباعب ، وقالوا انه مرق من الدين ، أو جاء بالإفك الميين ، ثم رفع أمره الى الوالي فقبض عليه وألقاه في السجن . فرفع شكواه الى عاصمة الملك وسأل السلطان أن يأمر بنقله الى العاصمة ليثبت براءته مما اختلف عليه بين يدي عادل لايجور ، ومهمين على الحق لايحيف ، الخ مايقال في الشكوى . فأجيب طلبه لكن لم ينفعه ذلك كله فقد صدر الأمر هناك أيضاً بسجنه ولم ينف عنه الا بعد أشهر مع انه لم يقل الا مايتفق مع أصول الدين ولاينكره القارئ والكاتب ، ولا الآكل والشارب ،

ألم يسمع السامعون ان الشيخ السنوسي (والد السنوسي صاحب الجنبوب) كتب كتاباً في أصول الفقه زاد فيه بعض مسائل على أصول

المالكية وجاء في كتاب له ما يدل على دعواه أنه ممن يفهم الاحكام من الكتاب والسنة مباشرة وقد يرى ما يخالف رأي مجتهد أو مجتهدين . فلم بذلك أحد المشايخ المالكية (رحمه الله تعالى) وكان المقدم في علماء الجامع الأزهر الشريف فحمل حربه وطلب الشيخ السنوسي ليطعنه به إلا أنه خرق جرمة الدين ، واتبع سيلا غير سبيل المؤمنين ، وربما كان يجترئ الأستاذ على طعن الشيخ السنوسي بالحربة لولا قاه وإنما الذي خلص السنوسي من الطمئة ، ومجى الشيخ الارحوم من سوء المغبة ، وارتكاب الجريمة باسم الشريعة ، هو مفارقة السنوسي للقاهرة قبل ان يلافيه الأستاذ المالكي .

هل غاب عن الاذهان ما كان ينشر في الجرائد من نحو ثلاث سنين بأقلام بعض علماء الجامع الأزهر من المقالات الطويلة الأذال الواسعة الأردان في استهجان إدخال علم تقويم البلدان (الجغرافيا) بين العلوم التي يتلقاها طلبة الجامع الأزهر ؟ وكان كتاب تلك المقالات يعرضون بمن أشار بادخال هذا العلم وغيره بين تلك العلوم وأنه إنما يريد النقص من علوم الدين . أم لم تنشر في العام الماضي فصول بأقلام بعضهم تشير الى الطعن في عقيدة البعض الآخر وإرادة التشهير به مع أنه لم يجهر بمنكر ولم يقل قولاً يبعد من الكتاب والسنة ؟

ألم تحمل الينا الرواة ما عند علماء الأفغان والهند والمجمل من شدة التمسك بالقديم ، والحرص على ما ورثوا عن آبائهم الأقربين ، وإقامة الحرب على كل من حاول ان يزحزحهم أصباً عما كان عليه سلفهم ، وان كان في البقاء عليه تفهم ، وما عليه الحال اليوم في حكومة المغرب من القتل في التنصّب والمعاوية بقطع بعض الأعضاء في شرب الدخان أو بالقتل

في كلمة ينكرها السامعون ، وان أجمع عليها المسلمون الآخرون ،
ثم ألا تخيل المؤمن انه يسمع من جوف المستقبل صخباً ولجاً وضوضاء
وجلبة ، وهيئات مضاربة ، اذا قيل انه ينبغي لطلبة الأزهر ان يدرسوا
طرفاً من مبادئ الطبيعة أو يحصلوا جملة من التاريخ الطبيعي ؟ ألا تقوم
قيامه المتقين ، ألا يصبحون أجمعين أكتعين أبتعين : هذا عدوان على
الدين ، هذا توهين لفقده المتين ، هذا تقرير بأهله المساكين ، ولا يزالون
يشيرون بهذا الى ان لا يبقى شيء عرف له اسم في اللغة الا الصقوة بهذه
البدعة في زعمهم

هل هذه الحال جديدة على المسلمين حتى يقال إنها عارض عرض
عليهم ، أو مرض من الامراض الوافدة اليهم ، ؟ لا يسهل على من يعرف
أحوال المسلمين تحت نظره من قرون متعددة أن يظن ان هذه الحال
من الملل الطارئة على أمم خروفاً عند ما يجد الوحدة في الصفات ،
والشمول في جميع الاعتبارات ، فلو أخذ مسلماً من شاطئ الاطلانتيق
وأخر من تحت جدار الصين لوجد كلمة واحدة تخرج من أفواههما وهي :
« إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون » وكلهم أعداء لكل
مخالف لما هم عليه وإن نطق به الكتاب واجتمعت عليه الآثار . اللهم الا ان
قليلة زعمت أنها نفقت غبار التقليد وأزالت الحجب التي كانت تحول بينها
وبين النظر في آيات القرآن ومتون الاحاديث لتنفهم أحكام الله منها .
ولكن هذه الفئة أضيق عطناً وأخرج صدراً من التقليد وان أنكرت
كثيراً من البدع ونحت عن الدين كثيراً مما أضيف اليه وليس منه . فلها
توى وجوب الاخذ بما يفهم من لفظ الوارد والتقيده بدون التفات الى

ما تنفضيه الاصول التي قام عليها الدين ، واليه كانت الدعوة ، ولاجلها منحت النبوة ، فلم يكونوا للعلم أولياء ، ولا للمدينة السليمة أحياء ،

هل يمكن ان ينكر أحد جود النفعاء ووقوفهم عند عبارات المصنفين على تباينها واختلافها واضطراب الآراء في فهمها واذا عرضت حادثة من الحوادث ولم يكن لمصنف معروف رأي فيها اجتمعوا عن إبداء الرأي واجتهدوا في تحويلها عن حقيقتها الى أن تتفق مع قول معروف في كتاب من الكتب حتى لقد جاء طالب علم من بلد من بلاد الدولة العثمانية وأراد الالتحاق بأحد الأروقة في الجامع الأزهر فوقع الشك هل بلده مما لأهله استحقاق في ذلك الرواق على حسب نص الواقف . فقال قائل لشيخ الرواق : ان كتب تقويم البلدان تشهد بأن البلد داخل في شرط الواقف فقال : إني لا أتع بما في تلك الكتب وإنما الذي يصح ان آخذ به هو ان يكون فيه (من مات) قال : ان هذا البلد من قطر كذا وهو الذي وقف الواقف على أهله . واذا قيل لأحدهم : إن الأئمة أنفسهم لم يعينوا مواقع البلدان ولم يضموا لنا جدولاً لبيان ما يحويه كل قطر وبيان الحدود التي ينتمي اليها وإن أصول ديننا تسمح لنا بأن نأخذ بأقوال العلماء في هذه القنون (وهم منا) وتواتر الاخبار وما أشبه ذلك من البهسيات قال : انما أريد نصاً فقهياً ، لا دليلاً عقلياً ،

واذا قيل لهم : اختلت الشؤن ، وفسدت الملكات والظنون ، وساءت أعمال الناس ، وضلت عقائدكم ، وخوت عبادتكم من روح الاخلاص ، فوثب بعضهم على بعض بالشر ، وغالت أكرهم اغوال الفقر ، فتضعفت القوة ، واخترق السياج ، وضاعت البيضة ، وانقلب

المزة ذلة، والهداية ضلّة، وساكتكم الحاجة، وألقمكم الضرورة، ولا تزالون تألمون مما نزل بكم وبالناس، فهلا نبهكم ذلك الى البحث في اسباب ما كان سلككم عليه، ثم علل ماصرتهم وصار الناس اليه، قالوا: ذلك ليس الينا، ولا فرضه الله علينا، وإنما هو الاحكام ينظرون فيه، ويبحثون عن وسائل تلافيه، فان لم يفعلوا ولن يفعلوا فذلك لأنه آخر الزمان وقد ورد في الأخبار ما يدل على انه كائن لا محالة وان الاسلام لا بد ان يرفع من الارض ولا تقوم القيامة الا على لكع ابن لكع. واحتجوا على اليأس والقنوط بآيات وأحاديث وآثار تقطع الأمل، ولا تدع في نفس حركة الى عمل، رأي رنان في الاسلام: هذا الجود - الذي لو أردنا بيان ما امتد اليه

من طبقات الأفكار وثبات الوجدان لكتبنا فيه كتاباً - هو الذي حمل الموسيو رنان الفيلسوف الفرنسي المشهور ان يقول في عرض كلام له في تساهل المذاهب الدينية مع العلم قتلته عنه الجامعة: «على أنني أخشى ان يثبت الدين الاسلامي وحده في وجه هذا التسامح العام في العقائد ولكتني أعرف ان في نفوس بعض الرجال المتسكين بأداب الدين الاسلامي القديمة وفي بضعة من رجال الاستانة وبلاد الفرس جرائم جيدة تدل على فكر واسع وعتل ميال الى المسائلة. الا أنني أخشى ان تحتق هذه الجرائم بتعصب بعض الفقهاء فاذا اختتمت قضى على الدين الاسلامي. ذلك انه من الثابت الآن أمران - الأول ان التمدن الحديث لا يريد إماتة الأديان بل مرة لأنها تصلح أن تكون وسيلة اليه. والثاني انه لا يطبق ان تكون الأديان عثرة في سبيله. فعلى هذه الأديان ان تسلم وتلين والا كان موتها ضربة لازب» اه كلام رنان بتصرف لفظي قليل

فمن أين يكون هذا الجود العام الذي سمح للطاعنين ان يحكموا على الاسلام بأنه عثرة في طريق المسلمين يستقط بهم دون ان يتالوا فلا حاق في سعيهم ، أو نجاحا في أعمالهم ، من أين يكون هذا الجود ان لم يكن من طبيعة الدين ؟ ومن أين يكون ما سردناه من الحوادث إن لم يكن ناشئاً من أصول الدين ؟ فان لم تسلم بأن هذا اضطهاد وان الاضطهاد من لوازم الدين الاسلامي فمليك ان تسلم بأنه عداوة للعالم أو اشمئزاز منه ، أو استهجان له أو احتقار لشأنه ، وأحد هذه الأمور كاف اذا عم بين المسلمين في ان يفر بهم عن كل عجد ، وأن يحرمهم كل نفع ، وان يحقق فيهم ما تلبأ به رنآن وغيره فاقولك في هذا ؟؟ (له بقية)

(المنار) سيأتي الجواب في الجزء الآتي وفيه بيان حقيقة هذا الجود وأسبابه وكونه لا بد ان يزول ان شاء الله تعالى فانظر العجب العجيب

الاجتماع السادس للجمعية أم القرى

يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦

في الضحى الأول من اليوم المذكور تألفت الجمعية حسب معادها وقرئ الضبط السابق واستعدت الاذهان لتاتي ما يفيضه الله على السنة أهل الإيمان من الإخوان قال (الاستاذ الرئيس) مخاطباً (الشيخ السندي) انك يا مولانا لم تشاركنا في البحث الى الآن فرجوك أن تشكر على إخوانك بفيدة من عرفانك تنور بها افكارنا ونرجوك أن لا تحتشم من التعلم في بعض التعبيرات اللغوية لغاية المعجمة عليك فان لك أسوة بالفيروز ابادي والسعد والفخر وغيرهم .

فقال (الشيخ السندي) إنكم ايها السادة الاخوان سراء افاضل الزمان ، وسباق فرسان كل ميدان ، قد افدتم وأجدتم ولم تتركوا لقائل من مجال ، ولا مثلي غير الإصفاء والامثال ، وإني احب ان اذكر لكم حالي وفكرتي قبل هذه الاجتماعات وما

أثرة في هذه المفاوضات . فأقول : انني من خفاء الطريقة النقشبندية وإذ كان والدي
المرحوم هو ناقل هذه الطريقة للأقاليم الشرقية والجنوبية في الهند فقد صرت بسد
والذي مرجعاً لجامعة خلفائهم جرت لي سياحات مكررة في تلك الأرجاء وفي أيلات
كاشغر وقازان حتى سيريا وتلك الأنحاء . وبسبب حرصنا على تميم طريقنا صار لها
شيوخ مهم واتقار عظيم بين مساعي هاتيك الديار .

ومن المعلوم أن طريقنا من أقرب الطرائق للاخلاص وأقلها انحرافاً عن نظام
الشرع وهي مؤسسة على الذكر القلبي وقراءة ورد خواجكان ومراقبة المرشد
والاستمداد من الروحانيات وإني لم أكن أفكر قط في أن الذكر وقراءة الورد على
وجه راتب فيه مظنة البدعة أو الزيادة في الدين ولأن المراقبة والاستغاضة والاستمداد
من أرواح الألياء والصالحين فيها مظنة الشرك إلى أن حضرت هذه الاجتماعات المباركة
فسمعت وقنعت وأقلعت والحمد لله .

على اني عرفت أيضاً على أن أتلطف في الامر بالنصيحة والموعظة الحسنة على
أن أوفق لهذابة جاهل النقشبندية في تلك البلاد إلى تصحيح وجههم بأن يذكروا الله
قلباً ولساناً بدون عدد مخصوص معين قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم بدون هيئة أو كيفية
مينة متى شأوا وأرادوا بدون وقت مرتب فرادى ومجتعين بدون تداع . وإن يتركوا
المراقبة ويستفيضوا عنها بالدعاء بالفقران والرحمة لكل من الشيخ بهاء الدين النقشي
مرشدهم الأعلى وخليفته مرشدهم الأدنى الذي هم مابعوه .

وقد فتح الله عليّ بركة جميعتنا هذه فهم أسباب ميل المسلمين في هاتيك البلاد
صالحهم وفاسقهم للانتساب إلى إحدى الطرائق الصوفية وكنت قبلاً أحمل ذلك على
مجرد اخلاص المرشدين والآن اتضح لي أن السبب هو ان السادة الفقهاء عندنا من
الخفية والشافعية قد ضيقوا على المسلمين المبادئ تضييقاً لا يعلم ان الله تعالى يطلبه
من عبادته وكثروا الاحكام في المعاملات تكثيراً أضاع الناس وشوش الاقواء والقضاء
حق صار للمسلم لا يكاد يمكنه أن يصحح عبادته أو معاملته ما لم يكن فقيهاً .

فتوسيع الفقهاء دائرة الاحكام أنتج تضييق الدين على المسلمين تضييقاً أوقع
الأمة في ارتباك عظيم ارتباك جعل المسلم لا يكاد يمكنه أن يعتبر نفسه مسلماً ناجحاً
لتمنر تطبيق جميع عباداته ومعاملاته على ما يتطلبه منه الفقهاء المتشددون الآخذون
بالمزائم فبذلك أصبح الجمهور الأكبر من المسلمين يعتقدون في أنفسهم النهاون

اضطراباً فيهمون عليهم التهاون اختياراً كالغريق لا يحذر البلل . لأنه كيف يطمئن الحنفي العاصي حتى الاطمئنان في الاستبراء لتصبح طهارته وكيف يحسن مخارج الحروف كلها وقد أفسدت المعجمة لسانه لتصبح صلاته . وكذلك كيف يصحح الشافعي العامي يتسه على مذهب امامه في الصلاة أو يعرف شدات الفاتحة الثلاث عشرة ويتبته لإظهارها كلها ليكون أذى فريضته

بل أي عامي يعرف وصف الكلام ومعنى الاستواء وتأويل الوجه واليد والدين وتعيين الجزء الاختياري وإضافة الأعمال له أو لله الى غير ذلك ليكون عند الحنفية المأثريية والشافعية الأشاعرة مسلماً مقلداً يرجي له قبول الايمان ؟ ومن من العامة يحيط علماً بكل ما ثبت بالنص القاطع حتى صفة بقرة بني اسرائيل مثلاً لكيلا يتفقد خلافه فيكفر فيحبط عمله ومن جلاته انفساخ نكاحه . وكمن من مسلم يحكم عليه الفقيه الشافعي بأنه نسل سفاح ومقيم على السفاح وراض لمخارمه بالسفاح الى غير ذلك مما ينافي ساحة الدين ومزبه الدين به في الدنيا قبل الآخرة .

فهذا التصنيق صار للمسلم لا يرى لنفسه فرجاً إلا بالالتجاء الى صوفية الزمان الذين يهوبون عليه الدين كل التهوين . (مرحى) وهم القائلون : ان السلم حجاب و : بالمحبة تقع الصلحة . و : بنظرة من المرشد الكامل يصير الشقي وياً وبنفحة في وجه المريد أو ثقلة في فقه طيعه الأفعى وتحترمه المقرب التي لدغت صاحب النار عليه الرضوان (١) وتدخل تحت أمره قوانين الطيعة . وهم المقررون بأن الولاية لا ينافيها ارتكاب الكبائر كلها إلا الكذب وان الاعتقاد أولى من الانتقاد وان الاعتراض يوجب الحرمان أي ان تحمين الظن بالفساق والفجائر أولى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الى غير ذلك من الأقوال الموهنة للدين والأعمال التي تجعله نوعاً من اللهو الذي تستأنس به نفوس الجاهلين .

على ان الناس لو وجدوا الصوفية الحقيقيين — وأين هم — لفروا منهم فرارهم من الأسد لأن ايس عندهؤلاء الاتوسل بالاسباب المادية الشاقة لتطهير النفوس من أمراض الإفراط في الشهوات وتصفية القلوب من شوائب الشره في حب الدنيا وحمل الطلائع بوسائل القهر والتمرين على الاستئناس بالله وعبادته عوضاً عن اللذائى المضرة وذلك طلباً للراحة الفكرية والعيشة الهنية في الحياة الدنيا والسعادة الأبدية

في الآخرة . وأين التوهم السالف البيان لصوفية الزمان من هذه المطالب التهذيبية الشاقة ومن حقائق العرفان المغنوية التي لا يعرفها ويتلبس بها إلا من وفقه الله وكشف عن بصيرته . وذلك نحو العرفان عن يقين وإيمان أن من أعز كلمة الله أعزها الله ومن نصر الله نصره الله ومن توقع الخير أو الثمر جازماً نال ما توقع ومن تصفوا أنفسهم بأنهم رُشده ومن اتكل على الله حتماً كفاه الله ما أمه ومن دعا الله مضطراً أجاب دعاه إلى غير ذلك من الحقائق المقتبسة من القرآن وأسرار حكمة سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم (مرجح)

قال (الأستاذ الرئيس) فدأحسن أخوانا الشيخ السندي توصيفه المتفقه المتشده والتصوفه الخففة واني ملحق تقرير بما يناسب أن يكون مقدمة تاريخية لبحث التصوف فأقول :

قد كان التنسك في المساعين شعبة لأكثر الصحابة والتابعين ثم ان التوسع في الدنيا قلل عدد المتنسكين فصار لأهل حرمه مخدوعة بين الناس وصار بعض اتفرغين يقصدون نيل هذه الحرمة بالتلبس بالنسك والزام النفس بالقرن عليه . وإذا كان من لوازم استحصال تلك الحرمة اظهار التشفيع اتخذوا للصوف دائرة واسم الفقر شعاراً فلقب عليهم اسم الصوفية واسم الفقراء ثم ان بعض العلماء من هؤلاء المتفرغين بالنسك أحبوا التمسك بالرياسة أيضاً فصاروا يدعون الناس إلى التنسك ويرشدونهم إلى طرائق التمرن عليه ومن هنا جاء اسم الإرشاد واسم الطريق .

وإذا كانت إرادة الاعتزاز بالدين إرادة حسنة لأن فيها اعزاز الكلمة الله فلا يؤخذ بشيء على المرشدين الأولين ولا على البعض النادر من المتأخرين ولو من أهل عهدنا هذا كالسادات السنوسية في صحراء أفريقيا .

أما دخول الفساد على الصوف واضرارهم بالدين والتسليمين مما ذكره أخوانا الشيخ السندي وغيره من الإخوان الكرام فقد نشأ من أن بعض المرشدين من أهل القرن الرابع لما رأوا توسع الفقهاء في الشرع وتفنن المتكلمين في العقائد فهم كذلك اقتبسوا من فلسفة فيثاغورس وتلامذته في الإلهيات قواعد وانزعوا من لاهوتيات الكتابيين والوثنيين جملاً واليسوها لباساً إسلامياً فجللوه علماً مخصوصاً مزوه باسم علم الصوف أو الحقيقة أو الباطن . وهكذا بعد أن كان التصوف عملاً تمهيدياً محضاً جللوه فناً نظرياً اعتقادياً بحثاً .

ثم جاء منهم في القرن الخامس وما بعده بعض غلاة دهاة رأوا مجالا في جهل

أكثر الأمة لأن يجوزوا بينهم مقام النبوة بل الألوهية باسم الولاية والقبطانية أو الفوقية وذلك بما يدعون من القوة القدسية والتصرف في الماديات فوسموا فلسفة التصوف بأحكام تشبه الحكم بنوها على زخرف التأويلات والكشف والتحكماات والمثال والخيال والأحلام والأوهام وألفوا في ذلك الكتب الكثيرة والمجلدات الكبيرة محشوة بمحكيات مكذوبة وتقريرات مختزعة وقضايا وتركيبات لمفهوم لها البتة حتى ولا في محيلة قائلها كما ان قارئها أو سامعها لا يتصورون لها معنى مطلقاً وان كان بمضمهم ينظرون بحالة الفهم ويتلمظ بان للقوم اصطلاحات لا تدرك الا بالذوق الذي لا يعرفه الا من شرب مشربهم

وبعض هؤلاء الغلاة قتلوا كفراً ومع ذلك شاعت كتبهم ومقالاتهم وحازوا المقام الذي ادعوه بمدعاتهم لأن في تعظيم شأنهم ترويح مقاصد المفتن لآثارهم كالإباحيين . وبمضمهم لم يكن من الغلاة ولكن أخلافه اعظاماً لأنفسهم في نظر حتى الأمة نسبوا اليه الغلو وعزوا اليه كتباً ومقالات لا يعرفها ومنهم الأقابعون يفعلون ذلك حتى في عهدنا هذا ولا حول ولا قوة الا بالله . (له بقية)

(النار لقد بانغ الرجل رحمه الله في التقديوان للقوم في مجموعهم حسنات لم يذكرها كما ان لهم سيئات وقد بينا ما لهم وعليهم من قبل

باب الأسئلة والاهوية

(س ١) الاستطار بالكهربائية ومفاتيح الغيب — محمد افندي كامل الكاتب بمحكمة أسبوط : رأيت في بعض المجلات أن علماء الطبيعة في اليابان أمكنهم أن يستحدثوا سحباً ويستطروها حسب أهوائهم . ورأيت في مجلة أخرى أنهم في بلاد الانكليز يستمطرون السحب الطبيعية . وقد ورد في القرآن الشريف للإعجاز أن الخالق جلت قدرته هو الذي ينزل الغيث ويمسك ما في الأرحام الخ . وورد أيضاً أن الغيث ينزل بقدر معلوم وان الله تعالى هو الذي يرسل السحاب حيث يشاء . فهل ما ذكر عن الانكليز واليابان يتنافي الإعجاز الوارد في القرآن وما حدده من علم الانسان بالكائنات ؟

نرجو البيان وتفسير الآية « ففنا الله والمسلمين بغزارة علمكم . . . » اهاباختصار

(ج) ان الأمة الاميركية هي السابقة الى ادعاء مكان الاستطار بالعمل وذلك باي رسال مقدار عظيم من الكهربائية في الجو تنتشر في السحاب فتجتمع بها دقائق

(٦٤ — النار)

البخار فتكون ماء فينزل مطراً . ويقال انهم حاربوا ذلك فتجحج بهض التيجاج ولكنه لم يأت على حسب المراد ، ويعبر خاضعاً لكسب الإنسان بفعله متى أراد ، والذي ينههم الى هذا الملاحظة حدوث المعر عقيب الحرب حيث تطلق المدافع فتحدث في الجو تغيراً عظيماً .

وليس من المحال عفلاً ولا شرعاً أن يصل علم الإنسان بسنن الله في الخلق الى حد يستمطر به السحاب متى شاء فان الله تعالى لم يجعل لعلم الإنسان بالكائنات حداً معيناً بل تشير آيات القرآن باطلاقها الى أنه لا حد له كقوله تعالى « وسخر لكم ما في السموات وما في الارض » ولا ينافي ذلك إن حصل كون الله تعالى هو الذي ينزل الغيث وكونه ينزله بقدر معلوم فان ما ياله الإنسان بسعده وكسبه لا يخرج عن قدرة الله تعالى وعلمه ولم يرد ذلك للاعجاز . أرايت هذه الينابيع التي تفجرها ، والآبار التي تحفرها ، أي تخرج بكسبنا عن سلطة القدرة الإلهية . وتحتجب بسمينا عن علمه المحيط بالبرية ، كلا أما قوله تعالى : « إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت » فليس نصاً في في كون علم الإنسان لا يصل الى معرفة شيء من هذه الأمور . ولكن يشبهه على الناس تفسير قوله تعالى « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو » بهذه الخمس المذكورة في الآية كافي حديث أحمد والبخاري . وقد قل الإمام الرازي وغيره أن المراد مفاتيح خزائن الغيب أي فلا يعلم جميع ما في خزائن الغيب إلا من بيده مفاتيحها وهو الله تعالى . وقد ظهر لي في أيام طلب العلم وقراءة التفسير وجه دقيق لجعل هذه الخمس مفاتيح للغيب ولم أر أحداً من المفسرين تعرض لذلك . وقد عرضت هذا الوجه يومئذ على أستاذنا الشيخ محمود نشابة وعلى شيخنا القاتولي (رحمهما الله تعالى) فاستحسناه وكتبته في كتابي (الحكمة الشرعية) وهو :

ان المفاتيح جمع مفتاح يفتح الميم أو كبرها بمعنى الخزائن أو المفاتيح والغيب ما غاب عن الناس وهو عالم الآخرة وعالم البرزخ بين الدنيا والآخرة وبعض عالم الدنيا وهو النبات الذي لم يفت والحوان الذي لم يولد وما تكسبه النفس في المستقبل . فالساعة مفتاح عالم الآخرة والغيث مفتاح عالم النبات وما في الأرحام مفتاح عالم الحيوان وقوله تعالى « وما تدري نفس ماذا تكسب غداً » ظاهر في مفتاح الكسب والأعمال التي ستحدث . وكذلك كون الموت مفتاح عالم البرزخ ظاهر في باقي الآية . اه وفي الكتاب

تصوير لمعنى الآية بصورة أخرى . ولما أن لا تسمى الموت برزخاً ولا تجعل البرزخ عالماً
(س ٢) الاعطار الافرنجية — ١٠ ز . غ . في السويس : أرجو الافادة عن

الخطيب المسمى (بالوندا) ونحوه أطاهر أم نجس الخ

(ج) هو طاهر كما ي بناء بالأدلة في الصفحة ٥٠٠ من المجلد الرابع فليراجع السائل

(س ٣) الخطباء والموضوعات — ١٠ ع . بالازهر : صلينا آخر جمعة من جمادى

الثانية في الازهر الشريف فسمعنا الخطيب ذكر في الخطبة الحديث الذي كنتم ذكرتم
في المنابر انه موضوع وهو من صام يوماً من رجب فله كذا الخ فإذا كان ما قلتم عن
المحدثين من وضعه هو الصحيح الثابت فكيف تجرأ خطيب الازهر على اسناد
الاحاديث المكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم اليه وهو بخطب على رؤس أشهر
علماء الدين في المسلمين . وهل يجب منع امثال هؤلاء الخطباء من ذلك أم لا

(ج) جاء في فتاوي ابن حجر المكي الحديثة أنه سئل عن خطيب يرق المنبر
في كل جمعة ويروي احاديث كثيرة ولم يبين مخرجها ولا روايتها . فذكر في الجواب اشتراط
معرفة الحديث في جواز ذلك أي أن يكون الخطيب محدثاً يروي ما صح عنده أو
ينقله من كتب الحديث المعتبرة . قال : « واما الاعتماد في رواية الاحاديث على مجرد
رؤيها في كتاب ليس مؤلفه من أهل الحديث أو في خطب ليس مؤلفها كذلك فلا يحل
ذلك . ومن فعله عزير عليه التمزير الشديد . وهذا حال أكثر الخطباء فانهم بمجرد
رؤي خطبة فيها احاديث حفظوها وحفظوا بها من غير أن يعرفوا أن تلك الاحاديث
أصلاً أم لا . فيجب على حكام كل بلد أن يزجروا خطباءها عن ذلك ويجب على حكام
بلد هذا الخطيب منعه من ذلك إن ارتكبها . ما ولا يخفى أنه ليس عندنا في هذا العصر
حفاظ ولا محدثون فيا ليت مدير الاوقاف يلزم الخطباء بتجريح الاحاديث من الكتب
الصحيحة وعزوها في الخطبة إلى مخرجها كالبخاري ومسلم وغيرها من الحفاظ

والذي ساق الخطباء الى اختيار الاحاديث الموضوعه والواهيه هو التزامهم انشاء
الخطب في مدح الشهور والمواسم المبتدعة . واذ لم يجدوا حديثاً صحيحاً ولا حسناً في
صوم رجب ذكروا المكذوب والواهي . أكثر المشتغين بالعلم جهلاء بالحديث ومن
كان منهم عالماً به في الجملة فهو غر فاعلم فلا ينهض عن المنكر ولا يأمر بالمعروف ولذلك
استمرت هذه المنكرات حتى كاد يبعدها العامة من ضروريات الدين ، ألا تراهم يحتفلون
بصلاة الرغائب في دار الساعطة وغيرها وهي كما نص الفقهاء والمحدثون بدعة مذمومة
(راجع بدع رجب في المجلدين الثاني والثالث)

(س ٤) القراءة على القبر — الشيخ احمد حامد بدوي بالأزهر : قرأت في رواية « عذراء قریش » لحضره جرجي انفندي زيدان : انه لما استند الخلاف على عثمان رضي الله عنه دخل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عند قبر رسول الله عليه الصلاة والسلام وشكا اليه حال الأمة ودعا لها ثم قرأ الفاتحة « ونحن نعتقد أن قراءة القرآن لا تجوز على القور مطلقاً فحتماً بهذه السطور نسأل المنار هل ما نعتقد صحيح أو يجوز قراءة القرآن كما فعل الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه (كما قاله صاحب الرواية) وللإسلام منكم مزيد بفضل والشكر

(ج) ان الأخبار والآثار التي يجمع بها شرعاً لا تؤخذ من القصص ولا من كتب التاريخ وإنما تؤخذ عن المحدثين الذين يبنون أسانيداً يعينهم الاحتج بها أم لا . فالأثر المنقول في الرواية غير صحيح ولو صح لجاء فيه الخلاف في الاحتجاج به من الصحابي ثم يقال بعد هذا ان العلماء مختلفون في جواز القراءة عند القبر ولا بد أن يكون اعتقاد السائل بالتمتع مبنياً على عدم الاعتماد بما ذكره المجتهدون من الدليل فكيف يعتمد بعد هذا برواية في قصة لمن ليس من أهل الحديث ؟ وقد ذكرنا رأينا في المسئلة من قبل فلا نعيد فيه ارجع المسائل الجزء الرابع من هذه السنة والمجلدات السابقة

باب الوفاء والوفاء

ارجأنا حمة ترجمة السنوسي الى الآتي

(الاسلام والدولة البريطانية)

طبع بعض الجرائد في هذه الايام بمقالة لكاتب انكليزي اسمه (مسترد . ج . كوربت) نشرت في الجزء الخامس من كتاب انكليزي كبير في الدولة الانكليزية ومستعمراتها . عنوان هذه المقالة (الاسلام والدولة البريطانية) وقد ارساها كاتبها الى بعض الجرائد الاسلامية ومنها جريدة المؤيد وطلب منها رأيا فيها وقد عبرتها جريدة المؤيد ونشرت التعريب في ستة أجزاء فكان له وقع عظيم عند المسلمين . ونحن نلخص عيون المقالة في اربع مسائل

(١) انكلترا أكبر دولة اسلامية يقول الكاتب في اثبات هذه المسئلة ان المسلمين الذين تحكمهم الدولة الصمانية ستة عشر مليوناً ونصفا بحسب الإحصاء الرسمي والذين تحكمهم دولة الصين ٣٢ مليوناً والذين تحكمهم روسيا ستة ملايين . وهذه الدول الثلاث اكثر الدول تابعا من المسلمين بعد انكلترا التي تحكم ١٠٧٠٧٦٨٠٤

مسلمين • وقد بين الكاتب ذلك بالتفصيل في ثلاث جداول احصائية • واستدرك عليه جريدة المؤيد قائلة ان هذه الجداول مأخوذة من احصاء ١٨٩١ وقد زاح عدد المسلمين في المستعمرات الانكليزية في العشر الاخير زيادة عظيمة فقد كان عدد مسلمي الهند في العشر الماضي ٥٧ مليوناً وصار عددهم بحسب الاحصاء الاخير ٨٧ مليوناً بل ٨٩ مليوناً و ١٢٥ ألفاً • وبالجملة ان المؤيد قدر عدد المسلمين الخاضعين للانكليز ١٣٨,٧٠٦,٧٤٠ وقال ان هذا المجموع أقل من الحقيقة بكثير

(٢) معاملة الانكليز للمسلمين : يقول الكاتب ان المسلمين في المستعمرات الانكليزية يتمتعون بالحرية الدينية و يرتقون في معارج الحياة الاجتماعية ويزدادون بالتدريج ثروة وعلماً وأدباً وستكون الهند مصدراً لمدينة آسيا ومصر منبعاً لحياة ما يجاورها من آسيا وأفريقيا • ثم انه مع هذا ينسب الى قومه الانكليز التقصير في القيام بمصالح المسلمين ويثبت لهم ان مستقبل بريطانيا العظمى مرتبط بمستقبل المسلمين ومصالحهم مقرونة بمصالحهم • ويقول ان الانكليز ارتكبوا هفوات مع المسلمين جهلاً وغروراً وتقل عن الدكتور ايتنر الذي وصفه بأنه حجة ثقة جملة جاء فيها أن الصلاة انقطعت بين الانكليز والمسلمين في الهند بإبطال محكمة الصدر الديواني ونظام عدالت

قال الدكتور « وان أحكام محاكمنا (أي الانكليزية) صارت بعيدة عن الغرض المقصود لجهل قضائنا باللغة العربية التي لا يمكن أن يكون لأحد مع المسلمين نفوذ بدون معرفتها لارتباطها بالشريعة المحمدية ارتباطاً انفكاً له • • • وينقل الكاتب عن هذا الدكتور أيضاً القول بوجوب رد الانكليز للمرتبات والهيئات التي منعت عن المسلمين بفقر حق ليستبنوا بها على « التربية الدينية والأدبية اللازمة للأمة المحمدية » • ويقول اذا اتبعنا نصيحة الدكتور فإنا نكفر عن سياستنا الإدارية وغلطتنا السياسية التي وقعت من بعض حكام الهند قديماً خصوصاً إقفال ابواب المدارس العليا في وجوه الناشئة الاسلامية وما تبع ذلك من التضيق عليهم في وظائف الحكومة • ويعترف الكاتب للسيد احمد خان بأنه كان هو السبب في تقرب الانكليز من المسلمين وانهم خطوا بسميه خطوات واسعة ويمدح مدرسته التي كانت مساعدة على هذا التقرب وازالة سوء التفاهم بين الفريقين • ويوجب على الانكليز مساعدة المدارس التي تربي الناشئة على الاستقلال ومحاسن الاخلاق وصفات الرجولة كمدرسة احمد خان

(٣) ارتباط مصلحة الانكليز بالمسلمين : قال يجب علينا وراء التكفير عن سياستنا ومساعدة اخواننا المسلمين على الترقى أن نزيل ماعاق بأذهان بعضنا من سوء فهم

الدين الاسلامي فان نتيجة هذا الجهل جماعهم اعداء لنا . ثم نقل ان المسلمين دعوا الله تعالى في مساجد الهند بأن ينصر الانكليز على البور واستند بهذا على اخلاصهم لحكومتهم وعلى وجوب جذبهم اليها لكيلا تصيبهم السعوم التي يفتنها اعداؤها . وذكر الافغان وما يكون لهم من الشأن اذا حاربت روسيا الانكليز في الهند وانتقل الى افريقيا وذكر قوت السنوسيين فيها وازدياد نفوذهم وانما ستكون وبالا على الانكليز اذا هم لم يجذبوا المسلمين اليهم فانهم لا يلومون في المستقبل إلا انفسهم

قال : . الواسطة الوحيدة لتمكين سلطتنا في آسيا وأفريقيا هي أن نذل جهننا في افهام المسلمين أن مصالحها الدينية والسياسية مرتبطة بمصالحنا وانهم بمخدمة مصالحهم يخدمون مصالحنا ونحن كفذلك . ويلزم المسلمين لذلك أن يعلموا ان كثيرا من معتقداتهم التي يحسبونها من الدين ليست منه ولا جاء بها كتابه . يقول القاضي سيد امير على أحد علماء المسلمين : ان سبب تأخر المسلمين وبقائه على ما هم عليه من التأخر يرجع في الغالب الى ما رسخ في أذهانهم من ان لاحق لهم في استعمال عقولهم في فهم دينهم لان ذلك قد اتى بانقراض الجاهلدين الأولين فصار الاجتهاد بعدهم عمرا . وأن المسلم لا يكون مسلما حاديا الا اذا كان قلة لذهيب من اندام المروفة . فيترك المسلم ما يبعد وما يفهم ويمسك بأراء اهل القرن التاسع من المفسرين والعقهاء غير ملتفت الى آراء والأفكار التي وصل اليها العالم في القرن التاسع عشر .

وقد ختم الكاتب كلامه بذكر حركة العالم الاسلامي الآن للترقي وحث على الانكليز مساعدة هذه الحركة والاستفادة منها وعلق الأمل في ربط الامة بين الفريقين بمسلمي إفريقيا (٤) دين الاسلام دين مدنية : اتفق الكاتب على الاسلام بناء من فهمه ورد على المعارضين عليه بفهم وعقل ونقل اقوال ثقات الحكماء والعلماء الغربيين في مدحه واجاب عن الاعتراضات المشهورة بأجوبة حسنة . وربما تلخص تلك الاقوال والمداخيل بعد . وان لنا كلاما في الوفاق الاسلامي الانكليزي نذكره في الجزء الآتي

﴿ مثال من أمثلة طفولية الأمة — جمعية مكارم الاخلاق ﴾

يسرف قراء النار أن جمعية وجدت في القاهرة سميت (جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية) ثم وجد لها فروع في الزقازيق والاسكندرية وغيرها . وقد أقل الناس في القاهرة على الجمعية حتى صار أعضاؤها يعدون بالمئتين أو تجاوزوها وأنشأت الجمعية مجلة سميتها باسمها بلغ عدد المشتركين فيها بعد أشهر من ظهورها زهاء أربعة آلاف

مشترك . وكان الفرع الذي تفرع منها في الزقازيق اكبر الفروع فقماً وأعزها تقرأ
قائه أنشأ مدرسة وعال بعض الفقراء . ولكن الجمعية الكبرى لم تلبث أن انحلت وبطلت
بجانبها بعد مرض عرض على ادارتها وغول ثقال مالياتها . ونظمت جمعية الزقازيق بعد
سقوط أمها قائمة على طريقها حتى جاءنا في هذه الايام خبر سقوطها وبطلان مدرستها
وبيع ادواتها وأثاثها واقتسام الاعضاء له

بسم الله أنشأ نكتب هذا بمجدد الاسف والامتعاض . وبملم اهل الفضل والمروءة
من افراد الجمعية بعض ذلك متابعنا اياهم على احياء الجمعية في القاهرة وتعيين رئيس
لها صالح للإدارة بخدم الجمعية للجمعية . وانشأ لم نأس من همة هؤلاء الفضلاء
فإن كان الهوى بعد السقوط عسراً فهو اذا حصل أجدر بالثبات واخرى بالدوام
وبسرهاقاء فرع الجمعية في الاسكندرية ثابتاً وقد احدث للمجلة مطبعة واعاد نشرها .
ولا شك ان اهل الاسكندرية أرقى في الحياة الاجتماعية من أهل الزقازيق ولكنهم
ليسوا في مجموعهم بأرقى من اهل القاهرة فلمل هؤلاء بحقوق رجاءنا فيهم ولا يقتطعهم
سقوط الطفل قبل قطامه ، من نهوضه وقيامه

(تصحيح) في السطر ٥ من الصحيفة ٤٠١ كلمة (الارحم) وصوابها (الارحبي)
وفي س ١٨ و ١٩ من ص ٤١١ : (بصري الاصل . ابن الامير) والصواب (بصري
الاصل ابن الامير) وفي س ١٢ ص ٤٣٢ (بحريوني) والصواب (بحريوني)
وفي س ٤ ص ٤٤٣ (بالحليقة) والصواب (في الحليقة) وفي س ٣ ص ٤٤٤ (بها)
والصواب (فيها) وس ٢١ ص ٤٤٤ ايضاً (دعا) والصواب (دعي) وفي س ١٨
ص ٤٤٧ (وان نجد لسننتا) والصواب (ولا نجد لسننتا) وفي س ٧ ص ٤٤٩
(الاصل الرابع) وصوابه (الاصل الخامس) وايصح ما بعده من الاصول على الترتيب .
وفي س ١ من هامش ص ٤٥٦ (لوقا ١٥٥ — ٢٦ و ٢٦) والصواب (لوقا ١٤ — ٢٦)

﴿ محادثة بين صاحب جريدة الحاضرة ورئيس تحرير جريدة فرنسوية ﴾

اجتمع صاحب جريدة الحاضرة العربية الوحيدة في تونس بموسيو تريدون
رئيس تحرير جريدة الديش تونزيان وتكلما في موضوع التعليم الذي يغيثه فرنسا
بتونس . فأبنا أن نأخص ما دار بينهما لما فيه من العبرة للمسلمين الذين استعمر
بلادهم الاوربيون أو احتلوها باسم الحماية أو غير ذلك .

(الصحافي الفرنسي) : ما قولك أيها الرصيف في المقالة التي نشرت اليوم في

حريتنا تحت عنوان (ماهي النسبة التي علينا أن نعامل بها التونسيين)
جواباً على مقالة في هذا الشأن نشرت في التونسي فرانس بحث على حرمان
التونسيين من نسبة التعليم العالي الموصول الى النتائج الفكرية النافعة من طب وهندسة
وخضام (لذا ولعله يريد الحق في) وتبرير إذ رأى محرر هذه الجريدة ان نظام
الحاجة قاض لا يوقم التونسي دائماً في حاجه الجهل حتى لا يهتدي الى الصواب والبرقي
الفكري سيلا وبما ملته كما تعامل البونم حتى لا يوضح الى الاستقلال ولا يتوصل
الى إنكار ما يلحقه من الأذى والنظم

(الصحافي التونسي) بعد حلة في مدح العلم : هل تنكرون ان فرنسا احتلت
هذا القطر لبث أنوار العرفان ونشر راية المدنية بين أهالي المملكة فكيف يمكن
الجمع بين هذه الدعوى وبين قضية حرمان شبان التونسيين من التعليم

(الفرنسي) : نحن لم نفل بحرمان تونسني من كل تعليم بل زدنا على السماح له
بالتعليم الابتدائي أن أجزنا أن يتعلم بعض الأفراد العلوم العالية بغية استثائية خاصة
لا عامة لأن انتشار العلوم العالية يتفق والمقول ويفتح البصائر ويولد الطمع بالاستقلال
في نفوس المستعمرين لما هم عليه من صفات الرجولية والشجاعة وحب الجلال والمحافظة
على شعائرهم بخلاف اليهود فإنهم لا وطن لهم ولا مطامع سياسية وهم بكثرة تقليد هم
وميلهم لجانسة الأوربي كلدوا أن يكون على صيغته فحقن على خلاف رأي التونسي
فرانيس نرى تقييد نشر العلوم العالية وتخصيصه ببعض الشبان لحرمان جميع
الأفراد منه بالمرّة

(التونسي) : لعلكم سلكتم هذا المسلك مصانعة لأصحاب الاسم من التونسيين
(وفي الأصل مراعاة لحاظ أصحاب الاسم)

(الفرنسي) : ربما كان ذلك من جهة الاسباب ولكن هذا هو رأينا الخاص
(التونسي) : كيف يسوغ ذلك التقييد والعلم نور ساطع لا يمكن إخماده وفي
محاولة حججه عن الناس خصوصاً القادرين منهم على اقتباسه بأنفسهم من إظهار
الصدور وجاب البغضاء ما لا يليق بدولة حرة هي قدوة الأمم في ترقى الفكر

(الفرنسي) : لقد ضيق الإنكار من قبل دائرة تاتى الشبان المصريين للعلوم
العالية في مدارس الحكومة

(التونسي) : لكنهم لم يتمكنوا من منع النهضة المصرية التي أغنت الأمة عن

فإنه لا بد من أن تكون القوانين التي تصدرها الدولة قائمة بالعلوم العالية وأن لا يخرج حوا
ليهم نوا أسنانه فليس على التبع ولا انتفاع بحسبهم حتى تأمن مقاصدهم فلا يسلكوا
في ذلك الذي يكون في التحامل على الحكامة والنظامات الزونية

ثاني : هذا كلام فيه نظر فإن كمال التعليم بقى المكمل من الفروع الى الأصل وبذلك به طيف الجهد والعمل الساعى له وتقومه ومن أطراف المكي كونه من ثمرات التعليم الابتدائي الناقص الذي يجزئه

(الفرنسي) : لو تمجس كل نابغ في العلوم العالية بالجنسية الفرنسية لما أوجبتنا منه خيفة لأنه حينئذ يكون عضوا فرسيا يؤدي واجب الخدمة العسكرية من عهد الشبيبة

(التونسي) : هل يتساوى بهذه الجنسية التونسي والفرنسي في جميع الحقوق والمصالح ؟ اننا رأينا من خواص الفرنسيين من لا يرى هذه المساواة مطلقا ويعيب محاسبه بمعداة التجسس

(الفرني) : ذلك لأنهم مع التجنس وبعد أداء الخدمة العسكرية في الجيش يمودون الى عوائدهم كلبس الطربوش وربما ايسوء عثمانيا وارتداء لباس البادية والاقبال على الصلوات والأذكار !!!

(التونسي) : لما لكم قصدون بالتجنس ترك شعار الدين وتغيير الأزياء ولو شاطركم المتجنس في أعز الامتيازات الوطنية كشطرة اليهود لكم في الامتيازات الوطنية كشطرة اليهود لكم في الحقوق والمصالح الحيوية بتغييراتهم الصورية ؛ فهل الخاص لكم من يترأى بازيائكم مع العلم بان ليس الزنار لا يقتضي الترهيب ؟ « وهل تنطبق هذه الأفكار على حرية (الدين) انتم قل ترك الدين « الا بعد هذا لو صدر من مسلم من التعصب الذميم والغالي الملقوت في عرف مدينة هذا العصر الذي ضيقت الحكومة فيه على مدارس الرهان ؟

(الفرنسي) : إنما نقصد نحن امتلاك القلوب ولذلك نود أن يتأزل لنا المسلم عن أحكام دينه الذاتية كالأَنْكِحَة والموارِيث مما هو مصداق الحَالَة الشخصية

(التونسي) : اذا كان القصد من التجنس هو تغيير الدين وأصوله الأساسية بما يخرج المسلم عن دائرة دينه وملتته فهو مما لا يرغب فيه مسلم ذو مروءة لأن الماروق من دينه محقوت عند الله وعند الناس ولو كان دخيلاً فهم . ثم ان في التجنس بهذه الصفة قلب الهيئة الاسلامية بتغيير الأنساب والنسب في الموارث وحقوق الزوجية في التصرف اذ المرأة عندنا حرة لا يتوقف تصرفها على اذن زوجها الى غير ذلك من مسائل الارحام والأنساب التي جاءت بها أحكام الشريعة الاسلامية المنزلة . فلماذا لا نتغير أحكام القانون الفرنسي الى الاحكام الاسلامية ؟

(الفرنسي) : الحق لكم في هذا البحث فان نسبة الموارث مقصودة لأجل ابقاء الميراث بيد الذكور أعمدة البيوت وهو ما قصدته الانكليز من احكامهم في هذا الباب . على أنه لا مانع من البحث عن طريقة للتوفيق بين مصالح الهاتين الاهلية والفرنسية لدوام الالة وحسن المعاشرة في هذه الاوطان

(التونسي) : ذلك أحسن مرغوب تنجيه اليه القلوب وترتاح له النفوس ويا حبذا لو سمت الجرائد الحلية في تحقيقه . غير اني اقول بالأجل : ان ا كفل وسيلة بلوغ هذه الامنية هي توزيع الفوائد والمغانم وتقسيم المنافع المادية بصورة عادلة توفر الاهالي حظاً من فوائد القطر ومنافع حسية كانت او مادية كالوظائف والمساعدات المادية والادبية والحث على الترقى الفكري الذي هو ثمرة المدنية . (قال) ثم وادعنا رصيفنا الموصى اليه قائماً بما ونهنا له من الخطاب . اهـ

(التار) قلنا هذا الخطاب بنصرف لفظي قليل لا يغير شيئاً من المعنى ولا نستطيع منه شيئاً بل ندعه للقارئ يفهم منه ما يفهم . ونعرف رصيفنا الفاضل صاحب الحاضرة بأن الانكليز لم يحاولوا مقاومة التعليم الأهلي فيقال انهم « انهم لم يتمكنوا من منع النهضة المصرية » الخ وان المدارس التي حدث عنها لم تكن عن مدارس الحكومة ولا قاربتا في حسن التعليم ولوان المصريين عرفوا قيمة حرية الانكليز في العلم والدين وكل ما يحتاجه من يتولون امورهم لكأنهم لم مدارس كما وصف الرصيف ولكنهم رزوا باحداث يفضون اليهم الانكليز واعمالهم وعادتهم بأن فرنسا تخرجهم من وادي النيل بهذين اولئك الاحداث واقطعهم فاشتغلوا بهذا عن كل شيء حتى علمهم الزمان بمجواذه حقيقة غرور الاحداث وتفريرهم والآن صار يرجى مهم النهوض الحقيقي والتعليم النافع فان فعلوا فان الانكليز يساعدونهم كما يساعدون اخوانهم في الهند والله الموفق

البدع والانحرافات

وَالْبَقَالِيَّةُ وَالْعَجَائِلُ

﴿ مثال من أمثلة تعصب النصرانية على العلم ﴾

صاحب مجلة الجامعة الذي يدعي أن النصرانية أكثر تسامحاً مع العلم من الاسلام ارتوذكسي المذهب . وفي القاهرة جريدة لارتوذكسي آخر تصدت للانتصار له والتبويه بمخدمته وفلسفته وهذه الجريدة دينية اخبارية وان لم يكتب عليها (دينية) وقد نشرت في العدد الذي انتصرت فيه لصاحب الجامعة المحترم مقالة عنوانها (المدارس والاكليس) يصح أن تكون مثالا أو أن يؤخذ منها مثل متعددة لتعصب النصرانية على العلم حتى اليوم « من فك أدبتك »

جاء في المقالة أن عاملين يتازمان النجاح وعدمه في تعليم الأولاد « الأول التعصب الديني الذي يحمل الآباء على ارسال أولادهم الى مدارسهم الطائفة سواء كانت مفيدة أو غير مفيدة » الخ « والثاني النظر الى المستقبل » وذكر أن الناس يتراوحون بين هذين العاملين ثم قال مانصه بحروقه :

« وما زلنا نرى الناس في هذا التضعف نرى رؤساء الاديان مع الفئة الاولى المتعصبة يسمعون الى الضغط على الافكار وارغام الاهالي التابعين لهم على ارسال أولادهم الى مدارسهم كأن يقولون لهم اتركوا مستقبل أولادكم وحافظوا على صحة اعتقادهم لأن هاته المدارس ما فتحت في بلادكم الا لتسلب منكم أولادكم وتضطرمهم الى ترك معتقدات آباؤهم وأجدادهم

« وهذا ما قاله أيضاً غبطة البطريرك المسكوتي ونقله لنا البريد الأوربي فقد جله في جريدة التان لمكاتبا في الاستانة : « أصدر غبطة البطريرك المسكوتي لاروم الارتوذكسي في الاستانة منشوراً شديداً للهجة الى جميع المطارنة ضد المدارس الدينية الفرنسية عرض به أبناء الطائفة الارتوذكسية أن لا يرسلوا أولادهم اليها » اه فهل سمع مثل هذا عن شيخ الاسلام في الاستانة أو شيخ الأزهر في مصر ؟ ليست المدارس الفرنسية ملاءى بولاد المسلمين المخالفين لهم في أصل الدين لأن

مذهب من مذاهبه كالحلاف بين الكاثوليك والارثوذكس . نعم ان الاسلام ليس فيه سلطة دينية يحمل الملقب بشيخ الاسلام أو شيخ الازهر مسيطراً على الناس ولكن فيه وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأجدر الناس بالقيام بهذا الواجب ، هم الذين يرتقون الى مثل هذه المناصب ، ولكن تسامح الاسلام قد غلب حتى خرج عن كونه تسامحاً وتساهلاً وصار أهلاً وتقريراً

نسب صاحب هذه الجريدة ما نكتبه في الرد على صاحب مجلة الجامعة الى رجل صاحب منصب سام في المسلمين وما كان له ان يصرح بظنه لأن الحق يعرف بذاته لا بقائله والباطل كذلك ولأن آداب الصحافة تقضي بذلك فليس لي اذا رايت مقالة منتقدة في جريدة منسوبة لكتاب غير معين ان أنسبها لمعظم احب غميرته والذيل منه او احب ان اجعل نفسي مناظراً له ليتوهم الجاهلون بي وبه انني من نظرائه . ولم يكتب صاحب الجريدة للشارها بالنسبة للذكورة والمقارنة بين شاب من المتبتدين في الكتابة من اهل مذهبه وبين هذا الشيخ الجليل الذي ذكره بل خرج عن الموضوع في عدد آخر (وهو العدد الأخير) واتى بجانب اسمه بما لا يليق أن يصدر من السوق . هذا وكل من قرأ ارد على الجامعة أعجب بزاوية الكلام وادبه لانه لا يشبهه رأيته تحوير احد فليس فيه ان صاحب الجامعة « اساء الفهم وجاهل » ولا « انه حقر المسلمين » بل كل ما فيه سرد القول من كتب الدين وكتب التاريخ وما يتبادر الى الفهم منها مع الاعتذار عن المعترض على الاسلام والمسلمين والتناء عليه بما عده الناس فوق ما ينبغي . فما كان لمن عومل هذه المعاملة ان يعامل بضدها من عددهم من الاصدقاء ، وهو مأثور بحجة الاعداء ، ولا أن يستجد ابن مذهب يقول في الانتصار له ما لا يقوله هو أو يرضى منه ذلك ليحقق التحويل الذي اشار اليه وأرجف به وتبرأ من تبعته والقاهها على من ردد عليه . تلك آداب دين التعصب والغلظة وهذه آداب صاحب الجريدة المتفتحة لدين المساعدة والمسالمة ومحبة الاعداء . أقام الله منهم أدلة على دعاويهم ، وأيد كلمة الحق بما تقذفه افواه متادبهم ،

وبقي ان نقول ان فضلاء المسيحيين وأدباءهم قد قدروا الرد الذي نشره قدره وعرفوا قيمته اذ فهموا انه ابلغ ما كتب في اقناع المسلمين بوجوب حسن المعاملة مع المخالف في الدين ، ووجوب الأخذ باسباب الارتقاء الذي هو الوسيلة الوحيدة لمساعدة الشرق والشرقيين . ولو تأني الرصيف المحترم صاحب الجامعة القراء وصبر حتى قرأ

الرد كله (ولم يحكم بأنه ٣٥ صفحة فقط ٠٠٠) لجاز ان يظهر له منه ما ظهر لعلماء
المسيحيين وكبار كتابهم من انه اكبر خدمة خدم بها الشرق ، والله الهادي الى سبيل الحق

﴿ سخافة بشار السلام . في الجاهلية والاسلام ﴾

نشرت مجلة بشار السلام الانجيلية في جزئها التاسع نبذة في الجاهلية والاسلام
زعمت فيها ان الاسلام في عقائده وأعماله دون الجاهلية وقد توسعت في الكلام على
الركن الاعظم في الايمان وهو توحيد الله تعالى فزعمت أن الاسلام زاد الجاهلية وثنية
على وثنيها !!! واحتجت على ذلك بستة أمور (١) كون الايمان بمحمد محمداً بعد الايمان
بالله تعالى فجعلت هذا شركاً بالله وما هذا الا الايمان بالوحي والرسول فان من ينكر نبوة
موسى أو عيسى كافر عند المسلمين كمن ينكر نبوة محمد عليهم الصلاة والسلام . فيظهر
أن الايمان بالوحي شرك ووثنية عند الكاتب الانجيلي . وتصيره بتقارنه الاسمين في
الشهادتين لا يزيد الشبهة قوة فان صيغة الشهادة المروية في الصحيحين هي «أشهد أن لا اله
الا الله وأشهد ان محمداً عبده ورسوله» فهل يكون السبدرجاء والهاء؟؟ وأما المقارنة في
الذكر قولاً وكتابة فهي لا تمتنع الا اذا حرم ذكر الله تعالى ومنع بالمرءة ؟ الا يقول
الكاتب : رحم الله فلانا ونحو هذا ؟ وقد كبرت على الكاتب كلمة توجد في بعض كتب
المسلمين وهي ان كفي الشهادة مكتوبتان على العرش قبل خلق السموات والارض .
القول بهذه الكتابة ليس من عقائد الاسلام فن عاش ومات ولم يسمع بها أو سمع ولم
يصدق بأنها وردت في الحديث بالمرءة فلا يمتد هذا ولا ذاك نقضاً لإيمانه ولا نقضاً منه .
واذا قلنا ان هذه الكتابة ثبتت وصحت فأني وثنية فيها والآله آله والسيد عبد ؟ نعم ان
ذلك يدل على التشریف . وهل يقول الكاتب ان جميع عباد الله سواء في مرقبه
وعبادته ونفع خلقه وان تشریف بعضهم وتفضيله على الآخر شرك بالله . وأن التوحيد
الحائض هو ان يمتد الانجيلي بأن موسى كفرعون وابراهيم كتمرود بلافراق ؟ هذا
هو فهم دعاء التصراعية في الدين ، وهذا ما يقيمون من المسلمين ، والحمد لله رب العالمين
(٢) زعم الكاتب ان المسلمين أنزلوا حديث النبي منزلة القرآن وجعلوها سواء في
أخذ الأحكام مع اعتقادهم بان القرآن كلام الله والحديث كلام محمد . وزعم ان الشيعة
تركوا الحديث فاسخطوا أهل السنة . وكل من الزعمين باطل فاهل السنة لا يقولون بان
القرآن والأحاديث سواء والشيعة لم يرفضوا الأحاديث . القرآن أصل الدين والسنة مينة
له قال تعالى «وأنزلنا اليك الذکر لتبين للناس ما نزل اليهم» وللاقرآن خصائص وجزايا

ليست للسنة كوجوب الإيمان بجميع ما فيه كالاعتد بتلاوته . وأما الأحاديث فلا يضر في الإيمان أنكار أي حديث منها (ومن ثبت عنده شيء بالتواتر لا يستطيع إنكاره وان لم يكن حديثاً فلا يجبي الحديث للتواتر هنا) وهي على أقسام فإكان منها متعلقاً بأمور الدنيا لا يجب الأخذ به ويجوز أن يكون خطأ كما في حديث تأخير النخل الصحيح وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « أتم أعلم بأمور دنياكم » وما كان متعلقاً بأمر الدين فإما أن يكون عن اجتهد وإما أن يكون عن وحي . أما اجتهد الأنبياء فقد جوز علماء أهل السنة أن يقع فيه الخطأ ولكن لا يُقررون عليه بل يأثمون الوحي بيان الحق فيه كخبر واقعة أسرى بدر . وأما ما يقولونه عن وحي من الله فيجب الأخذ به . ويفرق المسلمون بين القرآن وبين الوحي الذي يعبر عنه النبي بعبارة من عنده ويسمى عند المسلمين خبراً وحديثاً بما تقدم وبأنه اذا وقع تعارض بينهما ولم يمكن الجمع يعمل بالقرآن دون الحديث . فالحديث الصحيح في المرتبة الثانية لا يمكن أن يساوي القرآن ولذلك سأل النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً عند ما أرسله الى اليمن بماذا يحكم فقال بكتاب الله وإنه اذا لم يجد يحكم بالسنة فأجازه على ذلك . وهذا هو المروي عن أبي بكر وعمر وغيرهم من أئمة الدين أي أنهم ينظرون في القرآن أولاً فان رأوا فيه حكم ما يطلبون قضاؤه والابحاث في السنة وعملوا بها . فلينظر المسلمون كيف يختبر المسيحيون لهم اصولاً للدين ، وينون عليها رعيهم بالشرك المين ، فهذا هو تصنيفهم وهذا تساهلنا واتخذ الله رب العالمين ،

قال : الثالث ذكر اسم محمد مع اسم الله في مواضع حجة من القرآن نظير شريك له في الأمر والنهي والحل والربط ووجوب الطاعة له والحيية . الخ وقال الكاتب أنه لا يذكر الشواهد الا من سورة التوبة وحدها ولكنه ذكر ثلاث آيات اثنتان منهما من التوبة والثالثة من الأحزاب . وقد حرف الآيتين مع وضعهما بين علامات تدل على أنه نقاهما بنضمهما فكتب « ان الله بريء مما يشركون ورسوله » والله تعالى يقول « ان الله بريء من المشركين ورسوله » وكتب « وما كان لمؤمن او مؤمنة ان يخطوا الله تعالى يقول « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً » الآية . اما الجواب عن الشبهة فهو واضح وهو ان أحكام الله تعالى إنما تؤخذ عن رسوله فكل ما يفتي به الرسول من أمر الدين فهو مبلغ له عن الله تعالى ويصح استناذه اليه كما يصح استناد الحوادث الطبيعية الى اسبابها لأن الله تعالى جعلها مترتبة بها ولا يسمى شيء من

هذا شركا • وكأني بالكاتب يقول ان دينه يحكم بشرك من يقول « يعني للانسان ان يستحي من الله ومن الناس » ونحو هذا لأنه قرن اسم الناس باسم الله في حكم واحد فليظهر للمسلمون الى ثقة دعاة النصرانية في النقل وليقابلوا بين ما ذكر من التحريف في الآيات والخطأ في المزو الى السورة وبين ما وقع لنا مع احد كبار العلماء وهو انه نهى الى وجوب التنبيه على غلطة وقعت في النار نقلا عن الانجيل وهي « لم تجربوتي » وقد حذفون الوقاية من الفعل بالطبع قطعت (تجربوتي) • ولينأمل المتصفون في قلته عن القوم وفلهم عنا للتمييز بين الصادقين والكاذبين • والتزيل بين المتساهلين والمتحصين • والحمد لله رب العالمين •

قال: « الرابع اتخاذ المسلمين محمداً سيداً لهم » ثم استنبط من هذا ان المسلمين يعتقدون بأنهم عبيد لمحمد وقال ان هذا هو الشرك الذي عناه • وجوابه ان المسلمين لم يوجبوا ان يقول احد عند ذكر النبي كلمة « سيدنا » ولم يرد الأمر بوصفه عليه الصلاة بذلك في الكتاب ولا في السنة • وقد ذهب بعض العلماء الى أن إضافة لفظ (سيدنا) على صيغة الصلاة الملحقة بالشهادة مكروهة وقال بعضهم انها مستحبة لأن هذا اللقب من القاب التكريم التي اعتادها الناس مع الكبراء ومع الاقران • واما استدلال الكاتب على هذه السيادة التي تستتبع الشرك عنده بآية « ان الله وملائكته يصلون على النبي » فهو غريب لأن الصلاة من الله الرحمة ومن غير الله الدعاء كما صرح بذلك العلماء • فلو كان كل من نطلب له الرحمة الهاً لنا وكل من نحاطبه بلقب السيادة الهاً لنا لكان لنا وللكتاب آلهة لا تحصى !!! نعم ان المسلمين يعتقدون ان محمداً افضل الانبياء والمرسلين ويسبرون عن ذلك بالسيادة والانباء افضل بني آدم فهو افضل بني آدم وسيدهم ولكنهم ليس عبيداً له • اما وجه تفضيله فهو ظاهر بآثره • وقد كتبنا فيه وسنكتب ايضاً ان شاء الله • فليأمل التاملون في تمحل هؤلاء الدعاة المسيحيين • واستنباطهم الذي يضحك الحزوين • والحمد لله رب العالمين •

قال: « الخامس مبالاة المسلمين في قدمية محمد الى ان قالوا انه نور كائن قبل البشر » الخ وتقول ان هذه المقالة ليست من الدين في شيء فلا توجد في القرآن ولا في كتب السنة الصحيحة ولا في كتب العقائد وانما توجد في كتب القصص والمواالات التي لا اعتبار لها والدين ينهى عن القول بغير علم • على ان العامة الذين يروج عندهم هذا الغلو لا يختلفون في حدوث نبيهم وغيره من الانبياء فلا يصح ان يسمى القائل بذلك مشركاً بوجه ما •

ولينظر الناظرون مبلغ علم هؤلاء الناس بالاديان التي يحكمون ببطالانها ويدعون أهلها الى تركها وليدلونا على مسلمة يتكلم مثلهم بغير علم ، ويستدي عليهم في الدعوى ثم في الحكم ، وحسبنا انسابا من المسلمين ، والحمد لله رب العالمين ،

قال ه السادس والاخير اتخاذ المسلمين محمداً شفيعاً ه ثم قال ه واتخاذ الخلق شفيعاً عند الله هو عين الشرك الذي كان عليه العرب في الجاهلية لا اكثر ولا اقل ه ثم ذكر ان اتخاذ الجاهلية شفعا كثيرين اخف شركا من حصر المسلمين الشفاعة في شفع واحد . على ان المسلمين لم يحصروا ه والجواب ان الشفاعة عند المسلمين هي الدعاء . ولذلك يقولون في الصلاة على الميت ه وقد اتيناك راغبين اليك شفعا له اللهم ان كان محمداً فرد في احسانه ه الخ فكل مسلم شافع بل كل مؤمن بالله يدعو الله تعالى لنفسه واخيره والدعاء الغير يسمى شفاعة . كأن الكاتب الانجيلي يقول ان دينه يحكم بشرك كل من يذكر ميتا كوالده او غيره ويقول رحمه الله تعالى . فهكذا يفعل (دين التساهل) بقات اهله على المخالفين ، واذا اجابوهم بالحق يدعونهم متعصين ، ولكن هذا لا يخبرنا عن تساهل المسلمين . والحمد لله رب العالمين ،

وان تعجب فعجب قول من اتخذوا نبيهم آلهما : ان الذين يقولون ان نبيهم عبد الله ولكنه افضل عباده لأنه تقع خلقه افضل منفعة وهداهم بذاته اكل هداية هم مشركون بالله لأنهم يعرفون فضل نبيهم ويسألون له رحمة الله تعالى ويطعمونه فيما يبلغه عن الله تعالى . قال الكاتب بعد ايراد ما يقدم : ه وبرد على ذلك اتخاذنا نحن النصارى السيد المسيح شفيعاً وحيداً بين الله والناس على ما جاء في الانجيل . فأجيب اذا كنا معتقدين ان المسيح مخلوقا كذا) واتخذناه شفيعاً وحيداً او معه غيره نكون بلا شك مشركين ولكن اذا كن المسيح بالحقيقة كلمة الله الأزلي وهو الخالق وغير الخلق الذي كان به كل شيء وبغيره لم يكن شيء مما كان فلستنا مشركين بل نعبداً آلهما واحداً تبارك اسمه ه !!! يعني ان اشرك هو اعتقاد ان نبيهم عبد الله وان شفاعته دعاء لله وان التوحيد الخالص هو اعتقاد الناس ان نبيهم الذي ولد منذ ١٩٠٢ ه هو الله القديم الأزلي الخالق اسكن شيء مما كان قبله وما يكون بعده . وانه شافع بمعنى انه واسطة بين الناس وبين نفسه يصلها ويصلها لاجلناهم !! يخرج ما أحسن هذا التوحيد . هذه شبهات المسيحيين المصلحين . فله الشكر والمثنة ان جعلنا مسلمين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ،

المسحاة

١٣١٥

ففسر عباده الذين يستمعون القول
فابتدعوا من بعدهم أو تلك الذين هدام
الله وأولئك هم أولو الألباب

بما في القرآن من آيات
التي فيها نهي عن
الاعتصاف بغير ما
أمر الله به

(قال عليه الصلاة والسلام: ان الاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم السبت ١٦ رجب سنة ١٣٢٠ - ١٨ أكتوبر (تشرين ١) سنة ١٩٠٢)

— الاسلام والتصرافية . مع العلم والمدنية —

(حمة المقال الرابع لذلك الامام الحكيم)

« الجواب »

أقول هذا كلام فيه شية من الحق ، ولعة من الصدق ، أما ما نسمعه
حولنا من سجن من قال بقول السلف فليس ! غافل عليه التمسك بالدين فان
حملة المهائم إنما حركهم الحسد لا النيرة . وأما صدور الأمر بالسجن فهو
من مقتضيات السياسة والخوف من خروج فكر واحد من حبس التقليد
فتنتشر عدواه فينتبه غافل آخر ويقتعه ثالث ثم ربما تسري العدوى من
الدين الى غير الدين — الى آخر ما يكون من حرية الفكر يموذون بالله
منها . فان شئت أن تقول إن السياسة تضطهد الفكر أو الدين أو العلم فانا
ملك من الشاهدين . اعوذ بالله من السياسة ، ومن تعظ السياسة ، ومن

معنى السياسة ، ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة ، ومن كل خيال
يخطر ببالي من السياسة ، ومن كل ارض تذكر فيها السياسة ، ومن كل
شخص يتكلم او يتعلم او يجنُّ او يعقل في السياسة ، ومن ساس ويسوس ،
وسائس ومسوس ، . . . بذلك على ان المقوية سياسة أن الرجل كان يقول
يقول السلف من اهل الدين . لا تقل : إن هذه السياسة من الدين ، فاني
اشهد الله ورسله وملائكته وسلفنا اجمعين ، ان هذه السياسة من أبعد
الأموء عن الدين ، كأنها الشجرة التي تخرج في اصل الجحيم ، طلعا كأنه
رؤوس الشياطين ، فانهم لا يكون منها ثمار توفى منها الباطون ، ثم إن لهم
عليها لشوبا من حميم ، ثم إن مرجهم لا إلى الجحيم ، لهم القوا آباءهم ضالين ،
فهم على آثارهم يهرعون ،

سبح جود المسلمين وأسبابه

واما ما وصفت بعد ذلك من الجود فهو مما لا يصح ان ينسب
الى الاسلام وقد رأيت صورة الاسلام في صفاتها ونصوع بياضها
ليس فيها ما يصح ان يكون اصلا يرجع اليه شيء مما ذكرت ولا مما تنبأ
بنسوة عاقبة (رنان) وغيره . وإنما هي علة غرض على المسلمين عند ما
دخل على قلوبهم عقائد أخرى ساكنت عقيدة الاسلام في افئدتهم .
وكان السبب في تمكنها من نفوسهم وإطفائها لنور الاسلام من عقولهم
هو السياسة كذلك . هو تلك الشجرة الملعونة في القرآن عبادة الهوى
واتباع خطرات الشيطان هو السياسة

لم ار كالا سلام ديناً حفظ اصله ، وخلط فيه امله ، ولا مثله سلطانا
تفرق عنه جنده ، وخير عهده ، وكفر وعيده ووعدته ؛ وخفي على النافلين

نصده ، وإن وضع لناظرين رشده ، كل الزمان أهله الأولين ، وأدال منهم خسارة من الآخرين ، لأم فحموه فأقاموه ، ولأم رحموه فتركوه ، سواسية من الناس اتصوا به ، ووصلوا فسيهم بسية ، وقالوا نحن أهله وعشيرته ، وحماته وعصبته ، وهم ليسوا منه في شيء إلا كما يكون الجبل من العلم ، والطيش من الحلم ، وأفن الرأي من صحة الحكم ،

أنظر كيف صارت حزية من مزايا الاسلام سبياً فيما صار اليه أهله . كان الاسلام ديناً عربياً ثم لحقه العلم فصار علماً عربياً بعد ان كان يونانياً ، ثم أخطأ خليفة في السياسة فاتخذ من سنة الاسلام سيلاً إلى ما كان يظنه خيراً له . ظن أن الجيش العربي قد يكون عوناً لخليفة علوي لأن العلويين كانوا الصق بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فأراد ان يتخذ له جيشاً اجنياً من الترك والديلم وغيرهم من الامم التي ظن أنه يستبدها بسلطانه ، ويصطنعها بائحائه ، فلا تساعد الخارج عليه ولا تعين طالب مكانه من الملك . وفي سنة أحكام الاسلام وسهولته ما يبيح له ذلك . هنالك استعجم الاسلام وانقلب عجمياً .

خليفة عباسي أراد ان يصنع لنفسه وخلقه ويش ما صنع بأمته ودينه . أكثر من ذلك الجند الاجنبي وأقام عليه الرؤساء منه فممكن الاعشيه او ضحاها حتى تلب رؤساء الجند على الخلفاء واستبدوا بالسلطان دونهم وصارت الدولة في قبضتهم . ولم يكن لهم ذلك القتل الذي راضه الاسلام والقلب الذي هذبه الدين . بل جاؤا الى الاسلام بعشوة الجمل يحملون الوية الظلم . لبسوا الاسلام على أبدانهم ، ولم ينفذ منه شيء الى وجدانهم ، وكثير منهم كان يحمل آله معه يعبده في خلوة ، ويصلي مع الجماعات لتمكين سلطته ، ثم عدا على الاسلام آخرون كالنار وغيرهم

ومنهم من تولى أمره ، أي عدوّ لهُؤلاء أشد من العلم الذي يعرف الناس منزلهم ويكشف لهم قبح سيرهم ؛ فالوا على العلم وصديقه الاسلام ميلتهم . أما العلم فلم يَحْمِلُوا بأهله ، وقبضوا عنه يد المعونة وحملوا كثيراً من أعوانهم أن يندرجوا في سلك العلماء وأن يقربوا إلى إسرائيل ليُمدّوا من قبيله ثم يضمنوا للعامة في الدين ما يفيض اليهم العلم ويسجد بفوسهم عن طلبه . ودخلوا عليهم وهم أغراؤ من باب التقوى وحماية الدين . زعموا الدين ناقصاً ليكماله ، أو مريضاً ليعالوه ، أو متداعياً ليدعموه ؛ أو يكاد ان يتقضّ ليقبضوه ،

نظروا الى ما كانوا عليه من نخفخة الوثنية ، وفي عادات من كان حولهم من الأمم النصرانية ، فاستعاروا من ذلك للاسلام ما هو برأيه منه لكنهم نجحوا في إبتاع العامة بأن في ذلك تعظيم شمازّه ، وتضخيم أوامرّه ، والنوغاء عون الماشم ، وهم يد الظالم ، فخلقوا ناهذه الاحتمالات ، وتلك الاجتماعات ، وسنوا لنا من عبادة الأولياء والعلماء والمتشبهين بهم ما فرق الجماعة ، وأركس الناس في الضلالة ، وقرروا ان التأخر ليس له أن يقول بشير ما يقول المتقدم وجعلوا ذلك عقيدة حتى يقف الفكر ويجمد العقول . ثم بثوا أعوانهم في أطراف الممالك الاسلامية ينشرون من القصص والاخبار والآراء ما يقنع العامة بأنه لا نظر لهم في الشؤون العامة . وأن كل ما هو من أمور الجماعة والدولة فهو مما فرض فيه النظر على الحكام دون من عداهم ومن دخل في شيء من ذلك من غيرهم فهو متعرض للملايمنة . وأن ما يظهر من فساد الأعمال ، واختلال الاحوال ، ليس من صنع الحكام وإنما هو تحقيق لما ورد في الاخبار من أحوال

آخر الزمان . وأنه لا حيلة في إصلاح حال ولا مآل . وأن الأسلم تفويض ذلك لله وما على المسلم الا ان يقتصر على خاصة نفسه . ووجدوا في ظواهر الألفاظ لبعض الأحاديث ما يعينهم على ذلك وفي الموضوعات والضعاف ما شد أزهم في بث هذه الاوهام . وقد انتشر بين المسلمين جيش من هؤلاء المضلين وتماوت ولادة الشر على مساعدتهم في جميع الأطراف واتخذوا من عقيدة القدر مشطاً للزائم وغلاً للأيدي عن العمل . والعامل الاقوى في حمل النفوس على قبول هذه الخرافات إنما هو السذاجة وضعف البصيرة في الدين وموافقة الهوى . أمور اذا اجتمعت أهلكت . فاستتر الحق تحت ظلام الباطل ورسخ في نفوس الناس من العقائد ما يضارب أصول دينهم ويبينها على خط مستقيم كما يقال

هذه السياسة سياسة الظلمة وأهل الآثرة هي التي روجت ما أدخل على الدين مما لا يعرفه وسلبت من المسلم أملاً كان يحترق به أطباق السموات ، وأخذت به الى يأس يجاور به العجاوات ، فجُلُّ ما تراه الآن مما تسميه إسلاماً فهو ليس بإسلام وإنما حفظ من أعمال الاسلام صورة الصلاة والصوم والحج وقليل من الأقوال التي حرفت عن معانيها . ووصل الناس بما عرض على دينهم من البدع والخرافات الى الجمود الذي ذكرته وعدود ديننا . نموذباته منهم ومما افترون على الله ودينه . فكل . ابواب الآن على المسلمين ليس من الاسلام وإنما هو شيء آخر سموه إسلاماً . والقرآن شاهد صادق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، يشهد بأنهم كاذبون ، وأنهم عنه لاهون ، وعما جاء به معرضون ، وسنوفي لك الكلام في مفاسد هذا الجمود وثبت انه علة لا بد ان تزول

﴿ مفاسد هذا الجود ونناجيه ﴾

طال أمد هذا الجود لاستمرار عمل المامنين في المحافظة عليه ،
 وولوع شهوراتهم بالدفاع عنه ، وقد حدثت عنه مفاسد يطول بيانها وإنما
 يحسن إجمال القول فيها . كان الدين هو الذي ينطلق بالمقل في سعة العلم
 ويسبح به في الأرض ويصعد به الى أطباق السماء ليقف به على أثر من
 آثار الله أو يكشف به سرّاً من أسرارهِ في خليقته ، أو يستنبط حكماً من
 أحكام شريعته ، فكانت جميع الفنون مسارح للمقول تقتطف من ثمارها
 ما تشاء وتبلغ من التمتع بها ما تريد . فلما وقف الدين ، وقعد طلاب اليقين ،
 وقف العلم وسكنت ربحه ، ولم يكن ذلك دفعة واحدة ولكنه سار سير التدرج
افساد الجود للغة : أول جناية لهذا الجود كانت على اللغة العربية وأساليبها
 وآدابها فان القوم كانوا يُنون بها الحاجة دينهم اليها — أريد حاجتهم في
 فهم كتابهم الى معرفة دقائق أساليبها ، وما تشير اليه هيئة تركيبها ، وكانوا
 يجدون أنهم لن يبلغوا ذلك حتى يكونوا عرباً بملكاتهم ، يساوون من
 كانوا عرباً بسلاقتهم ، فلما لم يبق للمتأخر الا الأخذ بما قال المتقدم قصر
 انحصارون تحصيلهم على فهم كلام من قبلهم واكتفوا بأخذ حكم الله منه
 بدون ان يرجعوا الى دليله ولو نظروا في الدليل فأروه غير دال له بل دالا
 لخصمه بأن كانت عرض له في فهمه ما يعرض للبشر الذين لم يقرر الدين
 عصمتهم لخطأ واظهارهم وأعموا أبصارهم وقالوا : نعوذ بالله ان تذهب عقولنا
 الى غير ما ذهب اليه متقدمنا وأرغموا عقابهم على الوقفة فيصيبه الشال من
 تلك الناحية . فاي حاجة له بعد ذلك الى اللغة العربية نفسها وقد يكفيه
 منها ما يفهم به أسلوب كلام المتقدم وهو ليس من أولئك العرب الذين

كان ينظر الأولون في كلامهم .

وهكذا كل متأخر يتصرفه على النظر في كلام من يليه هو غير مبال
بسلقه الاول بل ولا بما كان يحفّ بالقول من أحوال الزمان فهو لا ينظر
الا اللفظ وما يعطيه قسقة منزله في تحصيل اللغة بمقدار بعده عن أهلها
حتى وصل حال الناس الى ما نراه عليه اليوم . جملوا دروس اللغة لهم
عبارة بعض المؤلفين في النحو وقنون البلاغة وان لم يصلوا منها الى غاية
في فهم ما وراءها قد رست علوم الاولين وبادت صناعاتهم ، بل فقدت
كتب السلف الاولين رضي الله عنهم ، وأصبح الباحث عن كتاب المدونة
لمالك رحمه الله تعالى أو كتاب الام للشافعي رحمه الله تعالى أو بعض
كتب الامهات في فقه الحنفية كطالب المصنف في بيت الزنديق . تجد
جزءا من الكتاب في قطر وجزءه الآخر في قطر آخر فاذا اجتمعت لك
أجزاء الكتاب وجدت ما عرض عليها من نسخ النسخ حائلا بينك
وبين الاستفادة منها

هذا كله من أثر الجود وسوء الظن بالله وتوهم ان أبواب فضل الله
قد أغلقت في وجوه المتأخرين ، ليرفع بذلك سنازل المتقدمين ، وعدم
الاعتبار بما ورد في الاخبار من أن المبلغ ربما كان أوعى من السامع^(١) وان
هذه الامة كالطر لا يدري أوله خير أو آخره^(٢) وقلة الالتفات الى ان
ذلك قد أضاع آثار المتقدمين أنفسهم ولا حول ولا قوة الا بالله . لا ريب

(١) النار : يشير الى حديث ابن مسعود عند الترمذي وابن ماجه وهو : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نضر الله أمرا سمع في شئنا فبلغه كما
سمعه فرب مبلغ أوعى له من سامع ، ورواه غيرها عن غيره (٢) يشير الى حديث

ان القارئ يحيط بمقدار ضرر هذه الجناية على اللغة ، يكفيه من ذلك انه اذا تكلم بقلته لغة دينه وكتابه وقومه لا يجد من فيهم مايقول ، وأي ضرر أعظم من عجز القائل عن ان يصل بمعناه الى المقول ،

افساد النظام والاحتماع : وأعظم من هذه الجناية جناية التفريق وتمزيق نظام الأمة وإيقاعها فيما وقع فيه من سبقها من الاختلاف وتفرق المذاهب والشيخ في الدين . كان اختلاف السلف في القتيا يرجع الى اختلاف أفهام الأفراد والكل يرجع الى أصل واحد لا يختلفون فيه وهو كتاب الله وماصح من السنة فلا مذهب ولا شيعه ولا عصبية . ولو عرف بعضهم صحة مايقول الآخر لا أسرع الى موافقته كما صرح به جميعهم . ثم جاء أنصار الجود فقالوا يولد مولود في بيت رجل من مذهب إمام فلا يجوز له ان ينتقل من مذهب أبيه الى مذهب إمام آخر . واذا سألتهم قالوا : « وكلهم من رسول الله ملتس » لكنه قول باللسان ، لا أصل له في الجنان ، ثم كانت حروب جدال بين أئمة كل مذهب لو صرفت آلائها وقواها في تبين أصول الدين ونشر آدابه وعقائده الصحيحة بين العامة لكننا اليوم في شأن غير مانحن فيه . يجد المطلع على كتب المختارين من طاعن بعضهم في بعض ما لا يسع به أصل من أصول الدين الذي ينتسبون اليه . يضلل بعضهم بعضاً ويرجي بعضهم بعضاً بالبعد عن الدين وما الماطعون فيه بأبعد عن الدين من الطاعن ولكنه الجود ، قد يؤدي الى الجود ،

كان الاختلاف في العقائد على نحو الاختلاف في القتيا تخالف

أنس عند الترمذى وهو : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ امْرِئٍ مَثَلُ
الطَّارِ لَا يَدْرِي أَوَّلَهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ » ورواه غيره

أشخاص في النظر والرأي. وكان كل فريق يأخذ عن الآخر ولا يبالي بمخالفته له في رأيه. مسجدهم واحد وإمامهم واحد وخطيبهم واحد. فلما جاء دور الجلود - دور السياسة - أخذ المتخالفون في التنطع، وأخذت الصلات تنقطع، وامتازت فرق وتآلفت شيع. كل ذلك على خلاف ما يدعو إليه الدين. وقد بذل قوم وسهمهم في تمييز الفرق تمييزاً حقيقياً فما استطاعوا وانما هو تمييز وهمي، وخلف في أكثر المسائل لفظي، وانما هي الشهوات وضروب السياسات اشملت نيران الحرب بين المنتسبين الى تلك الشيع حتى آل الأمر الى هذه الفرقة التي يظن الناظر فيها أنها لا دواء لها.

قال قائل من عدة سنين: إنه ينبغي لأضياع القضية في مصر من أهل المذاهب الأربعة لأن أصول هذه المذاهب متقاربة وعبارات كتبها مما يسهل على الناظر فيها أن يفهمها. وقال: إن الضرورة قاضية بأن يؤخذ في الأحكام ببعض أقوال من مذهب مالك أو مذهب الشافعي تيسيراً على الناس ودفعاً للضرر والفساد. فقام كثير من المتورعين، يحوقلون ويندبون حظ الدين، كأن الطالب يطلب شيئاً ليس من الدين، مع أنه لم يطلب الا الدين، ولم يأت الابما يوافق الدين، وبما كان عليه العمل في أقطار العالم الى ما قبل عدة سنين. فأتى قول هؤلاء: « وكلهم من رسول الله ملتس »؛ لكن هو جلود المتأخر على رأي من سبقة مباشرة وقصر نظره عليه دون التطلع الى ما وراءه. أو هي السياسة تحمل ما تشاء وتحرم ما تشاء، وتصحح ما تشاء وتبطل ما تشاء، والناس منقادون اليها بأزمة الا هواء،

جناية الجلود على الشريعة: هذا الجلود في أحكام الشريعة جرّ الى غسر حمل الناس على إهمالها. كانت الشريعة الاسلامية أيام كان الاسلام إسلاماً

سمحة تسع العالم بأسره وهي اليوم تضيق عن أهلها حتى يضطروا الى أن يتناولوا غيرها وأن يتسوا حماية حقوقهم فيما لا يرتقي اليها. وأصبح الاتقياء من حملها يتخاصمون الى سواها. صعب تناول الشريعة على الناس حتى رضوا بجهلها بحجراً عن الوصول الى علمها فلا ترى المعارف بها من الناس الا قليلا لا يعلو شيئاً اذا نسب الى من لا يعرفها. وهل يتصور من جاهل بشريعة أن يسأل بأحكامها؟ فوقع أغلب العامة في مخالفة شريعتهم بل سقط احترامها من أنفسهم لأنهم لا يستطيعون أن يطبقوا أعمالهم على مقتضى نصوصها. وأول مانع لهم ضيق الطاقة عن فهمها لصعوبة العبارات وكثرة الاختلاف. سألت يوماً أحد المدرسين في بعض المذاهب: هل تسبغ وتشترى وتصرف النقود على مقتضى ما تجد في كتب مذهبك؟ فأجاب أن تلك الأحكام قلما تخطر بباله عند المعاملة بالفعل وإنما يفعل ما يفعل الناس. هكذا فعل الجود بأهله ولو أرادوا أن تكون للشريعة حياة تحيي بها الناس لعلوا ولسهل عليهم وعلى الناس أن يكونوا بها أحياء تعلم ما وصل اليه الناس من فساد الأخلاق والانحراف عن الشريعة. لو سألت عن سببه في القرى وصغار المدن لوجدته أحد أمرين إما فقد المعارف بالشريعة والدين وسقوط القرية أو المدينة في جاهلية جهلاء يرجع بعض أهلها الى بعض في معرفة الحلال والحرام وليس المسؤول بأعلم من السائل والكل جاهلون. وإما يحجز المعارف عن تفهم من يسأله لا اعتقال لسانه عن حسن التعبير بطريقة تفهمها العامة فهو إذا سئل يقرأ كتاباً أو يسرد عبارة يصعب على السامع فهمها وعلى المتكلم إفهامها. وذلك للخرج الذي وضع فيه نفسه فلا يستطيع التصرف فيما يسمع ولا فيما يعلم. فإذا

قلت للمارف تعلم من وسائل التمييز ما يقدرك على مخاطبة الطبقات المختلفة من الناس حتى تنفع بملك وأعل بنفسك إلى أن تفهم الفرض من قول إمامك فتجد لأصله انطباقاً على هذه الحادثة مثلاً وإن لم يأت ذكرها بنفسها في قوله أو قول من جاء بعده من أتباعه . قال : سبحان الله ! هل فعل ذلك أحد من المشايخ ؟ يريد أن لا يأتي شيئاً إلا ما أتى به شيخه الذي أخذ عنه يدأ بيد ولو أبعد بنظره لوجد قدماء المشايخ قد فعلوه وبالموافاة حتى خالفوا من أخذوا عنه في بعض رأيه . ثم إذا حاجبته في ذلك لم يبعد من رأيه أن يمدك زنديقاً وأنتك تدعوه إلى الخروج من دينه ولا يدري المسكين أنه بذلك يخالف نصوص دينه وأنه يتبهاً للخروج منه نعوذ بالله تعالى

كان كلام بني وبين أحد المدرسين في أخذ الطلبة بالنصيحة وتذكيرهم بفضائل الأخلاق وصالح الأعمال خصوصاً عند إلقاء الدروس الفقهية ودروس الحديث والتوحيد . فقال لي : أنه لا فائدة في ذلك قطماً وهو تعب في غير طائل . فقلت له : ذلك حق عليك أن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وليس عليك أن يأمر بالمأثور ولا أن ينهي المنهي . فقال : إذا تحققت استحالة المنفعة كان الأمر والنهي لغوا . فانظر كيف اعتقد استحالة الانتفاع بنصحه بلوغ الفساد من النفوس غايته كما يزعم . ولم ينظر في الوسيلة لاقتلاع هذا الفساد مع أن الدين يدعو إلى ذلك وهو يعمل كل يوم عمله لتعليم من لا سبيل إلى إصلاحه . هذا كله لأنه لم يرفضه أهلاً لأن يتخذ وسيلة لم يتخذها من أخذ عنه أو لم يرشده إليها من تعلم هو بين يديه ولم يتذكر عند ذلك شيئاً من الأوامر الإلهية التي وردت في

التصيحة والتأمر بالمعروف والتناهي عن المنكر وأن اليأس من روح الله إنما يكون من القوم الكافرين أو الضالين

لا بل إذا قلت له ان هذا الضرب من ضروب التعليم عقيم لا ينجح الطالب منه أو ان هذا الكتاب الذي تعود الطلاب قراءته قد يضر بشاريته وغيره أفضل منه . كاد يظن أن قولك هذا مخالف للدين ورأى المدول عما تعودته نوعاً من الاخلال بالدين . وقد يقيم عليك حرباً يمتد نفسه فيها مجاهداتي سبيل الله اذا قلت له: ان دروس السنف كانت تقريراً للمسائل واملاء للحقائق على الطلاب ولم يكن لأحد منهم كتاب يأخذه بيده وقرئته تلامذته ولم يكن بأيدي الطلبة الا الأقلام والقراطيس يكتبون ما يسمعون من أفواه أساتذتهم . وقد يشترط لك بصحة ما تقول ولا يمكن يستمر في عمله اعتماداً على أنه وجد الناس هكذا يعملون . فهل يخطر ببال عاقل ان هذا الجود من الدين؟ وهل يرتاب من له أدنى ادراك في سوء عقابه على الدين وأهل الدين؟

حجاية الجود على العقيدة: ذلك جهودهم في العمل وأشد ضرراً منه الجود في العقيدة . نسوا ما جاء في الكتاب وأيدته السنة من أن الايمان يعتمد اليقين ولا يجوز الاخذ فيه بالظن وان العقل هو ينبوع اليقين في الايمان بالله وعلمه وقدرته والتصديق بالرسالة وان النقل ينبوع له فيما بعد ذلك من علم النبي كأحوال الآخرة وفروض العبادات وهيئاتها وان العقل ان لم يستقل وحده في إدراك ما لا يد فيه من النقل فهو مستقل لا محالة في الاعتماد بوجود الله وبأنه يجوز ان يرسل الرسل فتأيناعه بالمقول . نسوا ذلك كله وقالوا: لا بد من اتباع مذهب خاص في العقيدة

وافترقوا فرقا وتغزقوا شيما كما قلنا . ولم يكفهم الا لزام اتباع مذهب خاص في نفس المعتقد بل ذهب بعضهم الى أنه لا بد من الأخذ بدلائل خاصة للوصول الى ذلك المعتقد فيكون التقليد في الدليل كالنقل في المدلول . وكأنهم لذلك جعلوا النقل عماداً لكل اعتقاد وباليه النقل عن المعصوم بل النقل ولو عن غير المعروف . ففتررت لديهم قاعدة : ان عقيدة كذا صحيحة لان كتاب كذا للمصنف فلان يقول ذلك . ولما كانت الكتب قد تختلف أقوالها صار من الصعب أن يجد الواحد منهم لنفسه عقيدة قارة صافية غير كدرة ولا متزعزعة . وقد سرى ذلك من قراء المتلدين الى أممهم فتراهم يستقدون بكل ما يقال وينقل عن معروف الاسم وان لم يكن في حق الأمر من أهل العلم وتناقض عقائدهم على حسب تناقض مسوعائهم انجبر التساهل في الاعتماد على النقل الى الخروج عما خطه لنا السلف رضي الله عنهم فقد كانوا يتقبون عن صفات من يتناولون عنه ويمتحنون قوله حتى يكونوا على شبه اليقين من أنه موضع الثقة . ولكن جمود المتأخر على ما يصل اليه من المتقدم صير النقل فوضى فتجد كل شخص يأخذ بمن عرفه وظن أنه أهل للأخذ عنه بدون بحث ولا تنقيب حتى شاع بين الناس من الأقوال وموضوعات الأحاديث ما ترتفع الأصوات بالشكايه منه من حين الى حين . وكل ما رآه من البدع المتجددة فدنشأه سوء الاعتقاد الذي نشأ من رداة التقليد والجمود عند حد ما قال الأول بدون بحث في دليله ولا تحقيق في معرفة حاله وإيهال العقل في العقائد على خلاف ما يدعو اليه الكتاب المبين والسنة الطاهرة . دخلت على الناس لذلك عقائد يحتاج صاحب الفيرة على الدين في اقتلاعها من أنفسهم الى عناء طويل وجهاد شديد

وسلاحه الكتاب وسلاح أعدائه أقوال بمض من تقدم ممن يعرف ومن لا يعرف . وما أكثر عدد من ينصر أعداءه اليوم وما أقلهم غدا إن شاء الله .
 سألت سائل من الاستاذ شيخ الجامع الأزهر عن حكم عمل من الأعمال الجارية في المساجد يوم الجمعة - ومنزلة الشيخ من الرياضة في أهل العلم بالدين منزلته - فافتي بما ينطبق على السنة وما يعرفه المارفون بالدين وقال ان العمل بدعة من البدع يجب التنزه عنها . أظن ان المستفتي أمكنه العمل بمقتضى الفتيا ، كلاً . حدث قيل وقال ، وكثرة تسأل ؛ ودخلت السياسة ثم قيل ان الزمان ناصر الحقيقة وقد وجدنا الامر كذلك من قبلنا . سكت السائل وماذا يصنع المحيب . نعم هذا من شؤم ذلك الجود فقد فصل بين العامة ومن يرجى فيهم تقويم ما أعوج منها ووكلاها الى اناس منها لا علم لهم بالدين ولا بالأدب وقد غرسوا في أذهان الدهماء شر النرس ولا ينجي الامم منه الا أخذت الثمر . فلو قام العالم بالدين وأراد ان يبين حكم الله المصريح به في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم المجمع عليه عند السلف قاطبة انتصب له ناعر من العامة يصيح في وجهه « ماسمنا بهذا في آباءنا الاولين » ويريد من آباءه الاولين من رآهم بعد ولادته أو ذكرت له أسماؤهم بلسان مضايه حتى صار ارشاد العامة اليوم من أصعب الأمور وأشقها على طالبه .

ماذا يمكن ان أقول ؛ أصبح الرجل يرتكب في وسائل العبادة أفتح المنكرات في الدين واذا دعي الى ترك المنكر نفر وزجر ، وأبى واستكبر ، انظر ماذا يصنع الموسوسون ومن يقرب منهم في الاستبراء من البول على مرأى من المارة وفيهم النساء والاطفال وهم يظنون انهم يتقربون الى الله بما يفعلون

هذا هو شأن العامة يرون ما ليس بدين ديناً ويصمم على حفظ الدين ارشادهم بفضل جهودهم على ماورثوا من ملقنهم بدون تعقل . فهذا معظم الامة تراه قد تخلص من أيدي منذريه ولو شاؤا لأقبل كل منهم على صاحبه وهو أيسر شيء على حملة الثرية وما هو الا ان يرجعوا الى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من سعة الدين وسماحته ، ثم العمل على حفظه وحياطته ،

الجلود ومتعلمو المدارس النظامية

ثم ان الجلود قد أحدث لنا فريقاً آخر وهو فريق المتعلمين على الطرق الجديدة إما في مدارس الحكومات الاسلامية وإما في المدارس الاجنبية داخل بلادهم أو خارجا عنها . لأنكم عن هذا الفريق في بلاد القرم أو القوقاس أو سمرقند وبخارى أو الهند فاني لأعرف كثيراً من أحوالهم ومن رأيته منهم رأيت فيه خيراً وأرجو أن يكون منهم لقومهم ماينتظره الاسلام من المارفين به فقد رأيت أفراداً قليلين من هؤلاء تعلموا في البلاد الأوربية ودرسوا العلوم فيها درساً دقيقاً وهم أشد تمسكاً بلب الدين الاسلامي وروحه من كثير ممن يدعي الورع والتقوى ولا يسمحون لأنفسهم بترك عادة صحيحة من العادات التي أورثها دينهم لقومهم فتم المتعلمون هؤلاء أكثر الله منهم

وانما أتكم عن هذا الفريق من المتعلمين في مصر وسوريا وسائر بلاد الدولة العثمانية . ساحة الاسلام وسعة حلمه للعلم أباحت للمسلمين أن يرسلوا أولادهم ليأخذوا العلم في المدارس الرسمية وغير الرسمية عن أساندة فيهم المسلم وغير المسلم أو عن أساندة كلهم غير مسلمين بل في مدارس لم

تبين الاترويج دين غير الدين الاسلامي . وأباحت امير آباء هؤلاء التلامذة ان
يسكنوا وان لا ينكروا عليهم عملهم مادامت العقيدة سالمة من الهدم والضمه
جود تلامذة المدارس الأجنبية : هؤلاء التلامذة ان كانوا في مدارس
أجنبية لا أثر لتعليم الدين الاسلامي فيها بل ربما يتعلم فيها دين آخر فقد
يسري الى عقائدهم شيء من الضمف وقد تذهب عقائدهم بالمره وتحتل
مكانها عقائد أخرى تناقضها كما شوهد ذلك صراخاً . ولو كان آباؤهم على علم
بطرق الاستدلال الإقناعية لمقائد دينهم لدعوا من عقائد أبناءهم
وحفظوها من التزلزل أو الزوال . وكيف يكون لاولئك الآباء شيء من
هذا العلم مع الجود على طرق قديمة لا يصل الى فهمها من ينقطع لتعلمها
فضلا عن أولئك المساكين . بل لو كان هناك مرشدون على طريقة
يسهل فهمها لتيسر لهؤلاء التلامذة أن يهتدوا بهديهم ولكن الجود صير
كل شيء صعباً وكل أمر غير مستطاع

فهذه جناية من جنایات الجود على أبناء المسلمين الذين يتعلمون في
مدارس أجنبية يخرجهم من دينهم من حيث لا يشعرون . وباليتم يستبدلون
بالدين رادعاً آخر من الأدب والحكمة كما يرجو بعض المفوررين الذين
لا يعلمون طبائع هذه الأمم أو كما يروجه بعض من لا يريد الخير بها .
ولكنه ترك أفتدتهم هواء خالية من كل زاجر أو دافع اللهم الا زاجراً
عن خير أو دافعاً الى شر فاتخذوا إلهم هوام ومامهم شهوتهم فهلكوا
وأهلكوا . ومن هؤلاء ورثة الاغنياء الذين تصيح من شرور أعمالهم
لجرائد كل يوم . فالجهل خير مما يتعلم هؤلاء بدون ربة وليت الاسلام
لم يرحب صدره لثل هذا الضرب من التعليم والتعلم .

حجج حرد ثلاثة المدارس الرسمية والأهلية :-

أما المتعلمون في مدارس رسمية أو غير رسمية للتعليم الديني فيها شيء من البقية، فهو لا ينشأون على شيء من المعارف في الفنون المختلفة وتقرر لهم حقائق في الإيكون السهاوي أو الأرضي أو في الاجتماع الانساني ومن عرف شيئاً انطلق لسانه بالخوض فيه وقد يسمعه متطاع ممن يلبس لباس أهل الدين وهو جاهل على الفاظ سمعها فلو سمع غيرها أنكره ووطنه مخالفاً للمعينة الصحيحة فيأخذ يلوم المتعلم ويوبخه ويرميه بالورق من الدين . هذا والمتعلم لا يشك في قوة دليله ولجهله بالدين يعتد أن ما يقوله خصمه منه فينفر من دينه نفرة من الجبل . ولو قال له قائل : ارجع الى كتب الدين تجد فيها ما يسرك وينصرك على نفسك وخصمك . حار لا يدري الى أي كتاب يرجع ولم يسهل عليه فهم تلك المبارات التي ورثها القوم على ما فهم من تشيت وتمقيد وأقواها كما ورثوها . فيود الى النفور من الدين نفور طالب الفهم مما لا يمكنه فهمه

لهذا يعتد أكثر هؤلاء ان الدين شيء غير مفهوم بل قد يسهه بعضهم خرافة « نعوذ بالله » فيأخذون عنه جانباً ويتركون عقائده وفضائله وآدابه ويلتصون لهم آداباً في غيره وقلما يجدونها فتراهم وقد فترت قلوبهم وقصرت همهم فلا يطلبون الا ما يطلبه العامة من كسب ممشة أو علو جاه ويسلكون الى ذلك أي طريق ولو أضروا بالعامة أو الخاصة . مادام الشرف محفوظاً، فاذا وجد بينهم من يدعي الوطنية أو النيرة الملية أو نمو ذلك فاقم ينثر الالفاظ ثراً لا يرجع فيها الى أصل ثابت ولا الى علم صحيح ولهذا يطلب المصلحة بلاده من الوجه الذي يؤدي الى التفسدة وهو يشمر

أولاً يشتر على حسب حاله . ومنهم من يصيح باسم الدين ولا تحرك نفسه
لمعرفة حكم من أحكامه أو درس عقيدة من عقائده فشانهم كلام في كلام
ولبس ما يصنعون . ولولا هذا الجمود لوجدوا في كتب دينهم وفي أقوال
حملته ما يتبجح به قلوبهم ؛ وتطمئن إليه نفوسهم ؛ ولذا فواطم العلم ، وأدوماً
بالدين وتمكنوا من نفع أنفسهم وقومهم ولوجدت منهم طبقة معروفة يرجع
إليها في سير الأمة وسياسة أفكارها وأعمالها الاجتماعية .

﴿ الجمود على نزول ﴾

(المقال الخامس لذلك الامام الحكيم . وفيه بيان علاج الداء)

تفصيل مضرات هذا الجمود وسيئاته يحتاج الى كتاب طويل فنكتفي
بما أوجزناه في النصفحات السابقة . ولكن ينبغي الكلام في أنه عارض
يمكن زواله ان شاء الله تعالى .

قد عرفت من طبيعة الدين الاسلامي بعد عرضها عليك فيما سبق
أنها تسمو عن أن ينسب اليها هذا المرض الحيث — مرض الجمود على
الموجود — وكفى في الكتاب من آية تنفر من اتباع الآباء مهما عظم أمرهم
بدون استمال العقل فيما كانوا عليه ولا حاجة الى إعادة ذلك . ثم اننا أشرنا
أيضاً الى بعض الاسباب التي جلبت هذا الجمود على المسلمين لا على الاسلام
وان محدثها إما عدو للمسلمين طالب لخفض شأنهم أو لاستبعادهم
والاستغلال أيديهم لخاصة نفسه . وإما عجب جاهل يظن خيراً ويميل
شراً وهذا الثاني كان أشد نكابة ، وأعون على التواية ، وهل نزول
هذه العلة ويرجع الاسلام الى سبته الأولى وكرمه القياض وينهض بأهله
الى ما ذخّر لهم فيه ؟؟

جاء في الكتاب المبين « إِنَّا نَحْنُ نُزِّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاطِقُونَ »
 ذلك الذكر هو الذكر الحكيم وهو القرآن الذي أُحكمت آياته ثم فسلت
 من لدن حكيم خبير ، وهو كما قال « كِتَابٌ فُتِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا مَرَجًا لِّقَوْمٍ
 يَعْلَمُونَ » وعد الله بحسن هذا الكتاب وقد أُتِمَّز وعده فلم تقطل إليه يد
 بشرية متاعية ، فأي يد عجب جاهل ، فبقي كما نزل ولا يضرم عمل القرنيين
 في تفسيره وتأويله ، فذلك مما لا يتسوق به فهو لا يزال بين دفتي المصاحف
 طاهراً تليها برقاء من الاعتلاف والاضطراب ، وهو إمام المتقين ، مستودع
 الدين ، واليه المرجع إذا اشتد الأمر وعظم الخطب وسئمت النفوس من
 الشجوط في الضلالات ، ولا يزال لأشعة نوره نفوذ من تلك الحجب التي
 أقاموها دونه ، ولا بد أن تتمزق كل أبا يدي أنصاره فيتلجج ضياءه لا عين
 أوليائه إن شاء الله تعالى

هذا الضياء كان ولا يزال يلوح لاممه في حنادس الظلم لأفراد
 اختصهم الله بسلامة البصيرة فيمدون به إليه ويحمدون سرهم ، بما عرفوا
 من نجاح مساهم ، ولكن الذين اطبقت عليهم ظلم البدع ، ورأى على
 قلوبهم ما كسبوا من التحزب للشيء ، وطست بصائرهم ، وفستق عقولهم ،
 بما حشوها من الأباطيل ، وبما عطلوها عن النظر في الدليل ، هؤلاء في
 عمى عن نوره وقلوبهم في أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرة يصيحون بأنهم
 عُمِّي صم فلا يرون له سناء ، ولا يسمعون له نداء ، ويمدون ذلك من كمال
 الايمان به ولبس ما رضوا لأنفسهم من السقه وطيش الحلم وهم يعلمون .
 هذا حال الجمهور الاعظم ممن يرضون بأنهم مسلمون ويحلبون البار على

الاسلام بدخولهم تحت عنوانه ، ويقرؤون جميع أعمدائه في حربه بزعيمهم
 الاجتماع تحت لوائه ، وما هم منه في شيء كما قدمنا
 هؤلاء لا بدأن يصيبهم ما أصاب الأمم قباهم فقد أتبعوا أسلافهم شرا بشير
 وذراعا بذراع وضيقوا على أنفسهم بدخولهم في جحر القنب الذي
 دخلوه ^(١) ومن أتبع سنن قوم استحق الوقوع تحت أحكام سنن الله فيهم
 فإن مخلص مما قضى الله في عذابهم . فقد قص عليهم سير الاولين وبين لهم
 ما نزل بهم عند ما انصرفوا عن سنته وحادوا عن شرعه ونسبوا كتابه
 ورواهم ظريفا . أحل بهم النكاح ، وضرب عليهم المسكنة ، وأوثق غيرهم
 أرضهم وديارهم . فهل ينتظر المتبوءون سننهم : السائرون على أثرهم : أن
 ينع الله بهم غير الذي صنع بسابقتهم وقد قضى بأن تلك سنته . إن
 تجد لسنة تبديلا

لا تزال الشدائد تنزل بهؤلاء المنتسبين الى الاسلام ولا تزال القوارع
 تحمل بديارهم حتى يفيتقوا (وقد بدأوا يفيتقون من سكراتهم) ويفزعوا الى
 طلب النجاة ويسألوا قذى المحدثات عن بصائرهم ، وعند ذلك يجدون
 هذا الكتاب الكريم في انتظارهم يُدِّدُ أَمْرُهم ووسائل الخلاص ويؤيدهم في
 سبيله بروح القدس ويسير بهم الى منابع العلم فيفتقرون منها ما يشاؤون
 فيمرفون أنفسهم ويشهدون ما كان قد كن فيها من قوة فيأخذ بعضهم بيد
 بعض ويسيروا الى المجد غيرنا كلين ولا مخذولين . ولهذا أقول : ان
 الاسلام ان يقف عثرة في سبيل المدنية أبداً ولكنه سيهبطها وينقيها من

(١) النار : في الكلام اشارة الى حديث « لتبعن سنن من قبلكم شرا بشير
 وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » الحديث رواه الشيخان وغيرهما

رضارها وستكون المدنية من أقوى أنصاره متى سرفته وعرفها أهله. وهذا
الجمود سيزول وأقوى دليل لك على زواله بقاء الكتاب شاهداً عليه بسوء
حالته ولطف الله بتيقن أناس للكتاب ينصرونه، ويدعون اليه ويؤيدونه،
والحوادث تساعدهم، وسوط عذاب الله النازل بالجامدين ينصرهم،
هذا الكتاب المجيد الذي كان يقيم العلم حينما سار شرقاً وغرباً لا بد
أن يعود نوره إلى الظهور ويمزق حجب هذه الضلالات ويرجع إلى
موطنه الأول من قلوب المسلمين وبأوي إليها العلم يقيم وهو خليه الذي
لا يأنس إلا إليه، ولا يعتمد إلا عليه،

يقول أولئك الجامدون الخاملون كما يقول بعض أعداء القرآن :
إن الزمان قد أقبل على آخره ، وإن الساعة أوشكت أن تقوم ، وإن ما وقع
فيه الناس من الفساد ، وما مني به الدين من الكساد ، وما عرض عليه من
الذل ، وما نراه فيه من الخلل ، إنما هو أعراض الشيخوخة والحرم ، فلا
فائدة في السعي ولا ثمرة للعمل ، فلا حركة إلا إلى المدم ، ولا يصح أن
يمتد بصرتنا إلا إلى المدم ، ولا أن ننظر من غاية لأعمالنا سوى المدم ،
(نمود بالله) هؤلاء حقة الجهل وأعوان الناس يهرقون بما لا يعرفون .
ماذا عرفوا من الزمان حتى يعرفوا أنه كاد ينقطع عنده نهاية ؟ إن الذي
مضى بيننا وبين مبدأ الإسلام ألف وثلاثمائة وعشرون عاماً وإنما هي يوم
وبعض يوم أو بعض يوم فقط من أيام الله تعالى . وإن آيات الله في الكون
ـ وإن كانت تدل على أن ما مضى على الخليفة يقدر بالدهور الدهاير ، ـ
تشهد بأن ما بقي لهذا النظام العظيم يقصر عن تقديره كل تقدير ؛ « فالهؤلاء
القوم لا يكادون يفقهون حديثه » . إن ما بيننا وبين مبدأ الإسلام لا يزيد

عن عمر ستة وعشرين رجلاً كل رجل يعيش خمسين سنة. فهل يعد مثل ذلك دهرًا طويلاً بالنسبة إلى دين عالم كدين الاسلام؟ ان زماناً كهذا لا يكفي — وقد تبين انه لم يكف — لاهتداء الناس كافة بهديه . ولم تقوم القيامة على الدين ولم تقم على شرهم وطمعهم ؟

قد وعد الله بأن يتم نوره وبأن يظهره على الدين كله فسار في سبيل التمام والظهور على العقائد الباطلة أعواماً ثم انصرف به أعداه عن سبيله وصاروا به إلى ما يرون ونرى . ولن ينقضي المالم حتى يتم ذلك الوعد ويأخذ الدين بيد العالم ويتأولنا معاً على تقويم العقل والوجدان فيدرك العقل مبلغ قوته ، ويمرر حدود سلطته ، فيتصرف فيما آتاه الله تصرف الراشدين ، ويكشف ما يمكنه فيه من أسرار المالمين ، حتى اذا غشيت سبحات الجلال وقف خاشعاً ، وقنل راجعاً ، وأخذ أخذ الراسخين في العلم الذين قال فيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) فيما روي عنه : « هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الثيوب ، الاقوار بمجمل ما جعلوا تفسيره من الثيب المحبوب ، فمدح الله اعترافهم بالبرز عن تناول المايلين لوجه المايلين ، حتى تراءى لهم التسليم في المايلين ، فاستبشروا به ، واعتبر به ذلك بقوله : « فاقترع على ذلك ولا تقدر منظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من المالكين . هو القادر الذي اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطعاً ^(١) قدرته ، وحاول الفكر البرأ من خطرات الوسواس ان يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته ، وتولت ^(٢) القلوب اليه لتجري في كيفية صفاته ، ونهنت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته ،

(١) المنقطع ما يتقطع عند النهي وهو آخره (٢) تولت اشتد عشقها

يدعها وهي: «يوب - هاوي - سدف»^(١) النيوب متخاضة اليه سبحانه، فرجعت
بذخبت^(٢) معترفة بأنه لا ينال مجور الاعتساف كنه معرفته، ولا تخنل
ببال أولى الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته.

هناك يلتقي (أى العقل) مع الوجدان الصادق (القلب) ولم يكن
الوجدان ليدبر العقل في سيره داخل حدود مملكته متى كان الوجدان
سليماً، وكان الاستثناء به من نبراس الدين صحيحاً، إياك انت تعتقد ما
باعتقده من السذج من ان فرقاً بين العقل والوجدان (القلب) في
الوجهة يقتضى الفارقة والفرزة. فأنما يقع التخالف بينهما عرضاً عند
عروض الملل والأمراض الروحية على النفوس. وقد أجمع العقلاء على
ان المشاهدات بألس الباشى (الوجدان أو القلب) من مبادي البرهان
العقلي كوجدانك أنك موجود ووجدانك لسرورك وحزنك وغضبك
ولذتك وألمك ونحو ذلك.

منحنا العقل للنظر في الغايات؛ والأسباب الميسيات؛ والفرق بين
البسائط والمركبات؛ والوجدان لا يدرك ما يحدث في النفس والذات من
لذائذ وآلام؛ وهلع واطمئنان؛ وشماس وإذعان؛ ونحو ذلك مما يذوقه
الإنسان؛ ولا يحصيه البيان؛ فها عينان للنفس تنظر بهما - عين تقع على
القرب؛ وأخرى تمتد الى البعيد؛ وهى في حاجة الى كل منهما ولا تنفع
بأحدهما حتى يتم لها الانشاع بالأخرى. فالعلم الصحيح مقوم الوجدان؛
والوجدان السليم من أشد أعوان العلم؛ والدين الكامل علم وذوق؛
عقل وقلب؛ برهان وإذعان؛ فكر ووجدان؛ فإذا اقتصر دين على أحد

(١) السدف جمع سدف كظلمة لفظاً ومعنى (٢) حُبضرت حبيته ورُدَّ

الأمرين فقد سقطت إحدى قائمتيه وهيات أن يقوم على الأخرى .
ولن يتخالف العقل والوجدان حتى يكون الإنسان الواحد إنسانين ؛
والوجود الترد وجودين ؛

قد يدرك عقلك الضرر في عمل ولكنه تمله طوعاً لوجدانك ؛
وربما أيقنت المنفعة في أمر وأعرضت عنه إجابة لدافع من سريرتك ؛
فتقول : إن هذا يدل على تخالف العقل والوجدان . ولكني أقول : إن
هذه حجة من لا يعرف نفسه ولا غيره . عليك أن ترجع إلى نفسك
فتلحظ من أحد الأمرين -- إما أن يقينك ليس يقين وأنه صورة
عرضت عليك من قول غيرك فأنت تظنها علماً وما هي به . وإما أن وجدانك
وهم لا يمكن فيك ؛ وعادة رجحت في مكان الثقة منك ؛ وليس بالوجدان
الصحيح وإنما هو عادة ورثتها عن حولك وظننتها شعوراً متنبه الغيرة
وما هي منه في شيء .

(نتيجة) : لا بد أن ينتهي أمر العالم إلى تأخي العلم والدين ؛ على سنة
القرآن والذكر الحكيم ؛ وبأخذ العالمون بمعنى الحديث الذي صح معناه ^(١)

(١) انظر -- قال ابن راقى : رواه أبو نعيم في الحلية بالرفع . -- إسناده ضعيف
ورواه الأصمعي في الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه . ورواه الطبراني
في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث بن عمر وقال : هذا إسناده في نظر . قلت
فيه الزايع بن نافع متروك . وقال الزبيدي في شرح الإحياء : قلت حديث ابن عمر
لفظه « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » هكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب
التفكير وأبو الشيخ في العظمة والطبراني في الأوسط وابن عدي وابن مردويه والبيهقي
وضعفه والأصمعي وأبو نصر في الإبانة وقال غريب . ورواه أبو الشيخ من حديث
ابن عباس « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون قدره » ورواه
ابن النجار والرافعي من حديث أبي هريرة « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في

« تفكروا في خلق الله ولا تَكْفُرُوا في ذات الله » وعند يكون الله قد أتم نوره ولو كره الكافرون ؛^(١) وتبهم الجاهلون القانطون ؛ وليس بينك وبين ما أعد لك به الا الزمان الذي لا بد منه في تنبيه النافل ؛ وتعليم الجاهل ؛ وتوضيح المنهج ؛ وتقويم الأعوج ؛ وهو ما تقتضيه السنة الالهية في التدريج « سنة الله في الدين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » « إنهم يروونه بعيداً ونراه قريباً » « ان تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » وهو خير الناصرين .

(السلام بقية)

﴿الوفاء الاسلامي الانكليزي﴾

لقد أذن الله للمسلمين أن يهبوا من رقادهم ، ويسترجعوا مجد أجدادهم ، وقد سبق لنا ان قلنا في مقالة نشرت في الجزء الرابع من المجلد الثالث ان مجد الاسلام قام على أساسين وأنه هدم بهدمهما وانما يعود بإقامتهما وهما استقلال الفكر و استقلال الارادة أما الأول فأقامته بالاجتهاد في علوم الدين والدنيا وأما الثاني فأقامته بالقوة الحـ مانهناك . وقد لاحظ من قرأ مقالة (مسترد . ج . كوربت) الانكليزي الذي عربها جريدة المؤيد ونشرتها في ستة أعداد وذكرا أن أقطاب مسانئها في نحو صفحتين من الجزء للمناخي أن هذا الكاتب السياسي بني دعوة قومه الى الاتفاق مع المسلمين على أمرين (أحدهما) ان دين الاسلام دين مدنية يمكن لمتبعيه ان يتفقوا مع أمة راقية كالأمة الانكليزية ويسمروا معها في كل طريق من طرق العمران فتنتفع بهم وينتفعوا بها . وهو يشترط في ارتقاؤهم ، ما يشترطه أشهر فضلائهم ، وهو إطلاق العقل من القيود والاغلال ، وتمتعه بتمعة الاستقلال ، والتربية الدينية ، التي تميد اليهم صفات

الله . الخ . وتعدد هذه الروايات واجتماعها يكسبها قوة والمضى صحيح كما قال الحافظ السخاوي في المقاصد . (١) الكافر من يرى الدليل فيصد عنه ولا ينظر فيه أو ينظر فيعرف الحق ثم يثاري فيه وينكره فتادا . اهـ من هامش الأصل

(٦٩ — النار)

الرجولية . و (ثانيهما) ان ناعلم ان فوبين و عديدين آتيا وهي الأمة الافريقية .
 وأخرى في أفريقيا وهي الفرقة السنوسية . وقيل الكاتب ان الواجب على الانكليز
 أن يستعينوا بمسألة القوتين . على تمكين ساحلهم في القارتين . وذلك بجعل مصالحهم
 متفقة مع مصالح الأمة الاسلامية . ومساعدتها على العروج في معارج اندسية . فلما أمة
 واحدة لاجنية فيها ولاوطنية . (فليتم الأحداث الذين يفرقون بين المصري
 وانشاسي ، والمصري والحجازي)

هل نحن في حاجة الى مساعدة دولة قوية حدية كالدولة الانكليزية ؟ وهل الدولة
 الانكليزية في حاجة اليها ؟ نعم ولكن فرقا بين الحاجتين . نحن نحتاج الى مثل الانكليز
 الذين هم السلطان الرسمي وغير الرسمي على نحو بعضنا لأجل الترويض والقيام ، وهم
 يحتاجون اليها لأجل الثبات والدوام . ونحن نحتاج اليهم في الحال ، وهم يحتاجون
 اليها لأجل الاستغفال . وهل يصدق الانكليز في مساعدتنا على الترويض والقيام ؟
 صدقناهم ؟ نعم اننا قلنا صدقوا ولن يقولوا حتى يستقدوا بأن المصلحة في ذلك وحتى
 ينشأ بنا . وقد رأينا هذا الكاتب منهم يحاول إقناعهم بالمصلحة وتكوننا أهلا لتلقا
 وقد سبقه الى ذلك غيره من كتابهم وعلمائهم فهل وجد قينا من حاول إقناعنا بذلك
 مع أننا أحوج الى الوفاق منهم إذ من البديهي أن الحكوم الجاهل الضعيف أحوج
 الى مرضاة حاكمه العالم القوي . ولكن الجاهل يتمه الجاهل ان يعلم المصلحة وإذا
 علمها يتمه الضمف ان يدعو قومه اليها لأن الجاهلين إنما يتخاضعون بما يرون لا بما
 ينصفون . رأيت كيف كان السيد احمد خان ظننا في قومه منهمما في بلاده عند مقام
 يدعو الى الوفاق بين مسلمي الهند وحكامهم من الانكليز ؟ لا جرم ان هذا هو شأن
 الجاهل ولكن المسلم انما يتسلطون به وإذا ذلك لا يلائم من يجرى في مصر
 من دعوة الخروم السيد احمد خان عشر مستشار ما بقي من الهيئة وما عالى من سراره
 التهمة وان كانت مصر ليست من الامبراطورية البريطانية كالمند

المسلمون في مصر عرفوا ما كان عليه اخوانهم مسلمو الهند أيام الحقاء بينهم وبين
 الانكليز وعرفوا ثمرة دعوة احمد خان وثمره مدرسته في حفظ حقوقهم ومصالحهم
 بالوفاق مع الانكليز واسترجاع ما كان سلب منها بالتدريج . وظهر لهم خذلان أحداث
 السياسة الذين حملوا العاق بالتفجير من الانكليز منبعا للمال ومنبرا للجهل وعلموا أنهم
 فاشون خادعون ضالون مضلون فتغيرت الأحوال وصار شيخ الجامع الأزهر يزور عميد
 الانكليز في مصر وشاعرا الخديو يمدح ملك الانكليز وينشر ذلك في الجرائد التي تنسب الى

الانكليزوايس هذا ولا ذلك نحن نضطرهم وظيفتهم أو قد يسيئهم بأن يفعلوا ما فعلوا
 اننا نعلم مع هذا ان اكثر المسلمين يرتابون في تحقيق هذا الوفاق ولو عرفوا
 مصالحهم ومصالحة القوم بالبرهان لما كان لهم أن يرتابوا . ان من مصالحنا التي
 لا نشك فيها ان تكون تربتنا اسلامية دينية ونرى الانكليز الداعين الى الوفاق يرون
 اننا في هذا . ان من مصلحتنا ان نكون رجالا مستقلين في علومنا وأعمالنا ونرى
 الانكليز يدعوننا الى ذلك ويقولون انه يساعد على الوفاق بيننا وبينهم . ان من
 مصالحنا احياء اللغة العربية لغة الكتاب والسنة واللغة الجامعة للأمة ونرى الانكليز
 يوافقونا على ذلك . فهل ترتاب في ان شيئا من هذه الأمور هو من أهم مصالحنا ؟ كلا
 يقول قائل : ان كاتب المقالة وطائفة من الكتاب والسياسين الانكليز قالوا بهذا
 القول ولكن الدولة لم تقل به ولم ينتشر بعد فصر رأيا للأمة البريطانية فنقول ان
 الحكومة تضطر الى مجازاة الأمة . فهل نخدع لقول بعض الكسابين ، ونشق بمن
 لا يتفق معنا في لغة ولا جنس ولا دين ؟ ونقول في الجواب : قد قال مثل ما قال
 هؤلاء حاكم الهند العام الذي يحكم مئتي مليون من النفوس منهم نحو تسعين مليوناً من
 المسلمين أو زهاء خمسة أضعاف ما يحكمه الدولة العلية من المسلمين . وعب أنه لم يقل بذلك
 أحد من الحاكين البريطانيين فأنا سألك : أي خدمة تقدمها أنت وقومك للانكليز
 جزاء على اعتقادك باخلاصهم في حب الوفاق معكم فتخاف ان تضيع هذه الخدمة
 مع من لا يستحقها ؟ لو أن هذه الدولة محتاجة إلينا اليوم في عمل احتياري وهي
 تحطب ودادنا لخدمتها به لكان لنا ان نقول : انه يجب علينا أن نأخذ بالاحتياط
 ولا نخسر عملنا حتى نشق بصدق مجاملتنا .

يقولون لنا بلسان حلهم أو بلسان مقالهم : ربوا التربية الدينية ، وأنصروا بصفات
 الاستقلال والرجولية ، وتعلموا العلوم الفنون ، وحصلوا المال والزروة ونحن
 نساعدكم على ذلك . فهل من الاحتياط ان لا نشغل بشئ من ذلك لأن هذا قوة
 بالقوم ولا ينبغي لنا ان نشق بهم الا بعد قيام البرهان على صدقهم . كيف يكون هذا
 وان ما يصدر عنهم هو عين البرهان على صدقهم .

يقول القائل : اتهم بخادعون يمثل هذه الأقوال أمير الافغان والسوسي ليكون الأول
 معهم على روسيا وليأمنوا من اغارة الثاني على السودان . ونقول ان هؤلاء الكتاب
 يخاطبون دولهم وان حاكم الهند كان يخاطب رعيته المسلمين ومثله حاكم سيراليون (راجع
 صفحة ٧٠٧ من المجلد الرابع) فهل اتفق هذا وهو في غربي أفريقيا مع ذلك في شرقي

آسيا على مخادعة السنوسي الذي لا يسمع خطابه ولا يقرأ الجرائد فيعرف خبرها ؟
نعم ان أمير الافغان يعرف أحوال الهند وما يقول حاكمها . ولكن حاكم الهند العام
لا يقول للمسلمين : « انني لو كنت مسلماً لما أضعت من وقتي خمس دقائق من غير
فكر في ترقية شأن الاسلام » ولا ينصح للمسلمين بأن يقيموا التربية الدينية ويمدهم
بمساعدة الحكومة لهم لمجرد المخادعة فانه انما كان مخاطب قوماً عظمين بمخاطب رجال
التربية الاسلامية في احتفالهم العام بمدرسة عليكده . فقوله هذا أكبر منشط لهم
بالفعل . ثم ما كان لأمر الافغان أن يتخدد بالاقوال ، التي لا تنطبق على الاعمال ،
يقول هذا القائل : ان هؤلاء الحكام يقولون هذا ليطمن المسلمون الى حكومتهم
وهم يعلمون ان المسلمين لا يعلمون . وتقول : اذا كنت أيها المسلم أسوأ ظناً
بقولك منك بالانكليز فلا تجمل الذنب على خير الفريقين ولكن اجماله على شرهما
وهو من يقال له اعمل لنفسك فلا يعمال ثم يعتذر بأن من يقول له اعمل غير
مخلص في قوله . واعلم ان عقلاء المسلمين لا يرضون لانفسهم ما وصفهم به وأن
الانكليز لم يقولوا ولن يقولوا للمسلمين اقموا ونحن نسي لكم . وأنهم ان قالوا
لرعاياهم : اعملوا ونحن لانعارضكم فاهم الشكر . فان زادوا وقالوا ونحن نساعدكم
فاهم الفضل العظيم فان سائر المستعمرين من الافرنج يتمتعون رعاياهم ومن في حنايتهم
من غير اهل دينهم من التعلم ، وكل وسائل التقدم .

هذا الوفاق يراه المصريون رأياً جديداً ويراه سائر العثمانيين قديماً فهو رأي أكثر
وزراء الدولة وساستها ولكنه كان وفاقاً انكليزياً تركياً . وكان عليه العمل بين الدولتين
ولا تنسى مساعدة بريطانيا العظمى للدولة العلية في الحروب الروسية حرب القرم وما
بعدها . ثم راخت عرى الصلة بينهما بعد احتلال انكلترا مصر وكادت سياسة المستر
غلاستون الحمسية تقطع تلك العرى قطعاً بما ظهر من تمصه على الدولة وعلى
الاسلام في ابان الفتنة الأرمنية . وكان من أثر ذلك توثيق عرى الصلة بين السلطان
وعاهل الالمان وضمف نفوذ الانكليز وكسدت تجارتهم في البلاد العثمانية حتى قال
البرنسر ، بسمرك ما معناه : ان للملم غلاستون قد هدم بشفتشته الحققي ما بنته دولته
في نحو قرن . ولا يزال أكثر نبياء العثمانيين يفضلون الانكليز على كل دولة أوربية
وهذا كله مبني على قاعدة مسأمة عندهم وهي انه لا بد للدولة من الاعتماد على دولة أوربية
في سياستها الخارجية

الدولة الانكليزية به ورأينا الجريدة السياسية الكبرى للمسلمين في مصر (المؤيد) موافقة عليه ولا يوجد في مصر جريدة سياسية غيرها يعتقد المسلمون برأيها في مصلحة المسلمين . الا أن هؤلاء يرتابون في انكليز مصر أن لم يرتابوا في انكليز الهند وحينهم في الارتباب ما ذكره المؤيد ويذكره جميع الناس من تصرف المستر دنلوب في المعارف تصرف من يريد إضافة اللغة العربية والدين الاسلامي في مدارس الحكومة . واستفاد عمل المستر دنلوب بجمع عليه في مصر لا يختلف فيه مع المسلمين التبسط والسيوريون فهو منتقد في غير ما ذكرنا من أمر اللغة والدين . ولا ينسب عمله الا الى سياسة دولته ، وان كان يجوز انه خطأ في ادارته .

والذي يكشف عن وجه الحق في هذه المسئلة وأشباهاها هو أن يرجع بعض الوجهاء المقلاء الى من بيده أزمة سياسة هذه البلاد وهو اللورد كرومر وينبوا له الضرر فيما يتقصدونه ضاراً للبلاد أو للمسلمين في لغتهم أو دينهم فان أشكاهم وأزال الضرر فليهم أن يعتقدوا أن الانكليز لا يريدون بالمسلمين سوما وانما يجنون أن يتفموا من بلادهم ويتفهمهم جزاء على ذلك . وان تبين له الضرر وأصر على إبقائه فليهم أن يسيروا الظن بدولته وأن يعتقدوا أن هذه الأقوال التي تقال في الخطب والكتب والجرائد تقرير وتعمية . اما نحن فنظن انه لا يفتتح منهم بمضرة الا ويزاها قياساً على من كلف في شأن ابطال النيابة من الحاكم وبين له ان ذلك ضار بالبلاد فكذلك قتل الاتفاق على ذلك بعد توكيده . وعلى من كلف في مسئلة بيع الدائرة السنية وبين له مضرة الفلاحين فيه فقفص الاتفاق بعد ابرامه . ومثل ذلك كثير .

ونحن البحث بقول ينبغي أن نكرره دائماً وهو أن من لا يميل لنفسه فلا يصح ان يطالب غيره بأن يميل له . ومن كان معسراً في حفظ حقوقه فلا يلوم من غيره اذا قصر فيه . ومن عرف نفسه وعرف مكانه ممن يبعث معهم لا يُظلم ولا يهضم . ومن أعطي الحرية في العلم والعمل ، فليس له عذر في التقصير والكسل ومن لحرف قوة الرابطة الاسلامية ، لا يقطعها بمعية الوطنية فلو أن المسلمين كالجسد الواحد كاورد في الحديث لما طلب الانكليز الوقاف معهم ، ومن ظلم نفسه كان . جديراً بأن يظلمه غيره . اذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

والسلام على من ندير القول فحكم عليه لا على القاتل ، وكان همه منه التمييز بين الضار والنافع والحق والباطل .

اتان على الحسنة

﴿ الهدايا والتقاريف ﴾

(تاريخ المدن الاسلامي) كتاب جديد يشتمل بتأليفه صديقنا المؤرخ المتصف جرجي أنقدي زيدان صاحب مجلة الهلال الشهيرة « وهو يبحث في نشوء الدولة الإسلامية وتاريخ صالحها الإدارية والسياسية والمالية والجندية وسعة مملكتها وبيان زرونها وحضارتها وأبنائها وأحوال خلفائها ومجالسهم وقصورهم وكل مايتعلق بهم وتاريخ العلم والصناعة والأدب والشعر والآداب الاجتماعية والماديات والأخلاق في إبان ذلك المدن وعلاقته بالمدن الحديث » وقد صدر الجزء الأول منه في هذه السنة وفيه من للباحث المهمة (١) بحث (العرب والمدن) وفيه تبين أن العرب عديقون في المدن وأولو استعداد له راسخ فيهم . و (٢) عصر الجاهلية في الحجاز و (٣) حكومة العرب في الجاهلية و (٤) النهضة العربية قبل الاسلام أي استعداد العرب لظهور الاسلام فيهم بأرقاء عقولهم وآدابهم واحساسهم بضع خواصهم بالحاجة الى الاجتماع . و (٥) الدعوة الإسلامية . و (٦) الروم والفرس عند ظهور الاسلام ، وما كانوا عليه من الفساد والانقسام ، و (٧) انتشار الاسلام وأسبابه . ومثل هذه للباحث يراها الجاهل طمناً في الاسلام لأنها تبين أنه قام على سنن الكون للعقولة والسلم العالم يراها مؤيدة للاسلام ومينة لبعض حقائقه لأن من مقاصد هذا الدين ترقية العقل وهدايته الى سنن الله في الخلق ليسير عليها حتى يبلغ كماله وما هو بدين القرآن والمعجيات

ومن مباحثه الكلام في الخلفاء الراشدين والفتوحات الإسلامية والدولة العربية في الشرق والغرب . والكلام في الخلافة والولاية والوزارة والجند والسلاح ونظام الحرب والاساطيل أو بيت المال وموارده ومصادره والقضاء والحسبة . والكتاب مزين بالرسوم وصفحاته ٢٠٣

يرى القارئ ان هذا وضع في العربية جديد بهذا الزيب والتوبيج وبحكم بالاجال قبل أن يراه بأنه وضع مفيد ، وان الأمة في اقتدار اليه شديد ، وقد قدره الباحثون في التاريخ من المسلمين قدره اذ تصدى غير واحد منهم لاستقاده فكتبوا في المؤيد مقالات يظهرون فيها ماعده عليه من الخطأ في بعض المسائل وقد رد المصنف على بعض من كتب واعترف ببعض الخطأ وأشار الى سيده وأنه غير مهم . وقد

كما شرعنا في قراءة الكتاب بالدقيق لنتقده بما يظهر لنا ولما رأينا شواغلنا الكثيرة لانسحب لنا بإتمامه إلا بعد عدة أشهر ورأينا المناقشة في أمره كثرت رأينا من حقه علينا أن نادر إلى التنويه به والاعتراف بأنه مثال مفيد لقراء العربية ولكن مسائله لا تؤخذ قضايا مسلمة فعلى من اطلع على النقد والرد أن يحكم الإنصاف وقواعد العلم مع النقل وعلى من لم يطلع على ذلك أن يراجع الكتب فيما يراه محلا للتوقف . أقول هذا وأنا واثق بأن مؤلف الكتاب لم يكتب إلا ما اعتقده مع حسن النية وصحة القصد . وأوضح دليل على ذلك أحجُّ به من أساء به الظن من المسلمين لانه غير مسلم هو أنه أثبت أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قام بالدعوة وهو موثق بأنه مرسل من الله تعالى وأنه لم يكن طالب ملك ولا مال ولا جاء بل طالب إصلاح أئمه الله تعالى القيام به ولما نأتمود إلى استقاد الكتاب بعد إتمام مطالعته . أما نتمه فنسرون قرشاً وهو يطلب من مكتبة الحلال بالقبالة

(المروءة والوفاء) أو الفرج بعد الضيق . قصة عربية جاهلية حدثت في الجزيرة من العراق العربي بين القريتين قرب الحورنق والسدير على ضفة الفرات قبل الاسلام في يوم يؤس النعمان بن المنذر . وقد نظمها ومدفها ما شاء فقيد بيت الأدب الشيخ خليل اليازجي بن الشيخ ناصيف اليازجي الشهير ومثلت في بيروت على عهد الناظم . وقد طبع في هذه السنة بمطبعة المعارف الشهيرة بأقنان الطبع . وقد قرأنا منها جملة فاذا شعر بحرر . وهو على صاحبه لا ينكر . ونحن النسخة خسة قروش وهو نحن لا يذكر

(الهديب) . جريدة تهذيبية أدبية علمية تاريخية دنية لطائفة الاسرائيليين القرايين بمصر . يحررها الأديب الأصولي مراد افندي فرج الحامي . وهي تصدر في شكل كراسة وقيمة الاشتراك فيها عشرة قروش تدفع الى (الحاخامخانة) أنشئت الجريدة في العام الماضي وقد أهدانا جناب الحاخام الفاضل ورئيس اللجنة المالية للجلد الأول منها فالفناء طامحاً بالمباحث التاريخية والأدبية والدينية . وقد كنا نتعجب قبل العلم بهذه الجريدة للشعب الاسرائيلي كيف لا تكون له جريدة علمية أدبية أو مليحة في مصر مع ارتفاع الاسرائيليين في العلم والأدب والثروة والرابطة المالية . وقد سرنا من هذه الجريدة عدم تعريضها بما يسوء أحد العلوائف . ولا غرو فأدب الاسرائيليين المالية تعقي بذلك (السعادة) مجلة نسائية علمية تهذيبية تاريخية فكاهية تصدر في الشهر مرتين

صاحبها وبناتها رويها بواد. وقد نصحنا المدد ثامن منها الصادر في (١٥)
 أكتوبر) قذاهم مفتوح ثلاثة في (الاطاع عن النساء) تناقض فيها الرجال الجامعين ،
 الذين يرون حرمان الآتى من التعالم من الدين ، ويلها وصية من والده لابنتها وهي
 وصية تدور على وجوب قيام المرأة بتدبيراتها بنفسها وان كانت غنية ووجوب تحييا
 لى زوجها حتى يرى سعادته مرتبطة بها . ويتلوها مقالة في المرأة لصاحب المطبعة
 التجارية بعد بضعة أسطر غربية في خبر غريب عنوانه « دير في سفينة » وهو ان وهان
 جبل أثوس اتخذوا لهم سفينة في البحر ديرا ، وللمهم يجرنون فيها على الاعمال البحرية
 كما يجرنون في أديار الحيل المقدس على الاعمال الحربية . لأنهم كما قال رهبان من اهل
 بارشاد روسيا . وسيكون لهم شأن في مستقبلها مع تركيا .

هذا وان المجلة مؤلفة من ثلاث كراسات وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشا
 مصريا في مصر و١٦ فرنكا في خارجها فمضى أن تلقى رواجها ونجاحا

(أسرار القصور) — قصة وضعية تبحث عن ماهية الروح ومعالها من الجسد
 وعن التنويم المغناطيسي الشائع بأوروبا وعن الزار والتدليل بالقطار الشرقية . مؤلفها
 محمد افندي حسين محرر جريدة البوسنة وقد كتب في مقدمتها انه نشر فيها رأيا له منذت
 سنين ، وكان سنة ثلاثا وعشرين ، وهو اليوم لهذا الرأي من المتقدين ،

(المصري) « جريدة أسبوعية علمية مدرسية تصدرها جمعية التلامذة الاسلامية »
 ومحررها مدير الجمعية علي أفندي عبدالكريم . يطفو في مصر كثير من هذه الجرائد
 الصغيرة ثم يرسب بل يدوم ثم يخفي ولا يذكر منها شيئا لعلنا بأننا في حكم البصم .
 ولكن للتلامذة عندنا شأنا كبيرا وبأيت شأنهم عند أنفسهم كذلك . لهذا نقول انه
 يسرنا أن توجه نفوسهم الى الأعمال الاجتماعية فيتكلموا بأنسبتهم وأعلامهم عنها في
 وقت التعليم ليقوى استمدادهم ويكمل رشادهم ، حتى اذا صاروا في سن السمل
 كانوا من العاملين . ويسرنا جدا أن ترضى جمعية التلامذة الاسلامية لنفسها
 إصدار جريدة تطبع على أردأ الورق وتخوض في الموضوعات الحسنة والمزلية ،
 والاشعار الحمزية والفرازية ، فان المرأ المهذب يحفظ احسن ما يسمع ويقول احسن
 ما يحفظ وهو مع هذا يتساهل في القول ملا يتساهل في الكتابة التي يمرض فيها عقله
 وأذنه وأخلاقه على الناس أجمعين . فمضى أن يلتفت من يصدر هذه الجريدة الى قبول
 نصيحتنا باختيار الحسن من الكلام والورق حفظاً لكرامة التلامذة وقادتهم واهل الموقف

﴿ الاحتفال بافتتاح بمدرسة بني مزار ﴾

أنشئت في هذه السنة مدرسة خيرية اسلامية في بني مزار من مديرية النيا بتعاون أهل الخير والبر وقد أسبغت ادارتها بالجمعية الخيرية الاسلامية التي انشأتها بمساعدة الأهاليين فهي ليست كإستمدارس الجمعية خاصة بأولاد الفقراء وخالية من اللغات الأجنبية بل هي كالمدراس الابتدائية الأميرية الا ما يرجي من زيادة العناية فيها بأمر الدين . وتعلم فيها أولاد الاغنياء بأجرة قليلة . وقد كان افتتاحها في يوم السبت الماضي باحتفال رأسه الأستاذ الشيخ محمد عبده رئيس الجمعية الخيرية وحضره الوجهاء والفضلاء في مقدمتهم سعادة مدير النيا وقاضي المديرية ورئيس لجنة للمدرسة حسن بك عبدالرازق الصوفي في مجلس شوري القوانين عن مديرية النيا . وقد كتب النيا المحامي الفاضل حسن افندي عبد الرزاق تفصيلا عن هذا الاحتفال لحضائه بما يأتي

لما كل نظام المحفل قام الأستاذ الرئيس خطيباً فبدأ بالبسملة وفتح الكتاب والصلاة والتسليم ، على النبي الهادي الى الحق والي طريق مستقيم ، وأعلن افتتاح للمدرسة . ثم شكر للتبرعين بإنشاء المدرسة غيرتهم وفضلهم ومما قاله لهم . انكم انفقتم في خير سبيل ، وتاجرتهم أربع متاجرة . فان هذه المدرسة ملككم لو أن العلم بملك وما الجمعية الخيرية الا نصيرتكم في عملكم وهي لا تنفي في معاومتكم باذن الله تؤمل ان تكونوا سواعدها وأعضاده . ثم قال . ان ما فرض على التلامذة الموسرين من أجر التعليم (وهو ثلاث مئة قرش سنوياً) ليس مما يضيق به صدر الكريم ، وتسلمون أن نفقة التلميذ في المدارس الأخرى تبلغ ثمانية جنيهات في السنة أو تزيد ولو أنكم دفعتم في مدرسة في لكم ضعف . تدفعون في مدارس غيركم لكنتم الراجحين لان فرقاً بين من ينفق في بناء دار هي له ومن ينفق على دار مستأجرة

ثم قال ما ملاحظه : لا تريد ان تخاطب الموسرين الذين أغوتهم شره الفنى وأسكرتهم خمره الشباب فخذفوا بأموالهم في هوة الضياع وصرفوا الطارف والتبد . فيما يضر وما لا يفيد . فأولئك كالانعام بل هم أضل . وانما تخاطب العقلاء من الاغنياء فتقول : اذا كنتم تقتصدون لتوفروا من مالكم ما تتركون لأولادكم حتى لا يكونوا فقراء تصاه فقد سعيتم في طريق محمود . بهذه الاسلام . ودعا اليه التي عليه الصلاة والسلام ، وان ما تنصرفونه في سبيل العلم والتربية هو من هذا القليل أيضاً لأنه توفير لسعادة الأبناء بل لا سمادة بالمال اذا لم تصحبه تربية نافعة وعلم صحيح يهتدي بهما لتمول الى كيفية الانتفاع .

لا يكون الانسان سعيداً الا اذا كان عايشاً مع مهذين سعداء. هب انك تركت ليد
تدني من التربة وهو في موطن خيبته تربية الخرافة، واستعجبت على أهله الصلاة، آراءه
بين سعية آرين الانقياد، رتباً خيراً بين الفقر، ولا تبدليه بد الفوايه وتغاب عليه
نافع السقاء، وتستهويه شيطان، انه هو انكلا، ان المرأ بقريته ورجل الخير بين
الشرور على خطر. في أنقى من ماله ليلم والتربية فهو الذي يوطئ لفرسه
الكتاب السعادة، ويوطئ لهم دعائم الميعة الراضية، لأنه يصلح لهم مباءة يعيشون في
سلامة آمنين.

ثم بين الاستاذ أسباب اقصار المدرسة في هذه السنة على تعاليم السنة
الأولى للتلازمة وعدم إنشاء فرغ من تلامذة السنة الثانية وما بعدها مع أن في
طلاب التعلم من هم أهل لذلك. وتلك الأسباب هي ضيق المحل الذي أستوجب
المدرسة الى أن تم بناؤها ولم يوجد غيره. وكون الوقت بين قبول الجمعية الخيرية
إدارة المدرسة وافتتاحها لم يكن كافياً لاختيار المعلمين الأكفاء والظفر بهم لقلة
عددهم في مصر. ثم سبب ثالث عام وهو أن السنة الالهية في الترقى أن يبدأ التي
مستفراً ثم يترقى بالتدريج وأن الأمور التي تنشأ كبيرة فالحال أن يغفل عقد نظامها
في القريب الماحل والياد بالله تعالى.

ثم تكلم الاستاذ الرئيس في مسألة سن التلميذ فقال. ان الجمعية الخيرية الاسلامية
لم تحدد سن التلميذ في نظامها عبثاً ولا تقليداً ولكن حددته لقوانينها. تعلمون
بالضرورة أن ليس كل من دخل هذه المدرسة يكون تحت لواء الوظائف بل سيكون منهم
التاجر والزارع والناصح فدا دخل التلميذ المدرسة في التامة وأنتم التلاميذ في أربع سنين
أو خمس يخرج منها ليدأبوا مهنة لا دخول في أي عمل شاء. واذا تقدم في السن
ودخل المدرسة بعد العاشرة فله ان يدرس عوده. من أن يلحق بالعمل الصناعية أو الزراعية
وربما يحجز أبوه عن تمام تعليمه وهو عاجز عن الاشتغال بأعمال العاشرة فيضيع بين محزين
ثم ختم القول يشكر سعادة المدير لحضور الاحتفال واستهضه منه لتعميم المدارس
في المديرية وشكر ليد الرحمن بك قهسى مأمور مركز بني مزار سعيه في الاكتاب
لهذه المدرسة. ثم دعا للمدرسة الدعاء الصالح وتسلمو المدير المنظم فأتى الحاضرون.
وقام في أثره المدير فذكر للرئيس فضله وسعيه ووجه أنظار الوجهاء الحاضرين لتدبر نصائحه
ثم تلاه حسن افندي عبد الرزاق فبدأ قوله مخاطب الرئيس مثناً عليه بما هو أهله

ميتاً نحويم القلوب عليه ، وتوجه نفوس طلاب الترقى إليه . ثم أتى على المتبرعين للمدرسة وخص بالذكر كرام المسيحيين الذين عرفوا قيمة الوطنية ، تبرعوا للمدرسة مع علمهم بأنها إسلامية ، ثم تلاه الأمور فظهر السرور والابتهاج بالاختصار وأتى على فضيلة الرئيس وسعادة المدير .

ثم خطب حسن بك عبدالرازق رئيس لجنة المدرسة فكان يمدح ما تقدم فأحسن وكان الختام مسكافيزي الله هو لا ما لمحمدنين خير الجزاء ، ووفق سائر الناس إلى حسن الأمور والافتداء .

باب الاخبار التاريخية والدينية

﴿ تمة سيرة السنوسي المنشورة في الجزء ١٢ ﴾

وكان اعتناؤه منصرفاً إلى علوم القرآن والتفسير والحديث . ولم يذكر كاتب المقالة السبب في هذا وما هو الا الزعة الاخيهادية التي كان عليها والده ورباه عليها ولذلك تولى تعليمه التفسير والحديث بنفسه . وكان الاجتهاد في الدين وفهم الأحكام من الكتاب والسنن صار ميباً عند المساميين ولذلك حاول كاتب المقالة تكذيب ما أشيع من ان المهدي غير مالكي المذهب وزعم أن كل السنوسيين على مذهب الإمام مالك (رضي الله عنه) قال « ويسلمون في الصلاة ويقبضون أيديهم » لعله يريد أنهم لا يتكلمون لشهور من مذهب مالك الا في بعض المناسبات . والصواب أن السيد محمداً المهدي السنوسي لا يعمل الا بما صح عنه في الكتاب والسنن كما كان والده من قبله

ثم تكلم الكاتب عن سياسته فقال ان السنوسيين لا يتجشون فيما لا يعينهم كالتبائعات فذلك عندهم فخر مات وما أشيع عن السنوسي من أنه مستعد فاحرب ويدخر الاسلحة المتقنة المجلوبة من أوروبا وأنه يشيد الحصون بالصخرات ويصنع البارود وله عسكر وخيول مسومة ويغض الإفرنج فهذه كلها خرافات وأراجيف لأهل لها وسيعرف الناس ذلك عند ما تسمح الحال بالمواصلات بين أفريقيا الشمالية واليهات الصحراوية . وكتب مستهدداً ولا يتكلم مثل خير . ثم أطلب الكاتب في تكذيب هذه الإشاعات ونسبها إلى ذوي الأغراض حتى كاد إخطابه يوقع في اللطة . واحتج على صدق قوله بأن الرحالة (مونتاني) وصف السنوسي وإخوان طريقته بما يقرب مما قاله

قال الكاتب : « وفي سنة ١٩١٢ ظهر في السيرة نشاطات الفكرة والار
 ان اسم محمد السنوسي ، وحسن الشيخ رافع سلطان ، يروى الذي قتل في السنة الفارحة
 ، كانت له تحت اسمها فاطمة ، في حاضرة رافع ، ثم وصف من ظلم هذا السنوسي
 الجديد ، وعنه وذكر ان بعض الكتاب الفرنسيين لما سمعوا بحججه طفقوا يستدرون
 بالسنوسي صاحب الطريقة ثنائين أنه جاهرهم بالبدوان « وسرى هذا الطلح الفاحش
 الى الطبقات العالية من أهل الصحف كالطنان وغيره » وقال انه لا لوم على تلك
 الصحف في غلطها « لأن هذا الاجام سرى أيضاً لبعض الصحف الاسلامية نفسها
 مثل مجلة المنار فقد ذكرت أن السنوسي المهدي له حرب مع الفرنسيين »

ثم قال ان الشيخ المهدي السنوسي رحل في سنة ١٩١٢ من بلد جنيوب على
 حين تنقله مع أهله وولده وبعض الأخوان قاصداً بلد الكفرة بالصحراء الشرقية في
 عرض ٢٥ درجة وطول ٢٠ درجة (من باريس) فوصل اليها بعد مسير أربعين
 يوماً وسبها بندا مس الجديدة ولم يعلم السبب في ارتحاله والذي أظن هو ميلته
 للزوا وابتعاده عن الوسوس والمطامع الانكليزية اذ كان قدم عليه بعض سياح
 الانكليز في جنيوب . وفي سنة ١٩١٧ ارتحل من الكفرة فوجه الى نواحي كاتم
 ولا زال في تلك الأماكن على عادته المألوفة من عادة ربه وعدم اشتغاله بما لا يمت
 هو وطائفة من اخوانه الى أن بلغنا انتقاله الى الدار الآخرة في شهر جادى الأولى
 سنة ١٣٢٠ على طريق الصحف الاخبارية رحمه الله تعالى وجل الجنة مثقله ومثواه .
 (المنار) : قد انتهى تلخيص ما كتب في جريدة الحاضرة . ونحن نقول : ان أمر
 به لا يزال مشكوكا فيه فان السنوسيين الواردين من زوايا الصحراء على مصر بكدبون
 ذلك ولا يبعد أن يكون كذبهم مبني على اعتقادهم بأنه للمهدي المنتظر . فان احق
 أياماً فلا بد أن يظهر ، ولذلك نرى أنه يقتضي الشك في موته لا ترجيح عدمه

وأما خبر تناوشة الفرنسيين للسنوسيين قائما اعتماداً فيه على مكاتبات السنوسيين
 أنفسهم لا على الاشاعة والاستبطاء ، وليس حديث هذه التناوشة بالحديث وأما كان في
 العام الماضي فقد راجعنا بعد نشر مكتوب ذلك الطرابلسي مكتوباً آخر من أحد
 بطانة السنوسي مؤرخاً في رمضان سنة ١٣١٩ وفيه ما نصه :

« الاخبار الواردة من جهة كاتم ان الفرنسيين لما سمعوا أن سيدي البراني
 توجه للزيارة قصدوا الزاوية مرادهم في تلك حرما فوجدوا بها بعضاً من الاخوان

وبعضاً من العربان وبعضاً من التوارق والتقوا عند طلوع الشمس ٢٦ رجب ثم انتشبت بينهم الحرب من الصباح الى الزوال وقتل منهم جماعة وافرة وثلاثة من كبارهم والقاتلون الذين بأيديهم السلاح ثمانية عشر رجلاً لأن الناس متفرقة والكفار أنوهم على حين غفلة لكن نصر الله المسلمين وهزم الشركين واستشهد فيها من الاخوان أخونا سليمان بن اخ سيدي البراني وأخونا عبد الرزاق فقيه الزاوية وأخونا حسين بن الفضل . ومن المجاربة ثلاثة أخونا ابو علي الفخر وأخونا عبد الله بن موسى وأخونا مهدي بن شبيب واستشهد أيضاً الشيخ غيث بن الشيخ عبد الجليل وابن عمر المضبوذ المغربي وبعض من التوارق وأثنان من جماعة السلطان قورن كنا عند الاستاذ زائرين وواحد قطروفي وابعوا نفوسهم لله كما قال عمر وجل : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة » . ولما أتى الخبر الى الاستاذ رضي الله عنه وجه سيدي البراني والحاج محمد النبي ومعهم جيشا من المجاربة وزويه لقتال أعداء الله ربنا ينصر المسلمين على أعداء الدين « اه باختصار قليل جدا

ومت ومن أمثاله من الكتب ومنها انتصرناه في الجزء الثامن) يعلم القراء انه حصل شيء بين الفرنسيين والسنوسيين استمر قريباً من سنة ولا نعلم كيف انتهى لأن الاخبار الخصوصية انقطعت عنا من مدة طويلة واتنا توقع الخبر اليقين عن قريب . ومما ذكرناه يعرف القراء ان السنوسيين مستعدون للدفاع عن أنفسهم ولكنهم ليسوا أهل اعتداء فهم يمثلون قوله تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تمتدوا إن الله لا يحب الممتدين » وستكون هذه الآية الكريمة هي منتهى اندسية في الحرب فان بقي صاحب المقاتلة المنتصرة في الحاضرة في قريب بعد هذا فالتا نذكر له في جزء آخر شيئاً من نفوذ السنوسيين في ادي ونواحيها وتوليهم للملوك وحلهم للمشكلات بينهم بذكر وقائع معينة بالاسماء والجهات ليحلم اننا نتكلم عن بصيرة . وقد كنا ذكرنا فاك الخبر لمراتبه بالنسبة الى المصريين وليس من موضوع النار التوسع في هذه المسائل لانها اقرب الى السياسة منها الى التاريخ ولا غرض لنا بالسياسة

أما العبرة التاريخية في ترجمة السنوسي فهي في شيئين (أحدهما) اجتهاده في الدين وعدم تقيده بمذهب من المذاهب وقد مهد له والده رحمه الله تعالى السبيل الى ذلك بكيفية تعليمه ومما ترك له من مؤلفاته التي يبين بها الحق على وجوب العمل بالكتاب والسنة وعدم الرغبة عنهما الى قول أي عالم أو امام . وقد اطلعنا على كتابه « بنية

للقائد . في خلاصة المراسد ، وهو مختصر كتاب المرصد) وفي القدر النكالي من الاحتجاج على وجوب العمل بالكتاب والسنة . و (ثانيهما) تأليف عصية كبيرة بأساطة الطريقة . ومما تقدمه على أصحاب هذه الطريقة أنهم غلوا في شيخهم كشار أهل الطريق مع شدة تمسكهم بالدين الذي ينهي عن الفلأ وأنهم يستقدون أن شيخهم المترجم هو المهدي المنتظر وهذا الاعتقاد يضر في المستقبل عندما يتبين لهم كذابين لنبرهم عقمه وإننا نرى عقلاءهم لا يستقدون هذا الاعتقاد ويقولون أن شيخهم لا يرضاه والله أعلم بمسير الأمور .

————— ❦ —————

﴿ مشروع مجلة الجامعة الاقتصادية ﴾

كانت مجلة الجامعة تصدر في الشهر مرتين ثم جعلت في السنة الثالثة (الحاضرة) شهرية وجعلت عشر كراسات (ملازم) أو إحدى عشرة ويضاف إليها كراسات من القصة العربية الملحقة بها . فتعذر على منشئها إصدارها في مواعيها على نشاطه واجتهاده حتى كان بين الجزء وما يليه أكثر من شهرين . ثم أنه شرع الآن في جعل المجلة خمس كراسات مع بقائها شهرية وجعل القصة التي يضيفها إليها كذلك تتوفر عليه تسريب ثلاث كراسات في كل شهر . ثم أنه يطبع من القصة الملحقة بالمجلة نسخاً زائدة يربح منها مثل ربح المجلة أو أكثر . وزوجوا أن يتمكن بذلك من إصدار المجلة في كل شهر مرة

وما كان له أن يسمى هذا العمل مشروعاً لأن الناس اصطلمحوا على إطلاق لفظ المشروع على الأعمال الكبيرة العمومية الجديدة التي تعدها الحكومات والشركات والجمعيات ثم تشرع في تنفيذها . وتسريب القصص ونحوها من الكتب لا يستحق هذا الاسم لاسيما إذا كانت منفعة الناس به تكون أقل مما كانت كما هو الشأن في هذا العمل فإن مجلة الجامعة كانت صفحات مجموعتها السنوية تزيد على ألف صفحة بعد تجريد القصص الملحقة فصارت الآن تنقص عن خمسمائة . وانتقدنا على الرصيف أيضاً اختياره قصة بولس وفرجينتي للتلخيص والحاقها بالجزء الأخير الذي ابتدأ به مشروعاً وبفينا عليه ملاحظتنا . وذلك أن حسن هذه القصة في لغتها الفرنسية هو الإطناب في وصف المينة البدوية فباختصارها زال هذا الحسن وليس في الموضوع قائدة أخرى تستحق الصاية . ثم أن القصة عمرت بتمامها من قبل وطبع . ثم أعاد تحريرها بعض الأدباء

وهو ينشرها تباعاً في جريدة التمدن الفراء . فمسي يكون اختيار الرصيف للأجزاء التالية أنهم من هذا الاختيار . هذا ما كتب للجزء الماضي من النار وقد تبين ان العجز مستمر لأن المجلة لما تصدر . فمسي أن يزول قريباً بزوال الفنك المالي .

(البراعة في الإعلان) كان صاحب مجلة الجامعة يرسل لكل جزء يصدر من مجلته إعلاناً الى جريدة المؤيد يتني فيه على الجزء ماشاء ويشترط أن يكتب في الاخبار المحلية بصفة ترفيظ وكانت ساحة الاسلام تحمل المؤيد على القبول . ثم انه تحرش بصاحب الهلال ليناقشه فيشوق قراءه الى الإطلاع على مايجيب به ولكن صاحب الهلال لم يرد عليه مطاعنه فيه حيا بالمسألة التي هي طبع له . ولا ضاق ذرعه تحرش بالاسلام وطمع فيه وفي أئمة قصدينا للرد عليه لأننا كنا نقصد فيه حسن التصد ولا نكره التنويه بمجلته وانتشارها . ثم انه خيب ظننا فيه وأظهر أنه متعمد للامس فنجبنا لذلك حتى زال العجب لما علمنا أنه أرسل كتاباً الى صديق له يقول فيه عن الطمن بالاسلام : قد عرفت أنه اكتشاف مهم للإعلان عن الجامعة وثبتت مشتركيها وسترى قريباً في الجامعة بحثاً آخر عن القرالي سيكون بصفة إعلان أشهر ويمثل ذلك نزول « عن السررات ويغمي الفنك » بفضل اقبال المشتركين من المسلمين حتى لم يبق جزء واحد في الادارة من هذه السنة . هذا ما كتب فعلمنا أن خدمة « الحقيقة والضمير » هي خدمة المجلة لازالة « الفنك والسررات » وأنا نعلم علم اليقين ان المسلمين لا يقبلون على تعزيد من يطمع في دينهم وأئمتهم وأنه لم يكتب الى بعض أصحابه ما كتب الا ليشيخوا ذلك فيكون نعمة للإعلان . وتذكر الرصيف المحترم بمجريدة كبيرة منتشرة في القطر المصري انتشاراً لا تطمع فيه الجامعة فقلت غنياً في الاسلام مرة فكادت تسقط لتداعى أعراض المسلمين عنها مع قوتها وزنها فكيف تقب الجامعة أمام هذه الماصفة على ضعفها ونشره . بان المسلمين شعوراً يميزون به بين ما يدي وما يسر ولا يمكن أن يعضدوا من يطمع بدينهم مهما كانوا مقصرين في خدمته . فقدم الشهرة خير من الشهرة السيئة فليترك القرالي وغيره وليتكلم بما يعلم . فهو أفع وأسلم . وهذا آخر فصلنا له أو إعلاننا له .

(النقل أمانة) ترى بعض الجرائد في هذه الديار وغيرها تنقل عن النار ولا تنزرو اليه . ومن ذلك أن جريدة المأمون الفراء تنقل المقالات الطويلة من مجلدات النار السابقة تغير عناوينها أو تقسم المقالة الى مقالات يحمل اسكل عنواناً وكثيراً ما تنسند المقالة الى طام مجهول فنكتب « قال بعض علمائنا » فنذكر هابو جوب اسناد التي الى مأخذها لأن النقل أمانة

بني الحكمة من بناء ونزول
الحكمة فقد أوتي خبراً كثيراً وما
يذكره إلا أول الألباب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فبتوبوا أحسن وأذكى الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم السبت غرة شعبان سنة ١٣٢٠ - ١ نوفمبر (تشرين ٢) سنة ١٩٠٢)

الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية .

(حرية العلم في أوروبا الآن . ونسبتها الى الماضي والحاضر في الإسلام)

(وهو المقال السادس لذلك الامام الحكيم)

لم يبق علينا من الكلام الا ما يتعلق بالأسر الرابع بما ذكرته الجامعة^(١)
وهو « ان تمكن العلم والفلسفة من التغلب على الاضطهاد المسيحي في
أوروبا وعدم تمكنهما من التغلب على الاضطهاد الاسلامي دليل واقعي على
ان النصرانية كانت أكثر تسامحاً مع الفلسفة »

ليس من السهل عليّ أن أعتقد أن أديباً كصاحب الجامعة يقول
هذا القول وهو ناظر إلى الحقيقة بكلماته مع معرفته بلسان التبريين

(١) يذكر القراء ان كلام الجامعة في الطعن بالإسلام كان مبنيّاً على أربعة أمور

نقدم الرد على ثلاثة منها وفي هذا المقال الرد على الرابع

وإطلاعهم على ما كتبوا في هذه المسألة وهي من أهم المسائل التاريخية .
وإنما هي عين الرضى تناولت من حاضر الحال ومما انتهى إليه سير التاريخ
مأثرت ثم أملت على قلبه ما جرى به قلمه

هل يصح أن تُسمى الاستكانة للغالب تسامحاً ؟ وهل يُسمى المجر
مع التطلع لأزاع عند القدرة حلماً ، أم يُسمى غل الأيدي عن الشر بوسائل
القهر كرماء ، ؟ هل تعد مساكنة جناب البابا ملك إيطاليا في مدينة واحدة
واجتماع الكرسبيين العظميين كرسي المملكة الإيطالية والمملكة البابوية
في عاصمة واحدة تسامحاً من قداسة البابا مع الملك ؟ أليس الأجدر بالمنصف
أن يسمي ذلك تسامحاً من الملك مع البابا لأنه صاحب القوة والجيش
والسلطنة ويمكنه أن يسلب البابا تلك الثمالة التي بقيت له من السلطة
الملكية ، كما أن الأليق به أن يسمي تلك الحالة التي عليها أهل أوروبا اليوم من
طاعة العلم بينهم بجانب الدين تساهلاً من العلم مع الدين لا تسامحاً من الدين
مع العلم بعد ما كان بينهما من الحوادث ما كان وبمدغلبة العلم واستيلائه
على عرش السلطان في جميع الممالك ورضاء الدين بأن يكون تابعاً له في أغلبها
(اقتباس مدينة أوروبا من الإسلام . وأسباب ظهورها التام)

السبب الأول الجميات : كان جلاديين العلم والدين في أوروبا وتألفت
لنصرة العلم جمعيات وأحزاب منها ما اتخذ السرّ حجاباً له حتى يقوى
ومنها ما ابتدأ بالمجاهرة . وكان الدين يظهر بالعلم كما سبق بيانه لكثرة أعوانه
وضعف أعوان العلم حتى أشرقت الآداب المحمدية على تلك البلاد من سماء
لأندلس وتبع إشراق تلك الآداب واشتغال الناس بهما سطوع نور العلم
لعمري من الجانب الشرقي كما ذكرنا . وقد وجد هذان الثوران استمداداً

من النفوس للاستضاءة بهما في السبيل التي تؤدي بهما إلى المدينة التي كانا يحملانها. هذا الاستعداد كسبته الانفس بما ضايقها من غلو رؤساء الدين في استعمال سلطاتهم واستعدادهم في استبعاد العقل والوجدان حتى ضاق ذرع العقرة عن الاحتمال فأخذ الشعور الإنساني يتلمس السبيل إلى الخلاص وإذا لاح له هذان النور أن اتخذهما له هداية واستقبلهما بوجهه وكان بعد ذلك ما كان من تأثير الدين لأهل العلم وإراقهم بالنيران، وفيهم من الأوطان، ومقاومة رؤساء الدين للحكومات ولأهل الأفكار المستقلة في أدنى الأشياء وأعلاها حتى إنه عند ما شرع ملوك فرنسا في فرش شوارع باريس بالبلاط على الأسلوب الذي وجدوه في مدينة قرطبة وصدر الأمر بمنع تربية الخنازير في تلك الشوارع أغضب ذلك قسوس القديس أنطوان واندوا بأن خنازير القديس لا بد أن تمر في الشوارع على حريتها الأولى. وحصل لذلك شغب عظيم اضطر الحكومة أن تسمح بذلك مع صدور الأمر بأن توضع في أعناقها أجراس. وقالوا إن الملك فيليب السمين مات بسقطة عن فرسه عند ما انزعج الفرس من منظر خنزير وصلصلة الجرس في عنقه لما نزل أن يقول: إن القسوس في ذلك الزمان كان يمكنهم أن يتمتعوا من وضع الأجراس في أعناق الخنازير فراضاهم بذلك بعد تساعدا عظيميا مع العلم (أو الصناعة) ويسهل علي أن أوافقه على أن مثل هذا الضرب من التسامح في أجراس الخنازير كان يظهر من حين إلى حين إلا أنه فيما ظن لا يكون في تشييد هذه المدينة التي يفخر بها الأوربيون اليوم ونحن لا نجسمها قدرها كذلك

السبب الثاني الضغط الديني : شدة الحاجة وغلو الرؤساء كانوا يوقدون الفيرة في قلوب طلاب المعلوم فلم تقتر لهم همة فنهلم أمرهم واكنشفوا كثيرا من

الحقائق التي نفعت العامة ونهبت العقول للأخذ بها يجهلون أنهم صاروا أثراً
بينهم وبين رؤساء الدين سجالاً إلى أن سر دعاة الاحتمار الديني
(البروتستانت) فانضم دعاة العلم إليهم ظناً منهم أن سيكونون معهم من
المجاهدين في سبيل العلم. وكان منهم إراسم الشيرفلما انصرف طلاب الإصلاح
ودالت لهم دولة استمروا يقاتلون بالموت على الأفكار التي تخالف مذهبهم
ما يتقدمون كما تقدم فانفصل إراسم ومن معه من حماة الحرية واستقلال
الارادة الشخصية وترك المصلحين ينفرون شيئاً ويقتل بعضهم بعضاً وقال :
ما كنت أظن ان دعاة الإصلاح يكونون كذلك أعداء العلم

هذه الطوائف التي تفرقت عقائدها في الإصلاح لم تقنظر إلا أن
تأمن عدوها العلم وهو الكنيسة الكاثوليكية الرومانية فلما امنتم أخذ بعضها
يصول على بعض واشتعلت نيران الحروب بينهم . قال أحد أفاضل
مؤرخيهم : « وكلما ارتفعت طائفة منهم إلى عرش القوة لوثت يديها بالجرائم
في الملل لإفناء البقية حتى سئمت النفوس دوام تلك الحال ووجدت من
توالي حوادث الانتقام وظهور مضارّه في كل طائفة ان الأفضل لكل
طائفة ان تمنح الأخرى من الحرية ما لا تستغني عنه واحدة منها . والعلم
كان يعمل عمله في كشف الحقائق وترقية الآداب وكان من أقوى المنبهات
إلى مضار الحروب ومفاسد المدوان على حرية الأشخاص من أي طائفة
كانت . من هذا نشأ ذلك الأصل العظيم أصل التسامح والرضى بمجاورة
ال مخالف في الرأي . نشأ من القهر والقسوة التي كانت كل طائفة تعامل
بها الأخرى » انتهى كلام المؤرخ بالمعنى

السبب الثالث الثورة : ولا حاجة بي إلى ذكر ما جاءت به الثورة

الفرنسية وكيف كانت قيامتها على الدين ورؤسائه مما هو معلوم . وإنما أتبه القارئ إلى الاعتبار بما تقدم من القول ، وبما يمكنه أن يقف عليه في كتب القوم ، ليعلم أن الدين المسيحي في أوروبا لم يحتل العلم فضلاً ، بل كان له اليد الطولى عليه ، فحزاب العلم فسامره استكانة وخضوعاً ، ولو كان العلم يفتخر ، فيستقطع إلى ذلك سبيلاً .

والآن لنرى كيف كانت نتيجة : رؤساء الدين المسيحي رجال ذوو غريزة دينية ، على دينهم قلما يدانيهم فيها رؤساء دين من الأديان . وهم مع غلوهم في الدين ، واستنادهم في استعمال سلطانهم على النفوس كانوا ولا يزالون يتخذون كل وسيلة لتأييد دينهم . وهم أشد الناس حرصاً على تقويم أركانهم ودفع الشبه عنه . ولم يزد العلم الجديد إلا وسائل وسبيلاً لترويض عقائده وآدابه ولم تقتصر لهم مهمة في نشره ونزيبته للقلوب . ومع ذلك كله نرى أن رجال العلم وحماة المدنية يتلون منه ، والعامّة من الشعوب في تحاذل عنه ، والأمة الفرنسية التي كانت تدعى بنت الكنيسة أصبحت من أشد الناس عليه ، ورأت فلسفتها أن تحدد حرية أهل الدين في تعاليمهم واجتماعهم . كل ذلك ومدارس اللاهوت لا تزال عاصمة وطلاب اللاهوت يمدّون بالألوف . كل ذلك وكثير من الدول ترى من مزاياها حماية الدين المسيحي في أقطار الأرض . قال أحد رؤساء البروتستان في خطبة من خطبه التي ألقاها في بعض البلاد الفرنسية سنة ١٩٠١ بعد كلام له في أن المسيحية رومانية أوبروتستانية فقدت خاصتها الدينية كما فقدت قائمتها الاجتماعية مانصه مترجماً : « إذا كان الدين المسيحي ليس شيئاً سوى الكثرة المحتاجة إلى الإصلاح (المذهب الروماني) أو الكثرة التي دخلها



الاصلاح بالفعل (المذهب المبرر وتستحي) فاقرب نوفي بالمشركين والافرن
الخاص (لا يكون مسيحياً أبداً)

وقد جاء في كلام عفا الخطيب مبرر آج بأنه يريد أن يطلب
للمسيحية معنى آخر ينطبق كل الانطباع على اعتماد المسلمين بها فاز
وفق للتجاع في سببه زال الخلاف -- ان شاء الله -- بين الذين ولعل
ان بين المسيحية والاسلام

عود الى ساحة الاسلام : أخذ بيد القاري الآن ، وأرجع به الى ما مضى
من الزمان ، وأقف به وقفة بين يدي خلفاء بني أمية والأئمة من بني
العباس ووزرائهم ، والفقهاء والمتكلمون والمحدثون والأئمة المجتهدون من
حولهم ، والأدباء والمؤرخون والأطباء والفلكيون والرياضيون
والجغرافيون والطبيعيون وسائر أهل النظر من كل قبيل متطيقون بهم ؛
وكل من قبل على عمله فإذا فرغ عامل من العمل أقبل على شئيه ووسع يده
في يده يسافح النقيه المتكلم والمحدث الطيب والمجتهد الرياضي ، واناسهم
وكل من يرى في صاحبه عوناً على ما يستغل هو به ، وهكذا أدخل به بيتاً من
بيوت العلم فأجد جميع هؤلاء سواء في ذلك فليت يتخذهم وبنائهم
والامام البخاري حافظ السنة بين يدي عمران بن حطان الخارجي يأخذ
عنه الحديث وعمر بن عبيد رئيس المعتزلة بين يدي الحسن العسكري شيخ
السنة من التابعين يتلقى عنه وقد سئل الحسن بن عمار عن مسائل
لقد سألت عن رجل كان لا يشكك أدبته وكان لأبيه ربه إن علم بأسر
قعد به وإن قعد بأسر قام به وإن أمر بشئ كان الزم الناس له وإن نهى
عن شئ كان ترك الناس له ما رأيت طاهراً أشبهه بأحد من هؤلاء باطلاً

أشبه بظاهر منه « بل أرفع بصري فأجد الامام أباحيفة أمام الامام زيد ابن علي (صاحب مذهب الزيدية من الشيعة) يتعلم منه أصول العقائد والفقهاء ولا يجد أحدهم من الآخر الا ما يجد صاحب الرأي في حادثة ممن ينازعه فيه اجتماعاً في بيان المصلحة وهما من أهل بيت واحد - أمر به بين تلك المنوف التي كانت تختلف وجهها في الطلب وغايتها واحدة وهي العلم وعقيدة كل واحد منهم أن فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة كما ورد في بعض الاحاديث ^(١)

الخلفاء أئمة في الدين مجتهدون وبأيديهم القوة وتحت أمرهم الجيش والائمةاء والمحدثون والمكلمون والأئمة المجتهدون الآخرون هم قادة أهل الدين ومن جند الخلفاء الذين في قوته والعقيدة في أوج سلطانها وسائر العلماء ممن ذكرنا بدمعهم يتمتعون في اكتشافهم بالخير والسعادة ورفه العيش وحرية الفكر لا فرق في ذلك بين من كان من دينهم ومن كان من دين آخر فهناك يشير القاري النصف الى أولئك المسلمين ، وأنصار ذلك الدين ، ويقول : ههنا يطلق اسم التسامح مع العلم في حقيقته ، ههنا يوصف الدين بالكرم والحلم ، ههنا يعرف كيف يشق الدين مع الدنيا ، عن هؤلاء العلماء الحكماء تؤخذ فنون الحرية في النظر ، ومنهم تهبط روح المسألة بين العقل والوجدان (أو بين العقل والقلب) كما يقولون

(١) النار : رواه أبو الشيخ ابن حبان في المظنة عن أبي هريرة بسند ضعيف . ورواه من طريقه ابن الجوزي في الموضوعات . ولكن له روايات أخرى منها رواية الديلمي في مسند الفردوس عن ألس بلفظ (ثمانين سنة) وفي رواية موقوفة على ابن عباس « خير من قيام ليلة » ولشبهة هذا المعنى قال الترمذي وردت السنة بكنا

يرى القاري أنه لم يكن جلاذ بين العلم والدين • هــب كان بين
أهل العلم أو بين أهل الدين شيء من التحالف في الآراء شأن الأحرار
في الأفكار الذين أطلقوا من غل التقييد ، وعوقوا من علة التقليد ، ولم
يكن يجري فيما بينهم اللز بالأتقاب فلا يقول أحد منهم لآخرانه زنديق
أو كافر أو مبتدع أو ما يشبه ذلك • ولا يتناول أحداً منهم يد بأذى إلا
إذا خرج عن نظام الجماعة وطلب الإخلال بأمن العامة فكان كالمنضو
المجثم فيقطع ليذهب ضرره عن البدن كله

(ملازمة العلم للدين • وعدوى التعصب في المسلمين)

متى ولم المسلمون بالتكدير والتفسيق ، ورُمي زيد بأنه مبتدع وعمر
بأنه زنديق ؟ ، أشرنا فيما سبق إلى مبدأ هذا المرض ونقول الآن إن ذلك
بدأ فيهم عند ما بدأ الضعف في الدين يظهر بينهم وأكلت القن أهل البصيرة
من أهله (تلك القن التي كان يثيرها أعداء الدين في الشرق وفي الغرب
لنقص سلطانه ، وتوهين أركانه) وتصور القول في الدين برأيه من ثم
تخرج روحه بروح الدين ، وأخذ المسلمون يظنون أن من البديع في الدين
ما يحسن إحداثه لتعظيم شأنه تقليداً لمن كان بين أيديهم من الأئمة المسيحية
وغيرها • وأنشأوا ينسبون ماضي الدين ومقالات سلمهم فيه ويكتفون
برأي من يرونه من المنصهرين المتاملين ، وتولى شؤون المسلمين جهلهم ، وعلم
بارشادهم في الأغلب ضلالتهم ، في أثناء ذلك حدث التلو في الدين واستمرت
نيران المداوات بين النظائر فيه وسهل على كل منهم لجهله بدينه أن يرمي
الآخر بالمروق منه لأدنى سبب • وكلما ازدادوا جهلاً بدينهم ازدادوا غلوًا
فيه بالباطل ودخل العلم والعقبر والنظر (وهي لوازم الدين الاسلامي) في

جلة ما كرهوه ، وأقلب عندهم ما كان واجباً من الدين محظوراً فيه
 لا أ كاد أخطي القاري إذا زعم أن المسلم إنما استفاد اسم زندقة
 وزندق ومتزندق وزنديق من فضل ما طعنه جيرانه إذا كانوا يقولون :
 هرقة وهرتق وهو هرتوقي . أو ما يماثل ذلك . أو زعم أن قد فشت في
 المسلمين سرعة التكفير بطريق العدوى من أهل الملل المتشعبة وإن الذي
 سهل سريان العدوى بتلك السرعة الشديدة هو ضعف المزاج الديني عند
 المسلمين بمجهلهم بأصوله ومقوماته ومتى ضعف المزاج استعد لقبول
 المرض كما هو معلوم .

إن المسلمين لما كانوا علماء في دينهم كانوا علماء الكون وأئمة العالم .
 أصيبوا بمرض الجهل بدينهم فأنهزوا من الوجود وأصبحوا أكلة الآكل
 وطعمة الطاعم ، هل وقف الجهل بالمسلمين عند تكفير من يخالفهم في مسائل
 الدين أو يذهب بمذهب الفلاسفة أو ما يقر بـ من ذلك ؟ لا بل عذابهم الجهل
 على أئمة الدين وخدمة السنة والكتاب فقد حُمِلت كتب الامام الغزالي
 إلى غرناطة وبعد ما انتفع بها المسلمون أزماناً حاج الجهل بأهل تلك المدينة
 وانطلقت السنة المتعالمين من البربر بتفسيره وتضليله فجمعت تلك الكتب
 خصوصاً نسخ « إحياء علوم الدين » ووضعت في الشارع العام في المدينة
 وأحرقت . قال قوم يبدون أنفسهم مسلمين في ابن تيمية - وهو أعلم
 الناس بالسنة وأشدّهم غيرة على الدين - : إنه ضالٌّ مضل . وجاء على
 أثر هؤلاء مقلدون عملاً ون أفواهم بهذه الشتائم وطهيم أثمها وإثم من
 يقفون بها إلى يوم القيامة

﴿ اهل آثار السلف وحال علوم الدين وطلابها ﴾

أهل المسلمون علوم دينهم والنظر في أقوال سلفهم حتى انك لا تجد اليوم في أيديهم كتاباً من كتب أبي الحسن الأشعري ولا أبي منصور الماردي ولا تكاد ترى مؤلفاً من مؤلفات أبي بكر الباقلافي أو أبي اسحق الإسفرائيني . وإذا بحثت عن كتب هؤلاء الأئمة في مكاتب المسلمين أعياك البحث ولا تكاد تجد نسخة صحيحة من كتاب . كتبت على القرآن تفاسير كثيرة في القرن الثالث من الهجرة وما بعده الى السادس منها تفسير الطبري وتفسير أبي مسلم الاصفهاني وتفسير القرطبي وتفسير الجصاص وتفسير النزالي وتفسير أبي بكر ابن العربي وكثير غيرها وفيهم آراء اولئك الأئمة ووجوه استنباط الحكم والاحكام ما لاغنى لطالب علم الدين عنه . فهل يجد الباحث المجدد نسخة من هذه الكتب الجليلة يمكن الوثوق بصحتها الا بطريق المصادفة وحسن الاتفاق ؛ وهل يليق بأمة تدعي أنها على دين وأن لها فيه سلفاً صالحاً أن تهجر آثار سلفها وتدع ما كتبوا طيبة لمت وفراشاً للتراب ؛ هل وقع مثل ذلك من المشتغلين باللاهوت المسيحي في زمن من الأزمان؛

ان حالة طلبة العلوم الدينية الاسلامية أصبحت مما يرى له في أكثر بلاد المسلمين فهم لا يقرأون من كتب الكلام الا مختصرات مما كتب الآخرون يتعلم أذكاهم منها ما تدل عليه عباراتها ولا يستطيع ان يتعلم البحث في أدلتها وتصحيح مقدماتها وتميز صحيحها من باطلها وإنما يتلقاها كأنها كتاب الله أو كلام فيه صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ ما فيها بالتسليم . فإذا ناظره مناظر في بعض قضاياها وعجز عن تصحيحه قطع الجدل بقوله

هكذا قالوا وان لم يكن القول منمقاً عليه بل قد يكون القول مما لم يقل به سوى صاحب الكتاب الذي اشتغل به وربما كان صاحب الكتاب ممن لو رآه أحد من السلف لم ير ضه تليذاً يعني عنه ما يقول .

كاد ينقطع طلب العلوم الدينية في سوريا والحجاز وتونس والجزائر وقيل جداً في المغرب الأقصى ولم يبق الاهتمام به الا في بعض الصحاري وذلك إما لضمومة طرق التعليم واقتضاها الزمن الطويل وحاجات الناس مانعة لهم من إفتاء أعمارهم في عمل لا يسد من حاجتهم . وإما لتفضيل الآباء تربية أبنائهم على الطرق الحديثة في أوروبا أو في المدارس الاخرى وليس فيها من الدين شيء وان كان فيها شيء منه فهو مما لا يمد تملياً دينياً ينظر اليه . وإما للفتور والجود ، الذي نشأ عن التقليد والجود ؛ وبذلك تجد السنين قد تولاهم الجهل بدينهم ؛ وأخذتهم البدع من جميع جوانبهم ؛ وانما صلة الحقيقة بينهم وبين سلفهم ؛ حتى لو عرض على الجمهور الاعظم من ما اتفق عليه السلف من الأحكام لا نكروه واسنغروه وعدوه بدعة في الدين وصح فيه ما قال عمر الخيام في بعض أشعاره الفارسية مخاطباً للنبي عليه الصلاة والسلام : « ان الذين جاؤا بعدك زيتوا لك دينك ووشوه وزر كشوه حتى لو رأيته أنت لا تذكره » فهذا الصنف من المسلمين وهو معظمهم قد أنكر دينه الحق وعاداه ونقم على أهله القائلين بخدمته وإنما اصطفى لاعتقاده بعض أفراد لم يعرف عن السلف اختصاصهم بالثقة ولم يسمح الدين باختصاصهم بالتقليد . فانما وقع عن هذا الصنف ما فيه أذى للعلم وأهله فربما يمد ذلك واقفاً من دين الاسلام دين محمد صلى الله عليه وسلم دين القرآن دين السنة الثابتة دين الخلفاء الراشدين ومن تبهم من السلف الأولين ؟



منهاية العلم للإسلام ومبادئه : إن العلم أمر أول وأخير في حياة الإنسان ،
 العلم ولا شيء ، إنهم لا ينعمون به ، ثم يسمونهم بـ "خلفاء" ، وكانوا كذا أو كذا
 فكما بعد عنهم ، علم الدين بعد عنهم علم الدنيا وعلمهم من ثمار العقل ، وكانوا كذا أو كذا
 في العلوم الدينية ، توسعوا في العلوم السكونية ، وضربوا الزمان بسوط من
 البرزخ ، أما غيرهم فكما اتصلوا بالدين وجدوا في المحافظة عليه ، إنهم العلم
 وتجربتهم ، وأكفروا وجهه للعالم ، وكما بعدوا من الدين سالمين العلم وبش في
 وجوههم ، وتلك يصرحون بأن العلم من ثمار العقل والعقل لا يصح أن يكون
 له في الدين عمل ، ولا أن يظهر منه فيه أثر ، والدين من وجدانات القلب ولا
 علاقة بين ما يجد القلب وما يكسب العقل . فالفصل تام بين العقل والدين
 ولا سبيل إلى الجمع بينهما . ساء لهم الله فيما يسمونه تسامحاً مع العلم ، وهم يصرحون
 بأنه عدوه الذي يستحيل أن يكون بينه وبينه سلم ،

هل عرفت السبب في اضطهاد المسلمين للعلم ؟ أقول اضطهاد ولا
 أريد به ما كان عند الأمم المسيحية من الاشتداد في إيذاء أهله والتكيد
 بهم واختراع ضروب التعذيب والتفتن في صنع آلات الهلاك مع الأخذ
 بالمشبه ، والاكتفاء في الإعدام بمجرد التهمة ، فإن ذلك لم يقع عند المسلمين
 إلا أيام علمهم ، ولاني أزمته جهلهم ، ولكن أريد من الاضطهاد الإعراض
 عن العلم ورعي الأقطاظ الخيفة في وجوه أهله وقذفهم بشيء من الشتم
 مع الابتعاد عنهم . لأرب أنك قد أيقنت بأن السبب في هذا الذي
 يسميه الأديب اضطهاداً إنما هو جهلهم بدينهم . فالدواء الذي ينبغي
 في شفائهم من هذا الداء لا يكون إلا ردهم إلى العلم بدينهم والتبصر
 به للوقوف على أسرارهِ والوصول إلى حقيقة ما يدعوا إليه . كان الدين

واسطة التعارف بينهم وبين العلم فلما ذهبت واسطة تناكرت النفوس
وتبدل الأئس وحشة

الدعاة الى الاسلام: فهل قام بينهم دعاة للعلم حقيقيون، أو دعاة لأصل
الدين عارفون، ثم استعصت قلوب المسلمين عليهم، وجمحت نفوسهم عن الاقتياد
لهم، وهل كثرا أولئك الدعاة في أطراف بلاد المسلمين أكثرهم في أوروبا من
أواسط القرن السابع عشر من التاريخ المسيحي الى ان ظهرت قوة العلم في أوائل
القرن السابع عشر وفيما بعد ذلك، لا. إنما رأينا من الصادقين أفراداً يظهر
متفرقين في عصور مختلفة ربما لا يجتمع رتبة منهم فايز يدي في قرن واحد وبأخذون
في العمل لما وجهوا اليه ثم لا يكادون ينطقون ببعض الكلم فيحس الناس بهم فيأخذ
الاستعصاء بهتة لمفارقة ما كان عليه واتباعهم حتى تشعر السياسة (نعوذ بالله منها) بما
عسى يكون من أمرهم فتخمد أنفاسهم، قبل ان يلفوا من قلب واحد ما أرادوا
من غرس أفكارهم، فينطفئ النور، ويذهب الديجور، فهل يمد الأديب هذه
الضربات من أيدي أرباب السياسة اضطهاداً للعلم لأجل حماية الدين، أنزه
كل أديب عن ان يظن ذلك وإنما هي صدمات تقع على الدين لا تختلف
عن أمثالها مما يصيبه منهم مباشرة فلا تمتد حجة على الدين في نظر المنصف
المقلد دون المقلد: ربما يقول القائل: ان كان المسلمون قد أخذوا الجلود
في التقليد والنفرة من العلم والاعتقاد بالعداوة بين الدنيا والآخرة وبين العقل
والدين فما أشبه ذلك مما هم فيه وورثوه عن الأمم السابقة عليهم خصوصاً
أقرب المل انهم، فما بهم لم يقلدوا المسيحيين في الحرص على نشر دينهم
والتوسع في علومه منذلاً بما أخذوه عنهم ولم يقسموا أنفسهم قسمين كما قسم
المسيحيون إخوانهم قسمين فما ينقطع الى الآخرة في الأديار والصوامع

رئيساً يستغل بالدنيا ليقبض نفسه ويحبب أهل القسم الأول ويحبب نفسه
ويحببهم من المدونات ؟ وما لك ترى المسلمين خلوا وانحلت أعصابهم
وشموا النظر في علوم دينهم كما ذكرت ثم صاروا يبد الناس من معرفة
الطرق لتحصيل الغنى والثروة ، والقبض على ناصية القوة وصولجان العزة ،
وطرحوا أنفسهم في تيار من القدر كما يقولون ، يجري بهم إلى حيث
لا يعلمون ، ثم هم مع ذلك أحرص الناس على حياة ، وأشدهم لهفاً على
الخطام ، فلا ترى الجمهور منهم في شيء للدين ولا للدنيا فما هذا التناقض ؟

فأقول له : أنك قد نسيت أن المقلد يكون دائماً أخطأ حالاً وأخس
منزلة من المقلد . فالمقلد إنما ينظر من عمل المقلد إلى ظاهره ولا يدري
سره ولا ما بني عليه . فهو يعمل على غير نظام ، يأخذ الأمر لا على
قاعدة ، ولذلك سقط المسلمون في شر مما كان عليه مقلدوهم لاسيما أنهم
قد خاطوا في التقليد وأضافوا إلى دينهم ما لا يمكن أن يتفق معه فصاروا
في مثل حال المتخبط الذي تنازعته عدة قوى يذهب مع كل منها آثامهم
ينتهي أمره بعد الخيبة بالتمسب الشديد فيستلقي إلى أن يستريح فينهض إلى
العمل على هدى أو يموت . لما كان المسلمون غافلين كانت لهم عيان عين
تنظر إلى الدنيا والأخرى تنظر إلى الآخرة فلما طفقوا يقلدون أعمضوا
أحدى العينين وأقعدوا الأخرى بما هو أجنبي عنهم ففقدوا المطلبين ولن
يجدوها إلا بفتح ما أعمضوا وتطهير ما أقعدوا

الإصلاح والمصلحون : التامل أن يقول : كيف تدعي أن دعاة العلم والدين
قليل بين المسلمين مع أننا نسمع أصواتهم تتلاقى في جوار مصر وسوريا وغيرهما
من البلاد في هذه الأيام . كل يقول : ديني ملتي : إسلام مسلموني : قرآن سنة :

يجد الاسلام القديم ساقته الصالحون : تعلم قديم : كتب قديمة كتب جديدة وما
 يشاكل ذلك مما يظهر منه ان الداعين الى العلم او المنهين الى الاخذ باصول الدين
 الاسلامي كثيرون ولا نرى مع ذلك من اغلب المسلمين الا اذا تصاموا وعينا
 كتابا وصدا عما يدعو اليه هؤلاء ، ويكفي أن أقول له : ان الصادق في هؤلاء
 ليس بكثير سنة ، ولا يجوز منهم قلما يخلص قصده ، وما تجد أكثرهم الا
 متجهين بوجه سطحت ، لا يحب بعض عريجات : ويظرك ذلك من
 بهم يلقظون هذه الاسماء وقلما يدرسون شيئا من مدلولاتها ليقفوا على
 الحقيقة منه ، إنما يلقظ بعض من بعض خواص كان لا تمكث في
 الأرض ، اما الصادقون على قديم قديم بعض الناس يسمعون ما يقولون ،
 ويطلبون ارشاد مما يملكون ، خصوصا في أمر الدين والجمع بينه وبين
 مصالح الدنيا لا سيما في بلاد الهند و بين مسلمي روسيا . ولكن الاصلاح
 ليس يحتاج فتمسح الأرض من الشرق الى الغرب في وقت قريب فانتظر
 قديقول القائل : لم تم يكثر هؤلاء كثرتهم بين الأوربيين فيما مضى
 حتى يغلبوا الظالمين من أهل السياسة ويستميلوا العادلين منهم اليهم ،
 ويهضوا بالمسلمين من هذه الرقعة التي طال أمدها عليهم ، ولم لا يزال
 أهل البصير منهم قليلين ، تفرق بينهم بالقول ولا يجرون ، وليس
 العلم فيهم دعاء مليون ، ، ليس ذلك سبيلا لمواخذة الاسلام وحجة
 عليه ؟ وأقول له : ان حظ المسلمين لا يصح ان يكون أسعد من حظ
 مقلديهم بل المنتظر ان يكون أتمس وقد أقامت المسيحية ما يزيد على الف
 سنة قبل ان يظهر فيها العلم أو تنشأ الحرية الشخصية ، أو تسري فيها الحركة
 العملية ، الى ما فيه صلاح الجمعية الانسانية ، مع توالي النبهات ، وتواصل

الصددمات إثر الصددمات ، ولم يمض على المسلمين من يوم استعكمت فيهم البدعة وأطبقت عليهم ظلم المحدثات ودخلوا جحر الضب الذي دخله من كان قبلهم الا أقل من ثمانمائة سنة فلم يمض عليهم وهم في بدعهم الجديد ذلك الزمن الذي قد يكون عمرا لمثل هذه الحالة ثم تقضي نجبها في آخره . وما أظن ان يمر على المسلمين مثل تلك المدة قبل ان يبلغوا من صلاح الدين والدنيا ما هم أهل له

الفرق بين التعصبين: وعلى كل حال لا يجوز في شريعة الانصاف أن يذكر المسلمون في جانب جمهور المسيحيين اذا ذكر الغلو في التعصب الديني فضلا عن ان يقال ان المسلمين أشد إفراطا فيه . والشاهد يدلنا على انه قد يكون للمسلمين في التعصب ألقاظ وكلمات ، ولكن الذي يكون من جمهور المسيحيين إنما هو أعمال وضرابات في التماسلات ؛ وما على طالب الحقيقة الا ان يسبح بفكره في المستعمرات الهولندية في الشرق ومثل مملكة الترنسفال قبل سقوطها وبلاد الناتال في الجنوب ثم يرجع الى بعض بلاد روسيا في الشمال من قبل عشرين سنة ثم يرجع الى الجزائر وما يليها في جهة الغرب ليعلم كيف تكون الشدة في المعاملة مع غير أهل المذاهب المسيحية وكيف يبلغ التعصب من أهله حدا تنظر اليهم فيه الانسانية شزراً ولا تقبل لهم فيه المدنية عذراً

ما على الباحث الا أن ينظر فيما يكتبه الكتاب الفرنسيون ليعلم أنهم في حيرة من أسرهم مع المسلمين . يريدون أن تكون حكومتهم طوائنية فيما ملكت من بلاد المسلمين ولكن حكومتهم لا تجد السبل اليها مع ما اتخذته قاعدة لعملها وهو الشدة والافراط في القسوة على المسلمين خاصة

وحدثهم دون سواهم، وأرباب الأعلام يبحثون عن تلك الظلمات أينما مع المحافظة على تلك القسوة وبأي الله أن يشرهم على ما يبحثون عنه لأنهم يطلبون الجمع بين الضدين في موضوع واحد وهو محال كما يقرره فلاسفتهم
 - رأي هانوتو الأخير في معاملة المسلمين -

موسيو هانوتو أطلق لقلبه من سنوات أن يجري في البحث عن طريقة حكم للمسلمين وقاعدة لمعاملتهم في البلاد التي يحكمها الفرنسيون وجاء في فصول مقاله بما لا يزال يذكره القراء . ثم بعد أن قتل المسألة علما ثلاث سنين، دمج الى موضوع البحث هذه السنة . ان غير الذي كان ينطق به ورأي غير الذي كان يصدر عنه . وإني ذاكر . انخص ما نقلته الجرائد من خطابه الذي ألقاه في المجمع الجغرافي في شهر مارس من هذه السنة متعائفاً بأفريقيا واقصر منه على ما يتعلق بما نحن فيه وهو بالمعنى : « ان القواعد الجديدة التي يجب ان يكون عليها العمل في أفريقيا هي مخالفة للقواعد القديمة التي كانت تجري عليها السياسة الاستعمارية فيما مضى من الزمان » (أي قبل ساعة وقوف الخطيب لالقاء خطابه) ثم بين هذه القواعد الجديدة التي يعامل بها المحكومون فقال : اننا الان ولانتم ثم قال : « اننا مدينون لهم بالعدل والسلام كما اننا مدينون لهم بالسلامة التي وليست أشير الى هذا الموضوع الخطير الذي له علاقة بكل ما يثير النفس البشرية الا اشارة خفيفة فاقول : ان التمدد الاوربي يجد في طريقه في أفريقيا لاسيما في شمالها ذلك الدين القديم العظيم الذي هو دين الاسلام والذي هو في هذه الجهات (شمال أفريقيا) أكثر نشاطاً منه في غيرها . وهذا الدين يدعو الى آله واحد ويجعل الايمان بالتوحيد مصدراً لكل الفضائل

الدائمة والاجتماعية والسياسية في الإسلام، فليس من السهل على الذات منه . فمن المفروض علينا التساهل في هذا الشأن، بل التساهل بكاف وحده فمن الواجب ان ندرس هذا الدين وسبل جهته في فهمه . وعلينا ان نأخذ الكلمة الاسلامية « لا إكراه في الدين » شعاراً لنا لنخرج عن حدود معناها . وان نحترم الدين الاسلامي ونحميه من كل طارئ سوء . ولا بأس بذكر كلمة للأمير عبد القادر الجزائري في هذا المقام وهي : « إن أتحاب الأديان الثلاثة يشبهون ثلاثة اخوة من ثلاث أمهات » انتهى بحصل كلام هانوتو . بل الكلام عليه أسأل « قارئ » هل سمع مثل هذه الكلمة ممن يماثل الأمير عبد القادر في نسبة الى صاحب الرسالة ومقامه في أهل دينه ومكانته من سلامه سيده في مذهبه ؟ أو سمع ما يقرب منها من لا يدينه من أهل المال الأخرى ؟ ترى هانوتو يرشد أهله الى اتخاذ سبيل جديدة في سياسة المسلمين وهذا الجديد هو السلم والأمن والتساهل مع المسلمين في أن يستمر المسلمون واحترام حقوقهم وتركهم يعملون بدينهم . وعد هذا مبدءاً جديداً لم يسبق الجري على مثله . وهل تجيب الحكومة الفرنسية بكتابة مسألة فيها نظر . فهل يليق بمنصف ان يذكر المسلم اذا ذكر التمسك مادام في الكون مثل هذه الدرجة منه ؟

حفظ سياسة الانكليز في التسامح

نعم نحن لانكر ان بين الأمم الاوروبية أمة تعرف كيف تحكم من ليس على دينها وتعرف كيف تحترم عقائد من تسوسهم وعوائدهم وهي الأمة الانكليزية فهي وحدها الأمة المسيحية التي تقدر التسامح حق قدره .

بالإسماعيلية أن تقول : إن إنشاء ذات أن أمراء عراقي الحروب الصليبية وقواد جيشها كانوا من أشد الصليبيين علاقة بسلاطين المسلمين وأمرأه جيشه .
وقد امتاز الانكليز في ذلك الزمن المظلم بدرس عقائد المسلمين وعاداتهم فحماوا من ذلك شيئاً كثيراً إلى بلادهم ولم تحجبهم غشاوة المنصب عن إحصار ضوء الحق وظهور أثر ذلك في أفلام كثير من كتابهم مثل والتر سكوت وشيل وغيرهما قبل أن يظهر في أفلام الكتاتين من غير الانكليز بأزمان طويلة . فلنا أن نقول ولا نخشى لاحقاً : إن هذه الخصلة الشريفة : خصلة إطلاق الحرية لأهل الدين يتصور إبداء فرئسه مع احترام يحترمون - هي من أجل الخصال وريتها غير المسلمين عن المسلمين . وهل أجد من يأتي على القول بأن الاسلام السليم من البدع هو استاذ الانكليز وعنه اخذوا هذه الخلة ؟ الا ترى ان نظامهم في ذلك يقرب من نظام المسلمين .
يوم كانوا مسلمين : يكتفون من الناس بالخضوع للقوانين واداء الضرائب عليهم من الضرائب ثم يحفظون نظام العدل بينهم بقدر ما تسمح به السياسة لا يفرقون بين دين ودين . وهكذا كان حال المسلمين وان كان ذلك على قاعدة ابرار وارحم

خاتمة : فان قال قائل : أليس لهذا المقال من آخر ؟ أليس في طول الكلام مجلبة العلة ، وترويج الكسل ، قلت اني أوجه كلامي هذا الى أهل التفهم الى الفهم ، وأرباب الشره الى المعرفة ، ولا أظن هؤلاء الا طالبين ما هو أوسع من هذا المقال وأطول منه اضمافا مضاعفة لأن الموضوع جليل ، والكلام فيه مهما كثر قليل ، وأما القارئ الملول ، فعملة مدبول ، وعزمه مدبول ، فكم مدبول ، وهو قصير الامة فيما يتصور : انما أطول ، فلا



عليه في تلك الحالة، ولا سيما في تلك الحالة، حيث كانت
 البذرة والحدائق فيه، والعلل التي نشأت بالمسلمين بسببها فرصة أخرى
 وقيل أن أترك القاري أنبه إلى أن ما أجعل في هذه الأصول لم يقصد
 به الظن في حال أحد من الناس ولا طائفة من الطوائف كما يعرفه القاري
 نفسه من لباس المعاني وما يكسوها من الأدب والنزاهة عن كل كلمة تشم
 منها رائحة الميب على آخره. وقد يعلم من هذه النزاهة أن هذا رأي طبخناه
 لنطعمه بأفئسنا، ونفق منه على من تلزمنا نفقته من أهلاء، ولم يكن يخاطر
 بآلتنا عند ما أجدنا طبخه أن نفيض منه على غيرنا، لكن إذا عشنا الساري
 إلى ضوء نارنا، وطلب القرى مناهقا سمناه ما لدينا، وعمر ضنا عليه آخر من
 نفس الحياة، واهنا من خلق الأناة، أن شاء الله، اه

(البار) من غيب الاثنى أنه بعدما كتب هذا المقالات ونشر بعضها
 ظهرت تلك المقالة للمستر كوزيت الانكليزي التي نشرت في المؤيد فجاءت
 شاهدا مؤيدا لما كتب الكتاب في فضل الإسلام وفي صفات الانكليز
 وسنطعن قوله في الاسلام بالمقالات انما كتبت على حمتها في كتاب، وعلم
 القراء بان هذا الامام وعد بان يكتب مقالا آخر ملحقا بهذا في بيان إن ما خفأ
 على الاسلام من البدع وما لحقها من الجحود سيكون هو السبب في الرجوع
 إلى الأصل وإعادة مجد الاسلام ولعلها تنشر في الجزء الآتي

وقد باع كتاب (الاسلام والصراية مع العلم والهداية) نحو مئتي صفحة
 وسنزيده شهادة الكتاب الانكليزي ثم مقال الامام الموعود به. وقد طبع على
 ورق جيد وجعلنا منه مع هذا خمسة فروع صحيحة فقط رغبة في سعة انتشاره

﴿ باب الأسئلة والأجوبة ﴾

(حدوث العالم في نظر الاسلام والفلسفة)

(س ١) المولى رضا الدين افندي قاضي القضاة وعضو الجمعية الاسلامية العامل في اوقاف (روسيا) : قد طال النزاع وقوي الجدل وكثر في هذه الأيام القيل والقال بين الناس في هذا القطر في مسألة حدوث العالم من جهةها الشرعية . فبعضهم يقول : ان الاعتقاد بالحدوث الزماني حسب ماقرره علماء الكلام من متأخري المسلمين فرض على الابداء مثل الاعتقاد بوحدة الله تعالى وصدق رسوله وسائر الاعتقادات الواردة في القرآن الشريف . وبعضهم يخالفه ويقول : ان الاعتقاد بحدوث العالم حدوثاً زمنياً لا يكلف به الشرع ولا أخبر به النبي ولا نطق به القرآن الكريم بل هو من آراء أهل الكلام ويدعهم أخذوه من فلاسفة اليونان ولقنوه العوام باسم الدين وما هو من الدين أصلاً . بل هو من باب الدين بالرأي . وانما الواجب على المسلمين هو اعتقاد ان العالم مخلوق له تعالى من غير تعرض الى حدوثه بالزمان أو بالذات . وهو الذي نطق القرآن به في عدة مواضع . وبالجملة ان القول بالحدوث الذاتي أو الزماني انما هو من مسائل الفلسفة لا تنطبق له بالشرعية . ولما كانت جريدة المنار هي الجريدة الدينية الوحيدة جنباً الى حضرتكم نستفر رأيكم في هذه المسئلة ونشره أيضاً في أحد أعدادها ويكون هو ان شاء الله تعالى الفاصل بين الحق والباطل .

(ج) ان السوابق في الرأي الثاني . وما كان لدين الفطرة . مقرر الحنفية الساجدة .

الذي ظهر في الامين ، ودعا اليه المتوحشين والممدنين ، ان كل يكلف كل فرد في تصحيح الايمان ، بنظريات فلاسفة اليونان ، واتحيز بين تلك الاختلافات في حدوث الزمان والحدوث بالذات . ثم خلاقات الفلاسفة مع أهل الكلام ، في أصل وجود الزمان . فالتكلم يقول انه أمر اعتباري ، والفلاسفة اليوناني يقول انه وجودي ، وانما الممارك بحارب الباحث فيها غير عدو حتى اذا أعيا من مقارعة الدليل بالدليل ، وتفض عنه غير القائل والقيل ، رجع الى أحد الأمرين — وقوف التجربة أو دين الفطرة ، المقصد الاول من مقاصد القرآن المبين ، تقرير عقائد الدين ، ثم هو لم ينطق بكلمة من مادة الحدوث للايمان ، لا بحسب الذات ولا بحسب الزمان ، فلهذا نظر ان يقول : ان أطراف الستن الآلهية ، في العوالم العلوية والسفلية ، ووحدة النظام مع الايمان ، في جميع هذه الاكوان . يدلان على ان لها خاتماً عالمياً . تبرز حكماً .

الفاضل القرظي « مستفاد الأخبار » فإن ما كتبه عن النسخة الحطية هو عين ما في النسخة المطبوعة إلا أنه يحذف لفظ « تركنا ذكره » بقوله « تركياً ذكره » ولفظ (غريبة) بلفظ (عربية) فكان التبديل والتحريف ، من هذا الضعيف ، وسببه أن النسخة الحطية التي رآها غير منقوطة فأوقعت الفاضل فيما رأيت ، وما كان مثله أن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم يكتب لقوم من العرب كتاباً تركياً فإن جاز أن يعرف هو التركية من طريق المعجزة فمن أين لعمير وقومه بني أسلم علم ذلك ؟ وما هو الداعي إلى مخاطبة العرب بلسان المعجم ؟ ثم ما كان مثله أن يخفى عليه أن كلمة (ذكره) بدكلمة (تركياً) لا معنى لها ولكن معناها ظاهر إذا كانت الكلمة (تركناً) وهو أن المصنف ترك ذكر الحديث لوقوع التحريف فيه وسبب التحريف وجود الالفاظ الغريبة التي لم يفهمها رواة . أما عبارة الكتاب فهي كما في ترجمة عمير بن أفضى الاسمي : « روى أبو هريرة قال قدم عمير بن أفضى في عصابة من أسلم فقالوا يا رسول الله أنا من أرومة العرب نسكن في البدو بأسنة حداد ، وأذرع شداد ، ومن ناوانا أوردناه السامة ، وذكر حديثاً طويلاً في فضل الانصار وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب لعمير ومن معه كتاباً تركناً ذكره فإن رواه نقوله بالفاظ غريبة وبدلوها وصحفوها تركناها لذلك أخرجه أبو موسى اه وقد قابلنا النسخة المطبوعة بنسخة خطية في مكتبة الحكومة المصرية كتبت في سنة ٧٢٢ هـ أي بعد وفاة ابن الأثير بأقل من قرن فالفيناها مطابقة لها

السلام على غير المسلم : (س ٣) الشيخ بسطوي يبي بركات بالحلة الكبرى : قال الله تعالى « وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها » وقوله تعالى « وَلَا تَقْرَبُوا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ الْيَهُودِيَّ وَابْنِ مَرْيَمَ الْيَهُودِيَّ » وقال « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ غَيْرِ بَيْتِي حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا » الآية . فهل هذا الإطلاق في الآيات الكريمة يشمل المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب وغيرهم من بني آدم أم هو خاص بالمسلمين فبدت إطلاقه عليهم أحاديث صحيحة صريحة ؟ وهل قوله صلى الله عليه وسلم « لا فيما معناه » أن من حق المسلم على المسلم إفتاء السلام . يعتبر من قيود الإطلاق لفهم البعض سقوط حق غير المسلم أم لا ؟ وإذا قيل أنه عام فهل ينبغي شيوعه بين الطوائف حتى يصير عادة مألوفة أم لا ؟

(ج) إن الإسلام دين عام ومن مقاصده نشر آدابه وفضائله في الناس ولو

بالدريج وحذب بعضهم الى بعض ليكون البشر كلهم أخوة . ومن آداب الإسلام التي كانت فاشية في عهد انبياء الإسلام الامع الحاربيين لأن من سأم على أحد فقد أمتته فاذا فك به بعد ذلك كان خطئاً ناكثاً تأمده . وكان اليهود يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم فيرد عليهم السلام حتى كان من بعض سفهائهم يحرمون السلام بافظ (السأم) أي الموت فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحجم بقوله « وعليكم » وسمعت عائشة واحداً منهم يقول له : السأم عليك . فقالت له : وعليك السأم واللغة . فانهرها عليه الصلاة والسلام مينا لها أن للمسلم لا يكون فاسقاً ولا سيئاً وان الموت علينا وعليهم . وروي عن بعض الصحابة كابن عباس انهم كانوا يقولون نذبي : السلام عليك . وعن الشعبي من أئمة السلف أنه قال لنصراني سأم عليه : وعليك السلام ورحمة الله تعالى . فقيل له في ذلك فقال « أليس في رحمة الله بعيش » وفي حديث البخاري الأمر بالسلام على من تعرف ومن لا تعرف . وروي ابن المنذر عن الحسن أنه قال « فحذروا بأحسن منها فلا مسلمين » أو « دوها » لأهل الكتاب . وعليه يقال للكتابي في رد السلام عين ما يقوله وان كان فيه ذكر الرحمة

هذه لمة مما روي عن السلف ثم جاء الخلف فاختلّفوا في السلام على غير المسلم فقال كثيرون انهم لا يبدأون بالسلام لحديث ورد في ذلك وحملوا ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم على الحاجة أي لا يسلم عليهم ابتداءً الحاجة . وأما الرد فقال بعض الفقهاء انه واجب كرد سلام المسلم وقال بعضهم انه سنة وفي الحاشية من كتب الحنفية ولو سلم يهودي أو نصراني أو مجوسي فلا بأس بالرد . وهذا يدل على انه واجب عند هذا القائل لا واجب ولا مستوف مع أن السنة وردت به في الصحيح أما ما ورد من حق المسلم على المسلم فلا ينافي حق غيره فالسلام حق عام ويراد به أمران مطلق التحية وتأمين من تسلّم عليه من القدر والإيذاء وكل ما يسيء . وقد روى الطبراني والبيهقي من حديث أبي أمامة : « ان الله تعالى جعل السلام تحية لأمتنا وأماناً لأهل دنتنا » . وأكثر الأحاديث التي وردت في السلام عامة وذكر في بعضها المسلم كما ذكر في بعضها غيره كحديث الطبراني المذكور آنفاً

أما جمل تحية الاسلام عامة فتعدي أن ذلك مطلوب وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن اليهود كانوا يسلمون على المسلمين فيردون عليهم فكان من تحرّفهم ما كان سبباً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم عليه والسلام بأمر المسلمين أن يردوا عليهم

بالنظر « وعليكم » حتى لا يكونوا مخدوعين للمحرفين . ومن مقتضى القواعد أن التي
 يزول بزوال سببه . ولم يرد أن أحداً من الصحابة نهى اليهود عن السلام ، لأنهم لم
 يكونوا يحظروا على الناس آداب الاسلام ، ولكن خلف من بعدهم خلف أرادوا
 أن يمتنعوا غير المسلم من كل شيء بعلمه المسلم حتى من النظر في القرآن وقراءة الكتب
 المنتحلة على آياته ووطنوا أن هذا تعظيم للدين ، وصوّن له عن المخالفين ، وكلما زادوا
 بعداً عن حقيقة الاسلام زادوا ابتعاً في هذا الضرب من التعظيم . وإنهم يشاهدون
 النصارى في هذا العصر يجتهدون بشردنيهم ويوزعون كثيراً من كتبه على الناس مجاناً
 ويملكون أولاد المخالفين لهم في مدارسهم ليقربوهم من دينهم . ويجتهدون في تحويل
 الناس إلى عبادتهم وشمارهم ليقربوا من دينهم حتى أن الأوربيين فرحوا فرحاً
 شديداً عندما وافقهم خديو مصر السابق على استبدال التاريخ المسيحي بالتاريخ الهجري
 وعدّوا هذا من آيات الفتح ، ونرى القوم الآن يسمعون في جبل يوم الأحد ألسوعياً
 للمسلمين يشاركون فيه النصارى بالبطالة . ومع هذا كله يرى المسلمون لازلون
 يحبون منع غيرهم من الأخذ بأدابهم وعاداتهم وزعمون أن هذا تعظيم للدين .
 وكان هذا التعظيم لانهائية له الاحجب هذا الدين عن العالمين ، ان هذا هو البلاء
 اللين ، وسيرجعون عنه بعد حين ،

باب التوسل بالتعليم

﴿ الأزهر والأزهريون . وقاضل هندي ﴾

(الرسالة الثانية معاودة الشيخ عبدالمعز الريني الأزهرى والأولى نشرت في الجزء ١)

(من القاهرة الى حيدر اباد)

إليك أيها الاخ سلام صديق طبع قلبه على الاخلاص لك ، وارتبط بأسباب محبتك .
 وشكوى شوق قد برح في برح . لا أستطيع له شرحاً . وبعد قد ذكرت لك في
 رسالتي السابقة طرقاً من نظام مدرسة الأزهر وطرق التعليم بها على وجه الجملة
 والآن أريد أن أتى لك بمبارة أوسع وتفصيل أشنى على كل ما رأيته من نظام طلبتها
 وسلوكهم مناهج التحصيل مقتفياً أثر الطالب في كل دور من أدوار طلبه من إبان

دخوله فيها حتى يترشح ليل شهادتها ميئاً لك قوته وما حصل عليه في كل دور منها
زرت أيها الاخ تلك المدرسة من تاريخ الرسالة الاولى حتى اليوم زورات متعددة
في أوقات مختلفة وقتت فيها على تلك الدروس وقفة الماشق الذهب على الربيع الحيل
وهو يبكي لأناس غاهدوا الرحيل على أن لا يعلوا التذليل

فكانت نتيجة ذلك البحث الدقيق والتقدير المتواصل ان ظهر لي ما عليه تلك
المدرسة الواسعة الكثيرة العدد ووقوفها على مواضع خلها وسوء نظامها على ما أنا
عليه من الغربة وبعد الدار . ورأيت أن أجعل كل موضوع رأساً مستقلاً بنفسه
أذكر فيه كل ما استبان لي من التقديرات كما سيربك ان شاء الله

انتظام الطلبة : وأول أمر رغبت في كشف سره وبيان سببه من أمور هذه المدرسة
هو سبب كثرة طلابها حتى بلغوا التسعة آلاف أوزيريدون وأغلبهم من المصريين كما
قدمت لك في رسالتي السابقة فكان غاية ما وقفت عليه من ذلك ما سمعته هناك من أن
قصة خير قال : لا يكاد يمر الانسان ببلدة من البلدان المصرية أو قرية من قرىها حتى
يرى مئات من شبان المصريين حلفاء التربة وضيق ذات اليد وهم يطاردون الجوع
بالعأس والحراث وتضيق يومهم الطويل في الحقول والمزارع والتعب والتصب تحت شمس
مذيب بوجهها رأس الضب . ومن بينهم أفراد لا يكاد يتخلو منهم بلد من البلدان أو قرية
من القرى معطلون عن كل عمل يطلقون عليهم تارة لقب الفقهاء أو الوعاظ وطوراً اسم
المأذونين ترى الواحد منهم في جبة وقباء ومحامة بحجر أياً كل جميع ساعات نهاره إما مترماً في بيته
خالياً من كل عمل أو قاعداً في إحدى الزوايا ينثر من فيه على بسطاء أهل الفلاحة
ما يسمونه وعظاً وإرشاداً وما هو إلا أقاصيص أو لغو في حكمها يدعوا الناس به الى
حب التواكل والبطالة حتى اذا أتى على آخر الدرس لبث مكثمة منتظراً ما تدر به
أيدي أولئك العملة المساكين الذين لم يحصلوا على الدرهم الا طراداً ، ولم يتالوا
اللقمة الاجهاداً . ومن ذلك يتألف لهؤلاء المعطلين عيشة لا تعب فيها ولا نصب فاذا
رزق الله أحد الفلاحين الفقراء ولداً وقع بين تارين إما أن يدعه يشغل بما يشغل
هو به فيعيش عيشة البؤس والخصاصة وإما ان يدفع به الى الأزهر ويثابر على أن يقسم
له ما يناله من الأجر على أعماله حتى يمضي عليه عدد من السنين فيخرج منه وقد
ترشح لأن يأكل من أوساخ الناس ويعيش عائلة على البعاد متوسداً الراحة من
غناء كل عمل . فاذا ترجع عنده الامر الثاني دفع به الى الأزهر وأخذ يجري عليه

من النفقة ما يقطع من قوت يومه الضروري . لذلك لا تكاد تجد في المائة واحداً من الطلبة من البيوتات الشريفة التي يعمل أهلها لمستقبل شريف كالقضاء والافتاء . فنت اذا سرت في ساحة تلك المدرسة فاعلمتق أجساماً تنبوع رؤيتها النفس وهم مختلفون متصرفون ليس لهم نظام ولا ترتيب . ويفلب ان يكون سن الطالب عند اندراجه في سلك الازهرين . ما بين الخامسة عشرة الى الثلاثين ، وقد كان امتحان الدخول في هذه المدرسة بسيطاً قاصراً على معرفة القراءة والكتابة أما اليوم فهم يشترطون مع ذلك حفظ جميع القرآن للكفيف ولصفه لغيره .

ولأجل ان تمكن من أن أبين لك ادوار الطالب هناك وأوقفك على قوته في كل دور منها اقسما الى ثلاثة أدوار كل دور ثلاث سنوات فيكون المجموع اثني عشرة سنة . وهي أقل مدة أمكن بعض الطلبة نيل الشهادة فيها

الدور الاول : يتقدم الطالب للانتظام في الازهر وهو في السن الذي قدمت لك فان كان من الفلاحين (وهو الاغلب) رأى نفسه قد استقل طرفة من بين رعاه الشاء الى حلقات المدرسين ومجالس العلماء، وان كان من البيوتات الكبيرة والأسر الخاصة (وقليل ما هم) انتقل المسكين وثبة في يوم واحد من نعم العيش وحسن الحال الى عيش الشظف والحشونة وبذل في ساعة واحدة بروية أهله وهم على ما عهد من الطائفة وجال الهندام رؤية أولئك الذين ذكرت لك . وسواء كان الطالب من العامة أو من الخاصة فانه يتساوى مع غيره في الطلب وطرق التحصيل

يدخل الطالب تلك المدرسة وهو لا يدري كيف يحضر ولا ماذا يقرأ ولا على من يتلقى دروسه ولا على أي وجه يسير فيها ولا ماهي الكتب تشتري لتلك الفرض من حيث لا ناظر له هناك ولا رقيب عليه يأمره بشراء كتاب معلوم والاختلاف الى درس مخصوص بل يمكث هناك المسكين ألباماً يجول في أركان الازهر وهو على ما ذكرت من البساطة والسذاجة يأخذ كل يوم في التطواف بحلقات الدروس يتسائل من الطلبة للتقدمين عن كتاب يشتره، ودرس ينتظم في سلك طاليه . حتى اذا تسمر له ذلك بعد الذي تقدم من الحيرة والتصب وضاع الوقت وحضر احد الدروس أخذ يقلب طرفه فيما بين يديه ويحدد أذنيه لسماع ما يلقى عليه ، فلا ينظر الا قوساً لا مقدرة له الا على النطق بها دون أن يعقل لها أقل معنى . ولا تقع في أذنه الا ألفاظ هي أشبه بالطلاقة منها بما يتكلم به الناس فيظل سنته الاولى وهو يروح الى الدروس كما يندو اليها خالياً من الفائدة مجرداً من

فهم أي شيء مما يتلوه عليه معلمه اللهم إلا أن يحفظ بعض كلمات مثل : ضرب زيد .
وقتل بكر عمراً : وتأبط شراً : وقال رحمه الله تعالى : الخ .. هذا مبلغ ما يصل إليه
الطالب من اختلاطه الى دروس النحو في سنته الأولى - وأريد قبل أن أسلك
بالكلام الى دروس الفقه أن أقول كنت أود أن أطلعك على جميع ما يستعمل به
الطالب من الكتب على المذاهب الأربعة الا اني لا أرى في استقسانها كثير فائدة بل
الاحسن أن أفصل كتب مذهب واحد واسقت أن يكون الحنفى لأنه الأشهر .
وان لم يكن الاكثر : ثم أنت تقيس ما بقي من الكتب في المذاهب الاخرى عليه
لما بينها من المشاكلة التامة في صناعة التأليف وأسلوب التحرير .

وما حصل عليه في سنته الأولى من النحو يحصل على ما يشاكله في الفقه . وأول
كتاب في النحو يسمونه الكفراوى وما يقابله من الفقه يسمي رماقي الفلاح . اما لكفراوى
فقد وضعه صاحبه شرحاً لمن صغير اسمه الاجرومية مشروئ المبارة مختصراً جداً .
واما رماقي الفلاح فهو كتاب يقتصر من الفقه على المبادات فقط وهو على
ذلك مجلد ضخم سلك به مؤلفه مسلك الأسهاب والإطناب . على انه على ما به من
التطويل يعد أحسن كتاب في الفقه هناك . وتصارى القول ان الطالب يقطع شهور
سنته الأولى كلها ولا يعلق بذهنه ما يستحق ان يذكره لك . وانما هي كلمات يسميها
قمر عليه من الحيال الساري - ثم يدخل في سنته الثانية وهو على هذا الخلل في كل
أياها وهو بالحيرة والذهول لقصور ذهنه عن ادراك أي شيء مما يسمع أو يقرأ .
وكثيراً ما يلحق الطالب أو أهله القنوط من التعاج فيخرج من هناك ليحترف . ولا
كتب يحضرها في سنته الثانية على الغالب الا ما أمضى فيها سنته الأولى وسيره فيها
لا ينجح عن السنة الثالثة الا بكونه وصل الى أن يهرب جلا بسيطة معلومة حفظ
اعرابها حفظاً على غير فهم ولا فكر . ويعرف بعض اسماء الافة وشيء من الاصطلاحات
الفقهية في الفقه . ثم يتدرج من هاتين السنتين الى السنة الثالثة وفي أولها يكون قد أثر
في ذهنه كثرة ما يرد عليه من تعقيد الجمل وتشويش المبارات تأثيراً يحملة على الجلد
والتصبر على تلك الاساليب وربما فهم اذ ذاك بعض الجمل بعد ان ينصب نفسه ويتعب
فكره كل التعب ويتقل حينئذ من الكفراوى الى كتاب يسمونه (الشيخ خالد)
وهو كتاب أصغر في الحجم من الكفراوى وأسهل منه عبارة ولكن يظهر أن
سهوله لم ترق للاشيخ هناك فانبهرى له بعضهم وعلق عليه حواشي من المفروض

على الطالب الازهرى أن يكده ذهنه في فهمها ولم أرَ علم الله كتاباً يكده الفكر .
 . كتب الفاضل في فهم عباراته المشوشة المضطربة مثل ذلك الكتاب . ويقابل هذا
 . كتاب من الفقه في هذه السنة كتاب (العناني) أخو تلك الحاشية في فساد العبارة
 وساجتها وقبح تحريرها ركب به مؤلفه أسلوباً لم أرَ ما يشاكله في كل ما وقع لي من
 مؤلفات العرب فهو يحذف ما يلزم أتباعه ويكتب ما من حقه الحذف ويؤخر ماله
 التقديم ويقدم ما من شأنه التأخير .

وأعمل اليك قبل أن أرتقي الى ذكر الكتب الفقهية الكبيرة بيان أن هذا
 الطالب الضعيف بفاجأ في هذه المدة بتلك الابواب الطويلة المحشوة بالخراف وتضارب
 آراء الأئمة فيها لا يموت باقل فائدة على التلميذ ولا ينتظر أن تكون منه فائدة لغيره
 مثل ابواب الشق والرق الخ وهناك ابواب أخرى فتحها نافع ولكن توسعها ضارة
 لأن مؤلفي تلك الكتب خرجوا بها عن دائرة التشريع الى سبيل واسعة من الخيال
 المحض فلا تكاد تنظر في باب من ابواب الطلاق مثلاً حتى ترى الكثير من الصور
 الفرية الثابتة عما يقصد الشرع في كتاب الله الحكيم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
 وما جرى عليه أصحابه وأئمة السلف في الصدر الاول من الاسلام .

على ما قدمت يشي التلميذ من دوره الاول ولو أتى بفلام ساهم الفطرة الى معلم
 حكيم في التعاليم وأخذ يعل عليه كل يوم قليلاً من النحو والفقه ويفهم ما يحق التفهم
 البالغ في ثلاثة شهور من التحصيل الى أضعاف ما يلزمه طالب الازهر في ثلاث سنوات .

الدور الثاني : اذا خرج الطالب من هذا الدور وهو على ما مر بك وأخذ يدخل في
 الدور الثاني كان أول شيء يبدأ به أن يضم الى درسي النحو والفقه درساً أو درسين في
 التوحيد أو المنطق أو البلاغة أو العروض واختيار الطالب أي فن من هذه الفنون
 أمره موكول الى المصادقات التي تسوقه الى أي فن منها وكثير من الطلبة لا يجد عينية
 الى تلك العلوم الا بعد مضي ست سنوات ولا أريد أن أذكر لك الآن ما هي هذه
 الكتب وما يستعده الطالب منها بل ادع ذلك لفرصة أخرى وآتي لك قبل ذلك
 على وصف ما يشتمل به من الكتب في العلمين الأسليين عندهم الفقه والنحو

وأول كتاب يقتنون به السنة الرابعة في الفقه كتاب يقال له (متلا مسكين) يضي
 به التلاميذ على الطالب سنتين ومتلا مسكين هذا كتاب ما تقدم من الكتب بمحشو
 بالخارج يستنبه عن غير جدوى والتمسق في فروع نفى الاعمار ولا تقع ولا

يحتاج إليها غير أنه يمتاز عن تلك الكتب بالخطأ فليلاً يورده من نقول أئمة المذاهب الأخرى في معترض الرد عليهم وتزييف أقوالهم ، وهو ما لا يكاد يخلو منه كتاب أو باب من الأبواب . بعد أن يتم المسكين (من لا مسكين) يأخذ في تلقي كتاب بعده يقال له (اليعني) وهو كتاب بلغ به صاحبه حد النهاية من الخطأ والفاط والتعمل في تزييف مذهب الامام الشافعي واختراع الصور الفقهية ولا يكاد يأتي الطالب على آخره وفي صدره شيء من جوهر العلم اللهم الا تلك الصور الذهنية والمسائل الخيالية والمباحكات اللفظية وحفظ أسماء أغلب من اشتغلوا بهذا الفن لكثرة ما ورد من اسماهم في صدد الخلاف ، وإن تعجب فمعجب بل ألف عجب اتفاقاً أكثر جاعة الازهر وجل مشايخه على استحسان هذا الكتاب وامتناع كل من حذا حذوه في صناعة التأليف . رندي ان ذلك كاف لبيان ما هم عليه من الذكاء والنبل وما وصلوا اليه من العلم والفضل . ويشغل الطالب فيما يقابل ذلك من النحو في الدور الثاني بثلاثة كتب — الازهرية والقطر والشذور . أما الازهرية فكتاب سهل المباشرة اقتصر من النحو على المبادي الا أنه مبتلى كاخواته بحاشية شط فيها مؤلفها في أغلب المواضع عما هو بصده . وأما كتابا القطر والشذور فكلاهما درة ثلاثين اطاراً بالية ألفهما ابن هشام رحمه الله غاية في حسن المباشرة وانسجام الاسلوب لم يترك قاعدة يحتاج اليها الطالب الا أنى علم في هذين الكتابين . ولو اقتصر الازهريون على قرأتهما متابعين لجدوا من الحوائشي والتقارير لحصل الطالب منهما على الفرض المقصود من النحو . ولكن الأمر على عكس ذلك فقد وضع بعض الأشيخ على كل كتاب حاشية لم يقع طرفي حتى اليوم على عبارة أبرد ولا اسجع من عبارتها وقد سلك بها طريق التمسك والتعميد حتى صارت سجة يحول بين الطالب وما توخى بيانه المؤلف رحمه الله . ومن غرائب الاتفاق ان وقت في يدي اليوم حاشية القطر فكانت أول جملة وقع طرفي عليها من غير قصد ما كتبه صاحبها تعليقاً على بيت أورده للمؤلف وهو :

(الا يا أسلمي ياداري على التلي ولا زال منهلا يجرع عاك القطر)

(قال المحشي) الاحرف استفتح واسلدي فعل امر رمي اسم امر أو التلي مفعول مكسور المراد به الاتدراس والافتاء . اي اسلمي وان كنت قد بليت . ثم قال بعد كلام واعتراض على الشاعر أنه لم يحترس لان دوام المطر يجرب الدار . واحيب بانه قدم الاحتراس في قوله اسلمي وبأن ما زال تقتضي ملازمة الصفة للموصوف مذكراً قابلاً

لما على حسب قابليتها ثم قال وقد ضمن بعضهم هذا البيت حيث قال
 اليك اشتياقي يا كنانة زائد فإني غناه عنك كلا ولا صبر
 فلا زلت اكلني كل يوم ولية ولا زال منهلًا بحر عاتك القطر
 (والكنانة) انشبه الحماوى للمصريين . هذا ما يشتغل به الطالب هناك في مدة
 ست سنوات من النحو والفقه وأقسم ليها الاخ اني لم أر حتى ساعى هذه بمن يقع
 السنة السادسة وحضر تلك الكتب في النحو ومن يحسن أن يكتب سطرًا واحدًا أو
 يقرأ جلتين يصير لحن وغلط وأريد أن أختم هذه الرسالة الآن مقتصرًا على ما ذكرت
 وفي الرسالة الآتية ترى البقية الباقية والسلام عليكم ورحمة الله

أنا كنانة

﴿رسالة الكسائي في لحن العوام﴾

نظر بها الباحث الألماني (بركلن) وطبها في ألمانيا وأهدى نسخة منها الى
 صديقنا أحمد زكي بك الكاتب الثاني لاسرار مجلس النظار فرأينا أن ننشرها في النار
 لما فيها من الفائدة للكتاب والطلاب وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم . وبه نستعين . اللهم صل على محمد وآله الطاهرين .
 هذا كتاب ما لحن فيه العوام مما وضعه علي بن حمزة الكسائي لارشيد هرون
 ولا بد لأهل الفصاحة من معرفته .

تقول حرصت بفلان بفتح الراء . قال الله عز وجل « وما أكنز الناس ولو
 حرصت بمؤمنين » ولا تقول تحرم بفتح الراء . قال الله تعالى « إن تحرم على
 هذاهم فإن الله لا يهدي من يضل » . وتقول ما قمت منه إلا عجلته بفتح القاف
 لا يقال غيره قال الله عز وجل « وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله » . وتقول دعه
 حتى يسكت من غضبه بالناء ولا يقال بالثون يسكن (١) قال الله عز وجل « ولما

(١) من عدى سكت الغضب بمن ولم يستشهد له وإنما الشاهد في الآية
 معدي بمن . وقد فسر (سكت) الزجاج وغيره بسكن . وقيل إن الكلام على القلب
 أي سكت موسى عن الغضب . وذكر الزخشرى الحرف في مجاز الاساس فقال :

سكت عن موسى النضب * * * وتقول قد تَقَدَّ المَالُ والطعامُ بكسر الفاء قال تعالى
 « قل لو كان البحرُ مدادًا لكلماتِ رَبِّي لَنَفِدَ البحرُ » * وتقول عجِزَت عن الشيء
 بفتح الجيم ومنه قوله تعالى ذِكْرُهُ « أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغَرَابِ »
 وتقول كسرت ظفر زيد بضم الفاء والطاء جميعاً (١) قال الله تعالى « وعلى الذين
 هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ » وتقول قد صرفت فلاناً وقد صرف وجهه بشير
 ألف ولا يقال أصرفت فلاناً قال الله عز وجل « ثم أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ »
 وتقول قد أَصْرَفَتِ الكلمةُ إذا طَلَبَتِ المسألةُ * وتقول قد اسْتَدَّتْ البطانةُ بكسر
 الياء (٢) قال الله جل ذكره « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ »
 وتقول لنا على المضي إلى فلان (٣) بتثنية الياء قال الله تعالى « فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا
 وَلَا يَرْجِعُونَ » * وتقول شكرت لك ونصحت لك ولا يقال شكرتك ونصحتك *
 وقد نصح فلان لفلان وشكر له * هذا كلام العرب قال الله تعالى « واشكروا لي ولا
 تكفروا » * « وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ » * وتقول عَسَيْتُ
 أَنْ أَكَلِمَ زيداً بفتح السين قال الله عز وجل « فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ
 تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ » * وتقول قد أَرَبْتُ فلاناً موضع زيد ولا يقال أَرَبْتُهُ فإنه خطأ
 قال الله تعالى « وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا » وقال أيضاً « رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ »
 وتقول قد أَوْرَتِ النارُ إذا أَسْمَلَتْهَا بأواو وقال تعالى « أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ »
 وقال عدي بن زيد في شاهد ذلك :

وُطِفَ حَدِيثُ السُّوءِ بالصمتِ إِنَّهُ مَتَى تُورِ نَارًا لِلْعَنَابِ تَأْجِجًا (١)

« وسكت عنه النضب والحزن وكل ماله أثر ناطق » ففهم وجه السجوز وقال الكسائي
 أنه استمارة بعية * وقرأ معاوية بن قرة في الشواذ (سكن) بالنون فهو ليس خطأ
 (١) هذه هي اللغة الفصحى ويقال ظفر بضم الظاء وكسرها مع سكون الفاء *
 (٢) في اللسان السدد القصد في القول والوفق والإصابة وقد تدله واستد * وبطانة
 الإنسان خاصته الذين يفتضي إليهم بأسراره مأخوذ من بطانة الثوب (٣) الجملة غير ظاهرة
 ولعلها في الأصل استفهام (١) كذا ضبط (طف) في الأصل والمعنى يقتضي أنه من
 الملهوز والمسروق أطفأ النار * ثم رأيت اللسان والتساجر ورواه (وأطف) وتأججا
 أصله تأجج مجزوم وحذف اللام قياس

وبالوقوع القوم في صغور وهبوط وحدور مفتوحات الأوتار وكذلك السخور سحر
 الصائم (١) والفقير أيضاً على مثال قول قال الله عز وجل «سَأَوْفَىٰ عَنْهُ صُؤْدًا» وكذلك
 الركوب قال الله تعالى «فَهَا رَكُوبُهُمْ» وقول شد ثوبك وشد عليه ضم الشين
 قال تعالى «فَشُدُّوا الوثاق» وقول ذر ذره ودعه وذرا الأمر ولا يقال: وذرنه ولا
 ودعته قال الله «ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا» ولا يقال منه فلتهم ولكن تركته وقول
 جهدت به كل الجهد والجسيم الأولى مفتوحة والثانية مضمومة قال الله: «والذين
 لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ» وقول دمعت عيني بفتح الميم وبجست عينه بالضم ولا يقال
 بجست بالين (٢) إنما البخش والقص ان تقص الرجل حقه وقول وددت أني في
 منزلي بكسر الدال الأولى قال بعض الأعراب:

أحب بُسْتِي ووددت أني حُفرت لها برابية قيرا (٣)

﴿الهدايا والتأريض﴾

(المرطبات المستقيم) كثرت تذكير الباحثين في الإصلاح ورأه إصلاح التربية
 والتعليم — من كتب القرون المتوسطة وما بعدها ووعورة مسالكها وصعوبة أساليبها
 وعدم موافقتها للتعليم فقص الله تعالى لهم من أنفسهم من يسى في إحياء كتب
 السلف ليستعان بها على إحياء اللغة والدين، ومن يشتغل بتأليف كتب جديدة يستعان بها
 على التربية والتعليم، فينا جملة إحياء العلوم العربية تشتغل بطبع المختص وتسمى
 باستنساخ مندوة الامام مالك وكتاب الأم للإمام الشافعي لطبعهما ومنذ هذه
 الحجة يشتغل بطبع (دلائل الإعجاز) بعد طبع (أسرار البلاغة) إذا بالشخ أحمد زناقي
 ناظر مدرسة اللغة الحديثة وأستاذ العربية والدين فيها يؤلف الكتب القريبة التناول
 في العلم القوية التأثير في علم الدين
 وأكبر مؤلفاته هما، وأحسنها صنفاً، كتاب في علم الدين سباه الصراط المستقيم
 وقد جعله ثلاثة أقسام قسم في العقائد وقسم في العبادات وقسم في الآداب وفي

(١) السخور ما يؤكل بالضم فعل الأكل وقت السحر ومثله النفلور (٢) أنكر
 البخن بمعنى الفسق الأزهرى والمصنف وأثبته الأصمعي وقال إنه لغة كالبخر
 (٣) كذا ضبطها الطابع ولا يصح ولعلها تصغير قبر وفي هامش النسخة المطبوعة
 لفظ (خفياً) وهو بمعنى الله

كل قسم فصول في الواجبات الاعتقادية والعملية والأدبية . يتدعى الفصل بالآيات
الكرمية الواردة في الواجب الذي يتكلم عنه فيه ثم يأخذ الحكم مما تهدي اليه مع
بيان معناها . فهكذا يجب أن تكون صكبت الدين لتطمئن بها القلوب ، وتؤثر في
النفوس ، وقد أثمر في الكتاب بيان أسرار العبادات والآداب الدينية ، ومنافعها
الدينية والاخرية ، وبعد فراغ المؤلف من كتابه عرض على الأمير المباس
أبده الله تعالى فسر به وأمر بأن يطبع على نفقة الخاصة الخديوية فطبع في المطبعة
الأميرية طبعاً متقناً على ورق جيد وجعل في جانب كل صفحة منه جدولين يذكر في
أحدهما بأزاه الآيات القرآنية التي افتتحت بها الفصول اسم السورة وفي الثاني عدد
الآية ولو كان هذا البيان عاملاً لجميع الآيات القرآنية في الكتاب لكان النفع أتم .
ومصفحات الكتاب ٤٠٠ وعنه ١٢ قرشاً صحيحاً

(الهداية الى الصراط المستقيم) اختصر المؤلف كتاب الصراط المستقيم بكتاب
سماه بهذا الاسم وهو مثل الأول في ترتيبه وأسلوبه الا ان حجمه نصف حجمه
والفرض من الاختصار ان يكون المختصر كتاب تعليم يرتقي منه التلميذ الى الطول
ويتهدي بتلقي هذا دراسة الى فهم ذلك بنفسه . وقد طبع الكتاب الثاني على نفقة الخاصة
أبضا وفقه الله مولانا الأمير ، الى ما فيه احياء العلم والدين . وعنه ثمانية قرشون
صحيحه ففتح كل من يطلب فهم الدين على مطالعة الكتابين

(صحيح القرآن) كتاب من أجبل ما كتب علماء الاسلام في خدمة الدين
للإمام أبي النضائل أحمد بن محمد بن المغيرة بن الخوارزمي جمع فيه الآيات القرآنية
التي يخرج بها الفرق المفرقة من الاسلام في المسائل المختلف فيها بينهم ليعلم الناظر في
الحجج بحصمة لديه ، مثله أمام عينه ، أيها الحق بالقبول ، وأدل على المدلول ، وقد
ذكر في فاتحته ان أصل الفرق ثمان — الجيرة وفي مقابلتها القدسية . وللمرجة وفي
مقابلتها الوعيدية . والصفاية وفي مقابلتها الجهمية ، والشيعية وفي مقابلتها الخوارج .
قال : ومن هذه الفرق الثمان تشعبت الفرق الثلاث والسبعون ، أي التي ورد بشأنها
الحديث المشهور . وابواب الكتاب ثلاثون باباً في كل باب فصول كثيرة جمعت المسائل
المهمة المختلف فيها . واننا لمتقد انه يصير على كل عالم ان يفهم الحق في هذه المسائل
بدون ان يطالع على هذه الآيات التي يخرج بها كل فريق على رأيه ولا يعرفها مجموعة
في غير هذا الكتاب . لذا أقول ان إحياء هذا الكتاب خدمة جليلة للاسلام .
فجزى الله الشيخ أحمد عمر المحمدي الأزهرى خير الجزاء ان طبعه ونشره بين

الزاس ثمن بنحس وهو قرشان مهيحان . ومن طلبه من الخارج فليرسل مع الثمن قرشاً لأجرة البريد . وهو يوجد في إدارة المنار بمصر وفي مكتبة هندية ومكتبة الملبجي ومكتبة الرافعي ومكتبة المؤيد ومكتبة الهلال

(حياتنا التناسلية) أو « دليل المازب وطيب المزوج » كتاب يدل اسمه على موضوعه مؤلفه الطبيب سيد أبو حمزة الذي تلقى الطب في المدرسة الكلية ببيروت وأتمه في كلية (ماريون سمس) في الولايات المتحدة . هو يبحث عن أعضاء التناسل في الذكور والأناث وما يمرض لها من العلل والأمراض قبل الزواج وبعده . وعبارته سهلة يفهمها كل قارئ ولا غنى لقارئ عنها فإن أكثر الناس عرضة للأمراض والأدواء التي تنشأ في هذه الأعضاء أو في البدن كله من استهـالها فيما يحرمه الدين والطب (وكل ما ثبت ضرره طبياً فهو محرم شرعاً) ومن ذلك المادرات الضارة التي تكون من الشبان في حال الأفراد ويحسبونها هينة وما هي بئس العلة الملل للأدواء والأمراض القاتلة . ولو علم الناس ما وراءها لأعلم العلم على منال الشهوة ، ومحاربة اللذة ، لأنه هو الركن الركين . بعد تربية الدين ، وأين التربية الدينية من قوم يذكر أطباؤهم ومرشدهم عجائب صنع الله تعالى وحكمه وآياته في الآفاق وفي أنفسهم فيسندونها إلى شيء مجهول يسمونه « الطبيعة » ولا يسندونها إليه جلّت قدرته كما فعل صاحب كتابنا هذا . وإننا لا نرى في هذا الكتاب غير هذا الغيب . ونقول على كل حال أنه ينبغي لأهل كل بيت اقتناء هذا الكتاب ومطالعة والاستعانة به على تربية الأولاد . وهو مطبوع في مطبعة الهلال وعدد صفحاته مئتان وثيف وثمان ١٢ قرشاً مصرياً ويطلب من مكتبة الهلال بمصر (نيل الأرب في موسيقى الأفرنج والمرب) للموسيقى فن من الفنون التحسينية يرتقي في الأمم بارتقاء المدينة والحضارة ويتبدل بتدليها . والميل إلى طبيخي في الإنسان بل الميل إلى حسن توقيف النغم مهود في الحيوان الأجم . ولقد كان العرب يحفظ منه أباهم مدقهم فذهب بذهابها . ولما ذاك الحضارة إلى الأمم الغربية ارتقى عندهم هذا الفن حتى صار ركناً من أركان الفنون الحربية ، كما أنه ركن من أركان التربية النفسية . وكان من موضع العجب أن المصريين اشتغلوا بتقليد الأفرنج من زمن طويل وأخذوا عنهم كثيراً من علومهم ولكنهم لم يعضوا لنا كتاباً مصنفاً أو مترجماً في فن الموسيقى حتى ظهر هذا الكتاب في هذه السنة لمؤلفه أحد ائمة أمين الديك . ومن عرف المؤلف يحكم بأنه إنما ألف هذا الكتاب بباعث طبيخي وشعور بأن قومه في حاجة إلى هذا الفن وإنه

أراد أن يكون البادئ بسد هذه الحاجة، وإنما قلنا هذا لأنه شاب بعيد من التفريح ومذاهبه متمسك بالدين عملاً وآداباً على أن الشائع في قومه أن الموسيقى من الفنون المذمومة في الدين . وما المذموم في الدين إلا هذا التلذذ الشائع عندهم في الغناء . أمّا الموسيقى فهي نافعة في الحرب والآداب والاطلاق . هذا . وأما أن نحكم على الكتاب من الجهة الفنية لأننا نترفع مع الجاهل بأننا لانعرف الفن . والكتاب مطبوع بالرسوم وأشكال (النوتة) بالمطبعة الأميرية ومئة خمسة قروش .

(الإخبار بالنساء) هي القصة العاشرة . من (روايات سمنصيات الشعب المصرية بقلم حسن أفندي توفيق الحريري من ضباط البوليس ومترجم كتاب (التربية الحديثة) وقد صدرت القصة صاحب مطبعة الشعب بكلمة للصحافة المصرية بطاقتها فيها باستفاد هذه القصص التي يقصد بنشرها خدمة الأمة . ويتقدم تخطيط الجرائد بمذبح كل كتاب أو قصة تفسر وتفي الرواج لها .

الاستناد واجب وإن كان يسيء ناشر في السكت كاجريتا . وإذا لم يسمع وقت أحباب الجرائد وكتابتها براءة الكتاب كله أو بعضه فلا يجوز لهم تخطيطه لأن التخطيط حكم لا يذيقه من العلم المحكوم عليه . وقد طالنا قصة الإخبار بالنساء هذه ظناً منا أن الذي حمل نشرها على تمريرها للتقدم هو تهمة بأنها تعلم عليه لما فيها من الإرشاد النافع فالتفاهات مشجونة بخبار الفسق والفجس والكيد وسفك الدم والاستقام . ومثل هذه الحوادث التي تشرحها القصة يؤثر الكلام عنها في النفس أثراً ويكون غذاءاً مديناً للنفس المستعدة للشروع لأنها لم تربى تربية صالحة . وأين التربية الصالحة في هذه البلاد المحتجج ناشر وأمثال هذه القصة بأنها لا تخلو من بيان سوء عاقبة المجرمين . وتحتج عليهم بأن الكتابة في تمثيل عواقب الجرائم والمآثم يشترط فيها أن يكون ما يكتبون فيه شائلاً فيمن يكتبون لهم بحيث تقيدهم الكتابة عظة وعبرة فلا تريد لهم علماً بوجود المكرات وطرق البينات . لأن ما لا شبهة فيه أن كل قارئ يوجه فكره إلى ما يناسب طباعه ورغائبه من الكلام وينقل عن غيره . والجرائم المشروحة في هذه القصة أثارت على الشرط بخلاف قصة (الحال والمآل) التي قرأناها من قبل فلما جاءت عن الشرط لانها ذكرت مكرات معروفة قاطناً في مصر ويشت سوء عاقبة ذلك أثراً عليها لاعتبارنا على هذه وأمثال كلامنا في الموضوعين يكون عاملاً على التربية عن الضار إلى الرغبة في النافع والله اعرف

(روايات الخفاء) أحسن القصص التي تتقدم في مصر لهذا العهد على ما ناسبت تقييد التحرير تحيى أقدار الجاهل . وقد أجبنا القصة بأن منها شيء لنشره ليعلمنا

أحداها وإستمرار الأخرى أحد أصدقائنا ولم يعدها فكنتنا هذه الحكمة للتلاوتهم
المهدي أننا أغفلنا بقر يظنهما أحيافاً بحقه

باب الأخبار والآراء

(ألقاب العظم) سرت الى الكتابة العربية والى أهل العربية عادة من عادات
الأعاجم المفضولة وهي إضافة الألقاب العظم والتبجيل الى أسماء الأشخاص عند ذكرهم
في القول والكتابة . ولقد أسرف الناس في هذه الألقاب حتى ألحقوا بها المنفصول
بافاضل ، وساروا الصالح الجاهل ، وإننا كنا نألم لاسباع عادة الجرائد في ذلك على
نحرنا القصد فيها ورثي النفس نزع الى اسباع سلفنا فيه ولكننا رنجي ذلك حتى كان في هذا
الجزء أن كتبنا تبذنه رسالة الكسائي وذكرنا في رجبها اسم طابها واسم المهداة اليه
مقروين بألقاب العظم المألوفة ثم لم نلبث أن نقلنا اسم الكسائي وهو من أئمة العلم
وهرون الرشيد وهو من أعظم الخلفاء بعد الزائدين ولم زها مقروين بلقبه
فنبهت النفس الى ما كانت تنزع اليه وأمرت بترجيح تلك الألقاب التي كانت كسبت
فريحت . ونحن بعد اليوم لا نذكر مع اسم أحد الألقاب الذي يتميزه في نفسه
أو صفته كالشيخ واليك والأفدى . ومن كان غير معروف للقراء نقره بجملة خبرية
لا بالألقاب مفردة يثبت بها لغتها ، وتنظم مع اسمه عقداً ، ويدخل في هذه القاعدة
أستاذتنا وأسرافنا فإذا قلنا قولاً عن أستاذنا الأكبر (ولفظ الأكبر هنا بيان للواقع)
نقول : قال الشيخ محمد عبده أو متفق الديار المصرية . وإذا كان الكلام عن الجملة الخيرية
نقول : قال رئيس الجمعية . ولكننا اذا استدنا اليه قولاً من غير ما ذكر اسمه قلنا بالشيخ
اليه بلبقه الذي اشتهر وهو (الأستاذ الامام) بالمرئف . وإنما سبق لنا تعريفه بالحقين
لأن لفظ (الأستاذ) وحده ينصرف في كتب الكلام والاصول الى الشيخ أبي اسحق
الاسفرايني ولفظ (الامام) وحده ينصرف الى تفر الدين الرازي ولفظ (الشيخ)
الامام) أطلقه تاج الدين السبكي في كتبه على والده الشيخ تقي الدين . فنعسدا اسبق
رأينا على أن نجعل لاسدنا الذي يكثر نقلنا عنه لقباً مختصراً يفي عن ذكر اسمه ووظيفته
اجترنا هاتين الكلمتين لأنه لا يشتهر بهما أحد . وقد عرف ذلك قراء المنار في جميع
الاقطار لذلك نقره بشرطه

(كلمة في المنار) قد كتبنا مرات متعددة على غلاف المنار بأنه لاحقاً للمشارك
أن يطلب جزءاً من المنار لم يصل اليه بعد صدور ما يصدده . ثم رأينا بعضهم يجتج

بأنه اذا تأخر جزء يتوهم أنه لم يصدر فلا يعرف أنه قد صدر الا بعد وصول ما بعده اليه . لذلك رأينا أن نمدد في الوقت فنجعله عشرين يوماً في القطر المصري . فن طلب الجزء الذي يصدر في أول الشهر مثلاً في الحادى والعشرين منه فما بعده فسلمة ان يرسل عنه ٢٥ ملياً سواء كان قد صدر الجزء الذي بعده أم لا . ومن وصل اليه الجزء فأضاعه أو وهبه فلا يجوز له ان يطلب بدله الا باليمن . وربما يمد بعض القراء هذا تشديداً في موضع التسهيل ولكنه اذا علم أن الطالبين للاجزاء المفقودة كثيرون جداً وان كل جزء يرسله يضيع علينا مجموعة سنة كاملة فانه يمددنا لاحالة

(سكة الحديد الحجازية) أخبرنا من شاهد العمل في هذه السكة واختبره بنفسه أن المهمة المبذولة فيه عظيمة وان الآلات والأدوات الحديدية والحشية التي في بيروت والشام كافية لإيصال الخط الى مكة المكرمة وأن مهندساً ألمانياً هناك قال : ان هذا الخط آمن وأحسن من خطوط الحديد في انكلترا . ومع هذا كله لا بد لإتمام العمل من أربعة ملايين جنيه . وهو مبلغ لا يرجي له الا سخاء صاحب المشروع الذي يتخذ له تمامه على يديه أشرف الذكر وهو مولانا السلطان وفقه الله تعالى ما فيه خير الأمة والدولة . وما ينتقده جميع الذين شاهدوا العمل أمر التضيق على السكر المشغلين به فانهم لا يجدون ما يكتفون من الغذاء والدواء وهم يعملون بمجد وثبات حذر المهندسين الأوروبيين واوافدين المتفرجين . وقد علمنا أن الرئيس الذي يدير العمل من خير الناس فمضى أن يوفق للمحافظة على صحة أولئك الجنود المساكين . (الأذان السلطاني) بلغنا أن شيخ الجامع الأزهر أنكر في جامع القلعة هذا الأذان في الليلة السابعة والعشرين من رجب التي احتفل فيها بقرأة قصة المعراج . وكاشف ما نكاره مفتي الديار المصرية واتفقا على التهي عنه فيها فمضى ان يؤثر ارشادهما في نحو هذه البدعة السيئة

﴿ نصيحة للقارئات ومن يسمع من الأميات ﴾

ان من خلائق الأتى وسجاياها ما هو عون للسفهاء على إغوائها وهو انها تحب دائماً ان تكون موضع الإعجاب والاستحسان . ولذلك يتجافى اليها المصبون ويخادعونها بالمدح والغواني يفرهن التناء حتى يستميلوها اليهم ويهينوا شرفها بالمغازلة على الأقل . ومن الضمف في الأتى ان تعتقد ان كل من يرمي ببصره اليها يكون مستهيناً لها . ناهيك بصاحب التحدث ونظر الترنيق وهو نظر الماشق المستهتر

مادة والمبصص المتعلق اختلافاً وخداعاً فانه يفر القادة الغير وضع من قلبه موقع السهم ،
الذي سقي بالسهم ، وقد ورد في الحديث : النظره سهم مسوم من سهام ابليس فمن تركها
خرفا من الله آناه الله اعلمنا يجد حلاوته في قلبه « رواء الحاكم وصحيح اسناده .
بلغ النساء عندها من الفرور بتطاع السفهاء الهن انك نجد نساءنا يتلفتن في
الاسواق ماشيات ، وينحنن وهن في المركبات ، وقد يكن مع هذا من المحسنات
الزنيات ، وان هو الاحب توجيه الانظار ، واعجاب النظار ، وري نساء الافرج
يمشين قاصرات الطرف ، مستقيبات العطف ، تحسبن في ادبهن الظاهر من الملائكة
المقرين ، وان كان فيهن من هن اغوى من الشياطين ، وما ذلك الا لهن ترين على
ادب الاجتماع ، وتعلمن ما يمدهن عن سرعة الانخداع ، وان الظهور في المنكر
ليزيد في ضرره لما فيه من اغواء الناس وتسهيل سبله على من لا يعرفه ولذلك ورد
في النسخ ان المعصية الصغيرة تكون كبيرة بالمجاهرة وري القواين الوضعية عند
الامم كلها تحظر الجهر بما ينافي الآداب حتى ما يباح منه في السر
السبب في هذا التبرج والتفتيح ، والتشوف والتقص ، والانتفاء والانعفاء ،
الذي يزيد في فساد السفهاء ، هو حب الانثى لان تكون زينة في الاعين وشغلا
لقلوب . وانها تكون كذلك في جميع الاعين وجميع القلوب اذا ظهرت بمظهر
الكمال والعناية ولم تلتفت لكلام المبصصين ولم تكلهن اذا تعرضوا لمكانها
فان هذه الامايج التي تسمها منهم تنقلب الى ضدها بمد ان تبعده عنهم فلا تسمع
ما يقولون ، فان سفهاء الناس وغوغاهم لا يزالون يرفون قيمة الفضيلة ويحترمون اهلها
هذا اللين في العطف والخضوع في القول قد اطعنا أصحاب القلوب المريضة في
كل امرأة تمر في الطريق فلا تسكاد تسلم من سفههم او عبثهم امرأة ولا يمد مثل
هذا المنكر في مدينة ولا قرية متلما يوجد في هذه البلدة الظالم اهلها . وانما تعجب
من ضعف غيرة الرجال التي اباحت لهم التساهل مع نساءهم حتى اباحوا لهن كل هذا
اننا ليسو منا جيداً ان نرى البنات ينشأن على مثال امهاتهن وعماتهن في هذا الان
المذموم لافرق بين التملكات منهن والجاهلات ، واننا ليعجزنا ان نرى التلامذة الذين
هم محل الرجاء ، مستئين بستة اولئك السفهاء ، حتى انك لا تسكاد تجد فرقاً بين من نشأ
في المدارس ومن نشأ في الطرق والشوارع . رايت من ايام تلميذاً يمضي مع اخوانه
في السوق خارجين من المدرسة فمر باسرة فوضع يده على وجهها وعبث بمرقعها ولم
ار مثل هذه الوقاحة من غوغاء الحشاشين ، فهل يفر البنات تطلع امثال هذا التلميذ

الذين . وتقدمه لا عواشهن ؟ وهل كان مفرماً بتلك المرأة التي عبت بيرة بها فكان الغرام هو
الحامل له على اعائها في الروق ؟ وهل مثل هذا الغرام - اذا فرض - ما يرغب فيه ؟
ان ما تقدم من القول هو مقدمات التسيحة التي اقدمها للفارثات والنتيجة
المقصودة هي ان الانسان يؤخذ دائماً من جهة ضعفه ومن الضعف في الانبياء الانحياز على
يظهر لها الحب والاحتسان . وان الرجال دائماً يجادلون النساء حتى ان احدهم اثبت
على النظار الحب زمناً طويلاً ليصدق . فيجب على الفتاة المتعلمة ان لا تصدق احداً
من هؤلاء الشبان الذين يظهرون لها الحب والغرام فان احدهم ليخالف كل فتاة يراها
بمثل هذه الخاتلة . ولو كان صادقاً فيما يظهر من الإعجاب بمحاسنها والرغبة في
الاقتران بها وكان اهلاً لتلك لكان يغار عليها من نفسه ومن غيره فلا يمايلها بهذه
المعاملة . من البصيرة والمفاصلة . ولكنه يزيد على هذه الإهانة التي تكون منه في
كل طريق . بان يحدث بها كل صديق ورفيق .

(الحسود المغم) كتب ذو عمامة الى صاحب الجامعة بضربه بالظلم في صاحب
مقالات (الاسلام والتصرية) مع العلم والمدينة) لأن صاحب العمامة حين صاحب هذه
المقالات على ما اوتيه من سعة العلم وقوة التأثير وعلو المكانة يحاول ان يطلق تارحده
بذنوب من ذنوب ذلك الظلم الذي امر به . ولكن صاحب الجامعة اعقل من صاحب
العمامة وأعلم منه ببيعة تلك المقالات . وان انكر من قاطعها ما عرف حكمته في اسائها
وخاتمها . وإنه يعلم ان مثل صاحب العمامة منه كمثل الشيطان اذ قال للانسان
اكفر الخ فهو لا يراه الا بين النقص ولا يفتقد فيه الا ما يليق به في رقة عقله ودينه .
ولا يرضى لنفسه ان يكون مع صاحب العمامة كما كان صاحب الحمار . على ان الظلم
في مثل هذه الحال . على مثل ذلك المقال . لا يزيد المظلمون فيه الاحترام واجلالاً .
ولكنه يسلي الحسود لأن عقله صغير . وفكره قصير .

(مفكرة مطبعة الموسوعات) . اخترع الافرنج هذه الدفاتر التي يسمونها
المفكرة او المفكرة لاهحاب الاشغال الكثيرة من الحكام والتجار والهاجيين . ولما
رأت مطبعة الموسوعات ان المصريين يشترون هذه الدفاتر الافرنجية ويتبنون في
كتابة التاريخ في كل صفحة منها بالعمية اصدرت في هذه الايام (مفكرة) عربية
لسنة ١٩٠٣ وضمت التاريخ الهجري في كل صفحة منها الى التاريخ المسيحي . رجعت
في آخرها جداول لتحويل النقود لحاجات خيراً من المفكرات الافرنجية وحجبت
عن النسخة ١٢ قرشاً ونصفاً صحيحاً فهي ارخص من المفكرات الافرنجية وتطلب
من المطبعة والتنتظر ان تصادف رواجاً عظيماً

المجلة

١٣١٥

قبر هادي الذين يستحقون القول
فيتمون أحسنه أو تلك الذين هدام
الله وأولئك هم أولو الآيات

توفي الحكمة من بقاء ومن بقيت
الحكمة فقد أوفى خبراً كثيراً وما
سكن إلا أولو الآيات

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاثنين ١٦ شبان سنة ١٣٢٠ — ١٧ نوفمبر (تشرين ٢) سنة ١٩٠٢)

المستقبل للمسلم

(بقلم صاحب السباحة السيد الشيخ محمد توفيق البكري شيخ مشايخ الصوفية (١))

—* { الفصل الأول في رأس مال الإسلام } *—

(المكان والسكان)

ان مستقبل الأمم يتوقف في الحقيقة على أمرين طبيعيين هما كثرة السكان وخصب المكان فإذا استوفت الأمة حظها من هذين الأمرين عظم مستقبلها بقدر ذلك مهما حرمت في الحال من الأسباب الأخرى الكسبية كالعلم والأخلاق والقوانين والحكومة وغير ذلك فإن مذهب جميعنا في هذا دور الزمان . وان آخرتها أية طوارق الجددان . ولذلك قال (مونتهرو) و (تين) وغيرهما أن مستقبل الصين أكبر من مستقبل أية دولة أخرى . ومن شاهد رقي اليابان وما كانت عليه الروسيا منذ ثلاثة قرون وما هي عليه الآن من ضخامة السلطان لا يشك في صواب ذلك القول المتقدم . وقد أشار ابن

(١) من قراء المنار في الاقطار النائية من لا يعرف البكري . هو من ميونة الخشب والمجدوقد انخرط في صفه بناتي العلوم في مدارس أوروبا المالية ونبذ رتبة قاضي عسكر من الدولة العلية . وهو في العربية خزانة الأدب . ولسان العرب . يشهد بذلك شعره . ونش جزل .

مخلدون الى شيء من هذا حيث قال ان اتساع نطاق الدولة يكون بقدر اتساع عصيتها في الأصل وقال الشاعر : وأما العزلة كآثر . فإذا تقرر ذلك علمنا ان مستقبل الاسلام كبير وشأنه خطير . فان حظه من هذين الأمرين وافر . ونقطة متكأثر ، واليك البيان اذا تأمل المسلم في مصوّر الجغرافية نجد ثلاثة عوالم قد قسمت الارض وهي العالم الاسلامي في الوسط والعالم المسيحي عن يساره والعالم الوثني عن يمينه على هيئة قلب وجناحين . ويرى ان قسط العالم الاسلامي من هذا الاقسام عظيم ، ونصيبه جسيم فهو يمتد في فسحة من الارض بدؤها ببحر الأطلنطيق ، ونهايتها بترسيم الباسيفيك آخذة من حواشي سيبيريا شمالا الى جزر المحيط جنوباً . أقاليم متصلة ، وأقطار غير منفصلة ، وأمسار متناخضة ، وأخفاف متلاحمة ، وبين ذلك قصور وخيام ، ودور وأطام ، ووبر ومدر ، وبدو وحضر ، بقاع هي أطيب المعمور رقة ، وأمرعه نجمة ، فيها النيل والفرات ، وسيمحون وجيحون ، فيها أوداء مصر ، وسهول الهند وميطان الصين وسواد الرائق ، وبطاح الأناطول وحيالها ، وريف فارس ورمالها ، فيها مرقد النبي العربي الهاشمي ، ووطن المسيح بن مريم ، ومبث موسى الكليم ، ومهبط الوحي على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، الى غير ذلك من هواء طاق ، وماء عذب ، وجو صحو ، حسنات وراء حسنات ، تقصر دونها الأعمار ، وتزود حسرة عليها الأقطار ، ذهب بعض محبوس الهند الى لوندرة فقال له بعض أهلها كيف أنتم تصبون الشمس ؟ فقال الجيوشي : وأنتم لو رأيتموها لمبدتموها



ثم ان هذه السعة في الارض والبسطة في الحصب التي رزقها الصالم الاسلامي أصل كبير في نمو أفراده وحسن حالهم اذ ارتباط المكان بالسكان في السعادة والشقاء والقلّة والكثرة امر مقرر في علم الاجتماع الانساني . قال (لوبون) : « ما دامت الارض القابلة للزراعة كافية للسكان يتأتى لهؤلاء ان يزيدوا عدداً فيكثرون ويغنون بالفعل فان تعادلت موارد الأرض وعدد السكان بقي هؤلاء على حالتهم لايزيدون ولا ينقصون فان زاد عديدهم عن موارد الأرض وقعوا في افرة الشدائد والضييق وتوارث عليهم المصائب والأزمات الى ان تأتي حروب جارفة او اوثة قاسية فتعدل الكفتين » . هذه حقائق بسيطة ومع ذلك قد تغيب من افهام كبار الخواص واشهر الكتّاب فلا يفتأون يظنون كل يوم زيادة السكان بأية وسيلة كانت بلا مراعاة لما

تقدم وقد وقع في مثل هذا الخطأ (جول سيمون) وزير معارف فرنسا السابق على سعة علمه حيث قال في خطاب ألقاه على مجمع المعارف سنة ١٨٦٨ : « ان من يمكنه ان يزيد سكان فرنسا مليوناً من النفوس يفيدوها أكثر مما يزيد حيدودها بعض فراسخ من الأرض بواسطة الحرب والدم بالث ضعف ، وهذا كلام خلو من الصواب لأن من يزيد مساحة فرنسا يكثر مواردها فيجمل الزيادة في السكان محسنة ، ومن شك في هذه الحقيقة احتناء على قول استاذ لا يشقى له غبار في هذا المضمار وهو (بيليج) الشهير قال : « قد اقتضت الحال زيادة السكان في بلدان أوروبا زيادة كبيرة غير طبيعية حتى اختلت النسبة بين عديدهم وبين غلات تلك البلاد فلا يمضي غير حقبة من الزمن حتى تعجز الأرض عما في بجاجاتهم مهما انكروا قواها بمختلف الأسمدة وعندها لا يحتاج الى نظريات علمية او قياسات قية لا يصح التاموس الطبيعي الذي يأمر الانسان بان لا يفغل عن المحافظة على ابواب رزقه ويعاقبه العقاب الأليم عند مخالفة ذلك . ولا يكون ثمة اللام الأوروبية من حيلة ولا مخلص الا ان تتفانى لتبقى فقرى اذن امثال جماعات سنة ١٣١٦ وسنة ١٣١٧ وحروب بعد ذلك تلبها حتى يحمل الأمهات جيف القتلى لا طعام اطفالهم كما وقع ذلك في (حروب الثلاثين سنة) المرووفة فكل ذي دربة وروية دقيق النظر في امر ملك اوربا ومستقبلها يحدها غير قائمة على اسس متينة بل على أسنة الإبر » اهـ



هذا : ويرى ذهب بعض العارفين الى أن طبيعة أرض الشرق مفسدة للهمم ، مقعدة للأمم ، فلا تكون اذن هذه الأرضون من التعم بل من التعم ، وهذا رأي تفنده الأقيسة الصحيحة ، والآراء النافذة ، قال (فولير) في دحضه مانصه : « نسال من يذهب الى أن طبيعة الأجواء يتوقف عليها حالة الأمة وأخلاقها لما قال الامبراطور (جوليان) ان الذي انجيحه من أهل باريس هو مناه أخلاقهم وأجدهم بالجدو الصلاة والسكون في طباعهم ، وهما حيوا عابريس كاهي وأهلها قبا الآن أخف احلاما وطباعاً من فراشة . أطفال في زي رجال ، وصغاروا كانوا كبارا ، وهؤلاء المصريون الذين يصفهم لنا المؤرخون بقوة العزائم ومثانة الطباع وعظم الفتوح أصبحوا الآن لامة رخوة ضعيفة العزائم ، طعما لكل آكل ، ولیم لا يوجد الآن في أيما مثل (أنفريون) و (ارستطاليس) و (زوقسيس) . ولیم استعاضت زوقسيس عن (شيشيرون) وعن (قائون) وعن

(ثالثاً) قوماً بهما لا يحسنون أن يقولوا ولا أن يعملوا . أعظم أمانهم يخصص في أن يكون الزيت وخيخس الثمن لديهم . وقد كان من عادة (شيشيرون) الخطيب الروماني أن يهزأ بالانكليز ويتأدب عليهم حتى أنه كتب مرة في رسالة لآخيه (أفانتوس) الذي كان ضابطاً مع قيصر في غزواته التي غزاها بانكلترا يسأله مستهزأ أن كان وجد ثمة فلاسفة كباراً أو رياضيين عظاماً ؟ فهلا علم (شيشيرون) أنه نشأ بعده فيها أعظم فلاسفة العالم ورياضيه تحت تلك السماء المظلمة بعينها . هذه كلها أمثلة تدل أن ليس للاقليم أثر يذكر في ارتفاع الأمم وانخفاضها بل العوامل الأخرى مثل الحكومة أو الدين تفعل في ذلك أكثر منها بمائة ضعف .



كأن الله سبحانه وسعدانه أراد أن لا تنزع هذه البلاد الجبلية من أيدي المسلمين اذا أعجزهم الضعف يوماً ما عن صونها حتى يؤوئوا الى القدرة على حفظها فجعلها شبه وقف عليهم وذلك ان جعل وسطها الطبيعي غير صالح لأن تعيش فيه الأمم المتعقلة الآن وهي الأمم الأوروبية وليان هذا نقول :

قد تقرر في الطبيعيات أن الحيوان أو النبات أو الانسان اذا نشأ في وسط طبيعي لا يعيش في وسط آخر غير مماثل له وأقيم على ذلك هناك البرهان . وعندهم انه كما لا يمكن للسمك أن يعيش في اليبس ، ولا للثاقه أن تدوم في الماء ، ولا للخنزيرة أن تنبت بين صخور الجليد ، لا يمكن للانكليزي أن يستوطن الهند ، ولا لابن اللامان ، أن ينبت في السودان ، قال (لوبيون) في كتاب التفسيرولوجي : « ذكر بعض المؤلفين أن الانسان يمتاز عن الحيوان بكونه يعيش في كل جوف وعلى كل أرض . وهذا خطأ عظيم . ووجه كبير ، فقد أثبت التاريخ مراراً أن أهل الشمال لا يمكنهم العيش في أرض الجنوب . انظر الى البربر من أهل الشمال وبلاد الجليد الذين فتحوا أرض الرومان وسكنوا أقاليمها الحارة كيف لم يعض قرن واحد حتى أفنأهم الموت وأتى عليهم الفناء فلم يبق من القوطيين واحد في إيطاليا . وهذه معبر حكمتها عشرون أمة فأكثرهم وبقي الفلاح المصري كما هو على أرضه . وكذلك أعجز الرومان عن أن يستوطنوا أفريقية مع أنهم استوطنوا أسبانيا وأرض الجول حتى جعلوها بلاداً لا تشبه بجنته . ولا ريب أننا سنلاقي في الجزائر ما لا يقله فيها الرومان في سابق الزمان ، فهلك هذه الأرض ذراري فاتحها مالم يفقهوا كما يفهم الانكليز في الهند من ارسال أسنانهم ليتربوا في أوربا . وبالجملة إن الانسان

إذا اختلف وسطه الطبيعي هلك وخصوصاً إذا جاء من الشمال إلى الجنوب اهـ.

**

**

جميع ما تقدم متعلق بالمكان أي مواطن الاسلام وببلاده. أما السكان وهم الامم المسلمة تحدث ولله الحمد عن حصص البطحاء، ورمال الدهناء، وأنجوم السماء، كثرة آحاد، ووفرة أعداد، فمن هؤلاء في أفريقية ما ترى :

في مراكش	٩٠٠٠٠٠٠
» الجزائر	٤٥٠٠٠٠٠
» تونس	١٥٠٠٠٠٠
» طرابلس	١٤٠٠٠٠٠
» مصر	١٠٠٠٠٠٠
» السودان المصري	٦٠٠٠٠٠٠
» الصحراء الكبرى	٤٠٠٠٠٠٠
» السودان الذي تحت حماية فرنسا	١٣٠٠٠٠٠٠
» السودان الذي تحت حماية انكلترا وفي النيجر	٩٠٠٠٠٠٠
» السودان الاوسط كواداي وباجرمي ونحوها	٥٠٠٠٠٠٠
» الكونغو	١٥٠٠٠٠٠
» توبو وقامرون	٤٠٠٠٠٠٠
» الأوغندة	٣٠٠٠٠٠٠
» الأريتريا والحبشة	٣٥٠٠٠٠٠
» موزمبيق ومدغشقر والكامبال والنيجار وأوبوك وأفريقيا الوسطى	٣٠٠٠٠٠٠٠
مجموع ما في أفريقيا	١٠٥٤٠٠٠٠٠
وفي أوروبا ما ترى	
» في تركيا أوروبا	٢٥٠٠٠٠٠
» البوسنة والهرسك	٧٠٠٠٠٠٠
» البلقان والرومللي الشرقي	١٠٠٠٠٠٠
» رومانيا	٦٠٠٠٠٠
المجموع	٤٢٦٠٠٠٠

في الصرب	٢٠.٠٠٠
» الجبل الأسود	١٥.٠٠٠
» اليونان	٣٠.٠٠٠
» روسيا أوروبا والقفقاس	٢٥٠.٠٠٠
مجموع ما في أوروبا	٦٨٢.٠٠٠
وفي آسيا ما ترى	
في الأناطول	٧.٠٠٠.٠٠٠
» أرمينية	٤.٠٠٠.٠٠٠
» العراق	٢٥٠.٠٠٠
» الشام	٢.٠٠٠.٠٠٠
» جزيرة العرب	١٢.٠٠٠.٠٠٠
» الهند	١٢.٠٠٠.٠٠٠
» روسيا آسيا	١٠.٠٠٠.٠٠٠
» أفغانستان	٩.٠٠٠.٠٠٠
» بلوچستان	٥.٠٠٠.٠٠٠
» الهند	٩٠.٠٠٠.٠٠٠
» سيام	١.٠٠٠.٠٠٠
» الهند الصيني	٢.٠٠٠.٠٠٠
» الصين	٤٥.٠٠٠.٠٠٠
مجموع ما في آسيا	١٩٧.٠٠٠.٠٠٠
وفي الأقيانوس ما ترى	
في فيلين	٥.٠٠٠.٠٠٠
» سوماطرا	٤٠.٠٠٠.٠٠٠
» الجاوا	٣٧٠.٠٠٠.٠٠٠
» بورنيو	٥.٠٠٠.٠٠٠
» ماليزيا وغيرها من الجزائر	٩٠.٠٠٠.٠٠٠
مجموع ما في الأقيانوس	٥١٠.٠٠٠.٠٠٠

فهذه ثلاثمائة وستون مليوناً من النفوس خلفت لفلك السلف الذين يقول الله سبحانه فيهم « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُهم فِي وُجُوهِهم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطْطُهُ فَأَزْرَهُ فَأَسْتَفْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُجْهِي الزُّرْعَ لِيُغِثَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا »

وهذه الأمة الكريمة ان حُرمت الآن كثيراً من أسباب العلم والعمل فإنه لم يزل في أمزجتها آثار شريفة وصفات قويمه من أُرديتها وارث سلفها تتماز به على كثير من الأمم. قال القسيس (اسحاق طيلر) « ان الاسلام يمتد في أفريقيا وتسير الفضائل معه حيث سار فالكرم والعفاف والتجدة من آثاره، والشجاعة والإقدام من أنصاره، ومن الأسف ان السكر والفحش والقمار تنشر بين السكان بانتشار دعوة المبشرين » وقال (كونتنن) : « يمتاز المسلمون في الصين على مواطنيهم من الوثنيين برفعة في السجيا وشرف في الاخلاق قد طبعت في نفوسهم ونفوس آبائهم وصايا القرآن بخلاف الوثنيين فأنهم في سقوط تام من حيث ذلك »

ومن أهم الثموت التي يمتاز بها المسلم عزرة النفس فهو سواء في حال يؤسه ونعيمه لا يري العزة الا لله ولرسوله وله. وهذه الصفة التي غرسها الدين في نفوسهم اذا توفرت معها الوسائل كانت أعظم دافع لها الى التسابق الى غايات المدنية ورفيات السكال. وان أردت قلمك بمقلك حال قوم فقدوا هذا اليقين ماذا تجد من قنور في حركاتهم وقصور في همهم وخصوصاً اذا بنى عليهم الجهل فظنوا أنهم أدنى الملل كطاشة الدهير وما لك .

ثم ان هذه الأمم الاسلامية وان اختلفت بهم البلدان وتباينت البقاع والميطان، وتنوعت الاجناس واختلفت الألسنة فقد وجدتهم وحدة الاسلام وجمعتهم جامعة الدين وهي جامعة كبرى تتلاشى أمامها الجامعات الصغرى وتلقى الشروق فيكون جميع المسلمين بها اخواناً. قال تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » وقال صلى الله عليه وآله « ليس منا من دعا الى عصبية » فوطن المسلمين هو مجموع الأمة الإسلامية في الدين

وهو الذي قيل فيه : حب الوطن من الإيمان (١) ، وليس المراد به حب التربة والمسكن والأهل والعشيرة ولو كان كذلك لما كانت الهجرة في الإسلام ، ولما نطق الكتاب بالحث عليها والأمر بها . قال الله تعالى : « وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافَعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » فمن قال من المسلمين في أية بقعة من الأرض (وطني) فقد قال (ديني) وقال تعالى : « إِنَّ هَذِهِ أُمْتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً » وقال سبحانه : « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » ولهذا رأى المسلمين مهما تباعدوا أو تباغضوا لا تزال تعمل هاته إلى الجامعة عمالها فيها . يسرون أسرور بعضهم ويمخزنون كذلك وإن افرقت بهم البلدان ما بين المشرق والمغرب . وقد عظمت الصلابة في هذه الجامعة الدينية والرابطة الإسلامية حتى سماها غيرهم الآن (تمصبا) (٢)

على أن التعريف بالوطن على هذا النحو هو غاية ما رقي إليه الأمم ، وتنبعث نحو الهمم ، قال آدمون ديولان : والمهاجر من الانكليز السكسونيين يشعر دائماً بأنه إنما يرحل عن بلده مستصحباً لوطنه إذ هو يرى الوطن حيث يعيش المرء حر ثم قال : « والتصر كل النصر للأمم التي وطدت أركان نظامها على دعائم هذه الوطنية » والتعريف بالجامعة أيضاً على مثال ما تقدم سيرت مع سنة العمران وذلك أن أوج اجتماع الإنسان كان على شكل جميات صغيرة جامعة التسبب كفي دار وبني أسب وبني شيان الخ ثم ارتقى إلى جميات أكبر من الأولى جامعة الجنسية وهي التي عاينا الأمم الآن ويقول العلماء أنه سيرتقي إلى جنسيات كبرى واحدة جامعة الانسانية

(١) المار — اشهر ان هذه الكلمة حديث وقد نهينا غير مرة على أنه موضوع (٢) ان في مصر من أحداث السياسة من يكتب ويخطب لينسخ هذه الآيات الكريمة ويفرق هذه الجامعة بكلمات خفيفة مثل « الوطنية الحقة » و « الدخلاء » فهذه الوطنية الباطلة لا ترضى الاسلام والمسلمين ولا غيرهم من وطنيين ومهاجرين لأنها هضمت كل حق . أما الجامعة الاسلامية فلها تعطي كل ذي حق حقه . لهم مالنا وعليم ما علينا » ولئن وجد شيء من التصيب في بلاد المسلمين فأنما وجد بتراخي مصرى هذه الجامعة المعادلة كما يبناء مرارا

وتروى الأمان فخرت من تلك الغاية الهامشية بتأليف الأجناس المتفانية إلى جنس أعظم كشيء الجرمان والسكسون واللاتين في ذلك الآن . فإذ اتين هذا كانت الجماعة الإسلامية التي أسست إلى ثلاث جبهات الأجناس وتلقاها إلى جماعة مقامى يكون في كل قسم اليوم من ٣٦٠ مليوناً شغلوا كبرى في السير نحو تلك الجماعة التي ستضم أفراد الأجناس التي يسمى براسم الأجناس من ثلاثة عشر قرناً (١) فإذن الخدمة الإسلامية أشبهت تلك الجماعة الإسلامية التي ضم الأجناس المختلفة فيها شرفاً وغنىً لتأييد مبدأ (موروثيه)

ولا يقول بعض حريصي الأجناس السريحيين أن التثبيث بالجماعة الإسلامية يعقد التسامح الأرواح بينهم فليس أو صدقاً في هذا القول فقد الداعون بذلك عشرة ملايين نفس هم كل السريحيين الذين في بلاد الإسلام وكذبوا ٣٦٠ مليوناً من تسونهم . على أن الأصريين كذلات فإن رابطة الأمة تقوم مع هؤلاء السريحيين مقام الدين فلا يحرّم الفريغان من التسامح والتعاقد فاعمل . وقد أس القرآن يميز الحسن معهم قال تعالى «لَا يَهْدِيكُمْ اللَّهُ عَنْ الدِّينِ ثُمَّ يُقَالُوا كُفُّوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخَرِّجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ كُفُّوا عَنْهُمْ وَشَرِّبُوا الْبَيْهَتُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُسْلِمِينَ»

هذا وإن الإسلام أخذ في الازدياد والنمو في أكناف الأرض بكيفية تستوقف البصر ، ونحو الفكر ، بل هو كما حزينه الأعداء ، وضايقت الأواء ، أربى في الفضاء ، كالشجر إذا شرب منية زاد ، أو الأتي إذا شدد طريقه غرق البلاد . وقد حزم العارفون وفي أولهم علماء الأفرنج أنه لا يمضي حرس من الدهر حتى يربو على جارية المسيحي . والوطني وعدد الأول الآن (٤٢٠) مليوناً والثاني (٥٠٠) مليون . وذلك لأن نسبة الزيادة فيه والزيادة فيهما مختلفة جداً حتى تكاد تكون كالفرق ما بين الماشي وراكب الحملان . كان سكان مصر سنة ١٨٨١ ستة ملايين فاصبحوا سنة ١٨٩١ نحو عشرة ملايين وكان مساهم الهند سنة ١٨٩٢ (٥٧) مليوناً فصاروا سنة ١٩٠١ (٩٠) مليوناً وعلى هذا فقتس مسامي الصين والسودان وغيرهم . وهذا شيء لا يوجد مثله في الأمم الأخرى . قال ديمولان : يتضاعف عدد سكان فرنسا في ٣٣ عاماً وسكان ألمانيا

(١) المنار : راجع الفراء (الجنية ودين الإسلام) في المجلد الثاني من المنار (ص ٣٢١) ومنها يعلم أن الإسلام هو الذي جاء لجمع البشر كلهم فهم يسمون إليه ولا يعلمون

في ٩٨ عاماً وانكثرتا في ٦٣ عاماً واستريا في ٦٢ عاماً
والاسباب في انتشار الاسلام وازدياده في كل صقع وقطر من أحشاء افريقية
الى ميطان الصين الى حزر المحيط كثيرة نذكر بعضها فقول

(السبب الاول) — سلامة العقيدة الاسلامية وسهولتها . قات مرة لاسيد جمال
الدين الافغاني ماهو دين المستقبل؟ فقال الى هذه الآية من كتاب الله : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالْمَسَاجِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ فَإِنَّهُمْ أُمَمٌ أَلْحَقُوا بِهِمْ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا
وَجْهَ اللَّهِ الْغَنِيِّ » وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ الْفِتْنَةَ يَكُونُ فِيهَا عَمَزَجٌ عَلَى كُنُوفِهِمْ وَمِنْهُمْ
الاسلام : « هكذا اجذب الاسلام قسما عظيما من العالم بما اودع فيه من اعلام شأن النفس
بتصور الذات الالهية على صفات فوق صفات البشر تذكرها خمس صلوات في كل
يوم وبما اشتمل عليه من الزرق بطبيعة البشر حيث اناح لئلا يناس شيئا مما يشتهون . واعظم
عامل في انتشار الاسلام خصوصاً عند الأمم الزنجية (السود) بساطة مذهبه وسذاجة
تعاليمه وهو سبب موجود في القرآن نفسه فهو بذلك يلائم الطباع . دين لا امرار فيه
وكلمة (اي كلمة الشهادة) يمتاض عنها عند الاحتضار بشارته تدل عاينها كرفع السبابة
الى السماء اشارة الى وحدانية الله تعالى فكلمنا وجد الرجل الجاهلي امامه دينين
متحدتين في حقيقتين وحدانية الله وخلق الروح — وهما الاسلام ودين عيسى — رآه يجتار
الدين الذي لا يزيد شيئاً على تلك الحقيقةين ويمتنع الاسلام بلا محالة وهي قوة بفضل
بها القرآن الديانة المسيحية في الانتشار وكانت معروفة عند أهل القرن السابع عشر لذلك
تقرأ في كتاب القس (ماراشي) الذي سماه (الرد على القرآن) : « ولا يفين عن ذهن
القارئ ان تلك الطائفة ... لاتزال حافظة لكل ما في الدين المسيحي من الامور
الظاهرة والوضوح القريبة التصديق مضافاً اليه ما يوافق نظام الكون وقانون النشأة
الدنيوية فقد أبعد عنه حاجي الايجل التي تخالها في أول الامر غير صحيحة لا تدركها
المقول كما انه جرد تعاليمه من كل قاعدة يشد بها الخناق على البشر مما جاء في ذلك
الكتاب وبهذه الواسطة تمكن من رفع العقبتين اللتين يحسن كل واحد منا باليهما
الحاجز بينه وبين الدين الحق الصحيح وهما عقبة الروح وعقبة الجسم وهذا هو
السبب في أن الوثنيين الذين يريدون ترك دينهم في آيامنا هذه يمتاضون عنه بالاسلام
دون الديانة المسيحية » اهـ

وقال (اسحق طيلر) : « ليس أمر المسيحية واقفاً عند المعجز عن إحداهن

مواطني جديدة لأقدياءها فقط ولكن المقام الذي هي فيه قد تمجيز عن حفظه أيضاً
أن دين الإسلام قد انتشر آنفاً من مراكش إلى جاوا ومن زنجبار إلى الصين وهو
الآن ينتشر في إفريقية بسرعة لا يأتى عليها الوصف وانما ترى الإسلام أوفى ما يكون
لهذيب الأمم التوحشة وترقيتها . أما الديانة المسيحية فلا تسالها عقولهم وبذا قد نفع
الإسلام المدينة أكثر مما نفعها المسيحية . إذا دخلت الديانة المحمدية في قبلة زنجية تحت
عبادة الأوثان وأبطلت أكل لحوم البشر ووأد الأطفال وأنشأت فيهم النظافة وعزة
النفس والوقار وكرم السجيا فخير قرى الضيف بمنزلة الفريضة الشرعية ويندر السكر
والقمار والمراقص الخزية وتعد العفة في الأثاث من خلائق التقوى ويفشو التناصح
بالإحسان والأخوة بالوجدان « (*)

(السبب الثاني لانتشار الإسلام) — موافقة أحكامها لفطرة الانسانية وابتنائها على
الحكمة العقلية . قال (لوشاتليه) في كتابه المسمى (الإسلام في القرن التاسع عشر) :
« إن نمو الإسلام في الهند أمر لا ينكر وسببه في الغالب حكم المساواة بين
الناس الذي سنته الشريعة الإسلامية وذلك أن أهل الهند بحسب مذاهبهم القديمة
ينقسمون إلى طوائف لا ينبغي لطائفة منها أن ترقى إلى الطائفة التي فوقها فمن ولد
فيهم في طائفة دنيا لا يجد له مخلصاً إلا ارتقاء إلى العلاء والحلوص من قيد الطائفة إلا
اعتناق الإسلام » وقال (لودوفيق دو فنتاسون) في كتابه المسمى (النصارى والإسلام) :
« لا يصل أهل الهند إلى أن تكون لهم حكومة وطنية مستقلة إلا إذا ذهب من بينهم
التخالف في المذاهب والطوائف والأجناس ولا يكون ذلك إلا إذا ساد فيهم الإسلام
الذي يبيد جميع هذه الفروق ويقمى أركان المساواة والإخاء والحرية التي هي من قواعد
الديانة الإسلامية » (١)

(السبب الثالث) — وهو أهم الأسباب حذق دعاة الإسلام وهم الصوفية . الصوفية
جمعية في الأمة الإسلامية مرتبة النظام ، منظمة الهندام ، يبالغ عددها مائة مليون من النفوس
فهي أكبر جمعية في الدنيا لا يضارعها البوكسر في الصين ولا الطوائف الدينية في

(*) تراجع مقالات اسحق طيلر وخطبه في النار (١) إن من أحداث السياسة
في مصر من يحاول إبطال هذه المزايا الإسلامية بقمه وقلعه لغواً بالوطنية ويزعم مع
ذلك أنه يخدم مصر والإسلام !!!

أوروبا وغيرها وقد قامت هذه الحمية بالدعوة الإسلامية مقاماً محيياً (١) . قال بعضهم : « ان العالم الإسلامي وقف عن التقدم والغاب أمام الدول الأوروبية من مدة مديدة فاستطاعت هذه الدول على الممالك الإسلامية وغلبت الكثير منها بالقوة »

(١) للصوفية (علم وعمل) أما العلم فهو العقائد والقواعد والاحكام المعروفة في كتب التصوف كالفتوحات ، والفصوص ونحوها ، وأما العمل فهو إرشاد المسالمين ودعوة غير المسلمين الى الاسلام .

والآنرى في هذه الايام من امض متهورى الكتاب انكاراً وتزيباً على ذم الصوفية وطلباً لتلاشي هذه الجمعية من بين المسلمين سبب ذلك قال بعضهم : ان هذا المذهب دخل الى الاسلام من القرن الثاني من مآذله من المذاهب اذ قاله وانما نقل اليه من الفرس بديل ان مشائخه الامم كلهم اعاجم كالجنيسد النهاوندي وأبو يزيد البسطامي وابراهيم ابن آدم البخاري وابشر الحافى المروزي وسهل القسري الخ وبديل انهم جعلوا سند الطريق الى علي رضى الله عنه دون غيره ولا يفعل ذلك الا الفرس الذين هم شيعة . وبديل انه كان مدوناً في كتب الفرس واسماها قبل الاسلام وقد نقله الفرس عن اليونان اذ كان عندهم مذهباً للحكام الاشراقيين . وأخذته اليونان من الهندوا القدماء اما بواسطة فتوح الاسكندر أو قبلها . قال ابو الريحان البيروني في كتاب الهند عند ذكر اعتقاد الهند في الموجودات العقلية والحسية مانصه : (ان قدماء اليونانيين قبل ظهور الحكمة فهم بالسبعة المسمين أساطين الحكمة وتهذب الفلاسفة عندهم كانوا على مثل مقالة الهند وكان فهم من يرى ان الاشياء كلها شيء واحد (وحدة الوجود) ثم من قائل في ذات بالكمون ومن قائل بالقوة وان الانسان مثلاً لم يتفصل عن الحجر والجماد الا بالقرب من العلة الاولى بالرتبة والا فهو هو ومنهم من كان يرى الوجود الحقيقي للعلة الاولى فقط لاستغنائها بذاتها فيه وحاجة غيرها اليها وان ماهو مقتدر في الوجود الى غيره فوجوده كالحلجاء غير حق والحق هو الواحد الاول فقط . وكانت هذه الآراء آراء (الصوفية) أي الحكما . فان سوف باليونانية معناها الحكمة وبها سمي الصوف أي بحب الحكمة ولما ذهب في الاسلام قوم الى قريب من رأيهم سموهم باسمهم ولم يعرف اللقب بعضهم فسموهم بالتوكل الى الصفة وأنهم اصحابها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وصيره بعضهم من الصوف وعدل أبو الفتح البستي عن ذلك أحسن عدول في قوله :

العقلية والمادية ولكن الذي أعجزها وضاعت معه قوتها وحياتها هم الصوفية . فالصوفية هم في الحقيقة القوة الدالة على الحيوية والنماء في العالم الاسلامي فراهم في افرقية

تتأزاع الناس في الصوفي واختلفوا قدما وظنوه مشتقا من الصوف
ولست أتحل هذا الاسم غير فتي صافي فصوفي حتى لقب الصوفي
وكذلك ذهبوا الى أن الموجود شيء واحد وان العلة الأولى تتراءى فيه بصور
مختلفة وتحل قوتها في أزمانه بأحوال متباينة توجب التغير مع الاتحاد (الحلول
والإتحاد) وكان فيهم من يقول ان المنصرف بكليته الى العلة الأولى متشبه بها على
غاية امكانه يتحد بها عند ترك الوسائط وخلف العلائق والموائق (الرياضة والتجرد) .
وكانوا يرون في الأنفس والأرواح أنها قائمة بذواتها قبل التجسد بالابدان
محدودة مجتدة تتعارف وتتناكر وأنها تتكسب في الأجساد بالحيرة ما يحصل لها به
بعد مفارقة الابدان الاقترار على تصريف العالم ولذلك سموها آلهة وبنوا الهياكل
بأسماؤها وقرنوا القرابين لها كما يقول جالينوس في كتاب الحث على تعلم الصناعات
(أيجاب الكرامات) اه كلام البيروني

قالوا والوصول الى المعرفة عند الصوفية ليس من طريق النظر والتجربة بل
من طريق الرياضة وكل ما يفعله الصوفية الآن من الاهتزاز الشديد في الذكر ونحوه
هو لتخليص النفس من الخس حتى تجلي لها المعرفة بقدر ذلك ولا شك ان هذه
جميعها عقائد وقواعد يجب الغاؤها لأنه لا يجيى بها كتاب ولا سنة . اه

أقول هذا تهور وخطأ وبعد عن الصواب اذ كيف يجوز لمسلم أن يطالب ايقاف
الحركة التي يعترف الافرنج أنفسهم بأنها الحركة الحية الوحيدة الباقية الآن في الاسلام
والتي فتحت للاسلام الآن قدر ما فتحت سيف الفاتحين الأولين أما الطريقة لاصلاح
حال الصوفية ونفي الضر عنها وإبقاء النافع فيها فهي ان نجعل (العلم) عندهم هو
علم الشرع الاسلامي بلا زيادة ولا نقص و (العمل) يبقى موضوعه على ما هو عليه
ويكون عبارة عن ارشاد المسادين الى الشريعة المطهرة ودعوة غير المسلم الى الاسلام
وهذا يكون التصوف عبارة عن (علم بالشرع وعمل به) ويقوم مشايخ الصوفية
اذن بركني التسليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين حث عليهما الكتاب
الكريم قل تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر) وقال تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا

وفي الصين والهند وأواسط آسيا بل في جزائر المحيط يدعون إلى الإسلام ويدخلون
الافواج فيه كل يوم حتى إن الخطوط التي ترسم في افريقية لبيان حدود الإسلام
وراء خط الاستواء تنقل متقدمة إلى الجنوب في كل عام من أثر فتوحات مشايخ
الطرق في مجاهل افريقية . وما دخل الفرنسيين قرية في الكونغو الا وجدوا
الصوفية قد سبقوهم إليها وزرعوا بغض الناس لهم فيها . ومن اطلع على المؤلفات
الكثيرة الأوربية التي تؤلف في هذه السنين في أوربا عن أحوال الصوفية وتاريخ
الطرق وكيفية سير أهلها في الدعوة علم أن مسألة الصوفية هي المسألة الشاغلة
للباحثين عن حالة الإسلام الماضية والمستقبلية

وقد بلغ من العناية بهم أن والي الجزائر كلّف جمعيّة برئاسة (اوكتاف دوبون)
عن البحث في أحوال الصوفية ففعلت وطبعت أعمالها في مؤلف ضخّم ورسمت
خريطة عامة يبين منها ما يوجد من الطرق والمؤلف في كل بلد من بلاد الإسلام
بعلامات مخصوصة حتى تتقصّى منها حركاتها وتنقلاتها في الأقاليم اه

وقال دي كاسترى : « قد فطن المسلمون إلى ما أححق بهم من الاخطار وارادوا
تمكين الجامعة وتوحيد الروابط بينهم وهي عند المسلمين اشدّ قوّة منها لدى غيرهم
من الأمم التي تدنّ يدين واحد لأن القرآن شريعة دينية وقانون مدني وسياسي
ومن ذلك وجدت حركة في النفوس غايتها مقاومة التصراية بجميع الوسائل الممكنة
وعلى الخصوص مغالبة التمدن الجديد باسم الايمان . قال القائد (رين) وتأتي قوّة هذه
الحركة الاسلامية من تعدد الطرق الصوفية التي وجدت من اول هذا القرن وعظم
شأنها في جميع الأنحاء وصار لها تأثير شديد في قلوب الناس ولهم رسل ومريدون
يطوفون البلاد الاسلامية التي لاحد لها وغير الاسلامية كمبشرين او مستعطين او
قاصدين للصح ويصلون بهذه الكيفية بين الأقطار من مكة إلى جنوبي إلى القسطنطينية
وبغداد إلى قاس وتبكتو إلى القاهرة إلى الخرطوم إلى زنجبار ثم كالكتا وجاوه
ومنهم التاجر والمتجمل وطالب العلم والشحاذ والمجذوب وكلهم يلاقون صدوراً رحبة
وهزلة كريمة بين المؤمنين اه

قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون . وتكون جمعيّة الصوفية في الدنيا أشبه
بمدرسة عظمى فيها المشايخ والخلفاء أساتذة والمريدون من الكافة تلامذة قد وضعوا
أنفسهم تحت العلم ومراقبة العمل به مدى العمر اه مؤلف الرسالة

وقال (كونتاسون): نرى حركات كثيرة وأعمالاً كبيرة تقوم بها المهديون أو الأمراء في العالم الإسلامي ثم يزول كأن لم تكن . أما العمل الثابت الدائم فيه فهو عمل الصوفية فالفضل لهم في انتشار الإسلام شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً . وقال (شانتليه) بعد أن اطلع في وصف انتشار الإسلام في الدنيا وعزاه لمساعي مشايخ الطريق: «والخلاصة أن الإسلام مدين بكل فتوحاته السامية وانتشاره في الأفطار لجماعة الصوفية . فمشايخ الطريق هم في الحقيقة الذين يدبرون حركة الإسلام الحية . ولا يخفى ما في عملهم هذا من الخطر على المصالح الأوروبية»

(السبب الرابع) : تعدد الزوجات وهو الأمر الذي به يتفق للمسلم الواحد أن ينسل خمسة نسمة وفي الحديث «تسلكوا تكاثروا فإني بآبائكم الأمم يوم القيامة» (١) وقال تعالى في حكاية دعاء إبراهيم وإسماعيل: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ)

قال دي كاستري أيضاً: «ومن الوسائل الناجحة في المساعين لانتشار الإسلام الزواج فإن سلاطين السودان يتزوجون من العائلات الوثنية لهذه الغاية ولا تمكث النساء وأولادهن حتى يصير الكل من أقوى الأسباب لانتشار الدين الإسلامي وقد أشار موسيو (رونان) إلى ذلك في بعض كتبه حيث يقول (من الصعب أن يضم المرء أذنه إذا تقدمت إليه النساء والأطفال ومد كل يده إليه وطلب منه أن يعتقد بمن نعتقد) على أن الزواج هو السبب في وجود انصار الإسلام الأولين»

(السبب الخامس) — بغض الأمم الوثنية للمسيحيين وميلهم إلى المسلمين بالفعلة قال (كونتاسون): «إن مما اعلى كعب الإسلامية على النصرانية في الصين عناية ملوك الصين بالمسلمين من قديم فهم يتمتعونهم على الدوام من المراتب والألقاب والمنح ما يعمونه النصاري . وقال بعض الكتاب: «قدملاً الأوربيون بلاد الصين بمجاهير المسلمين من كل ملة ونحلة وسهلوا لهم سبل التملك ووعدهم بالمساعدة فأدخل هؤلاء المرسلون بعضاً من أهل الصين في دينهم بعد ما وعدوهم بالحماية الأجنبية . من كل ساطة للقاء نون تجرأهم ذلك على ارتكاب منكره القوانين والاعتداء على أهل البلاد فنجم عن هذا معظم الأسباب التي أوجبت كره أهل الصين للمسيحيين كرهائشبه الثعب

(١) النار : رواه عبدالرازق في مصنفه من حديث سعيد بن أبي هلال مرسلًا بسند ضعيف . ولكن ورد بمناه في مكاره النبي الأم والأبناء بأنه ما يقويه

وبالمجسلة إن الأوروبيين القائلين بالساواة يعاملون اللون الأبيض من بني الإنسان معاملة الأخ لأخيه واللون الأصفر معاملة الرجل لحادمه واللون الاسمر معاملة السيد لعميد ويطلقون الرصاص على ذي اللون الأسود كما يطلقونها على الوحش الضاري فالإنسان كلما مال لونه الى السواد كان نصيبه من هؤلاء الخلدان وقبحى الامتسان. ولهذا كان كره الأئمة الشرقية لهم مشكراً وحتدهم عليهم عظيماً.

وقال (فياكس مارتان) في كتابه عن اليابان ما نصه: «وقد استأصل أهل اليابان جميع النصارى فلم يبقوا مبرراً الا شردوه ولا قسيساً الا فلوله وكان قد تسهر من أهل اليابان ٣٧ ألف نفس فاعدموهم قاطبة». وقال أيضاً: «ان البصبة التي تعني كل مشكلة أو ثورة في اليابان الآن لتجعلها مقبولة من الناس هي الحركة ضد الافرنج».

وقال أيضاً: «كل من زار اليابان من الأوروبيين يعامون بان الحلة اليوم كما كانت في الأزمنة الباقية وان الافرنج في اليابان كأنهم في دار حرب أو بلد عدو ولتقو كلفت الغطاء عن الياباني الحالي وزخرفته لوجد انه ذلك (الساموري) القديم الذي يغلي دمه بعبادة الافرنج عداوة وريالية فهم لا فرق فيها بين الكبير والصغير والامير والحقير» وقال هانتو وزير خارجية فرنسا سابقاً في مقالته عن الاسلام: «وقد انتشرت شعبية منته في بلاد الصين فانتشر فيها انتشاراً هائلاً حتى ذهب البعض الى القول بان العشرين مايو تأمن المسلمين الموجودين في الصين لا يلبثون أن يصيروا مائة مليون (١) فيقوم الدعاء لله مقام الدعاء (للساكاموني) وليس هذا بالامر العرب فانه لا يوجد مكان على سطح المعمورة الا واجتاز الاسلام فيه حدوده منتشراً في الآفاق. فهو الدين الوحيد الذي امكن اعتناق الناس له زمراً أو فوجاً وهو الدين الوحيد الذي تفوق شدة الميل الى التدين به كل ميل الى اعتناق دين سواه. ففي البقاع الافريقية ترى المراهطين وقد أفرغوا على أبدانهم الحلال البيضاء يحمون الى الوثنيين من الميبدالعارية أجسادهم من كل شعار قواعد الحياة ومبادئ السلوك في هذه الدنيا كما ان أمثالهم في القارة الاسيوية ينشرون بين الشعوب بالصفرة الألوان قواعد الدين الاسلامي ثم هو — أي هذا الدين — قائم الدعائم ثابت الاركان في اوربا عينها أعني في الاستانة — حيث عمزت الشعوب المسيحية عن استئصال جبروتهم من هذا الركن المنيح الذي يحكم على البحار الشرقية ويفصل الدول العربية عن بعضها شطرين»

(١) النار: جاء القاهرة في هذه الأيام تاجر بلوحي مسلم ذهب الى الصين مراراً فأكد القول بان مسلمي الصين يبلغون ٨٠ مليوناً وان علماءهم همزأون بقول الأوروبيين أنهم ٤٠ مليوناً

وقال آخر : ان الاسلام في الصين أربعين مليوناً آمن النفوس وان للمسلمين عند أهل الصين منزلة عالية قال موسيو (وازيليف) وهو من الذين اشتغلوا بالاسلام في تلك النواحي : ان مصيره القيام مقام مذهب (ساكيا، وني) (١) وان لمسلمي المملكة السايوية اعتقاداً جازماً بأن الاسلام لا يد أن يسود حتى تزول به تلك الديانة القديمة وهي مسألة من أهم المسائل اذ الصين أهلة بثاث العالم او تزيد فلو صاروا كلهم مسلمين لأوجب ذلك تغييراً عظيماً في حالة تلك البلاد باجمها فيمتد شرع محمد من جبل طارق الى المحيط الأكبر الهادي ويخشي على الدين المسيحي مرة أخرى ومعلوم ان أمة الصين أمة عاملة وان هدأت أخلاقها وجميع الأمم تستفيد الآن من عملها فلو جاءها التعصب الاسلامي ذو البأس القوي لحشيت بقية الأمم من السقوط تحت سلطانها (٢) وقال موسيو (مونيط) لقد صار من المحقق ان الاسلام ظافر لا يحالة على غيره من الأديان التي تتنازع البلاد الصينية «

وقال شاتليه (ان من تأمل حال الاسلام في القطرين اللذين هما أهل أقطار آسيا بل أقطار العالم — الهند والصين — يجد أن الاسلام وحده يتقدم وينمو على حين يرى غيره من الديانات القديمة تداعي وتضعف والمسيحية لا تكاد تثبت)

وقال آخر بعد ان وصف فتوح الاسلام في الديانات الأخرى وعجز الآخرين عن الفتوح فيه : (ولم المرشرون في طريقهم بلداً قامت في وجههم سدوده وأفلت دونهم أبوابه مثل بلاد الاسلام ومن الصعب أن يكتف الانسان حالة مسلم يريد أحد المسيحيين أن ينصره حتى لو شبهناه بمسيحي مستعير يريد وثني أن يميل به الى عبادة الاصنام لكان التشبيه ناقصاً)

وقد ملأت هذه الفتوحات الاسلامية قلوب الامم الأخرى وبلبلت بلبالهم حتى عدوها من الخوارق وبنوا أسبأها على ما وراء الطبيعة

(١) هو احد ملوك الصين تخلى عن الناس في التاسعة والعشرين من عمره وعكف على العلوم حتى برع فيها وسمى نفسه (بودا) ومعناه العالم او المتنور ووضع المذهب الذي اتخذته الصين والهند ديناً وكان ظهوره في القرن الحادى عشر قبل المسيح وقبل في القرن السابع وهو الأرجح (٢) راجع كتاب موسيو دابرى المسمى الديانة الحمدي في الصين وركستان الشرقية المطبوع في باريس سنة ١٨٧٨ اه من هامش كتاب الاسلام لدي كاستري

قال دي كاستري : « هذه هي أهم الأسباب في انتشار الإسلام ولست أدري ان كانت تكفي لإدراك سر هذا الدين في انتشاره أو انه يجب البحث معها عن أسباب سماوية غير ان الإسلام خرج من ذرية اسماعيل وسرى في الأرض كما خرجت المسيحية من ذرية اسحق وقد بارك الله في أبناء الخادمة كما بارك في أبناء السيدة

« ونحن نعلم ان يهوذا قال لابراهيم عن اسماعيل انه سيبارك فيه ويكثر من نسله كثيراً وكرر له ذلك بقوله انه سبارك له في ابن الخادمة فتخرج من صلبه أمة كبرى لكونه من أولادك وأعاد يهوذا هذه البشارة مرة ثالثة لوالدة ذلك الطفل الذي نجاني الصحراء حبث رمي لموت عطشاً وقصة ظهور الملك الى هاجر من أجل الروايات ووصف بادية الظماء وهلف الأم على ولدها من اللطف ما يقال (نضب الماء في الزق ورمت هاجر الطفل تحت شجرة وابتعدت قليلاً ثم جلست أمامه على مسافة مرمى النبل وقالت لست أصبر ان أرى ابني يموت ثم رفعت صوتها بالبكاء فهو قد كان بكاء الطفل سبقتها الى السماء فاجابها الملك من قبل الله : مالك يا هاجر لانخافي فقد سمع الرب صوت الطفل من المكان الذي وضعت فيه فقومي وساعديه على القيام وابشرك ساعدك على حمله فيكون من ذريته أمة كبرى)

« ولقد ارتعشت يدي عندما مددتها لأزيل الغطاء عن الكتاب المقدس كي أقبل الآيات التي سطرها ولولا ما قاله الاب بروغلي من أن تقدم الإسلام أسس مندرج تحت مابشر به أبو المؤمنين لما تخجرات ان أطبق تلك الآيات على الإسلام ولا ذهبت الى أن في انتشار هذا الدين سرّاً من الاسرار الربانية » اهـ

هذا ما أردنا بيانه في هذا الفصل ومنه يعلم أن حفظ الإسلام من الأرض أو فر حظ وان أرضه له لا يمكن أن ينتزعها منه غيره وان عدد المسلمين كثير وان صفاتهم الفطرية قوية، وجا ستم الدينية عظيمة، وانهم يزيدون زيادة تستوقف الإعصار، وتغير الأفكار، وأنه لا يتسنى لغيرهم أن يجارهم في هذا المضمار، وإذا كان الأمر كذلك كان رأس مال الإسلام من الاصلين الطيبين الضروريين مستقبل الامم كيراً في الحال، أكبر من غيره في الاستقبال، ولا يتقصه الا الامور الكسبية والاسباب الوضعية التي لا يد أن تدفعه طبيعة العمران لتحصيلها شاء أو أبى. فيصل الى ما قدره له الله من السعادة والعلاء والمجادة وله در انقائل:

لى في ضمير الدهر سر كامن لا بد أن تستلته الاقدار

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في أسباب الانحطاط)

« الجهل »

اختلفت العامة وافترق العقلاء في أسباب انحطاط الأمم وارتقاءها وانقسموا في ذلك الى فريقين وهما

(الفريق الاول) — يرى هذا الفريق ان الأمم في ارتقاءها وانخفاضها أشبه بالإنسان في أدوار عمره لا تكبره الإرادة ولا تضره الضمة فهو اذا جاء زمن المشي مضى وحده واذا جاء زمن الطيق فطيق كذلك وان الجماعات الإنسانية مسيرة بناموس طبيعي كالناموس الذي يسير الكواكب في أفلاكها ، وان الجمعية الحالية هي نتيجة ضرورية لماض طويل الأمد ، وأنها حاملة معها جميع بذور التحولات والأطوار التي لا بد لها من المرور عليها في رقيها وانحطاطها . وأنه بذلك تكون الجمعية كالشخص لا يبالغ سنا ملزم بالأدوار التي يفصله عنه وان تأثير الإنسان في هذا السير هو كتأثير الطبيب في سير المرض أي ضعيف لا يذكر .

[الفريق الثاني] — يرى هذا الفريق ان الأمم مثل الشمعة المذابة تضعها في أي شكل أردت . وتجعلها في أية صورة صورت ، وأن الإرادة تفعل في كيانها فعمل الأكسير الذي يحول التراب ثبراً ، ورجال هذا الفريق هم أساطين الحكمة مثل (أفلاطون) و (أرسطو) و (لينين) و (ليكورغ) . ولا حاجة في اطالة الكلام لترجيح الفريق الثاني في هذا المقام فان اليابان هي البرهان الذي لا يختلف فيه إنسان .

نبت عند كبار الحكماء أن الأمم يمكن رفعها وخفضها بالإرادة . أما الآلة الرافعة أو الخافضة لما فقد اتفقوا على أنها العلم أو الجهل . قال لينين الحكيم : « لو كان أمر التعليم موكولاً الى تغير وجه أوروبا في أقل من قرن » وقال أيضاً : لو أجلنا النظر لأفئتنا ان تسعين في المائة من الناس هم فضلاء أو أرتلون نافعون أو مضرون بالتعليم الذي تقدموه وان كل ما يوجد من فرق بينهم فسيببه ذلك التعليم . وقال (ديدرو) علة العلل في ارتقاء أو انحطاط الأمم هو العلم أو الجهل وما عدا ذلك فأسباب ثانوية وعال جزئية ترجع الى تلك العلة الاصلية

هذا وقد يدلنا النظر في حالة العمران أن العلم هو العلة التي تقوى بها أمة على أمة والجهل هو سبب انحطاط فريق عن فريق وإليه أن هذه الأرض وإن تنوعت أجناس أجزائها في المواضع واختلفت ألوان بقاعها في الخار والداخل في العاصر والغاصر والأهم فيه كآمة واحدة فيها القوي والضعيف . وقد أوجدت الطبيعة بعض هؤلاء في جيز عاصر مغمم بالغم والبعض في جيز عاصر ملو بالغم وجبيل الإبريق على حب الأثرة لنفسه ولو هلك في ذلك أهل الأرض جميعاً . قال سهل بن عبد الله الديلمي : « ليس لي من مالي إلا ما منتهه الناس ولو أنهم كفوا لنفوسوا ربي حجراً حجراً فوفيق بين القوم بسبب ذلك ما يسمى تنازع الحياة وهو في الواقع قتال بلا سلاح . فكل يطلب الطيبات لنفسه . ويجربس على زرع دونه من الأجر بقوة رأسه . فعممة يعيش فيها الجليد . وهناك الرعاة . ويحب القوي ويموت الضعيف . فهناك احتياج كل واحد أن يكون أقوى من قرنه فراحموا في الأثرين لأولى إلى القوة الجسمانية حتى إذا ساء العقل واستأنف من الأساليب ما طمئنه به قوة في نفسه إلى القوة العلمية ولهذا قال بعض السلفين : « الجاهل الآن كالأعرج في العروى ثم مضى » . فمن كان أكثر علماً كان أكثر قوة فكان له العار والناجح على خضته . وقد كان هذا التنازع جهرياً وهو معروف في ألعاب الأمم بعضها على البعض قوة الآلات المستبعدة والعدد المبتدعة وقد يكون خفياً وهو التناظر في سائر وسائل الحياة . فالأثم في الحقيقة جيوش متلاحمة ومقاتلة متحاملة كما قال المتنبي :

إنما أنفس الأتيس سبع يتنازسن جهرة وأغنيا

فالجنود تقاتل الجنود والتجار التجار والصناع الصناع والزراع الزراع وهكذا . وكما أن الجندي إذا غلب الجندي وكان سلاح أحدهم المكسب وسلاح الآخر الرمح غلب الأول لا بحالة فكذلك الحال في سائر الأنواع الأخرى . ونقد ما يكون في جميع طبقات الأمة من سعة العلم يكون غلب مجموعها على غيرها ولا يمكن أن يحيط فرد واحد منها إلا أثر ذلك في كونها كما إذا وقعت بعوضة على طرف سبينة عظيمة أثقلتها وأماتها حقيقة وإن لم تدرك ذلك مشاعرها .

ومن هذا يعلم أن جميع أحوال الأمة متوقفة على حالة أشخاصها من الجهل والعلم فإن صاحت الأشخاص صاحت الأحوال والعكس بالعكس . وهذا جاء القرآن الكريم قال تعالى : « إِنْ أَلِهَ لَا يَتَغَيَّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيَّرُوا مَا بَأْسَ بِنَفْسِهِمْ »

وقال تعالى : « وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُثْلِكَ الْقَرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصَادِقُونَ » وقال تعالى : « وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ » وقال جلّ شأنه : « ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يَكُونُ مُعْتَبِرًا زَمَنَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُفْسِدَ وَاسْمًا بِأَنْفُسِهِمْ » وقال صلى الله عليه وسلم : « كَانُوا يُؤَلِّقُونَ غَلِيظَتَكُمْ » (١) وفي معناه قول الحكماء (الأمة تعطى الحكومة التي تستحقها) وقال فواتير : « الظلم الواقع على الأمة عقاب لها على جهلها » .
 ويعلم مما تقدم أيضاً أن الذين يعددون الأسباب الكثيرة في انحطاط الأمم أو ارتفاعها إنما يذكرون أسباباً ثانوية لعل أولى هي علّة الملل وهي الجهل أو العلم . فمن جعل السبب محصوراً في الحكومة مثلاً قلنا له ان الحكومة لا تكون الا على نسبة استعداد الأمة وما شذّ عن ذلك لاحكام له بل لا فائدة فيه فقد رأينا ان المصادفة قد توجد حكومة فوق قدر الأمة فلا تلبث ان تبدل بموت القائم بها أو نحو ما يخفى .
 تفسد كل ما أُنبت به الحكومة الأولى . وهكذا من جعل السبب في فسوق العقائد الفاسدة في الأمة أو المبادئ التي ترعّمها من الدين وايسر منه نقول ان السبب هو الجهل بالدين وهما جزآن

ثم ان العلم لا يميز في الوجود وهما الأنبياء والحكماء أي الدين والحكمة فنأخذ من الدين أولاً ثم ان أردنا التدبيل في الفروع أخذنا من الحكمة . قال ابن مسكويه : « ان تحصيل السعادة على الاطلاق يكون بالحكمة . وللحكمة جزآن نظري وعملي فبالنظري يمكن تحصيل الاراء الصحيحة وبالعملي يمكن تحصيل الهيئة الفاضلة التي تصدر عنها الافعال الحميلة ويهتدين الامرين بعث الله الانبياء صلوات الله عليهم ليجعلوا الناس عابها وهم اطباء النفوس يعالجونها من اسقام الجهالة بالادب الحق لما يأخذونهم به من الآداب الصحيحة والاعمال النافعة ويطالبونهم بالاستسلام لهم بعد اقامة الحجة عليهم بالمعجزات فمن سبهم ولزم محبتهم وقف على الصراط المستقيم . ومن خالفهم ردّى في سواء الخبيث . فلما من أحب ان يعلم صحة ما دعوا اليه بالنظر الصحيح فانه يجد ذلك من جهة الحكماء . ولا يقول قائل انه يوجد تباين بين الدين والعلم بتدافيه فان ذلك غير صحيح وانما جاء لهم من أنهم حصلوا من الدين ما ليس منه أو اخطأوا وانصدهم ومعناه .
 قال شيخ الفلاسفة في هذا الزمان هربرت سبنسر في كتابه (التربية والتعليم) ما نصه :

(١) المنار : رواه الديلمي عن أبي بكره والبيهقي عن أبي اسحق السبيعي مرسلًا

« العلم عدو الأوهام المتداولة بين الناس باسم الدين ولسكنه ليس بمدو للدين الحق الذى كثيراً ما تحاول هذه الأوهام ستره عن الأبصار . نعم أنه يوجد شيء من العلم المتداول يظهر عليه مناقضة الدين ومصاداته . ولكن هذا أيضاً من قبيل العلم الذى أكثروه ثم أذ العلم الحقيقي الذى يفوض وراء حقائق الاشياء ليناقض الدين كما قدمنا »
وقال (باقون) امام الفلسفة الحديثة : « القليل من العلم يبعد من الله والكثير منه يقرب منه » وقال (هكسلي) الحكيم الكبير : « الدين والعلم كثنائين متلاصقين فصلهما يؤدي الى موتهما . فان العلم يمتدحى متى كان ديناً والدين يثبت متى كان علماً . وأهم آثار الفلاسفة انتجتها أفكارهم بسائق ديني في الحقيقة »

ولو تتبعنا جميع رؤساء الحكماء وأساطين الفلسفة العقلاء من سقراط وأرسطو وأفلاطون الى كانت وديكارت وليبنز وأمثالهم لوجدناهم من أهل الدين وان لم يتسموا بهذا الاسم بل يتقدمون بما جاء به الدين ويختلون بالحكمة التي أمرها أن تكون . قال (كارايل) الفيلسوف في كتابه (الهبرو) : « قال (حوتي) اكبر شعراء الجربان وقد وصف له الاسلام : ان كان هذا هو الاسلام افلا نكون جميعاً عائشين فيه ؟ » ثم قال (كارايل) نعم ان كل واحد منا عده حظ من الفضيلة والحكمة في الحياة عائش فيه »
ولا فرق مثلاً بين قول سقراط : « يجب ان نعرفوا ان إلهكم واحد » وقول المسيح في الانجيل : « وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوا انك انت وحدك الاله الحق » وقول الله سبحانه وتعالى « قل هو الله أحد »

وكل ما أدخل على الدين من تحريف الاصول الحقيقية والفروع العامة التي فيه فأنما جاء من فساد عرض أو عرام طراً وهو منه براء . وهذه الاصول العامة التي هي عماد السعادة كما لا يختلف فيها الدين عن الحكمة لا يتباين فيها دين ودين بل الاديان فيها سواء . قال الله تعالى : « قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » وقال تعالى : « مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ »



اذا توضح ذلك وأنه لاخلاف بين العلم والدين فلذين هنا ماهية كل منهما ليس العلم هو هذه الابواب المحفوظة فقط التي يسمى محصلوها بالعلماء عند المسلمين

الآن بل هو أوسع من ذلك رحاباً وأفسح مجالاً ، هو معرفة حقائق الوجود جميعاً . ويتقسم الى حكمة نظرية وحكمة عملية . وتنقسم الحكمة النظرية الى ثلاثة أقسام وهي (قسم العلم الإلهي) وهو ما لا يفترق في الوجود الخارجي والتعلق الى المبادئ (القسم الرياضي) وهو علم بأحوال ما يفترق اليها في الوجود الخارجي دون التمثل (القسم الطبيعي) وهو علم ما يفترق اليها في الوجود الخارجي والتمثل . وتنقسم الحكمة العملية الى ثلاثة أقسام أيضاً (قسم الأخلاق) وهو علم بمصالح الشخص (قسم تدبير المنزل) وهو علم بمصالح العائلة (قسم السياسة) وهو علم بمصالح الأمة ويدخل تحت كل قسم من هذه الأقسام جملة علوم كالرياضي يدخل تحته عيلم الحساب والهندسة والجبر والهيئة والطبيعي يدخل تحته الكيمياء والطب والنبات والحيوان والجغرافية والفلاحة الى غير ذلك بل كل واحد من هذه العلوم يدخل تحته علوم أخرى كالمطب يدخل تحته التشريح والجراحة والكحلة وهكذا الى ما شاء الله . ولو أحصيت العلوم التي تقوم بها أعمال المجتمع الانساني الآن لارتبت على ألف علم

وكل علم من هذه العلوم له وظيفة لا يقوم بها غيره فثلما في جسم الاجتماع كمثل الاعضاء في الجسم لا تغنى فيه العين عن الأذن ولا اليد عن القدم وهكذا . فالعلم الإلهي أو الفلسفة الأولى هو أس العلوم في الحقيقة . سأل (ريتان) السيد جمال الدين عن سبب عقم المدارس في الشرق — والى فيها القديمة والحديثة فقال له السيد ان سببه فقد الفلسفة الأولى منها اذ هي لعلوم كالسلك للمقصد او القاعدة للمسائل فليكن تقيد السلك بتد العقد أو عذمت القاعدة تأثرت المسائل

وأما العلم الطبيعي والرياضي فهما باب الارتزاق وسلم المدنية وغنمة يقصد .
 زاء في الأتم المرتقية الآن من الحركة والعمران
 وأما علم الأخلاق فهو طب النفس . ومن العجيب اننا نرى الانسان اغلما يصيب دمل في جسمه اسرع الى العلاج والطبيب وفي نفسه عشرون دمل لا يلتفت اليها وان انهكتة في الحقيقة آلامها ولا سبب لهذا الا فقدان هذا الطب من بين المسلمين الآن مع نموه عند غيرهم من الامم وحسبك انه الف في مرض الارادة وحده عندهم كتب ذات أسفار .
 ويجب ان يكون هذا العلم ملكة في النفس كذلك التحوي في اللسان حتى تنطبق أحوال المرء على قواعده بلا تكلف قهبر الفضائل — كوقوف عند الاعتدال في الاعمال والحق في الاقوال والاعتقاد على النفس ونحو ذلك جميعه — خلقا له وسجية طبيعية واما تدبير المنزل فهو من أهم الأمور للضرورة لسعادة الأمة وذلك ان المنزل

هو المدرسة الاولى وبمده مدرسة التعليم ثم مدرسة الدنيا فان كان عمل الاولى صادراً للثانية ضاعت النفس بينهم ضايع لب المأمور لآمرين مختلفين

وأما علم السياسة فهو طب الاجتماع الانساني وطبلا أدى الجهل به الى شقاء البشر قال لوبون: إنك لا ترى أحداً لم يقرأ المالك أو الجبر ثم يحاول حل مسائل فلكية أو مضلات جبرية ولا يرى أحداً كذلك لم يتعلم التشريح ثم يحاول ان يحيط عرفاً مقطوعاً مسلاً ولكن ترى كل يوم رجالاً لا يفقهون شيئاً من علم السياسة يسبون الاتم ويضمون القوانين ويسنون القوانين غافلين عن الاخطار والازمات التي تحم من عمام هذا مع ان خطاً الجاهل بالطب يودي بشخص واحد وهذا الخطأ يودي بأمة . وعلى هذا النحو فنفس سائر العلوم والفنون

أما الدين فليس هو أيضاً ما يفهم الناس من أنه مجموع حركات بدنية فقط او كيف أحاجي لا يصل اليها العقل بل هو العلم باقسامه الا انه أبعد غاية . ومقصده هو عين المقصد الذي وجد لاجله العلم اي ارشاد الخلق الى الحق ثم هدايتهم بقواعده الى كل ما فيه السعادة لهم الا ان الدين يتنازع على العلم بأنه يجمع السعادتين سعادة الدنيا والآخرة وان العلم يرغب في الفضيلة فقط وهو يقهر عليها قهراً ويرتب على ذلك ثواباً وعقاباً

ونقريب فهم المقصود من الدين والانتفاع بما جاء به نفرض على وجه التقدير أن الكتاب السماوي الكريم هو كتاب علم وحكمة ونقسه في ذهننا الى الاقسام السابق ذكرها في تقسيم العلم . فنجد تحت اسم الإلهيات منعماً بما لا يصل البشر الى الاتيان بمثله ولا الوصول الى مثل تعبيره وتمثيله . قال سبيلس الحكيم في كتاب المبادئ الاولى : « لتعرف للدين الفضيلة الكبرى بأنه أول ما دل على الله وأنه لم يفتأ يعلن ذلك في كل زمان ومكان » . ثم اتسجد الدين وان لم يتعرض لتقسيم الرياضيات والطبيعات فقد حث عليها في جملة ما حث فيه من النظر في الاكوان وكذلك وضع العبادات التي تحيي التوحيد في النفوس . أما الاخلاق وتدير المنزل والمساكن المدنية وما يتبع ذلك من الاحكام فقد بلغ فيها غاية ابس ورامدا معالج الباطل وكانت محمولاته هي الاصل الذي فرع عليه الحكماء جميع ما أتوا به في هذه الابواب . وأما ما يقوله السفهاء من عدم موافقة بعض احكام الدين لسير العمران فهو خطأ ووهم اذ تراهم قد قهروا الى الرجوع الى كثير منها بعد أن انكروها قروناً عديدة

واذ قد نبين أن الجهل هو سبب الانحطاط وإن العلم هو سبب الارتفاع على الإطلاق
فبهما فلم يبق خلاف في أن سبب انحطاط الأمم الإسلامية هو الجهل • ولو نظرنا نظرة
واحدة في أحوال المسلمين لتبين لنا مقدار ذلك الجهل وآثاره السيئة فيهم

قلنا إن بابي العلم هما الدين والحكمة • أما الدين فلو حكمناه في نفوس أكثر المسلمين
الآن وطبقناه على عقائدهم وأخلاقهم وأحكامهم لوجدنا لدى أكثرهم في محل كل عقيدة
قرآنية أو خلق ديني عقيدة أخرى أو خلقاً آخر يكاد يصاد الأول على خط مستقيم •
وإذا كان الأول آله للعلاء كان الثاني علة الانحطاط • ليس الغاية من الدين مجرد

الانساب إليه فإن ذلك لا يهدي إلى خير ولا يدفع عن شر وإنما العمل والانتفاع بكل
ما جاء فيه هو الذي يرقى صاحبه إلى ذرى الكمال وذلك كالطب فإنه لا يكفي أن يعتقد
الإنسان أنه نافع فيبدأ من مرضه أو سببه وإنما يحصل على ذلك باستعماله والأثمار بلوازمه
والانتهاء عن نواهيهِ • ولذلك حرصت جميع الأديان على تبيان هذه الحقيقة للناس

قال تعالى « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ » وجاء في الإنجيل « وأنه

إيس الذين يقولون للمسيح ياسيدي ياسيدي يدخلون ملكوت الله بل الذين يعملون
إرادة الله » ومهما قابلت بصرك لا تجد الدين في الغالب مستعملاً فيما وضع له • فهو
عند الخاصة موضوع مناقشات لفظية وصناعة فصاحة كلامية وبحال براعة في اختراع
وجوه وتأويل مناجي وبمدن مقاصد • وعند العامة دفتر تعاويد ورقى وكتاب ترتيل
وكلام يقال لكي لا يفهم حتى قال بعض الأدباء : فات هؤلاء أن يفهموه الأحياء فهم
يسمعونه الموتى في القبور « أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا »

وأما العلم فخالطهم فيه كمالهم في الدين • فهم كل يوم يبعدون عنه ويقربون من
تقيضه ولهذا تجد الكتاب عندهم كلما كان أقدم كان انفس وأجود بخلاف الأمم الحية
فإنه لا يقرأ الكتاب فيها إذا مضى عليه عشرون عاماً

منذ كبرت أفلام المسامحين الأولين نرى العلم واقفاً بيننا لا يتحرك • أين الجماعات
المشتتة بالعلوم الآلهية ؟ أين منشئو المذاهب والآراء ؟ أين المحامون عن العقائد ؟
أين المؤلفون في الرياضيات ؟ أين المخترعون لعلوم لم تكن كالجب والكيما ؟ أين من
نقل فلسفة أوروبا كما نقل أولئك فلسفة اليونان ؟ أين من شرح كتب كانت وديكارت
منامنا شرح ابن رشد كتب أرسطو وابن كونه كتب أفلاطون ؟ أين من جمع علوم

الأوائل في سفر شامل كما فعل الفارابي في كتاب التعلیم الثاني؟ أين من ألف فوق مائة مؤلف في الطب كابن سينا والرازي؟ أين من سافر لجمع غريب النبات وتدوينه كما سافر ابن البيطار إلى بلاد الأمازيق؟ أين من جرب في البحراة ودون كتابي زكريا الاشبلي الذي رقت تجاربه زراعه الأندلس؟ أين من ساح آسيا وأفريقية والجزر واكتشف البقايا ووصف المواطن كالحسن بن محمد القرطبي المعروف بالاسد الإفريقي والبيروني والشريف الإدريسي؟ أين أنواع العلوم الكثيرة التي يتداولها المسلمون ويؤلفون فيها والتي حمسها صاحب كشف الظنون في زهاء مائتي علم؟ أين من دون حوادث زمانه يوماً يوماً وأخبار قومه خبراً خبراً باختلاف الروايات وتنوع الأسانيد؟ أين من وقف على حدود العلوم وزاد فيها على ما كان عند الأئمة؟ أين من طلب العلم للعلم وأراد به أن يعرف حقيقة يحجلها ولذة عقلية يحصلها؟ أكثر ما عند المسلمين الآن اختلاف في أعراب البسمة وبيان وجوه الصفة المشبهة وأمثالها وثي من الفقه يعلمونه ولا يعلمون به وما عدا ذلك ففقشور من العلم في المدارس الحديثة المقصود منها صنع موظفين للحكومات أو إجراء لبعض المهنة كالأطباء والحقوقي ونحوها

هذه مصر وهي في مقدمة بلدان الإسلام عمرانا وحضارة ورفاهية وشارة تسمنون في المآل من أهلها أميون ولا يوجد الا واحدة في الماشين من نساءها تقرأ الخط؟ فكيف حال المغرب والتركمان والمجسم والسودان؟ حيثما سرت وابن أجهت وقعت عينك على أناسي لو جردتهم في الخيال من القابهم وأموالهم وحليهم لم يبق في يدك شيء؟ قال المعري:

لو يعرف الانسان مقداره لم يفخر المولى على عبده

لو لا سبحانه وأخلاقه لكان كلمسودم في وجده

الناس أجمع في حركة وعمل والمسلمون في سكون وسكوت كما قال تعالى: «وحيث تضعون ثيابكم من الظهيرة» والله درأبو تمام حيث يقول:

أفكر في احلامكم ابن عذريت فيصرعني طورا وأصرعه الفسكر

إذا الوحي فيكم لم يضركم فاني زعيم لكم ان لا يضركم الشعر

— الفصل الثالث في وسائل الارتقاء —

(العلم)

انما كان الجهل سبب الأخطا كان العلم سبب الارتقاء . فلا تصلح أحوال المسلمين حتى تصلح نفوسهم توقف المطول على الملة

ولكن رعباً رأى الانسان الفساد الجمال بالمسلمين في أنفسهم في أهلهم في أنفسهم في دينهم في دنياهم وقد سكن في كل عضو منهم علة ، وفي كل جراحة ألم ، وازمنيت الادواء واستطرت الى بعضها حتى أصبحت كل علة تسوق عللاً وكل مرض يبيح أمراضاً وغداً بينها شبه الدور والتسلسل . فقيه في هذا التيه ولا بدري كيف يسري وماذا يصلح وماذا يترك وأي دواء يستعمل وقد اختلفت الأمراض وتباينت الآلام فيقف حائراً بارأى يأساً يرى ان خلق خلق جديد أهون من اصلاح هذا . فتمثل هذا الخائر المشتبه أضرب المثل الذي ضربه (فكتور هوجو) الشاعر الكبير قال : مثل سلطان الاستبداد مثل مصر بني على بطائح (الثيفاء) في روسيا وقد جد الناتج ماها فشيدت القرى والمنازل على الجليد وسارت المحلات ودارت حركة المعاش في الأسواق كأكثر ما يكون وضرب الرجل برجله الأرض فوجد أصلب من الصخر لا تعمل فيه المعاول ولا يقطعها الدينات فقبل له ان هذا كله ظل زائل لا يلبث الا عشية أو فمخاها حتى يمحى فلا يكون له أثر فكذب وأنكر وهاله الأمر وبينا هو كذلك وإذا بشعاعة من الشمس سالت على هذه الدنيا الصغيرة فإذا هي حلم عالم . قال (هوجو) هذه الشعاع هي (الحرية) وأقول أنا هي (العلم) وقد بينا آنفاً ماهية هذا العلم الذي ترقى به الأمة إذا أخذ كل منها بنصيبه منه . فنذكر الآن الوسائل اللازمة لإدخاله في أرض المسلمين . وهي تنحصر في (كيفية نقله) و (كيفية تعليمه) و (المال اللازم لذلك) و (من يقوم بهذا العمل)

أما نقل العلم واجباده بين المسلمين فله طريقتان وهما ترجمته الى لغات المسلمين أو تعميم المسلمين لغة من لغات العلم (وهي الآن الفرنسية والانكليزية والألمانية) انكون هي لغتهم العامية ومن يقول بالوجه الأول يذكر انه هو السبيل الذي سلكته كل الأمم السالفة في نقل العلم اليها كما فعل العرب في نقل علوم اليونان والفرس والكلدان وكما فعل الفرنج في نقل علوم العرب حتى أنك تجد الآن كثيراً من مؤلفاتهم المهمة مترجمة الى اللاتينية مطبوعة بها من قرون عدة مع فقدها من بلاد الإسلام ويقول هؤلاء : اننا اذا ترجمنا العلم فقد نقلناه اليها وأن تعلمنا اللغات فقط فقد نقلنا أفراداً منا الى العلم . وأما من يقول بالوجه الثاني فيرى ان سير النقلة وسير العلم في حركته كفرق ما بين ركب الناقة وراكب البخار فان بدءاً من نقطة واحدة الآن فلا يلبث ان يتقارفاً فيسبق العلم النقل ويبقى الناقل أبداً لا يبدى ذنباً له . وان أريد نقل

ما عند القوم من أول الدهر إلى اليوم لزم لذلك خمسمائة عام يكونون فيها قد تقدمونا بمثل هذا القدر من السنين . ويقول هؤلاء : لهذا رأينا الأثم الآن . غيرت الطريق الأول في نقل العلم إلى هذا الطريق كما فعلت اليابان

وعندي أنه يجب التوفيق بين هذين القولين فتجعل تعليم اللغة العلمية إجبارياً وبهذا تعطى لكل واحد (مفتاح الحفر) وترفع الستار عن عالم العلم . ثم تجعل التعليم والتأليف بلسان الأمة التي هو فيها . ومق فعلنا ذلك أمكننا أن نسير مع العلم أذكتبه وحدوده التي هو عليها تصبح كتبنا وحدودنا وأمكننا أن ننقل منه ما شاء الله أن ننقل منه .

ولا يلزم أن نتعلم اللغة العلمية بحيث نحسن الكتابة والتكلم بها بل يكفينا القدرة على فهمها جيداً والتقل منها كما كان ذلك شأن القلة الكبار مثل ابن ماسويه وخمين ابن اسحق ورفاعة بك والرشيدي صاحب المادة وأمثالهم . ولو حفظ الانسان في كل يوم خمسة مصادر بمشتقاتها لكان رأسه في ختام السنة قاموساً

والما يجب إذن أن نجعل اللغات الإسلامية في حالة يمكنها بها أن تكون لغة علمية وذلك بنقل ما جدد من الألفاظ والاصطلاحات إليها والوصول إلى هذا نتخذ أحد المعاجم الموجودة بين أيدينا أصلاً ونزليه بما استجد من ذلك نأقلمن ألفاظ المعاجم واصطلاحات الفنون كما هي بمد تحوير قليل تنظم به في صيغ اللغة الأصلية . أما الجهد في سد هذا القصور بإيجاد ألفاظ من متن اللغة القديمة تؤدي المعاني الجديدة أو استدراك ذلك بواسطة النحت أو الاشتقاق من الجوامد أو نحو ذلك فعبث ولا لزوم له



وأما كيفية تعليم العلم وترتيب ذلك فأنهم ما يجب أن يعمل فيه أن يكون التعاليم عامماً إجبارياً على ثلاث طبقات (ابتدائي وثانوي وعالي) وأن يكون النظام بقدر عشرين في المائة من عدد السكان . منهم واحد في المائة للمدارس العالية وسبعة في المائة للثانوية وما بقي للمدارس الابتدائية . وأن يكون الاساندة على نسبة واحد لكل خمسة عشر للمبتدأ في المدارس العالية وواحد لكل ثلاثين في المدارس الثانوية . ولكل خمسين في المدارس الابتدائية

وعلى هذا يجب أن تكون المدارس الابتدائية منتشرة في كل قرية انتشار المساجد والزوايا والمدارس الثانوية في كل مركز والمدارس العليا (أي الجامعة) في أمهات المدن

ويأتي أن تكون الغاية عند الكافة من طالب العلم أن يكون المرء سعيداً في رزقه سعيداً في نفسه وفي فكره وفي بيته وفي أمته لأن تكون اداء امتحان واخذ شهادة ثم ان جدول التعاليم في المدارس (البروجرام) هو بمثابة الجوهر وكل ماعدها في مقام العرض فعليه يتوقف الفلاح في الحياة أو الخيبة فيها . وطالما حرص الفلاسفة على تبيان أهمية هذا الأمر واهتمت به الحكومات . قال جان جاك روسو : « ان أكثر ما نعلمه في المدارس كأما نتعلمه للتدبير لا غير ذلك اذ معظمه مما لا نستفيد منه في حياتنا مرة واحدة » وقال آخر : « الفساد في التعاليم يفسد أمة بأسرها » وقال هيرت سبنسر الفيلسوف الانكليزي « لو لم يكن عندنا من العلم الا ما نعلمه في المدارس لكانت انكلترا اليوم على ما كانت عليه في القرون الوسطى . فجميع ما عندنا من المعارف الكبرى التي صرنا بها أمة عظيمة في الدنيا لم تنشأ من المدارس المعدة لذلك بل من أكواخ حقيرة وذوايا مهجورة » وقال (كوريون) عن مدارس الصنائع في فرنسا ان ثلاثة أرباع الوقت تضع فيها سدى . وقال (هنري دوفيل) في حصة عامة باهية العلوم في فرنسا : « اني نضو في المدرسة الجامعة (كلية باريس) من مدة واني اليوم على وشك الابتزال من الاعمال فأقول لكم قولاً لا يجب أن يمسأ كل أحد وهو انه مادامت هذه المدرسة على هذا الحال فلا تسوق الا الى الجهالة . » واذا تكن الامر من الامة بحيث استدعى ايراد هذه الاقوال عن مدارس اوربا وجبان تحييله في المنزلة التصوي من الاهتمام به ولا تقلد تلك الأمم بتقل بوجراماتها كما هي وقد سمعنا اقوال الفضلاء في قيمة تلك البروجرامات وقلة جدواها في التربية العامة وليس لي ان اجزم هنا في مسألة هي الآن مشكلة الأمم ومختلف العقلاء وانما رأيي ان يكون التعاليم الابتدائي محصوراً في الأمور التي يجب على كل امرئ ان يعلمها وهو علم (ما يحفظ الجسم) كبادئ قواعد الصحة والفسيولوجيا وعلم (ما يحفظ النفس) كالاخلاق وما (يحفظ العائلة) كتدبير المنزل وما (يحفظ الأمة) كبادئ السياسة والتاريخ ونحوه وما (يحفظ العقيدة) وهو مبادئ الآلهيات والحكمة الأولى التي هي سلك العلوم الحافظ لها من الضياع كما قد علمنا ثم لا بد له من علم (ما يحفظ الرزق) وهو الزراعة أو الصناعة أو التجارة ومبادئ علم الاقتصاد والحساب والضابط للعمل واما المدارس الثانوية فيتعلم فيها العلم الذي اختاره المرء لنفسه وما يلزمه من الفنون ولغة اجنبية من لغات العلم

ويتعلم التلميذ في المدرسة العليا تفصيل ما أجله في المدرسة الثانوية . وتقسم حينئذ المدارس العليا (الكلية) الى أقسام كل يختص بعلم مخصوص .

والاختصاص بالفن الواحد من أهم الأمور في بلوغ الغايات في العلوم اذ العلم يعطيك من نفسه بقدر ما تعطيه من نفسك . وما يجب تعويد الطالب عليه السير مع العلم كل يوم وعدم الوقوف طول العمر عند ما يتلقونه في المدارس . وذلك بالإطلاع على فهارس (دور الكتب) والوراقين والوقوف على كل منتهى في الفن . قال رتلو الكيماوي المشهور: كنت أقرأ في كل عام فوق مائتي مئة من الكتب في الكيمياء وأحفل ما أجده منها في نفسي تحليلاً كيماوياً فيتيسر لي بذلك توسيع دائرة هذا العلم واكتشاف أمور كثيرة فيه

**

وأما ذلك اللازم لذلك فهو لا يتجاوز بالا واحداً عن كل شخص من الأمة وهو ثلاث ما تنفقه أمة كالأمة النصرانية على البحر والسخان في كل سنة . والحصول على هذا المال يكون اما من طريق الحكومة بالطالب منها والاخاخ عايبها والاسلمة في ذلك . أو من طريق الأمة بالإكتساب العام الدائم والحك عليه بالخطب على المنابر والجرائد وغيرها . وقد كان السيد جمال الدين رأى في ذلك . أنه هو أن ينشأ صندوق يسمى (صندوق المسلمين) يوضع في كل قرية وعلى كل طريق ومسجد ويجمع فيه المال لإصلاح أحوال المسلمين . ولا بأس من جعله تحت مراقبة إدارة رسمية لتزداد ثقة الناس به كما جعلوا صندوق التوفير تحت إدارة مصلحة البوسطة مثلاً . على أنه لا يدم الإسلام رجالاً في هذا الزمان يقومون على قدم أبي بكر الصديق رضي الله عنه في سالف العصر من بذل كل أموالهم في تأييد العقيدة التي أخذوا بها والذين الذي اتسبوا إليه . روى مسلم في صحيحه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن من أمن الناس علي في ماله وصحته أئمة أئمة)

أما البحث عن يقوم بهذا الأمر فهو أهم الأبحاث وأهم المسائل . الذي يقوم بهذا الأمر إما الأمة أو الحكومة . أما الأمة فما دامت في الضغول فلا يمكنها أن تميز خيراً من شر أو أن تترك الأمة ونشري الكتاب . وأما الحكومة فهي إما حكومة وطنية ومو في الغالب الآن مع الأمم الإسلامية في مقام السيد مع المبدفان تعاملت الأمة وارتقت أصبحت معها في مكان الوكيل مع موكله وهيئات هيئات أن تساعد على ذلك . وأما

الحكومة الأجنبية فهي بمثابة الوصي الطامع مع القاصر الغني فصلحتها ان تحول بينه وبين الرشد دائما (١) وإذا قد نفطنا أيدينا من هؤلاء جميعا فلم يبق أمل يرجى وأمنية ننظر الأمن قشة قليلة بلغت الرشد فمررت الحال والمآل أعني بها (عقلاء المسلمين) هذه الفئة هي المسأولة وحدها ولا مسؤولة على عامة الأمة « ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج » وهؤلاء العقلاء بالنسبة إلى بقية الأمة القاصرة في مقام الأولياء فهم المسؤولون عن خيرها وشرها ونفعها وضرها لاسيما إلى نجاة المسلمين وإعلاء كلمة الإسلام لأن يؤاخذ هؤلاء العقلاء في كل قطر جمعة يسمونها جمعة (مستقبل الإسلام) وإن يؤلفوا جمعة أخرى عامة تضم هذه الجماعات تسمى (المؤتمر الإسلامي) يتعقد في مكة أو في أي مكان يتفق عليه كل سنتين مرة ويكون أعضاؤه مندوبو جماعات الأقطار المختلفة ووجهته إصلاح

(١) يقول بعض السذج من البسطاء لا حاجة لاهتمام المسلمين بأحوالهم إذا افترنج لأبدان يسوقهم دافع المدنية وروابط الانسانية إلى أن يحتلوا بلادهم فيصالحوا أحوالها وينظموا أعمالها كما ذكر ذلك (روسفات) رئيس جمهورية الولايات المتحدة في خطبة له قال فيها : (أن داعي الانسانية يضطرنا إلى احتلال البلاد الضعيفة والتمسك على الأئمة المتحطة لترتب أحوالهم ونصالح أعمالهم ورفقهم حتى يصبحوا مثلنا تماما وما نأخذ في أثناء ذلك من المنافع هو اجر ذلك العمل) . أقول إن هذا تقرير للإبصار، وتضليل للأفكار، إذا افترنج قد يصلحون الأشياء لا الأشخاص ومثل هذا الإصلاح لا يفيد المسلمين وهم في حالة الانحطاط بل هو أشبه بالثياب المهتمة التي يضعها الباعة على تماثيل الخشب، زخرف على ربة، ونقش على خربة. فإن الأمة لا يمكنها أن تنازع غيرها سبيل الحياة إلا بنفسها فإذا فقدت نفسها فهي فاقدة لكل شيء * ولا ترجع فائدة هذه الإصلاحات إلا على الإفترنج أنفسهم فنلهم في مثل من يصمر الليث بأجرته ثم يسكنه مدة طويلة حتى إذا خرج منه يوما كان الليث قد عاد إلى حاله الأولى *

أما إصلاح الأشخاص الذي هو أس كل إصلاح حقيقي فهو مالا يفعله الإفترنج بل ما يبدأون في الغالب لصدده. قال بعض نهائ التونيين وقد سئل عن حال بلاده (تقدمت البلاد وتأخر أهلها) ولا عجب في ذلك كله ما دامت سنة الاجتماع قد قضت بأن تكون حياة القوي في موت الضعيف أه لمؤايد الرسالة *

أحوال المسلمين ونشر التعليم الذي هو وسيلة ذلك أي دولة قامت. أو راية نصبت، أو أمة خلصت، أو وحدة تألفت، الأبالجيات، الجمعية عامل لا يموت وأمة في واحد. هل اجتمعت الوحدة الإيطالية أو تبنيت الجامعة السلافية والجنسية السكسونية، الأبالجيات السرية أو الجهرية. هذه الأمة الارمنية والطائفة المقدونية والفئة الكريتية على صفرها في الوجود، وكونها لا تكاد تذكر بين كل موجود، تعمل اعمال الجباية في الخلاص من حضيض الأسر، الى اوج النسر، والأمة الاسلامية التي ملأت المشرقين والمغرب بين تنفض انتفاض الطائر في شباك الصائد ولا تعمل للنجاة عملاً. وكيف ترجو الوصول الى الغاية وهي لا تنقل اليها قدماً، ولا تحرك شفة ولا قلماً، ومن طلب شيئاً وجده، ومن تركه فقداه.

ولا يتعذر الحيان المفقود القلب بان عقد هذه الجمعيات مما يتعذر حصوله في البلا، الإسلامية الآن اذ اي جمعية انشئت لمثل هذا الغرض فلم تقابل بالكفران. وتخط باليران، ولكنها العزيمة التي ترى ان الموت في حياة الأمة خير من الحياة في موت. وانه لا يحصى من الصدر او القبر. على ان كثيراً من بلدان الاسلام الآن مفتوحة الابواب لمثل هذا العمل واخصها الممالك التي احتلها الانكليز ويقرب سكنها من نصف المسلمين (١) على ان الممالك الاخرى. قد علمت ان المقصد من العمل هو التعميم والتربية. لا يكون لها مجال في منعه. فان منعه في الجهر فهل يمكنها أن تمنعه في السر؟ وان أمسكت الأفواه فهل يمكنها أن تضبط القلوب اما اولئك الآخرون الذين تراهم ينذرون بفناء الاسلام وانتهاء امده ويستدلون

(١) أوجه كثيرة كانت تحملي دائماً ان أجزم بأنه من الضروري للمسلمين أن يتفقوا مع الانكليز في السياسة العامة سواء في ذلك الذين تحت ساططهم والذين تحت سلطة الدول الأجنبية الأخرى والمستقلون.

أما الذين تحت ساططهم فيجب عليهم ذلك لأسباب كثيرة منها أن الانكليز يطلقون في مستعمراتهم حرية الدين والتعميم والقول والتجارة ويكتفون من الفائدة بأن تكون البلاد سوقاً لتجارهم ومجالاً لارتقاقتهم المالية. ولا شيء أنفع وأجدي على الاسلام من هذه الحرية التي لا توقف نموه الطبيعي ولا يخنق عابه أكثر من وقوف القوة أمام ذلك النمو.

على ذلك بالأحاديث الموضوعة والأقوال التي لفتها أعداء الدين قديماً لإدخال اليأس على قلوب المسلمين فيجب أن نسد أفواههم ونوجع أقدانهم ونلوع على أسماعهم قول الله تعالى : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » وقوله تعالى : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأتى الله إلا أن يضيئ نورَه ولو كره الكافرون »

أيها المسلمون جدوا في هذا امر لتجدوا . وتوا فيه لتنجوا . واعصوا قومكم قبل أن يسكروكم ، واحتفظوا بلادكم قبل أن تضيعكم ، قد حدث فيكم حركة عامة فأبدوها

ومنها أنه يمكن للأمة الإسلامية إذا ارتقت أن تخلص من نير الانكيز بالاتفاق أو بالقوة إذ قوة الانكيز البرية ضعيفة . وقد صعب عليهم أن يخضعوا ثلاثمائة ألف من البوير أخيراً فكيف يخضعون ثلاثمائة مليون إذا أصبحوا مثل البوير

ومنها أنه إذا لم يكن الانكيز بين ظهرانيهم فلا بد أن يكون غيرهم من الأمم الأجنبية إذ الضعف الذي هو علة تساعده أولئك لم يفارقهم فإن تسلطت عليهم دول أخرى كالروسيا في آسيا أو ألمانيا وفرنسا في أفريقيا ودهمتهم بما عندها من الجند الذين لا يقلون عن خمسة عشر مليوناً فقل على المسلمين السلام .

على أنها إذا لم تشكل لهم قلنسوة تسد أبواب الحرية الدينية والسياسية في أوجههم . هذه تونس باطل منها الحج ، والجزائر لا تدخلها جريدة اسلامية حرة كالأزدي وركستان لا يقرأ في مدارسها أي الجهاد من كتاب الله ، وجاوه أصبح المسلمون فيها من الضفط والاهانة في مرتبة الحيوان الاعجم .

وأما المسلمون الذين تحت سلطة الدول الأخرى — فلا سياب المتقدمة جميعها ولأن مصلحة الانكيز في خلاصهم من يد تلك الدول وهي أقدر الناس على هذا في الحقيقة إذ هذه الدول (ماعدا روسيا) لاتصل الى ممالك الاسلام إلا من طريق البحر وفتح البحر في أيدي الانكيز .

وأما المسلمون المستقلون فيجب عليهم الاتفاق مع الانكيز أيضاً لأوجه منها أن مصلحة الانكيز تفضل بقاء هذه الممالك مستقلة غير محكومة بدولة اجنية وذلك لأن روح هذه الأمة التجارة وما دامت للممالك الاسلامية مستقلة فابواب التجارة مفتوحة وطريقها مأمونة فإن احتلتها دولة اجنية فهناك الخيانة والخطر . ولهذا

(٨٠ — المناو)

وَتَحْمِلُوا فِيهَا الْأَذَى . هَذَا صَوْتُ الْقُرْآنِ يناديكم . وداعي الله يستدعيكم . ياقومنا أحييوا
داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويخرجكم من عذاب الجحيم .

﴿ الهدايا والتقاريف من باب الآثار الأدبية ﴾

(اللؤلؤ النظيم ، في روم التعلم والتعليم) كتب الشيخ لاسلام زكريا الانصاري
المتوفى سنة ٩٢٦ ذكر فيه شروط الاشتغال بالعلم وآفاده . ثم ذكر العلوم المعروفة
في العربية وتربياتها . أما ما ذكره من الشروط والآفات فهو حسن جداً . وبالنسبة
أهل الأزهر يتدبرون قوله ويسبرون على منهجه كما يقرأون منهجه في الفقه وغيره من
كتبه . فقد ذكر من الشروط أن يقصد بكل علم ما وضع له وهم يقصدون بكل علم
للمناقشة بعبارة كتبهم وذكر منها أن يشتغل كل طالب بالعلم الذي يميل اليه طبيعة لان
كلما يسر لما خلق له وهم لا يراعون هذا . وذكر منها اختيار الكتب الحيدة وهم
قد التزموا كتباً مفضولة لاحجة لهم على اختيارها الاتقيد الآخر لمن سبقه في ذلك .
وذكر منها أن لا يدخل علماً في آخر وهذه الحوائث التي التزموها قد امتزجت فيها
العلوم المتبرجاء فصارت أخلاطاً وأشاجاراً .
وأما ما ذكره في تعريفات العلوم وفوائدها فقد جرى فيه على المعروف عند اهل

السبب كان الانكليز احرص الناس على مساعدة هذه الممالك على التقدم والنجاح
والبقاء ومن رأى مخاطبات السير ليارد سفير انكلترا للباب العالي بمسد الحرب
الروسية وجد غير كيرة على مستقبل الدولة

أما استيلاء الانكليز أنفسهم على بعض الممالك الاسلامية فهو في الغالب لتحقيقهم
وشك وقوعها في أيدي غيرهم ان لم يلقوا اليها . على أنه تولد ادماء الانكليز وأمواهم
لاستولي الروس على القسطنطينية وعلى العجم والافغان وملك فرنسا مراكن
والطليلان طراباس وهكذا . ومن هذه الاسباب يعلم ان الممالك الاسلامية محتاجة في كل
وقت الى عضد قوي تنقي به أوروبا . والانكليز هم أولى الناس بهذا اذ مجتمعهم مع الأمة
الاسلامية كراهية أوروبا للفرقيين وكرههم لها

هذه هي أفكارني في هذا الموضوع ولولا ان هذه المسألة جوهرية بالنسبة الى
مستقبل الاسلام لما احتجت للتمرض لها في هذا المقام . اهـ مؤات الرسالة

عصره في الغالب وفيه خطأ وقصور من اضرب ذلك قوله في الكيمياء: « علم بأصول يعرف بها ممدن الذهب والفضة » وقوله: « علم الهيئة علم يعرف به الاجرام البسيطة من حيث كمياتها وكيفياتها وأوضاعها وحركاتها اللازمة لها »

(تعريف اصطلاحات علم الاصول) رسالة أو مقدمة للشيخ زكريا الانصاري أيضاً ينبغي لمن يتدبىء بتعلم الاصول الاطلاع عليها فانها تؤنس به تلك الاصطلاحات على ما فيها من خطأ وقصور . ومن غريب ذلك قوله في تعريف المعدوم: « ضد الموجود » مع قوله عقيبه: « الضدان أمران وجوديان يستحيل اجتماعهما في محل واحد » وهذا يفيد أن المعدوم من الامور الوجودية ! ! ومنه قوله: « الذاتي ما يستحيل فهم ذاته قبل فهمه » ومنه تعريفه العدل والعدالة بالاعتدال والثبات على الحق . وانما نهت على هذه الاغلاط لألفت طلاب الازهر الى عدم التسليم بكل ما قاله الشيوخ المؤلفون لانهم ألفوا وماتوا وهذا طبع الرسائل أو المقالات أو الكتب ان الشيخ أحمد عمر المحمضاني الازهري وجعل لها مقدمة وثلاثة فكان جميع ذلك ٣٦ صفحة صغيرة ولكن الثمن أسفر من ذلك فهو نصف قرش صحيح

(المعلقات السبع) هي أسفر من أن يتوه بها فما من مشتغل بالعلم الا وهو يعلم انها أبلغ ما يؤثر عن العرب في الجاهلية وأنها يحتاج اليها في اكتساب ملكة فصاحة اللسان وذوق اللغة ولكن نسخها التي في ايدي غير موثوق بضبطها وصحتها لذلك ابرى الشيخ احمد عمر المحمضاني الى تصحيحها وضبطها على الشيخ محمد محمود الشنقيطي وهو كما يعلم القراء امام اللغة في هذا العصر وقد طبع النسخة المصححة مضبوطة بالشكل وذكر في هامشها اختلاف الروايات وأضاف اليها القصيدة المعروفة بلامية العرب مضبوطة مثلها وجعل ثمن النسخة من الورق الابيض الناعم قرشين صحيحين والنسخة من الورق البتاني قرشاً ونصفاً فنحت كل مشتغل بالعربية على حفظها بهذا الضبط والتصحيح . ويا حبذا لو كان أضيف الى ذكر الروايات تفسير الغريب (سفينة النجاة في قواعد النجاة) اسم لكتاب تعليمي مؤلف من أجزاء طبع الثالث منها أخيراً طبعاً حسناً مضبوطاً بالشكل على ورق حسن وهو أوسع من كتاب النحو الرابع الذي يقرأ في المدارس الأميرية او مثله لكنه أكثر تمريناً فهو خير كتاب رأيت في تسهيل تعليم النحو . وبما رأيت منتقدا فيه ذكر جهل فاسدة في التمرينات لأجل اصلاح التلامذة لها وعندي ان هذا مما يترك للمعلمين ولا يكتب في الكتب . والخطب سهل . ومنه ذكر بعض الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والحكم المأثورة مع تصرف

فيها بالزيادة والنقصان أو التبديل والتفسير والمعنى صحيح. ولعل المؤلف يعتذر بأن هذا من قبيل الاقتباس الذي اعتادوا التصرف فيه بالمأثور وهو عذر يقال وإنما انتقدت لأن القارئ يقع في الوهم من ذلك السرد الذي ليس مظنة للاقتباس اذ لم يعتد في مثل هذا المقام، أما مؤلف الكتاب فهو أحد (الفرير) وقد أشار الى اسمه بهذه الإشارة (ح ط ٥) وأتبعتها هذه العبارة «مفتش اللغة العربية في أحد اندارس الكبرى بالقاهرة»

﴿ المنار وجريدة » تربيت « الفارسية » ﴾

جاء في جريدة تربيت الفارسية التي تصدر في طهران تحت عنوان (مجلة المنار) ما ترجمته ان العلوم والمعارف في هذا العصر قد بنيت في عدة أقسام الدنيا كما ينبغي أن تبني، وأحكمت كما يجب أن تحكم، ولم يبق إلا القليل من الأمكنة التي يعيش أهلها بالأوهام الباطلة، والخيالات الواهية، جاعلين عنان اختيارهم بأيدي أهواء مختلفة ورياح متناوحة، يسلكون المناهج المظلمة عمياً لا يبصرون

ان معارف الفلاسفة الأقدمين وأفكار العلماء المرفاه من أهل القرون المتوسطة قد أصبحت مفاتيح لحكماء هذا العصر الجديد حتى سهل لهم بها تذليل الأقفال الصعبة، وفتح الابواب الموصدة، وأصبح عمر الانسان القصير من حراء هذه الاكتشافات يعد بالألوف من السنين، والعالم يفهم ان معنى العيش وحقيقة الحياة هو السلم ومن فوائد العلم القدرة على العمل ومن لا علم له لا قدرة له

والاشياء التي رومها الجاهل في عمره ويرجو ان يدفع بها آلامه ووجاعه هي التي تولد الامراض، وتضاعف الوجاع، فحكمها حكم الحجر التي يشر بها الشارب في جنح الليل اصدع همومه فحدث في سباحه ما يكثر همومه من الصداع والكل قال احمد عبدة الخمر: اني لم اشرب في عمري غير جام واحد لتزويج النفس وكل ما شربته بعد قائم كان لدفع ما اورثته تلك الكأس من الخمول والخود

لا يبعد فالغرض هو العلم اذ به أصبحت أكثر الممالك في هذا العصر جنات دانية الحنى وقد تسلسلت أنهار الفضل بعضها وصيرت السراب بجرأ متدفق الجوانب بالأمواه العذبة. وأحد تلك البحور الزاخرة التي ليس لها ساحل هو وادي النيل وكرسي الفراغة الذي صار حقيقة بأن يدعى في عصرنا هذا بعرش الحكمة. وأي دليل على ما نقوله أقوى من وجود منبع الفضل العلامة الأواحد مولانا الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية — متصلاً بالله بطول حياته — في الجامع الأزهر في القاهرة

(الجامع الأزهر هو مدرسة تحتوي على آلاف من الطلبة مشغولين فيه بتحصيل العلوم) وقبل هذا كثيرا ما تكلمنا عن الجرائد والمجلات المصرية وأنا نذكر الحديث فيها حتى لا نكون مدينين بشئ لشرح هذا المطلب المهم ولا يفوتنا مستحب مؤكد بل فريضة لازمة .

في هذا الأسبوع وردت على إدارة التربية (مجلة المنار) ففاز رواد المعارف الذين هم في حوزتنا الصغيرة من مطالعة تلك المجلة بأكثر المنافع وبها عرفنا منزلة صاحبها سيد الفضلاء الأستاذ الأمامي السيد محمد رشيد رضا ومقدار ما عليه حضرة من الفضل والأدب أقول : لم يبق في هذا العصر الأمة المصرية شئ ينمها من بلوغ مقاصدها السامية فإن أسباب الكمال مجموعة لديها فكتبتها مثل السيد ومحررو أخبارها من ذكرنا قبل ومرشدنا فيا سوف . من فضيلة الشيخ الأجل الشيخ محمد عبده (شكر الله مساعيه) ودار كتبها الشهيرة (الكتبخانة الخديوية) لا يحيط بها الوصف . فإذا لم يصل أولئك القوم إلى أقصى درجات العلم والحكمة فلا أدري من أي جهة يكون التقصير وما هو السبب فيه

المنار مجلة علمية أدبية تهذيبية مليحة وفيها أخبار متنوعة تصدر في غرة كل شهر وفي السادس عشر منه . هي جنس يجب أن يشرى بالروح . ومن زينة الحياة الدنيا أن هذه المجلة الواحدة تكفي وتفي . إن ما يسطر فيها يمزج بماء الحياة ويشرب فهو ينقذ من مخالب الاستسلام للهلاك ويحيي الروح ويغني عن الموت ولم يؤلف كتاب ولا رسالة أحسن من مجلة المنار لأجل الوصول إلى الحقيقة ومزايا الإسلام ولو أن ابن خلدون الحضرمي كان حيًا لما أقوله وأثبتته

في كل مقالة من هذه المجلة الغراء . أن من طيب ريحانة الفاضل الخبير ، والتحرير الذي ليس له نظير ، رئيس معلمي قانس كل علم ، علم الأعلام وسند الإسلام ، فضيلة الشيخ محمد عبده دام علاه ، الذي هو كال المشرق والمغرب وجاهلها ، وإذا راقت الآراء الممدودة من حكمنا في عين العرفاء من الإفرنج قائل تلك الآراء هي تصورات ذاك المولى الكبير — أعني الشيخ محمد عبده جعل الله إلى أعلى المقامات منه . وإلى أعظم البحور طريقه ومن هذه المجلة أستطيع حسن حفظ المصريين الذين هم اخواننا المسلمون وأعلم أن شكر هذه النعمة من الواجب . وبعد الأسف الكثير على حال المسجونين في ظلام الجهل أقول : يخرج مصر التي منحت فوق دار الكتب ودار الآثار والعائيت والدارس كنوز معارف من المجلات المضيئة النفيسة . وما أطيب زمن طلاب جامع

الازهر إذ يحكمون مبادئ عقولهم وأفهامهم وينورون ساحات قلوبهم وأبصارهم بسماع
حكمة تلك الكلمات والآيات وحواشٍ أحاديث الفيلسوف الأعلم، الجذاب المستطاب
المعظم، الشيخ محمد عبده سامه الله تعالى، يحسن من أهل بلادنا أيضاً أن يطلبوا
مقداراً من هذه المجلة ويسرحوا النظر فيها وإذا نشأ عن ذلك خطايا خطايا في عني.
طالت حياة شيخنا الأجل الشيخ محمد عبده إذ فيها خير المسلمين، وإن شاء الله

ستزين أوراق «التربية» بشرح ذلك مع الفوائد العظيمة من مجلة المنار
(المنار) لقد سبق أن قرّط المنار من علماء الأقطار وفي خير الجرائد والمجلات
العلمية في مصر وغيرها ولم تنقل من ذلك شيئاً لأننا نرى أن نقل مدحه كمدح نفسه
بنفسه ولكننا عينا بتعريب ما كتب في هذه الجريدة (تريث) ونشرناه لأن صاحب
الجريدة من أكابر العلماء والفضلاء، وخيرة الكتاب الباقاء، ولا لأن الجريدة لها
المكانة العالية في نفوس كبراء الفرس وفضلائهم كما أخبرنا بذلك صديقنا ميرزا مهدي بك
صاحب جريدة «حكمت» الفراء، بل لأن صاحبها على مذهب الشيعة فأحببنا أن يعرف
قراء المنار من أهل السنة أن من فضل الله تعالى على الإسلام والمسلمين أن نزع من
قلوبهم في هذا العصر تلك العصبية والتعزبات التي خضدت بها من قبل شوكتهم،
وفرقته كلهم، فذهبت ريحهم، وخبث مصابيحهم، نقشت الظلمات وانجملت الأنوار
عن فضلاء الأمة فأبصروا أن مصابيحهم واحدة لأن جامعتهم واحدة وهي جامعة الدين
الحق الذي جماعهم أخواناً، صار المسلم في فارس يفرح لأخيه المسلم في مصر إذا أحسن
عملاً ويحزن لأخيه في مراكن إذا أساء صنعا، وكذلك حال المصري يتهنئ بما يسمع
من حسن حال أخوانه في إيران، ويستاء إذا هضمت حقوقهم في بلوچستان، إلا ما
يلفظ به بعض الأحداث، وإن لم يصادف أقل أكرات، فلا وطنية ولا عصبية، في هذه
الديانة الإسلامية، وعلى كل حال يجب أن نشكر لأخيها صاحب جريدة (تريث)
حسن ظنه بنا وبالمنار على ضعفنا وتقصيرنا، أما مقاله في الاستاذ الامام، فهو الذي اتفق عليه
ذوو الافهام، ولكن الشرط في حصول المراد، هو كمال الاستعداد

﴿ باب الأخبار والآراء ﴾

(مدرسة الشوريجي في كفر الزيات) — الناس ممدان والاستعداد للخير يظهر
أحياناً في أفراد لا يهتدي أحد من الناس إلى السر في ظهوره فيهم لأنهم لم يمتازوا في
تربيتهم امتيازاً يرفهم عن قومهم فيسند إلى تلك التربية ما يندفعون إلى القيام به من

الاعمال النافعة والمشروعات العامة . وانما يتعال عاماء النفس والاخلاق في التعايل
 بأن ذلك الاسعداد جاء من الوراثه لأحد الأجداد السابقين وفاتهم ان لله في بعض
 البشر غناية انزليه ، وفي بعض القلوب الهلانات خفيه ، وليس هذا وذلك من الشذوذ
 عن النور انيس العطارية . ولكن سر معروف بالتحقيق والتعايل الصحيح عند علماء النفس
 يصيب تلك الشوريجي ترفي في الحقول والمزارع لاني المكاتب والمدارس وهو
 لايمر ان السب والجبراه التي ترضى في انشاء المدارس والمستشفيات . وقد وفق منذ
 سلبن الى انشاء مدرسة في مدينة البين والبنات في بلدة (بمديرية البحيرة) وأوقف
 عليها من الارض مائتي ربيع متعقها ثم انشأ سائر يتردد الى بلدة كفر الزيات (بمديرية
 الغربية) لعامة أواسي اشتملها فيها ورأى انه ليس فيها مدرسة للمسلمين شرع في بناء
 مدرسة للبنين والبنات فيها وبناء ميوت بجانبها توقف عليها . وكان يوم الجمعة الماضي يوم
 الاحتفال بالانيس وكان رئيس الاحتفال عدلي باشا يكن مدير الغربية وحضره كثير
 من الوجهاء والنصلاء . وبعد ان وضع النذير الحجر الأول على الأساس على الطريقة
 الأوربية الجديدة دعي كاتب هذه السطور الى الخطابة فقال وقال ما فتح الله به من
 بيان حسنات العلم ومنافعه في الزراعة والصناعة والتجارة وكل أعمال الحياة الاجتماعية
 لا سيما جميع كفا الأمة وتوحيد مصالحها ومنافعها الذي يحقق به معنى الانسانية ثم بيان
 أن بشر العلم الذي له هذا الشأن في الحياة هو أفضل الفضائل على الاطلاق حتى ان
 انشاء المدارس له أفضل من انشاء المساجد . ثم الانتقال الى بحث الاغنياء على انشاء
 المدارس وبيان ان جميع طبقات البشر متقاربون في اللذات الحسية وان أوهمت
 المظاهر الضرورية خلاف ذلك فلم يبق من فائدة للاستزادة من جمع المال الا الشرف
 وكان في أيام الجهل محصوراً في الاتفاق على احتفالات الاعراس والمآتم ونحوه ولكن
 أهل هذا العصر لا يرون الشرف الا في العلم والسعي في نشره أو القيام بثمراته في نفع
 الناس فعني من يريد ان يكون شريفاً عزيزاً في الدنيا ان يسعى في انشاء المدارس وعلى
 من يريد ان يكون سيداً في الآخرة أن يسعى في ذلك أيضاً

ثم انتهت بعد هذا على إقبال النبط على تمهين التعليم وتضييق المسلمين فيه مينا
 ان العلم هو القوة الكبرى فاذا وجدت في فريق من الأمة دون آخر يرى الفريق
 العالم أنه الأحق بالسيادة والرفعة ويشأ عن ذلك التنازع والتفان بينه وبين الفريق
 الجاهل فاذا كان هذا على نسبة قريبة منه في العدد والثروة يسرع اليه الغلب والثلاثي
 وبود العلم على الجاهل سر بعا كما يرشد اليه قوله تعالى : « أن الأرض يرثها عبادي الصالحون »

أي الذين يصلحون لسمارتها، والعمل بسنن الله في تربيتها، وإذا كان لفريق الجاهل قوة من العدد والمال يكون التنازع شديداً، وخراب البلاد، وشيكا، والتبعية أن خير البلاد في أن يكون أهلها متفقين على أمرها وليس ينفقوا في العلم حتى ينفقوا في العلم المصلحة. وذكرت أيضاً المعلم النافع وأنه ما يصلح العمل لادنيا أه الدين أو ما يصلح الاعتماد ويقوم الفكر. ثم حتم القول بحث وجهاء الغربية المأخزين على عبارة وجهاء المتوفية في إنشاء المدارس، وعنتق الرجا، بمساعدة مدير الغربية وسعيه وبالله التوفيق ثم قام إبراهيم بك الهلباوي المحامي الشهير فألقى خطاباً مفيداً بين فيه أثر العلم كان حلية وزينة في الزمن الماضي وصار ضرورياً للحياة في هذا الزمن. وقد كان كانوا يتنازرون بالسحاية بغير طريقة معاروا ويتنازرون بالمعارف الكنسية، ولذلك صار العلم حياة حقيقية والجهل. ثم أتت حديثاً وضرب المثل بهلوا. أما شيكا الذين تعرضوا لأنهم لم يقدرُوا أن يعيشوا مع المستعمرين العالمين - إلى غير ذلك من القوائد التي اشتهرت بتأنيده المؤبد بها. وقد ضم الخطيب صوته إلى صوتي في أمالي الرجاء. ثم قام جندي أفندي إبراهيم صاحب جريدة الوطن الغراء فألقى خطاباً قال فيه أن الذي حمله عليه هو مقاله الخطيب الأول (صاحب النار) في النسبة بين المسلمين والقبط وقال أنه موافق في القول وشاكر عليه. ثم ذكر بتأثر المصريين مشيدي الاهرام وذكر أن السبب في سبق القبط المسلمين في التعليم هو العناية بتعليم البنات وإطال في بيان فائدة تعليمهن فجعله أهم من تعليم الذكور وكان من محاسن الاحتفال بحضور بعض التلامذة والتلميذات من مدرسة الشوريجي في البحيرة نخطبوا وإنشدوا الأناشيد في مدح العلم ومؤسس المدرسة. ثم انصرف الناس داعين شاكرين

(الاستقبال الاسلام) شغلنا معظم هذا الجزء بهذه الرسالة الجلية ليحيط القراء بفوايدها مرة واحدة، وإذا كان هذا رأي شيخ عامة المسلمين في التطر وهم الصوفية وما تقدم في مقالات (الاسلام والنصرانية...) هو رأي شيخ خواصهم من العلماء والكتاب. وقد اتفقا وبرهنا على أن المستقبل الاسلام والعاقبة للمتقين فلم يبق عذر للمسلمين في تهدير القول قدره والعمل في تحقيق حسن العاقبة

بقرآن الحكيم
من بقاء نوراني
الحكمة فقد أنجزت
الأمور العظام

المعراج

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فبينوا له حسنه وأولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « مناراً » كشار الطريق)

(مصر في غرة رمضان سنة ١٣٢٠ — ١ ديسمبر (تشرين ١٧) سنة ١٩٠٢)

﴿ أبصرومونه ولا يصلوه وهم مؤمنونه ﴾

إذا كان الله تعالى قد منحنا الدين ليهدينا به الى سعادة الدارين ومنافع
الحياتين فلا غرو ان يكون لكل عبادة فيه وجهان احدهما روحاني
ينظر الى توثيق عقدة الايمان وتهذيب الاخلاق والآخر اجتماعي ذيوي
ينظر في احكام عمرى الارتباط بين المؤمنين المابدين لتأكيد أخوتهم،
وتبرم جامعتهم، وتحقيق وحدتهم، وقد اهتدى علماء الاجتماع في هذه
المصور الى وجوب توحيد عادات الامة لان الوفاق كلما كثر وتدد ما
به يكون اشتدت الاواخي وأمنت التراخي حتى يكون مجموع الافراد
كالشخص الواحد. فترام قد اتفقوا في انواع المادات فهم يلبسون زيّاً
واحداً ويأكلون في وقت واحد ويتزهون في وقت واحد كما يتعلمون
على طريقة واحدة ويتربون على مثال واحد. وبهذا صاروا كأنهم اهل بيت
واحد يتماطفون ويتماضدون بل صاروا في مجموعهم كالجسد الواحد كما

ورد الحديث في وصف المؤمنين

الصوم والصلاة عبادتان علمتا المسلمين الاولين مراقبة الله تعالى والتوجه اليه وطلب مرضاته فصاحت نفوسهم وسمت همهم وتهذبت اخلاقهم وعلمت انهم الاجتماع في اوقات معينة والاكل في اوقات متفقة فأرشدتهم الى النظام وطرق الوحدة فصاحت احوالهم باطنياً وظاهراً فكانوا كما قال الله تعالى في خطابهم: « إن هذه أمتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون »، أو كالبنيان يشد بعضه بعضاً كما ورد في الحديث

مضت سنة الاولين من أهل الملل ان الدين يضمف فيهم ويضمحل على هذا النحو - نزول حقيقته المعنوية اولاً ثم نزول بعدها صورته الظاهرة بالتدريج . الجسد الحي بقاءه بقاء روحه فاذا أزهقت الروح منه أسرع اليه التساقط ثم التلاشي والاضمحلال . وإنما تزهق روح الدين بأمراض تعرض لها بعد فقد الاطباء الروحانيين او إهمال خواص الامة لهم وتركهم طبهم لارواحهم عند مرضها . والسبب في رغبة هؤلاء عن مداواة نفوسهم هو أن الامراض التي تلم بهم مستلذة بل هي لا تعدو الإفراط في اللذة مع الجهل بالمعاقبة وما وظيفة الدين الا هداية الانسان الى موقف الاعتدال في استعمال قواه الفكرية والنفسية لتبقى فطرته سليمة معتدلة

الصلاة افضل من الصيام لان سلطانها على الروح اعلى ، وجذبها اياه الى عالم القدس اقوى ، ولان تأثيرها في جمع القلوب والتأليف بين الافراد ابلغ ، وإشعارها نفوس الطبقات المختلفة معنى المساواة أشد ،

الصيام يذكر النفس بالسلطان الالهي عند ما تعرض لها الطيبات في النهار فتري انها ممنوعة منها بأمر الله تعالى شأنه وعند القطر والسحور

إذا تذكرت ان تغيير مواقيت الاكل انما كان لتحقيق هذه العبادة التي فرضها الباري جل جلاله على عباده ترويضاً لأرواحهم وجسومهم وتوذكيراً لهم على حكم قوام النفسية كيلا تفرط عليهم وتغني يستمدوا بذلك كله لتقواه جل وعلا . واما الصلاة فكل قول من اقوالها وكل عمل من اعمالها فهو ينفخ هذا الروح الحي فيمن يقيم الصلاة لا في كل من يصلي لان فصلاً باميداً بين إقامة الشيء على وجهه وبين الاتيان بصورته كالفصل بين خلق الانسان وبين رسم صورته على لوح او جدار

إذا قال مقيم الصلاة : الله أكبر : أعطته هذه الكلمة من تجريد التفضيل في التكبير أن الله تعالى أكبر من كل ما يوجد ويتصور فيطمن قلبه بالتزكية وتستولي عليه هبة الكبرياء والمظلة . ثم اذا قال : وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض : (وهو مستحضر أنه يبر عن توجه قلبه ، الى حضرة معرفة ربه) فان نفسه تسمو عن الالتفات الى الدنيا ، وتسمو عن الاشتغال بالخصائس ، وحسبك من الصلاة ما تعطيه هاتان الكلمتان فكيف بك اذا تدبرت سائر الاذكار والتلاوة وقفت . ر ذلك القيام والتعود ، والركوع والسجود ،

كأنني ببعض المكرين الذين يحكمون على الدين وتأثيره بما يجدون في أنفسهم وما يعرفون من حال معاشريهم والمائشين معهم يقولون : إن هذه الامعاني مخترة ، وأسرار مبتدعة ، وخواطر سائغة ، وموازين غير راجحة ، . وعذرهم في ذلك الحرمان ، وعدم تدبر سيرة الذين سبقونا بالايمان ، ومن ذاق عرف ، ومن عرف وصف ، ولست واقفاً هنا موقف المناظر ، ولم أقصد بهذا القول إقناع المكابر ، وقد سبق للمناظر

القول في بيان فوائد الصوم النفسية والبدنية والاجتماعية (فليراجع في المجلدين الثاني والرابع) وكذلك القول في فوائد الصلاة . وانما نريد الآن أن نذكر امراً غريباً في التصور ولكنه واقع شائع وهو ان كثيراً من الناس يصومون رمضان ولا يصلون الا في رمضان اولاً يصلون مطلقاً .

الصوم من آيات الايمان فلا يجمع الكفر والجحود ولكن كيف يكون المرء مؤمناً بدين ثم هو يستبج ترك افضل عباداته وآكد فرائضه وأعظم شمائره ، وما هي علة هذا الترك المطلق ، والإهمال المستغرق ، اذا كان الايمان هو الذي يثبت ذلك الصائم على الصوم فلماذا لم يدعه دعاً الى الصلاة التي تلي الايمان في المرتبة ؛ أتصور ان يكون لعله واحدة معلولات فتوجد ويتخلف عنها اول تلك المعلولات وأولاهها ، ثم يوجد أضيقها وأقصاها ، هذا ، وطن من مواطن المعب ، ولا بد من بيان السبب ،

قد يقال : اذا كان ترك الصلاة لا يجمع الايمان وترك الصيام لا يجمع الكفر فلا بد ان يكون من يصوم ولا يصلي في مرتبة بين المؤمن الصادق ، والكافر المارق ، وهو ما كانوا يدعونه المنافق ، فهو صرتاب يصوم لاحتمال صحة الدين ، ولا يصلي لفقد اليقين ، ويمكن ان يقال : ان صوم مثل هذا ليس من ثمرات الايمان ، وانما هو مجارة للاهل والجيران ، فهو عادة لاعبادة . ولو تركه المباشرون والاقران ، لما ثبت عليه القرآن ، ولذلك ترى الذين لا يصلون بالمعادات لقوة عزائمهم في العمل بما لا يتقنون قد تركوا الصوم فهم يحاربون الدين جهراً ولا يحترمون اهله ولا يحاملونهم من حيث هم به مستسكون . ويصح ان يقال : ان من تارك الصلاة المارق ، ومنهم المنافق ، ومنهم من يتركها لمرض الجمل والكسل لمرض

الارتياب او الجحود . ولذلك يصوم هذا صوماً حقيقياً يفيد تقوى الله تعالى في أمور كثيرة فهو يظلم ولا يشرب في خلوته لعلمه بأن الله تعالى يراه ولا يرضى له ان يكون ضئيف النفس مغلوباً شهوة الماء يمضي الله لاجلها . فان لم يلاحظ مثل هذا بالتفصيل فلا أقل من الاجمال

اما الجهل الذي يساعد الكسل على ترك الصلاة فهو ذو شعب كثيرة يوجد بعضها عند أبناء العصر الجديد وبعضها عند أبناء العصر المتبق . يقول أبناء العصر الجديد : ان الله تعالى لا يذب الناس اذا قصرُوا في عبادته لان الدين لا يصح ان يكون عقوبة للبشر وإنما فرضت الصلاة لتعين على تهذيب النفس ونحن قد تهذبت نفوسنا فلا نرضى لانفسنا أخلاق هؤلاء المصلين الذين فشا فيهم الكذب والنس والزور والطمع والدناءة الخ :

قول اشبه حقه بباطله ومسلك الجهل فيه دقيق . ولنا ان نقول لهم صدقتم في قواكم ان الدين لا يصح ان يكون عقوبة بل هو رحمة من الله تعالى قال تعالى لنبيه وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ، وقال في خطاب المكلفين « ولو شاء الله لأعتكتم » ولكنه لم يشأ فله الحمد والشكر . وقال جل ثناؤه « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وفي معناه قوله عز وجل « وما جعل عليكم في الدين من حرج » ولكن العقوبة على ترك الصلاة ليست من الحرج وانما هي من الرحمة فان الصلاة منفعة وترك المنفعة ضار لانه وقوع في الضدوهى واقعة في الدنيا ومعقولة فمن الجهل الارتياب فيها . ألا ينظر هؤلاء القائلون في صنفهم والذين تعلموا وتربوا مثلهم كيف تفنك فيهم القواش والتكرات فنذهب بآلهم وبصحتهم وتكبيل بلادهم بالسلاسل والأغلال

وتساعدها إلى الأُجانب . وإذا وجد فيهم أفراد ساعدتهم الاستعداد القلبي وما يسونونه (الظروف) والوراثة الطبيعية لسلوكهم المصائب على تهذيب نفوسهم فهل استغنوا بهذا التهذيب الذي امتازوا به على العدد الكثير من أمتهن المريضة عن تكميل نفوسهم بمناجاة الله تعالى . أليس لكل واحد منهم أمراض نفسية لو أقام الصلاة لوجد فيها شفاءها . منهم النوع الذي يجزع لكل شر يصيبه حتى كأنه امرأة ضعيفة أو طفل صغير والذي إذا أصابه الخير أمسكه عن إعانة الضعيف، وإغانة للفيف، بل الذي لا يخرج منه الحق الثابت عليه الا نكداً . وإذا فرضنا أن جهله بحقيقة نفسه وحقيقة الصلاة زين له عدم حاجته اليها ولو لشكر الله تعالى وحفظ شعار الدين الذي ينتمي اليه فهل يُزين له أيضاً أن أهله من زوجة وبنين وبنات في غنى عن هذه الصلاة؟ وإذا لم يكونوا في غنى عنها فهل يرى أن إقامتهم إياها من الأُمور السهلة إذا كان هو لا يصلي؟؟ أما صلاة فاسدي الأخلاق الذين يمثل بهم هؤلاء فهي شبيهة بصيامهم أي إنها محاكاة وتمثيل للحياة الملائكة الظاهرة .

وجملة القول في جواب هؤلاء ان اعتذارهم بعدم المقوبة على ترك الصلاة غير سديد وانهم لم يفهموا معنى الصلاة فيفهموا معنى المقوبة على تركها . ولو فقهوا تأثيرها في النهي عن الفحشاء والمنكر اتفقوا معنى كونها رحمة تزي النفس فتطلع في الدنيا والآخرة . وكون تركها نقمة تُدسي النفس وتسهل لها سبل الفواحش والمنكرات فتسلكها فتخسر في الدنيا والآخرة . لو تأمل المتأمل المؤمن بالله مناهها وما وصيها به الكتاب العزيز لفتقه ذلك . ولو علم أنها آية الكبرى في انقلاب أحوال سامعي الصدر الأول وتبدل أخلاقهم وسجاياهم لفتقه ذلك . ولو كان عندنا اليوم عدد من مقيمي الصلاة

لاستئنيان عن هذا وذلك في تعليم الجاهل، وتبنيه الغافل، واقناع المجادل، هذا ما يقول لنا أبناء العصر الجديد وماقول لهم الآن بالايجاز (وان لنا لعودة نفصل فيها القول تفصيلا ان شاء الله) وأما أبناء لعصر العتيق فان لهم من الضلال في فهم الشتماعات والمكفريات، والانتساب الى اصحاب الاضرحة والمقامات، ما يصرفهم عن اقامة الصلاة، ويقلل أيدىهم عن أداء الزكاة، فكيف إذا أضافوا الى ذلك الضرور بالله والتشديق بذكر الرحمة والمنفرة. وقد كشفنا من قبل جميع هذه الشبهات وأن أكبر آية على ضلالهم في فهمها سوء تأثير هذا الهم فيهم حتى انتهى بهم أركان الاسلام وترك شعاره فكاد ينطمس مبناه، بعد ما جهل معناه، ولكن خطباء الفتنة وعلماء السوء هم الذين يروجون هذه الاضاليل فهم قادة المقلدين، وعونهم على إضاعة الدنيا والدين، وكأنك بغربانهم تنفق على اعواد المنابر بهذه المكفريات ومنها المكذوب على الله ورسوله كقولهم: إن الله يمتق في كل ليلة من رمضان ستمئة الف عتيق من النار فاذا كان آخر ليلة منه اعتق بقدر ما مضى: وامثال ذلك. وفي أقوالهم ما تصح روايته ولكن الفساد في جهل معناه. لذلك نرى أكثر العامة يصومون ولا يصونون ولا يزكّون، ومنهم الذين لا يحاؤون ولا يحرمون،

الصوم اسهل على النفس من المحافظة على الصلاة ومن إيتاء الزكاة. فهو الرسم الباقي عند أكثر المسلمين فاذا درس (والعياذ بالله تعالى) كان دروسه خطرا كبيرا على الرابطة الاسلامية. لهذا نرى ان الذين يجاهرون بالإفطار في رمضان من المسلمين الجفرايين أشد فتكا بالاسلام والمسلمين من كل مخالف يطمئن بمقائدهم او يستأثر بسياستهم. ومن العجيب ان يوجد فيهم

من يتشدد بكلمة الوطن او الامة. وأعجب العجب ان بعضهم يذكر الاسلام ويظهر انه يتعنى عزته. ويحاول خدته،

اذا كان تارك الصلاة إنما يتركها تنافلاً من مقدماتها وشروطها وتكرارها فانا أدله على ما يذهب بشغل هذه الامور كلها ويسهل عليه ما عسره اختلاف الفقهاء. وإنما يكون ذلك بالجوع الى اصل الدين، والعمل بما اتفق عليه جميع المسلمين، فأما الطهارة فالغرض منها النظافة وهي مما يرغب فيه كل كريم النفس ويتجراه بحسب استطاعته واما كون التنزه عن القليل من النجاسة والكثير شرطاً لصحة الصلاة فما اختلف فيه السلف الصالح والائمة المجتهدون فليترك الانسان التنزه احتياطاً الا اذا عسر عليه ولماذا يحتاج لقول بعض الفقهاء حتى يترك الصلاة احتياطاً ولا يعمل بقول من لا يرى الشرطية ويقيم ركن الدين الركن احتياطاً. بل ان الذين اشترطوا طهارة الثوب والبدن للصلاة قالوا ان المشقة تجلب التيسير ولا حرج في الدين فمن صعب عليه الاحتراز من شيء فله رخصة فيه

وأما الوضوء فهو اسهل شيء اذا روعيت السنة ونبتت الوسوسة فقد ورد ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم توضأ ولم يقع شيء من ماء وضوئه على الارض فيسهل على المارء بالسنة ان يتوضأ من كوب ماء (كوبايه) وهو واقف او قاعد لا سيما اذا كان يسبح على مايستر رجله ولو جورباً من قطن او صوف فان ذلك جائز عند كثير من الصحابة والتابعين وعليه الامام احمد

واما تمدد الصلاة فغير لصاحب الشغل الكثير من الترك ان يأخذ بالحديث الذي رواه مسلم في صحيحه والشافعي في سننه وغيرهما وهو ان

النبي صلى بالصحابة الظهر والمصر في وقت واحد والمغرب والمشاء في وقت واحد « من غير مرض ولا سفر » وقد أول أكثر الفقهاء الحديث بحمله الشافعية على وقت المطر والمالكية على تأخير الأولى والتنجيل بالثانية ولكن في بعض رواياته عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تعليل ذلك بقوله « ثلاث يخرج امته » فدل هذا على ان هذا الجمع رخصة والمزجعة في اداء الصلاة في وقتها أفضل ولكن الرخصة أولى من الترك كما هو واقع . كل واحد من هؤلاء المترفين الذين يتناقلون عن اداء الصلاة فيسأل أطرافه عند القيام من النوم فاذا جعل ذلك الفسل موافقاً للوضوء الشرعي وصلّى ركعتين شكراً لله تعالى وحفظاً لأفضل شعار يربطه بأتمه وتعلماً لمن يمشي معهم الذين بالعمل او حلالهم على التأسّي به فاي ثقل عليه ثم اذا فعل مثل ذلك في وقت الظهيرة اذ يسكن الى الراحة او وقت الاصيل اذا شغل وقت الظهيرة فاي تب في ذلك وهو عمل لا يستغرق ربع ساعة وكذلك وقت المشي عند ما يستريح من عمل النهار

اختتم القول بتذكير أبناء المصر الجديد بمسألة هم أعرف بتفصيلها من سواهم . وهي أن الأئمة الحقة تحافظ على عاداتها القومية وشمازها الملية وان كانت تفتقد لهم وضعية فلا يرضى أهل الرأي منهم بترك شيء من ذلك الا اذا تبين لهم انه ضارٌّ ضرراً كبيراً لا يشفع فيه حفظ الرابطة العامة بالثبات عليه ثم إنهم يروون في ذلك الترووي الواجب . فما بالكم واتم تقلدوهم في الزم والحركة في الطريق (لا في العمل) وني الماعون والاثاث لا تقلدوهم في الثبات على شمائركم والمحافظة على روابط جامتكم ؟ تعلمون انهم ما تركوا شيئاً الا بعد ان استبدلوا به ما رأوه خيراً منه فاذا استبدلتم بهذه الشمائركم

الاسلامية النافمة ، والروابط الملية الجامعة ، التي تتركونها بغير علم ولا هدى ولا كتاب . نير ؛ ألا إنكم تستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير تخاون عرى جاهتكم التي فيها عنكم وشرفكم في الدنيا وسمايتكم في الآخرة وأنتم لا تشعرون ، فتوبوا الى الله لعلكم تفلحون ،

﴿ تفسير القرآن الحكيم ﴾

(مقتبس من دروس مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبد الله في الأزهر)

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ . وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ .

تقدم تذكير بني اسرائيل بالنعمة في آية قبل هذه الآية مقرونا بالامر بالوفاء بهد الله وبالوعد بالجزاء عليه ثم الامر بالخشية منه وحده وتلاها آيات أمرهم فيها بالايان بالقرآن ونهاهم عن لبس الحق بالباطل وكتمانهم . ثم أمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ثم ونههم على نسيان أنفسهم من البر مع امر الناس به وتلاوة الكتاب الداعي اليه ودلهم على الطريق الذي يذهب بهذا النسيان وهو الصبر والصلاة التي فقدوها بفقد روحها وهو الاخلاص والخشوع . وبعد هذا عاد الى التذكير بالنعمة بنوع من التفصيل فان النعمة في الآية الاولى جملة والإجمال ينبه الفكر الى التذكر في الجملة فاذا تلاه التفصيل والبيان كان على استعداد تام اكمال الفهم فيكون التذكر أتم والتأثر أفوى والشكر على النعمة أرجى

﴿ كيف يكون المستقبل للمسلمين ﴾

قرأت في (المنار) الزاهر مقال سماحة السيد البكري فائق في نفسي آملاً كباراً، وهاج من قلبي مُراي إبداعاً، ورأيت يتفق معي في الناية؛ وبلاقي قلبي في الناية، إلا أنه سار إليها من طرق المعارف التشريعية؛ وانتهى إليها وجهة علم الظواهر الجوية، وناط ذلك المستقبل بالفواعل الدائمة، والاحوال الوسطية، من كثرة السكان، وخصوصية المكان، وعدم إمكان الانسان المعيشة في كل مكان، وهي قضايا يتناولها النقد، ويمكن فيها الاخذ والرد، والاقبال والصد، إن رضيا (جوستاف لوبون) ورفنها (لينيه) و(كاتفاج) و(داروين) و(وروسل ولاس) و(هكسلي) و(لامارك) و(كوفيه) و(بوفون) وغيرهم من إخوانه الفسيولوجيين. على أن تعليق حياة الاسلام على مؤثرات الوسط وعوامل المكان لا

يناسب مجده وعلو شأنه، وأهميته أكبر من أن تدفع الكتاب إلى تحري
افكار الافراد لسكين الحواطر على نجاة بلدانه، وسلامة اوطانه، فان
كان الاسلام له المستقبل الباهر، والآتي الزاهر، فليس ذلك الا لكونه
الحق الصميم، والنور الصريح، والكلمة العليا، والحجة البيضاء، أنشودة
الانسان، وضالة العرفان، ونظام العلم والدين، وسلوك الفلسفة الحسية
واليقين، ان كان ينشره الصوفية اليوم بين الشعوب الشرقية؛ المنحطة في
درجات المدنية؛ والعلوم الكونية؛ فينشره غذاء لها ميم الفلسفة الحسية،
ويآ فيخ المعارف الطبيعية. ليس لكونه كما اعتدنا ان نقول دينا جمع بين
المصالح الروحية والجسدية ويربط بين الأمور الدنيوية والاخرية فقط
هذه بعض مزايا الاسلام وتابع بسيط لتعاليم نسردها سردا لبعض المقول
البسيطة التي لا تدرك غيرها، ولا تمسك بالدين الا من أجلها؛ أما غدا وليس
ببعيد يوم تجبى دولة الروح ويخرج الانسان من قهر المادة الممياء وسلطة
الطين الأصم وينتهي دور الزخارف الحيوانية؛ وتزول سلطنة البطن والامبال
البيمية؛ وينقلب شأن الانسان من حال مادي الى حال روحاني، كما انقلب
من حال فطري الى حال فكري عتلي؛ فتشرق الروح في ناله او ترجع الانسان
الى أداء مطالبها؛ وتصبح به لأن يرجع بها الى محتها؛ ويصمد معها الى
أوجها؛ كما كانت ترجع المادة الى القيام برغائبها؛ وتميل به الى عالمها؛ وتطالبه
بالركون الى طينها؛ ذلك اليوم تطلب الروح بابا لزوجها؛ وترتاد طريقا
لصمودها؛ تلثف الى جثمانها فتراه عبثا ثقيل؛ ومانعا كشيئا؛ وأنتى له اختراق
طبقات اللطافة المملكوية بها؛ وكيف له ليسبح في العوالم النورية معها؛ هنالك
يكون التنازع بين الروح والجسد لا كما هو الآن تنازع بين مطالب غذائية

وزخارف مادية؛ وأغذية دهنية وشحمية؛ وألبسة قطنية أو حريرية، بل تنازع في كيفية اعتمادهما معاً على الصبح في سبجات النور الاقدس، والجري يدايد في باحات الكمال الاقدم.

هنالك سيدور الانسان على نفسه دورة اخرى على محور لا يتخيله الآن الا كبار الاثمة كبار المقول. هنالك سيكون الاسلام قائد تلك الحركة وساطان تلك الدولة والداعي الى الكمال بلسان المدالة المطلقة والمؤاسي بمراحمه الشافية القلوب الياسة. هنالك سيحوم الناس حول الاسلام كما يحول الفراش حول النور يطلبون نجاة ارواحهم واجسادهم معاً لأرواحهم فقط. هذه حقائق لا خيالات الا ان تجليها الاذهان يحتاج الى كلام كثير بل سفر كبير.

فستقبل الاسلام فيما أعلم وأرى من هذا الباب دون غيره وهو اليق بملو شأنه وأنسب لرفعة مكانه واولى به ديناً إلهياً؛ ووحياً علوياً؛ ولكن متى نصل اليه؛ وأتي نوع من أنواع الوسائل لنول عليه؛ هذه جهة الخلاف بيني وبين سماحة السيد. يرى أن أنجم الوسائل لذلك فتح المدارس وترتيبها؛ وترجمة الكتب العلمية ونشرها؛ ومشاطرة الاجانب في لغاتهم والنمق فيها؛ ورجو لذلك أن تمهد جميات؛ وتشكل هيئات، وتنضم أصوات وتتحذ وجهات، وتتفانى هم آتية؛ وتشكاتف عزائم إسلامية؛ وتبذل أنفس عزيزة وأرواح؛ وتباع في سبيل الوحدة بيع السماح؛ وكلها مطالب سامية؛ ودرغائب عالية؛ ولكن هل تتحقق؟

لنجل في إمكانها نظراً؛ ونعمل في احتمالها فكرياً؛ فإن لاح لنا برق امل ضممننا صوتنا الى صوته؛ والا أبدينا فيها رأينا؛ وعززناه بأسلوبنا؛

حكم السيد بأن لا وطن للإسلام ولا جنسية؛ وأن رابطتنا الوحيدة هي جامعة العقيدة وآصرة الإيمان ووشيجة اليقين. فلينظر هل تلك الرابطة اليوم صالحة لأن تضم أجزاءنا وتلمّ شعثنا وتوجه عواطفنا إلى تيار واحد لنحقق بذلك آمالاً عظيماً؛ ورأب بها من جسم هيأتنا صدوعاً جنسياً؛ يضرب لنا السيد مثلاً بالجميات الأجنبية التي تألفت للوحدة الإيطالية؛ والجامعة السلافية، والجنسية السكونية، وعاج من ذلك على ذكر الثورات الأرمنية والمقدونية والكريدية، ثم قال إنها «تعمل أعمال الجبارة في الخلاص من حضيض الأسر، إلى أوج النسر، والامة الإسلامية التي ملأت المشرق والمغرب تنفض أنقاض الطائر في شباك الصائد. ولا تعمل لإنقاذ عملاً. وكيف ترجو الوصول إلى الغاية وهي لا تغفل إليه قدماً، ولا تمرك شفة ولا قفا، ومن طالب شيئاً وجده، ومن بركة فقده»، ثم أردف ذلك بقوله: «ولا ينتذر الجبان المفقود القلب بأن عقد هذه الجميات مما يتعذر حصوله في البلاد الإسلامية الآن إذ أي جمعية انشئت قبل هذه فلم تقابل بالكفران، وتحط بالبران، لكنها الحزينة التي ترى أن الموت في حياة الأمة خير من الحياة في موتها وأن لا يحيص من الصدر أو القبر».

نقول ولستنا بجبناء، ولا مفقردي الذاب ولا يائسين ولا مفتونين؛ لقد سلك السيد في مقاله مسلك الكاتب الحاسي - ولكنه لم يسر سير المالم ولا الفيلسوف المبراني. ولو كان قبل أن كتب مقالته تدبر في الوفاء المقالات التي كتبت قبل مقالته بمشرين سنة وكان فيها من ضروب الخوض والحث والتحسيس ما لا يمكن المزيد عليه ومع ذلك لم تنتج أثراً؛ ولم تحقق

لكتابها ولا لحلافه أملاً ، لكان رجوع إلى نفسه وعلم أن المانع للأمة من سماع تلك الصيحات ، والإيصاحه لتلك الهيئات ، أمر جليل وخطب كبير . ولترأت له أدواء يجب فحصها وعطى لا ينجم دعاء بوجودها .

قررت العلوم النفسية ، وحكمت المشاهدات الوجودية ، أن الإنسان لا يعمل عملاً بل ولا يتحرك حركة الا وهو معتقد صلاحية ما يعمل او يتحرك من أجله ومتيقن من الوصول الى غايته فهل لدى فضلانا الذين يطلب منهم تأليف تلك الجمليات من العقيدة الراسخة واليقين الثابت ونحن في القرن العشرين ما يحملهم على تشكيل الجمليات وبذل نفوسهم ونفائسهم دفاعاً عن حقيقةهم وقرائناً دون حريمها ؟

أنا أول من يقول بأن المستقبل للإسلام وكتبي وهؤلها تي تشهد لي بذلك ولكني لا أحب أن أجعل للخيال سلطاناً على قلبي ، ولا للحملة التي تطغى بمجرد الكتابة نفوذاً على إحساسي ؛ بل أعلم أني عايش في عصر الفاسدة الحسية . والمدنية المادية . والمدارف الطيمية . وصرفت زمانا ليس بالصغير في فحص وسطي الذي أعيش فيه وامتى التي أنا بين ظهرانيها ورأيت بالחס أنا إن لم نسع لمداداة عللنا من اصولها تنها في تعليمها وضللتنا في علاجها وذهبت كل صيحاتنا أدراج الرياح كما ذهبت صيحات من كان قبلنا . أما دأؤنا الوحيد اليوم وسبب عدم صلاحية خاصتنا لاداء وظيفتها الصحيحة فهو من العقيدة وضمف الايمان وما دامت على هذه الصفة فلا يرجى منها اجتماع على أمر البتة .

مجرد اعتقاد ان الاسلام دين يدعو الى الفضائل ويحض على الاخذ بالماديات والمعنويات ، ما وانه آخذ في الانتشار بين القبائل الشرقية ، او انه

مهيب الجانب في بعض البلاد الأجنبية ، كما اعتاد كثير من خاصتنا التفكك به في المجالس اظهاراً لغيرتهم على الاسلام وتحمساً لكثرة براهيته لا يفيدهم في اليقين شيئاً لان كلهم تقريباً ممن تعلموا اللغات الأجنبية ، ودرسوا العلوم الطبيعية ، والمعارف التشريعية ، ووقفوا على تعاليم (داروين) و (جوستاف لوبون) الذي استشهد به السيد وعرفوا منها ومن أمثالهما ان اصل الانسان قرد وانه لا آدم ولا حواء ولا كتاب سماوي ولا زوج ولا نفس ولا حشر ولا نشر ومن يرد أن لمطيه صورة موجزة من فلسفة هذه المدنية التي يقرأها خاصتنا من عرقة اللغات الأجنبية ويمتقدون حقيقتها فاليه غير مضمون عليه

يقولون يا معشر المتدينين انكم لو جردتم نفوسكم عن الهوى ، ووجهتم وجوهكم شطر الهدى ، لرأيتم أنه ليس دينكم الاثر آمن آثار الماضين ، وبقية من بقايا أوهم السالفين ، ليس لها من القيمة والقدر الا كما لسائر آثارهم الاخرى من العلوم الطبيعية ، والصناعات اليدوية ، فقد حكم العلم (ما ذالذ) بان نواميس الكون كافية في تحليل ظواهره ، وقوانينه قد فسرت اكثر غوامضه ، فلا داعي لترض وجود قوى وراء الطبيعة ، ولا موجب لترض عالم علوي يمد هذه الرينات المحسوسة ، أما الوجود فقديم إن لم يكن بصورته فبمادته الاولى . وأما القوى التي تصرفه فلا استلال لها في ذاتها بل هي صفة لميولاه الاصلية فلا مادة بلا قوة ولا قوة بلا مادة بل المادة في نفسها مظهر من مظاهر القوة المتحركة في الاثير من الازل .

أما الانسان وما نسبتموه اليه من نفس مستقلة عن الجسد وما منحتموها من صفة الخلود بعد فناءه وتبثر ذراته فما تبطله الشواهد العلمية ،

وتحمله البداهة التشريحية ، فقد قرر العلم (ماذا الله) أنه لا فرق بينه وبين غيره من الكائنات السفلية ، ولا ميزة له على سواه من الأنواع الحيوانية ، بل ليس هو في ذاته إلا حيواناً فاق في قوة التمثل والادراك غيره من أبناء نوعه . على أن أبناء نوعه (الحيوانات) غير محرومة من قسط مناسب من التمثل والادراك . وإذا أردت الدليل فدونك كتب حياة الحيوان ترى من آثار الفكر ونتائج التمثل ما يدل على تمام الدلالة على أن العقل ليس بوقف على الإنسان ولا هو وصفه المميز . فإذا نسبت للإنسان روحاً مستقلة عن الجسد ومنهجها مزية الخلود والبقاء اعتماداً على القوة العقلية فلم لا تحكم هذا الحكم نفسه بالنسبة إلى الحيوانات أيضاً ؟ ليس هذا من آثار المعلومات السابقة النافذة حينما كان الناس لا يعيزون بين ما يؤيده الحس واليمان . وبين ما هو من قبيل الخيالات التي تنشأ في الوجدان بلا روية ولا إيمان ؟ أما الفضائل التي تفرعون الآذان بها . وتضربون وجوه مناظركم بسلحها مدعين أنكم قادتها وزعماءها . وإن ألكم حق السيطرة على الناس بها . فليست في الحقيقة تبعاً لتعاليم من التعاليم القديمة التي كتب خاصة يقوم بها رجال ذو وصفات خاصة بل هي تابتة لنواميس طبيعية تظهر في الأمم الحية ظهور سائر آثار النواميس الأخرى فلا علاقة لها بدين البتة . الاترون أن كثيراً من المتدينين بمداء عن الفضيلة . مخدورين في غمرات الرذيلة . ودونك الإحصائيات المدققة التي يعتني بجمعها علماء الإنسان ترى أن أكثر أصحاب الجرائم من المتدينين المتشددون في الدين واليك كتب علماء الجرائم مثل (لومبروزو) و (فيرو) و (سيرجي) ترى العجب العجيب . بل انظر بعينيك إلى الأمم التي تزعم أن لها ارتباطاً بالدين

وغيره على اليقين ألا تراها في حالة من الأجرام والتسفل تفضل عليها معها
الامم التي تركت الأديان ، وجعلتها خبراً لا مكان ، وانفتحت للمدنية ، والعلوم
الطبيعية ، فاصلحت شؤونها ، ودبرت أمورها ، فقامت على قطب الاستقامة
والاستقلال ، ونمت منحى الكبرامة والجلال ، فكشفت لها المدنية عن وجهها
الباسم ، وتجلت لها الحضارة في شكلها القاتم ، فسيطرت على الامم الاخرى
بعلومها وصنائعها ، وقهرتهم بقوتها وسطوتها ، كما صارت بالنسبة اليهم علما
في فضائلها وآدابها ؟ اذا كانت لا فضيلة بغير الدين وأنها لا تخرج عما
حددت له من القيود في كتبكم فما سبب هذه الآثار المدهشة للعقول المضللة
للإدراك ؟ اذا كان الانسان كما تقولون خلق مستقلاً بذاته من طيبة
عالية ، وأنه مستعد لأن يسمو بروحه اسمى منصة للحياة الملكية ،
فلماذا هبطتم وعلا عليكم اولئك الذين يزعمون أن الانسان من سلالة
القردة وان بينه وبين الحيوانات أواصر من القرى ووشائج من الرحم ؟
اذا كانت الفضيلة كما تقولون لا تثبت للانسان بغير دين ولا تطبع بضميره
الا بطائفه فلماذا حرمتهم من أصغر أنواعها وسببكم في باطلها من يقول
أن الفضيلة صفة من صفات الحياة الانسانية والذيلة كذلك . تنشأ الأولى
عند ما تكون شؤون تلك الحياة جارية على سمت منتظم . ملائمة لقوانين
الخلقة وتبرز الثانية في ضد تلك الحالة ؟

اما ما تزعمون من أن لا قوام للام بغير الدين ، ولا نظام لحم - وى
حبله المتين ، فما لا يحتاج معكم فيه الى كبير جدال ، ولا كثير قيل وقال ،
فدونكم الامم النورية الكبرى قد بنت عظمها بتلاشاته وأقامت وحدتها
بمناذرة أشيائه ، ومع ذلك نرى لها كل يوم في سجل المالئ أثرًا جديدًا ،

وفي حقائق الفخار والمجد صرحاً شديداً، فإن كان الحال كما تزعمون فلهذا
الآثر المنعكس؛ وما تفسير هذا الأمر الملتبس؛ ليست كل هذه البراهين
المحموسة دالة على أنكم متمسكون بأقوال لا يقوم عليها من عالم الشهود
شاهد، ولا ينهض لها من وقائع الحوادث مدافع، لا جرم أنكم
تتأخرون وتنتقم، وتخصمون وتحكم، ولا غرو أن علونا وسفلم،
وتعززان وذلائم، كما لا عجب أن استخدمنا نواويس الكون وأسرتكم؛
واستغلنا خيرات الطبيعة وحرمتهم.

كل هذه الشبه المتعاضية قد نشأت في وسط العلم الأوروبي ونبع منها
من بين ذرات دسم هذه المدنية العجيبة فالتأت باكثر العقول أقدارها.
وتسمت القطر بسوءها. وقد سرت هذه السموم الى شبيبتنا الاسلامية
التي نهت من دن العلوم الاجنبية نخلتها عن مجموعها وذهبت بها مذمبلاً لتجملها
منع هؤلاء، ولا هؤلاء. وكفى امة تجزأ وضفأ وقصوراً وتأخرأ أن لا يكون
لشبيتها وجهة تسير عليها، ولا غاية تمتقدها وتتوق اليها، وتدأب للحصول
عليها، حلت هذه الشكوك والشبه من قادة النشأة وزعماء التقدم في البلاد
الاجنبية محلاً علياً، وجنتهم ينفذون منقذاتهم ظهرياً، ولكن قام مقامها لديهم
موقفاً غير قومياً، وحمية جنسية اولغوية، ملئت مشقتهم وضمت اجزأهم حيناً
ظنوا فيه امكان قيامهم بدون الدين بل خالوا ان مصدر رفهم ومنبع نظامهم
والثنامهم، ومنشأ قسهم ووثامهم، هدم كماله وتذرت في الهواء مع الهباء ثم
لما استقاموا على هذه المنازة الخطرة حيناً من الزمان ورأى قادتهم ورؤساء
••• انهم ان هذه خطة عوجاء، وسراب ليس وراءه ماء، وان بالادمان
على متابعة السير في خطهم هذه الهلاك المستأصل والجائحة الكبرى التي

أطلق نور مدنيهم ، وتهدم صروح عظمتهم ، وساعد هذا الاثري في نفوسهم الاحساس بالفراغ الذي ألم بصميم مفاهيم الانساني وجوهرهم البشري من جراء فقد العقيدة التي هي لازم من لوازم هذه النفس الناطقة لمطشت قلوبهم الى الدين الصحيح وحت فطرهم اليه حين البأس ينتظر فرجه وينسم من شطر الخلاص نسمة . ولكن أين الدين ؟ كانت الفلسفة الحسية فلسفة (اجوست كوت) وأشباعه القائلين بأن المقول اذا لم يؤيده شاهد من الحس جاز أن يكون ضاللاً آخذاً من الافكار مكانة لا يمكن قلعه منها . وما دامت أسس الدين من عقيدة وجود الروح وخلودها في دار بعد هذه الدار مما لا يمكن الاستدلال عليها بمحسوس جاز أن تكون وهماً لا حقيقة له في الواقع . فهي على حسب أسلوب هذا المذهب الكثير الاشباع من قيل ما لا يمكن إثباته ، وما لا بد من عدم الخوض فيه ، وما معنى دين بدون روح وخلود وآخرة فيها نعيم مقيم أو شقاء مستديم ؟ كيف الوصول الى الاعتقاد بدين مهما كانت آماله في عصر هذه فاسفة بابه وتلك مبادئها ؟ ولكن الله سبحانه أكرم من أن نجيب سائلاً وأرحم من أن يطرد طارقاً فأرسل عليهم من جهة فلسفتهم هذه آيات تأخذ بالاعتقاق خضوعاً وبالأبصار والبصار دهشة وخشوعاً ، فنشأت إجماع سموها (اينوترم) و (مايتيرم) التوسيم المناطيسي و (اسيرترم) استحضار الأرواح وغير ذلك استدلل منها عليهم على أن للإنسان روحاً وخلوداً فأنشأوا مئات من المجلات والجامع وعقدوا لها المؤتمرات والمحافل ، وألفوا فيها الكتب والرسائل ، وبلغ عددهم من العلماء الأعلام ، وقادة المعارف المظام ، والمحامين البارعين ، والكتاب المتقنين ، ما يزيد عن عشرين مليوناً كما سنوضحه بعد أن شاء الله . فهم على هذا لم يقموا حتى نهضوا ولم يضلوا حتى أوشكوا بهتدون . ولكن شبيتنا التي جرعت من حوض علومهم وهوسهم في إدهاشها صور معارفهم لم يشأوا أن يوسموا دائرة معارفهم وكأنهم لم يعلموا أن ما يدرس في المدارس من العلوم الطبيعية والرياضية ليس الاقطرة من بحر لا تنفج صدى ولا تروي غلة . بل كأنهم يستقدون أن المسلم واقف حيث هو من عهد (لغوازيير) و (توسيلي) و (ماربوط) و (قواطلا) وان باب الرحمة الالهية أغلق في وجه بني آدم (بمعاد الله) فلا صرى بعد مرماهم ولا مذهب بعد مذهبهم ثم نسوا ما تعلموه أيضاً ولم تحفظ ذاكرتهم منه الا شكلاً مشوهاً من استنتاجات عمر جاء ليس لها أصل ترتكن اليه ولا أساس تعتمد عليه فهم على مذهب (اجوست كوت) و (داروين) بدون أن

يكلفوا أنفسهم معرفة ماهية مذهبهم ، ولا أصول نظرياتهم ، وكأنهم كما هم في أن يكونوا (اوجوستين) و (داروين) ان يروا في بعض المجلات نبأ من فلسفتهم لم يرد على أسلوب صحيح ولا سلك فيه كاتبه . سلك الاستقراء والتحليل . ثم انهم على فرض نسقهم في فلسفة علماء هذا العصر وتفاعلاتهم في مناحيها تدقيقاً وتحصيماً لم يكلفوا أنفسهم النظر في ماهية الاسلام وأصوله ليروا ان كانت مبانيه مما تهتمها هذه الابحاث أو هي بالنسك تقويها وتقويها

أقول هذا ولا أنكر ان لدينا افراداً من رجال هذه انشأة صاروا لهامة علوم العصر تاجاً وفي ذروة العلماء الاسلامي علماء ، ولكنهم وبالألسف قليلو العدد مبعثرون في الجهات مشغولون بالوظائف يتألمون لهذه الحالة مثل ما تألم ويرون أدواء مثل ما ترى . هذه صورة مصغرة من الشبه والشكوك التي جرحها لنا مدينة أوروبا والصفحة باذهان كثير من رجال نشأتنا التي استقت منها معلوماتها ، واخذت عنها لغاتها ، فهل بعد هذا يطوف بفكر عمراني باحث أو تحليلي مدقق انه يمكن جمع جمية عصيتها الدين وجامعتها العقيدة وسلاحها اليقين ويكون من أثرها تشديد معالي الاسلام وإرجاع مجده اليه ولو ببذل الأرواح ، وبيع المهج ببيع السماح ؟ اللهم لا . أذن فلنتختر احد أمرين اما أن نقب شكل هيئتنا الاجتماعية من شكلها الحالي الى شكل آخر وابطاها الوطنية أو الجنسية أو أي امر غيرهما وهما ان يتم لنا ذلك في ألفي سنة . وإما ان نتمهد رابعتنا الأصلية وهو الدين ونجليه لتلك الأذهان ، في شكل يذهب شكوكهم وشبههم ، ويرجع الى تلك الفطر الاسلامية التامة نورها الصافي حتى تدور على نفس القطب الذي كانت تدور عليه تلك الأرواح المظاهرة والنفوس الكريمة روح سيد ولد آدم واصحابه الذين كانوا حجة الحق الدائمة ، وانوار الفضائل الساطعة ، وخلفاء الله في ارضه وجيرانه في عالم قدسه . صل اللهم عليه وعليهم وتابعهم آمين

محمد فريد وجدي

(المار) : ما دخل هذا القرن الميلادي الا وكان شغل طائفة من كبار كتاب أوروبا البحث عن مستقبل الاسلام فيه فكاتبوا في ذلك المقالات الطويلة كل يظهر رأيه فمنهم من بشر ومنهم من أنذر . وقد كنا نسرعنا من عدة أشهر بكتابة مقالة في ذلك عنوانها « مصير الأنام » ومستقبل الاسلام ، ولكن شغلنا عنها مقالات « الاسلام والنصرانية » مع العلم والمدينة « ثم مقالة السيد البكري في الموضوع ثم

هذه المقالة . السيد البكري أحسن في بيان الأغراض التي رعى بها ونتائج صحيحة
وان كان بعض البحث في المقدمات لا يسلّم من النقد كما قال صاحب هذه المقالة ولكن
لم يكن للتجليات في كلامه ذلك السلطان الذي نسب إليه بل التجليات الخطائية
والشرية في هذه المقالة أكثر ولا بأس بذلك اذا أريد به التأثير فيما يحمّد وإثم يذم
اذا كان خلافة وخداماً وأما قوله : ان الحاشية الاسلامية لا ترجى للارجاء السيد منها وان
عقلاء المسلمين الذين طالبهم السيد بالعمل لا يمكن ان يعملوا واستدالة بعدم تأثير المقالات
الطويلة التي كتبت منذ عشر من السنين : فهو غير سديد فان كل ما كتب بحق وإخلاص قد أثر
حقاً احدث حركة عظيمة في العالم الاسلامي وإن عقلاء المسلمين يشعرون الآن بما طالبهم
به السيد وانما مطالته لزيادة اليان والتشيط والكمال . وإنما لم يظهر أثر كبير منهم لضعف
الاستعداد . الكل أجل كتاب ، وفي هذه المقامة وافقة على هذا فان الكاتب طالب السيد
في آخرها بأحد أمرين وهم قائمون بالثاني منهم . او هو السيد . ولتؤمن بآء بعد حين
التنويم واستحضار الأرواح لم يزل أثرها مبهماً . ومستقبل أثرها مجهول
واسبق مستقبل الاسلام عليهما لا يبحث المسلمين على عمل ، ولا يحوي في نفوسهم ميت
الأمل . نعم اننا نرجو من كل ما يكشفه العلم من اسرار الحايقة تأييداً للإسلام سواء
كان السر روحانياً او مادياً والقول الذي لأرب فيه هو ان المستقبل للإسلام لأنه دين
النهضة والاجتماع المرشد الى مصالح الروح والجسد والهادي الى الوفاق بين وظائف
العقل ووظائف القلب . فلا بد ان يكون الاسلام هو الحاكم الأعلى في المدينة العالما
عند ما تكمل هي ويظهر هو خالياً من التقاليد التي اضيفت اليه كما قلناه مراراً .
وسنزيد بياناً . اما ما ذكره الكاتب من شبهات اوربا على الدين فهو لا يشك الاسلام
لأن عقائده مؤيدة بالفعل وسيرة المسلمين أظهر سبر البشر عند ما كانوا على الاسلام
السليم من البدع . وعلى كل حال نشكر للكاتب الاول ولا الكاتب الثاني اعمال قام بها
في هذا الموضوع الشريف وكل منهما احسن في الوجه الذي كتب فيه ولا تنافي بينهما
ولاشاقص في الحقيقة وكل ما كتبنا لا نعتنا من نشر ما كنا نشر عنا فيه ولكنه كفانا
مؤنة التطويل . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل »

﴿نقطة الاجتماع السادس لجمعية أم القرى﴾

(تابع لما في الجزء ١٣)

ثم قال (الاستاذ الرئيس) للخطيب القازاني: ان الاخوان يترقبون منه أيضاً ان يفيدهم بما يلهمه الله بما يناسب موضوع مباحث الجمعية
قال (الخطيب القازاني): ان الاخوان الأفاضل لم يتركوا قولاً نقائلاً ولذلك لا أسب ما أنكم فيه وإنما أقص عليهم مساجلة جرت في الاستهداء بين مفتي قازان وافرنجي روسي من العلماء المستشرقين السارفين باللغة العربية المولعين باكتشاف وتبصير العلوم الشرقية ولا سيما الاسلامية وقد هداه الله الى الدين المين فاجتمع بمفتي قازان وقال له انه اسلم حديثاً وهو بالغ من معرفة ائمة القرآن والسنة مبيناً كافياً وعالم بموارد ومواقع الخطاب علماً وافياً فريدان يتبع القرآن وما يمكنه ان يتحقق وروده عن رسول الله فيعمل بما يفهمه ويمكنه تحقيقه على حسب طاقته لانه لا يرى وجهاً مقبولاً للوثوق بزيد او عمرو او بكر أصحاب الأقوال المتضاربة متناقضة لان حكم العقل في الديالين المتعارضين التساقط وفي البرهانين المتباينين التآرفهول من مانع في الاسلامية ينمعه من ذلك فاجابه (المفتي) ان اكثر ائمة مطلق منذ قرون كثيرة على لزوم اعتماد ما حرد احد المجتهدين الاربعه المتقولة مذاهبهم فاطباق الاكثرية دليل على الصحة فلا يجوز الشذوذ فقال (المستشرق) لو كان الصواب قائماً بالكثرة والقديم وأن خالف المقول لاقتضى ذلك صوابية الوثنية ورجحان الصراية ولاقتضى كذلك عكس حكم ماصح وروده عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان ائمة تفرق الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة هي التي كان هو وأصحابه عليها وقد وقع ما أخبر به وكل فرقة يدعي انهاهي تلك الواحدة الناحية ولاشك ان الاثنين والسبعين فرقة اكثر من اي واحدة كانت منها فابن يبقى حكم الأكثرية .

فاجابه (المفتي) انه قد سبقنا من اهل التحقيق والتدقيق الذين تشهد آثارهم بزيد علمهم الوف من الفضلاء وكلامهم اعتمدوا لزوم اتباع احد تلك المذاهب القديمة حتى بدون مطالبة اهلها بدلائلهم لأن مداركنا قاصرة عن ان توازن الدلائل وتميز الصحيح والراجح من غير ماوصلنا في ذلك كالطبيب لايلزمه ان يجرب طبائع المفردات كلها ليعتمد عليها بل يأخذ عامه بطبائهم اعما دونه أئمة الطب .

فقال (المستشرق) نعم ان الطيب يعتمد على ما حققه الأولون ولكن فيما انفقوا عليه واما ما اختلفوا فيه على طرفي تقيض بين نافع او سامٍ فلا يعتمد فيه على احد القوانين بل يحلها ويجحد التجربة بمزيد الدقة والتحقيق لان اعتمادها على احدها يكون ترجيحاً بلا مرجح . هذا ولما نرى ببادئ النظر ان هؤلاء الأئمة الأقدمين لم يقدرُوا ان يطلعوا على ما لا يقدر الآخرون ان يطلعوا عليه ويكفينا بهاناً على ذلك (أولاً) تخالفهم في كل الاحكام الا فيما قل ونذر تخالفاً مهماً ما بين موجب وسالب ومحلل ومحرم حتى لم يتمكنهم الاتفاق في نحو مسائل الطهارة وستر المورة وما يحل أكله وما لا يحل . (ثانياً) ترددهم في الاحكام وقلبهم في الاراء وذلك كحكم احدثهم في المسألة ثم عدوله عنه الى غيره كما يقول اصحاب الشافعي انه كان له مذهبان رجع بالثاني منهما عن الأول (ثالثاً) اختلاف ابياعهم في الرواية عنهم كاصحاب أبي حنيفة الذين قالوا يتفقون على رواية عنه ويأول ذلك لهم بعض المتأخرين بتمدد مذهبه في المسألة الواحدة . والحاصل ان الانسان الذي يتقيد بتقليد احدث تلك الأئمة ولا سيما الامام الاعظم منهم لا يتخلص من فاني الضمير أو يكون مخاطب لبل وعلى ذلك لا بد بالمتحري في دينه من ان يتهدي بنفسه نفسه أو يأخذ عن يثق بعلومه ودينه وصوابية رأيه ولومن معاصره لان الدين أمر عظيم لا يجوز العقل ولا النقل فيه المشاة واتباع التقليد .

أجابه (المفتي) نحن لا ننعم بأن الصواب مقطوع فيه في جانب احد تلك المذاهب بل المقلد منا اما أن يقول باصالة الكل أو يرجح الخطأ في جانب من ترك مع احتمال الصواب . فقال (المستشرق) هذا القول يستلزم تعدد الحق عند الله أو القول بالترجيح بلا مرجح لانكم تتعاملون المفاضلة بين الأئمة واعترفكم باحتمال المذاهب للخطأ يقتضي جواز تركها كلها مع انكم توجبون اتباع احدها أفليس هذه قضاياء لا تتطابق ولا تمقل فلماذا لا تجوزون وانتم على هذا الارتباك ان يستهدي المتبلي لنفسه فأذا تحقق عنده شيء عن يقين أو غلبة ظن اتبعه والآ كان مختاراً ولا يكلف الله نفساً الا وسعها . أجابه (المفتي) اننا لبعده العهد لم يبق في امكاننا التحقيق فالتنا من سبيل غير اتباع احدث المتقدمين ولو كان تحقيقه بمحتمل الخطأ .

قال (المستشرق) ما الوجوب لتكليف النفس ما لم يكلفها به الله : اليس من الحكمة أن يحفظ الانسان حريته واختياره فيستهدي بنفسه نفسه حسب وسعه فان اصاب كان مأجوراً وان اخطأ كان ممدوراً ويكون ذلك أولى من أن يأمر نفسه

للخطأ المحتمل من غيره .

أجابه (المفتي) ان هذا الغير أعرف منا بالصواب وأقل منا خطأ فتقليده أقرب للحق .

قال (المستشرق) هذا مسلم فيها اتفق عليه الاقدمون اما في الخلافات فالمسفل يقف عند الترجيح بلا مرجح ولا سيما اذا كنتم لا تجوزون أيضاً البحث عن الدليل ليحكم المبتلى عقله في الترجيح بل تقولون نحن أسراء القل وان خالف ظاهر النص .
أجابه (المفتي) اننا اذا أردنا ان لا نعد من شرعنا الا ما تحقق بانفسنا دليله من الكتاب أو السنة أو الاجماع نضيق حينئذ عنايا احكام الشرع فلا تنجلي اشدكالنا في المبادات ولا تعين احكام حاجتنا في المعاملات فيحتاج كل منا ان يسهل رايه في في غالب دقائق المبادات والمعاملات وبصير القضاء غير مقيد بالمجبات شرعية وهل من شك في ان اطراد الاراء وانتظام المعاملات البق بالحكمة من عدم الاطراد والنظام .

قال (المستشرق) لاشك في ذلك ولكن أين الاطرد والانتظام منكم ولا يكاد يوجد عنكم مسألة في المبادات أو المعاملات غير خلافة ان لم تكن في المذهب الواحد فين مذهبين أو ثلاث . هذا وربما يقال ان توفيق العمل على قول من اثنين أو أكثر أقرب للاطراد من القوضى المحضة في تفويض الامر لرأي المبتلى أو تفويض الحكم لحربة القاضى فيجيب عن ذلك بأن الامر أمر ديني ليس لنا ان نتصرف فيه برأينا ونعزوه الى الله ورسوله كذباً وافتراءً وفساداً لدين الله على عباده ولو ان الامر نظام وضحي لما كان ايضاً من الحكمة ان يقرم اهل زماننا آراء من ملقوا من عشرة قرون ولا ان يقرم اهل القرب قانون اهل الشرق وعندى ان هذا التضييق قد استلزم دأمو مشاهد عنكم من ضعف حرمة الشرع المقدس .

ثم قال (المستشرق) واعيد قولي انكم نخبون أن تكلفوا أنفسكم بما لم يكلفكم به الله ولو ان في الزيادات خيراً اختارها الله لكم ولم يمنكم منها بقوله تعالى : (تَأْمُرُونَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) أي بما يتفق بالدين (١) وقوله تعالى (الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) وقوله تعالى (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُواهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ قَالَ لِكُ هُمُ الظَّالِمُونَ) ولكن علم الله الخير في القدر الذي هداكم اليه وترك لكم الحيار على وجه الإباحة في باقي

(١) يريد ان الفرق أن يحيط باحكام الدين وما يناسبه لا بكل علم الله كما يتوهم الكثيرون

شؤنكم تتوفقوها على مقتضيات الزمان أبي الغير وموجبات الاحوال التي لا تستقر
فناء عليه اذا أتيتكم أكثر اعمالكم الحيوية باطمئنان قلب باباحتها يكون خيراً من أن
تأثرونها وأنتم حيارى لا تدرون هل أصبتم فيها أم خالفتم امر الله فتمشون وأفقدتم
مضطربة تحاذرون في الدين شؤم المخالفة وفي الآخرة عذاباً عظيماً وليس هذا من مخافة
الله التي هي راس الحكمة ولا من مراقبة الوازع التي هي منزلة الدين بل هذا من الارتباك
في الرأي والاضطراب في الحكم ونتيجة ذلك فقد الحزم والزم في الامور

ثم قال : اعلم أيها المفتي المحترم ان هذه الحالة التي اتم عليها من التشديد والتشويش
في أمر الدين هي أكبر أسباب انحطاط المسلمين بعد القرون الأولى في شؤن الحياة
كما انحط قبلهم الاسرائيليون بما شددته وشوش عليهم أهل التهود وكما انحطت
الامم النصرانية لما كانت (ارثوذكسية) منغلقة أو (كاثوليكية) متشددة يحكم فيها
البطارقة والقسيسون بما يشاؤون تحت اسم الدين فكانوا يكلفون الناس أن يتبعوا
بما يلقونهم من الاحكام بدون نظر ولا تدقيق حتى كانوا يحظرون عليهم أن يقرأوا
الأنجيل أو يستفهموا عن معنى التثليث الذي هو أساس النصرانية كما ان التوحيد
أساس الإسلامية . وبقي ذلك كذلك الى أن ظهرت (البروتستان) أي الطائفة
الانجيلية التي رجعت بالنصرانية الى بساطتها الاصلية وأبطلت المزيادات والتشديدات
التي لاصراحة فيها في الأنجيل والى أن اتسع من جهة أخرى عند الامم النصرانية
نطاق العلوم والفنون رغماً عن معارضة رجال الكهنوت لها فتألفت أيضاً الكاثوليكية
والارثوذكسية عند العوام واضمحلتا بالكليّة عند الحواص لان العلم والنصرانية
لا يجتمعان أبداً كما ان الاسلامية المشوبة بمشوا المتفنتين تعزل العقول وتشوش الأفكار .
أما الاسلامية السليمة الخالصة من شوائب الزوائد والتشديد فان صاحبها يفرح
إيماناً كلما ازداد علماً ودق نظراً لانه باعتبار كون الاسلامية هي أحكام القرآن
الكريم وما ثبت من السنة وما اجتمعت عليه الأمة في المصدر الاول لا يوجد فيها ما
يأباه عقل أو يناقضه تحقيق علمي

وكفي القرآن العزيز شرفاً انه على اختلاف مواضعه من توحيد وتعليم وإنذار
وتبشير وأوامر ونواه وقصص وآيات آلاء قد مضى عليه ثلاثة عشر قرناً مخضفة
أفكار الناقدين المعادين ولم يظفروا فيه ولو بتناقض واحد كما قال الله تعالى فيه :
« ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » بل الأمر كما تدب إليه

المدققون المتأخرون أنه كلما اكتشف العلم حقيقة وجدها الباحثون مسبوقة للتأرجح أو التوسيع في القرآن. أودع الله ذلك فيه ليجدوا محجازه ويتقوى الإيمان بأنه من عند الله لأنه ليس من شأن مخلوق أن يقطع برأي لا يبطله الزمان.

فهذه القضايا التي قررها حكماء اليونان وغيرهم على أنها حقائق ولم تتردد فيها عقول عامة البشر ألوقا من السنين أصبحت محكوماً على أكثرها بأنها خرافات.

وكذا يقال كفي السنة النبوية شرفاً أنه لم يوجد في أعظم الحكماء المتقدمين والمتأخرين من يربو عدد ما يميزى إليه من الحكم التي قررها غير مسبوق بها على عدد الأصابع مع أن في السنة المحمدية على صاحبها أفضل التحية من الحكم والحقائق الأخلاقية والتشريعية والسياسية والتعليمية ألوقا من المقررات المتكررة تجلّي عظم قدرها مع تجديد الزمان وترقي العلم والمرفان.

وكفى بذلك ملزماً لأهل الإنصاف بالإقرار والاعتراف لصاحبها عليه السلام بالنبوة والأفضلية على العالمين عقلاً وعلماً وحكمة وحزماً وأخلاقاً وزهداً وافتقاراً وعزماً وكفى أيضاً بهذه المزايا العظمى ملزماً بتصديقها في كل مجابهة واتباعها في كل ما أمر أو نهى لأن الدهر لم يأت بمبرر لدلالتها للبشر أكمل وأفضل منه (مرحى).

ثم قال (المستشرق) للمفتي وهذا مادعاني إلى الإسلام فليت والحمد لله وعندى أن لو قام في الإسلام سرعة حكماء دعاة مقدمون لما بقي على وجه الأرض عاقل يكفر بالله. ثم قال: وإني أرى أنه لا يمضي قرن إلا ويكثر المهتدون من المستشرقين ويرسخون في الدين فيتولون تحرير شريعة الإسلام، ويفيضون بها على الأنعام، حتى على أهل الركن والمنام، ولا يبعد أن تأتي الأيام بأنريس محمد المهدي الزور، أو الأكلبيزي متلاً فائماً مقام الإمام، بعيداً عن الإسلام بأكمل نظام.

أجاب (المفتي): لا مانع مما ذكرت. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ودين الله دين عام. لا يختص بقوم من الأقوام.

ثم قال (المستشرق): أما المفتي المحترم لا يطاوعني إسائي أن ادعي الفرية على الملة البيضاء الأحمدية أكثر منك إنما أشدك بالله وبحبك لديك أن تترك هذه الأوهام التقليدية القائمة في فكرك وتبينني على تأليف كتاب يصور حكمة دين الإسلام وسماحته ليكون سعيها هذا خيراً عظيماً نال به نفع وتواب هداية عشرات الملايين بل مئات الملايين من الناس إلى هذا الدين المبين. ولا يكبرن ما أقول على فكرك فإن أهل هذا الزمان

المستترين الأحرار لا يقاؤون بأهل الأزمنة المظلمة الغامرة . نعم وسأل أيضاً ثواب حفظ الملايين السكينة من أبناء المسلمين المريقين تلامذة المدارس المصرية من هجر الإسلامية على صورتها الحاضرة المشوهة باختلاط الحسك بالخرافات المظلمة بثقل التشديدات المبتدعة فالبدار لأن نفوز بیده الخدمة التي (يكاد) يبادل أجرها أجرني مرسل والله المبین الموفق .

اجابه (المفتي) أصبت فيما تفكرت ولعمري ما أشرت به ولكن هذا عمل مهم يحتاج القيام به لعناية جمعية تكون من تضاع أعضائها في فروع العلوم الدينية علم كاف للإحاطة وحصول الثقة واسوء الخط لا يوجد من فيهم الكفاءة في هذه البلاد ولذلك نحم علينا أن نترك هذه الفكرة آسفين وندعو الله تعالى أن ياهم علماء مكة أو صنعاء أو مصر أو الشام القيام بأداء هذا الواجب .

ولما انتهى (الحطيب القازاني) الى هنا قال هذه هي المسألة وقد سمعت المفتي يقول انه اجتمع بكثير من المستشرقين فوجدهم كلهم يحسنون العربية أكثر من علماء الإسلام غير العرب مع أنهم يشتغلون في علوم اللغة عمرهم كله وما ذلك الا من ظفر مدارس اللغات الشرقية الافريقية بأصول تعليم العربية أسهل من الأصول المعروفة عندنا .

قال (المجتهد التبريزي) اني أرى ان الإسلام أصابه قنطان عظيمتان ولولا قوة أساسه البالغة فوق ما يتصوره العقل لما ثبت الدين الى الآن . أما الفتنة (الأولى) فقد قدرها الله ومضت على وجهها وهي حين تشاجروا في الخلافة والمالك وانصهروا على أنفسهم بأسهم بينهم يقتل بعضهم بعضاً وتفرقوا في الدين لتفريقهم في السياسة .

وأما الفتنة (الثانية) فلم تزل . بحيرة وهي ان الخلفاء العباسيين ملوا الى تمسك النظر في العقائد فخدمهم من خدمهم من علماء الاعاجم تقريباً اليهم في علم الكلام وأكثروا من القيل والقال ثم سرت المدوى الى المناظرة في الفقه وبيان الأولى من المذاهب فاقبلوا على التدقيق والجدل في الخلافات بين أبي حنيفة والثاني وأثروا بينهما فتنة عمياء وحرباً صماء وتركوا بقية المذاهب فاندست ولم يبق منها سوى مذهب زيد وأحمد في جزيرة العرب ومذهب مالك في الغرب ومذهب جعفر في بلاد الحرار وفارس فاكثروا التأليف والتصنيف في هذه المذاهب كل مؤلف يحب ان يبدي ما عنده ليشتهر فضله ويسال حظه من دنياه زاعماً ان غرضه استنباط دقائق الشرع

وتقرير علل المذاهب فزاحوا وتجادلوا وناقض بعضهم بعضاً وكان من العلماء بعض الصلحاء المتأين شاركهم في الفتنة وهم لا يشعرون كما قال الله تعالى : (وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ لَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَا يَكُونُونَ لَّا يَشْكُرُونَ) وقوله تعالى (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ صُلِّحَتْ لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) .

وهكذا اتسعت دائرة الأحكام في الشرع فصار الخلف عاجزين عن التقاط الفروع فضلاً عن الرجوع إلى الأصول فاطمأنت الأمة للتقاييد وأقبل العلماء على التعمقات في الدين ينرب المفسر ويتعمق ولو بحكايات قاضي الجن لأنه عسير مطالب بدليل ويتفحص المحدث عن نواذر الأخبار والآثار ولو موضوعاً لأنه غير مسئول عن سنده ويتعاطى النقيب الحكم ولو بالشبه من وجه لا لازم اللازم للامعة لأن مجال الحكم واسع وهذا الفتنة لم تزل مستمرة إلى أن أوقفها قصور الهمم عند الأكثرين .

على أن هؤلاء المتأخرين أخذوا إلى التقليد الصرف حتى في مسألة التوحيد التي هي أساس الدين ومبدأ الإيمان واليقين والنفار بين الكفر والإسلام وجملوا أنفسهم كالإيمان لا يميزون الطائفة من الدور ، ولا الحق من الزور ، وصاروا يمجسون الظن في كل ما يجدونه مدوناً بين دفتي كتاب لأنهم رأوا التسليم أهون من البصر ، والتقليد أسهل من الجهد . وصار أهل كل إقليم أو بلد يتصبون لمؤلفات شيوخهم الأقدمين ويتخذون الخلافات مداراً لتطبيق الأحكام على الهوى لا يبالون بحمل أفعال الناس في الدين على عواقبهم يزعمون أن التسليم أسلم وأنهم أسراء النقل وإن خالف غيرهم القسوس يرمون إلى اختلاف الأئمة رحمة نعمة .

ثم إن اختلاف الأئمة يكون رحمة إذا حسن استعماله ويكون نعمة إذا صار سبباً لتفرقة الدينية والناغض كما هو الواقع بين أهل الجزيرة السفليين وبين أهل مصر والأندلس والشام والترك وغيرهم من المسلمين وبين أهل عراق المجمع وفارس والصفى الممتاز من أهل الهند الشيعيين وبين أهل زنجبار ومن حولهم من الإباضيين فهذه الفرق الكبرى يتقدم كل منهم أنهم وحدهم أهل السنة والجماعة وإن سواهم مبتدعون أو زائغون فهولاء والحالة هذه ينوهم عاقل أن هذا التفرق والانشقاق رحمة لا نعمة وسببه وهو التوسع في الأحكام سبب خير لا سبب شر .

وكذلك اختلاف المجتهدين في كل فرقة من تلك الفرق لا يتصور العقل أن يكون

وحدة لا يفيد من استعماله والا فإمكان تفرقة ثلثه بين مالكي وحنفى وشافعى مثلاً .

والمراد من حسن استعمال الخلاف هو ان كل قوم من المسلمين قد اتبعوا مذهباً من المذاهب ترجيحاً أو وراثه أو تمسباً ولا بد أن يكون في المذهب الأخذ به كل قوم بعض الأحكام الاجتهادية التي لا تناسب أخلاق أو تلك القوم أو لا تلائم أحوالهم المعاشية أو طبائع بلادهم فيضطرون الى الإقدام على أحد أمرين أما التمسك بتلك الأحكام وإن أضرت بهم أو الجنوح الى تقليد مذهب اجتهادي آخر في تلك الأحكام فقط وقد كان أكثر علماء وفقهاء المسلم من الى القرن الثامن بل التاسع يختارون الشق الثاني فيقلدون في هذه الحالة المذاهب الأخرى ولكن بعد النظر والتدقيق في الأدلة كما كان شأنهم في نفس مذاهبهم الأصلية كما يكونوا مقلدين تقليداً أعمى لا يجوز له الدين أساساً الا لجاهل بالسلفية .

وهذه الطريقة هي الطريقة المتبعة الى اليوم في بلاد فارس والعلماء المتصددون لذلك هم أفراد من نواحي العلماء المتصاميين في تلوم ما أخذ الدين وأكثرهم والاسما البرانيون منهم متفهمون به ، آخر حوارج مذهب الامام جعفر الصادق (رضي الله عنه) المدون عندهم ويطلق اهل فارس على هؤلاء العلماء اسم (مجتهدين) يجوز أو باعاً لمادة الاعاجم في الغالي في التبرجيل ، نعمت الاحترام ومن ذلك يعلم ان مابظه فيهم احوالهم المسلمون البعيدون عنها ، غير الوافقين على احوالهم الامن تفوهات السياسيين غير صحيح فما هم كما يقولون عنهم مجتهدون في أصول الدين يجوزون الرأي في الاجمعيات منرجون الأحكام الأخيرة من الأدلة الطيبة ولو لم يقل بها احد من علماء الصحابة والتابعين واعظم أئمة الهداية الأولين فما اخرى مجتهد في فارس بأن يلقبوا بمرجحين أو مخرجين أو فقهاء مدققين

ثم ان بعض الناس دعوا التقليد لأحد المذاهب اذا اُخذ في بعض الأحكام بمذهب آخر ملحقاً وسدوا اخذهم تافيقاً واستعملوا لفظة تلفيق في مقام التلاعب في الدين أو الترقيع القبيح أو الحال ان ماسموه بالتلفيق ليس الاعين التقليد من كل الوجوه ولا بد لكل من اجاز التقليد ان يجيزه لانه اذا تأمل في القضية تجد القياس هكذا يجب على كل مسلم عاجز عن الاستدعاء في مسألة دنيية بنفسه ان يسأل عنها من اهل الذكراي يقد فيها مجتهداً وكل مقلد عاجز طبعاً عن الترجيح بين مراتب المجتهدين فبئس عليه يجوز له ان



علمه في كل مسألة ذمهم يتبدل.

وما المانع على من الاعتدال في المسئلة ان يتعلم كل مسألة من الطهارة والغسل والوضوء والسجدة من غير بد أو ترك فادع لجهنم فادع ان يغسل بماء دون فلتين لحفنة قطرة خروا وغيره طامراً كما علمه عالم مالكي غسلاً بدون ذلك كما علمه عالم حنفي وبعد حدث موجب نوحاً ومذبح شمات من الرأس كما علمه عالم شافعي وصلى بعد خروج دم قليل منه كما علمه عالم حنبلي صلاة الصبح بعد طلوع الشمس كما علمه عالم زيدي ووصل الغرض الصلاة أخرى بدون خروج من الأولى كما علمه عالم جعفري أفلا يكون هكذا المناد على صلاة تحمزه عند الله؟ بل نعم بل تحمزه بالضرورة حتى لا يقع دليل على أن ذلك خلاف الأهل كما يقال في حق الخروج من المسئلة لأنه لا يعقل أن يطلب هذا المذهب بأخذ دينه منه من عالم واحد لأن الصحابة رضي الله عنهم مع اجتهدهم وتوابعهم مع في الاحتكام كان يصلي بعضهم خلف بعض مع حكم المؤمنين من حسب اجتهدهم منهم بعض صلاة امامه واشترطوا صحة صلاة الامام يوم الجمعة صلاة الامام وهل يتوهم من ان ابا حنيفة كان يفتح أي يأمهم بحسب أو يأمهم أن يأكل بعدهم جعفر كلال كانوا حول قدرأ من ان يخطب لهم هذا النص على بال و... كان مخالفهم الا من احتياط كل منهم لنفسه

ويوجد في كل مذهب من المذاهب جماعة من تلاميذ الامام او الفقهاء المعروفين بالمرجحين كل منهم كان مجتهداً لم يتقيد بمذهب امامه تماماً وخالفه في كثير او قليل من الاحكام مخالفة اجتهاد بسبب اطلاع على ادلة مجتهد آخر او الفتح عليه بما لم يفتح به على امامه ولأن الذين يلزم المسلم بأن يسمع في كل مسألة منه الشارع لا الامام وان يمد في مواقع الاجتهاد باجتهاد لا باجتهاد غيره وان كان افضل منه .

وهذا ابو حنيفة وامانته رحمه الله تعالى كانوا افضل من ان يستعدوا في انفسهم الأفضلية على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ومع ذلك خالفوها في كثير من الأحكام الاجتهادية وفقهاء كل مذهب من المذاهب لم يزلوا الى الآن يجوزون الاختذارة بقول الامام ونارة حول احد اصحابه مع ان ذلك هو عين التلويق فلمماذا لا يجوز الحذفة مثلا التلوية بن اقوال ابي حنيفة والشافعي او غيره وليس فيهم من يقول ان اصحاب امامهم افضل من الشافعي ومالك وابن عباس فما هذا الاتفرق بلا طارق وحكم يمسك الدبال .

وقد نتج من التفريق بين المسامين والتشديد عليهم في دينهم ومصلحتهم بدون موجب غير التعصب المخالفة لأمره تعالى (اقموا الدين ولا تنفروا فيه). «مرحى»
ثم ختم (المجتهد التبريزي) مقاله بقوله: «وليس مقامنا الآن مقام استيفاء لهذا البحث وإنما أوردت هذا المقدار منه بقصد بيان جواز التلقيق إذا كان عن غرض صحيح كما يجوز كثير من فقهاء كل المذاهب». ولا شك أن ضرورة التلقيق أهم من الضرورة التي لا تجلها جواز الفقهاء الحيل الشرعية مع أنها وصية عار على الشرع حيث لا يعقل أن يقال مثلاً إن الشفعة مشروعة دفعاً للضرر عن الشريك أو الجار ولكن يجوز هذا الإضرار للمحتاج. أو أن الربا حرام ولكن إذا أضيف للقرض ثمن مبيع خميس يتفيس جاز استباحة مقصد الربا. أو أن إتياء الزكاة فرض ولكن إذا أخرج رب المال ماله قبل الحول ثم استعاده سقطت عنه — إلى غير ذلك من إبطال الشرع وجعل التكليف تغييراً والتقييد إطلاقاً. ولا حجة لهم في هذا غير ما رخص الله به لايوب عليه السلام من التوصل للبر باليمن في قوله تعالى (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تخش) وما أبدع القياس بين الحث وبين إبطال الشرع. ولا شك أن المسلمين بذلك صاروا كأنهم لا شرع لهم وقد غضب الله على اليهود لتحليلهم على صيد السبت فقط ونحن نجوز ألف حيلة منها بضرورة وبلا ضرورة.

بناءً عليه من الحكمة أن نلتص للضرورات أحكاماً اجتهادية يأمر بها الإمام إن وجد والا فالسلطان ليرفع الخلاف فتعمل بها الأمة ما دام المقتضي باقياً فإذا أُلجأ الزمان إلى تسديدها يقول اجتهادي آخر فكذاك يأمر به الإمام أو السلطان رفعاً للخلاف. وبمثل هذا التدبير الذي لا أباه شرعاً ولا تنافيه الحكمة لا بد من تلك الحيل المطة للشرع المسلمة لثرويات كثر فقهه ومتفقه أحكاماً شرعية إيجابية لازمة فيها ونحو ذلك يسلم شرعاً من التلاعب والتضارب ويخلص القضاء والإفتاء من التوفيق على الأهواء. وحينئذ يتحقق أن الخلاف في الفروع رحمة. والحاصل أنه يقتضي على علماء الهداية أن يقاوموا فكر التعصب لمذهب دون آخر فيكون سعيهم هذا متجاً للتأليف وجمع الكلمة في الأمة.

قال (الاستاذ الرئيس) أنا نشكر أخانا المجتهد التبريزي على بيانه لنا حالة اخواننا أهل فارس وعلى غيرته لادين وقصده التأليف بين المسلمين أما تقريره بخصوص أن حكم الإمام أن وجد والا فالسلطان يرفع الخلاف وبخصوص أن التلقيق هو عين

التقليد فتقرير يحتاج الى نظر وفهم ويستقيم بمثل هذه التفتيدات في المسائل الدينية التي ثبت فيها الاخوان الكرام الجمعية الدائمة التي ستشكل ان شاء الله . واليوم قد قرب وقت الظهور وأن أوان الانصراف

باب الاخبار والادراك

(رمضان - المنكرات فيه) هم شهر الصيام ، وال تلاوة والقيام ، والاقبال على الله ، والاعراض بقدر الامكان عن سواه ، وان تأثيره لا يماهر في جميع بلاد المسلمين بترك معاصدهم والكوف في المساجد وتغيير عادات الا أن هذا التأثير في هذه المدينة (القاهرة) اضعف منه في سائر بلاد الاسلام فيما أعلم نحن لا نذكر به من كثرة المرتين نقرآن في البيوت نرى أكابر العلماء في غير القطر المصري قد التفتوا فيه لقراءة الدروس الدينية والافتاء الموضع المؤثرة مناشرين في المساجد وترى مساجد القاهرة التي عدد علمائها يزيد على عدد العلماء في كل مدينة . وماها حاله . باسم الا لا كل مسجد الحسيني والمسيحي الزنبي . وأكثر من يتصدى لهذا الخطا هؤلاء الذين يعرفون الاس لاماني وقصده من عليهم انقص الحرافة والأساطير الوهمية . وفي كل سنة نذكر الشيخ علي البيادوي شيخ المسجد الحسيني بوجوب منع هؤلاء القدامس منه وامه بفعل في هذا العلم يقول شيخ الأزهر في المسجد الزنبي لا يبدن لأحد يلمع فيه الا اذا وثق بعلمه اذا كانت معاهد العلم والارشاد ليست غامرة في القاهرة فلا يجب اذا عمرت معاهد اللهو والفسق حتى في رمضان فقد اطلقنا منذ أيام على (إعلان) يانتر في الطرق والشوارع فادافيه أن زعمنا من زعماء الملاحية قد استحضروا غنية شهيرة دور افصة أربعة لاجل اجراء التبريد ان الربيع . وما ولو لم يبد هذا الملاحين الممارقين الذين يجربون يومهم بأيديهم ايمروا بوجوب أعدائهم بقية من البسة المليحة والشهامة الاسلامية لكافوا هذا المستهين بهم والمستهزي بدينهم بالاعراض على قنينة ورائضه وان لم يتوبوا عن الفسق توبة نصوحا

الجرائد ورمضان - أو - المنار والمنارات

سمنا من بعض أصحاب الجرائد المنتشرة الشكرى من بجل رمضان عليهم . وهو أبسط الشهور في الاتفاق بدا ، وأكثرهم في التوسع مددا ، ولكن هذا البسط هو السبب في ذلك القبح أعني قبض الأيدي عن دفع اشتراك الجرائد لأن الناس يحبون الاتفاق في رمضان على المآدب لعل الآداب وفي القرى الدينية ، لاني

الكرات السياسية ، ولهذا لم يكن المتأثر من الشاكين ، وإنما هو من الشاكين .
 لأن حظه في رمضان كحظ أخواته منار ابن المساجد كما أن وظيفته كوظيفتهن . كل منهما
 وضع لدعوة المسامحين إلى الصلاة والصيام ، وكل منهما يزيد مدده في هذه الأيام ،
 أما المنارة فمددها الزيت والقناديل ، وأما المنار فمدده الدرهم والدنانير ، وحق المتأثر
 أكد وأثبت من حق المنارة لأن دعوته عامة تشمل المفاهيم والأخلاق ، ودعوتها
 خاصة بالصلاة والصوم ، ودعوتها يسميها الألوف ، ودعوتها يسميها نفر قليل ، ودعوتها
 مؤيدة بالبرهان ، ودعوتها تذكير مجرد لأهل الإذعان ، ودعوتها متوقفة على مدد القراء ،
 ودعوتها لا تتوقف على الزيت ولا الكهرباء . ولهذا كان إمدادها هذا متقدماً عند
 الثورعين ، وترك إمداده متقدماً عند المتدينين ، وقد سبق إلى العمل بهذا الحكم
 أهل المنصورة والسنبلاوين ، وستتلوهما اليوم وشين ، اللهم آمين

(بدعة جديدة في مسجد جديد) جدد ديوان الأوقاف مسجداً من المساجد المذمومة
 في اليوم وقد احتفلوا بافتتاحه في يوم الجمعة الماضية بالصلاة فيه وكان الاحتفال بعد الصلاة
 وسماع خطبة الخطيب الحرفية التي مدح واضمها فيها المسجد مدحاً استبسطه من
 خروجه . وبالله كيف يرضى المسلمون بأن يقول خطبائهم مثل هذا الكلام اللغو
 الذي أمر الله تعالى بالأعراض عنه كما أمر بالاسماع للخطبة حتى أن حاضر مثل هذه
 الخطبة لا يدري أهو مطالب بأن يكون ممن قال الله تعالى فيهم « والذين هم عن اللغو
 معرضون » وقال فيهم « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه » أم هو مطالب باعتدال قوله
 عن وجل « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا » على قول المفسرين أنها نزلت
 في الخطبة ؟ أم أكون ذلك من اللغو فيعرفه العامي إذا لاحظ أن كل حرف يكون مبدأ
 كلمات تدل على معاني شريفة وكلمات تدل على معاني خسيسة قاله أول حرف من
 بكة الدين والدعاء والديانة وكذلك هو أول حرف من كلمة الدنس والدناءة والدعارة
 ثم قام خطيب الاحتفال بعد الصلاة وقال « أفتتح المسجد باسم الحديو » الحثم مضي
 في كلامه والناس تصفق له لا سيما عند ذكر الأمر حتى كأنهم انقلبوا عن الإسلام إلى
 عبادة الجاهلية التي نزل فيها قوله تعالى « وما كان صلاتهم عند البيت الامكاه وتصدي
 فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » والتصدي هي التصفيق ؟ فليعلم المافظون ان
 بيوت الله تفتتح باسم الله والخشوع له وتجنب فيها عبادات الجاهلية ، وبدع المدينة .
 فمن كان مخلصاً لسلطانه وأمره فليدع الله تعالى فيها بأن يصاح شؤونهما ويوفقهما لما فيه
 خير الله والامة وإعلم أنها بيوت يستوي فيها المؤمن والمؤمن ، في الخشوع لله العمل الكبير

(استشارة في أمر ذي بال) رأى القراء فيما قرأوه من مباحث حمية أم
الفرى في الاجتماعات الستة أن كل ما ذكره أعضاءها من أسباب فئور المسلمين وشفهم
يرجع الى الدين والشؤون الاجتماعية والسياسة العامة . وفي الاجتماع السابع الآتي
تفصيل أسباب الفئور في سياسة الدولة العثمانية وإدارتها وهي عشرون سبباً .
وقد كنا ذكرنا عند التنويه بسجل الجمعية وذكر العزم على نشره في انتظار أن
مافيه من القول بسينات الدولة العلية يؤلم أكثر القارئين وأننا نختار حذفه عند
الوصول اليه . ولكننا رأينا كثيراً من الناس يعتقد هذا الرأي ويقول ان قراء المنابر
كأهم أو جلهم من خواص الناس وأهل النضل الذين يزيدهم العلم بميوب دوائهم
حرصاً على بقائها وسعياً في اصلاح حالها ان استطاعوا فيجب أن لا يحرموا من الاطلاع
على الآراء والمباحث التي دونت في سجل الجمعية فلم نقمنا هذا القول تمام الإقناع
وأحياناً ان نستشير قراء المنابر الآخرين فمن كان يرى نشر السجل يرمته وذكر كل
مافيه عن الدولة والترك شبهه سكتة دليلاً على رأيه . ومن كان يرى وجوب حذف
ما يند على الدولة فمافيه أن يذكر المنابر بقولاً أو كتابة وأننا نرجع هذا الرأي اذا كان
عابه عشر المشركين ولا يصح لمن يسكت قبل النشر أن يلوم بعده

(أشهر مشاهير الاسلام) صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب في سيرة سيدنا عمر بن
الخطاب (رضي الله تعالى عنه) وفيه أبواب من الميرة واسعة ، ومباحث في التاريخ
والسياسة الاسلامية نافعة ، منها بحث في حكم الاسلام في المسيحيين وحكم الاوربيين
في المسلمين ، ومنه يعلم أي الفريقين أعدل . وبحث الردة وحققتها . وبحث كون
دعشق كانت قاعدة الفسائيين أو كون سوريا كانت وطنهم . وبحث شجاعة المسلمين
ومساعدتهم بهرجان في الفجوح . وبحث الحكم الديني والشورى في الاسلام . وبحث
الاستعمار . وأبحاث تدوين الدواوين وترتيب العمال وضرب النقود ووضع البريد
والحكومة العسكرية والحكومة القانونية وبيت المال وغير ذلك مما يؤخذ من سياسة سيدنا
عمر وسيرة العادلة التي تقر بلامها الامثال ناهيك بذكر الوقائع والقنوح والقضاء .
واننا نشكون كثرة اغلاط الطبع فيه ولكننا واقفون على سببه وهو ان معظم الكتاب
طبع ومؤلفه (رفيق بك العظيم) غائب في الشام ولما علم منع إصداره حتى استخرج له
جدولاً أحصى فيه الاغلاط والحفبه ولولا ذلك لصدر من بضعة أشهر . وصفحاته
تزيد على ٣٠٠ ومنه ١٠ قروش صحيحة وأجرة البريد قرشان وهو يطلب من ادارة مجلة
المنابر بمصر ومن الكتاب الشهورة

يؤتى الحكمة من بطنه ومن يؤتى
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أوامير الإلزام

المجلة

١٣١٥

فَقَدْ عَادَى الَّذِينَ يَسْتَمُونَ الْقَوْلَ
فَيَقُولُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ
اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و « مناراً » كشار الطريق)

(مصر الثلاثاء في ١٦ رمضان سنة ١٣٢٠ — ١٦ ديسمبر (٣ كانون أول) سنة ١٩٠٢)

سيرة الانعام • ومهدير الاسلام

كتب الباحثون من أهل أوربا مقالات كثيرة في مستقبل الاسلام في القرون العشرين نخاضوا فيه من الجهة الدينية والجهة الاجتماعية والجهة السياسية حتى ضربوا في كل فجج، وهاموا في كل واد، فمن زاعم ان المسلمين سائرون الى المدمم والانتراض لأنهم اعداء المدنية الحديثة القائم بناؤها على سنن الكون ونواميسه التي لا تبدل ولا تتحول فهم بذلك أعداء الوجود ومن عادى الوجود فالدمم أولى به • ومن قاتل ان هذه الامة الكبيرة لا تقترض كما تقترض هندو امريكا لانهم أرقى منهم بما سبق لهم من المدنية ولكن يزول سلطانهم فلا تبقى لهم حكومة فتخطهم الأمم القوية ويميشون أذلاء مستضعفين، اني أبدأ الآبدن، ومن ذاهب الى أنهم سينهضون، ومن يمد ظلمهم سينبلون، وأختلف هذا الفريق في

هذه النهضة كيف تكون وأين توجد . فظهر بعضهم أن ستكون بالأخذ
بمهدية أوروبا وتنشأ في الهند ، فافهموا الأساطير ومصر ورجع بعض أنها
تكون بالعصية الدينية والقوة الحربية وتنشأ في إفريقيا أو الصين ، وغفل
كل من المختلفين عن منبئين آخرين لمجد الإسلام المستقبل وهما أوروبا
وأفريقيا إذا أسرع بهما العلم ونظام الاجتماع إلى الإسلام ، الذي لا بد
أن تنتهي تلك الأمم إليه في يوم من الأيام ، أو جزيرة العرب إذا أبطأ
بهما سير الدرفان ، وسنن العمران ، فظلت أوروبا تطارد المسلمين وتضطهدهم
حتى يأرز الإسلام برجالته المحكمين إلى جزيرة العرب كما تآرز الحية إلى
جحورها ومن ثم ينفثون سموم التعصب في الشرق كله فما ينظر الأوروبيون
فيه إلا صيحة واحدة فاذا هم خامدون

أراني عجبت برأي قبل النهضة له وذكرت نتيجة لمقدمات مطوية
ودلائل خفية ، فلا غرو أن ينكرها علي المسلمون ، قبل أن يمر بها
الأوروبيون ، إلا من بعد نظره ، وغاص في أعماق المسألة فكره ، فلتترك
المنكر في انكاره ، واتسار المنكر في أفكاره ، باحثين معه في مسير الأمام ،
ومستقبل الإسلام ،

أن تذهب الأمم المتقدمة دائماً إلى الأمام ، وإلى أي غاية ينتهي
سير هؤلاء الأقوام ، وهل تزداد الشعوب المتقدمة قدماً ، وتزداد الشعوب
المتخلفة تخلفاً ، وتزداد الأمم الحية حياة والمائتة موتاً ، حتى تكون الثانية غذاء
للأولى كما قال اللورد سالسبوري سياسي انكلترا الكبير ؟

هنا تبقى هذه المدنية الأوروبية مادية حيوانية تبيح الفحشاء والمنكر ،
وهل يحرف سيطها ما في بلاد الإسلام من بقايا النفث والصيانة والتراحم

والثواب هل لا يبق للمسلمين -- وقد أخلقت فيهم إخالق العنبران --
من الصفات ما يستحقون به رحمة الله تعالى فيكونوا من المالكين؟

هل تظل أوروبا تائب الدين كلما قلت حاجة السياسة اليه ، وعذبت
المعوم السكونية عليه ، وهل يكون حظ الاسلام عند المتعلمين الآتين ،
كحظ النصرانية عند المتعلمين الحاضرين والغابرين ، يتسائلون منه لو اذا ،
ويعرقوني منه زرافات وافذاذا ؟

هل تثبت المدينة المصرية في ارض الاسلام كما تثبت في المغرب
وتنمو كما نمت وتثمر كما اثمرت سواء بسواء فيرجع المسلم التهقري الى القرن
السادس عشر الميلادي فيبتدئ منه ؟ أم يكون اول سيره من نهاية
القرن التاسع عشر فتكون مدينته اسرع والمجمل ، وممارفه أتم وأكمل ؟
إذا اراد الناظر ان يستنبط الجواب من سيرة المسلمين الذين ولوا

وجوههم شطر المدينة ، ولبنوا هذا المآج من المعوم الاوربية ، لا يسهه
الا ان يقول : ان حال هذه المدينة ستكون (او هي كائنة منذ اليوم)
دون حال الاوربيين وانهم سينبذون الاسلام باسرع مما نبذ اولئك
النصرانية لان رؤساء الدين في النصرانية دولة لها في كل فرقة رئيس عام ،
وموظفون يسرون بقانون ونظام ، وهم مستقلون في ذلك عن الحكام ،
ولذلك تيسر لهم محاربة العلم زماناً طويلاً ولما دالت للعلم الدولة وفاز بالنصر
سالموه واستماتوا به على حفظ الدين حتى إن أزمة المدارس اصبحت في
أيديهم فلم يتركوا مدرسة بدون كنيسة . ومن يحجزوا عن إقناعه بقضايا الدين
والزامة بالعمل به والدعوة اليه لا يعجزون عن إقناعه باحترامه والدفاع
عنه باعتبار أنه رابطة للجنسية ولا يزال لهم من السلطان في الانام المسيحية

حتى اكفرها بالدين كفرنا ما يخيف الحكام منهم فيضاهونهم. وليس للمسلمين مثل هذه الرياسة المنتظمة في فرقة من الفرق ولا في قطر من الاقطار وما عند الشيعة من المجتهدين ليس لهم من النظام والثروة ما للاكليروس عند النصارى ولا يرجى منهم مثلكا من اولئك

ترى رئيس علماء الدين في مصر — وان لقبوه بشيخ الاسلام — لا يرجع اليه بشيء من أمور المسلمين ولا يستشار في كيفية تعليمهم وتربيتهم وليس له سلطان ما على اوقافهم الخيرية، ولا إشراف على أعمالهم الاجتماعية، وكذلك شيخ الاسلام الرسمي في دار السلطنة العثمانية لا وظيفة له الا تعيين القضاة والمفتين وعزلهم فهو موظف تحكم عليه السياسة ويزله السلطان متى شاء. وليس له من الاستقلال في عمله ثلما لرؤساء الديانة النصرانية على ان عمله للحكومة لا للامة. واكبر من هذا كله ان رجال الدين الاسلامي لا يعهد اليهم بشيء يستقلون به دون الحكومة ولا خدمة المساجد فالحاكم السياسي هو الذي يجمل امام الصلاة اماماً وخطيب الجمعة أو الخليفة خطيباً فهو عند المسلمين رئيس ديني مستقل وان شرع لحكومته غير ما شرع الله، وصار يحكم بين المسلمين باسمه دون اسم الله !!

يقول الناظر: اذا كان حال الحكام المسلمين ما نرى من البعد عن الدين وصاروا كما قال الله تعالى «أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله». واذا كان المساءون على هذا راضين عنهم وخاضعين لهم مع علمهم بأنهم إباح فاضمين للأجانب إماماً واهراً وباطناً وإماماً باطنياً فقط. واذا كان علماء الدين لا يرجع اليهم شيء من سير الامة الاجتماعية والادبية ولا هم يتدبئون لذلك من أنفسهم ويضعفون الامة مضطرة الى الرجوع اليهم

والاعتماد في تربيتها عليهم . واذا كان المسلمون على الطريقة الاوربية من المصريين والأتراك كثيراً ما يندبون الدين ظريفاً ، وبحسبونه شيئاً فريداً ، ويستحلون الخمر ، ويستمرعون مصرى الفجور ، ويفضلون الظلمة على النور ، واذا كان هؤلاء المتعلمون هم الذين يتولون الاحكام ، يأخذون من الامة بكل زمام ، واذا كان الناس على دين ملوكهم . والراعايا تبعاً لحكامهم . وناموس الاجتماع قاض بتقليد الناس لاصراثهم وكبرائهم . أفلا يحق لنا ان نحكم بأن المسلمين سيكونون أسرع في ترك دينهم ممن سبقهم . فان كان الجهاد بين العلم والدين في اوربامدة خمسة قرون قد انجم بقاء الدين في نمو ، وسلطانه في نفوذ وعلو ، فلا يمتضي على المسلمين قرن أو قرنان ، الا وهو في خبر كان ، واذا لاحظنا انه ليس للمسلمين جنسية ، ولا وطنية تقوم مقام الرابطة الدينية . وأن الذين أحبوا الامتياز فيهم والانفعا منكم بدعوتهم الى « الوطنية » لم ينجحوا لان تأثير الدين لم يعمل لهم تأثيراً بل عدهم الذين يفهمون حكم الاسلام وأسراره أعداءاً للاسلام وان كانت اسماؤهم اسماء المسلمين - فلنا ان نحكم بأن المسلمين سيفقدون بانحلال الرابطة الدينية كل استقلال ، ويكون مصيرهم الى الزوال ، فلا تقيدهم سعة البلاد ، ولا كثرة التعداد ، إذ لا كثرة مع فقد الرابط العام ، كما لا يكون المقعد بغير نظام .

هذا ما يقول الباطر بإحدى عينيه ، الى ما بين يديه ، واعني بإحدى العينين العين التي تنظر الى السوء دون الحسنى والى منافذ الخوف دون ابواب الرجاء . واعني بما بين اليدين الظاهر الشائع من حال الامم دون الخفي الذي لا يرى الا بالتحديق ، وبنفوذ اشعة البصر من الحجاب الصفيق ،

ذلك ان كل انسان يدرك مما يشاهده ويمر به ما هو مستند لإدراكه
وينبؤ طرفه عما سواه ون أن وانحاً جلياً . فما بالك اذا كانت ما يعلو
استعداد الناظر الحسير خفياً سرده ، مجهولاً عند امره ،

إن سير الأنام يشبه سير الظل لانه لا يلد له الخطوات ، وانتقالها يحاكي
انتقال النجوم السيارة لا يندركه لا وندفوت ، والوليد يندرك اذا انكر سير
الظل وجزم بأنه واقف لأنه لا يرى حركته . والجاهل يعلم الفلك يندرك اذا
انكر يدرك ان السيارات تسير من الغرب الى الشرق لأنه يرى انها تنيب في
جانب الغرب فهو يرى أثر حركة الأرض لأنه قريب يكون كل يوم ولا
يلاحظ . بب تأخر . لم يلاحظ كل انة انفلا عن غيره من السيارات .
كذلك يندرك الماخن ذ جاء يدرك . ما خلفها على الحلات والمواخير اذا
قال ان غاية مدينة أوربا الجارة لفرنسا . المجاور ولا غايها وراءها . ويمدرك
كليل النظر اذا جاء من من ما كان يسمع اذا سمع
على مستقبلها بعد ما كان يسمع به وهو يند عنها وبأس من مستقبل
الاسلام بالنسبة إليها

يندرك باليأس اذا دخل الازهر فرأى كالم الخيال لا أثر لحال الناس
في علمه ولا أثر لعلمه فربما به الناس في ورأى أن الآثار القائمة
التي تصدر عن مصر ليست منه في شيء ولا هي مرضية في الغالب
عند اهله وانما جل علمهم مناقشة في أساليب المؤلفين وتدقيق في تحليل
عبارات كتب مخصوصة الخ . وتدريسها . ثم رأى أن أهله غير محترمين
عند طبقة من طبقات الأمة حتى ان الخوذي (سائق المركبة) ليسخر
من المجاور في الازهر ومن العالم أيضاً إلا بعض الوجهاء الذين يحترمون

لنصائهم التي بقيت لهم او ثروتهم وقليل ما هم
 ويمذره إذا غادر الازهر الى المدارس فرأى فيها العناية باللغة
 الانكليزية ، أضعاف العناية باللغة العربية ، ورأى التلامذة يتلقون تاريخ
 الدين ، عن المدرسين الأوربيين ، ورأى علم الدين كالرسم الدارس ، لا
 يحفل به المدرس ولا الدارس ، ووطن لذلك أن لانكليزية سوف تستبدل بالعربية
 ويعذره إذا شاهد الجريدة البزالية البذنية تطبع منها الوف من النسخ
 فتباع بالتقديداً بيد ويتهاق عليها القارئون وانارات من جميع الطبقات ،
 يلغون بها مقهقهين ولا مثار للمقهقه والذكر كره ، ولا للإلهاس والمهرقة ، ثم
 يرى فراء المجالات العلمية والتهذيبية على قلوبهم يابون وعطلون ولا يخرج منهم
 حقها الانكدر . ويعذره إذا لاحظ حال تلامذة المدارس وبلا أخبارهم ،
 واكتشف ضمائرهم وأسرارهم ، فرأى أكثرهم مشغولين بالفلسف فاسدي
 التزنية قصيري الآمال لا هم لأخدمه إذا لم يكون . وحقاً في الحكومة لا
 يرفع شأن أمتة ولا يخدم مصلحة بلاده ولكن ليكون رزقه مضموناً فلا
 يشكف عناء الاعمال ، وان كان وراءها أديم الاستقلال ، — ويعذره إذا
 رأى الاغنياء والوجهاء لا هم لهم الا التمتع بالذات تنبسط أيديهم في
 الاسراف والمخيلة ، وتقبض عن الاعمال الجليلة

ويكون أعذر باليأس والفنوط إذا رفع بصره الى الحكام والامراء
 وآرام العوبة في أيدي الاجانب . وقد أخذتهم الفتن من كل جانب
 هذا ما يراه الطرف القصير ، والبصر الحسير ، ويبي عليه حكمه الجائر
 واكن الاسلام يسير من وراء مدي طارفه سيرا طبيعياً ، ويتقدم تقدماً
 تدريجياً ، يسير بافته وعلومه سير الظل الوارف وينتقل انتقال الكواكب

من الغرب الى الشرق في الباطن ومن الشرق الى الغرب في الظاهر بل كل واحد من الخافقين يسير نحو الآخر كلما خطا المسلم الى المدينة الاوربية المسرفة خطوة خطا مظلما الاوربي الى الاسلام أو أبعد منها أو أقرب ولا ندري وهما في مبدأ السير أيهما يكون الاسبق الى تحكيم الاسلام في هذه المدينة المسرفة المائلة ليرجمها الى الاعتدال الذي هو غاية الكمال الممكن ولكننا نعلم أن التلاقي هو نتيجة هذا التقرب المستمر وإن ذلك لواقع ماله من دافع .

*
* *

ندع الكلام الان في الحركة الاسلامية العامة الى التقدم في كل قطر من الاقطار وتقرّب الشعوب المسلمة بعضها الى بعض ونداء الشيعي والسني السلفي والمتمذهب الى الاصلاح وفي امتداد هذا النداء وتأثيره . وفي الجمعيات الاسلامية وفي ترقى لنة الدين (العربية) ونقدمها السريع من غير نصير من الحكومات الاسلامية أو الجمعيات العلمية -- ندع هذا لقصة أخرى ونقول كلمة وجيزة في تقرب أوروبا الى الاسلام بطبيعة العلم والعمران فيها لان هذا أغرب عند أكثر القارئین من الاول .

كانت أوروبا في القرون الماضية تمقّد أن الاسلام دين وتّي نشأ بالسلب والنهب والاعتداء وإباحة القواش والمنكرات وأن أهله قوم متوحشون يتقربون الى أصنامهم وأوثانهم بسفك الدماء وكانوا يذنون على هذا الاعتقاد أنه يجب على أوروبا السعي باستعبادهم أو عوهم من بلادهم ليسلم سائر الناس من شرورهم . والشواهد على هذا كثيرة في كتبهم فعندهم كتب كثيرة مؤلفة في سوء حال الاسلام والمسلمين ألفها القسيسون والسياسيون لتفجير الشعوب الأوربية من العالم الاسلامي حتى أنهم ترجوا

القرآن الحكيم ترجمة مبدلة محرفة بل القوا كتباً وضعية منها ترجمة للقرآن لو قرأ المسلم منها ما سموه سورة الفاتحة (وهي التي لا يجملها مسلم) ولم يذكر له ان هذا ترجمة القرآن لما خطر في باله القرآن عند قراءتها مطلقاً لانه ليس فيها معنى جملة واحدة من جمل الفاتحة الشريفة. ولو شئت أن أسرد الشواهد من كلام الاوربيين في ذم الاسلام، ونبه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، لأحتجت الى تأليف مستقل. وأهون وصف وصفه به الفيلسوف رنان الفرنسي^(١) في كتابه (ابن رشد) قوله فيه «دين الخنازير أو القوم المنهمكين في الشهوات» ومن التحريض عليه تلك الكلمة الخبيثة التي جاءت في مقال للدوسيو هانوتو وهي الاقتراح على فرنسا بان تهدم الكعبة المشرفة وتغفل قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى قصر اللوفر في باريس. ومن أراد الزيادة على ذلك فليقرأ كتاب (الاسلام) للكونت هنري دي كاستري الذي عربه احمد فتحي بك زغلول وطبع بمصر سنة ١٣١٥

هذه إشارة الى اعتقاد أوربا في الاسلام وقولها فيه وأما العمل فإزال الاوربيون يسومون المسلمين الخسف في كل بلاد لهم استولت عليها دول أوربا حتى خفت انكثرا ثم روسيا وطانها عنهم من عهد قريب فازنت روسيا لهم بطبع المصاحف وكتب الدين وأعطتهم شيئاً من الحرية يتمتعون به الآن وكان ممن سعى بذلك لدى القيصر السيد جمال الدين الافغاني (رحمه الله تعالى). وهذه انكثرا التي كانت ولا تزال أبعد أمم أوربا

(١) هذا هو رنان وهذا كتابه الذي اعتمدت عليه مجلة الجامعة في ترجمة ابن رشد فيلسوف الاسلام العظيم. فهل يوثق بقول متعصب على الاسلام هذا التعصب المشوه في أمر ما يتناقى بالاسلام وتاريخ رجاله العظام؟

وحكوماتها عن التعصب وأقربهن إلى التسامح كانت قاعدة الوظائف عندها في الهند أنه تكون للانكازي فلاوري فالوئي فالمسلم فما كان يوظف مسلم إلا إذا لم يقبل الوظيفة التي يتولاها أحد من هؤلاء.

انقلبت الحال بعد هذا في الاعتقاد وفي القول والعمل وفي السياسة فقد أقبل المدد الكثير من الأوربيين على دراسة لغة القرآن وعلوم الإسلام فظهر لهم فضل هذا الدين في الجملة وأتموا كتباً كثيرة في فضله وصار أكثر الباحثين فيه يمتقدون بأن نبية كان يدعو إلى هذا الدين معتقداً بأنه منهم من الله ومؤيد من لدنه سبحانه وتعالى وأن ما جاء به إصلاح عظيم للبشر عقائده نافعة وأخلاقه محمودة وشريعته عادلة. ثم إن منهم من اجتهد في كشف الشبهات التي يوردها علماءهم على الإسلام وهي منه حقيقة كإباحة تعدد الزوجات بشرطها والرخصة في الطلاق والجهاد. وإن لبعضهم من الاجابة عن هذه الأمور المتقدمة في نظر قومهم أشد الانتقاد مالا يجد مثله لمام من علماء المسلمين. وقد قام بعض القسيسين منهم يحاول الجمع بين الديانتين كاسحق طيلر الذي نشرنا بعض خطبه ومقالاته من قبل.

لم يقف التحول عند حد اعتقاد بعض الباحثين وأقوال بعض المؤلفين بل قصت طيبة الاجتماع بالعمل ببعض ذلك ومخالفة دينهم إليه لأنه ظهر لهم أنه ضرورة لا بد منها وذلك كالطلاق الذي صار مشروعاً عندهم وشائعاً فيهم. وكذلك ظهرت فيهم بوادر الحاجة إلى تعدد الزوجات حتى قام من الكتابات من يدعو إليه في الجرائد (راجع مقالة «الرجال والنساء» ص ٤٨١ م ٤) وكأنك بهم وقد عادوا إلى ذلك بعد حين وسيجدون في الإسلام الطريقة المثلى لحل المشكلة الاجتماعية الكبرى التي من آثارها النوضوية

والاشتراكية وتمسك المال الذي تفاقم خطبه في هذه الأيام
 ان ما كشفه العلم في الخلق والتكوين يوافق ما ينطق به القرآن. ان
 الايات الكونية التي يفصلها القرآن في اثبات الالهية هي أقرب الى العلم
 الحاضر والفلسفة الحاضرة منها الى فلسفة اليونان. ان الوحي الذي يطالب
 القرآن بالايان يمكن ان يقبله حتى العالم المادي من غير حاجة الى إبطال
 مسألة ثابتة من مسائل علمه أو فلسفته. ان الاخلاق التي يدعو اليها
 القرآن هي أخلاق الاجتماع والعمران، والعزة والسلطان، ان أصول
 الأحكام والشرائع السياسية والمدنية والقضائية والحربية في الإسلام منطبقة
 على ما ثبتت فائدته للأمم الغربية وفيها مالم يصلوا اليه، ولوعرفوه لمولوا عليه،
 ان السكل داء من أدواء العمران وكل مرض من أمراض الاجتماع البشري
 دواء شافياً في القرآن يرف ذلك الراسخون في فقه القرآن من علماء
 الاجتماع. وان من هذه الادوية ما ينفع بدن الايمان ومنها ما لا يتم الا
 به كدواء الزكاة لأدواء المسألة الاجتماعية الكبرى كما قال تعالى « ونزل من
 القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين، وان المدنية الكاملة التي تسير اليها الأمم
 الرافية لا تكون الا بدني يجمع هذه الاصول الالهية التي أجلناها الان،
 وقد جاء في المنار بعض التفصيل لها وسنزيدها تفصيلاً اذا أمهلنا الزمان
 ان المسلمين الاولين أخذوا هذه الاصول بالايان والتسليم فأسرعت
 اليهم بالسيادة والسعادة ولكن لم يلبث العلم بها أن ذهب وحل محله التقليد
 الأعشى فتركوا الأخذ بحكمة القرآن الى أقول مقلديهم ولا غناء فيم اعن كتاب
 الله تعالى فجعلوا في مجموعهم فقه هذه الاصول وزادوا عليها لا يضاعها ما
 أخفاها فساروا الى الوراء، يخبطون خبط العشواء، ولما تكمل مدتهم،

الآتري • قلدسهم في المائد كيف تركوا في العلم الإلهي طريق القرآن، إلى نظاربات
انيوان تأثر بذلك الزمان، والآتري • قلدسهم في السياسة والأحكام كيف تركوا
أصول القرآن وما يوضحها من السنة وأستبدوا بالعمل، والآتري الأمة بين هؤلاء
الرؤساء، من الملوك والعلماء، قد فقدت الاستقلال الاجتماعي وعومات
معاملة السوائم من الانعام، هذا هو سبب ضائع أثر تلك الاصول في
سبيل الوصول الى المدنية الكاملة

الاوربيون يسرون الآن إلى الاسلام من صريقه فقد بدأوا بالبحث
في الآفاق فرففوا من آيات الله فيها ما لم تعرفه الامم من قبلهم وشتوا
بالبحث في أنفسهم فاهتدوا الى كثير من سر الله تعالى في قواها وفي
عملها الحيوي والاجتماعي • ثم أنهم يفرنون العلم دائماً بالعلم إلى لا عليم عندهم
الا ما أيدته التجربة العملية • وكل ما علموه كان مقرباً من القرآن فما عليهم
الا أن يفهموه وقد أنشأوا في هذه السنين بدرسون لفته ويدرسونه بقوة
واجتهاد وقام فيهم من أنفسهم ذعابة اليه وقد كاد يأتي فيهم تأويل قوله تعالى
" سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق "

أما نحن المسلمين فانا اتمترف بالتقليد انه الحق وانكسنا تركنا من
عدة قرون البحث في الآفاق • في أنفسنا الذي علق عليه كتابنا بين الحق والآن
توجه الكثيرون منا الى علم الآفاق وعلم النفس تقليداً للذين سبقونا فاذا
ضللنا في هذا السير الجديد فانا نقدم من بدلتهم فنترك الدين وآدابا وليس
عندنا شيء يقوم مقامه كما كان عندك فككون من المسالكين ويكونوا هم
السابقين إلى الاستارم والرايون فيقولون عليه ونحن مدبرون عنه الى أن
يصالوا ببحثهم واجتهادهم الى الحق ونحن عشرة في طريقهم وعند ذلك نرجع

باب الوصية والوصية

(تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم)

(١) مصنف أفندي رشدي المورلي بالزقازيق : ما هي الحكمة في تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أكثر مما أباحه القرآن الشريف أسائر المؤمنين وهو الزوج بأجمع فما دونها وتعين الواحدة عند خوف الخروج عن العدل ؟

(ج) إن الحكمة العامة في الزيادة على الواحدة في سن السكھولة والقيام بأعباء الرسالة والاشتغال بسياسة البشر ومدافعة المعتدين دون سن الشباب وراحة البال في السياسة الرشيدة . فأما خديجة وهي الزوج الأولى فالحكمة في اختيارها ورأبها الفطرة معروفة وليست من موضوع السؤال . وقد عقد بعد وفاتها على سودة بنت زمعة وكان توفي زوجها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية . والحكمة في اختيارها أنها من المؤمنات المهاجرات المهاجرات لأهلين خوفاً للفتنة ولتوطئتهم إلى أهلها بعد وفاة زوجها (وكان ابن عمها) لمذبوها وقتلها فتركها عليه الصلاة والسلام وكافأها بهذه المنة العظمى . ثم بعد شهر عقد على عائشة بنت الصديق والحكمة في ذلك كالحكمة في الزوج بحفصة بنت عمر بعد وفاة زوجها خديس بن حذافة بيدر وهي أكرام صاحبه ووزيره أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) وأقرار عينهما بهذا الشرف العظيم . وأما الزوج زينب بنت جحش فالحكمة فيه تملو كل حكمة وهي إبطال تلك البدع الجاهلية التي كانت لاحقة ببيعة النبي كتحريم الزوج زوجة النبي بعده وغير ذلك . وقد نشر في المجلد الثالث من المنار مقالان في هذين المسئلة أحدهما الأستاذ الامام فخر الإسلام

السائل هناك . ويقرب من هذه الحكمة المحكمة في النزوح بجورية وهي ربة بنت الحارث سيد قومه بني المصطلق فقد كان المسلمون أسروا من قومها مقيي بيت النساء والذاري فأراد عليه الصلاة والسلام أن يتيق المسلمون هؤلاء الأسرى تزوج بسيدتهم فقال الصحابة عليهم الراضون أصهار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي أسرههم واعتقوهم فاسلم بنو المصطلق لذلك أجمعون وصلوا وعونا للمسلمين بسيد أن كانوا محاربين لهم وعونا عليهم وكان لذلك أثر حسن في سائر العرب

وقيل ذلك تزوج عليه السلام بزينب بنت خزيمة بعد قتل زوجها عبد الله بن جحش بأحد وحكمته في ذلك أن هذه المرأة كانت من فضليات النساء في الجاهلية حتى كانوا يدعونها أم المساكين لبرها بهم وعنايتها بشأنهم فكأفأها عليه التحية والسلام على قضائها بعد مصابها بزوجها بذلك فلم يدعها أرملة تقاسي الذل الذي كانت تحير منه الناس وقدمات في حياته . وتزوج بعدها أم سلمة (واسمها هند) وكانت هي وزوجها (عبد الله أبو سلمة بن أسد بن عمة الرسول ربة بنت عبد المطلب وأخوه من الرضاة) أول من هاجر إلى الحبشة وكانت تحب زوجها وتجله حتى إن أبا بكر وعمر خطبها بعد وفاته فلم تقبل . ولما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم «سبي الله أن يؤجرك في مصيبتك وتحلفك خيراً» قالت : ومن يكن خيراً من أبي سلمة : فمن هنا يعلم السائل وغيره مقدار مصاب هذه المرأة الفاضلة بزوجها وقد رأى عليه الصلاة والسلام أنه لا عزاء لها عنه إلا به خطبها فاحتذرت بأنها مُسَيِّئَةٌ وأم أيتام فأحسن عليه السلام الجواب — وما كان إلا محسناً — وتزوج بها . وظاهر أن ذلك الزواج ليس لأجل التمتع المباح له وإنما كان لفضله الذي يمرقه التأمل بمجودة رايها يوم الحديبية ولتعزيزها كما تقدم

وأما زواجه بأُم حبيبة رملة بنت أبي خفيان بن حرب فلعل حكمته لا تخفى على انسان عرف سيرته الشخصية وعرف عداوة قومها في الجاهلية والإسلام لبني هاشم . ورغبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تأليف قلوبهم . كانت رملة عند عبيد الله بن جحش وهاجرت معه إلى الحبشة الهجيرة الثانية فتتصر هناك وثبتت هي على الإسلام فانظر إلى إسلام امرأة يكافح أبوها بقومه النبي وينصر زوجها وهي معه في هجرة معروف سبها . أن الحكمة أن تضيق هذه المؤمنة الموقوفة بين فتنتين ؟ أم من الحكمة أن يكفلها من تصاح له وهو أصالح لها ؟

كذلك تظاهر الحكمة في زواج صفية بنت حيي بن مسطح سيد بني النضير وقد قتل أبوها مع بني قريظة وقتل زوجها يوم خيبر . وكان أخذها دية الكفاي من

سبي خير فقال الصحابة يا رسول الله أتها سيدة بني قريظة والضرب لا تصلح إلا لك فاستعصم
 رأيهم وأبى أن تذلل هذه السيدة بأن تكون أسيرة عند من تراه دونها فاصطفاهما
 وأعتقهما وتزوج بها ووصل سببه ببني إسرائيل وهو الذي كان ينزل الناس منازلهم
 وآخر أزواجه ميمونة بنت الحارث الهلالية (وكان اسمها برّة فبها ميمونة)
 والذي زوجها منه هو عمه العباس (رضي الله عنه) وكانت جعلت أمرها إليه بعد وفاة
 زوجها الثاني أبي رهم بن عبد العزى وهي خالة عبد الله بن عباس وخالد بن الوليد فلا
 أدرى هل كانت الحكمة في تزويجها تشعب قرابتها ببني هاشم وبني مخزوم أم غير ذلك
 وجهلة الحكمة في الجواب أنه صلى الله عليه وسلم راعى المصلحة في اختيار كل
 زوج من أزواجه (عليهن الرضوان) في التشريع والتأديب فجذب إليه كبار القبائل
 بمصاهرةهم وعلم أتباعه احترام النساء وأكرام كرائمهن وقرر الأحكام بذلك وترك من
 بعده تسع أمهات للمؤمنين يمازن نساءهم من الأحكام ما يابق بهن مما ينبغي أن
 يتمايزن من النساء من الرجال ولو ترك واحدة فقط لما كانت تعني في الأمة غناء التسع
 ولو كان عليه السلام أراد بتعدد الزواج ما يرده الملوك والأمراء من التمتع بالحلال
 فقط لا اختيار حسان الأبقار على أولئك الثيبات المكتبهات كما قال لمن استشاره في الزواج
 بأمة: «هلا بكراً نلاعها وتلاعيك» هذا مظهر لنا في حكمة التعمد وأن أسرار سيرته
 صلى الله عليه وآله وسلم أعلى من محيط بها كلها أفكار مثلاً.

﴿ ترك الملوك والأمراء فريضة الحج ﴾

(س ٢) — ع الأزمهر: «من المعلوم أن الحج لبيت الله الحرام فريضة عينية على
 كل مسلم استطاع إليه سبيلاً وبديهي أن أمراء المسلمين وحكامهم هم أقدر على
 الاستطاعة فلم لا يحجّون وهل هناك مانع شرعي أو ما يوجب سقوطه عنهم سبباً قد مضى
 نحو الثلاثين قرون ولم نسمع بذلك منهم حجّ أو اعتمر أفيدونا الجواب ولكم الاجر والثواب»
 (ج) لانهم لا أحد منهم عذراً في ترك هذا الركن الديني العظيم وقد كنا شدداً
 التكرير في هذه المسئلة في الصفحة ٣٨٦ من منار السنة الأولى. وإننا نرى القلاء منا
 صاروا يلهجون بهذه المسئلة ويقولون ما بال بعض ملوكنا وأمراءنا كشاه المعجم وخديو
 مصر يذهبون إلى أوروبا بعد المرة ولا يذهبون إلى مكة المكرمة فإذا كان السلطان
 عبد الحميد يخاف على نفسه من قومه الترك أو من الأرمن (دون سواهم من رعيته) إذا خرج
 حاجاً لأنه لا يتيسر له من الاحتياط في السفر ما يتيسر له في قصره وإذا كان

ساحبان المغرب الأقصى وأمسير الأفنان يخافان على بلادها من الفتن أو إقامة غيرها في مكانهما إذا خرجا من بلادها فبال غيرهم ممن لا يخشى على نفسه ولا على بلاده لا يجمع . نعم إن الحج مفروض على التراخي فلا يسترض على شخص بعينه أنه لم يجمع لحوازه أن يكون لم يؤخر الحج إلا وهو عازم عليه ولكن يظهر من حال ملوكنا وأمراءنا الحاضرين أن سيكونون كمن سبقهم من عدة قرون . ويعتقد المشتغلون بالسياسة أن السلطان عبد الحميد لا يرضيه أن يجمع شاه المعجم ولا أمير مصر وأنه يجمعهما إذا أراد ذلك ما استطاع وكذلك سلطان مراکش لأنه يخاف أن يعملوا في البلاد المقدسة عملاً سياسياً كتحويل الخلافة إلى أنفسهم فهذا كل ما تعلمه في اعتذار المعتذرين والله أعلم بالسرائر . أما الفوائد التي تكون من حج الأمراء والسلاطين لأنفسهم وللمسلمين فهي كبيرة جداً فإن الاجتماع في تلك البقاع المقدسة هو خير سبيل في تعارفهم وتوافقهم على ما فيه مصلحة الأمة مع بقاء كل منهم في أمارته أو سلطته . ونعيد ما قلناه في المنار من خمس سنين وهو أنه لو كان لخواهل أوروبا وقيصرتهم وملوكهم مثل هذا المجتمع العظيم لما تركوا الاختلاف إليه (اختلاف الشريعة باختلاف الزمان والمكان)

(د س ٣) م . ر . ه . بمدرسة الحقوق بمصر : يقول أرباب الترائع والفوازين إنه يجب في تحقيق عدالتها أن تكون موافقة لآخلاق الأمم وعاداتهم وطبائعهم ودرجة تربيتهم وأقاليمهم وأحوالهم المعاشية والاقتصادية فإذا كان الأمر كذلك فلم نشاهد سوى قانون واحد لدى الأمم الإسلامية (الشريعة الفراء) مع أنه يوجد اختلاف عظيم بين تلك البلاد في العادات والآخلاق والأقاليم ؟

(ج) إن علماء الحقوق والقوانين الوضعية إنما يضعون قوانينهم لأهل السياسة وهم إنما يجمعهم من مطالبهم حماية الأموال والأمن من الخروج عليهم لاسيما إذا كانوا من غير جنسهم وما يساعد على ذلك من منع التعدي . فواضع القانون يحترم عادات كل قوم وإن كانت ضارة كالسكر والزنا ويخص أحكامه بحفظ النظام فيه أو منع التعدي . وأما الشريعة الإلهية فاصلاح الآخلاق وإمادات فيها مقصود بذاته وأساس هذه الشريعة درء المفاسد وحفظ المصالح سواء كان ذلك في الأفراد أو الجماعات وما بينهم من الروابط والعصبات . وقد وضع الإسلام على هذا الأساس أصولاً عامة الأحكام لا تختلف باختلاف الزمان والمكان كالسواة في الحقوق وإقامة التسعة . ولو على أنفسكم أو أوالدكم والأقربين . . . وكون ردة المفاسد مقدما على جلب المصالح . وارتكاب أخف

الضررين . وجعل البيئة على المدعي وهي كل ما يتبين به الحق . وجعل الحاكم مستقلاً
مجتهداً يستنبط الأحكام مع فرض الاستشارة عليه . الى غير ذلك من الاصول العادلة
وبعد هذا كله جعلت الحرف محكماً كوضع الشرع ليراعى فيما يختلف من أحوال البلاد
والبلاد التي لا تحل بمقاصد الشريعة والدين في التهذيب وتقريب الشعوب بعضها من
بعض لتكون الامم كلها أمة واحدة

لهذا الذي أجلناه لم نلزم الشريعة الاسلامية اتباعها بالزام جزئيات الانكماش التي
صدرت في عهد التشريع كما هي بدون مراعاة أساس درء المفساد وحفظ المصالح وقد
تقدمت الأدلة على هذا في مقالات « محاورات المصلح والمقلد » فليراجعها السائل في
أواخر المجلد الثالث وأوائل الرابع من المنار ومنها يعلم ان هذا الوضع من أسباب جعل
الشريعة خاتمة الشرائع ونهاصلي الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين كما ينهض مراراً بالتوضيح
(طهارة السيرتو او الكحول)

(س ٤) علي افندي حسني بكرك السويص : قد الجأت حالة الوقت الى (السيرتو)
في إزالة ما على الملابس والطرايش من الوسخ والدهن وقد تردد الناس في طهارته ونجاسته
لشك في أصله فان كان نجساً فهل تطهر الطرايش الملتصقة به بحرارة النار عند كياها
أو بكونه سريع الطيران كما يقال ؟

(ج) قد أثبتنا من قبل طهارة الكحول بأنواعه في المنار بالأدلة بل هو أقوى
المطهرات على انه سريع الطيران ولو لم يمرض التوب على حرارة النار . والقول
بنجاسته وتنجسه تشديد مبني على فلسفة غير صحيحة [راجع ص ٥٠٠ م ٤]



الاجتماع السابع لجمعية أم القرى

(في مكة المكرمة يوم الاربعاء الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦)
في صباح اليوم المذكور استظمت الجمعية وقضى الضبط السابق حسب القاعدة المقررة
قال (الاستاذ الرئيس) مخاطباً السيد الفراتي ان الجمعية لتتظر منك فوق
عمتك في عقدها وقيامك بمهمتها التحريرية ان تفيدها ايضاً رأيك الذي في سبب
الفتور بالمحور فيه وذلك بعد ان تقرر لها بمحل الآراء التي اوردتها الاخوان
الكرام اذ احطت بها علماً مكرراً بالسمع والكتابة والقراءة والمراجعة فأتت اجمنا

لها فكر آه هذا والجمعية ترجو الفاضل الشامي والبلدغ الاسكندري ان يشتركا في ضبط خطايك بأن يتماقبا في تاتي الجمل الكلامية وكتابتها لانهما كتابي الاخوان لا يمران طريقة الاختصار الخطي المستعمل في مثل هذا المقام
نظر (الفاضل الشامي) الى رفيقه واستلمح منه القول ثم قال اننا مستعدان للتشرف بهذه الخدمة

قال (السيد العراقي) حباً وطاعة وان كنت قصير الطول ، قليل القول ، قليل البضاعة ، ثم انحرف عن المكتبة فقام مقامه عليها الفاضل الشامي والبلدغ الاسكندري وما لبث ان شرع في كلامه فقال : يستفاد من مذاكرات جمعيتنا المباركة ان هذا الفتور الملحوظ فيه ناشئ عن مجموع اسباب كثيرة مشتركة فيه لا عن سبب واحد أو أسباب قلائل تمكن مقاومتها بسهولة . وهذه الاسباب منها أصول ومنها فروع لها حكم الأصول وكلها ترجع الى ثلاثة أنواع وهي اسباب دينية واسباب سياسية واسباب اخلاقية . واني أقرأ عليكم خلاصتها من جدول الفهرست الذي استخرجته من مباحث الجمعية راعماً للاصول منها بحرف (الالف) وللفروع منها بحرف (الفاء) . وهي

(النوع الاول الاسباب الدينية)

(١) تأثير عقيدة الجبر في أفكار الامة (١) (٢) تأثير الملهيات في السعي والعمل وزينة الحياة (ف) (٣) تأثير فتن الجدل في عقائد الدين (١) (٤) الاسترسال في التخالف والتفرق في الدين (١) (٥) الذهول عن سباحة الدين وسهولة التدين به (١) (٦) تشديد الفقهاء المتأخرين في الدين خلافاً للسلف (١) (٧) تشويش أفكار الامة بكثرة تخالف الآراء في فروع احكام الدين (ف) (٨) فقد امكان مطابقة القوة للعمل في الدين بسبب التخليط والتشديد (ف) (٩) ادخال العلماء المدلسين على الدين مقتبسات كتابية وخرافات وبدعا مضرة (١) (١٠) تهوين غلاة الصوفية الدين وجعلهم اياه هواً ولعباً (ف) (١١) افساد الدين بتفنن المداجين بمزيدات ومتروكات وتؤويلات (ف) (١٢) ادخال المدلسين والمقابرية على العامة كثيراً من الاوهام (١) (١٣) خلع المنجمين والرمالين والسحرة والمشعوذين قلوب المساكين بالمرهبات (ف) (١٤) ايها الدجالين والمساكين ان في الدين اموراً سرية وان العلم حجاب (١) (١٥) اعتقاد منة العلوم الحكيمية والمقايمة للدين (١) (١٦) تطرق الشرك الصريح أو الخفي الى عند العامة (ف) (١٧) تهاون العامة العاملين في تأييد التوحيد (ف) (١٨)

الاستسلام للتقليد وترك التبصر والاستبداء (ف) (١٩) التمسك بالمذاهب والآراء المتأخرين وهجر النصوص ومسلكت السلف (ف) (٢٠) العقلنة عن حكمة الجماعة والجمعة وجمعة الحج (١) (٢١) العناد على نبذ الحرية الدينية جهلاً بتميزها (ف) (٢٢) أنزاع ما لا يلزم لأجل الاستبداء بالكتاب والسنة (ف) (٢٣) تكليف المسلم نفسه ما لا يكلفه به الله وتهانة فيها هو مأمور به (ف)

(النوع الثاني الأسباب السياسية)

(٢٤) السياسية المطلقة من السيطرة والمسئولية (١) (٢٥) تفرق الأمة الى عصابات وأحزاب سياسية (ف) (٢٦) حرمان الأمة من حرية القول والعمل وفقدانها الأمن والأمل (ف) (٢٧) فقد المدل والتساوي في الحقوق بين طبقات الأمة (ف) (٢٨) ميل الأمراء طبعاً للعلماء المدلسين وجهالة المتصوفين (ف) (٢٩) حرمان العلماء العاملين وطلاب العلم من الرزق والتكريم (١) (٣٠) اعتبار العلم عطية يحسن بها الأمراء على الأخضاء وتقويض خدم الدين للجهلاء (١) (٣١) قلب موضوع اخذ الأموال من الأغنياء واعطائها للفقراء (١) (٣٢) تكليف الأمراء القضاة والمفتين أموراً تهدم دينهم (ف) (٣٣) إبعاد الأمراء النبلاء والأحرار وتكريهم المتملقين والاشرار (١) (٣٤) مراعاة الأمراء السراة والمهاداة والتشكيل بهم (ف) (٣٥) فقد قوة الرأي العام بالحجج والتفريق (ف) (٣٦) حماقة أكثر الأمراء وتمسكهم بالسياسات الخرقاء (ف) (٣٧) إصرار أكثر الأمراء على الاستبداد عناداً واستكباراً (ف) (٣٨) انغماس الأمراء في الترف ودواعي الشهوات وبمدهم عن المفاخرة بنسب القهقريّة والمال (ف) (٣٩) حصر الاهتمام السياسي بالحياة والجندية فقط (١)

﴿ النوع الثالث الأسباب الأخلاقية ﴾

(٤٠) الاستغراق في الجهل والارتياح اليه (١) (٤١) استيلاء اليأس من الاحاقق بالفائزين في الدين والدنيا (ف) (٤٢) الإخلاء الى الحول وروحاً للنفس (ف) (٤٣) فقد التواضع وترك البص في الله (١) (٤٤) التحلل الروابط الدينية الاحتسابية (١) (٤٥) فساد التعليم والتوعظ والخطابة والارشاد (ف) (٤٦) فقد التربية الدينية والأخلاقية (١) (٤٧) فقد قوة الجمعيات وثمره دوام قيامها (١) (٤٨) فقد القوة المالية الاستراكية بسبب التهاون في الزكوة (١) (٤٩) ترك الاعمال بسبب ضعف الآمال (ف) (٥٠) اهمال طلب الحقوق العنامة جبناً وخوفاً من النجس (ف)

(٥١) غلبة التخلق بالخلق ترثقاً وصغاراً (ف) (٥٢) تضليل الارتزاق بالجندية والخدم
الأميرية على الصانع (٥٣) توهم ان علم الدين قائم في المصائم وفي كل ماسطر في
كتاب (ف) (٥٤) معاداة العلوم العالية ارتياعاً للجهالة والسفالة (١) (٥٥) التباعد
عن المكاشفات والمفاوضات في الشؤون العامة (١) (٥٦) الذمهور عن تطارق
الشرك وشوموه (١)

ثم قال (السيد الفراقى) هذه هي خلاصات اسباب الفتور التي اوردها اخوان
الجمعية وليس فيها مكررات كما يظن • وإذ كان للخلل الموجود في اصول ادارة
الحكومات الاسلامية دخل مهم في توليد الفتور العام فاني اضيف الى الاسباب التي
سبق البحث فيها من قبل الاخوان الكرام الاسباب الآتية اعددتها من قبيل رؤس
مسائل فقط إذ لو اردت تفصيلها وتشرحها اطال الامر ولحق جناس من صدد محفلنا هذا
والاسباب التي سأذكرها هي اصول موارد الحلل في السياسة والادارة الحاريتين
في المملكة العثمانية التي هي أعظم دولة بهم شأنها عامة المسلمين • وقد جاءها أكثر هذا
الحلل في الستين سنة الاخيرة أي بعد ان اندفعت لتنظيم امورها فمطلت اصولها
القديمة ولم تحسن التقليد ولا الابداع فتشتت حالها ولا سيما في العشرين سنة الاخيرة
التي ضاع فيها ثلثا المملكة وخرب التآكل الباقي واشرف على الضياع لفقد الرجال وصرف
السلطان قوة ساطعته كلها في سبيل حفظ ذاته الشرفية وسبيل الاصرار على سياسة الافراد
واما سائر الممالك والامارات الاسلامية فلا تحلو أيضاً من بعض هذه الاصول
كما ان فيها أحوالا اخرى اضرت وامرّ يطول بيانها واستقصاؤها والاسباب المراد
الحاقها ملخصة • هي •

﴿ الاسباب السياسية والادارية العثمانيتين ﴾

(٥٧) توحيد قوانين الادارة والمقوبات مع اختلاف طبائع اطراف المملكة
واختلاف الاهالي في الاجناس والعادات (*) (١) (٥٨) تنوع القوانين الحقوقية وتشويش
التضام في الاحوال المتماثلة (١) (٥٩) التمسك بأصول الادارة المركزية مع بعد الاطراف
عن العاصمة وعدم وقوف رؤساء الادارة في المركز على أسلوب ثابت الاضرب

(*) من أهم الضروريات ان يحصل كل قوم من أهالي تركيا على استقلال نوعي
اداري يناسب عاداتهم وطبائع بلادهم بما هي الحالة في امارات ألمانيا وولايات أمريكا
الشمالية وكما يفعل الانكليز في مستعمراتهم والروس في املاكهم ممن هامش الاصل

اتباعها وتنفيذها والإصرار على أن تكون الادارة نظامية اسمها ارادية فعلا . (١)

(٧٠) التهاون في مجارة عادات الاهالي وأخلاقهم ومصالحهم استجلاباً لمحبتهم القلبية فوق طاعتهم الظاهرية . (٧١) الغفلة او التغافل عن مقتضيات الزمان ومباراة الحيران وترقية السكان بسبب عدم الاهتمام بالمستقبل (٧٢) الضغط على الأفكار المنتهبة بقصد منع نموها وسدوها وإطالاعها على مجاري الإدارة محاسنها ومعاييها وان كان الضغط على النمو الطبيعي عبثاً محضاً ويتأتى منه الإغراء والتحفيز وينتج عنه الحقد على الادارة (٧٣) تمييز الاسافل أصلاً وأخلاقاً وعاملاً وتحكيمهم في الرقاب الحرة وتسليطهم على أصحاب المزايا وهذا التهاون بشأن ذوي الشئون يستلزم تسفل الادارة . (٧٤) ادارة بيت المال ادارة اطلاق بدون مراقبة وجزاف بدون موازنة واسراف بدون عتاب واتلاف بدون حساب حتى صارت المملوكة مديونة للاجانب بديون ثقيلة توفي بلاداً ورقاباً ودماءً وحقوقاً . (٧٥) ادارة المصالح المهمة السياسية والمملوكة بدون استشارة الرعية ولا قبول مناقشة فيها وان كانت ادارة مشهودة المضرة في كل حركة وسكون . (٧٦) ادارة الملك ادارة مداراة واسكات للمعتلين على معايها حذر من أن ينقلوا من الصدور فتعلم العامة حقائق الامور والعامة من اذا علموا قالوا واذا قلوا فعلوا وهناك الطامة الكبرى . (٧٧) ادارة سياسة الخارجية بالتزلف والإرضاء والمحابة بالحقوق والرشوة والامتيازات والتقود . تسفل الادارة ذلك للجيران بمقابلة تعاميمهم عن المشاهد المرونة التخريبية وصبرهم على الترواح المذنة الادارية ، ولو لا ذلك لكانت تعدد الروائح لنا وجد الحيران وسيلة لتضغط مع ما القاه الله بينهم من العداوة والبهمة الى يوم القيامة .

ثم قال (السيد الفرائي) ان بعض هذه الاسباب التي ذكرتها هي امراض قديمة ملازمة لإدارة الحكومة العثمانية منذ نشأتها أو منذ قرون وبعضها أمراض جديدة تزول بزوال محدثها وربما كان يمكن الصبر عليها لولا ان الخطر قرب والموت قريب .
القلب كما أشار اليه الاستاذ الرئيس في خطابه الأول (٣)

• غاية المذاهب التي تستوجب ان لا تسقط انكاسة عن الدافعين واستخدام قضاء بالرسوم ورواتب جزئية جداً . (١) تعطيل بعض احكام الشرع كإحراق حرمات النظامية فمع كثرتها البالغة عنترات الوف قضايالم يتفق الى الآن اجراء شيء منها . بعض مايتعلق بسباب الاموال (٢) أشار حضرة الرئيس وهو الاستاذ المكي في خطابه

ثم قال ويلتحق بهذه الاسباب بعض اسباب شتى انفصلها بعد تعدادها الحاقاً بالخلاصات . وهي

﴿ اسباب شتى ﴾

(٧٨) عدم تطابق الاخلاق بين الرعية والرعاة (٧٩) الفرارة أي الغفلة عن ترتيب شئون الحياة (٨٠) الفرارة عن لزوم توزيع الاعمال والأوقات (٨١) الفرارة عن الإذعان للاتقان (٧٢) الفرارة عن موازنة القوة والاستعداد (٨٣) ترك الاعتناء بتعليم النساء (٨٤) عدم الالتفات للكفاءة في الزوجات (٨٥) الخور في الطبيعة أي سقوط الهمة (٨٦) الاعتزال في الحياة والتواكل

أما عدم التطابق في الاخلاق بين الرعاة والرعية فله شأن عظيم كما يظهر للمتأمل المدقق في تواريخ الأمم من أن أعظم الملوك الموقنين والقواد الفاتحين كالإسكندر بن وعمر وصالح الدين (رضى الله عنهم) وجنكيز والفتح وشر لكان الألماني وبطرس الكبير وبونابرت لم يفوزوا في تلك العظمى إلا بالعزائم الصادقة مع مصادقة تطابقهم مع رعاياهم وجيوشهم في الاخلاق والمشارب تطابقاً تاماً بحيث كانوا رؤساً حقاً لتلك الاجسام لا كراس جل على جسم نور أو يأمركس . وهذا التطابق وحده يحمل الأمة تعتبر رئيسها رؤساً فتتفانى دون حفظه ودون حكم نفسها بنفسها حيث لا يكون لها في غير ذلك فلاح أبداً كما قال الحكيم المنني

أما الناس بالملوك وهل يفلح عرب ملوكها عجم

ومما لاخلاف فيه ان من أهم حكمة الحكومات أن تتحقق بأخلاق الرعية وتحدد معها في عوائدها وشاربها ولو في العوائد غير المستحسنة في ذاتها . ولا أقل من أن تجاري الحكومة الاجنبية اخلاق الرعية ولو تكلفاً وقتياً الى أن تتوفق لاجتذابهم

الاول للحالة السيئة في الحجاز من فقد الأمن في بلد الله الامين . والجور الفظيع الذي يقع على أهل الحرمين وزوارهم من تنازع السلطات الثلاث الامارة والولاية والعسكرية وتقسيم ذات من الاحوال التي لا تطاق وصار يتشكى منها عامة الحجاج لاسيما الداخلين تحت ساطة الاجانب وهو السواد الأعظم من المسلمين ولا غرو ان هذه الحال تستدعيهم لان يدعوا حكوماتهم لامتداحة في شؤون ادارة الحجاز لأجل حصولهم على الأمن والراحة وحينئذ لا قدر الله ينفاني العرب دون حفظ بيضة الاسلام كما تقانوا قبلاً وحدهم في دفع الصليبيين عن المسجد الأقصى . اهن هاشم الاصل

تعليم الاطفال اليونانية واللاتينية

السُّرُورَةُ النَّاسَةُ مِمَّهْ هَبْرِيَّةُ الرُّكُورُ الرَّاسِمُ^(١)



تعليم الاطفال اليونانية واللاتينية وقرائهم كتبهما

سأطرت مع هيلانة عبر مرة في ضرورة تعليم «أميل» «تيك» اللغتين وإقراءته
 . . . ألف ميم . من الكتاب . وانت ذاكر لك من هذه الشاطرات الاممخسها فأقول :
 الواجب أن يرى كل طفل تربية من ينبغي أن يكون من كبار الرجال فذلك هو
 السبيل التي يعض بها عامة الناس ويغناز عنهم في مستقبله ولهذا كان حقاً على المربي أن
 يعرف طبعه ويبحث في دسروب . مبله . وتجسب . أنواع استعداده العقلي . ولما كان
 التمييز والامتيان بخصال في هذه النشأ كيميائيات مختلفة ويتلآن بصرف شئ كان أول
 فرض على ان بحث في هذه الطرق عما يلائم طبعه ويناسب استعداده
 فالذي أعنيه في طريقه امرين عندنا هو إغذاء ما للناشئين من القوى وضروب
 الاستعداد البدنية وعدم فقها في شيء من التربية . ذلك أن ترى بعض الناشئين
 مثلاً قد ولد له حالة يصعب في الأرض . شيبات قافها وأخص حاحقه فيما خلق لأحادي
 هي معرفه لغات . فحينئذ . هم بها مع الأجانب في بلادهم فيبدأ المربون بتعليمه لغتين
 . ههـ . بين انقصع التحاطب هما من على وجه الأرض . وترى آخر خالق مبالاً إلى
 . معرفة علم القوى . الحركة . وقم بين التوازن (الميخانيقا) يلقون به في بحر من التشتت
 ما له من قراره . وتجسد ماأعد للتجارة والاعمال . بحر الزراعة لا يراعى ما لكل منها
 من دليل إلى ما أعد له . ان يجمع في حقهما ما قضت به العادة وجرى عليه العرف وهم
 . لا يبدون . ريد الأسمر . بالعم في هذه النشأ من سخطه في المدرسة ثمان سنين . كما
 . . . من مناهي التلايدية . يونانية من يقضى عليهم بأن لا يستعملوها في حياتهم لأنها
 . . . من المدارس . شغلوا بصالحهم قل . وأبى الحق أن يخطو بخطهم فاصبح
 . . . فريحي (١) . أم ديون . غير (٢) . والعم في حقهما البالية التي فضوا في هذا العنصر
 . . . من ساعات التشتت والسأم . وانت أقصد بقولي ههنا . بحر يد أي معرفة من



معارف العقل كالشئ ما كانت من الفائدة مطلقاً ولكن لا حرج علي ان الترتيب في ان
ما يحصره كثير من التلامذة من زعمهم في تعلم نيك الاغنيين لا يسوي ما يعود عليهم من
الفوائد بتعلمها

أنا اعلم كل ما للمتخصص لهم امن وجود الاحتياج على ضرورة تعلمهم فلهذا
يقول ان معرفتنا حاسة سادسة التاثير وبسطها دقائق آداب لغتنا وله لا يبعث احد
من الناس انكار ما كان لطلعه الكتب القديمة للذات فبهما من التمكن المتألف في تعلم
التأشبين الذين ينفذوا ببيان معارف الاقدمين حق الفدية ان مطالعة هذه الكتب
تخلصنا من شوائب وقتنا الحاضر ونعارض عصر الذي نعيش فيه بالبر والنجس
درجات التقابل بينهم وانتقل اهد الحقائق الثابتة دون غيرها كصوره طاب وما
واعاد من عقائد الخيال وتسيره وضع الضعف فينا بحجج الجمل الطاهر بدور
يعبر من طبيعتنا شيئاً ثم ان نبدأ اهل تلك العصور عنا وبأياتهم لنا في الاخلاق والعوائد
فما بساعدنا ايضاً على ان نبصر من خلال كتبهم الشعرية وراء التهي الكمال المتعلم

وفوق ذلك فان هذه الكتب حافلة بالاشعار الوطنية التي من آثارها ما
في عهد الجمهورية الجليل من احتار الملوك وجر ذيل الجلال عليهم فلقبت بفت سحر
هبت من رومة او من اينا في انارة بغض السلطان المطلق فلو بنا في اقرن الثعنين
عشر فان حكماء هذا القرن وزعماء الفلة الفرنسية فيه قد سادوا بما دعوه من
الكتب المدرسية اصاح الصور لا يقاط العقل واث روح الحياة السياسية في النفوس
وكان لحيالات المايرين في ذلك الجهاد الذي قام في سيدل الثاني من السلام ما كان
الاحياء انفسهم فلا تقل لاني خرافوس (٣) وبرنوس (٤) قد اوتيتهم قديمه
بل هم احياء يمينونا على كفاحنا وبما سدونا في جهادنا وبه من انصوات
ويشهدوننا من اساهم ما يقوي عنيتنا على السعي وراء الحرية التي هي غاية النفوس الالهية
لا انزع في ان معرفة اليونانية واللاتينية قد تكون من الرغبات النفسية المفيدة

(١) فرجيل هو شاعر لاتيني شهير ولد سنة ٧٠ ومات سنة ١٩ قبل المسيح

(٢) عميد شعر امراء اليونان الاعداء لا علم مكان ولادته ولا تاريخه

كذا كتب العرب والمصريون «درونه» «مرون» وكتب بالعلم الافرنجي «هوميروس»

Homer-ere «هوميروس» حاكم روماني شهير في اسبانيا ورزق بولدين «هوميروس»

بمراقبين وكان من مميزات «هوميروس» ان له خمسة قتل ايسر الروماني

ولكنني أقول إن لرياضة النفس وتربية العقل طرقاً شتى وإن من الظلم الفاحش قصر معنى التعليم على فرع واحد من العلوم فقد يكون الانسان علماً يشار اليه بالبنان وخطيئاً باهر اليان وسياسياً حذيف الجبان (وفي أمريكا ما يشهد لصحة ذلك) وهو لم يقرأ في حياته كتب أرسطو « ١ » ولا ديموستين « ٢ » ولا شيشيرون « ٣ » بلغة التي ألقت بها . ذلك ان مراقبته بنفسه الامور ومعاملته للناس واختلاطه بهم ودراسته لأدب لغته واستعداده الفطري كثيراً مانفذه عن الزخارف المدرسية فأني هو ان الاحوال التي تحف بالطفل وما يكون فيه من القوى والممتلكات الذاتية هي الواجب التمويط عليها في تحديد الطريقة التي ينبغي سلوكها في تربيته فان طرق التعليم انما اوجدت للاحداث ولم توحد الاحداث لها

لما أعانم حق العلم ضرور استعداد « اميل » ولا حالة عقله حتى أحكم على البق أنواع التعليم به وأشدها ملائمة لطبعه والذي أتمناه له هو ان لا يكون بعيداً عن العلوم ولا عن آداب اللغة ولست أرى من وجوه الاعتراض على الجمع بين هذين النوعين من المعارف سوى ما تخفيه تعلم اليونانية واللاتينية من الزمن فان اتفق سبع سنين أو ثمان من العمر في تحصيل لغتين مهمتين محصيلاً في غاية النقص غالباً هو اسراف كبير في عصر لا يحصل الانسان فيه متوسط المعارف الضرورية إلا بانفاق معظم حياته واني باحث الآن فيما اذا كانت اشاعة ذلك الزمن الطويل في تحصيلهما لازمة لطبيعة الصعوبات التي يصادفها التعلّم فيه أو انها ليست من لوازمها وان من اليسور التغيير فيها والتقليل منها

أول سبب فيما أرى اطول مدة تعلم هاتين اللغتين هو إفراط المعلمين في تعجيل تعليمهما للأطفال لانهم يبدأونهم به قبل ان يكونوا تعلموا أو راهبوا شيئاً بأنفسهم فتراهم لجهاهم كيفية صوغ الالفاظ وتركيب الاساليب التي هي قوالب المعاني لا يكادون يهتمون بأنفسهم نفسها مضبوطة ولحسبهم بين حدران المدرسة من نعومة أطفالهم اعتادوا اعتبارها سحناً تتعاقب عليه الاحيال الناشئة تكثيراً لئلا يجهل آباؤهم الاوان فهم

واما قانون ايقافهوه حفيد قانون القديم وهو ضابط روماني شهير كان من حزب بومباي وبعد ان شهد معه واقعة فرسالا انطالق الى أفريقيا وقتل نفسه « ١ » أرسطو حكيم يوناني مشهور « ٢ » ديموستين أشهر خطيب يوناني أنار مقدونيا عن فليبوس وألب أنها على الاسكندر « ٣ » شيسرون أشهر خطيب روماني

في سلامين ١٠ ويشهد خلف بومباي ٢٠ واقعة فرسالا . ولا يسبقن الى خاطرك ان هذا الوجود الفكري فيما غير من الزمن ليس هو الا وهماً محضاً فانه لا شيء مما كان في الماضي قد مات موتاً تاماً

لم نجد طريقتهما في تعليم اللغتين اللاتين نحن بعدد الكلام عنهما نفساً فانها لا تزال عليها مسحة من تعليم القرون الوسطى وهي التي طبعها عليها القسيسون والرهبان اذ لا تزال العقبات تقوم في سبيل دراسة آثار الاقدمين دراسة صادقة واولها ما للدين المسيحي من الاوهام والواسوس في آلهتهم التي تراءى على قهره اياها لا يزال يعتقدونها مضرة حتى في انزاعها امامه فان رجال هذا الدين مع استنثارهم على توالي القرون بالثقافات القديمة واحتكاكهم معرقها كانوا يُعْنَوْنَ في تعليمهم بايزهق ذلك الروح الذي اُلمهم الصناعات ما ظهر على ايديهم من تحف الصنائع وطرفها وكانت فنون الوثنيين و آداب لغاتهم من الفنائم التي اهتم أولئك الرجال بحفظها غير انهم كانوا يجترسون كل الاحتراس من اظهار آخرها اكتشفوه من أسرارها للأحداث وكان من مصاحبتهم ان لا يزالوا عن تلك الاسرار الاطرافاً من حجبها لانه كان لا بد لها ايضاً الخلف من آثار السلف ان يرددهم يوماً ما الى عبادة الطبيعة وجمالها ومن أجل ذلك كان رؤساء الدين لا يتناون يذكررون الناشئين بان آلهة الوثنيين آلهة باطلة لا أصل لها الا الكبرياء والكذب وأنه لا ينبغي النظر اليها الا من بعيد مع الاسترشاد في ذلك بهدي الدين المسيحي أنا لا أحتس كل هذا الاحتراس في تعليم « اميل » تلك اللغتين واقراءه كتبها لانه لا بد لمن يزاول دراسة أمر من الأمور ان يكون له فيه شيء من الاعتقاد فما حصره لو انه اخلص في الاشتغال بهرقل (٤) وأعماله ومن ذا الذي يتقم منه ان قدم فرساناً الالهات العفيفة (٥) ولمزوة (٦) الحكمة الابسية فان في كشف حقيقة الاشخاص الحرافين الذين وجدوا في خيال الاقدمين وكانت حياتهم ملائمة كل الملائمة لخيال

١٠ سلامين ونسعى الآن كولووى هي جزيرة في خليج أمينا ٢٠ بومباي قائد روماني شهير له غزوات كثيرة كان فيها ظافراً ٣٠ فرسالا مدينة باقليم تاسيا القديمة من بلاد اليونانية هزم فيها قيصراً يوم الاماند بومباي (٤) هيرقل بطل خرافي مشهور بأعماله العجيبة (٥) الالهات العفيفة في أساطير اليونان هي الالهات الفنون التسمية بنات المشتري (٦) مبروة هي في الاساطير المذكورة الالهة الحكمة والفنون والحرب

اليافعين وازالة الوهم من عقول هؤلاء في شأنهم في ذلك تعجيلاً بزعرعة عقيدتهم في النوع الانساني . ولا يظن ظان اني أقصد بما أقول ان أوقف « اميل » عند الوثنية قاني اما أريد بهذا القول انه لا بد لمن يريد التفوذ الى أسرارها قوم من اختلاس آلهتهم . اهـ

﴿ مقدمة كتاب الاسلام والنصرانية ﴾

« أَتَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدَّاهُمْ بَالِي هِيَ أَحْسَنُ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَكِبِينَ »
ظهرت في العالم مدريسات ثم خفيت ، ودُرِسَتْ فيها العلوم والفنون ثم دُرِسَتْ ، وصِلحت أحوال الأناسي ثم فسدت ، وظلمت فيهم أقدار الهداية الدينية ثم خُسفت ، ولم يزل الناس في قيام وقعود ، وهبوط وصعود ، والأثم في تلاش وقناء ، ونشوء وارتقاء ، حتى استعد المحمود في جلته لارقي العالم ، ففتح الله تعالى دين الاسلام ،

جاء الاسلام والعالم كله في تأخر من جميع الوجوه — من جهة الدين — من جهة العلم — من جهة المدنية — من جهة السياسة — فتم يمر قرن واحد حتى جدد للعالم كله ديناً قيماً ، وعالمًا محكمًا ، ومدنية سعيدة . وسياسة رشيدة ، ونشر ذلك كله في مشارق الأرض ومغاربها بقوة الحق . وسرعة البرق . فتغير به وجه الأرض وفتح في الانسان روحاً جديداً أعطاه من جراتهم الحية ما لا يقبل القناء ، ما دامت الأرض والسماء ، (١) ينبوع تغبر في أرض وقاض مأوّه على غيرها فأحيا الأرض بعد موتها ولكن القائمين على حراسته وتماهدد وضعوا فوقه أنقاضاً من خرائب جيرانهم ففيض للماء وما بقي منه صار مستنقعات تُجْوى . لم يلبث بعد ما غاض أن قاض منه شيء في

(١) بينا ان اركان الاصلاح الاسلامي غير قابلة للهدم في مقالات متعددة نشرناها في مجلدات المنار كمقالات « الاصلاح الديني » والمقالة التي فاتحناها « وما كان ذلك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » ومقالات « ساجدة مشيخة الطاريق الروحية » وفيها الكلام على فساد الاسلام السلطنتي الساسية والدينية وجعل الناس سواء . وكل هذا في المجلد الأول . ومقالة « الجنسية والايانة الاسلامية » في المجلد الثاني ومقالة « اعادة مجد الاسلام » ومقالات « مدنية العرب » في المجلد الثالث ومقالات الحكومة الاسلامية والقضاء في الاسلام في المجلد الرابع

مواضع أخرى فانتقم أهلها به وحافظوا عليه ولكن الأكثرين منهم لا يعرفون من أين جاءهم كما أن أكثر أهل النرويج المتدينين إليه بالاسم لا يعرفون أن ذلك الماء الذي تقبج في تلك المواضع قائماً أهلها به حدائق ذات بهجة هوم من ماء ينبوعهم. وأنهم لو أزالوا عنه تلك الانقراض لفاض ورجع اليهم خصيمهم ونماؤهم كأحسن ما كان. لأنهم تعلموا من غيرهم كيف يستخدم الماء للحياة.

فذلك مثل المسلمين اليوم مع الأمم الغربية الحية الراقية. أخذ الغربيون من الاسلام كل أصول الإصلاح الذين هم فيه وهم يقولون: الاسلام عقبة في طريق كل اصلاح. يقولون للمسلمين: ان ماءنا صاف بقي يحيي البلاد والباد وماءكم آسن أجاج أحدث مستنقعات أهلك الحرث والنسل. فكيف يستوي الماءان، وقد اختلف الاثران، منهم من يقول هذا معتقداً، ومنهم من يقوله متقدراً، ونحن ساكتون عنهم، لأننا جاهلون بأنفسنا ومنهم.

ما كان الله ليدبر المؤمنين على ما أتم عليه حتى يبرز الخيث من الطيب. ويظهر الحق من الباطل. فتقوم الحجة على الجاهل بدينه ونفسه، والمكار لو جدانه وجسه. لتعلم يتقون أو يحدث لهم ذكراً، فيرجعوا الى أصول دينهم وهو الأولي بهم والأخرى. فقد أعدهم بنوائب الزمان، وصرّوف الحدائق، لأن يمترقوا بدينهم، وينبؤوا بالتدريج الى رهم. اذا ظهر فيهم علماء ربانيون، وأطباء روحانيون، يعرفونهم بحقيقة الداء، ويعصفون لهم الدواء، وما طلب الانسان بالسان استعداداً شتاً من مولاه، الا فضل عليه به واعطاه اياه (١).

هذا يحذر الله للمسلمين حكماً من الاعلام. واماماً من أئمة الاسلام. يطب قديمهم، ويحجج ما عرق من آرائهم. وقد كتب في هذه الايام كتابة جليلة في العلم والمدنية، بالنسبة الى الفيلسوف النصرانية والاسلامية. رد فيها على أحد كتاب المذبحيين قوله ان المسيحية كانت أكثر تسامحاً مع العلم من الاسلام وان الاسلام أكثر اضطهاداً للعلم والفلسفة من النصرانية. وبين في آخر ما كتبه حال المسلمين السوءى وعدم موافقتهم لما تقتضيه طبيعة دينهم فبرأ الاسلام وساقه من الملام ولكنه لم يبرأ المسلمون المذبحيون بل دهم على حقيقة دائهم وهداهم الى طريقة مداحية والخروج منه باذن الله تعالى. ولعصري انه أنذر فأعذر ويرى من وعيد الكتمان. نحن اهتدي فاعلمهم يدي نفسه ومن سأل قائماً بفضل عليها.

(١) راجع مقالة «الاصلاح والاسعاد» على قدر الاستعداد» (ص ٤٦٨م).

وبني هذا في المقدمة إجماع لشبهات ذلك الكتاب وقد عرفها القراء من قبيل كما عرفوا الرد عليها فلا حاجة لذلك هنا. وقد تم طبع الكتاب وإصداره وعنده قروش صحبة وأجرة البريد في مئتين ستة عشر قرش (٦ مليات) ويطلب من إدارة المنار بمصر

باب الزعماء والادراء

سعي في الوفاق الاسلامي الانكليزي

علم القراء من المقدمة الافتتاحية في هذا الجزء أن من الفائدة الكبرى الاسلام والمسلمين ان يعرف أهل أوروبا حقيقة الاسلام لأهم متى عرفوا حقيقة يعرفون حقيقته وفضله فيكونون نصراء له وتقل مقاومة حكامهم لأهله ولا ريب ان من عرف منهم هذه الحقيقة يكون أقدر منا على تبريقهم إياها بصورة يقبلونها. ككلاير تابل عاقل في أن معرفة الانكليز بالاسلام تكون أنفع للمسلمين من معرفة غيرهم من الاوربيين لأن للانكليز سلطاناً على الشعوب الاسلامية ليس لغيرهم مثله أو ما يقاربه ولأهم أقرب الأمم الأوروبية الى أخلاق الاسلام وفضائله وأرجاهم لفائدة أهله

بعد التذكير بهذا نقول ان الحاج عبد الله براون الانكليزي الذي اهتدى الى الاسلام من عدة سنين وثبت عليه ومازج أهله توجهت نفسه الى القيام بخدمة سالحة لأهل دينه الذي اهتدى اليه ولأبناء جسده الذين ثبت فيهم وذلك بأن بذل جريدة انكليزية في مصر غرضها الأول التوفيق بين مصالحة الانكليز ومساعدة المسلمين في مصر وفي المستعمرات الانكليزية كالمغرب وغيرها. وقد سافر الى الهند بمساعدة أهل الغيرة والجدية من المسلمين الذين يعرفون قيمة هذا السعي ليعرض رأيه على كبار المسلمين هناك ويستعدهم في الاعتماد عليه. وقد بلغنا ان لاورد كره من مراتب الى هذا العمل ومساند عليه ورجى من كبار عقلاء المسلمين في الهند أكثر مما يرجى من عدائهم في مصر ماداً وإرفاداً.

ومما يدلنا على ان هذا العمل يرجى نجاحه أنه رأينا الحوادث قد أعدت النفس من أجله كما نرى من الكتابات الكثيرة التي دلت على توجهه حكام الانكليز وكبارهم في هذه المسألة الى الحرية المالية الاستقلالية والتعظيم التسامح وقد عرفت ان أولئك الذين يعرفون المسلمين كما عرفوا بالاختبار سوء مقبة ماجرى عامه أحداث السياسة عندهم من الالتماس بسبب الانكليز وشتمهم وجعل حسنتهم

سينات فرجع المصريون الى رأي اخوانهم مسامي الهند الذين حاربوا قبلهم معاداة القوة ثم رجحوا فصرفوا فائضة المسالمة وهو أنه لا أنفع للمسلمين من التوفيق بين مصالحهم ومصالح الانكليز والعمل معهم بالصدق والإخلاص وكل هذا من مقدمات مجد الاسلام المستقبل « والعاقبة للمتقين »

﴿ مابعد الاستشارة ﴾

استشرنا قراء المنار في نشر ما جاء في سجل جمعية ام القرى من معائب السياسة والادارة في دولتنا (ايدها الله تعالى) فكتب الينا بعضهم يحزم بوجوب نشر السجل كله ليعرف محبو الاطلاع اسباب الفتور السياسية كما عرفوا غيرنا . ولم يكتب الينا احد قط باستحسان عدم النشر ولكن بعض اصدقائنا قالوا لنا شفاهاً انهم يرجحون عدم النشر لئلا ينفر الحب الجاهل الراغب في بقائه على جهله من المنار ويظن أنه ينفر عن الدولة العلية التي هي أعظم دولة اسلامية . ولكننا رأينا ان انتفاع الجمهور بعلم كل ما يقال عن الدولة أولى بأن يرجع على انتفاع ادارة المنار من رضاء محبي الجهل عنها . اما الانتفاع بما نشر فهو ان نشر مثل هذه الافكار هو الذي يقع الترك والعرب وسائر المسلمين بأنه لا شيء اضر عليهم من حبل الرابطة الإسلامية استغناء بالروابط الجنسية . ويعتبر ان مولانا الساهان عبد الحيد (وفقه الله تعالى) مقتنع بهذا المعنى كما قطع به من قبل اعظم سلفه (السلطان سليم ياوز) ولذلك ترادى اعتمادهم على ابناء العرب اكثر من غيرهم ولو كان قادراً على ازالة الجنسية التركية لأزالها فيما يظهر وقد رأينا كثيرين من عقلاء الأتراك مقتنعين بهذا الرأي اعطاهم المشير مختار باشا النفازي . ولو لا انهم عرفوا مضر الجنسية وعرفوا ان عقلاء العرب عرفوها لما اقتنعوا بها . ولا يجوز ان يحملنا ما ورد في سجل الجمعية على بغض الترك فنزيد في ضرر الجنسية وإنما يجب ان نسعى في ازالة الجنسية والرجوع الى الرابطة الإسلامية وحدها . على ان ماذكر من بغض الترك واحتقارهم للعرب ليس عاقبة فهم وإنما هو شحنة من افسدتهم السياسة الفاسدة وكثرهم اخلاط في الأصل من الأجانب والعناصر الغربية . وقد بلغنا ان الترك العريقين في الاناطول يتبركون بالعرابي اذا رأوه ويحذرونه لأنه من بلادنا صلى الله عليه وسلم وان كان في شخصه وضيق سافلاً . ويكادون يبعدون من يتنسب الى آل البيت عليهم السلام

في الجرائد والمجلات والمشترون

يكتب الينا كثيرون يطالبون الاشتراك بالجملة بما دون القيمة المعروفة لانهم لا يمانون

ولأنهم فقراء ومنهم من يصف حاجته الى النار وضيق ذات يده المنافع من دفع جميع الاشتراك وصفا غريباً ولا شك ان منهم من يستحق ان يسمح له بما يربح لانه صادق في استعمال دفع خبرين غريبين من رواية واحدة لانه فقير اليه ومنهم من مجرم ان يساعد على اطاعة شيخ لا يملكه من النفس غني اليه وقد يشبه هذا بذلك فان لم يشبه فان الثاني يحكي على الاول

كناجياتنا قيمة الاشتراك لطلاب العلوم ٤٠ قرشاً فرأينا العلماء وأساتذة المدارس واطارها لا يدفعون الا ٤٠ قيساً على التلاميذ والطلاب بجامع الاشتغال بالعلم ورأينا بضائع لشارعين وجميع من خرج من المدارس الى الوظائف بأنواعها لا يدفعون الا ٤٠ عملاً بقاعدة الاستصحاب القوية أو جراً مع حركة الاستمرار الطبيعية . وهذا يضيغ حق النار بين القاعدة القوية والدون الطلبي بسوء التسلط . وإذا حملنا المقتر سبباً للرضى بنصف الاشتراك وكان كل انسان هو المعرف للفقير وإذا كان أكثر الاعيان اخصيين مع هذا لا يخفون بالعلم والدين ولا يعطون من يتقدمهم فلا شك أنه لا سلم لاصحاب الحرية خسة في المئة من المشتريين يدفعون قيمة الاشتراك كاملة وإذا علم به هذا ان الفقي والفقر والعلم والتعلم سواء في المثل أو الارباح في دفع قيمة الاشتراك ولو الى آخر السنة وأن بعضهم يستعمل أكل من الجزاء والمجلات . ان مختصين للجزائد منهم من يقتدي ببعض المشتريين باستحلال أكل ما يحصله كما دفع حراراً ومنهم من يشترك صاحب الجريدة بالتخمس حتى كأن المال غنيمة والحصل هو السلطان أو بيت المال — فان العالم بذلك يجبل ان يطالب الاشتراك بنصف القيمة في مجلة يمنع صفحات مجلاتها في السنة نحو ألف صفحة وسرف صاحبها في تأليفه سنة كاملة (النار) أقل مجلات النظر الشهيرة ثمناً فيها ما ثمنه في السنة جنب . ومنها ما ثمنه ٨٠ ما ثمنه ١٠٠ وما ثمنه ٦٠ . ونحن هذه المجلات أصغر من النار حجماً وربما كان الناس فيها أقل فالتاريسا تشتغل عدة ساعات في البحث عن حديث واحد لتعرف جميع مخزونه . وما قبل فيه فاميد او مجموع ما تقدم منه حرمه من الذين طاب له الاشتراك صاحب الدار على عدم محله لهم والاعتذار لكن واحد منهم . وقد كتبنا هذه البنية من اجل انهم ياتون على النار استمعوا من طابع النار لا قبل من احد الاشتراك . ان من عهدين قرشاً في السنة فبسة بجوا وبرجوا . ومن علم باليهين أنه يستمر عليه ان يوفى من ثمنه في السنة حدين قرشاً يجملها ثمناً مجلة يجب ان يقرأها ويرجى ان ياتع بها فلتا يرسل اليه المنار بل ثمن

فبشر عبادي الذين يسمعون القول
فيؤمنون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المعجم

بؤنوا الحكمة من بشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر الخميس ١٦ شوال سنة ١٣٢٠ — ١٥ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٣)

في باب العقائد

« رأيت في علم الكلام » وطريقة في إثبات الوحي

(لعالم عامل وكاتب فاضل)

سلام عليكم أيها الفارثون ورحمة الله وبركاته . وانعامه واكرامه .

هذه كلمات قليلة قدمتها لكم على صفحات هذه المجلة النافعة . اشير فيها لبيان شيء من حال علم الكلام وأختمها بذكر طريقة سهلة للسالك قربةً للآخذ في إثبات الوحي .

— الذي وعاني لتحرير هذا —

كيفما التفت الإنسان بحسه أو فكره لا يجد شيئاً إلاّ وشيئاً آخر
يقابله هو ضد له . وكيفما قلب لا يلقى نفسه إلا بين شيئين يسمى أحدهما
« المحبة » والآخر « النفرة » . وكيفما تحرك فهو إما طالب لما يحب وإما
هارب مما يفر . يا ويح الإنسان الذي يشغل مدة حياته بالطلب والهرب .
ثم يا ويحه حين يرى لما يطلبه طلاباً كثيرين يزاحونه وينازعونه . ثم حين
يجد نفسه غير مستقلّ فيما يحب ويشر . يحب شيئاً ، فيعاقب ، ويكره شيئاً
فيعاقب ، ثم يا ويحه حين يعلم أفراد نوعه متضادين ومتجادلين من أجل التضاد .
هذا الجدال قد يخدم بين الأخوة بني النوع من أجل الاحتياج
الذي فطروا عليه وقد يكون الاحتياج دواءً مسكناً من هذا الظلم .
وطالما شوهدت أشياء مثل الاحتياج تكون داءً ودواءً

من أجل الاحتياج يتفرق النوع ويتخالف ، ومن أجله يلتزم ويتعاون ،
وليس كل احتياج منشأه الضرورة بل كثير منه منشأه حب التميز . ومن
فضل الخالق أن جعل كلاً محتاجاً ومحتاجاً اليه . المَطْعَمُونَ محتاجون
للخاسين ، والكاسيون محتاجون للمطعمين ، والفریقان محتاجان للباينين ،
والثلاثة محتاجون للباينين ، والاربعة محتاجون للحافظين ، وغول الكل
محتاجون للآيات ، وآيات السكبي محتاجون للمعول ، والسكبي حريصون
على حصص الآيات ، والآيات محتاجون للشارعين الذين يبينون

الحدود والحقوق، والكل محتاجون مع العمل الى العلم والمعلمين، وفي هذا كله حكم عرفها من عرفها. وجهلها من جهلها ما اوجنا مع هذا الاحتياج والتعاون في لوازم الحس الى التخاب والتعاون في لوازم العقل في الاسف لم نر انفسنا الا على هذه الحالة متفرقين وما نحن ابتدعنا الفرق بل كان قبل ان كانت اشخاصنا وسيبقى الى من بعدنا ليس علينا دفع الخلاف ولا تقوى نحن عليه. ولكن علينا ان لا نزيده كما زاده المتعاملون المطاعون في حياتهم والمتبعون بعد موتهم. اولئك الذين يكذبون على الناس صفاء فطرتهم، ويفسدون عليهم سلامة تصورهم، بل علينا ان نجهدي في تخفيفه وذلك لا يكون الا بصقل العقول من صدى الاوهام فقلنا مجاهدة الاوهام واهلها مبلغ جهلنا. وما اجل هذه من وظيفة نشكر عليها المحيط المقسم الممد الذي جعل لنا منها نصيباً. وآثانا عليها عوناً. واحسن جلاء للعقول هو ازالة سيطرة المتعلمين عنها (فهو الصدا العظيم) واستمالها في فهم اسرار الكائنات وحكم الشرائع. وافضل عون لها في بلوغها في هذا السبيل هو الدين الخالص من شوب الناس. ذلك لان البشر منذ القديم كذبوا العقل بتصورات سقيمة في شأن الموجد الاول فالدين يرشد لا سلم. وحمدا النفوس على عادات قيحة ضارة سموها عبادات فالدين يهدي لأجل وانفع. وحملاها مثلاً من القوانين الجائرة فالدين يوصي بأعدل. وزيروا لها اخلاقاً فاسدة فالدين يدل على اصالح. لكن الناس اصناف مصنعة اكثرهم يميلون لما هو ضد الخير ونحن ننوهم الى الرذائل الخارجة من حد الاعتدال في كل شيء كما هو داب الذين خلوا من قبل. فمن يتمسك بالدين البتة فلا غلام فيه هبنا. ومن تمسك

فيه تراهم في منابرته على نوعين - نوع يغايرونه بالفعل ويتمسكون منه بالاسم وهم الاكثرون ونوع يغايرونه بعلوم يحدثونها يُبَصِّرون الناس فيها انهم اولياؤه . فلما الذين يغايرونه بالفعل فالوظيفة معهم الوعظ والتذكير . واما الذين يغايرونه بما يحدثونه فالوظيفة معهم وظيفة الماقل مع العاقل في الدعاوي والبيئات . وتحقيق الحقيقة ويطل النلط .

ولما عرفت ان الدين كلام يفهمه الماقلون ، ولا يحتمل ما يعزوه اليه المتفردون ، حرصت نفسي على كشف حال كثير من العلوم المحدثه فأقول ما لها وما عليها ليعلم طلابها ما يضرهم وما ينفعهم . ذلك منذ علمت ان سادتي في ان اكون مخلص القلب للمجتمع الانساني ، القائم على ناموس رباني ، وان اكون شاكراً انعم العالمين بما ينفع الناس ملتصاع من عرفوا النعم فشكروها ، و اوجهلوها فاستعرفوها ، فامراً عن كفر و اباها واستيقنتها انفسهم . فهذا ما دعاني اليوم لتحرير هذه الكلمات الشارحة رأياً في علم الكلام . وطريقة في إثبات الوحي .

تمهيد وتقسيم

هذا الإدراك الذي اوتي الانسان لم يقف به عند استعراف ما قطعة ويكتسبه ويأوي اليه بل ساح به من عالم الشهادة الى عالم الغيب = من عالم الحس الى عالم الخدس =

يسأل الانسان نفسه نفسه ما هو الموجد الأول او ما هو الموجود الأول ، من صنع هذه الكواكب الراهرة ، من اوجد هذه البحار الزاهرة ، من انشا هذه الأرواح العاقلة ، من خلق هذه الاسباب الظاهرة والباطنة ، من سوى هذه الروابط الثابتة ، من صرر هذه

الصور المتغيرة ، من يدبر هذه الكائنات المتنوعة :

ثم ينتقل من هذا السؤال الى سؤال آخر فيقول : ما هي نفسنا ما هو ادراكنا . لماذا افرادنا متفاوتون فيه . ما هي هذه الحياة التي نحياها . ما الفائدة لنا منها . ما الحكمة للذي سوى فيها . ما الذي يجب ان نعمله معها . اين تذهب ارواحنا عند اضمحلال هذه الحياة . لماذا نحيا وهي مع قصرها مرة اللذات . كدرة الموارد . لماذا نتراحم . لماذا نتجادل . ما السبيل لسلامتنا بعضنا من بعض ؟

هذه الأسئلة وامثالها شغلت فكر هذا النوع من زمن قديم ليس لنا ولا لغيرنا علمه . وما زال الناس ولا يزالون يتساءلون ويتجادلون في هذا الى ما شاء الله . وليس البحث في هذه شأن كل فرد من الأفراد بل هو شأن نفر من كل امة من هذه الأمم المتفرقة . وقد يعقب البحث والتفكير تصور ويعقب التصور عقد . ويحمل الماقد بشيء غيره ان يمتد كما اعتقد فكذا تكونت نحل الناس ومللهم .

والذين اشتغلوا بتدوين العلوم قد تقيدوا باصطلاحات خاصة زعم ان بها يمكنهم تعميم فائدتها . واما الذين عرفوا كيف يقرب العلم من افهام الطبقات المختلفة فيجبون ان تتجاف عباراتهم عن الاصطلاحات . هم المكنهم . ذكرني بذكر هذه القضية اني رأيت مدوني هذه المباحث في لغتنا قد تباعدوا بها عن افهام الاكثرين بكثرة ما جاؤا فيها من الاصطلاحات وهم ما قصدوا الا التفهم بل زعم بعضهم ان الناس اعميين مكلفون ان يعلموا علمهم ذلك . ولا بد من ان يزعم هذا ان اصطلاحاتهم يفهمها كل أحد من أهل اللغات المختلفة . ولعل عذرهم أنهم دونوها كما وجدوها على اصطلاح

الباشرين من أعم أخرى . وهو عذر مقبول في الجملة
هذه المباحث يقال لمجموعها في اصطلاح المدونين (فلسفة) وهي كلمة
منحوتة من اليونانية قالوا مضاهها (حُبُّ الحكمة) . ومن أجل شيوخ
هذه الكلمة بهذا المعنى ظن البعض أن الفلسفة اليونانية هي أول فلسفة
ومن أجل أن علم الكلام (الآتي ذكره) يرد كثيراً من آراء فلاسفة
اليونان كما يرد الفلاسفة بعضهم على بعض ظن أن علم الكلام إنما جعل
لنقض الفلسفة . والظن الأول يزعمه التدقيق في التاريخ العام للأزمنة
القديمة التي يجهل منها أكثر مما يعرف . والظن الثاني يزعمه معرفة أن
علم الكلام فلسفة يعرف بها صحة الدين . وليست كل الفلسفة مناقضة للدين
حتى يحتاج الدين إلى علم به تنقض الفلسفة كما أنه ليس كل كلام أهل الكلام
مقبولاً عند الدين بل كثير منه مردود بشهادة بعضهم على بعض . والمدقق
يسلم أن ليس علم الكلام الا قسمين قسمًا يجمعون فيه نظريات على طريقة
الفلاسفة القدماء يوافقونهم في أشياء ويخالفونهم في أشياء . وقسمًا يجمعون
فيه خلافات ومنازعات بينهم أنفسهم
ويلعلم أيضاً أن الدين انتصر بروحه الزكية السالمة من الشوائب قبل
أن يجيء علم الكلام ناصراً له ونافضاً للفلسفة . ولكي يعلم الناظر ههنا
آراء الناس في الإلهيات قبل الاسلام وقبل علم الكلام أذكر نموذجاً
يسيراً منها في فصل . ومنه انتقل لعلم الكلام في فصل آخر

❦ الفصل الاول ❦

— الفلسفة الالهية عند الامم السالفة —

كان الصابئة (وهم طائفة منبها بلاد فارس منها انفصل ابراهيم النبي الذي هاجر الى فلسطين وتسلسلت النبوة في عقبه) يقولون ان لالعام صانعا فاعلراً حكيماً مقدساً عن سمات الحداثات والواجب علينا معرفة السجر عن الوصول الى جلاله وانما يتقرب اليه بالتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرأً وقملاً وحالة وهم ينكرون نبوة البشر ولكنهم يعترفون بعلمهم الأول هرمس (قيل هو اديس) ويشتون عالمأً روحانياً على نحو ايسميه الكتانيون الملائكة وقسموا هذا العالم الروحاني الى طوائف منها مدبرات الكواكب التي هي هياكلها اذ لكل روحاني هيكل ولكل هيكل فلك ونسبة الروحاني الى ذاك الهيكل نسبة الروح الى الجسد فهو ربه ومدبره ومدبره . وربما يسمون الهياكل أرباباً وربما يسمونها آباء والعناصر أمهات . فوظيفة هذه المدبرات تحريك الكواكب على قدر مخصوص ويحصل من حركاتها انفعالات في الطبائع والعناصر فيحصل من ذلك تركيبات وامتزاجات في المركبات فيتبعها قوى جسمية ويركب عليها نفوس روحانية مثل أنواع النبات والحيوان ثم قد تكون التأثيرات كلية صادرة عن روحاني كلي وقد تكون جزئية صادرة عن روحاني جزئي فمع جنس المطر ملك ومع كل قطرة ملاك

واتخذ هؤلاء صوراً وتماثيل على صور الكواكب وأمثلتها وروا لها البيوت وأقاموا لها الهياكل واحتفلوا بمن أجلها بفروض ومراسم شريفاً مناسب كتب الجدل وكتب التاريخ . وليس غرضنا الا النموذج اليسير

وكان « الزروانية » (وهم طائفة من الفرس) يقولون ان النور أبدع
اشخاصاً من نور كلها روحانية نورانية ربانية لكن الشخص الذي أسماه
« زروان » شك في شيء من الاشياء فحدث « اهرمن » (الشيطان)
من ذلك الشك ولهم في ذلك اساطير لم نجوز سردها لقلّة فائدتها.

وكان « الزرداشتية » (وهم طائفة فارسية اخرى زعيمهم زرداشت)
يقولون ان النور والظلمة اصلان متضادان وكذلك « يزدان » و « اهرمن »
وهما مبدأ موجودات العالم وحصلت التراكيب من امتزاجهما وحدثت
الصور المختلفة والباري تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما وهو واحد
لا شريك له ولا خد ولا ندويدي اصحاب (زرداشت) معجزات كثيرة له
« كان (حنايس) اليوناني -- الذي تعلم الآلهيات والهندسة والهيئة
في مصر وهو اعظم مؤلفي الفلسفة المسماة يونانية -- يقول ان جميع ما في
الكون لا يخلو عن احساس ما وانه ملأ بما لا يدركه الطرف من المخلوقات
وكالها متحركة ذات ارواح

وكان (فيثاغورس) يقول ان العالم له روح وإدراك وان روح هذا
الدولاب العظيم هو الاثير فنه جميع الارواح الجزئية وكان يقول ان
الارواح لا تقف فهي تسيح في الهواء الى ان تصادف جسماً فتدخل فيه
ولذلك كان يشدد في منع اكل الميونات . وادعى فيثاغورس معجزات
كثيرة جلتها لتأييد مذهبه في تناسخ الارواح ومما فعل انه بنى له تحت
الارض حجرة صغيرة وعاهدها ان تكتب له كل ما يكون ويحدث
فغاب فيها سنة ثم خرج نحيباً أشعث أنفهم وجمع الناس واخبرهم انه كان
في سائر الايام ان يراه في حجرة خفية في بيت فظفروا انه

فوق جميع البشر (تأمل)

وكان (هيرقليس) يقول ان الكون ممتلي من الجن والعقول وان
الآله لما قضى أزلاً بوجود الاشياء تركها لتدبير خلقه (تأمل)

وكان « انكسغوراس » يقول بالعقل الذي يفيض على كل مادة ، ما
يليق بها من الصورة وكان يقول لافراغ في الجو بل هو مملوء وان
جميع الاجسام تقبل القسمة الى ما لانهاية له ولو كان الجسم صغيراً جداً
بحيث لو وجد قاسم ماهر وآلة تقسيم لا يمكن ان يستخرج من رجل
البعوضة اجزاء لو وضعت على الف الف سماء استرتها من غير تنهاتها في
نفسها بل لا تزال قابلة للقسمة (تأمل)

وكان « افلاطون » يقول الأصول ثلاثة الآله والمادة والإدراك
فالآله يشبه عقل العقول والمادة تشبه السبب الأول للنولد والفساد .
والإدراك كجوهر روحي قائم بذات الآله . كان الناس يلقبون
افلاطون بالالهي وكانوا يقولون ان افلاطون يعرف الآله الحقيقي معرفة
جيدة وهذا إما من جودة ذهنه او مما أطلع عليه من كتب العبرانيين
(تأمل) ووقع من افلاطون أنه نوح الالهة من اثلاثا علميين مسكنهم
السماء ومتوسطين يسمون جنأ كوزراء للعالميين مسكنهم الهواء وسفليين
مسكنهم الماء سماهم انصاف الالهة (تأمل) وقال ان جميع عناصر العالم
وسائر اجزائه مائة بهذا النوع الثالث وقد يظهرون في بعض الاحسان
لا بصارنا ونختفون احياناً . « افلاطون » فيثاغورس في تاسخ الأرواح
وكان « ارسطاطاليس » يقول : الأصول ثلاثة العدم والمادة والصورة .
وعرف المادة بتعريفين مختلفين سلباً وإيجاباً فقال في الأول : المادة هي ما

ليست جوهر ذلك الشيء ولا امتداده ولا عرضة ولا نوعاً آخر من الامور الوجودية العارضة له: وقال في الثاني: المادة هي مبدأ تركيب الاشياء ومنتهى تغييراتها: وليس في الاثنين ما يفيد حقيقتها (تأمل)

وكان « ابيقور » يقول بأن الروح جسمانية ممثلة ذلك بأنها محركة لاجسامنا مشاركة لها المأ ولذة واننا في حالة ثقل النوم نتيقظ بها بغتة وبها تتغير الواننا على حسب ما يعرض لها من الحركات والاعراض

هؤلاء من مشاهير اليونان الذين تكلموا في الالهيات وهذه مشهورات من آرائهم فيها (وأما علومهم الرياضية والمنطقية فليست من صدد موضوعنا ولا تنقضها الالهيات والعلوم الخادمة لها ولا تأمر بنقضها بل بإبرامها لانها لازمة نافعة واما علومهم الطبيعية فلا نكرها عليهم أيضاً الا ما انكروا فيها الصانع وصنعه)

وكان « اليهود » يقولون نحن ابتاء الله واحبائه ويقولون إن عيسى بن مريم الذي خلق من غير اب زنت به امه واتى من الزنا وخالف بعمله النواميس الشرعية فقتلناه وصلبناه

وكان النصارى يقولون لابل عيسى هو ابن الله بعثه ليخلص الناس من خطيئة آدم التي لحقت بأولاده وجعله فداء لهم من الخطيئة التي لم يسكن غضب الرب من اجلها ثم اختار أن يكون سكون غضبه وتخليص الناس منه بواسطة اراقه دم أبنه ولا تقس أن النصارى يقولون أيضاً بأصول ثلاثة الاب والابن وروح القدس

وكان العرب أصنافاً منهم من انكروا الخالق والبعث وقالوا بالطبع المحيي والدمع المنفي كما حكى ذلك القرآن عنهم « وقالوا بما هي الاحياتنا

الدنيا موت ونحيب . وما يهلكنا الا الدهر ، اشارة الى الطلائع المحسوسة
وقصر الحياة على تركبها وتحللها . فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر
ومنهم . صنف أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الإعادة
وأنكروا الرسل وعبدوا الاصنام وزعموا أنهم شفاؤهم عند الله في الآخرة
وهم الدهماء من العرب الا شراذم منهم

ومن العرب من كان يعتقد التناسخ فيقول اذا مات الانسان أوقلت
اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته فانتصب طيراً هامة

ومنهم من كان على ملة ابراهيم كزيد بن عمرو بن نفيل . ومنهم من
تهود . ومنهم من تنصر ومنهم من تفلسف وأدرك بعقله الحشر والجزاء
قال « قس بن ساعدة » وهو أحد حكماء العرب : كلا ورب الكعبة ايعودن
ما باد . وقال أيضاً : كلا بل هو الله اله واحد . ليس بمولود ولا والد .
أعاد وأبدى ، واليه المآب غداً : وقال « عامر بن الظرب العدوي » وهو
من حكماء العرب أيضاً اني مارأيت شيئاً قط خلق نفسه ، ولا رأيت
موضوعاً الا مصنوعاً ، ولا جأئاً الا ذاهباً ، ولو كان يميت الناس الداء ،
لاحياهم الدواء ، ثم قال : اني أرى أموراً شتى وحتى : قيل له ، ماذا ؟ قال :
برجع الميت حياً ، ويعود اللاشيء شيئاً ، ولذلك خلقت السموات والأرض :
وقال علاف بن شراب التميمي

وعلمتُ أن الله جاز عبده يوم الحساب بأحسن الأمان

— ظهور محمد عليه السلام —

فبينما حال الناس عامة والعرب خاصة على ما قصصناه ظهر « محمد »
من العرب بين أظهرهم بهدى عظيم ، ودعا الى صراط مستقيم ، صدقه

بدعوته الواحد والاثان ، وكذب الشعب الكبير المشعب الى حجاجهم
وبطون وأنخاذ ، صدقه من صدقه لنور قذف في قلبه ، رأى به وجهه وجه
صادق ، وخطته خطه مرشد ، ودعوته دعوة مويد من عالم النيب ، وكذبه من
كذبه لشبهة عنت له ، وحجاب أسدل على بصيرته ، ثم صدقه آخراً من
كذبه أولاً ، ولم يشارك هذه الدار وفي جزيرة العرب جماعة مكذبون

كيف آمن جمهور العرب به من بعد أن أورد متاعلوم كل شبهة
عنت لهم ، من بعد أن قالوا ساحر كذاب ، من بعد أن قالوا شاعر مجنون ؟
هل آمنوا رهبة من سيفه ؟ فكيف أُرهب سيف هذا الواحد قلوب تلك
القبائل الكثيرة ؟ هل آمنوا رغبة في الثناء ؟ فكيف سرى هذا الخاطر
الواحد في أفكار السكلى بعد أن صدوا أعظم الصدود وحارب بعضهم بعضاً
من أجل أن ينصره قوم ويكيدهم قوم ؟

إنما آمن العرب بعد حين من دعوته تربصوا فيه ان تظهر لهم أعلام
صدقه فظهرت (كما سيظهر لك) ويومئذ دخلوا في دينه أفواجاً ، ووفدوا
على حضرته زمرّاً ، يباليهمونه على التصديق والاتباع ، ويستعلمون منه
الوظائف والواجبات ، ويرجعون عنه بأفئدة مسرورة ، وعزائم مشددة ،

أما العقيدة التي كان هذا الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوصي بها
فهي أن يشهد الرجل أن « لا اله الا الله » وأن « محمد رسول الله » . كلمة
« الله » عند العرب علم على الخالق كانوا يقولون به ولكنهم لا يعرفون
كماله كما يجب فكان منهم من يظن أن الملائكة بناته وان الأصنام شركاؤه
في بعض ملكة ففهم أن الله لا يشبه المخلوقات فلا يلد ولا يولد وليس
له شريك في الملك ولا اله غيره ولا معبود سواه ولا ينبغي أن يرجي

ويخاف من غيره . فكل هذه المعاني مجموعة في كلمة « لا اله الا الله »
وأما الكلمة الثانية فالمقصود منها التسليم بما جاء به في الكتاب والخضوع
لما يحكم به ويمضيه واعتقاد أن هذا الكتاب كلام الله أو حاه اليه بواسطة
ملك من الملائكة الذين هم خلق مدركون لا يعصون الله تعالى ويندرج في
هذه العقيدة الايمان باليوم الآخر

هذه هي العقيدة التي يصير بها المصدق محمدياً وقد ورد تفصيلها في
القرآن كصفات الله تعالى والاحتجاج على المكذبين والوعد والوعيد
في الدار الآخرة . ويعلم القارئ أن الرب للدعوى لما آمنوا ما كانوا يعلمون
القرآن كله لأنه لم يكن قد تم نزولاً . بل أكثرهم ما كانوا يعلمون غير
الآيات القليلة وكان أعلمهم به (أي الذين يعلمون كثيراً من الآيات) لا يجد
في الألفاظ شيئاً غريباً في مدلوله ليتساءلوا عنه ويتباحثوا فيه (الاماروي نادراً)
بل كان هذا التباحث من قصة الذين آمنوا بعيدهم

أنى بعيد عصره أناس قرأوا القرآن فعملوا شيئاً وجهلوا شيئاً . وأناس
استمعوا لآراء الناس في الإلهيات من نحو ما قصصناه عليكم وانقسموا فيه
فرقتين محبة وكارهة . ثم انقسمت المحبة فرقتين مصوبة ومخطئة . ثم
انقسمت المصوبة طائفتين مؤولة للدين على مقتضاها وتاركه له على حاله .
ثم انقسمت المؤولة زمريتين معتدلة وغالية . فهذا هو مبدأ نشأة الفلسفة
في الإلهيات عند المسلمين وعلى هذا الشكل كان تفرق أهل هذه الفلسفة

❦ الفصل الثاني ❦

— الفلسفة الإلهية عند المسلمين — أو — علم الكلام —

لا يصح أن نقول أن العصر الأول للإسلام كان خالياً من بذور

البدع التي حدثت بعده في الأصول والذروع . نحن لا نقول هذا القول لأن أقوال المعاصرين للرسول كثير منها محكي في القرآن ونرى في بعضها ما يدل على أنه كذهب الجبرية وفي بعضها ما يدل على أنه كذهب القدرية وغير ذلك . ولكننا نقول لم تثبت تلك البدور الا في اواخر أيام الصحابة حين أظهر معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الاسواري القول بانكار اضافة الخير والشر الى الخالق سبحانه . ونسج على منوالهم واصل بن عطاء النزال وكان هذا تلميذاً للحسن البصري . ويحكى أنه دخل واحد على الحسن فقال يا امام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبار والكبيرة عنهم كفر يخرج بها صاحبها عن الملة . وجماعة يرجئون أصحاب الكبار والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان فكيف تحكم لنا بذلك اعتقاداً ؟ فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل أنا لا أقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل هو في منزلة بين المنزلين لا مؤمن ولا كافر . ثم قام واعتزل الى اسطوانة في المسجد وأخذ يهقر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن اعتزل عنا واصل فسمي هو وأصحابه « معتزلة »

وقال « واصل » هذا بقول معبد وغيلان في مسألة افعال العباد وانكر مثلها قضاء الله تعالى وقدره . فسموا « قدرية » (سماهم بهذا خصوصهم) . قال ان الباري تعالى حكيم عادل لا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمرهم به . وأن يحكم عليهم حكماً ثم يجازيهم عليه . وقال « واصل » وأصحابه يستحيل وجود إلهين قديمين ازلين ولذلك نفوا صفة العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر . والكلام عن

الباري أي لم يقولوا هذه صفات الباري قديمة أزلية بل إن الله عالم حي قادر وليس علمه ولا حياته ولا قدرته إلا ذاته .

هذا رأس الطائفة. « المعتزلة » وطالع بعهده الشيوخ الذين اتبعوه كتب الفلاسفة فخلطت مناهجها بمناهج الكلام وافردتها فذا من فنون العلم وسمتها باسم « الكلام » إما لأن اظهر مسئلة تكلموا فيها هي مسئلة الكلام فسمي الفن باسمها واما لما قبلتهم الفلاسفة في تسميتهم فناً من فنون علمهم بالمنطق والمنطق والكلام مترادفان . (كذا قيل)

وتفنن « المعتزلة » في هذه المباحث وزاد الآخر على الاول وتروتن كلامهم في أيام المأمون والواثق والمتصم :

أما مسألة الكلام المشار اليها فهي القول بأن القرآن مخلوق ومن اشهر بهذا القول جهم بن صفوان وكان هذا جبرياً أي يقول أن العبد مجبور في أفعاله . وهذا المذهب ضد مذهب المعتزلة الذي معناه ان العبد حر في أفعاله أي ليس سلب الاختيار بإرادة الله وحكمه .

وكان بين « المعتزلة » العلماء العقليين وبين أهل الرواية في كل زمان اختلافات ومنازعات في مسألة الصفات وكان العلماء الثقلون ينظرون الآخرين لأعلى قانون منطقي بل على طريقة المقتن في الدين . وكان من احسنهم اثماً أبو العباس القلانسي والحارث المحاسبي . وجرت مناظرة بين أبي الحسن الأشعري وبين استاذه أبي علي الجبائي في بعض مسائل والزمه اموراً لم يتخلص عنها بجواب فأعرض عنه وانحاز الى الثقلين السالكين طريقة السلف ونصر مذهبهم على قواعد منطقية واساسات نظرية فسار ذلك مذهباً منفرداً وهو المشهور اليوم بأنه مذهب أهل

السنة والجماعة . ويطن البعض بأنه بقي في مذهبه بقايا من مقالات اساتذته قبل ان تركهم وهم من شيوخ الاعتزال . وقرر طريقته جماعة من الاذكياء كالفاضي ابى بكر الباقلاني والاستاذ ابى اسحاق الاسفرائيني والاستاذ ابى بكر بن فورك على اختلاف بينهم قليل .

ومن يطالع مقالات المعتزلة بامان يتبين له ان مقاصدهم التوفيق بين الدين والفلسفة ولم يتيسر لهم ذلك لامرين الاول ان الفلسفة التي طالعوها اكثرها غير صحيحة فلذلك لم تلتئم مع الدين . الثاني ان المقصد الاصلي من الدين هو العمل وهؤلاء افرطوا في الجدل فشطوا عن مقصد الدين كما شط مجادلوهم من الجبرية الخالصة والجبرية المتوسطة والمرجئة .

لكن القوم بما صنعوه في احتجاجاتهم وبما اضطروا مناظرهم ان يقلدوهم في النظر والاستدلال قد رفعوا شأن القتل كما يجب له ووسعوا ميدان نظره وقرروا آداباً مهمة وقوانين محكمة في المناظرة من حيث هي وفي المناظرة في موضوعهم هذا بخصوصه . من اهم تلك الآداب معرفة كل منهم ان مناظرهم نظيرهم . وعدم تكفير بعضهم بعضاً لوجود المباشرة بالهم . ولا يلفنك عن تسليم هذا شذوذ البعض عن هذا الادب العربي ، المتشد على اصل شرعي ، ومن اهم تلك القوانين تقريرهم جميعاً ان الدليل العقلي القطعي يقدم على الدليل الثقلي عند التمارض ويستعان له بالجواز والتأويل لئلا يذهب سدى كذا قال بعض الاذكياء . واقول ياليتنا استفدنا هذه الفائدة التي اشار اليها من غير باب الجدل في الدين . والتجربة ترينا ان هذه الفائدة لم تتم الا في أعقل الباحثين واكملهم قصداً واوفرهم حكمة وليس هؤلاء بكثيرين حتى نقول ان مخالفتهم قد شذت . نعم ليس ننكروا

عندي ان ضميمهم ذلك رفع شان العقل وكاد ان يلقه اشده في هذا الباب
ويسير به الى ابواب اخرى من استعراف اسرار الكائنات وحكم الشرائع
عامة والشريعة المحمدية خاصة ويومئذ كان يرجي للدين دوام سيره
وانتشاره على السيرة الاولى ولكن هو الخطأ في الدين يقف به ويمنع سيره
ان كان قوياً ويزهقه ان كان ضعيفاً .

نرجو أن تكون قد عرفت مما تقدم ان مدار الفلسفة الالهية
الاسلامية على آراء «المعتزلة» ومناظريهم . أما مناظروهم فالتكاملون من أهل
السنة (وأشهرهم الأشاعرة) والفقهاء من أهل السنة والجماعة من الفريقين
كالجبرية والحشوية والمشبهة والمرجئة والنفلو في كل شيء مذموم .

وقد أجلنا هذه الفلسفة عن أن نمد في أهمها أو تلك الذين يشبهونها بل جل
بمينه أو يتعصبون عليه وان عدم الناس الباحثون في فرق الحمديين . اذ الشرط
أن نحكي ماله علاقة بالفلسفة دون مالا علاقة له إلا بالهوى والسياسة .
وهذه أول كلمة نوجهها للعلم الكلام وعلمائه متأسفين على اشتغال أفاضل
أهل هذه الصناعة من المعتزلة ومناظريهم في هذه المسئلة التي أوأنا اليها .
ولئن كان للمتقدمين منهم عذر لأن الزمان زمانها فليس للمتوسطين فضلاً
عن المتأخرين وجه من الوجوه المزيئة أو سبب من الاسباب الحاملة اللهم
الاهوى البعض وتقليد البعض ولا يؤلم قلبي الا المتبعون على عمه الذين نزلوا
أنفسهم منزلة القاصرين .

والكلمة الثانية أوجهها الجورهم أيضاً على عدم تروي كل منهم في كلام
الآخر . لأننا حين السائل والنزوي نجد اختلافهم انما هو على الاصطلاحات
دائر . وقلنا نجد بينهم اختلافاً عظيماً في حقيقة من الحقائق بل اختلافاتهم

مع الفلسفة يمكن القول فيها هكذا أيضاً. ولتوضيح هذا نورد هنا أمثلة :

(١) هل بين المقول السالبة اختلاف في أن الموجودات ترجع الى مبدأ . هل بينها اختلاف في أن مبدأها يجب أن لا يكون قبله شيء . هل بينها اختلاف في أن النفوس مستشرقة دائماً أن تعرف ماهو ذلك المبدأ .

«٢» ماهو ذلك الشيء ؟ هنا الاختلاف اذا لم يترؤ الناس مع بعضهم واذا ترووا فلا خلاف . نحلل هذا السؤال الى أربعة : ^(١) ماهي ذاته ^(٢) ماهي صفاته ^(٣) ماهي أفعاله ^(٤) ما هو اسمه ؟ . اما السؤال الأول فاجواب

كل عاقل فيه لا نعلمها . لا يخالف في ذلك عقلاً ملي ولا فيلسوف على اختلاف فرق المليون والفلسفة الأهم إلا من لا يتدبرون . واما الثاني فالجواب فيه لا يوجد لأنه لم يحس ، ولا يوصف لأنه لم يعرف ، لا يخالف في هذا أيضاً . ومن يصفونه من المليون لا يصفونه بعقلهم بل يتبعون فيه الوحي ويقضون الأمر في علمه . ومن يصفونه من الفلاسفة فأنما يصفونه بما هو مقتضى وجوده كقولهم : واجب الوجود : بل جعلوا ذلك علماً عليه . وأنت خير أن هذا ليس وصفاً . وأما الثالث فالجواب فيه ان فعله البدي والتصور . وهذا لا يخالف فيه أحد أيضاً اللهم الا الجاهلون جهلاً مركباً . ولا يدع خلافهم خلافاً ولا يجدر بعاقل أن يتصدى لازد على من يقول وجدت الاشياء بنفسها . وقامت منتسقة لحالها .

جهلنا فلم نعلم حقيقة نفسنا . وقلنا بأن الكون قام بنفسه !!!

وأما الرابع فالجواب فيه بالاتفاق ان هذا يختلف باختلاف اللغات ولا يمرض هذا الاختلاف للتصور تبعاً للاختلاف في اللفظ كما لا تختلف النفوس في معرفة الأبيض لكون الدال عليه مختلفاً . ولا أرى العقلاء

الاشقيين على ان اختلاف الاصطلاح كاختلاف اللغة فلا يجب تجنب
اللي عن اصطلاح الفيلسوف ولا تجنب هذا عن اصطلاح ذاك . هذه الكلمة
تفنيك عن اكثر ما في علم الكلام الذي ولع أهله بتشبيب الاختلافات التي
منشأها اللفظ لا التصور كما ستري في الامثلة الآتية وأنت قس عليها .

(٢) كيف بدأ ذلك الشيء غيره ؟ أي عاقل يتجاسر على ادعاء معرفة هذا من
طريق العقل على وجه اليقين . هل ثمة من يتجاسر على هذه الدعوى . وهل
من يتجاسر عليها عاقل ؟ مع صعوبة هذه المسألة لا تجد الناس سكتوا في
جوابها . أما المليون فخطأهم الوحي فقالوا أراد ان يوجد فأوجد . وقال
ناس من الفلاسفة نشأ عنه غيره وجوباً (أو عبارة هذا مألها) وللفريقين
كلام كثير . ولئن سألت الملي هل تعرف ارادته ؟ وهل يمكنك أن تشبها
بأرادتك التي تعرفها ؟ ليكون جوابه لا ، ولئن سألت الفيلسوف ما الذي
أوجب أن ينشأ عنه غيره وهل تعرفه ؟ ليقول لا اعلم أو يمتنع أسألاً يجوز
ان يكون بمعنى الإرادة التي يقول بها الملي ، فكلاهما بالعجز عن الإدراك
مشتركان ، وعلى وجود غيره بتأثيره (المجهول عندها) متفقان ، على أن
للتكلمين صرحوا بان الإرادة القديمة (تلك التي لا يعرفونها) توجب المراد ،

(٣) هل اوجد ذلك الشيء غيره ؟ لم يجب عن هذه المسألة المتفلسفون ولا
اللاهوتيون المحمديون . ولكن قال اللاهوتيون (المتكلمون) ان ذلك
الموجد قديم وفسروه بأنه غير مسبوق بدم وان الموجودات حادثة أي
مسبوبة بدم ، وقال المتفلسفون هو قديم وهي قديمة ، وللفريقين كلام
كثير ، وهذه المسئلة لا خلاف فيها أيضاً ؛ لأنهم متفقون على أنه أوجدها
وعلى أنهم يجهلون متى أوجدها ، وما كان للملي أن يفتي ما ليس له به علم

من العقل، ولم يسمع فيه كلاماً من الوحي، فليس في الدين ما يجعله على
الخص في هذه المزال، وما كان للفيلسوف أن يحزم بشيء لم يعم عليه
دليل يقيني، فهما متفقان على المعجز هنا إذ تباريا للحق، كما تنقلا على
المعجز عن معرفة كيف أوجدها،

هنا والمليون (تقليوم وعقليوم) فديسألون عن أشياء لا يسأل عنها
الفيلسوف الذي لم يتبع ملة يسأل هؤلاء من نى نصوص لا يستطيعون
إعطاء على ظاهرها كالتصوص القائمة أن السموات والأرض خلقت في
سبعة أيام. يقال لهم هل هي أيام مثل التي تعرفونها أم أيام أخرى لا تعرفونها؟
إن ظم بالاول فالأيام هذه إنما عرفت بعد خلق السموات والأرض.
وكان تصور مقدار مدتها دل ذلك على أن ذلك مدة وزماناً. وإن
يتكلم في (وهو الذي نقوله) فقولوا تعرف أنه حجبها. ولكن لا تعرف
كيف أنتمها. ووتى خلقها. وتم خلقها. وتؤمن بقول الله تعالى «ثم
نسوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها
فأتتا أتينا طائعين.»

١) لم أوجد ذلك الشيء غيره؟ وهنا محاربة أيضاً للعقل وبيني أن يجتمعا
هنا أيضاً على المعجز عن المعرفة. على أن الذي يقول الحكمة خفية فيصبح
أن يقول الفيلسوف مثله «وما أوتيتهم من العلم إلا قليلاً»

٢) ما هي صفات ذلك الشيء؟ فلنأخذ الجواب مختصراً ولكن هذه المسألة
جديرة بزيادة البيان لأن الخلاف العظيم فيها بين المليون أنفسهم. بين النشئين
منهم والمعلقين أولاً. وبين المعتزلة من المعلقين والاشاعرة ثانياً. ونحب أن
أبني الخلاف الحقيقي هنا كما نفيه بينهم وبين الفلاسفة في الأهمية المارة.

قال الثعلبيون ومتبعوهم من المتكلمين ان الله قديم وعلمه قديم وحياته قديمة وسمعته قديم وبصره قديم وكلامه قديم وارادته قديمة وقدرته قديمة وفعله قديم . وقال المعتزلة هذا يوجب تعدد القدماء فאלله ذات مستجمعة لصفات فهو عالم صريد قادر حي سميع بصير متكلم . وهو قديم . وصفاته عينه . وقال الأشاعرة هي امور زائدة على ذاته لاهي عينه ولا هي غيره . ولكل كلمات سموها ادلة مروفة في محلها . ونحن نقول اذا ترؤوا فلا خلاف . وتوضيحه ان الكل قائلون هو حي عالم صريد قادر سميع بصير متكلم والكل قائلون ان معنى الحي ذو حياة والعالم ذو علم الى اخره . والكل قائلون هو واحد . فإذ لم يبق الا ان هذه الصفات زائدة او غير زائدة؛ بقي الخلاف لفظياً عند المدققين ولا يلزم من القول بها تعدد القدماء كما توهم البعض . ولا من عدم القول بها نفيها كما توهم البعض وليس للحس هنا مبالغ من العلم ، ولا للعقل سند في الحكم ، ولا في الدين قول يحمل على الجزم

اما الخلاف بين الثعلبيين والمعتزلين فهو في فهم بعض الاشياء التي وصف بها الباربي وبعض الأعضاء التي نسبت اليه وهو في الظاهر خلاف مهم جداً . وقد ظهرت آثاره . من القول الى الفعل وخلاصته أن كل طائفة من هذين الفريقين تقسم طائفتين معتدلة وغالية فنحن لا ننكر وجود الخلاف حقيقة بين الغاليتين منهما ولكن الخلاف بين المعتزلتين ترجعه لا الى شيء . وتوضيحه ان المعتزلين قالوا : ورد الوحي بصفات للباربي فنحن نقف مع عبارة الوحي وقمة النأدب الحكيم ونصفه بما ورد فيه لا ننفي معانيها ولا ننتقد بها كالمأني الخاصة بالمحدثات وهذه هي طريقة

الصحابة ومن تابعهم عليها (قلت وليس على هذه من غبار) ثم المتغلبون من العقليين قالوا : إننا قد علمنا انه ليس كمثل شيء فعلنا من هذا العلم ان الكلمات الموهمة تشبيهاً لا يصح اعتقاد معانيها كما يعتقده المعاني المخصوصة بالحدوث فاستفدنا لها معاني قريبة راعينا فيها قرائن اللغة وقرائن كلام الوحي (قلت وهذه أيضاً ليس عليها من غبار) ولقد لاح من هذا ان لاختلاف بين الفريقين . غاية الامر ان اولئك اجبوا عن ادعاء التفسير وهؤلاء اقدموا ولم يأتوا في تفسيرهم منكراً من القول ولا تباعدوا عن القرائن ولا تدنوا حدود ما ورد من الكلمات . فهذا لا يمد خلافاً .

اما العاليية من النقليين فاعتقدت الكلمات على ظاهرها وربما تمتدتها الى غيرها . واما العاليية من العقليين فلم تعتقد شيئاً على ظاهره فلام منكرون للنصوص ولا هم واقفون بمعانيها . وهم مختلفون ايضاً . قالون إنما هو بين هذين الفريقين . وقد اشتبه على الناس الذين لم يعرفوا هذا التسميم فاعتقدوا بالسلف ومعتدلي الخلف ما لا يبرر . هذا هو تحقيق الامر في هذه المسألة ونحن من الناليين براء . ومع المعتدلين سواء .

(٦) ما هي افعال ذلك الشيء ؟ صر الجواب عن هذا آنفاً مختصراً والكلام هنالك مع الفلاسفة من غير المليون وأعدناه ههنا خلافاً في الظاهر بين المليون الفلاسفة ومناظرهم . قال النقليون ومتابوهم من المتكلمين ان الله تعالى يفعل كل شيء يقع في هذه الدنيا . وقال العقليون ان الله تعالى خلق خواصاً واسباباً واسند اليها الفعل . قلت هذا اصل المسئلة مهمة . وهي ان الانسان من جملة الأشياء وفعله من جملة الأشياء فلي رأي الاولين ان الله يفعل الانسان وفعله . وعلى رأي الآخرين ان الانسان يفعله الخاصة التي

خلقها الله . وفعله يفعلهُ هو بالخاصة التي آتاه الله اياها . واقول هل ثمة من لا يجب من عدم تروى التريقين في هذه المسألة التي كل كلام فيها يرجع الى نقطة واحدة . ألم بأن للذين آمنوا ان يعلموا ان الله خلق الانسان عاقلاً متصرفاً في هذه الدار بنيره من جاد ونبات وحيوان . ومجانباً على عقله وتصرفه . ومهاناً او مكرماً بعمله فليقولوا كيفما شاءوا ان يقولوا . افانهم يؤمنون بأن الانسان محاسب على عمله ومجزى عليه ؟ أراد المستزلة ان يغوا الشرور والقبائح عن الباري فقالوا الانسان هو يفعل فعله . واراد اهل السنة ان لا يثبتوا في الوجود معه فاعلا فقالوا الله هو الذي يفعل كل شيء . اطو المراتب في أعين الاولين ، وابسطها في أعين الآخرين . تجدهم متفقين كآفاقهم على أن المرء مأخوذ بسبله وهي المرتبة الاخيرة . وفي هذه المسئلة تولد من البحث غلاة من التريقين غالية قالوا بالجبر المحض وأفرطوا في تقرير ابتداء الالهية رغبة قالوا بالاستقلال المحض وأفرطوا في تقريره ابتغاء التوصل لفصل الكون عن المكون في كل الشؤون . ويومئذ لا يتق ولا يرجى ولا يدعى وفي هذا مصادمة لنصوص الدين واسراره . على ما فيه من الرجم بالنيب واتباع الظن المحض الذي لا يليق بالعلاء لانه يضرهم ولا ينفعهم

في هذه الامثلة الستة قد اوضحنا تصديهم للمجادلة فيما لا خلاف فيه وفيما التبس عليهم من الامر ولا اريد أن اتكلم على اختلافهم في خلود اصحاب الكبار وعدم خلودهم . بل ولا في اختلافهم في خلود الكفار وعدم خلودهم . واكتفى في هذا المحل بكلمة خرجت من بيت النبوة قالها احد ائمة اهل البيت وهي : ان الله اراد منا اموراً . واراد بنا اشياء .

حجب عنا ما اراده بنا . وبين لنا ما اراده منا . فلا جدر بنا أن نُشتغل
ونتناول فيما اراده منا . ولا تجادل وتخاذل فيما حجب عنا بما اراده بنا .»
هذا والكلمة الثالثة من اللاتي أردنا أن نقولهن أوجهها لناس من أهل
عصري لايزالون يحرصون على دراسة الكتب المدونة في علم الكلام
ويجتهدون في حلها وتفسيرها . ولا يسمحون لأنفسهم ان ينظروا في
غيرها من كتب الفلسفة المصرية . ولا ان يتمدوا حدود ما كتب لهم
الاولون من اصطلاحات وتعريفات . وما قرروا لهم وكتبوا عليهم من
مذهب واعتقاد . أقول لهؤلاء : ^(١) ان تلك الكتب كتبت على أسلوب
الفلسفة القديمة . والآن قد تغيرت الرسوم ، ودرست الرقوم ، وحدثت
بعد تلك العلوم علوم ، فقرأوا ما يسرفوا وجدتموه موافقاً للدين وهو
الأكثر فاحمدوا الله على هذا التوافق ، وما وجدتموه مبيناً فاسموا في معرفة
أسباب التباين . ^(٢) علم الكلام فائدته على ما قالوا النترقي من حضيض
التقليد الى ذروة الايقان وأنتم في هذه الكتب تلتزمون مذهب رجل
معين وتحفظون حدوداً وتعريفات أنزل الله بها من سلطان . ولا شهد لجلتها العقل
ببيان . فالذي تزعمون الخلاص منه هو الذي أنتم فيه . ^(٣) ان الشبه التي
تقرأونها في كتبكم هذه قد تسمعون خلافها فينبغي ان تكونوا مستعدين
للاحتجاج على كل شبهة كما هو مطلوبكم من هذه الكتب وهي لا تفي بمطلوبكم هذا
والكلمة الرابعة أوجهها لناس آخر من من أهل عصر ، ذابهم
الاستبداء بالذين ماتوا . أقول لهؤلاء : ^(٤) ان الذين ماتوا لم يقتبروهم .
ولم تملوا السبب في كثير من مقالاتهم ^(٥) ان الناس قد يجدون مقالات
بحسب زمانهم ومكانهم وغرضهم . ان الحاكم ^(٦) ان المي شنه

محسوس . وحاله محدود . يقتدر المرء ان يعرف الحكمة في مقالاته
والناس منهم مخلصون لاحكمة في مقالهم ولا سر ولا غرض الا قول
الحق وبذل النصيح ومنهم ضد ذلك ^(١) ان أخذ الأدلة عن الاحياء
المخلصين والاستهداء بهم في دفع الشبه أولى من الاستهداء بالذين لانعلم
من أمرهم شيئاً . واعنى بهذا ان يبالغ المصريون أنفسهم من بعض الجمود
والكلمة الخامسة أوجهها للناس آخرين من أهل عصري قد قرأوا
شيئاً من الفلسفة وما قرأوا شيئاً من الدين فأبام حيارى في الامر وإمام
مارقون من الملة . أقول لهؤلاء ان طريقة الدين خيفة سمحة . أركان
اعتقاده معرفة ان لهذه الموجودات موجداً هو « الله » . وانه لا يشبهه
شيئاً من الموجودات . وانه متصرف فيها مدبر لها . وان الانسان الذي
ميزه في عوالم الارض بالعقل مسئول عنده عن عقله وعما عمل بعقله . وان
محمد (صلى الله عليه وسلم) النسي العربي أرسله ليتم مكارم الاخلاق .
ويرشد الناس على الاطلاق . وأركان عبادته ذكر الله تعالى بصاوات خمس
في اليوم لتخفف الغلة المهلكة . وصوم شهر في السنة لتغلب النعمة المتعبة ،
وحج في العمر الى حيث يتلاقى الاخوان في البيت الحرام والمشاعر
المعلومة لتؤكد الوحدة المالية وتزداد الالفة . وإتاء الزكاة في الحول
للفقراء والضعفاء لتجبر الحاجة المضطرة . وبناء أحكامه على العدل في
الحقوق ، وبناء آدابه على الاحسان للمخلوق ،

هذه جملة الدين ولا والله لاتدغمه من قيود هذه الجملة فيجدر بكم
أيها الاذكياء ان تسرفوا بالدين وأسراره لتجسموا بين فائدة الفلسفة التي
تنور عقولكم ، وبين فائدة الدين التي تركز نفوسكم . وان سألتموني ما الدليل

على صحة الوحي الذي هو أساس الأديان . وما الدليل على صحة دعوى النبي العربي (صلى الله عليه وسلم) فأقول اني لست بأعلم منكم ففكروا يظهر لكم هذا الامر العظيم على اني لا أضن عليكم بما في مما عرفت

طريقة في اثبات الوحي

اني تفكرت أولاً (والانسان خلق متفكراً) في : ماهو العقل الانساني الذي ميزه على الحيوانات المدركة بحواسه فقط بل ماهو الادراك ؟ فلم أستطع علم هذا . سألت أعالم الناس الذين اجتمعت بهم من عرب وترك وفارس وهنود وافرنج فلم اهدأ لعلم هذا

رجعت الى آثار الموتى فلبت في الكتب أوراقاً تعد بالآلاف فلم اناث المطلوب . فسكت اعياء عن طلبه سكوناً حاليماً . واكتفيت بمعرفة انه قوة عظيمة قد رفعت الانسان الى طبقات الكواكب وهو لم يتحرك لجهتها فأثرته بغير عينه بدائع صنعها ، واتقان نظامها ، وصورة دورانها ، وشكل تقابلها بعضها مع بعض . وهبطت به الى طبقات هذا الكوكب الذي هو فيه (الارض) فأثرته بعينه وبغير عينه بدائع كونها ، وخزائنها أسرارها ، وانتظام سيرتها ، وبصرته انه (أي الانسان) هو سلطان عوالمها ، تنقاد كلها لتصرفه ، وتضبط تحت أمره ، فهو المنفرد في الارض بحجة جامعة لا علم (بالشاهد والغائب) والقدرة (على التصوير والتشكيل) والاداءة (لما يلزم البدن وما يلزم المقار) . الكلام (الذي يبلغ به ارادته) الحاضر منه بواسطة الآلة البدنية الطبيعية ، وللغائب عنه بواسطة الآلات المبادية الصناعية ، منها هذه الكتابة التي تبلغنا كلام من قبلنا من أهل الادوار ، وتبلغ كلامنا للناس . والآتي بعدنا في الاجياد .

هذا التفراف الذي يسمع به المشرق ما يريد المغربي في لحظة من الزمان) والسمع (الذي نفهم به إرادة غيرنا .) والبصر (الذي يطبع في فكره صور الاشياء) فبمجموع ضرايا هذه الحياة كان له السلطة والتصرف في عوالم هذه الارض تصرفاً تابلاً لتواميس هي فوق ارادته . وفوق سمعه وبصره . وفوق علمه وقدرته . وفوق أسرته ونهيه

هذا القدر عرفت بادئ بدء من آثار تلك القوة العظيمة التي هي العقل وبهذا القدر تم لي معرفة أن هذه القوة هي أكل وأعظم قوة في الموالم الارضية . وأن تلك التواميس التي هي فوقها وحكمة عليها يجب أن تكون من عالم آخر

ما هو ذلك العالم : هذه نقطة ثانية سرج انبها فكري وفي هذه الدرجة وقف عقلي زماناً كثيراً يلتبس الدليل في معراجه هذا ثم اتاه الدليل من نفسه . فقال ان ذلك العالم هو العالم المحجوب عن حسنا المعروف بالأمياف عند تصورنا . هو عالم الخفايق والتوى والطبائع التي نعرفها بآثارها ونجهل كنهها وذواتها . هو عالم العيب وهو بحر عظيم لا ساحل له والذي ظهر لنا منه نقط قليلة بعد ظهور امثلتها في عالم الشهادة . قال بعض الاذكياء ه كنا لا ندرك السر في قيام هذه الكرة في الفضاء ثم علمنا من امثلة ظهرت للحس ان هنالك قوة مسكها ، لا نرى تلك القوة بأبصارنا ، ولا نسميها بآذاننا ، ولا نحسها بأيدينا ، ولا نشمها بانوفنا ، ولا نذوقها بلساننا ، ولم يبلغنا يقول الاكثري من المتمدنين والآخرين ، واليوم دركنا بمص اقتاب العلم الباحثين في سر الوصور وترب ادراكها لتعقونا فصرنا نقول بهاء ونلجج بالاسم الذي وضع لها (الجاذبية) وكذلك كنا لا

ندرك السرفى حركتها ثم ظهر . وكنا لانعلم كيف تكونت ومتى تحركت
ويدعى البعض اليوم انهم يعملون ذلك . وكذلك كنا لاندرك طبائع
الاجسام البسيطة والانس اليوم انما يعرفونها بآثارها وبخواصها في البساطة
وبعد التركيب - كل ذلك يرشدنا الى ان عالم الغيب (اي الاسرار التي حجب
عنا) واسع . وقلة ما انكشف لا ترشدنا الى انحصاره فيها واحاطتنا بمجموعها
بل ترشدنا الى ان ما جهلناه كثير بالنسبة الى ما عرفناه وتأمرونا ان نقف
عن تعيين طرف لهذا الميدان الذي خوات البصيرة ان تجول فيه وحرم البصر
قلت في فكري ان الانسان محكوم في خلقه لنواميس تحدث
خواطره وخوافره متضادة متنازعة كمال التضاد والتنازع . فإما ان هنالك
قوتين متضادتين (من جاس القوة التي هي العقل) مسطتين عليه وتصرفه
تابع لنفوذهما على النسبة . وإما ان الأثرين المتضادين منفعلان عن المزاج
الإنساني المركب من متضادات . وعلى الرأي الأول فالقوتان إما لهما
وجود خارج الجسد . أولا وجود لهما الا في الجسد . وان وجد خارج
الجسد فاللادة التي تقوى بها اما بسيطة واما مركبة . هذه أسئلة تحظر
في بال الذين يريدون ان يتوصلوا للحقائق من طريق كونيها لا من طريق
اسميتها . والعقل السليم يعلم ان هذه الاحتمالات كلها جائزة . والقول
بكل واحد ينفع في الدلالة على ان النواميس التي لها نفوذ على الإنسان
هي أمور وجودية لها العلاقة العظمى في تفاوت أفراد النوع العاقل هذا
"تفاوت العظيم الذي برز ارجلا يعلم أفضل شرع وأكمل آداب ورجلا
تلك من الخار والكهرياء وما يفعلان من سحر الالاب بروائع
آثارها وبدائنها . ورجلا يستحوذ على قلوب الألوف المؤلفة بديان يديه

ويستزل النفوس عن حجة الحياة فيقذفها بين القواصف والقوافد .
ورجالا كثيرين لا يعرفون من الامر الا حيوانية وموتانا .

ولنا ان نقول ان النسبة بين الانسان وبين من هو دونه مخنوخة
بواسطة قرية منه ومن التي هي دونها (كالنبات مثلا هو قريب من
الحيوان لنموه مثله ومن الجماد لدمه تحركه بالارادة مثله) ونعلم قطعا ان
الانسان على عظمته في الارض غير كامل . أما من حيث الصورة فلقناها
وأما من حيث الخاصة فتردده في تحصيل ما يعتز به سعادة (ولذلك يعيش
الانسان في هذه الدار شقياً على كل حال اما بالآلام والأثواب الجسدية
واما بالآلام والأثواب الفكرية واما بهما معاً) فيجب ان تكون النسبة
المخنوخة بالنسائل مع من دونه مخنوخة أيضاً مع من فوقه . وليس في
عالم الحس فوقه شيء

ففي عالم النيب خافان متضادان (تضاد المبح والتبيح) لهما ثلاثة
بالانسان كملاقة الانسان بمن دونه . وعلاقة الانسان بمن دونه هي
احتياجه اليها التكميل خاصته واحتياجها اليه لظهور خواصها فملاقة هذين
هكذا : يحتاجان اليه (بسنة الله في الخلق) لتكميل خواصهما ويحتاج اليهما
لظهور خاصته . هذا التقدير كفايتي وكفايتك ولا تساني عن اسميهما
وكنهيهما فأني اكره جداً ان يختلف المعلاء بسبب الأسماء وأحب يتقاربوا
من رب المعاني ويعتبروا الدلالات عرضاً تابعاً ويتساهلوا مع بعضهم
في الاصطلاحات كيلا يكون سبب الاختلافهم

أما خاصة الانسان التي يطالب تكميلها : مادام حيا فهي التصرف بعوالم
هذه الارض . فأما الذين تناب فيهم غيرة محبة الخير فيأبهون تصفية العقل

الفريزي (القابل للصفاء والكدورة) فتظهر في صرائي أفكارهم صور
المعقولات . وتشرق عليهم من عالم الغيب أسرار ومعارف يحسن بها
تصرفهم وتحمد آثارهم ويبقى ذكركم حيا اذا اضططت صورهم يوما من الايام
واما الذين تغلب فيهم القوة الاخرى المضادة فتكدر عقولهم وتتشوش
بكثرة الوسواس والتردد ويكثر شقاؤهم في طلب المشتيات المادية ولن
تنتهي وحرمانها اكثر من حصولها ولم التزاحم عليها والتذابح لا توازيه
ولا تسكنه لنتها . فبسوء تصرفهم يذم عقباهم ويموت ذكركم كما يموت
ذكر الانعام التي تحيي زمانا ثم تهلك .

ولما كان الانسان على هذه الصورة من التضاد المحسوس الذي
يتبدى في النفس على وجه التردد ثم يفرج ويتبادى به الخطوط المتباينة
وكان يحكم هذا التضاد منقسما الى ابرارهم اقل وأشرارهم اكثر لم يستغن
عن قانون عام عادل وآداب جميلة لمهذبة للنفوس ومعيينة للقانون وعندقراءتنا
في ماضي الانسان نجد ان الله جبر نفسه هذا فاصطفى من البشر تاسا
هداهم ، اوحى اليهم ، علمهم شرائع وآدابا كما اقتضته حاجة الناس . وما
وجدنا قط امة صرعية ليست على اساس واحد من اسس الدين الذي
جاء به المصطفون .

وهذا التضاد كما هو دليل (اول) على ما ذكرناه هو دليل (ثان) على أن الباري
تعالى هو المدير للوجودات . لان تصرف الانسان الذي نوهنا به تصرف
ناقص كما هو محسوس ، وتصرف احدى التوتين ناقص ايضا كما هو
معتاد ، ولا بد اننا من تصرف اكل لانه ظهر لنا شيء شاهد ان هنالك
فوقه ما هو اكمل للتصرف الاكل هو لا كل شيء فيجب ان يكون

هو الباري تعالى رب العالمين . فكان الله تعالى خلق الانسان خلقاً خاصاً
 مدركاً ليعرفه بنفسه وخلق فيه امثلة من الكمال ليعلم كمال الله ويعرف ان
 عجلده - وهو النقي - بصفات يستعيرها . واصناف يستعين بها مما عرف
 من الكمال المتجلي بنفسه المصنوعة على ابداع مثال في المحسوس ، واقرب
 مثال في المفقول ، ثم ليدل بنقصه على كماله لم يجعله جازماً مستقلاً في ارادته
 ولا دائماً مستمراً في حياته ، ولا متحداً منتظماً في كلامه ، ولا مجيداً في
 كل تصرفه ، ولا كاشفاً لكل شيء في علمه ، بل لم يجعل افراده وهم واحد
 في النوع على نسق واحد في الإرادة والحياة والكلام والقدرة والعلم .
 فكانه اراد ان يبين بهذا التفاوت في الأحوال والدرجات ناقصاتهم وانقص
 وكاملها واكمل لتجلي برهانه ان له السلطان والملك وبيده الامر كله والحكم
 وهو دليل (ثالث) على ان الشرائع والاداب التي جاء بها المصطفون انما
 هي بوحى منه لانها معرفة به باديء بدء نصاً على وفق ما تعرف به
 خلقه الانسان حالا واسارة وهذا اكل تعريف وهيئات ان يستقل به
 عقل الانسان الناقص المنزدد والتعريف الحق به هو اول ركن من اركان
 الشرائع التي يراد بها زجر النفوس

و « محمد » ذلك الرسول العربي (غايه الصلاة والسلام) قد لبث
 في الامميين زمناً طويلاً من عمره . ثم ظهر عليهم وهو الاخي بعمارف من
 عالم الغيب علماً شرحها على اسلوب الفلسفة دقار ، واتى من القواعد العامة
 التي تصاح شرعاً لكل زمان ومكان بما علماً التفريع عليه اسفاراً ، ومن
 الآداب الجميلة بكلمات يسيرة ، بما يعجز اساطين علم الاخلاق عن
 ترتيب مثلها بدواوين ، قام بالامر وحيداً . وصدع بالهدى على رؤوس

الملاّ ققوبل بالرد والدّع . فصبرت نفسه ولم تيجزع ، وكبرت همته ولم
تصغر ، واشتد عزيمته ولم يضعف ، وما زال يخطب ويدعو ، ويؤنب
طوراً ويتفرق مرة ، حتى انتصر وأمر أمره . وتهذب على يديه جماعة
منهم يقوون ان يسלטوا بسلطاني العدل والاحسان على الأرواح والاشباح
وما زال اسمه يسمو ، ودينه ينمو ، حتى طاف المشارق والمغارب ، واستقر
في نفوس الاعاجم والأعارب ، فإني دينه من الأدب الرافع ، والنظام
النافع ، وما في قومه الذين رباهم وأرشدتهم من علو الهمة ، ومضاء العزيمة ،
وما في انتشار دعوته في حياته وبعد مماته هذا الانتشار المجيب ،
وما في سيرته الخصوصية من الكمال الانساني البديع ، وما في بقاء
قرآنه على الحفظ من التبديل ، وما في وعوده التي وعدها المؤمنين
(كتمكنهم في الارض وصيرورتهم خلفاء في الارض) من الصحة ، كل
هذه تكني من سلمت فطارته ، وصحت فطنته ، ان يعلم صحة دعواه ،
وفضيلة هداه ، ولا ينكر هذا الا مقلد أو معاند . اللهم صلى وسلم عليه
ما شكرك الشاكرون ، وذكركه الذاكرون

—اليوم الآخر—

بين الفلاسفة والمتكلمين اختلافات كثيرة في امكان الحشر وعدمه
وفي وقوعه وعدمه . وفي لزومه وعدمه . وفي كيفيته . ونحن نختم هذه
الرسالة بهذه الكلمة :

القل حين يرى ان الانسان لم يبلغ في هذه الحياة غايته من سبيل
الارتقاء . لا من حيث الصورة لأنه يموت . ولا من حيث الحال لأنه
في شقاء الطلاب الحرب . وفي شقاء التردد بين الحصول والحربان

والتوفيق والخذلان ، ولا من حيث القتل لانه محبوب عن عالم الغيب ،
 يخرج الى انه لا بد من يوم آخر ليلغ فيه الانسان غايته من حيث عدم
 الفناء ، ومن حيث عدم الحجاب ، ومن حيث التخاص من الاضداد ، فينقسم
 فيه الناس الى صنفين متباينين قسم في جنة نعيم البال وسعادة الرضاء بما
 كسبوه في حسن تصرفهم ونعم المصير . وقسم في سمر شقاء الحال وشقاء
 الندم على ما اجتروه بسوء تصرفهم وبئس المصير .

لنحي هذا أوجه حسنة وعقائد الى انتهاء الاجسام المركبة الفانية الى
 اجسام بسيطة باقية سواء رجعت بها الى المبدأ او ذهبت بها الى
 المصير بنصير ما . فهذا يرشدك الى امكان ان يرجع الشيء الباقي لاسمه
 مهما امتزج بغيره . والروحون من الفلاسفة لا يقولون بفناء الروح كما
 لا يقول الماديون منهم بفناء البسائط . فالروحي ان يلزمه ان لا يستبعد
 رجوع هذه الروح يوماً من الايام كما جات اولا للماهية التي عرفت بها لتبلغ
 تلك الماهية بهذه الروح في ذلك اليوم غايتها التي اعدت لها . والمادي
 يلزمه ان لا يستبعد امتزاج تلك البسائط امتزاجاً تاماً في يوم آخر كالا امتزاج
 الاول الذي حصلت منه ماهية حي من الاحياء ليلغ هذا الحي بهذا الامتزاج
 الثاني (الذي يحصل على كينية ثانية) في هذا اليوم الاخر غايته التي اعدت
 له . وعاد على من يعلم ان الماس (هذا الجوهر الكريم) عندنا قد استخلص
 من جنسه الفهم حتى صار كما يرى ان يستبعد ان يستخلص الانسان
 (هذا المخلوق المدرك الكريم) عندنا طرده الى (من جنسه الحيوان .
 وفريق منه من نوعه الانسان بأعظم من هذا المثال . اما اذا لم تقل باليوم
 الآخر فأين تميز الانسان على الحيوان اذا ما ما مينة واحدة واين تميز

الابرار على الاشرار اذا كان الامر مقصوراً على هذه الحياة .
اقول قولي هذا واستغفر الله وانيب اليه واسأله لي ولكم الهداية
والتوفيق الى سبيل السلام . اه في رمضان سنة ١٣٢٠ (ع ٠ ز)

﴿ باب شبهات المسيحيين . وجمع المسلمين ﴾

« يُخْرِفُونَ أَلْسِنَهُمْ عَنْهُ وَأَضَعُوا لِقَوْلِهِمْ كُذَّابًا وَسَمِعُوا وَرَاعُوا لِيَّا بِالْمَسِيحِمْ وَطَعْنُوا فِي الدِّينِ . وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ . . . »

قد علم قراء المنار أننا لن نفتح هذا الباب لاطمن في دين النصراني أو
غيره ابتداءً ، وإنما فتحناه لرد شبهاتهم التي ربما أتتكم كالكاهن الجاهل بالاسلام
في الدين ، طامعاً فتنفسد أخلاقه ، وكون مسيحية على نفسه وعلى الناس . ولا
غرض لاطمن الطاعنين بالاسلام الا هذا التشكيك الذي يحل الرابطة
الاسلامية ويضعف المساميين لانه يخرجهم عن كونهم أمة فيكونون أفراداً
طاعينين ، لا جنسية لهم ولا دين ، ولو أنهم كانوا يطعمون في تنصيرهم
الإنسان لهم عندنا بعض الضرر . ولكن التجربة أفادت التاريخ ان الملايين
من النصراني صاروا مسلمين ولا يوجد بازاء كل مليون من هؤلاء واحد
من المساميين خسر الا ، كان من أفراد ليس لهم من الاسلام الا وراثة
الاسلام من آباءهم لا ودين .

فلي لا يبعد على الدين الأفغاني الحكيم التبرير (رحمه الله تعالى) :
« ... »

الى النصرانية ؟ فقال إن المسلم يستحيل أن يكون نصرانياً لأن الاسلام نصرانية وزيادة فهو يأمر بالاعتقاد بنبوة عيسى وحقية دعوته ويرفض الخرافات والبدع التي زادت بها الجُمُيات النصرانية في دينه . فلما جرب لدين يتفقون حل الرابطة الاسلامية الدعوة الى النصرانية فلم يتجيب عمدوا الى تشكيكهم في أصل الدين المطلق بالدعوة الى الدهرية ،

وكذلك لما رأي مثل صاحب الجامعة أن تشكيك الناس في النصرانية يجح في المسلمين من الطريق الذي انبرى لتشكيكهم من الطريق الذي وبذل جهده لإقناعهم ^(١) بأن دينهم كثيره مدو فاعقل و"سلم" أن أنتمهم في العقائد (المسكبين) ينكرون الاسباب ^(٢) أن جميع السلطة الدينية والسلطة السياسية المدونة في خليفة الاسلام ضار بالمسلمين ورواها لتأخرهم . ومن رأي صاحب الجامعة أن المسلمين إذا أرادوا أن يربوا والنجاح فلا بد لهم من سماع نصيحته وهي ^(٣) أن يضعوا دينهم في جانب من العقل والعلم لانهما قاضيان بهداه كقضاياهما بهدم النصرانية فاذا اولوا الجمع بين الدين والعلم كما ينصح لهم بعض أئمتهم بما ينشر في المنار وغيره قائما بمحاولون محالاً بل انما يهدمون دينهم فيخرجون بلا علم ولا دين . و ^(٤) أن يعتقدوا أن سنة الله تعالى في الاسباب والمسببات صرته في الواقع خلافاً لما يحكم به الدين وعلماء الكلام فاذا صدقوا بالواقع فعلموا أن كذبهم فيهم والمكس والمكس . و ^(٥) أن يجعلوا خالفهم حاكماً في جميع الشرائع والاحكام ويتركوا ما شرعه الله لما شرعه من اطار وجهه الدين خاصاً بالعبادة لله تعالى . أي أنه يجب على المسلمين في رأي صاحب الجامعة أن يتركوا نصف دينهم وهو أحكام المعاملات الدنيوية ويتجملوا

النصف الثاني لمن يريد أن يترك العقل والعلم والأسباب لأجل العبادة .
 هذا ملخص نصح صاحب مجلة الجامعة للمسلمين ولأجل أن يجعله
 مقبولا وأورد لهم كلمات عن بعض أئمتهم حُرِفَها عن معناها ليخدع البسطاء
 بها وإنا نشرح هذه المسائل ونبين الحق فيها ليكون حجة على هؤلاء المعتدين
 الذين « يريدون ليظفروا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون »

﴿ الأسباب أو سنن الله تعالى في الخلق ﴾

وإثبات الامام الغزالي لها

ذكر صاحب الجامعة في كتاب لَقَمَةٍ أَنَا أوردنا قوله تعالى « ولن تجد
 سنة الله تديلا » لإثبات أن النواميس الطبيعية لا تتغير ولا تبدل ثم قال :
 « مع أنه لو قام حجة الإسلام الامام الغزالي من قبره وسمع هذا القول
 لكسر قلم صاحب تلك المجلة وضحك من بساطته وعدم اطلاعه على
 الشؤون التي يبحث فيها لأنه استشهد بتلك الآية للفرض الذي ذكره مع
 أنها لم ترد في القرآن لهذا الأمر بوجه الإطلاق »

يقول هذا صاحب الجامعة تمهيدا لخلابة المسلمين بأن ما يتبعه هو فيه
 من الحكم بتفسير كتاب الله برأيه الأفيين مقتبس من الامام الغزالي
 الذي حرف قوله عن موضعه ولم يفهم مراده منه .

إذا كان الغزالي يضحك من (بساطة) من أخذ معظم عليه في الدين
 من كتابه إحياء العلوم اعتقاداً وعملاً ودرسه من أول نشأته المرة بعد
 المرة كما درس كل ما اطلع عليه من كسبه بأمان وإخلاص — فهل يضحك
 أو يبكي من (تركيب) جاحد معاند يلتصق من كلامه كلمة يحرفها عن موضعها

لنفس المسلمين بشيء يخالف دينهم محجاً بكلام امام من انتمهم ولا موضع للاحتجاج ؛ ترك مثل هذا ونسرد مذهب النزالي في الاسباب وسن الله تعالى ونين الحق في المسألة التي اشتهيه فهمها على كثير من الناس حتى صار التشكيك فيها متيسرا مثل صاحب الجامعة مع عوام المسامين الذين لا يزال فيهم من يقرأ ما يكتبه ذهبا مع سماحة الاسلام

مذهب النزالي : قال حجة الاسلام في الفصل الثالث من كتاب التوكل مانصه : « الاسباب التي يحجب بها النافع على ثلاث درجات . تطوع به ومظنون ظناً يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه . (الدرجة الاولى) المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت بالمسيبات بها يتقدير الله ومشيئته ارتباطاً ضرورياً لا يختلف كما ان الطعام اذا كان موهوماً بين يديك وانت جائع محتاج ولكم لك لست تمد اليه وتقول : انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وأبتلاعه باطباق أعالي الحنك على أسافله : فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء . فانك اذا انتظرت ان يخلق الله تعالى فيك شيئا دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليخضغه لك ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى . وكذلك لو لم تزرع الارض وطعمت في ان يخلق الله نباتا من غير بذر أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل هذا جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه » اهـ بحروفه

وبعد ان قرر ان هذه الدرجة لا يأتي فيها التوكل بترك العمل تكلم عن الدرجة الثانية وهي ما كان السبب فيها مظنوناً وبين ان التوكل لا يأتي

فيها أيضاً قال مانصه : « فاذا اتباعد عن الاسباب كلها سرانمة للحكمة ووجهه بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الاسباب لا يناقض التوكل »

هذا التفصيل في جلب المنافع وقد أورد مثله في منعها وفي دفع المضرات التي أسبابها قطعية أو ظنية وبين ان التوكل إنما يكون في ترك الاشياء الوهمية كالرقية والطيرة والسحر التي ورد بها الحديث . ومما صرح فيه بذكر السنة الالهية هنا قوله : « وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا يتقضي التوكل بإغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير لان هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى إما قطعاً وإما ظناً » ثم أورد الشواهد من الكتاب والسنة وهي : شهورة .

وقال في الكلام على التداوي وهو من منع المضار هذه الكلمة الجلية « ليس من التوكل الخروج عن سنة الله أصلاً » . وقال أيضاً في تداوي النبي صلى الله عليه وسلم « وإنما لم يترك الدواء جرياً على سنة الله تعالى وترخيصاً لأمته فيما تمس إليه حاجاتهم »

وأظهر من هذا قوله بعد شرح طويل للاسباب : « فهذا تين أن مسبب الاسباب أجرى سنته بربط المسببات بالاسباب إظهاراً للحكمة والادوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب فكما ان الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش فالسكنجيين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال » يباركه الا في أحد أمرين أحدهما أنت معالجة الجوع والعطش بالماء والآخر جلي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجيين يدركه بشئ الخواص فمن أدرك ذلك بالتجربة التحق في حقه

بالأول . والثاني ان الدواء يسهل والسكنجيين يسكن الصنراء بشروط
آخر في الباطن وأسباب من المزاج ربما يتقدر الوقوف على جميع شروطها
وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الإسهال . وأما زوال
العطش فلا يستدعي سوى الماء شروطاً كثيرة وقد يتفق في المواضع
ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر . واختلال
الأسباب أبداً ينحصر في هذين الشيئين والأقسام يتلو السبب لا محالة مهما
تت شروط السبب . اهـ بحروقه

فأي نص في التلازم بين الأسباب والمسببات أقوى من هذه الجملة
الآخيرة ؟ فهذا هو الامام الفزالي الذي يؤم المسلمين صاحب الجامعة
بأنه ينكر الأسباب وينكر ان معنى سنة الله التي لا تبدل ولا تحول
الأسباب وارتباطها بالمسببات . فهل بعد هذا يوثق بقول صاحب الجامعة
أو بحسن قصده ؟ وهل يجوز لغير العالم الراسخ ان ينظر في قول هذا
المشكك الذي يريد ان يفسد على عوام المسلمين عقائدهم ؟

(التوفيق بين هذا وبين مقاله في تهافت الفلاسفة)

مسألة الأسباب التي شرحها الامام الفزالي في كتاب التوحيد
والتوكل هي ما يفتقده المسلمون وانما كتبها للمسلمين لانه يبين في هذا
الكتاب مقام التوكل الذي هو أعلى مقامات الايمان . وله كلام آخر
في هذه مسألة مع الفلاسفة لا مع المسلمين . وكلامه هناك يجب ان
يكون بلسان يخالف هذا اللسان ولكن لا يناقضه ذلك انه هنا يشرح
الواقع الذي يدل عليه الوجود وينطق بموافقة الشرع وهناك يتكلم
على العلل والتأثيرات الحقيقية في الایجاد والاعدام وما قاله في الموضمين

هو الحق الذي لا محيد عنه كما بينه

ولا بد قبل الخوض في القسم الثاني من كلمة تمهيدية في الموضوع وهي ان المنورين بالظواهر من الفلاسفة المتقدمين كانوا ينزلون الاسباب العادية الظاهرة منزلة العلل العقالية القاطمة وينسبون اليها التأثير ويزعمون أنها مطردة اطراداً ضرورياً يستحيل انفكاكه . ولو نهضت لهم الحجة البالغة على ذلك لما خالفهم المسلمون لان القاعدة المتفق عليها عند المتكلمين هي ان قدرة الله تعالى وارادته لا تتعلق بالمتنزيل وإنما تتعلقان بالمكن فقط . ولكن لا حجة لهم على ذلك وإنما هو شبهات كشف الحجاب عنها الغزالي وغيره . وتلك الاسباب التي صر القائل في اطرادها ممكنة فهي مطردة بفعل الله تعالى

ولو سلم الناس بقول اولئك الفلاسفة وقفت حركة العلم عند تلك الظواهر التي كانوا يرون تغييرها محالاً عقلياً وما المحال العقلي شيء واحد وهو اجتماع النقيضين او الضدين المساويين للنقيضين او ارتقاعهما . ولو ان هذه الغرائب التي كشفها العلم في عصرنا ذكرت لاولئك الفلاسفة القاصرين لجزموا باستحالتها واوردوا على ذلك من الشبهات النظرية مثلاً ووردوه على القول بمثل الاجساد . وأمثلة بعث الاجساد ظاهرة اليوم لعلماء الكيمياء ظهوراً تاماً قال الامام الغزالي في كتاب تهافت الفلاسفة ما نصه : « هذا ١٠

اردنا ان نذكره في العلم الملقب عندهم بالآلهي اما الملقب بالطبيعيات فهي علوم كثيرة نذكر أنواعها لتعرف ان الشرع ليس يقتضي المنازعة فيها ولا انكارها الا في مواضع » . وانه القاري الى عطفه الانكار على المنازعة لتفايرها فالانكار هو القول بطلان الشيء مرة واحدة وبالمنازعة هي

المباحثة في دليله ليظهر الصواب مأخوذة من منازعة الثوب بين اثنين .
ثم قال الامام بعد سرد انواع العلوم الطبيعية المعروفة الى ذلك العهد « وانما
نحلقهم من جملة هذه العلوم في اربع مسائل (الاولى) حكمهم بان هذا
الاقتران المشاهد في الوجود بين الاسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة
فليس في المقدور ولا في الامكان إيجاد السبب دون المسبب ولا وجود
المسبب دون المسبب وأثر هذا الخلاف يظهر في جميع الطبيعيات » الى
ان قال ما نصه « وانما يلزم النزاع في الأولى من حيث أنه ينتفي عليها اثبات
المعجزات المخارفة للعادة من قاب المصا ثعبانا وإحياء الموتى وشق القمر .
ومن جعل مجاري العادات لازمة لزم ما ضرورياً أحال جميع ذلك . وأولوا
ما في القرآن من إحياء الموتى وقالوا اراد به إزالة موت الجهل بحياة العلم
وأولوا تلقف المصا لسحر السحرة بإبطال الحججة الإلهية الظاهرة على يد
موسى شبهات المنكرين . وأما شق القمر فربما أنكروا وجوده وزعموا
أنه لم يتواتر » اهـ بنصه

ولينظر طلاب الحقيقة الى تحريف صاحب الجامعة النصرانية قول
الامام كيف كان . الامام قال « وانما يلزم النزاع في الأولى من حيث أنه ينتفي عليها اثبات
المعجزات » ومنه ان محل النزاع في المسئلة الأولى هو إنتفاء إثبات المعجزات
بجعلها من المحالات العقلية التي لا يمكن وجودها ولا تتعلق قدرة الله بها .
وصاحب الجامعة يقول عن لسان هذا الامام ما نصه : ثم قال وانما يجب علينا
إنكار هذا القول لانه ينتفي به اثبات المعجزات . فجعل (الانكار) محل (النزاع) وزاد عليه
جعله واجبا . وقد بينا الفرق بين للانكار والنزاع آنفا . فاذا كان ثقل
صاحب الجامعة عن رنان وعن غيره على هذا النحو من فهم والامانة

فالتأني من يقرأ ما يكتبه بأن علمه عين الجهالة ، وهدايته نفس الضلالة
ثم قال الامام الغزالي في بيان الحق في المسئلة من طريق العلم المؤيد
لما يعتقده المسلمون ما نصه : « الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما
يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا
ولا إثبات احدهما متضمن لإثبات الآخر ولا نفيه متضمن لنفي الآخر
فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ولا من ضرورة عدم
أحدهما عدم الآخر مثل الري والشرب . والشبع والاكل . والاحتراق
ولقاء النار . والنور وطلوع الشمس . والموت وجز الرقبة . والشفاء
وشرب الدواء . واسهال البطن واستعمال المسهل . وهلمجرا الى كل
المشاهدات من المقترنات في الطب والنجوم والصناعات والحرف . وان
اقربها لما سبق من تقدير الله سبحانه خلقها على التساقط لا يكونه ضرورياً
في نفسه غير قابل للفراق بل في المقدور خلق الشبع دون الأكل وخلق الموت
دون جز الرقبة وادامة الحياة مع جز الرقبة وهلمجرا الى جميع المقترنات
وانكر الفلاسفة ما كانه وادّعوا استحالة ثم ضرب لذلك مثالا واضحاً لا حاجة لذكره
وما ذكره الامام الغزالي هنا هو ما عليه فلاسفة هذا العصر فانهم
لا يقولون بأن شيئاً من هذه المقترنات في المادة المعروفة بالاسباب
والمسببات هو ضروري واجب عقلاً وانفكاكاً محال لا يتصوره العقل
بل كل هذه الاشياء عندهم ممكنة . وانفكاك التلازم وقع كثيراً ويسمون
الما يعرفون له منه علة « فئات الطبيعة » وبعض الانفكاك كان بما
اكتشفه العلم من اسرار الكون ويتوقعون بهذه الاكتشافات ما لم يقع
كإحياء الموتى ولو كان في نظركم محالاً لما توقعوه . ولكن صاحب الجاهلية

لا يميز بين الضروري والممكن فيخلط المسائل بعضها ببعض . وقد صرح الغزالي فيما تقدم آنفاً بان المتلازمين في العقل تلازماً ثبت به أحدهما بثبوت الآخر ونفتي بانفائهما اللذان يستحيل انفكاك تلازمهما لان قدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيل

(الوفاق بين قولي الغزالي ومذهب باكون)

تقدم ان الغزالي قال في كتاب التوكل ان سنة الله في نظام الكون هي ان الاسباب مرتبطة فيه بالمسيبات ارتباطاً كلياً لا يختل الا اذا لم تستوف الشروط التي يتحقق بها السبب حتى قال ان السبب يتلو المسبب عند عدم المانع ^{لا محالة} ، وفسر مثل قوله تعالى « فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً » بهذا النظام في الارتباط بين الاسباب والمسيبات وهو التفسير المتعين . وقال في كتاب تهافت الفلاسفة ان هذا الارتباط بين الاسباب والمسيبات المادية على اطراده ليس بضروري في نظر العقل وعدمه ليس محالاً وانما هو ثابت في الواقع ونفس الامر بحكمة خالق الكون ومدبره واذا كان الله قد أحكم بحكمته الروابط بين حوادث الكون فيذبحي للناس أن يبحثوا عنها ويهتدوا بها في مصالحهم ومنافعهم ولا يتوقف هذا الاهتداء على كون كل ما يظهر في المادة شيئاً لشيء ان يكون انفكاكه عنه محالاً عقلياً . ويعلم الناظر في فلسفة القدماء أنهم كانوا يعتمدون على الادلة النظرية في الحكم باستحالة الشيء أو إمكانه أو وجوبه عقلاً فالغزالي وغيره من أئمة علم الكلام ينوون ان المستحيل العقلي هو ما كان بمعنى اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما أو اجتماع الضدين بمعنى النقيضين . وقالوا ان المستحيل والواجب الضروري في نظر العقل لا تتعلق بهما قدرة الله تعالى وإنما تتعلق

قدرة الله تعالى بالمتكلمين فقط . فكانت فائدة قول المتكلمين في أمرين عظيمين هما أساس لترقي البشر (أحدهما) ان ما ثبت أنه ضروري (واجب) أو مستحيل لا يطعم فيه الطامع لا من جهة الكسب ولا من جهة الالتجاء الى الله تعالى لأنه لا يتغير . (ثانيها) ان للممكنات سنا منتظمة ينبغي للانسان ان يعرفها وينتفع بها ولكن لا ينبغي أن يوقف حركة استعداده عند ما يظفر له بالدي الرأي أنه لا يتغير بل عليه أن يبحث لعله يقف على سنة إلهية أخرى تكون السنة التي ظهر له اطرادها مشروطة بها فيجمع بين الانتفاع بالسنتين معاً . مثال ذلك أن السنة الإلهية الظاهرة في النار أنها تحرق ما يقبل الاحتراف . فلا ينبغي للانسان ان يجزم بأنه لا يمكن ان ينفي هذا الاحتراق لأنه ضروري بل عليه أن يبحث لان الاحتراق ممكن وربما يكون حصوله مشروطاً بانتفاء وجود مادة من المولد لو عرفت يمنع الاحتراق بها . وقد اكتشف الآن ما يمنع الاحتراق في الجملة وانتفع به في وقاية المسكاتب العمومية

فهذا التقرير أتي حجة الاسلام على تلك الفلسفة النظرية من القواعد (وإن أساء ابن رشد في فهم بعض قوله وكابره في بعضه) وأظهر حكم الدين الاسلامي في إطلاق العقل الانساني من تلك القيود النظرية ليسبح في ذلك الله مهتدياً بدين الله فيه . رت . رت . (ر . ا ك ز) على هذا الأثر فقرر ان الأدلة النظرية لا تعتمد عليها في إثبات المسائل العلمية مالم تؤيد بالتجربة والاختبار . قال باكون هذه الكلمة التي يدونها أساس النهضة العلمية الجديدة في أوروبا . كانت مبرورة عند المسلمين من قبله (كما تقدم في مقالات الاسلام والنصرانية) وما كانت عنده أكثر جلاء

ووضوحاً لأنه كان يعتقد بخلافها كالتهجين والكيمياء القديمة وحجر الفلاسفة وهي أمور وهمية لا ترتقي إلى أن تكون نظرية مضمونة . ولكن أوربا كانت مسندة بارتقاء العلم فيها إلى الأخذ بما قال من وجوب الاعتماد على التجربة والاختبار فعملوا بذلك وارتقى العلم به وعُدَّ بما كُون إمام هذه الطريقة التي قررّها المسلمون وعملوا بها من قبله

والنتيجة أن صاحب الجامعة أخطأ في زعمه أن الإمام النزالي أنكر الأسباب . وفي زعمه أن مذهب في السنن الإلهية غير ما قلناه في « المنار » وندعو إليه دائماً . وفي زعمه أن بينه وبين قاعدة ما كُون سوراً عالياً . وفي زعمه أيضاً أن التلازم بين الأسباب والمسببات أو النواميس إذا لم يكن ضرورياً (أي واجباً عقلياً يستحيل عدمه) تصير النواميس فوضى . فإن خالق الكون وواضع نواميسه إذا كان حكماً لا يفعل شيئاً إلا بنظام كما دل على ذلك كتابه العزيز ودل عليه الوجود فكيف يكون الأمر فوضى . ومن قال أن النظام في الكون مشروطاً بكون الله تعالى غير قادر وغير حكيم ؟ ما قال بهذا إلا صاحب الجامعة النصرانية يثبت أن مذهب المتكلمين المسلمين باطل في نفسه ومؤدّى إلى إنكار حكمة الله تعالى وقدرته . ولم نر من المنكرين على الذين أشدّ تهافتاً في طغيانهم بالاسلام وأئمتهم الاعلام مثل هذا الكتاب الجديد الذي حاول الشهرة والنجاح من غير طريقهما كما فعل ذلك المستوه الذمّي مخلى في مذهب تلك الكنيسة العظيمة ليشتهر اسمه . فبئست الشهرة بمكابرة الحق وتحريف كلام الأئمة لاجل درهمات تيجي من عدو للاسلام ، يجب أن يتشفي من أهله ولوبزور الكلام ، هه أعلى من أن ترجع إليه الأوهام ،

القسم العمومي

الاجتماع الثامن لجمعية أم القرى

في مكة المكرمة . يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦
 في صباح ذلك اليوم انتظمت الجمعية وقرأ البليغ الاسكندري ضبط اليوم السابق
 على العادة المألوفة وأذن الأستاذ الرئيس للسيد الفراتي بالتعام بحته
 فقال (السيد الفراتي) ان من أعظم أسباب الفتور في المسلمين غرارتهم أي
 عدم معرفتهم كيف يحصل انتظام المعيشة لانه ليس فيهم من يرشدهم الى شيء من
 ذلك بخلاف الامم الأخرى فان من وظائف خدمة الأديان عندهم رفع الغرارة أي
 الارشاد الى الحكمة في شؤون الحياة . وأما الأقوام الذين ليس عندهم خدمة دين أو
 الشرازم الذين لا يهتمون لخدمة دينهم فستنتون عن ذلك بوسائل أخرى من نحو
 التربية المدرسية والأخذ من كتب الأخلاق وكتب تدبير المنزل ومفصلات في
 الاقتصاد والتواريخ المتفة والرومانات الاخلاقية والتمهيدية أي كتب الحكايات الوضعية
 ونحو ذلك مما هو مفقود بالكلية عند غير بعض خاصة المسلمين
 على ان الخاصة المسلمين من الغرارة علماء لا يهتدون غالباً على العمل بما يعلمون
 لأسباب شتى منها بل أعظمها جهالة النساء المفسدة للنشأة الأولى وقت الطفولية
 والصبوة ومنها عدم التمرن والالفة (١) ومنها عدم مساعدة الظروف المحيطة بهم للاستمرار
 على نظام مخصوص في معيشتهم
 ثم قال ولا أرى لزوماً للاستدلال على استيلاء الغرارة علينا لأنها مدركة مسلمة
 عند الكافة وهي ما ينطوي تحت أجوبتنا عند التساؤل عن هذه الحال بقولنا : ان
 المسلم مصاب . وان الله اذا أحب عبداً ابتلاه . وان أكثر أهل الجنة البله . وحسب
 ابن آدم قهقرا يقمن صابه . وان غيرنا مستدرجون . وانهم كلاب الدنيا . وانهم
 يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا . وانهم في غفلة عن الموت وغفلة عن ان الدنيا شاخخة .
 ثم قال فن (الغرارة) في طبقائنا كافة . من الملوك الى الصغار اننا لا نرى ضرورة
 الاتقان في الأمور وقاعدتنا ان بعض الشيء يعني عن كله . والحق ان الاتقان ضروري
 ١٠ كما يتبين أولاد أكثر أسرنا على أيدي اللالات أو الخادومات وما أدراك
 ما تلك الحيوانات . اه من هامش الأصل

للتجاح في أي أمر كان بحيث اذا لم يكن مستطاعاً في أمر يلزم ويتحتم ترك ذلك الامر كلياً والتحول عنه الى غيره من المستطاع فيه ابقاء حق الاتقان .

(ومن الغرارة) توهنا ان شئون الحياة سهلة بسيطة فظن ان العلم بالشيء اجمالاً ونظرياً بدون تمرن عليه يكفي للعمل به فيقدم احداً مثلاً على الامارة بمجرد نظره في نفسه انه عاقل مدبر قبل ان يسرف ماهي الإدارة علماً وتمرن عليها عملاً ويكتسب فيها شهرة تعينه على القيام بها

ويقدم الآخر منا على الاحتراف مثلاً ببيع الماء للشرب بمجرد نظره ان هذه الحرفة عبارة عن حمله قريةً وقدهجاً وتعرضه للناس في مجتمعاتهم ولا يرى لزوماً لتلقي وسائل إتقان ذلك عمن يرشده مثلاً الى ضرورة النظافة له في قربته وقدهجه وطواهر هيئته ولباسه وكيف يحفظ برودة مائه وكيف يستبرقه (كذا) ويوهم بصفائه ليشهي به ومقى يغلب العطش ليدفع الاحتجعات ويحرق منها الخبايا له عن المزاحمين وكيف ينزل للناس ويوهم بلسان حاله انه محترف بالإسقاء كفاً لنفسه عن السؤال الى نحو هذا من دقائق إتقان الصنعة المتوقف عليها نجاحه فيها وان كانت صنعته بسيطة حقيرة .

ومن الغرارة ظننا ان الكياسة في: أذري وأقدر: جواباً للنفس في ما صدر كثيرة شئ والحقيقة ان الكياسة لا تحقق في الانسان الا في فن واحد فقط يتوابع فيه فينتقه حتى الإتقان كما قال تعالى «ما جعل الله لرجل من قاتلين في حوقه» فالعاقل من تخصص بعمل واحد ثم يحاوب نفسه عن كل شيء غيره: لا أدري ولا أقدر: لأن الأول يتكلف اعمالاً لا يحسنها فتفسد عليه كلها والثاني يحرق لكل عمل لازم له من يحسنه فتتظم امورُه ومنها عيشه .

فالملك مثلاً وظيفته النظارة العامة وانتخاب وزير يثق بأخلاقه ويعتمد على خبرته في انتخاب بقية الوزراء والسيطرة عليهم في الكليات فالملك مهما كان عاقلاً حكيماً لا يقدر على إتقان أكثر من وظيفته المذكورة . فالملك اذا تفرغ ونزل للتدخل في أمور السياسة أو الإدارة الملكية أو الأمور الحربية أو القضاء فلا شك انه يكون كرتبيت يداخل طبائحه في مهنته ويشارك بستانيه في صنعته فيفسد طعامه ويور بستانه فيشتكي ولا يدري ان آفته من نفسه .

ومن الغرارة «الوث في الامور أي تركها بلا ترتيب والحكمة قاضية على كل انسان ولو كان زاهداً منفرداً في كهف جبل فضلاً عن سائس رعية او صاحب عائلة

ان يتخذ له ترتيباً في شئونه وذلك بان يرتب

(اولاً) أوقاته حسب أشغاله ويرتب أشغاله حسب أوقاته والشغل الذي لا يجد له وقتاً كافياً يهمله بالكلية او يفوضه لمن يفي حق القيام به عنه .

(ثانياً) يرتب نفقاته على نسبة المضمون من كسبه فان ضاق دخله عن المبرم من خرجة يغير طرز معيشته ولو بالتحول مثلاً من بلدة الغالية الأسعار او التي مظهره فيها ينم عن الاقتصاد الى حيث يمكنه ترتيبها على نسبة كسبه .

[ثالثاً] يرتب تقليل غائلة عائلته عند أول فرصة ملاحظة اراحة نفسه من الكد في دور العجز من حياته فيربي أولاده ذكوراً وإناثاً على صورة ان كلاً منهم متى بلغ أشده يمكنه ان يستغني عنه بنفسه معتمداً على كسبه الذاتي ولو في غير وطنه .

(رابعاً) يرتب أموره الادبية على نسبة حالته المادية أعني يرتب أموره الدينية ولذاته الفكرية وشهواته الجسمية ترتيباً حسناً فلا يحمل نفسه منها ما لا تطيق الاستمرار عليه .

(خامساً) يرتب مياله الطبيعي للمجد والتعالي على حسب استعداده الحقيقي فلا يترك نفسه لتطاول الى مقامات ليس من شأن قوته المادية ان يبلغها الا بمحض الحظ اي المصادفة . وخلاصة البحث ان القناعة من أقوى اسباب الفتن وقداطلت في وصفها ولم يضاحها ليتأكد عند السادة الاخوان ان ازالة اسباب الفتن الشخصي ليس من عقبات الامور .

ثم قال ان لانهلال اخلاقنا سبباً مهماً آخر ايضا يتعلق بالنساء وهو تركهن جاهلات على خلاف ما كان عليه اسلافنا حيث كان يوجد في ناسنا كأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي اخذنا عنها نصف علوم ديننا وكثبات من الصحبايات والتابعيات راويات الحديث والمتفهمات فضلا عن الوف من العالمات والشاعرات — اللاتي في وجودهن في العهد الاول بدون انكار — حجة دامغة ترغم انب غيرة الذين يزعمون ان جهل النساء احفظ لعقبتن فضلا عن انه لا يقوم لهم برهان على ما يتوهمون حتى يصح الحكم بان العلم يدعو للفجور وان الجهل يدعو للعفة . نعم ربما كانت العالمة اقدر على الفجور من الجاهلة ولكن الجاهلة اجبر عليها من العالمة . ثم ان ضرر جهل النساء وسوء تأثيره في اخلاق البنين والبنات امر واضح غني عن البيان وانما سوء تأثيره في اخلاق الأزواج فيه بعض خفاء يستلزم البحث فأقول .

ان الرجال مبالون بالطبع الى زوجاتهم والمرأة اقدر مطلقاً من الرجل في ميدان

التجاذب الاخلاق ولا يتوهم عكس ذلك الا من استحكم فيه تقرير زوجته له بأنها ضعيفة مسكينة مسخرة لارادته حل كون حقيقة الأمر انها قابضة على زمامه تسوقه كيف شاءت . وبتميز آخر فرفره انه أماءها وهي تنبئه فيظن انه قائد لها والحقيقة التي يرها كل الناس من حولها دونها انها انما تنبئي وراءه بصفة سائق لا تابع . وما قدر قدر دهاء النساء مثل الشريعة الاسلامية حيث أمرت بالحجب والحجبر الشرعيين حصراً للمعتن وتفرغهن لتدبير المنزل فأمرت باحتجابهن احتجاباً محمداً بعد ابداء الزينة للرجال الأجانب وعدم الاجتماع بهم في خلوة أو لغيره لزوم . وأمرت باستقرارهن في البيوت الالحاجة ولا شك انه ما وراء هذه الحدود الافتح باب الفجور . وما هذا التحديد الا مرحلة بالرجال وتوزيعاً لوظائف الحياة .

والصينيون وهم أقدم البشر مدنية التزموا تصفير أرجل البنات بالضغط عليها لاجل ان يمسر عليهم المشي والسعي في افساد الحياة الشريفة ذلك الشرف الذي هو من أهم مقاصد التثقيف بخلاف الغربيين الذين لا يهتمهم غير التوسع في الماديات والمبذات وقد أمرت الشريعة برعاية الكفائة في الزوج وذلك ايضاً مرحلة بالرجال و

لأئمة المجتهدين أغفلوا لزوم تحري الكفائة في جانب المرأة للرجل وأوجبوا ان يكون هو كفواً لها فقط لكيلا تهلك بفسادها وتحكمها على ان لرعاية الكفائة في المرأة بالنسبة الى الرجل ايضاً وموجباً عائياً مهمة منها التخير الاسلام والتخير لتربية النسل . وللتساهل في ذلك دخل عظيم في انحلال الاخلاق في المدن لان التزوج بمجهولات الاصول او الاخلاق او بسافلات الطباع والمعادات او بالغريبات جنساً او الرقيقات مفسد شقي لأن الرجل يتعرج طوعاً أو كرهاً لأخلاق زوجته فان كانت سافلة يتسفل لاحتلاله وان كانت غريبة يفضض اليه قومه وجبرته الى موالاتهم فومها والتخلق بخلافهم ولا شك ان هذه المفسدة تستحكم في الاولاد اكثر من الأزواج

وربما كان أكبر مسبب لانحلال اخلاق الامراء من المسلمين انماهم من جهة الامهات والزوجات السافلات اذ كيف يرجي من امرأة نشأت سافلة رقيقة ذليلة (١) أن تترك بعلمها وهو في الغالب أطوع لها من خائنها أن يحجب داعي شهامة أو مروءة أو أن تفرز في رؤس صبيتهامقاصد سامية أو تحمسمهم على أعمال خطيرة كلاً لا تفعل ذلك أبداً انما تفعله الشرقيات اللاتي يجدن في أنفسهن عزة وشهامة (٢) وهذا هو

- (١) كالكرهيات الارمنيات والرققات الجر كسيات امهات اكثر الامراء وزوجاتهم
(٢) كبنات بيوت المجيد الحريصات على الفخر وبنات أهل البادية والقرى الايبات النفوس

سراً أن أعظم الرجال لا يوجدون غالباً إلا من أبناء وبمول نسوة شريفات وأبيوت قروية وهذا هو سبب حرص أمراء العرب والافرنج على شرف الزوجات

(ثم قال السيد الفرائي) أيضاً: واني أرى أن هذا الفتور بالغ في غالب أهل الطبقة العليا من الأمة ولا سيما في الشيوخ مرتبة (الخور في الطبيعة) لاننا نجدهم يتقصون أنفسهم في كل شيء ويتقاصرون عن كل عمل ويحجمون عن كل إقدام ويتوقعون الحيلة في كل امل. ومن أقبح آثار هذا الخور نظرهم الكمال في الاجانب كما ينظر الصبيان الكمال في آلتهم. وعلماهم فيندفعون لتقليد الاجانب واتباعهم فيما يظنون به رقة وظرافة. وعندما يتخذون لهم فيما يشقونهم به كاستحسان ترك التصلب في الدين والافتخار به قههم من يستحي من الصلاة في غير الخلوات. وكإيهال التمسك بالمادات القومية قههم من يستحي من عمامته. وكالجمد عن الاعتزاز بالعشيرة كأن قومهم من سقط البشر. وكنبذ التحزب للرأي كأنهم خلقوا قاصرين. وكالغفلة عن ايتار الاقربين في المنافع. وكالقبض وودع التناصر والتراحم بينهم كي لا ينم من ذلك رائحة التعصب الديني وان كان يعلى الحق - إلى نحو ذلك من الخصال الذميمة في أهل الخور من المسلمين الحميدة في الاجانب لان الاجانب يعموهون عليهم بأنهم يحسنون التحلي بها دونهم

وهؤلاء الواهنة يحق لهم أن تشق عليهم مفارقة حالات الفوها عمرهم كما قد يألف الجسم السقم فلا تاذله العافية فانهم منذ نعومة أظفارهم تعلموا الأدب مع الكبير يقبلون يده أو ذيله أو رجليه. وألقوا الاحترام فلا يدوسون الكبير ولو داس رقابهم. وألقوا الثبات ثبات الأوتاد تحت المطارق. وألقوا الانقياد ولو إلى المهالك. وألقوا أن تكون وظيفتهم في الحياة دون الثبات ذاك يتطاول وهم يتقاصرون، ذاك يطلب السماء وهم يطلبون الأرض كأنهم للموت مشتاقون، وهكذا طول الألفة على هذه الخصال قلب في فكرهم الحقائق وجعل عندهم المحازي مفاخر فصاروا يسمون التصاغر أدباً والتذلل لطفاً والتعلق فصاحة والاكثرة رزاة وترك الحقوق سماحة وقبول الاهانة تواضعاً والرضاء بالظلم طاعة كما يسمون دعوى الاستحقاق غروراً والخروج عن الشأن الذاتي فضولاً ومد النظر إلى القدامى آملاً والاقدام تهوراً والحمية حماقة والشهامة شراسة وحرية القول وقاحة وحب الوطن جنونا

ثم قال وليعلم أن اللشنة الذين تعقد الأمة آمالها باحلامهم عسى يصدق منها شيء

وتتعلق الاوطان بحبال همهم عساهم يأتون فعلاً مذكوراً هم اولئك الشبان ومن في حكمهم المحمديون المهذبون الذين يقال فيهم ان شباب رأي القوم عند شبابهم الذين يفتخرون بدينهم فيحرصون على القيام بمبانيه الاساسية نحو الصلاة والصوم ويحبون مناهيه الاصلية نحو الميسر والمسكرات الذين لا يقصرون بناء قصور الفخر على عظام تخرها الدهي ولا يرضون ان يكونوا حلقة ساقطة بين الاسلاف والاخلاف الذين يعلمون انهم خلقوا احراراً فيأتون الذل والاسارة • الذين يودّون ان يموتوا كراماً ولا يحبون لثاماً • الذين يجهدون ان يتلوا حياة راضية حياة قوم كل فرد منهم سلطان مستقر في شؤنه لا يحكمه غير الدين وشريك أمين لقومه يقاسمهم ويقاسمونه الشقاء والهناء وولد باق بوطنه لا يبتذل عليه بجزء طفيف من فكره ووقته وماله • الذين يحبون وطنهم حب من يعلم انه خالق من تراه • الذين يشقون الانسانية ويعلمون ان البشرية هي العلم والبهيمية هي الجهالة • الذين يعتبرون ان خير الناس انفعهم للناس الذين يعرفون ان الغنوط وباء الامل • والسترد وباء الاعمال • الذين يفتخرون ان القضاء والقدر هما السعي والعمل • الذين يوقنون ان كل ما على الارض من أثر هو من عمل أمثالهم البشر فلا يتحيلون الا المقدرة ولا يتوقعون من الأقدار الا خيراً • وأما النشء المتفرنج فلا خير قيم لأنفسهم فضلاً عن أن ينفعوا أقوامهم وأوطانهم شيئاً وذلك لأنهم لا اخلاق لهم تجاذبهم الاهواء كيف شاءت لا يتبعون مسلكاً ولا يسبرون على ناموس مطرد لأنهم يحكمون بالحكمة فيفتخرون بدينهم ولكن لا يعملون به نهائياً وكسلاً (١) ويرون غيرهم من الاعم يتباهون بأقوامهم ويستحسنون عاداتهم ويميزاتهم فيميلون لما طرقتهم ولكن لا يقوون على ترك التفرنج كأنهم خلقوا أسباعاً (٢) ويجحدون الناس بمشقون أوطانهم فيندفعون لانتشبه بهم في التشبيب والاحساس فقط

(١) اكبر ما يشق عليهم ويتكاسلون عنه الصلاة التي هي عماد الدين • ولما خطبهم بلسانهم فنقول: ان الطهارة والوضوء هما عين (الثوابت) أو بعضه وتمكن بدقيقتين أو ثلاث وأفعال الصلاة هي عين (الجنستيك) وأكمل منه لأنها موزعة ولا تستغرق الركعة منها أكثر من دقيقة فأطول صلاة تطول عشرة دقائق • بناء عليه فليكن على نفسه من يقصر نشاطه عن الصلاة والصوم والذين لو لم يكن فيها حكمة غير أنهما شبار يعرفهما المسلم أنه لك في (٢) هذه حكمة الشرع في حظره ترك سنة الاسلاف وتقليد الاغيار ولو في اللباس وهذه الاعم الافرنجية تنفر من التقليد حتى في العيادات والموازين

دون التشبث بالاعمال التي يستوجبها الحب الصادق . والحاصل ان شؤون النش المنفرج أيضاً لا تخرج عن تذبذب وتلون ونفاق يجمعها وصف « لاخلق لهم » والواهة خير منهم لانهم متمسكون بالدين ولورياة وبالطاعة ولو عمياء على انه يوجد في المنفرجة أفراد غيرون كالراسخين من أحرار الأتراك الملتبيين بغيرة يقتضي احترام منبتهم

ثم قال (السيد الفرائي) ان الحور المبحوث فيه علة ممدية تسري من الشيوخ الى الشبان ومن الطبقة العليا الى العامة وليت الشيوخ والكبراء يرضون بما كتبه الله عليهم من الذلة والمسكنة والخلول وسقوط الهمة والذناة والاستسلام فيتركوا أهل النشاة الجديدة وشأنهم لا يستهزؤن ولا يمتطون ولا يسفهون ولا يتطون وما أظنهم بفاعلين ذلك أبداً الا ان تصدى لهم جرائد مخصوصة تقابلهم بالوم والتبكت وتسايط عليهم أقلام الأدباء وأسنة الشعراء بوضع أهاجي وأنشيد بعبارة بسيطة بحالة بنكت مضحكة لكي تستسر حتى على السنة العامة . وبمثل هذا التدبير تنور حرب أدبية بين النش والواهة لاتلبث أن تنتهي بانكسار الفئة الثانية أولئك البائسين المتفاسلين المتواكلين المتفاعسين المتخاذلين المتشاكسين العاجزين عن كل شيء إلا التعطيل

ومن راجع تواريخ الامم التي استرجعت نشأتها والدول التي جددت عصيتها يجد من حكماؤها ومجباؤها مثل حسان قریش وکیت العباسيين ولوتر الالمانيين وقولتر الفرنساويين قد تغلبوا على الفكر الواهن وأنصاره من الأشراف والشيوخ وأهل الغناد والفساد بحمل لواء النش . وأثارة حرب أدبية حماسية بين الفتيين على اننا نحن تكفينا الضوضى ولا نحتاج قط للفضوى لأن واهنتنا أضعف من أن نحوجنا أن ننظر أم حسان تلد حسناً ورب حيلة أنفع من قبيلة (٢٤١١١٨٤٩٩٨٤٧٧١٢٤٠٤٣٣٣٣١) ٣٥٤٢٩٣٤٨٤٧٢٢٦٤٢٥٥٤٢٤٢٤٨٢٢١٣٠٧١٩٢٣٤١٧٤٦١٦٨٢٤٢١٣١١ ١٩٠٥٠٥٣٣٤٧٨١٦٢٤٥٥٢٤٤٣٨٩٢٤٢٤٤٢٣٩٤١٧٧٦٦٨٧٥٣٩٣٧٤٢٣٥ ٢٥٩٤١٤١٠٢٦١١١٨١٠١٤٩٧٨٥٥٥٨٤٣٢٢٨٨٩٣٥٧٤٥ والله ولي الثبات

ثم ختم (السيد الفرائي) كلامه بقوله هذا ما ستح لي في هذا المرام وقام ، وتبادل مع مع الفاضل الشامي والبلغ الاسكندري المقام

قال (الأستاذ الرئيس) ان مباحث الجمعية قد استوفت حقها وكفاني السيد الفرائي تاعخيص أسباب الفتور منها ولا أرى لزوماً لتلخيص بقية المباحث الهيدية

وقد أعطاني أخونا المدقق التركي رئيس لجنة القانون (السانحة) التي وضعها اللجنة مطبوعة في نسخ على عدد الإخوان لتوزع عليهم فيطالعها كل منهم ويدققها قبل وضعها في اجتماعنا غداً في موقع المذاكرة حيث يبحث فيها قضية قضائية بدون جزاف وأما اليوم فقد حل أوان الانصراف
بإذن (السيد الفراتي) وفرق على كل واحد من أعضاء الجمعية نسخة من نسخة القانون فأخذوها وتقرقوا

باب التبيين والتعليق

الضرة العاشرة منه جريدة الدكتور راسم (*)

﴿ التقليد والذاكرة ﴾

مثل هاتين القوتين في فنة العقل والتمرير به كمثل القنات الخرافية التي كانت تظهر في بحر صقلية وتسوي الملاحين بشجي صوتها فتوردهم في شمامه مورد الهلكة فانهما بملو مكانتهما وجلال خطرهما في دراسة اللغات وبجداعهما العقل أحياناً في آدابها بما يأخذانه عن الغير من محاسن القول وطرائقه يأكلان الاستعداد الحقيقي أكلاً . وقد يكون الذنب في ذلك على المرين دونهما لما ينجونه من طريقة التربية فإن أحداً لا يرتاب في كون ينك القوتين من المواهب الخلقية الميمونة بيد أن هذا لا ينبغي أن يكون سبباً للافراط في تحيتها فانك ترى التلميذ الذي تربى على طريقتنا يصنّب لك بما قرأه في الكتب أشياء لم يرها في حياته ويفره أمامك بجمل من القول المنشور أو المنظوم تدل على ضروب من الوجدان هو لم يشعر بشيء منها قط ويبيد من الهيج والافعال في بعض أحوال لا علاقة له بها من حياة غيره ما لا أثر له في نفسه ولو أنك سألته أن يتفنى بذكر الاشجار وظلالها والأنعام ورعائها والربيع وأزهاره لوجد فيها يذكره من محفوظاته جميع ما قاله فيها فرجيل (١) وهوراس (٢) من الثموت والارصاف

(*) مرء من كتاب أميل القرن التاسع عشر (١) راجع عدد (١) من تعليقات الشذرة

الناشرة (٢) هوراس شاعر لاتيني مشهور ولد في سنة ٦٧ وبات سنة ٨ قبل المسيح

ومع انه قد يكون خيراً له أن يذهب الى المزارع ويرى بنفسه ما يحصل فيها وكيف يحصل تراه شديد الاحتراس من موافقتها خشية أن ينحسر فيها اللاتينية وما تواضع عليه الاقدمون من الصور اللفظية لتأدية ما كان يعرض لاذعائهم من المعاني والافكار واذا استوصفته قتالا انبرى يصف لك ما استعمل فيه من الآلات وكيف كان اصطدام الجيشين بالفاظ مطبقة وعبارات مجملجة وهو لم يشهد شيئاً من ذلك أبداً فاذا كان مرادك اختباره في محاصرة المدو وجدته قد انتهى من حصاره كما انتهى فرتوت (١). واقد عرفت فيما سبق تلميذاً كان يبدو عليه كثير من مخايل التعجبة نال اكليل المكافأة له على قرصه شعراً وصف فيه زج سفينة في البحر وهو لم يرق في عمره سفينة ولا بحراً.

نعم ان الشبان في هذه الايام لا يكادون يفتلون من المدارس الا وهم رافضون لآثار السلف نابذون لها ظهرياً غير انه لا معنى لهذا الا انهم يعارضون عن مثل الغابرين مثل الحاضرين لان محو طيات التقليد وغضونه من النفس وارجاعها الى صقالها الفطرية ليس من السهولة بالمقدار المتوهم فانما كل يوم تقرأ في وصف الكتاب والشعراء المبتدئين قول واصفيهم في الواحد منهم انه نابغة يفش على نفسه فيقل لي بربه هذا الفئاض أين أضل نفسه حتى أصبح ينشدها

ان تربية تكون بدايتها إضلال وجدان الاستقلال الى حد انه ينبغي لأجل الاهتداء اليه تلمسه ستين طويلاً لمن القراءة بمكان

أنا لا أشتهي ولا أرحو أن يكون «أميل» ميالاً الى وقف نفسه على دراسة آداب اللغة ولو أنني وهيلانة دأبت في تحبيبها اليه وأفلجنا في حجب حالة عقله بزخارف الذائكة لاختفتنا في مسامنا الى غائنا المطلوبة. فافتاء لهذا الخطر تراني مصمماً على ارجاء تعاميه اللغات القديمة واقراءه كتب مؤلفها وقد جعلت له مشاهدة الاشياء مقدمة على علم الالفاظ فاصبحت علومه على ما فيها من النقص لها أصول في الخارج ترجع اليها ودعائم في الواقع تستقر عليها وسعت في ايتانه من آلات الضبط والدقة

(١) فرتوت هو اسقف مؤرخ من الفرنجة ولد سنة ١٦٥٥ ومات سنة ١٧٣٥ ق م . وهو مؤلف كتاب الفتنة السويدية والفتنة الرومانية وتاريخ الاشراف الكرام والمؤرخ يلجح الى واقعة هذا المؤرخ وهي انه كان يكتب تاريخاً لحصار رودس وانتظر طويلاً ورود أنباء سحيحة له عنه فلم يحصر فاتهم تاريخه قبل ورودها ثم قال انني متأكد من ذلك ولكن قد انتهت من حصاري

العقلية ما هو لازم للانسان في بحثه عن الحسن والحق أكثر جداً من سعي في الانضاء اليه بما لي أو ما لغيري من المعاني

وقل ان اجعل البحث في مثل الاقدمين في مكنته ساعى كل العناية بتبنيها الى ان هذه المثل لاتهد فانه من السخف المحقق ان نباري الغابرين مباراة نحن على يقين من غلبتنا فيها من قبل ان ندخلها وكيف لانكون مغلوبين لهم ونحن نرضى لانفسنا طريقتهم في الكلام والكتابة والذي لاغضاضة علينا في أخذه عن كتاب اليونان والرومان انما هو روح آداب لغتهم وما يناسب كل زمان وكل قوم من أساليب الانشاء وترتيب المعاني والدقة في التعبير عنها وانتقاد الالفاظ اللائقة بها فكما ان من يعاشر بعض خواص الاجانب يقتبس شيئاً من خصائصهم بغير ان يكون ذلك موجبا لمشابهة لهم بحال من الاحوال كذلك معاشره الاقدمين بواسطة ما تركوه من آثارهم توحى الينا شيئاً من عوائد العقل واللسان المناسبة لكافة الاقوام المستعصين بفضياء العرفان *

التقليد الحسيس سواء قلد فيه الغابرون أو الحاضرون لا يقتصر سوء اثره على اضماع الذوق والميل الى الفنون بل انه يسلب الناس شرف النفس وكرامتها فليشد ما يتخذون بما تؤديه لهم الالفاظ عند قولهم اياها من المعاني بحجة أو فائدة لان أساليب الانشاء والالفاظ والجلل تقفل في نفوسهم ما يشعله السحر الحقيقي فتراهم يتوهمون انهم يشكرون فيما يقولون ويكتبون والحق انهم يرددون ما فكر فيه المفكرون ولعمري ان هذا هو اصل بعض الاباطيل التي تحاول من قرون عديدة اطفاء نور العقل ذلك ان ضروب الاستعداد متلازمة فمن قبل واحدا منها فقد أخذ على نفسه الرضوخ الى جميعها الا ترى الشاب المتعلم الذي اعتاد تقليد ما يصفه المقلدون بالمثل الحسنة بصاحبه في سيرته وأطواره روح اللين والانقياد الذي ألفه من التقليد فتجده يجبن ويضرب عند كل عزيمة ذاتية

انهم قد يخاطرون بحياته في براز أو يمرضها للهلكة في ساحة قتال لانه يرى ذلك مستحسن في نظر الناس ولكنه اذا دعي الى مقاومة عادة بربرية أو تأييد حق قل ناصروه ورأى أن وراء ذلك الاستهداف للسخرية والزراية عليه نكص على عقبيه نكص الحيان وفر فرار الرعديد

مثل هؤلاء المخلوقين المجردين عن ذواتهم يمدون طريق عيشتهم ذلولا ويأتونهم

رزقهم بلا نصب ولكن ما أكثر ما يسومون أنفسهم من الخسف وما احط ما يسفلون بها اليه من دركات النذل . عرفت امرأة برزّة (١) محبوبة حنة المحاضرة وكانت ارملة ولها ولد كان قبله آمالها فبداها يوما من الايام ان تنشئه على أحسن آداب المواضعة المعروفة قرأت ان الاستشهاد باقوال الكتاب اللاتينيين في المقامات المناسبة من المحاضرة والتمثل بأشعارهم وايراد أمثالهم من الامور التي لا بأس بها بل إنه يكسو الحاور اذا كان حسناً برزّة من الخطر ويبقي عليه مسحة من جلال القدر فارسلت ولدها الى المدرسة ففادرها كيوم كدخلها خفيف العقل لم يستفد من العلم الا فشورا محبوبة عند الناس ولكنه اوتي ذاكرة مباركة كان يتكلم في كل موضوع ويناقش في كل شيء ولا يبدي رأيا الا قبل بالاستحسان لانه يسهل على كل انسان أن يرضي الناس عنه اذا سلم لهم ما يقولون ولم يعارضهم في شيء من آرائهم فكان ثرائراً عديم الخلق حسن الصورة عقيم الفكر أرادت والدته أن تصيره رجلا من الاكياس أو نائباً لأحد الحكام او مستمداً سياسياً لحكومته في بعض البلدان وان أحبت أن تعرف ماذا صيرته قلت انها صيرته طفلياً .

ان طريقتنا في التربية تظهر بادي الرأي سخيفة مضحكة وان جاز أن تكون
يتاح على الافهام ادراكه وربما لا تطابق أي طريقة غيرها مطابقتها لمقاصد حكمنا
ونظامنا السياسي

التلامذة في مدارسنا مقترعون مدنيون تكثر الحكومة بتأهيلهم لوظائفهم على نظام منوي يشف عن حذق واضعه فانت ترى القائمين على تربيتهم يوزعون عليهم متاعاً من الآراء والعلوم التي يجب عليهم تعليلها في مستقبلهم صراعين في ذلك الدقة العسكرية التي تراعى في توزيع متاع الجند وينادونهم : «لهونيا» أيها الاحداث واياكم ان تحيدوا عن الخطوة المضروبة لكم . نعم ان منهم من يولونهم أديارهم ولا يصغون الى نداءهم وان كثيراً من هؤلاء يجنزون الى فئة الآخذين بحجرة النظر ويتضاعف عددهم كل يوم ولكن لشدة ما يلاقون على ذلك من العقاب يحرمون من تقلد الوظائف العلمية في المدارس الجامعة ومن القيام بالوظائف الادارية في الحكومة فلا يولّى أحدهم شيئاً منها وفوق ذلك تراهم ان لم يسيروا سيرة مرضية وقد أخذت الحكومة على نفسها تعليمهم كيف يسيرون بما يتابعه لهم من ضروب الابداء وما تملوهم به من العقوبات والتكبيات

(١) البرزة المرأة الجليلة التي تظهر للناس ويختلف اليها القوم

السياسة ولا جرم فانهم في قبضة حاكم ماهر والذنب عليهم في انهم لم يعرفوا من قبل ان لهم والياً يقوم عليهم واستاذاً يرشدهم
ولما لم يكن هذا هو الفلاح الذي أرجوه « لامل » وكان الذي يعنيني من أسره قبل كل شيء إنما هو حفظ كرامته وشرفه من حيث هو انسان كان نصيب هذه الطريقة مني محض الإعجاب بها دون ان أرضاها لترتيبه

﴿ السزرة الحاضرة عشرة ﴾

في المؤلفات المفيدة للناشئين واختيارها

أجد في نفسي انجذاباً كثيراً الى اعتقاد انه لا شيء أضرّ على كتاب الاقدمين وأدعى الى هجر مؤلفاتهم من اطراء المعلمين اياهم واعتبادهم الإعجاب بما كتبوا ذلك ان هؤلاء بالزامهم الطفل حفظ ما يختارونه له من هذه المؤلفات وارشادهم اياه الى ما يجب عليه ان يراه فيها من ضروب المحاسن خشية ان يقصر في احترام آثار سافه واكرامهم له على ملاحظة جميع ما فيها حتى علامات الفصل والوصل بذلك كله لا يفاجحون غالباً الا في ان يكرهوها اليه وهي أحسن أعمال عقل الانسان
فلا يفرط في الوقاية من جانب المعلم بصير سبباً للضعف من جانب المعلم واغراط ذلك في إعجابه بما يعلمه يذهب بالحلمية من نفس هذا فيما يتعلمه والمقصود من التعليم على أي حال إنما هو انشاء القوة الحاكمة في نفس الطفل وأنا في شك من بلوغ هذه الغاية بالجري على تلك الطريقة فإنه على فرض وجود التلامذة الذين يكون فيهم من الامثال ما يكفي لان يروا الحسن فيما يمدح لهم والقبح فيما يذم (وفي التلامذة من هم كذلك) لا تكون أذواقهم من أجل ذلك أسلم من أذواق غيرهم ولا أكثر منها دربة بل ان هذا مما يدعو الى سلهم قوة تميزهم الامور بأنفسهم فتكون همهم في مستقبلهم مصروفة الى تاتي آراء من تعتبر آراؤهم حجة من الناس لا الى النظر في الامور والحكم عليها حكماً مستقلاً

سأدع ابني وشأنه في انتقاء كتبه فلا اجتنب الا ما يكون منها ضاراً بالاخلاق لاني اود ان يكون هو صاحب الخيار فيما يفضل في نظره من كتب الآداب فاذا ضل ذوقه في الاختيار عولت في رده الى الصراط السوي على ضروب نمو عقله لاعلى ما يدعو اليه كدري من انواع التبسيط والتأنيب ومع كوني لا اضمن عليه بالإرشاد متى سأني اياه تجدني اقصد ان يلتبس في ما يطالع تمية افكاره وربية ضروب وجدانه الذاتي

نعم اني قد اشنيت ان اقدم له بعض كتب مخصوصة واعتبط لوانه اتفق معي في
التأثر بما فيها غير اني لا اجدني محققاً في اقتضاء ذلك منه لان الاعجاب بالشئ من اجل
ان يكون مفيداً لا بد ان يصدر عن نفس المعجب ولان الانسان في كل طور من اطوار
حياته مفرداً كان أو مجتمعاً يتصور للحسن كمالاً يطابق بالضرورة بعض احوال تتوافق
بنفسه أو بوظائف أعضائه • بذلك على ذلك اننا لانكاد نعرف الآن ما قرأناه في عهد
شبيبتنا من الكتب ولا مؤلفيها ولا نحس بشئ من الميل الى كتب الادب التي طالعناها
في ذلك الزمن • لم يبق من الشعراء والكتاب الذين كانوا أساتذتنا فيه بكتبهم من يصحبنا
في شيخوختنا الا النزر اليسير •

انا وعلمي الدينية

(الاسلام والنصرانية • مع العلم والمدنية) لقد أقبل الناس على هذا الحساب
اقبالاً لم يمهّد في هذه البلاد وأمانها حتى إنا لتتوقع نفاذ نسخة المطبوعة كلها في
زمن قريب جداً • وقد قدمنا نسخة منها الى رئيس علماء الدين في مصر الشيخ
سليم البشري شيخ الجامع الأزهر فقبلها بأحسن قبول وأظهر لنا غاية الارتياح
لطيبة وأنى بما هو أهله ثم انه لم يرض الا أن كافأنا بما هو أضعاف عن الكتاب
والزمن بقبول المكافأة وحسبنا رضاه عن هذا الأثر أدامه الله نصيراً للاسلام
وقد نشرنا في آخر الكتاب أبياتاً من قصيدة في تزيينه لأحد أقدى الكاشف
وأنا نشرها أيضاً في المزار وهي

سلاماً حجة الإسلام فينا	ورضواناً رجاء المسلمين
عنيت بما كتبت فكان وحياً	يؤيد وحي مأمليك المين
فلم تترك لمثهم مكاناً	يرى فيه المزاغم والظنون
فما بطل يخوض الحرب فرداً	فما يدعو بأخر مستعينا
جهاداً في سبيل الله يفدي	بمهجته المواطن أن تهونا
بأبقى منك آثاراً وذكراً	وقدراً في قلوب العالمينا
وكان راعك المنصور سيفاً	وكان كتابك الدرر الحصينا

ملكته به معاقل عاليات نبته عنها سيوف الفاتحين
وماضى الضلال الخلق حتى نفسه بهم وأونحت اليقين
فرقعا بالكاثر قد كفاه مجادلة وأوشك أن يدبرنا
ودعه في تأمله عساه يحثك بأعراف المهتدين

باب التقرير

﴿ رحلة صادق باشا العظيم الى صحراء افريقية الكبرى ﴾

الفريق صادق باشا المؤيد العظيم أحد حجاب مولانا السلطان عبد الحميد خان كاتب أديب وقائد شجاع وأمين عنده ولاء يبعثه في المهمات السياسية والفنية العملية . فكلما عهد اليه بأمر مد الاسلاك البرقية في الحجاز ثم بأمر النظر في سكة حديد الحجاز من الأمور الفنية عهد اليه من قبل بالرحلة الى صحراء أفريقيا واكتناه شؤونها عامة وشؤون السنوسي وجاعته خاصة فقام بذلك وعهد اليه من بعد بالذهاب مع بعثة الى روسيا لمقابلة قيصرها في أمر سياسي . أما سفره الى الصحراء بأمر السلطان فقد كان مرتين وكتب فيما شاهد في المرة الثانية رحلة باللغة التركية أودعها وصف ما رآه واحتره من أحوال المكان والسكان . وقد عرب الرحلة جليل بك العظيم وطبعت في كتاب مستقل بعد طبعها في جريدة « معلومات » ولا شك أن قراء العربية كلهم يحبون الاطلاع على مثل هذه الرحلة الا من لا يحب التاريخ ولا يفضل بما يبقى عليه من أحوال السياسة الحاضرة . والرحلة تطلب من ادارة مجلة المنار بمصر

(الإسلام في عصر العلم) كتاب جديد يشتغل بتأليفه وطبعه محمد فريد افندي وحدي . وقد جعله ثلاثة أقسام أحدها في « الإنسان » وثانيها في « المدنية » وثالثها في « ما وراء المادة » ورابعها في « حياة النبي صلى الله عليه وسلم » والغرض من الكتاب تأييد الدين الاسلامي بمباحث العلوم على ما انتهت اليه في هذا العصر

الغرض شريف وحاجة المسلمين اليه شديدة فان المفتونين منهم بمدينة أوروبا يخطف ابصارهم كل شيء يروونه من آثارها ويحتلب أفئدتهم كل يسمونه من علومها وعقواهم تتبع أفئدتهم وأبصارهم . فترى الكثيرين منهم في شك من دينهم الذي اتقوا اليه ولم يعرفوه حق المعرفة لاعتقادهم أن أولئك الذين تلك المدينة مدنيهم وتلك العلوم علومهم لا يمتقنون بصحة الدين . ومنهم الضعيف الواهن الذي يكفي

لا يفاعه في الشك أن تخفى عليه حقيقة مسألة واحدة مما يعزى الى دينه أو براها مخالفة لما يقول أولئك الحافظون لبصره والخبايون لفؤاده وربما تكون تلك المسألة ليست من الدين بل من التقاليد اللاصقة بأهله أو تكون من الآراء الواردة فيه لا على سبيل القطع أو يكون لها معنى غير ما يفهم أو يكون المخالف للمسألة هو الخطأ ولكن من قن باعتقاد عظمة إنسان لا يخطر له أنه يخطئ. التقاليد بتك بعقل المقلد حتى يجمله أسيراً لكل من يعتقد عظمته يسلم له بكل شيء تسليماً

أمثال هؤلاء يجب أن يعرفوا نسبة هذه العلوم وهذه الدنية الى الإسلام وما يؤيده منها ومن علومها. ولن يجدوا حاجتهم هذه على طرف التمسك إلا اذا انصرفت همه الباحثين للتأليف فيها وهذا ما توخاه صديقنا محمدربدو جدي في كتابه هذا فنسأل الله تعالى أن يوفقه لإكمال ويسهل له - يبل كماله ويوفق اخواننا المسلمين لمساعدته على عمله بالأقبال عليه. وقد اختار هو أن يصدر الكتاب لمن يشترك فيه منجماً تحيماً في كل شهر ٦٤ صفحة من القطع الصغير اللطيف. وقيمة الاشتراك في السنة ٣٠ قرناً صحيحاً يدفع سلفاً أو على ثلاثة نجوم. وهو يطلب من مؤلفه بالسويس

﴿قاموس اللاني عربي﴾

ان الحاجة التي تسوق الامم الى الاقتراب من الامة الاسلامية ودراسة لغتها أصبحت متأكدة وتزداد من يوم الى آخر ذلك بأنها من حرب السبعين الى اليوم وصلت في علومها وصنائعها وتجارتها وسائر ضروب المدنية الى درجة أهدت العالم فأخذت الامم لها المحل الاول وصار الكثيرون من المتكلمين يدرسون لغتها ويرحلون اليها في طلب الكمال وقد أخذ عدد من الشرقيين ليس بالقليل في دراسة هذه اللغة يتفنون ان يصيبوا من هذا ما يصيبه غيرهم ويسهموا بهذا العدد من غير شك تبعاً لامتداد الملائق بين البلاد الاسلامية وبلادهم وازدياد المستكلمين وطلاب الحقائق في هذه البلاد. هذا قول حق نلفت به القراء منهم الى قاموس اللاني عربي ظهر في هذا العهد الف هذا الكتاب العالم الفاضل الانسوي المؤرخ الدكتور ارنست هرر المحرر باحدى الجريد الشهيرة التي تصدر ببرلين «بَطَش» رُنْدُ شَوْ» والقاموس المذكور مشتمل على ثلاث وثلاثمائة صفحة جمعت نحو ثمانية عشر ألف كلمة مراعى في جمعها حاجتنا للتكلم والقارئ في الكتب الادبية سواء كانت جرمانية لاصل أو دخيلة شائعة في اللغة. ان هذا الدكتور - وقد عاشته زمناً طويلاً - بعيد

ان يضع للكلمة الالمانية أخرى عربية بازائها اذا لم يكن المعنى واحداً بل يعتمد اذا لم يصعب الكلمة المطلوبة الى التيسير عن المعنى في جملة يصيب بها الغرض قدرها يمكن . ساعده على أداء هذه المهمة التي يعمل لها منذ عهد بعيد معرفته باللغة المصرية الدارجة والفصحى وقد وضع فيها أجرومية باللغة الالمانية طبعت سنة ١٨٩٨ بمطبعة « هيدلبرج » وصادفت اقبالا طيباً . قد يضع المؤلف لغرض ما إزاء الكلمة الالمانية أخرى من اللغة الدارجة مع التنية على ذلك . لم يوجد من قبل قاموس الماني عربي الا واحد لحضرة البروفسور فارمولد النمساوي الا انه غير واف بالغرض ومن هذا ان لكسانه لا تزيد على الثلث من الفاظ الكتاب الجديد . ان هذه الخدمة الحليمة التي قام بها هذا المؤلف هي في منفعة الناطقين باللغة العربية اكبر منها في صالح قومه ولهذا نشكر له هذا العمل ونسال له دوام التوفيق للعمل على الصالح العام

ومن أراد ان يكتب حضرة المؤلف في أمر يخص كتابه أو نحو هذا فليقتضل بالاستفهام عن طريقة ذلك من حضرة السيد الفاضل صاحب هذه المجلة (أحد القراء) (مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر) صدر الجزء الاول من هذا الكتاب

ل مؤلفه المؤرخ المصنف جرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال وهو خاص بتراجم الملوك والامراء والقواد ورجال الادارة والسياسة ولم يتمكن من مطالعة شيء منه ولكننا نعلم ان طريقته فيه هي طريقته في الهلال بل هو قسبة من نور الهلال . وصفحاته ٢٦٤ وفيه ٧٢ رسماً وثمة ١٥ قرشاً صحيحاً وبطل من مكتبة الهلال بمصر

(الحال بين العامة) رسالة دينية أدبية تهذيبية اجتماعية . ألّفها عبد العزيز أفندي قنحي الجورجستاني وقل في مقدمتها ان أكبر داع دعاه الى تأليفها هو انه سمع من الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية كلمة قالها للناس بعد صلاة الجمعة في بيده (بحلة نصر) وهي : يكاد قلبي يقطر دما عند ما أرى بدعة أسندها مبتدعها الى الدين : وتلا الاستاذ قوله تعالى « ان الذين اتخذوا دينهم هزواً وامبا » الآية . أما فصول الرسالة فهي (١) الصدق والامانة وضدها . و (٢) الاقتصاد وبعض ماورد في مدحه وضم ضده . و (٣) الاصلاح والمعاونة . و (٤) حسن المعاملة وطاعة أولى الامر . و (٥) النجدة والغية والجسد . و (٦) نشر المعارف وفضل السلم . و (٧) العمل وترك الكسل . و (٨) المبتدعون في الدين . و (٩) المفسد في الموالد . و (١٠) الطريق . وختم الرسالة في انتقاد الوعظ . ولا شك ان مطالعة العامة لهذه الرسالة نافعة لأنها تنفّر عن المنكر وتحث على المعروف والخير . ولكن اسمها لا يطابق مسماتها الا في

كلمات من الفصول الأخيرة لأن سائر النصول لا تشرح من أحوال العامة ما ينبغي شرحه فعسى أن يوفق المؤلف إلى كتابة ما يفرقه من التكرات العاشية بين العامة بالتفصيل . ولم يمتن بتصحيح الرسالة كما يجب وذلك لا يمنع من الانخاف بها (النخبة) ديوان شعر جديد لناظمه رشيد أفندي بن حنا مصوبع اللباني وقد عرفنا الناظم شابا . وقد الذكاء . ومن أحسن شعره قصيدة يصف بها سوق احسان أقامها سرب من العذارى الاسرائيليات في فندق (كوتينتال) بمصر قال فيها

وحياي في مصر أربع العادات	وهياي الحسان والحسانات
أرلّع قد حوين كل صنيع	من جيل وأوجه سافرات
تجاري الفتيان فيه إلى البذ	ل باغراء أعين الفتيات
أنات صيرن من كان في القو	م بخيلا بجود بالمكرمات
يستبه لحظ الحسان فلا يذ	بث ان يبذل اللهى والهبات
كل خود للسحر في مقاتها	عقد قد خلين بالفتات
أخذت للفقير منازكة	قاباتها من حسننها بزكاة
وغدا الزهر غالي السمرا قد	كان يعطى من تلهم الراحة
ينثر الورد حولنا من يديها	فخيال الحدود منتبرات
وتعير النسيم من صدرها إذ	فماس طيب زرد هازفرات

إلى أن قال

سوق حسن للمشاقين وسوق	من جميل للبائسين العفاة
أنشأتها أيدي الكويعهم	ن وياحسن من منشئات
ما كفتنا حاسن الويين حتى	ما كفتنا الحسان بالهبات
هكذا يجمل الجمال لفعال أأ	خير لا للجلاب والتكرات
هكذا تشفق الحسان وتغدو	للذي رام قريها قاسيات
هكذا يكرم المتسليم بالور	د ولكن يحمي عن الوجبات
هكذا يعرض الجمال محلى	بجميل الأفعال والفتيات

هذا ما أردنا نشره من هذه القصيدة الرشيقة لتكون أحسن مثال لديوان . طبع الشاعر ديوانه هذا وأهداه إلى تقول لا بك يوما الحمامي للمشاهد من حبه للأدب وأهله (حديث ليلة) قصة فكاهية ترامية تأليف القصصي الفرنسي الشهير اسكندر دياس الكبير . وقد عرفها الشيخ نجيب الحداد الذي كان أحسن كتاب هذا الوقت

أعرباً للقصص وطبعت في طبعة المعارف التي هي في مقدمة المطابع المصرية آنفاً للطبع
فاجتمعت في هذه القصة محاسن التأليف والتعريب والطبع ولذلك يرجى لها الانتشار بالطبع
(المجلة المدرسية) مجلة علمية أدبية مصورة تصدر في كل شهر شمسي مرة مدبرها
و محررها سيد أفندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية الأهلية وقد صدر الجزء الأول
منها في أول يناير سنة ١٩٠٣ في ١٦ صفحة وهو مصدر برسم سمو الخديو المعظم
وفيه نبذة من تاريخ سموه ونبذة بمدىها في الكلام على الأسد كان المراد بوضعه بعده
مراعاة الظير ، وتشبيه الأسد بالأمير ، في القسم الأدبي منه مقالة في (اللغة) وفي
ختامه خطاب وجيزة لتلامذة المدرسة التحضيرية

نحن نعرف من سيد أفندي محمد شاباً غيوراً على الأمة والملة بمجهوداً في تهذيب
تلامذة مدرسته وقد أنشأ لهم جمعية في المدرسة يترنون فيها على الخطابة والبحث بالقول
ثم أنشأ لهم هذه المجلة ليتمرنوا بها على البحث بالكتابة والقراءة فبرجوه النجاح
وبحث تلامذة سائر المدارس على قراءة مجلاته ومساهمة أحيائهم في مباحثها ولعله لا يعدم
من محبي العلم والأدب في غير المدارس تشيطةً واسعاداً ، وقيمة الاشتراك في المجلة
المدرسية ١٥ قرشاً صحيحاً في السنة

(العلم الصناعي) مجلة علمية صناعية تاريخية تصدر في كل شهر مرة لمنشأها
عبد الرحيم أفندي فوزي وحسن فهمي أفندي أحمد المتخرجين في مدرسة الفنون
والصنائع الحديوية ، صدر الجزء الأول منها في هذا الشهر في ١٦ صفحة مطبوعاً
طبعاً حياً بمطبعة الشعب على ورق جيد ، وهي منسجمة بمقالة في تاريخ الصناعة
وتأثيرها (في العمران) وتتلوها مقالة في سيرة مخترع القلم الأمريكي ، مصدرة برسمه
وقبها نبذة أخرى في النائج الصناعية ، وقد كتب على غلاف المجلة أن مراسلاتها تكون
بعنوان (الشركة الصناعية بمصر والسودان بشارع محمد علي) فإذا كان هناك شركة
تصدر المجلة فإن النجاح يرجى لها بقدر رشح تلك الشركة وثباتها والأفلا بدم
ترويج مباحثها ليقبل عليها صنوف القراء لأن البلاد لم ترق إلى حيث يكون فيها لكل
نوع من أنواع الفنون والمعلوم جريدة أو مجلة خاصة ، وقيمة الاشتراك في هذه المجلة
عشرون قرشاً فحسب أن تصادف إقبالاً ورواجاً لتعريب الصناعة إلى أهل هذه البلاد
الذين هم في أشد الحاجة إليها .

(النبات) جريدة أسبوعية علمية أدبية تهديفة بشكل الجريدة الرسمية تصدر
كل ١٥ يوماً الآن وقد صدر العدد الأول منها منذ أيام وفيه مقالات في (شبان الغرب

وشبان الشرق) ونسبة في محاسن الاخلاق وأخرى في أشهر ملوك العالم . أما صاحبها فقد كتب اسمه عليها هكذا (١٠ عبد الحميد) ولكنه أرسل الينا مع السدد الأول رقبا علمنا منه أن الألف إشارة الى (ابراهيم) فاستقدنا ذلك منه وأعلمه يصرح باسمه في الأعداد الآتية . وأما قيمة الاشتراك فيها فهي ١٥ قرشاً صحيحاً في السنة . فتبني له التوفيق ولجربته الانتشار

﴿ إعجاز أحمدى - أو سخرافه جديدة لمسيح الهند ﴾

كل يوم تبدي صروف الياالي خلقاً من أبي سعيد غربيا وأبو سعيد هذا الزمان هو غلام أحمد القادياني المتقون بنفسه ، المغلوب على عقله وحسه ؛ فهو كل يوم يأتينا بخلق غريب . وخلق من إفكك عجيب ، ففي الشهر الماضي أرسل الينا قصيدة من الخزيات ، ولكنه نظمها في سلك ما يدعيه من المعجزات ، و جعل لها مقدمة هندية . ولكنها باللغة الاوردية ، وأرسل لنا معها منشوراً باللغة الانكليزية ، يقول فيه انه أوتي من البلاغة في العربية ما لم يؤته أحد من العالمين ؛ وانه يتحدى بقصيدته هذه جميع المطامرين ، ومن يعارضها في الهند من شعراء العربية ، يُعطى عشرة آلاف روبية ، ولم يذكر لنا الحاكم الناقد ، الذي تمرض عليه القضاة ، ليميز بين سحر البيان ، وبين اللغو والهلذان ، وقد أخرجنا الكتابة في هذه السخرافه الجديدة لاننا كنا عازمين على قراءتها كلها وإظهار ما فيها من الأغلاط اللغوية والتحوية والصرفية والعروضية والتنبيه على ما فيها من السرقات الشعرية ، التي ساعها من كلام لحول الرجال ، ومسحها ولاغرو أن يظهر المسخ على يد المسخ الدجال ، ثم بد لنا ان هذه الانتقادات ليست بضرورية ، عند العارفين باللغة العربية ، فان عرض القصيدة عليهم يكفي لمعرفة دركها في السخرافه . وأما المخدوعون به من الأحمقين في الهند فلا يفهمون انتقاداتنا اذا هو وصل اليهم لذلك نذكر هنا أبياتاً من القصيدة ونترك للقراء الضحك منها ومن غرور المستدل بها على دعوى المسيحية قال

أيأ أرض مدّ قد دفاك مدوّر وأرداك ضديّل وأغراك موغر
دعوت كذوباً فعدأصيدي الذي كحوت غدير أخذه لايعزّر
وجاءك صحبي ناهمين كأخوة يقولون لاتبوا هوّى وتصبروا
فظل أسارى كم أسارى تعصب تريدون من يعوي كذّيب ويختّر
نجاؤا بذّيب بعد جهد أداهم ونفني شاء الله منه ونظهر

فلما أتاهم سرهم من تصاف وقال استروا السري واني أرودهم وأرضي الناس إذا ذكاهم أَرْضَهُمْ
وقال افرحوا اني كمي وظفر أخاف عليهم أن يفروا ويدبروا على النار مشاهم وقد كان يبسط
ومنها في هجو منكر عليه
فلما اعتدى وأحس قومي أنه يصبر على تكذيبه لا يقصر
دعوه إيهان لموت صرّو مفضل فلم يسكت ولم يحسر
وكذب إعجاز المسيح وآية وغاطه كذباً وكان يزور
ثم قال هذه الآيات التي كتب بآزائها في الهامش انها وحى من الله تعالى
فقد سرتني في هذه الصور مرة
فألفت هذا الظم أعني قصيدي
وهذا على اصراره في سؤاله
وليس علينا في الجواب جريمة
فان الكذابا فياني بمثلها
وهذا قضاء الله بيني وبينهم
فعلقتنا بهذا دابر القوم كلهم
ارى ارض مقدسة اريد تبارها
أبا محسن بالحق والجهل والرفثا
انتم بعد العون والمن والندى
ترى كيف أغبرت السماء بآياتها
فلا تخير سبيل عي وشهوة
ليدفع ربي كلما كان يحسر
ليخزي ربي كل من كان يهذر
فكيف بهذا الشئ أغضى وأنهر
فهدي له كلاً كل ما كان يهذر
وان الك من ربي فيغنى ويشير
ليظهر آيته وما كان يحسر
ونادهم ربي كمغن تحذر
ونادهم ربي كمغن تحذر
رويك لا تبطل صنيعك واحذر
الذي ندى مبد وما كنت تنصر
اذا انقوم آذوني وعابوا وغبّروا
ولا تجاس بعد التوال وفكر

﴿سخافة أخرى لمسيخ الهند الدجال﴾

قلنا انه أرسل الينا في الشهر الماضي قصيدته الإعجازية ونقول أيضاً انه أرسل الينا في هذا الشهر رسالة باللغة الانكليزية كتبها باسم ملك الانكليزا باسم الله وجعلها خدمة للدولة الانكليزية في زعمه ووجهه ولكن في كتب في الحقيقة ما هو أضر منها على السياسة الانكليزية وهذا شأن الصديق الاحق يريد أن ينفع فيضر
من سياسة هذا المسيخ الدجال انه نسخ حكم الجهاد في الاسلام لكيلا تعارضه الدولة الانكليزية في دعوته ظناً منها انه يؤلف عممية دينية للخروج عليها في الهند كما

يفعل أمثاله الدجالون الذين يدعي كل خارج منهم أنه المهدي المنتظر . وقد كتب في هذا المعنى كثيراً . وإنما كانت كتابته في هذه الرسالة وأمثالها ضارة ومناقضة للسياسة الانكليزية لأنه يقول فيها ان جميع علماء المسلمين يقولون بوجوب الجهاد الديني وأنهم جهلاء مخبطون في هذه الدعوى . فإذا انتشرت هذه الرسالة وقرأها الناس فربما تحرك نفوسهم الى الأمر الذي تصرح الرسالة بان العلماء مجمعون عليه ولا تلتفت الى مخطئة خارجي مثل غلام أحمد القادياني لهم .

وأما الرأي الآفين الذي أشار به على الحكومة الانكليزية وهو جميع مؤتمر من العلماء للنظر في مسألة الجهاد واستقراء أدلتها في الكتاب والسنة ليظهر لهم انه غير واجب فيقرروه — فهو رأي لا رضى به سياسة حكيمة كالسياسة الانكليزية ولا هي محتاجة اليه . أما عدم رضاها به فلأنه اذا قرر العلماء خلاف ما يقول غلام أحمد الدجال فيعضى من وقوع فتنة عظيمة . وأما عدم حاجتها اليه فلأن أهل الهند راضون من حكومتهم ولا يخطر في بالهم الخروج عنها وحسبها هذا منهم . ولو كان هذا الدجال يحجب هذه الأحوال، لكان أسلم له على كل حال .

بَابُ الْحَجِّ فِي الْإِسْلَامِ

﴿ الحج في هذا العام ﴾

أمرت حكومة تونس وحكومة الجزائر الفرنسية بمنع الحج في هذا العام لثلاث يحمل الحجاج من بلاد الحجاز جراتيم الوباء الموهوم الى بلادهم فينسبوا بهم وأرادت حكومة مصر أن لا يجمع في هذا العام الا الأغنياء القادرون على الاحتياطات الصحية اذا نزل البلاد . ووقع الوباء واحتيج الى التفقة الواسعة فأمرت بالزام كل من يريد الحج بدفع خمسين أو سبعين جنياً للحكومة تكون أمانة عندها تنفق عليه منها ما تنفقه بقدر الحاجة وترد اليه ما يبقى بعد عودته اذا عاد وبقي من المال بقية .

ضمنت الحكومة للحجاج بازاء ذلك القيام بجميع شؤونهم في السفر . وقد استكثر الناس هذا القدر من المال واعتقدوا أكثر أن الفرض منه التوفير عن الحج والتمهيد له . ولذلك طلب مجلس الشورى من الحكومة أن تنقص منه فلم تقبل .

والناس في استياء عظيم من جراء ذلك وقد كتبوا من جهات متعددة يشكون للحكومة بل لمستشاريها ومديريها من الانكيز ثقل ذلك المال المفروض وأكثر الشكوى كانت لمستشار نظارة الداخلية ولكنها لم تفن شيئاً . على أن الوقت لم يفت والورد كرومر صاحب القرض والأرام في السودان

ولقد كان في هذا العمل فرصة للانكيز يمكنون بها ميل المصريين عامة اليهم لو اغتموها وخففوا من المال المفروض شيئاً . وأمل الذي يمنهم من تلبية الأهالي وسامع شكواهم هو لفظ أحداث السياسة بالمسألة ونشر تلك الشكاوي في بعض الجرائد المتعارفة على ما فيها من الطعن بالحكومة الاسلامية التي فرضت ذلك المال بالاتفاق . فكان مستشار الداخلية خجل من أن يطلب من هذه الحكومة الرجوع عن شيء قرره وكان هو راضياً به لأن الامة التجأت اليه وحده دون الأمير ودون نظار حكومته بل مع التعريض بذمهم والطعن بدينهم .

ولو أراد المصلحة من أشرنا اليه من أحداث السياسة لما نشر في جريدته كلمة من شكوي الأهالي الجارحة لثلاثة أمور (أحدها) أن نشرها يثبت أن قلوب الأهالي انحرفت عن الحكومة الخديوية الاسلامية ولم يبق لها رجاء تيممه في مصلحة من . صالح دينها وديارها الا المحتلون (ثانيها) أن نشرها يكون صاداً لاحتياين عن إغانة الناس لعلمهم بأن ذلك يتضمن إهانة الحكومة على لسان من يفتخر دائماً بالطعن في الحكومة وفي المحتلين بسبب وبدون سبب ويرمي الجميع بسوء القصد . فلا يرضى المحتلون أن يغيبوا الأهالي ليفتخر ذلك الحدث الصغير . بأنه كان الحامل لهم على ذلك بما لجريده من قوة التأثير . (ثالثها) أن نشرها في الجرائد ينتهي بإقرار من نشرها وتسجيله كون المحتلين هم الفوت الوحيد للمسلمين والقائمون بمصالحهم الدينية والدينية دون حكومة الأمير الاسلامية — هذا لو أشكوا الأهالي وأجابوا طلبهم وعند ذلك لا يبقى للاحداث سبيل الى العلن فهم وهو بضاعتهم التي يعيشون منها .

ولذلك تعجب الناس من نشر تلك الشكاوي المفصحة عن تعاقب قلوب مسلمي مصر بالانكيز من جريدة الاحداث التي تنشر بدمهم . قالوا : اذا كانت الجريدة لاترجو نفع تلك الشكاوي فهي ساعية في هدم سياستها الأولى وهي لا يمكن أن تنجح بغيرها وان كانت لاترجو نفعها . إنما تنشر مور تلك الشكاوي لعلها بأن نشرها يغيظ المحتلين ويجهلهم مع الحكومة على الأصرار فهي لاتقصد نفع المسلمين ولاسى في تسهيل الحج عليهم . وأصحاب الرأي يعلمون أن تلك الجريدة لايمهها أكثر الجمجاء

أوقاؤا وانما سبب الصياح والموبل شيء واحد وهو جذب قلوب الأهالي الى الجريدة وإيادهم انما أشد غيرة عليهم وعلى دينهم من غير ها وهذا مقصد بتلاشي امامه التفرق في نتيجة النشر هل تكون تسجيل مدح الانكلاز والعلمن بحكومة الأمير أو تكون الإصرار على تنفيذ ما أمرت به الحكومة . والذي لا ريب فيه ان نشر تلك الشكاوي الجارحة كلها كان ضاراً وما كان يتصور له وجه منفعة قط .

أما نحن الذين لا نهنا الا تسهيل سبيل الحج لأنه عبادة لله تعالى — ونحن دعاة دين لا دعاة سياسة — فلم يقطع أمنا من سمو الأمير ومن حكومته لاننا نعلم انهم لم يأمرؤا بما أمرؤا به ايضؤا الناس عن سبيل الله . كيف وحكومة معسر لا تقاس بحكومة اسلامية أخرى كحكومة تونس مثلاً لان أكبر شرف لها عند المسلمين أنها تسير ركبا مخصوصا للحج وتقدم كسوة الكعبة فهي مساهمة للدولة المالية في خدمة الحرمين الشريفين وهي جارة البلاد المقدسة . لحكومة عزيز معسر لا يسهل عليها أن يخذل هذا الشرف ولا أن يذتس . ولكنها أمرت بما أمرت به لتتمم الفقراء عن الحج خوفاً عليهم وعلى البلاد في هذا العام فاذا لاحظت الآن أن الأغنياء قلما يحجؤن لانهم مشغولون بجهتهم وهم أحرص الناس على حياة وإن الخير في جميع الأثم انما يكون غالباً في الطبقة المتوسطة وأن أهل هذه الطبقة هم أقرب الى الصحة من الأغنياء . لقللة الاسراف وقلة الوهم والوسواس ولكن يتقل على الأكثرين منهم أن يسطي أحدهم الحكومة خمسين جنهاً أو سبعين غير ما يأخذ منه وما يتركه لاهله وعياله من النفقة — وإذا لاحظت مع هذا أيضاً أن الأمة كلها مستاءة من ثقل هذه القريضة وتشكو منها وتطالب تخفيفها وكل الحكومات المادلة والدستورية تحتم الرأي العام — فلا غرو أن يأمر مولانا الأمير أمره الله ماحتاج مجلس النظار ثم يصدرون أمراً آخر تخفيف ما فرض أولاً الى نصفه مثلاً . والنسخ مـهـود في الشرائع السماوية وفي القوانين الوضعية بالأولى . يجب أن يكون الأمير وحكومته محل الرجاء وغاية ما نرجو من حرية المحتابين أن لا يبارضوا في مثل هذا الأمر الديني وما كانوا مـارضين

إذا كان غرض الحكومة أن يكون ركب الحج في هذا العام مؤاناً من أهل الديار فما كان أجدر المـوسرين بالانتظام في هذا السلك الديني الذي لا خـرز بين درره ولآله . ونخص بالذكر المـزقين الذين يؤخرون الحج لما يكون فيه من الزحام وقلة العناية بالمظافة اصـوبها مع كثرة السواد من الفقراء . ولو هـزت الاربعية الاسلامية بعض النظار الى الحج لكان فيمن يجمع منهم هذا العام أسوة حسنة لكثير من الأغنياء

ولكن أجره بذلك عند الله، مضاعفاً ومقامه في نفوس المصريين رفيعاً مشرفاً .
وإذا لم يبادر عدد كبير من الأغنياء إلى الجمع لإحياء شملته وحفظ شرف مصر
الديني فلا سلام على الأغنياء . ولا زادهم الفنى الانقاص وشقاء .

﴿ الجامعة الدينية والجامعة الوطنية ﴾

بيننا رأينا في الجامعات مرات كثيرة وأحسن ما كتبنا في ذلك وأوضحه مقالة
مسيبة في المجلد الثاني من المنار عنوانها « الجنسية والدين الاسلامي » اثبتنا فيها بالبرهان
المعقول ان تلك المسلمين بدنيهم واعتصامهم بمرور جامعة هو المؤلف الوحيد بين
مصلحتهم ومصالح من يسكنهم في بلادهم والحامل لهم على « وادعة » من ليس على دينهم
ففيه معنى الوطنية التي يطالبها بعض عقلاء المسيحيين في الشرق لعلهم بأن سعادته في
أليف بين شعوبه المتفرقين في الدين تفرقاً كثيراً . ومن هؤلاء العقلاء بعض أصحاب
الجرائد السورية المسيحية في سوريا ومصر وأمريكا . وما اعتقد فيه الاخلاص من
هذه الجرائد (المنظر) ويعرف أصدقائنا في مصر اننا كثيراً ما فعلنها على غيرها
من الجرائد العربية ونوهنا بموضوعها النافعة

ومن الناس المشتملين بالصحافة من يانغ بالوطن والوطنية بغير علم ولا هدى
منهم الذي يلقب في المنار بمحدث السياسة فإنه خلق وطنية لا يعرفها احد منها
« الوطنية الحقة » ومنها ان يفيض المعري المسلم كل من ليس مصرياً لانه ليس
وطنيا وان كان كالمصري في لغته ودينه وجنسيته السياسية وهي (المنيانية) وأن لا يحب
القطبي المصري لانه ليس مسلماً . فهذه الوطنية الباطلة التي لا يتصور فيها العاقل الا
المعري في التي جعل منها في المنار حادثة العرب في ذلك . ولا يرى جميع الكتاب من
المسلمين والمسيحيين يوافقونا على محاربة هذا الهديان الضار

وقد اتفق بعض الكاتين السوريين في البرازيل ان كتب في (المنظر) كتابة في
الدعوة الى الوطنية وبند التمسبات الدينية ثم اتفق له ان رأى في المنار كلمة في « حدث
السياسة » ووطنيته فظن انه المعنى وطفق يرد علينا ملقبا ايانا بكلمة السياسة وعساه
يتابع على هذه البذرة . بأنه ليس المعنى بالحدث وانما الناس الديانة في شيء وانما ان
كشأنه المسلم الى الله سبحانه الاسلام قائما بدعوه الى العلم والتعليم والتربية التي
بها يسلم العبد الى الله . وأمرها وسببها . ولو كذا وأمرها . نرى
السلم في ركنا ورواها الملة والجلوة ومصر رتبة في المنار والخرقة في سائر الاقصاد متأخراً

في العلم والتمسب والعدل والنجح وزر، ان انقلابه تأثيراً في هذا الأخير وهو يتوهم ان ذلك من الدين ونحن نعلم ان الدين ضده فحين ندعوه باسم الاسلام الحقيقي الى التمسب والتمسب والتمسب الى العلم بالحاري ماوريه في سبل الحياة . ولا يمكن ان ندعوه هذه الدعوة باسم الوطنانية لأن مجلتنا ليست سياسية ولا تجارية ولا زراعية لتحث اهل الوطن الواحد على الاتفاق في ترقية هذه الامور باسم الوطن . على اننا لا نقصر في الدعوة الى التمسب بل هو امر عرفنا به ولا نعرف كاتباً عربياً كتب فيه ما كتبنا .

﴿ التمسب الديني والجرائد والمجلات ﴾

التمسب الديني بمعنى الاعتساف به والاستعساف بعروته فضيلة هي أم الفضائل والتمسب بمعنى ابداء الدين لى مخالفته في دينه ونهية تبوله بها مسائب كثيرة لاسباب اذا انبثت لها التمسب جرائد ومجلات تدعو اليه وتحركه . والتمسب بالمعنى الأول قروي من الامور الاسلامية فيه أحد من في هذا الطور الذي هم فيه الآن طور التمسب والتمسب والتمسب الذي لا يعلم منه اهل دولة ولكنه عند المسلمين اذ من عند غيرهم لا يبالوا التمسب

انظر تر المسلمين أكثر من تسعة أعشار أهل القل المصرى ولكنه ليس لهم جريدة دينية ولا مجلة مائة الأثار وهو حديث المهد فهم . والتمسب لهم فيه جرائد ومجلات دينية على قلة عددهم . وأقرأ هذه الجرائد والمجلات تجدوها تنزى بدعوة المسلمين الى النصرانية والطمع بالاسلام ولا ترى في المنار الاسلامي دعوة الى النصرانية التي تركت التمسب الدخول في الاسلام وقد مرت عليه ثلاث سنوات من اهل التمسب . هو معرض عن الرد على المعتنقين والقادحين في الاسلام على كونهم يرسلون اليه كتبهم وجرائدهم لأشغال تكن ترى المسلمين مبالغين بها فأجبنا بما في ذلك السكون بالسكون عنهم . ولكننا لما رأينا سوء تأثير بعض الكتب والمجلات فتجنا في المنار بالردة شبهات المسيحيين . التمسب في الأدب والحجة وما كنا معتدلين .

أليس عجيباً ان تسعة ملايين من المسلمين في مصر ومئات من الملايين في غيرها لا تعرف لهم الا مجلة دينية واحدة ويوجد في كل قطر من أقطارهم جرائد ومجلات كثيرة لأوائل الشراذم الذين يساكنونهم وهم أقل منهم عدداً ومالا وتمسكاً بالدين؟ نعم ان هذا عجيب وأعجب منه ان جرائد الشراذم الصغيرة تمتدي على تلك الملايين الكثيرة وتطمع بدنيهم وتدعوهم الى تركه واتباع دينها . وان تعجب فهناك ما هو

أعجب من الأمرين وهو أن المسلمين يشتركون بتلك الجرائد ويعضدونها بأقبالهم عالياً وهم يعلمون أن النصارى لا يكادون يشتركون بمجريدة ساجها مسلم أن لم تكن دينية الا لترض شخصي ونحوه وأما المجلة الدينية الإسلامية الوحيدة وهي (المنار) فليس لها من المشتركين المسيحيين الاثنان من القبط (وكان لهم ثالث اشترك ثلاث سنين ولم يدفع شيئاً من قيمة الاشتراك فرجع اسمه) وخمسة من السوريين، وفي ذلك عبرة للمعتبرين، ومن المبر التي هي إحدى الكبر، ما جاءت به «الجامعة» في الأيام الأخر، وهو أنها قصدت للطن في الاسلام. وفي اثنتي الأعلام، من طريقة خدمة العلم دون الدين، ودعوى ارادة النصيحة للمسلمين، وهي تجد مع هذا من يشترك فيها منهم بل يزعم صاحبها أنه كان بين أسياب الفقر، ومخالب الضك والسر، الى أن تحرش بالسائل الإسلامية، وناطح بقرنه أعلام الملة الحليفة، فأقبل عليه المسلمون، وهم من كل حذب يسألون، وما زالت تتوالى عليه منهم «الاشتراكات»، حتى زال عنه يخالهم «الضك والسر»، والمبرة في هذا على تقدير صدقه ظاهرة، وأما المبرة على تقدير تمويهه، وتعتيجه لشأن نفسه وبراعته في الاعلان عن جاءته فهي ان المسلمين في اعتقاد هذا الرجل قد بلغوا من الجهل والحقافة مبلغاً يستلزم فيه بمثل هذا الكلام الى مكافئته على الطامن بدین الاسلام،

وأكبر من هذا وأعجب مناسبه كله أن من جرائد المسلمين في مصر وسوريا من قرظ كتابه الذي لفسقه في الطمن بالاسلام واثمته ووجهه انظار المسلمين اليه، وحتمهم عليه، ليس من الانغاز والمعنيمات التي يصعب حملها على الأكثرين ان جريدة بي، نية إسلامية تفرظ كتاباً يطعن في الاسلام وبجرة، كلام ائمة ليقنع المسلمين بما يقول ويترجم ان الجمع بين الرياسة الدينية والدينية في خليفة المسلمين فاضل يهدم الاسلام وتأخر أهله عن جميع الأثم ويصرح بأنه يجب على المسلمين ارادة هذا المعنى في الخلافة وجعل السلطان رئيساً مدنياً كلوك أوروبا — الى آخر ما أشرا اليه في باب الشبهات. سنوضحه بمقالة مخدوعة؟ بل ان هذا من عجيب (غرارة) المسلمين المشروحة في الاجتماع الثامن لجمعية أم القرى المنشور في هذا الجزء، ومن عجائب تساهلهم

مع هذا كله يقولون اننا متصليون وانهم متساهلون، كأنه يتعذر علينا ان نرضيهم ونحن مسلمون. «ان ترضى ذلك» «ولا تشكر ان أصحاب الدخف المتيرة كالملال والمقدح والمقهم والأهرام غير راضين عن خذلان الجامعة وفتحها أبواب التعصب للمسلمين وهم يعلمون ان جعلهم دينية

﴿ الفلاسفة القديمة وابن رشد ﴾

فلاسفة المتقدمين من اليونان والعرب الذين حروا على آثارهم قد نسخت بالمدافعة الحديثة ولم يبق للإشر حاجة فيها إلا من الحجة التاريخية فلا ينبغي تضيق الوقت بالاستغفال بنظرياتهم العقيمة إلا لأفراد يتفرغون لحفظ تاريخ العلوم ليعرفوا نسبة الماضي إلى الحاضر وهؤلاء الأدار لا يوجدون إلا في الأمم الراقية التي أحاطت بالعلوم والتفنون العمرية التي عليها مدار العمران لأن حفظ أسئلة الفلسفة والعلم من الأمور التي يستعملها كناية وأماها من أبنائها الأبرار الضرورية والامور الحاخية

ولا يخفى أن أهل هذه البلاد لا يزالون في المرتبة الأولى فلا يجوز أن تستغل أفكارهم المنزلية السكالية لأن ذلك تضيق الوقت ونفساد التفكير . فلا تستغل بأشهر فلا تتركهم . وأمثالهم الذين يرتفعون فيها ضاربهم ولو كان ضروريا أو حاجيا لطلبوه بسائق المنفعة وفرروه في مدارسهم

نعم إن ابن رشد عالم متكلم إسلامي كما هو فيلسوف فما كنهه في نسبة الفلسفة إلى الدين ينبغي أن يطالع عليه المشتغلون بعلم الكلام في الأزهر وغيره من المدارس الدينية وذلك هو كتابه (فصل المقال) المطبوع بتطبعة المؤيد . ولا بأس للمتوغل في علم الكلام من التفرغ في كتابته تهافت التهافت بعد النظر في كتاب تهافت الفلاسفة للإمام الغزالي وكلاهما مطبوع بتصرف في كتاب واحد ومنه ينحس

ولا ينبغي أن يغفل أن يعتمد في فلسفة ابن رشد - إذا هو أرادها - على تلخيص مثل صاحب الجامعة من كلامه وإن أو من الكتب العزمية فإن صاحب الجامعة شاب في أيام الإسلام عظيم الشأن في مدرسة كاشغري ولا يخفى أن هذا الفقيه ولا هو حسن الفهم في بيان ما يفهمه كما علم من مقالة (الأسباب والوسائل) المنشورة في هذا المنار ويعلم ما تستفسره في إثبات أن دين الإسلام مبني على العقل كما صرح القرآن الكريم وقد رجع صاحب الجامعة أن الامام الغزالي وابن رشد يقولان بخلاف ذلك أي بخلاف ما ينطق به كتاب الله تعالى (حاش الله)

﴿ القوى الأدبية في الشرق ﴾

يقول من يدعي القيام بأحياء الآداب في الشرق بلسان صديق له مجهول إن الشرق في حاجة إلى القوى الأدبية ولم يبين ماهي تلك القوى بالنص ولكنه بينها بالمحوى وهي الكذب وسوء الظن والخوض بالاعراض ومكافأة الحسن بالإساءة

والقيمة والبهتان للتفريق بين الصديق وصديقه والرصيف ورصيفه والأذى وتلذذه
أما الكذب فنه نية ما كتبه في هذا الموضوع لغيره مع ان العبارة والأسلوب
والفحوى تشهد كلها بأن ذلك له والأقرب هو ذلك الكتاب الذي يسمع عندنا القول
من فلان ويسمع نقيضه منه عند ذلك المدعي ؟ ومنه أنه حكى عنا من العطن في بعض
الأصحاب والرصافه ما لم نعلم نقيض عليه ما حكاه عنهم فعلم ان كل ما قاله كذب الخ
وأما سوء الظن فنه أنه جزم بأن الذي أفنى سره المنجي بسوء قصده وبمزمه
على الاستمرار في عمله السيئ هو ذلك الأديب الذي ينوء به ويمدحه ويدافع عنه
والحقيقة ان السر انما ظهر من قلم غير القطر المصري فكان على محبي الآداب في
الشرق أن لا يجاري ظنه السيئ في صديق له ويحمل عليه تلك الجملة المنكرة

وأما الخوض في الاعراض فنه أنه أوهم ان صديقه الذي أساء الظن به كان
مستخدماً لـ ما هو فيه الآن من العمل التجاري في موضع لا ينبغي التصريح به وانما
يشار اليه بالنقط . . . مع ان الرجل لم يكن مستخدماً الا في شركة الاسواق .

وأما مكافأة المحسن بالاساءة فزاد هو أظهرها معاماته المشار اليها اتفاقاً مع صديقه
الذي كان متفانياً في مساعدته . ومنها معاملته غيره من المحسنين بما حاجة الى التصريح به
ويعرفه من يعرف الرجل وسيرته

وأما القيمة والبهتان فنه ان فلانا كان يقول في فلان كذا ويذم عمله وكذلك
الآخر ولو كان كل ذلك صحيحاً لوجب كتمانهم فكيف يصح به محبي آداب الشرق
وهو أفك صريح وبهتان عظيم وهذه القيمة والبهتان قد عزيت الى أسماء صريحة

﴿ أحوال العالم الاسلامي ﴾

الدولة العلية في اضطراب من زلازل الفتن في مكدونية والماح الدول عليها
بوجوب الإصلاح ومن مطالبة انكثرت لها بالأذن اسفها الحربية أن تمر في الدردنيل
والبوسفور عند الحاجة كما أذنت لبعض السفن الروسية

والأولة المراكش في خطا عظيم من خارج يدعى (أبا حمارة) خرج على
السلطان بمحاول نزع الملك منه . وقد كبرت فتنة هذا الخارج وقوت عصيته لأن
الاهابن نكروا من السلطان عبد العزيز لما يرون من ميله الى الأجانب وتنافسهم في
زخرف مدنيهم . ولا شك ان السلطان عبد العزيز لم يسلك طريق الحكمة فيما وجه
اليه وجهه من تغيير حال بلاده أو اصلاحها كما يقولون . وقد كما نصحناله والحكومة

بالاستئانة بالدولة العلية على الاصلاح العسكري والعلمي بطلب رجال من العلمانيين الداعمين يقومون بالاصلاح — والمثار يرسل دائما الى ناظر خارجيته ولكن هذا التقاطع بين ملوك المسلمين وامراتهم هو أصل كل بلاء ابتلوا به .

هاتان الدولتان الاسلاميتان معطربتان بوقية البلاد الاسلامية وادعة ساكنة لبس فيها شيء يؤثر ، ولا حادث يذكر ، اللهم الا الهند ومصر . فلما الهند فقد احتفل فيها من عهد قريب بتتويج ملكت الانكاز ونسبته امير اطوار الهند وهذا الاحتفال يسمونه (الدر بار) ويكون في مدينة (دلهي) عاصمة الهند الأولى . وتلا هذا الاحتفال احتفال آخر بمؤتمر التربية الاسلامية وهو خير ما يعمله المسلمون في هذا العصر لانه انفع الاشياء لهم . وأما مصر فقد احتفل فيها ثلاثة احتفالات عظيمة في مدة قريبة أحدها الاحتفال بدار الآثار والمعاديات المصرية وثانيها الاحتفال بالخران الذي بني في أصوان وثالثها احتفال المؤتمر الطبي الدولي المصري وانا نتكلم عن الاخيرين بموجز من القول

﴿ المؤتمر الطبي الاول بمصر ﴾

المرض من هذا المؤتمر دراسة أمراض البيرس الرن ولا شك ان مصر جبر مكان يصلح ان يؤمه اطباء أوروبا لهذه البحوث وقد اشتركت فيه الدول العظيمة رسا وأرسلت مندوبين عنها بمحضرة . وقد افتتح المؤتمر عزيز مصر العباس في الماضي الحديوي (الأوربا) في ١٩ رمضان (١٩ دسمبر) الماضي فقبل خطبة فرنسية رحب فيها بأعضاء المؤتمر وشكر الحكومات والمجامع العلمية التي لبّت دعوة حكومته وأرسلت مندوبها الى المؤتمر ، بما قاله : محذري ان أفتخر بأن بلادى قد اهتمت اهتماما حقيقيا بالسير في سبيل التقدم وفيها هو صاخر وتافع نوع الانسان ولذلك جعلت مساعي موجّهة دائما الى المحافظة على سيرها في هذا السيل .

وقد تكلم الناس في أمرين أحدهما كون خطبة الامير بالفرنسية دون لغة حكومته الرسمية (العربية) وجعل هؤلاء ان هذا الاحتفال لو كان في روسيا لما خطب القيسر فيه الا بالفرنسية التي يفهمها كل الذين يخاطبهم . وثاني الأمرين ان مختار باشا المازي لم يحضر المؤتمر ولم ترسل الدولة البلية مندوبا آخر من الأطباء . ويقال ان هذا المؤتمر لا يرضى الدولة العلية لأن من شأنه ان يكون في البلاد المستقلة ولكنها ترى ان الواجب ان يكون المؤتمر " راتانية " لا يدعو " الحكومة المصرية بنفسها

﴿ الحزان - أو - سد أسوان ﴾

إقامة السدود على الأنهار لحفظ الماء الذي يحتاج إليه في ربي الأرض قديم في البشر وكان العرب من السابقين إليه تصوراً وعملاً فسد مأرب في بلاد سبأ مشهور أمره . وكان في دولة العبيديين في مصر من تصورات بناء سد للتليل ولم يبرز ذلك للفعل . ثم أن نابليون الأول تصور هذا العمل وأراد به وتكلم فيه من بعده كثير من المهندسين ولم يتم إلا في زمن هذا الأمير (العباس) وبأيدي الموظفين في حكومته والمقاولين في بنائه من الإنكليز . وقد وضع الحجر الأول من سد أسوان في ١٢ فبراير (شباط) سنة ١٨٩٩ وضعه دوق كنوت أخ ملك الإنكليز ووضعت زوجته الحجر الأخير منه في ١٠ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٠٢ وقد كتب على كل من الحجرين بالإنكليزية اسم واضعه والتاريخ وكون السنة سنة كذا من حكم سمو (الحديو عباس حلمي) طول السد من الشرق إلى الغرب الفاتر وسمكه من أسفله نحو ثلاثين متراً ومن أعلاه ٧ أمتار ويزيد ارتفاعه عن سطح الماء عند انخفاضه على ٢٠ متراً وفيه ١٨٠ صفاً للماء سعة المصب نحو ٣ أمتار من الأمام و١٢ متران من الخلف وفي الغالب لها أبواب تفتح وتغلق بحسب الحاجة لحبس الماء وإطلاقه ويبلغ ما يسد السد من الماء ملياراً و ٦٥ مليون متر مكعب أو ملياراً و ١٤ مليون طن . وهي تفتح وتغلق بالآلات الكهربائية . وأما مآقع السد المقدرة فهي عظيمة جداً منها الحياة أرض واسعة تقدر بمئات الألوف من العبادين ومنها التمكن من زرع نحو ١٠ آلاف فدان من مريتين في العام وذلك مما يزرع الآن الامرة واحدة ومنها سد العجز الذي يكون من انخفاض النيل في بعض السنين . ومن ثمّة منفعة هذا السد أنه يبي في أسبوط قاطر كالفناطر الخيرية عددها ١١١ قطرة عرض كل قطرة خمسة أمتار وارتفاعها من قاع النهر إلى السطح ١٢ . تراو نصف وسمكها عند القاعدة ٢٦ متراً وقائدها إصلاح الري فيها تحت أسبوط من الوجه القبلي أما الاحتفال بفتح الحزان فقد كان في رمضان الماضي ودعت الحكومة إليه وكلاء الدول وكبار الموظفين والوجهاء وكثيراً من الأفرنج وكان الأمير دعا دوق كنوت وزوجه . وابتدأ الاحتفال بنظر الاشتغال العمومية حين غري بلائحة خطبة فرنسية ذكر فيها وجه الحاجة إلى السد بلا جمال والثناء في أنه فأجابه الأمير بخطبة فرنسية وجزيرة اعترف فيها بمظمة العمل وأثنى على الناظر واعوانه الموظفين الذين شكر لهم همهم في مساعدته وقال « إنه ليس لي كثيراً أن أرى حكومتني تتبع اعترائي وأحسب عليّ فببذل كل الجهد في جلب الخير والسعادة للبلاد »

فبشر عبادى الذين يستمعون القول
فيسمعون أوتى أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المبجى

١٣١٥

بشر الحكمة من بشارته ومن يؤمن
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و « مناراً » كنار الطريق)

(مصر يوم الجمعة غرة ذي القعدة سنة ١٣٢٠ — ٣٠ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٣)

﴿ باب العقاب ورد الشبهات ﴾

(الاسلام دين العقل)

كننا ولا نزال نصرح بأن دين الاسلام هو دين العقل وحجتنا الكتاب والسنة وكلام الائمة ولكننا ابتلينا بمن يشكك المسلمين في دينهم وفي الدعاة اليه بايهاهم ان ما نقول ليس من الدين وأنه خارق به لان الاسلام يجب ان يكون كسائر الاديان التقليدية عدوا للعقل وان بناءه على العقل مؤذنه يهدمه كغيره وانه لو كان معقولا لكان علما ولم يكن ديناً الى غير ذلك من التشكيك وإنما نأخذ ديننا عن الادلة الملقيه والتقليد من كتاب ربنا لاعن المخالفين المشككين

بسم الله الرحمن الرحيم . هم . تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . ان في السموات والارض لايات للؤمنين . وفي خلقكم وما يث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد . واتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون . ويل لكل أفاك أثيم . بسم آيات الله تتلى عليه ثم يصير مستكبرا كان لم يسممها فبشره بعذاب أليم .

فهذا كتاب الله يقيم الأدلة والبراهين . طالباً بها أهل العقل باليقين في الإيمان ؛ واليقين لا يكون إلا بالبرهان ، ومعرف الشيء ببرهانه هو أعلى العلم وأقواه . ولذلك قال تعالى بعد آيات ذكر فيها أهل الكتاب : « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » . وقال بعد آية « هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون » والبصائر جمع بصيرة وهي الحجة توصل إلى اليقين . ثم قال في الجاحدين تقليداً « وقالوا ما هي الآياتنا الدنيا تموت ونحيا وما نهلكها إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون » فنفى عنهم العلم ويبنون الظن لا ينفع في الدين ، لأن المطلوب فيه علم اليقين ، كما قال في سورة أخرى « وما لهم بذلك من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً » .

لما آتت من سورة قصيرة ندل على أن الإسلام دين العقل وأنه علم وأنه إيمان فيه اليقين ولا يكتفى بالظن في الإيمان بأصوله كوحداية الله تعالى وعلمه وقدرته وبعثه الأنبياء ورسالة خاتمهم عليه وعليهم السلام . وقد جاء في القرآن كلمة « يعلمون » بألف واللام نحو خمسين مرة وفيه ذكر العقل والعلم في الخطاب وبقاء الآيات على الإيمان بتفسير هذا الحرف كالنهي واللب فلفظ الألباب جاء في تضع عشرة آية . لهذا كل العلم بالكون طريق الإيمان والاسلام . قال عز وجل « ألم ير أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس الذلوب والأنعام مسابغون كذاك بما يحسن الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور » . فبينما والله الحمد لم وكل الناس دين لأنه يريدنا إيماناً ومعرفة بالله سبحانه

وقد ورد في الحديث « ان هذا العلم دين فانظروا عمن أخذون دينكم »
وأما قول المشككين ان العلم محصور في المحسوسات فكل ما لا تحس به
فلا يقال في عرف الفلاسفة انك عالم به فهو من المعاطاة أو الجهل فإنه لا علم
يعتصم باليتين كعلم الرياضيات وبراهينها معقولة غير محسوسة .

(انظر نازيل مع الدلائل السمي)

ذكرنا في المنار غير مرة ان الذي عليه المسلمون من أهل السنة
وعندهم من الفرق المعتد بإسلامها ان الدليل العقلي القطعي اذا جاء في ظاهر
السمع . فاعلم بالدليل العقلي من حيث هو وفى النقل التأويل أو
التفويض وهذه المسألة مذكورة في كتب المقائيد التي تدرس في الازهر
وغيره من المدارس الاسلامية في كل الاقطار كقول الجوهرية

وكل من أوجب السمع في قوله أو فوض ودم تنزيها

قال العلامة الشافعي رحمه الله تعالى لا يكذب الله تعالى الا وسعها
عند ذكر التأويل . فثبت ان معنى وضع المعارض من القاصع العقلي والظاهر
السمعي فهو من غير محال لأنه جمع بين التقيضين وإما ان يكذبها
وهو محال لأنه ابطال للتقيضين وإما ان يكذب القاطع العقلي ويرجع الظاهر
السمعي وذلك يوجب انطراق الطعن في الدلائل العقلية ومتى كان كذلك
بطل التوسيد والنبوة والقرآن . وترجيح الدليل السمي يوجب القدرح في
الدلائل العقلية والدليل السمي مما فلم يبق إلا ان يقطع بصحة الدلائل
العقلية ويحمل الظاهر السمي على التأويل « اهـ ثم انه أقام الدليل بهذا
الوجه على المعتزلة في مسألة التكليف لانهم يتفقون مع أهل السنة فيه
هذه المسألة مشهورة عند علماء المسلمين لا تحتاج الى تأييدها بقول

ولكن فشت بيننا في هذه المصير مطبوعات المشككين في الدين فاذا نقل المسلم عبارة من أصول دينه يقولون ان هذا من عنده ولا يبعد أن يوجد من الجاهلين من يفتخر بأقوالهم . وقد تقدم في مقالات « الاسلام والنصرانية » أن الاصل الثاني للإسلام تقديم العقل على النقل عند التعارض وهذا دليله من القرآن ومن كلام بعض الأئمة ولو أردنا سرد النقول من المواقف والمقاصد وسائر كتب الكلام والتفسير ومن كتب المتأخرين كحواشي الباجوري والرسالة الجيدية لأطلنا الكلام في معنى واحد

الشكوك في المسألة

فان قيل ان الامام الغزالي بعد أن أظهر تهافت الفلاسفة في أدلتهم النظرية في علم الله تعالى قال: « فَإِنَّ لَيْسَ بَيْنَكَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ عَنْ خِزْيٍ فِي مَذْهَبِهِ وَهَكَذَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ » وظهر أن الامور الالهية يستوي على كتبها بنظره ونجده . فهل يدل هذا القول على ان الدين غير معقول أم لا فالجواب انه ليس من مقتضى الدين ولا من مقتضى الفلسفة الوقوف على كنهه الخالق وحقيقته وكنه صفات الباري وحقيقتها . واذا عجز الحكماء والعلماء عن معرفة كنه الاجسام المشاهدة فكيف يطمع الطامعون بمعرفة كنه خالق الاجسام بأدلة نظرية وتخيلات شعرية ؟ هذا شيء لم يكلفنا به الدين فيكون قول الغزالي بانكاره على الفلاسفة دليلا على أن الاسلام يكلف الناس بغير المعقول كما يزعم المشكك

ومثل هذا قوله في هذا البحث (بحث العلم الالهي) مخاطبا للفلاسفة بعد إظهار عجزهم وتهافتهم : « المفسود تعجزكم عن دعواكم معرفة دقائق الامور بالبراهين القطعية وتشكيكم في دعاويكم واذا ظهر عجزكم فني

الناس من يذهب الى ان حقائق الأمور الإلهية لا تنال بنظر العقل بل
ليس في قوة البشر الاطلاع عليها ولذلك قال صاحب الشرع صلوات الله
عليه « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله » اهـ

فهذه الجملة من الامام الغزالي كالجملات السابقة خاصة ببيان عجز البشر
عن ادراك حقيقة الباري وحقائق صفاته وقد مرت القرون والاعمال
وستمر قرون وأجيال أخرى الى ينقضي عمر البشر ولا يصلون الى معرفة
حقيقة الله وحقيقة علمه وسائر صفاته . وهكذا قال صاحب مقالات
(الاسلام والنصرانية مع العلم والمدينة) قال (ص ٥٤٤ من المنار): « لا بد
ان ينتهي أمر العالم الى تأخي العلم والدين ، على سنة القرآن والذكر الحكيم ؛
ويأخذ العالمون بمعنى الحديث الذي صح منه ، « تفكروا في خلق الله
ولا تفكروا في ذات الله » وعند ذلك يكون الله قد أتم دينه ولو كره
الكافرون ، وجميع الجاهلون » ، فكلام الامام الغزالي وكلام
هذا الامام واحد لا فرق بينهما . ولو كان الاسلام كافئاً بأن نعرف كنه
ذات الله تعالى وكنه صفاته لكان مكافئاً لنا بما لا يعقل ولا يستطيع ولكن
الله يقول « لا يكلف الله نفساً الا وسعها »

هذا وان الامام الغزالي لم يقصد بكتاب تهافت الفلاسفة الذي نقلنا
منه تلك الجملتين بيان القواعد الإسلامية وإنما قصد بيان فساد نظريات
الفلاسفة في الأمور الإلهية وقد يدفع الفاسد بالفاسد ولذلك قاله قبل
الجملة التالية بأسطر (ص ٥٠) : « نحن لم نخض في هذا الكتاب خوض
المهملين ، بل خوض الهادمين المعترضين ، ولذلك سمينا الكتاب (تهافت
الفلاسفة) لا (تمهيد الحق) » فلا يصح أن يؤخذ من هذا الكتاب

مذهبه في المتأندولا في غيرها كما يناهض على ذلك في مقاله لاسباب والمبنيات في
الجزء التاسع عشر والعشرين . وإنما يؤخذ مذهبهم من كتبه في المتأندولا اصول
وهو فيها موافق لسائر أئمة السنة من أن العقل أصل الاسلام وان برأيه
القطعية لا ترد فان جاء في الشرع ما يخالفها في الظاهر فالحكم فيه ما تقدم
فان قيل : قد علمنا ان أئمة المسلمين في المعتاد والاصول لم يختلفوا
في أن دين الاسلام هو دين العقل فهل تعلم أن الفلاسفة لاسلاميين يرجوا
عن هذا الاصل وفصلوا بين العقل والدين : فالجواب كلا ان الفلاسفة
أحرص على التوفيق بين العقل والشرع من غيرهم وقد أثبت فيلسوف
الاسلام في الغرب أبو الوليد بن رشد رحمه الله تعالى كتابا في هذه المسألة
أثبت فيها ما أثبتته أهل السنة من قبله . ذلك الكتاب هو (فصل المقال
فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال) ففي هذا الكتاب أثبت ان الشريعة
الإسلامية أوجب النظر بالعقل وجمعها . أسأل الله تعالى أن يعيد (في ص ٨) مانصة
« وإذا كانت هذه الشرائع حقا وداعية إلى النظر المؤدي إلى معرفة
الحق فإننا نعتبر المسلمين نعلم على اتطاع الله لا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ما
ورد به الشرع فإن لم يتفق لا سيما في الأصول . أفنعه ويظهر . وإذا كان هذا هكذا
فإن أدعى النظر البرهاني إلى نحو ما من المعرفة بوجود ما فلا يخلو ذلك
الموجود أن يكون قد كثر عنه في الشرع أو سببه به . فإن كان تعالى
سبكت عنه فلا تمارن في ذلك وهو غير له . سبكت عنه من الأحكام فاستنبطها
الذوق بالقياس الشرعي . . . ان كانت الشريعة تطقت به فلا يخلو ظاهر
الناطق أن يكون . وإنما لما أدى اليه اليه معاني فيه أو مخالفا . فان كان موادقا
فلا قول هـ . . . وان كان مخالفا لم يأت هناك تأويله . ومعنى التأويل هو

إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية من غير ان يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشيئه او سيبه او لاحقه او مقارنه او غير ذلك من الاشياء التي عهدت في تعريف أصناف الكلام المجازي . واذا كان الفقيه يفعل هذا في كثير من الاحكام الشرعية فكم بالحري ان يفعل ذلك . صاحب العلم بالبرهان فان الفقيه انما عنده قياس ظني والعارف عنده قياس يقيني

« ونحن نقطع قطعاً أن كل ما أدى اليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع ان ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي . وهذه القضية لا يشك فيها مسلم ولا يرتاب فيها مؤمن . وما اعظم ازدياد اليقين بها عند من زاول هذا المعنى وجربه وقصد هذا المقصد من الجمع بين المعقول والمنقول بل نقول انه ما من منطوق به في الشرع يخالف بظاهره لما أدى اليه البرهان الا اذا اعتبر الشرع وتصفحت سائر أجزائه وجد في الفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التأويل او يقارب ان يشهد . ولهذا المعنى : جمع المسلمون على انه ليس يجب ان تحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا ان تخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل » اه المراد منه بحروفه

قول : الله اكبر ، لمع الحق وبهر ، وظهر ان علماء المسلمين متكلميهم وفلاسفتهم ومفسريهم وفقهائهم لم يختلفوا في ان الاسلام دين العقل على العقل بني شرعه والعقل هو المخاطب به (لا القلب وحده) وظهر ان ما قاله ذلك الامام في مقالات (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) في تعارض الادلة العقلية والنقلية ، هو المجمع عليه في الملة الخنيفية ، وهذا ما يدعو اليه المنار جهاراً ، وكبر على اعداء الاسلام فكروا مكرراً كباراً ، ولن

يجدوا لهم من دون الله أنصارا،

فان قيل : ان لأبن رشد كلاما آخر في « تهافت التهافت » يشبه ان يكون مخالفا لقوله هنا كقوله « الفلاسفة تفحص عن كل ما جاء في الشرع فان أدركته استوى الإدراك ان وكان ذلك أتم في المعرفة وان لم تدركه أعلمت بقصور العقل الانساني وان يدركه الشرع فقط » وكقوله : « أما الكلام في المعجزات فليس فيه للقدماء من الفلاسفة قول لأن هذه كانت عندهم من الاشياء التي لا يجب ان يتعرض للفحص عنها وتعمل مسائل فانها مبادي الشرائع والقاحص عنها او المشكك فيها يحتاج الى عتوبة عندهم مثل من يفحص عن سائر مبادي الشرائع العامة مثل هل الله تعالى موجود وهل السعادة موجودة وهل الفضائل موجودة . وإنه لا يشك في وجودها وان كيفية وجودها هو أمر إلهي معجز عن إدراك العقول الانسانية . والعلة في ذلك أن هذه هي مبادي الاعمال التي يكون بها الانسان فاضلا ولا سبيلا الى حصول العلم الا بعد حصول الفضيلة . فوجب ان لا يتعرض للفحص عن المبادئ التي توجب الفضيلة قبل حصول الفضيلة . واذا كانت الصنائع العملية لا تتم الا بأوضاع ومصادرات يسلمها المتعلم أولا فأحرى ان يكون ذلك في الامور العلمية » اهـ بحروفه

فالجواب ان هذا الكلام لا ينافي ذلك ولا يخالفه بل هو مؤيد لقوله الأول ولقول جميع أئمة المسلمين من السابقين عنه واللاحقين به الى صاحب مقالات (الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية) ولو فرضنا ان بين القوانين مخالفة امكان الواجب اعتبار الأول لانه مبين لمذهبه واعتقاده هو وسائر المسلمين على سبيل القطع . وأما قوله هنا فهو حكاية

عن الفلاسفة الاولين ولا يضرنا مخالفتهم انا مادامنا واثقين بأننا على الحق المؤيد بالبرهان . على ان ابن رشد يقول هنا ان الفلاسفة الاولين لا يعارضوننا في هذه المسائل أي ان مقتضى مذهبهم ذلك والافق قد صرح بأن ليس لهم كلام في هذه المسائل التي ذكرها فالخلاف بينه وبين الغزالي في هذا المقام محصور في نقل إنكار الفلاسفة على الملمين مسألة المعجزات ومبادئ الفضائل فالغزالي يسند اليهم على الاطلاق وان رشد يقول انه لم يبحث ذلك الا ابن سينا والخطب سهل

أما الوفاق فإنيك تراه بدأ يتكلم عن رأي الفلاسفة في الأديان ومبادئها لافي الاسلام الذي هو أرقها وهو مع ذلك يعترف بأموه ولا يتجمل الدين (المطلق) فوق العقل بمعنى أن فيه ما يحيله العقل ويقطع بعدم صحته (منها) أن ما لا تدركه الفلسفة بنظرياتها فهو دليل على ان العقل الإنساني قاصر عن الوصول اليه نفسه فهو محتاج فيه الى إرشاد الشرع . ولا شك ان العقل الإنساني قاصر حتى اليوم عن إدراك كل ما بين يديه فهو يستخدم الكهنة وينتفع بها ولا يعرف حقيقة ما فكيف يعرف أمور الآخرة والنشأة الثانية ؟ وليس معنى قولنا ان دين الاسلام معقول ان كل مسأله يمكن أن تعرف بالعقل استقلالاً بل معناه انه ليس فيه شيء يحكم العقل باستحاطته ككون الواحد ثلاثة والثلاثة واحداً . وكون الإله يتحد بالبشر ولولا ان هذا هو المراد لكأن العقل يستقل بوضع الدين ولا يحتاج فيه الى الوحي

(منها) قوله ان مبادئ الدين كالمعجزات أمور موجودة لا يشك في وجودها . والوجود لا يكون محالاً لأن المحال لا يقبل الوجود . وقوله

عنهم : ان كيفية وجودها أمر إلهي تعجز عن إدراكه العقول الإنسانية : لا يستلزم أن الدين غير معقول أو ان فيه شيئاً محالاً في نظر العقل لأن هذه الموجودات التي نحس بها ولا نشك فيها قد عجزت عقولنا عن معرفة كيفية إيجادها فمجزؤها عن معرفة كيفية وجودها للمجرات الأولى . ويسهل على كل عاقل أن يميز بين ما هو مستحيل لا يتصور العقل وجوده وبين ما لا يشك في وجوده لكنه لم يصل الى معرفة كيفية حدوث هذا الوجود (ومنها) ان هذه المبادئ الدينية الموجودة الثابتة يجب أن تؤخذ بالتسليم والتقليد للشرع (لا لآراء الناس) من غير أن نسلط النظريات الفلسفية على البحث في إمكانها وفي كيفية وجودها لأن هذا البحث سفه ثم نأثر . وأي سفه وضرراً كبر من التشكيك في شيء موجود نافع للناس لصدهم عن الانتفاع به بنظريات لا قيمة لها . اي سفه اكبر من سفه من كان يماري بالموجود الثابت بالمشاهدة أو التواتر (كالمجرات) او يلزم الانسان بأن لا يسلك طريق الفضيلة حتى يبحث بالدلائل النظرية الفكرية في إمكانها وفي كيفية حصولها وهو يرى ويشاهد أنها تحصل بالفعل وأن طريق حصولها هو العمل لا النظريات الفكرية ؟؟ وما احسن ما اورده الفيلسوف في هذا المقام أيضاً وهو :

« واما ما نسبته (أي ما نسبته الغزالي الى الفلاسفة) من الاعتراض على معجزة إبراهيم عليه السلام فشيء لم يقله الا الزنادقة من اهل الانلام فان الحكماء من الفلاسفة ليس يجوز عندهم التكلم ولا الجدل فيه بادي الثرائع وفاعل ذلك عندهم محتاج الى الأدب الشديد وذلك انه لما كانت كل صناعة لها بادي وواجب على الناظر في تلك الصناعة ان يسلم

مبادئها ولا يتعرض لها بنفي ولا إبطال كانت الصناعة العملية الشرعية هي أخرى بذلك لأن المشي على الفضائل الشرعية هو ضروري عندهم ليس في وجود الانسان بما هو إنسان بل وبما هو إنسان عالم. ولذلك يجب على كل إنسان ان يسلم مبادي الشريعة وان يقاتل فيها ولا بد من هذا الوضع لها فان جحدتها والمناظرة فيها مبطلان لوجود الانسان ولذلك وجب قتل الزنادقة . فالذي يجب ان يقال فيها ان مبادئها هي أمور الهية تفوق الحقول الانسانية فلا بد ان يعترف بهامع جهل اسبابها ولذلك لا تجدد احدا من القدماء تكلم من المعجزات مع انتشارها وظهورها في العالم لانها مبادي تثبت الشرائع والشرائع مبادي الفضائل . ولا فيما يقال فيها بعد الموت . فاذا نشأ الانسان على الفضائل الشرعية كان فاضلا باطلاق فان تمادى به الزمان والسعادة الى ان يكون من العلماء الراسخين في العلم فعرض له تأويل في مبادئ المبادي فيجب عليه ان لا يصرح بذلك التأويل وأن يقول فيه كما قال الله تعالى « والراسخون في العلم يقولون آمنا به » هذه حدود الشرائع وحدود العلماء « اه بحروفه من (ص ١٢٩)

حقا أقول ان هذا ما يصح ان يسند الى الحكماء العقلاء واننا نوضحه بمثال آخر طالما ذكرناه في مباحثنا مع الاخوان وهو ان الطب علم قد ثبتت فائدته للناس بالتجربة والملاحظة فمن الحماقة وسفه الرأي أن يقال للمريض عليك ان لا تقبل من الطبيب علاجاً حتى تبحث أولاً عن مبادئ الطب وتثبت بالادلة النظرية انه نافع ومفيد ثم تعرف الدواء الذي يصفه لك الطبيب ماهو وما نسبة بعض أجزائه الى بعض وكيف يؤثر في مقاومة المرض وما الدليل العقلي على تأثيره وما أشبه ذلك

كذلك يكون أمين الرئي من يقول للناس عليكم ان تبحثوا قبل
الايمان عن أسباب المعجزة الثابتة التي رأيتوها أو نقلت اليكم بالتواتر حتى
كانكم كنتم حاضريها كيف أوجدها الله تعالى ثم تبحثوا أيضا عن كل ما جاء
في التسرع لتعلموا بالدليل النظري لم كان كذلك وكيف كان وبعد ذلك
كله آمنوا اذا عرفتم كل المسائل بالدليل النظري ولا تؤمنوا اذا لم تعرفوها
يفك المرض بمرض الجسد حتى يكون حرجاً أو يكون من الهالكين
ولا يقدر ان يشف على دقائق الطب بالنظر والاستدلال وهو كسبي كله وضمه
أمثاله من الناس بالنظر والتجربة . وكذلك تفتك نذر دلائل والمقائد الباطلة
بمرض النفس فتجمله مصيبة على نفسه وعلى الناس ولا يصل بالنظر الى هذه
الكيديات فبقى ان الصواب ما قرره الاسلام وهو ان النظر واجب في الاصول
التي ثبت بها معرفة الله تعالى وحجة النبوة ومنى اعتمادنا بقدره الله وإرادته
وعلمه وكونه وحى الى بعض عبده وأهل بيته اذا الناس الى ما يسمدهم في
حياتهم الاخرى فانه يسهل علينا أن نسل بكل ما يقول الموحى اليهم (الانبياء
عليهم السلام) تسليماً . فان وجدنا فيه شيئاً يخالف ظاهره للدليل العقلي
الذي نردده الله بالتأويل أو نفوض الامر فيه الى الله مع الاخذ بالدليل
العقلي . هذا ما أجمع عليه أئمة المسلمين كما تقدم وهو كاف في كون الاسلام
دين العقل لان المسلم لا يترك الدليل العقلي الماطع بحال من الاحوال .
وفد أحسن ابن رشد في رأيه أن لا تشر التاويلات التي تظهر
للاستخين في العلم بل تبقى خاصة بأهلها لا تكون دليلاً تنجح باب الجدل
على العامة لا الاتصال اليه أفهامهم من حقائق العلوم . والجدل مدعاة
الشكوك ولذلك يجب تأديب المشككين والاعراض عن المجادين

ارتقاء الأديان ، وضمها بالإسلام

(جاء في « رسالة التوحيد » للإستاذ الإمام ماضيه)

جاءت أديان والناس في فهم مصالحهم العامة بل والخاصة في طور أشبه بطور الطفولية للناسي الحديث العهد بالوجود لا يألف منه إلا ما وقع تحت حسه ، ويصعب عليه أن يضع الميزان بين يومه وأمه ، وأن يتناول من المسماني ما لا يقرب من لمسه ، ولم ينفث في روعه من الوجدان الباطن ما يعطفه على غيره من عشيره أو ابن جنسه ، فهو من الحرص على ما يقيم بناء شخصه في هم شاتل عما يليق اليه فيما يصله بغيره اللهم الا إذا اتصل الى فيه بطعام ؛ أو تسنده في قعود أو قيام ، فلم يكن من حكمة تلك الأديان ، أن تخاطب الناس بما يلطف في الوجدان ؛ أو يرقى اليه بسلم البرهان ، بل كان من عظيم الرحمة أن تدير بالأقوام وهم عيال الله سير الوالد مع ولده في سداجة السن لا يأتيه إلا من قبل ما يحسه بسمعه أو ببصره . فأخذتهم بالأوامر الصادقة ، والزواجر الرادعة ، وطالبتهم بالطاعة ، وجأتهم في بائني مبالغ الانظمة ، كآفاتهم بمقول المني جلي الغاية وأن لم يفهموا معناه ، ولم اتصل . نادرهم الى صرماه ، وجأتهم من الآيات بما تطرف له عيونهم ؛ وتنقل به مشاعرهم ، وفرضت عليهم من العبادات ما يليق بمجاهدتهم هذه^(١)

(١) نمرود الى الآن من هذه الأديان دين اليهود ومن قرأ كتبه المقدسة التي يسمون بمجموعها (التوراة) ينبغي له انطباق الوصف عليهم فيها أن الرب كان ياقب شعب اسرائيل بالشعب الغايظ الرقة ، أي المريض الغفا والمراد بالبد الخافي وكان يربه الآيات والمخاوف فيخضع ثم يعود الى تمرد . وكان يعلم له الاحكام بالوقائع الخاصة كآفاته من المصريين . وكان يماقبه على ترك أي حكم بشد العقوبة ومنها ان من يعمل يوم السبت عملاً يلقى قاتلاً

ثم مضت على ذلك أزمان علت فيها الأرقام وسقطت ، وارتفعت ،
وجربت وكسبت ، وتحالفت وانفقت ، وذات من الأيام آلاما ، وتقلبت
في السعادة والشقاء أياما وأياما ؛ ووجدت النفس بنفث الحوادث ؛ ولقن
الكوارث ، شعورا أدق من الحس وأدخل من الوجدان ؛ لا يرتفع في
الجملة عما تشعر به قلوب النساء أو تذهب منه نزعات الغلمان ؛ فجاء دين
يخاطب المواطن ، ويناجي المراحم ؛ ويستطفئ الأهواء ؛ ويحادث
خطرات القلوب ، فشرع للناس من شرائع الزهادة ما يهرفهم عن الدنيا
بجملة ما يوجه وجوههم نحو الملكوت الأعلى ، ويقتضي من صاحب الحق
أن لا يطالب به ولو بحق ، ويفلق أبواب السماء في وجوه الأغنياء ؛ وما ينحو
نحو هذا مما هو معروف . وسن للناس سننا في عبادة الله تنفق مع ما كانوا
عليه ، وما دعاهم إليه ؛ فلاق من تلق الناس بدعوتهم ما أصبح من فاسدها ،
ثم لم يعض عليه بضعة أجيال حتى ضعفت المرائم البشرية عن احتماله ،
وضاقت الذرائع عن الوقوف عند حدوده والأخذ بأقواله ، ووفر في الظنون
أن تباع وصاياه ضرب من المحال ، فمبب القائلون عليه أنفسهم لمنافسة الملوك
في السلطان ، ومناجاة أهل الترف في جمع الأموال ، وانحرف الجمهور
الأعظم منهم عن جادته بالنأويل ، وأضاعوا إليه ما شاء الهوى من الأباطيل ،
هذا كان شأنهم في السجاية . نسوا طهارته ، وباعوا نزاهته ؛ أما في العقائد
فتفرقوا شيعا ، وأحدثوا بدعا ، ولم يستمسكوا من أصوله إلا بما ظنوه من
أشد أركانها ، وتوهموه من أقوى دعائها ؛ وهو حرمان العقول من النشر
فيه وفي غيره من دقائق الأكوان ، والحظر على الأفكار أن تنفذ إلى
شيء من سرائر الخلق ، فصرحوا بأن لا وثاق بين الدين والعقل ، وأن

الدين من أشد أعداء العلم ؛ ولم يكف الذهاب الى ذلك أن يأخذ به نفسه بل جند في حمل الناس على مذهبه بكل ما يملك من حول وقوة . وأفضى الغلو في ذلك بالأنفس الى نزعة كانت أشأم النزعات على العالم الإنساني وهي نزعة الحرب بين أهل الدين للامّ لزام ببعض قضايا الدين . فتقوّض الأصل ؛ وتحرّمت العلاقات بين الأهل ، وحلت القطيعة محل التراحم ، والتخاصم مكان التعاون ، والحرب محل السلام ؛ وكان الناس على ذلك الى أن جاء دين الاسلام ؛ (*)

كان سن الاجتماع البشري قد بلغ بالانسان أشدّه ؛ وأعدته الحوادث الماضية الى رشده ، فجاء الاسلام بخاطر العقل ، ويستصرخ اليهم والى ، ويشركهم مع المواطنين والاحساس ؛ في إرشاد الانسان الى سعادته الدنيوية والاخرية . وبين للناس ما اختلفوا فيه ، وكشف لهم عن وجه ما اختلفوا عليه ، وبرهن على أن دين الله في جميع الأجيال واحد ، ومشيئته في اصلاح شؤونهم وتطهير قلوبهم واحدة ، وأن رسم العبادة على الأشباح ، إنما هو الجديد المذكور في الارواح ، وان لا ينظر الى الصور ولكن ينظر الى القلوب ؛ وطالب المكاف برعاية جسده كما طالبه بإصلاح سره ، ففرض نظافة الظاهر كما أوجب طهارة الباطن ، وعدّ كلا الأمرين طهرًا مطلوبًا ؛ وجعل روح العبادة الإخلاص ، وأن ما فرض من الأعمال إنما

(*) يرى الناظران الاستاذ الإمام باصق جميع ما يتدع في النصرانية وكان شؤما على الإنسانية . بالرؤساء الذين خرجوا من زهادة المسيح ويدعون انهم نوابه الى مزاحمة الملوك والاعلاء عليهم . فلا يتوهم أحد أن سلميما يقدأن في دين المسيح نفسه نبياً كان ضاراً بذاته فيمن غوطبوا به

هو لما أوجب من التطيع بطاهر المسكات : « ان الصلاة تهي عن النجاسة والمنكر » . « ان الإنسان خلق هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير متوعداً الا المصلين » ورفع الغنى الشاكر الى مرتبة الفقير الصابر بل ربما فضله عليه ، وعامل الإنسان في مواعظه معاملة الناصح الهادي للرب بل الرشيد ، فدعاه الى استعمال جميع قواه الظاهرة والباطنة ، وصرح بما لا يقبل التأويل ان في ذلك رضا الله وشكر نعمته وان الدنيا صرعة الآخرة ولا وصول الى خير المقبي ، الا بالسعي في اصلاح الدنيا ،

.....
(ثم قال) « كشف الاسلام عن المقر شمة من الوهم فباجز من حوادث الكون الكبير « العالم » والكون الصغير « الإنسان » فقرر ان آيات الله الكبرى في صنع العالم إنما تجري أمورها على السنن الإلهية التي قدرها الله في علمه الأزلي لا يغيرها شيء من « الطوارئ » الخزية ، غير أنه لا يجوز أن يُنكَل ثمان الله فيها ، بل ينبغي أن يحجى ذكره عند رؤيتها ، فتدجاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنهتان من موت أحد ولا حياة فاذا رأيتم ذلك فاذكروا الله » ^(١) وفيه النصريح بان جميع آيات الكون تجري على نظام واحد لا يقضي فيه الا العناية الازلية على السنن التي اقامته عليها ، ثم أماط اللثام عن حال الانسان في النعم التي يتمتع بها الاشخاص أو الأمم والمصائب التي يرزون بها ففصل بين الأمرين فصلاً محكماً - ثم بعد ان ذكر حال الافراد وأن ما يصيبهم فديكون كما يصيبهم وقد يكون بغير ذلك قال :

(١) « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنهتان من موت أحد ولا حياة »

فانها كشفت عن حقيقة الأمور بخاري وسيرة

«أما شأن الالام فليس على ذلك فان الروح الذي أودعه الله جميع شرائعه الالهية من تصحيح الفكر وتسديد النظر ، وتأديب الالهواء ، وتحديد مطامع الشهوات ، والدخول الى كل أمر من باب ، وطالب كل رغبة من أسبابها ، وحفظ الامانة ، واستثمار الاخوة ، والتعاون على البر ، والتناصح في الخير والشر ، وغير ذلك من أصول الفضائل - ذلك الروح هو مصدر حياة الالام ومشرق سمادتها في هذه الدنيا قبل الآخرة » من يرد ثواب الدنيا لقوته منها « وإن يسلب الله نعمته مادام هذا الروح فيها . يزيد الله النعم بقوته ويقصها بضعفه ، حتى اذا فارقتها ذهبت السعادة على أثره ، وتبعها الراحة الى قتره ، واستبدل الله عزة القوم بالذل ، وكثرهم بالقل ، ونعيمهم بالشقاء ، وراحتهم بالعناء ، وسلط الله عليهم الظالمين أو المادنيين فأخذهم بهم وهم في غفلة ساهون ، « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » أمرناهم بالحق ففسقوا عنه الى الباطل ، ثم لا ينعهم الاين ولا يمجديهم البكاء ، ولا يفيدهم ما نقي من صور الاعمال ولا يستجاب منهم الدعاء ، ولا يكشف لما نزل بهم الا ان يلجؤا الى ذلك الروح الاكرم فيستزلوه من سماء الرحمة برسل الفكر والذكر والصبر والشكر « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » - « سنة الله في الذين خلوا من قبل وإن تجد لسنة الله تبديلا » . وما أجل ما قاله العباس بن عبد المطلب في استسقائه « اللهم انه لم يزل بلائنا الا بذنب ، ولم يرفع الا بتوبة » على هذا السنن جرى سلف الأمة فينما كان المسلم يرفع روحه بهذه المائد السامية ويأخذ نفسه بما يتبعها من الاعمال الجليلة ، كان غيره يظن انه يزلزل الارض

بدعائه ؛ ويشق التماك بكنائه ، وهو وليع باهوائه ، ماض في غلوائه ، وما كان يعني عنه ضمه من الحق شيئاً » اه المراد هنا من رسالة التوحيد

جميع تشبيه التعليم الديني بتعليم المدارس

هذا ما قاله الاستاذ الامام في رسالة التوحيد التي طبعت سنة ١٣١٥ وقرر مجلس ادارة الازهر تدريسها رسميا في الجامع الازهر . ومعلوم ان رئيس هذا المجلس هو شيخ الجامع فهو مع سائر العلماء أعضاء المجلس بل وسائر علماء الازهر متفقون على ما في هذه الرسالة . ومما تقدم عنها يعلم معنى كون دين الاسلام هو دين العقل والقرآن يشهد بهذا في عشرات ومئات من الآيات . ويعلم أيضا ان المسلمين يتقنون بحجة الديانة المسيحية وكونها جاءت اصلاحا للناس ولكن الى أجل محدود قد انتهى واستغنى عنه بالدين الاخير

تقدم ان دين الله واحد . لا تفرق بين أحد من رسله وان خطاب الوحي كان يختلف باختلاف استعداد الناس . فالشرعة الموسوية وماشا كلها ما كان قبلها ودرس كالمدرسة الابتدائية . والديانة المسيحية كالمدرسة التجهيزية . والديانة الاسلامية كالمدرسة العالية التي هي التعليم الأخير . وهذا لا يتضمن انتقاص اليهودية والمسيحية كما أن وجود المدارس العالية لا يقتضي انتقاص المدرسة الأولى أو الثانية لأن كلا منهما لا بد منه والترض من الجميع واحد . ولا تنس ان التشبيه بالنسبة الى مجموع البشر في الجملة فلا يقل ينبغي أن يكون كل فرد من الناس يهوديا ثم نصرانيا ثم مسلما . وهذا لندي قلناه . مؤيد بما ارشد اليه العلم الصحيح من سنة الارتقاء البشري وقد جرى الناس على ذلك بحكم تلك السنة فدخل الملايين من اليهود والنصارى

في الاسلام أفواجا وكانوا في ذلك كمن انتقل من مدرسة الى مدرسة
أعلى منهاه ولولا الرؤساء الذين جعلوا الدين تقليديا وجعلوا عليه سايجا من
القوة الحسية والوهمية ولولا الطواري التي طرأت على سير الاسلام
بواسطة الرؤساء من الملوك والامراء ، وقتنهم للعلماء والفقهاء ، لما بقي
للأديان الأولى من الاتباع ما يكونون به أمما كبيرة .

القسم العمومي

— الاجتماع التاسع لجمعية أم القرى وبنيمه الاجتماع ١٠ و ١١ —

« في مكة المكرمة يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦ »
في صباح اليوم المذكور انعقدت الجمعية وقرأ كاتبها السيد القراني ضبط مفاوضات
اليوم السابق حسب الأصول المرعية .

قال (الأستاذ الرئيس) اننا نقرأ اليوم قانون الجمعية وقد علم الاخوان من مطالعة
النسخة التي وضعها اللجنة ان هذا القانون هو الآن في حكم قانون . وقت الى أن
تشكل الجمعية الدائمة ان شاء الله وتراول وظائفها فهي تعيد النظر فيه وتعني بتطبيقه
على الموجبات والتجربات ثم تعرضه على الجمعية العامة التي سيأتي ذكرها فيه فاذا
أمضته صار حينئذ قانوناً راسخاً .

فلنقرأ الآن قضايا القانون فقرة فقرة حتى اذا كان لأحد الاخوان ملاحظة على
بعض الفقرات منه فلييدها عند قرائتها وبعد المناقشة اما أن تقبل أو ترد أو تصدّل
بالأكثريّة . وعلى كل حال تضبط المناقشة في سجل مخصوص يكون كشرح للقضايا
يرجع اليه عند اللزوم

ثم أمر (الأستاذ الرئيس) بقرأة نسخة القانون فقررت وجرت على بعض القضايا
وبعض الفقرات منها مناقشات وتولى المدقق التركي رئيس اللجنة إعطاء الإيضاحات
اللازمة عن المقاصد التي لاحظها اللجنة فيه فقبل أكثر قضايها وعدّل بعضها وضبطت
المناقشات على حدة

وفد استقرت مباحث القانون جلسة ذلك اليوم وكذلك جلسة الاجتماع العاشر

التمتع يوم الأحد الثامن والعشرين من الشهر وجلسة الاجتماع الحادي عشر
التمتع مساء الأحد أي ليلة الاثنين

❦ الاجتماع الثاني عشر ❦

« في مكة المكرمة يوم الاثنين التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦ »
في صباح اليوم المذكور انتظمت الجمعية حسب مآثها
أمر (الاستاذ الرئيس) بقراءة القانون الذي تقرر في الاجتماعات الثلاث السابقة متناً
بجراً فكرياً وهذه صورته .

❦ قانون جمعية تعليم الموحدين ❦

❦ المقدمة ❦

قد تقرر في الجمعية المنقذة في مكة المكرمة في ذي القعدة سنة ست عشرة وثلاثمائة
والف المسماة «جمعية أم القرى» النتائج الآتية
« ١ » المسلمون في حالة فتور مستحكم عام « ٢ » يجب تدارك هذا الفتور سريعاً
والافتتاح لعصيتهم كلياً « ٣ » سبب الفتور نهائون الحكماء ثم العلماء ثم الأمراء
« ٤ » جرثومة الداء الجهل المطلق « ٥ » أضر فروع الجهل الجهل في الدين « ٦ » الدواء
هو إزالة الأفكار بالتعليم أولاً وإيجاد شوق للترقى في رؤس الناشئين ثانياً « ٧ » وسيلة
المداواة عقد الجمعيات التعليمية القانونية « ٨ » المكلفون بالتدبير هم حكما ونجباء الأمة
من المرأة والعلماء « ٩ » الكفاءة لإزالة الفتور بالتدرج ووجود في العرب خاصة
« ١٠ » يلزم تشكيل جمعية ذات مكانة ونفوذ في دائرة القانون الآتي البيان باسم «جمعية
تعليم الموحدين»

❦ الفصل الأول ❦

[في تشكيل الجمعية]

« قضية ١ » تشكل الجمعية من مائة عضو منهم عشرة علمون وعشرة مستشارون
وثمانون محرويون ويرتبط بالجمعية أعضاء مختصون لا يتعين عددهم .
« قضية ٢ » يجب أن يكون الأعضاء كلهم متصفين بست صفات عامة وهي « ١ » سلامة
الجواس وكون السن بين الثلاثين والستين أعداً « ٢ » الاسلام من أي مذهب كان
من مذاهب أهل القبلة « ٣ » العدالة بحيث يكون غير متجاهر بمعية شرعية إجماعية

ولامتبس أو معروف بمخلة منافاة للمرؤة . ٤٥ « المزية يعلم أو جاء أو ثروة (٥) « الكتابة
بأهـان في لغة ما ولو عامية ٦٥ « النشاط بأن يكون ذا همة ونجدة وحية .

(قضية ٣) يشترط في الأعضاء العاملين والمستشارين زيادة أربع صفات على ما سبق
وهي (١) القدرة على التكلم والكتابة بالعربية . (٢) إمكان الإقامة ثمانية أشهر في
مركز الجمعية وهي ما عدا ذا الحجة ومحرم وصفر وأرييماً الأول . (٣) تفرغ العاملين
للحضور في نادي الجمعية أربع ساعات في كل يوم ما عدا الجمعة وأيام الأعياد . (٤) تفرغ
المستشارين لحضور جلسة يوم واحد في كل أسبوع .

(قضية ٤) يشترط في الأعضاء الفخريين زيادة ثلاث صفات وهي (١) القدرة
على الكتابة في إحدى اللغات الأربع وهي العربية والتركية والفارسية والأوردية .
(٢) الاستعداد لمراسلة الجمعية بأحدى هذه اللغات في كل شهر مرة بمقالة أو رسالة
أو فصل من تأليف يقترح موضوعه من قبل الجمعية أو هو يختاره والجمعية تستصوبه وتقرره .
(٣) الأذعان لانتقادات وتنقيحات الجمعية وتصحيحها (١)

(قضية ٥) تشكل جمعية عامة في كل سنة مرة في أوائل ذي القعدة يدعى إليها جميع
الأعضاء حتى المحتسبون فيحضرها الأعضاء العاملون مطلقاً ومن شاء من الباقيين .
(قضية ٦) الجمعية العامة بالمذاكرة والانتخاب الخفي والأكثرية المطلقة تميز
المرشحين للهيئة العاملة ثم المرشحين للهيئة المستشارة .

(قضية ٧) الهيئتان العاملة والمستشارة يجتمعان وبالمذاكرة والأكثرية الثلثين
يميزان المرشحين منهم للرئاسة ولنيابة الرئاسة وللكتابة الأولى وللكتابة الثانية ولإمانة
المسال ثم تتسبخان من المرشحين رئيساً لأجل سنة ونائب رئيس لأجل سنتين وكتائباً
أول لأجل ثلاث سنين وكتائباً ثانياً وأمين مال لأجل أربع سنين

(قضية ٨) الهيئتان العاملة والمستشارة يذققون في صفات الذين يراد أن يكونوا
من الأعضاء الفخريين أو المحتسبين ثم بالانتخاب الخفي والأكثرية المطلقة يقبلون أو يردون
(قضية ٩) للهيئتين العاملة والمستشارة أن يرفعوا صفة العضوية عن من يعلم وقوع

« ليس المقصود من الثروة ذاتها بل إعانتها صاحبها على بعض الاخلاق الشريفة
« (قضية موقفة) يتدئ تشكيل الجمعية حسبما يتسهل للمؤسس وهو يرأسها مؤقتاً
وله أن ينوب عنه من شاء وعندما يبلغ عدد الأعضاء المكتتبين قدراً كافياً يجمعهم
لينتخبوا الهيئة العاملة والهيئة المستشارة .

حالة منه تستوجب ذلك وتحقق حفيماً وتصدق بأكثرية الثلثين .
 (قضية ١٠) الجمعية العامة تقوم بأربع وظائف وهي : (١) تدقيق اجمالي في جميع الاعمال التي أجرتها الجمعية في السنة الماضية . (٢) التدقيق في حساباتها الماضية . (٣) تقرير ما يلزم التشبث به من الاعمال الكبيرة في السنة المستقبلية (٤) تقرير نفقات السنة القادمة .
 (قضية ١١) المركز الرسمي للجمعية : مكة المكرمة وطبقات في القسطنطينية ومصر وعدن وحائل والشام وقلنس وطهران وخيوه وكنابل وكلكتة ودهلي وسنغابور وتونس ومراكش وغيرها من المواقع المناسبة
 (قضية ١٢) يكون تشكيل الشعبات على نمط تشكيل الجمعية المركزية مصغراً وتكون مرتبطة تماماً بالجمعية فيما عدا مالياتها وجزئياتها . وورها فان لها الخيار ان تكون مستقلة المالية والادارة

(قضية ١٣) تشكيل الشعبات على التراخي ويعطى لبعض المناسبات الموقع منها هيئة لصالح . مهما لان تؤخذ عند سبب الحاجة هي المركز الاصلي (١)

الفصل الثاني

(في مباني الجمعية)

(قضية ١٤) الجمعية لا تدخل في الشؤون السياسية مطلقاً فيما عدا ارشادات وتبنيات بمسائل اصول التعاليم وتعميمه .
 (قضية ١٥) ليس من شأن الجمعية ان تكون تابعة أو مرتبطة بحكومة مخصوصة على انها قبل المماونة أو المماودة من قبل السلاطين والمطامير والامراء الفخام المستقلين والتابعين بصفة حمة خربين .
 (قضية ١٦) لا تنسب الجمعية الى مذهب أو تسمية مخصوصة من مذاهب وشيع الاسلام مطلقاً .

(قضية ١٧) توفق الجمعية مسالكها التي في على المنشر السابق المعتدل . وعلى بذلك زيادة وبدعة في الدين . وعلى عدم الجدال فيه الا بالتي هي احسن .

(١) قضية مؤقتة . مراكز الجمعية يكون في السنين الاولى في نور سميد أو الكوب ثم ينتقل الى مكة بعد الرسوخ أو عند اقامة مراكش ، افغان ، مكات سياسية لها في مكة وعلى كل حال يكون للجمعية يد ... في مكة و ...

(قضية ١٨) يكون شعار الجمعية القولي [لا نعبد الا الله] وشعارها الفعلي التزام (المصاحفة) على وجه السنة ووجهتها (الغيرة على الدين قبل الشفقة على المسلمين) وأهم أعمالها (تعليم الأحداث وتهذيبهم) «تراجع قضية ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ : »

(قضية ١٩) أعضاء الجمعية لا يتكلفون التناصر والتماون فيما هو ليس من مقاصد الجمعية أي التماون بالمال أو الجاه فيما بينهم الا لمن يصاب ويتضرر بسبب الجمعية .

(قضية ٢٠) تتكفل الجمعية بكفافة عدد مخصوص من أصحاب المزايا العلمية الخاصة أو العزائم الحارقة العادة بشرط ان يكونوا مجردين لا عيال لهم أو شبين بالمجردين

﴿ الفصل الثالث ﴾

« في مال الجمعية »

(قضية ٢١) نفقات الجمعية تبنى على غاية البساطة والاقتصاد وهي تسعة أنواع « ١ » اكل كفاية الهيئة العاملة بما لا يزيد على ستين ذهاباً انكليزياً لكل واحد في السنة « ٢ » رواتب الكتاب والمترجمين والخدم « ٣ » أجرة محلات المركز والشعبات غير المستقلة مالية « ٤ » نفقات البعثات المتجولة « ٥ » نفقات المطبوعات « ٦ » نفقات التحرير والتأليف « ٧ » نفقات البريد والرسائل « ٨ » كفاية المذكورين في « القضية ٢٠ » « ٩ » النفقات المتفرقة .

(قضية ٢٢) تنتمد الجمعية في الحصول على نفقاتها على جهتين فقط النصف من ربح مطبوعات الجمعية أي طبع المؤلفات الآتي ذكرها في الفصل التالي من نحو طبع المصحف الشريف بصورة متقنة للغاية تستوجب الاختصاص بطبعه والنصف الآخر من اعانات أصحاب الحمية والتجدة من أمراء وأغنياء الامة وبعض الاعضاء المحترسين .

(قضية ٢٣) أمين المال يكون من أغنياء التجار المشهورين المقيمين في مركز الجمعية ويكون من جملة الاعضاء المستشارين ويقوم بهذه الخدمة حسبة لربه ودينه ويكون المال في يده بوجه مضمون .

(قضية ٢٤) أمين المال يعطى وصولات بمقبوضاته تكون مطبوعة مرقوم عليها عدد متسلسل في جانب منها مجموع الوارد ومجموع المصروف في تلك السنة باعتبار غاية الشهر العربي المنصرم .

(ملاحظة موقته) يكفي للجمعية في السنين الاولى مقدار خمسة آلاف ذهب (جنيه) انكليزي فقط وحصول ذلك ليس بذي بال

(قضية ٢٥) أمين المال لا يصرف شيئاً إلا بورقة صرف مطبوعة عليه عدد متسلسل وموقع عليها من القابض وكاتب الجمعية ورئيسها.

﴿الفصل الرابع﴾

« في وظائف الجمعية »

(قضية ٢٦) الهيئتان العامة والمستشارة بالاتفاق أو أكثرية الثلثين تعبدان النظر في قانون الجمعية مرة ابتداءً من كل ثلاث سنين مرة وتسطمان القوانين التي تلزم ويوجب مطلقاً أن يكون ترتيب القوانين تابعاً لقواعد التزوي والتدقيق والتأمين وترتبط كل قضية بشرح مفصل مسجل يرجع إليه . ولا يصير القانون دستوراً للعمل إلا بعد قرأته في الجمعية العامة السنوية وقبوله . ويجوز للهيأتين عند الضرورة تقرير العمل ببعض من أحكام تلك القوانين مؤقتاً ثم تعرض على الجمعية العامة الأسباب المجبرة على التسجيل . (قضية ٢٧) يفاظ فكر علماء الدين إلى الأمور الخمسة الآتية وتبسيطهم للسعي في حصولها ومساعدتهم بإراءة أسهل الوسائل وأقربها إليها .

« ١ » تعميم القراءة والكتابة مع تسهيل تعليمهما « ٢ » الرغبة في العلوم والفنون النافعة التي هي من قبيل الصنائع مع تسهيل تعليمهما وتلقيهما « ٣ » تخصيص كل من المدارس والمدرسين لنوع واحد أو نوعين من العلوم والفنون ليوجد في الأمة أفراد يافعون متخصصون « ٤ » إصلاح أصول تعليم اللغة العربية والعلوم الدينية وتسهيل تحصيلها بحيث يبقى في عمر الطالب بقية يصرفها في تحصيل الفنون النافعة « ٥ » الجد وراء توحيد أصول التعليم وكتب التدريس

(قضية ٢٨) السعي في تأليف متون مختصرة بسيطة واضحة على ثلاث مراتب « ١ » لتعليم المبتدئين أو المكتفين بالمبادئ « ٢ » لتعليم المتقدمين البطالين الإتهان « ٣ » لتعليم المتقدمين الراغبين في الاختصاص .

(قضية ٢٩) الاهتمام في جعل المتعلمين والمعلمين على أربع مراتب « ١ » العامة ومعلموهم أئمة المساجد والجوامع الصغيرة « ٢ » المهذبون ومعلموهم مدرسو المدارس العمومية والجوامع الكبيرة « ٣ » العلماء ومعلموهم مدرسو المدارس المختصة بالعلوم العالية « ٤ » التابعون ومعلموهم الأفاضل المتخصصون .

(قضية ٣٠) السعي لدى أمراء الأمة بمعاملة كافة طبقات العلماء بمعاملة الأطباء أي بالحجر رسماً على من يتصدّر لتدريس والإفتاء والوعظ والإرشاد ما لم يكن مجازاً

من قبل هيئة امتحانية رسمية موثوق بها تقام في المواسم .
(قضية ٣١) التوسل لدى الأمراء أن يعطوا لأحد العلماء الغيورين في كل بلدة صفة محتسب ديني على جماعة المسلمين في تلك البلدة ويحصلوا له مستشارين متبحرين من عقلاء الأهالي وتكليف هذه الجمعية الاحتمائية بأن تقوم بالتبصيرة للمسلمين بدون عنف وبسهولة تجميع المعارف والحفاظ على الاخلاق الدينية .

(قضية ٣٢) التوسل لئيل العلماء ما يستحقون من رزق وحزمة ومنعهم عن كل ما يخل بصفتهم وشرفهم . (١)

(قضية ٣٣) التوسل لحل أهل الطرائق على الرجوع الى الأصول الملائمة للشرع والحكمة في الارشاد وتربية المريدين . وتكليف كل فرقة منهم بوظيفة مخصوصة يتحتمون بها الامة الاسلامية من نحو اختصاص فرقة كالقادرية مثلا ببول وتعليم الأيتام وأخرى بمواساة المساكين وانباء السبيل وجماعة بترريض الفقراء والناكسين وقفة بالتشويق الى الصلاة وغيرها بالتفكير عن المسكرات ونحو ذلك من المقاصد الخيرية الشرعية فيكون عملهم هذا عوضاً عن المصل والمطيل .

(قضية ٣٤) حل العلماء والمرشدين وجميعيات الاحتمساب على السعي لإرشاد أفراد الامة خصوصاً أحداثها الى قواعد معاشية وأخلاقية متحدة الاصول تلائم الاسلام والحرية الدينية وتفيد ترويض الاجسام وتقوية المدارك وتتم النشاط السعي والمعمل وتولد الحمية والاخلاق الشريفة

(قضية ٣٥) تعني الجمعية بصورة مخصوصة بوضع مؤلفات أخلاقية . ائمة للدين وللزمان وتكون على مراتب من بسيطة ومتوسطة وعالية بحيث تقوم هذه المؤلفات مقام مطلوبات الصوفية . وتقوم بوضع مؤلفات لثمة وسطى عربية لا مضرية ولا عامية وجعلها لمة لبعض الجرائد ومؤلفات الاخلاق ونحوها مما بهم ثمره بين العوام فقط (١)
(قضية ٣٦) تعني الجمعية في حل العلماء وجميعيات الاحتمساب على تعليم الامة

(١) كالقعود في محلات القهوة والتجول في المجتمعات وركوب الخيل ونحو ذلك مما لا يندم عليه أمثالهم في الملل الأخرى

« ٣٧ » كالاكتفاء بالسعي عن الثاء وبالزاي عن الذال والاقصاء عن التثنية بالياء والجمع بالواو والنون والقصير بالألف وكقبول الوضع العامي المشهور . هـ من هامش الأصل [المنار] : هذا خطأ لا حاجة اليه اذ يمكن الوصول الى المقصود باللة الصحيحه السهلة

ما يجب عليها شرباً من المجاملة في المعاملة مع غير المسلمين وما تقتضيه الانسانية والمزايا الاسلامية من حسن معاشرتهم ومقابلة معروفهم بخير منه ورعاية الذمة والتأمين والمساواة في الحقوق وتجنب التخصيص الديني أو الجنسي بغير حق .

(قضية ٣٧) تنشر الجمعية رسالة دينية عربية في كل شهر يكون حجمها نحو مائة صفحة بحيث يتألف منها كتاب في كل عام وتكون مباحثها ثمانية أنواع يختص لكل بحث قسم منها وهي :

- (١) مقررات الجمعية وأعمالها وخلاصة المهم من مراسلاتها مع شعباتها . (٢) مباحث دينية في موضوع سباحة الدين ومزاياه السامية ودفع ما يرمى به من مناقلة للحكمة والمدنية . (٣) قواعد أخلاقية ونصائح معاشية . (٤) فصول في العلوم والفنون الثاقفة والترغيب فيها وإراءة طرائق تلقينها وتلقاها . (٥) المقالات المفيدة التي يجرها الاعضاء الفخريون وغيرهم من فضلاء الامة . (٦) الاخبار والاعلانات الخاصة بالهبة العلمية الاسلامية . (٧) الاسئلة والاجوبة الهامة . (٨) مباحث وفوائد شتى . (قضية ٣٨) تكون الابحاث والمقالات الدينية في الرسالة الشهرية ملاحظة فيما إجماع السلف أو الموافقة لمذهبين فأكثر من المذاهب المدونة المتبعة . ويتمين في المسائل المهمة الخلافية بأن يقرها بعض المشهورين عن علماء الهداية من المذاهب المختلفة (قضية ٣٩) تكون قيمة الرسالة متسدة قريبة من نفقات تحريرها وطبعها فقط وترسل الى المدارس والاعلام المشهورين بدون عوض على حساب الاعضاء والمختصين . (قضية ٤٠) تفتي الجمعية غاية الاعتناء في إيصال الرسالة الى المرسلات بهم بصورة منتظمة وفي ادخالها البلاد المأهولة بالمسلمين رغماً عن كل مانع فتُرسل ولو براً مع رواد على نجائب تخترق آسيا وأفريقيا الى اقصاهما ولا تقدم الجمعية وسائل كثيرة للإيصال (قضية ٢١) تخصص الجمعية لمنشوراتها وإعلاناتها أربع جرائد من أشهر الجرائد الاسلامية السياسية : ١ عربية في مصر ٢ تركية في القسطنطينية ٣ فارسية في طهران ٤ أوردية في كالكته

(قضية ٤٢) تسمى الجمعية في تأسيس مدرسة جغرافية تاريخية دينية في مركز الجمعية لاجل تثقيف تلامذتها وتأهيلهم للسياحة والبعوث

(قضية ٤٣) ترسل الجمعية بعوثاً جغرافية وعناية بحقوق في البلاد الاسلامية القريبة . تبعية للاستطلاع على أسس البلاد وأهلها من حيث الدين والمعارف ولارشادهم

الى مايلزم إرشادهم اليه في ذلك حسباً تقتضيه الاخوة الدينية بدون تعرض للاحوال السياسية قطعاً

(قضية ٤٤) تسمى الجمعية بمد مضي ثلاث سنين من انعقادها في اقناع ملوك المسلمين وأمرائهم بمقده مؤتمر رسمي في مكة المكرمة يحضره وفود من قبلهم ويترأسه مندوب أصغر أو تلك الامراء ويكون موضوع المذاكرات في المؤتمر السياسية الدينية * (قضية ٤٥) اذا صادفت الجمعية معارضة في بعض أعمالها من حكومة بعض البلاد ولا سيما البلاد التي هي تحت استيلاء الجانب فالجمعية تتذرع أولاً بالوسائل اللازمة لمراجعة تلك الحكومة وإقناعها بحسن نية الجمعية فاذا وفقت لرفع التفتت فيها وإلا فتلجأ الجمعية الى الله القادر الذي لا يمجزه شيء *

﴿ خاتمة ﴾

(قضية ٤٦) « سياسة الجمعية » جاب قلوب من تخير جلهم ببذل المعروف محابة فتجري مواسة الإنسان عند مصابه وتنب عن أهم حاجاته أوغايته فتعنه عليها (قضية ٤٧) « مظهر الجمعية » العجز والمسكنة فلا تقاوم ولا تقابل الأباساليب التصيعة والموعظة الحسنة وتلاطف وتجاامل جهدها من يعادي مقاصدها ولا تاجأ الى الإلجاء الا في الضروريات .

(قضية ٤٨) « قوة الجمعية » الإخلاص في النية * وعمدتها الثبات على العمل * ومساكنها تذليل العقبات واحدة فواحدة وحصنها الدين الحنيف * وسلاحها العلم والتعلم * وجيشها الاحداث والضمفاء * وقوادها حكام العلماء والامراء * ورايتها القدوة الحسنة * وغنيمة بث الحياة في الموحدين * وغايتها خدمة المدنية والانسانية . وثمره أعضائها والنصارها لذة الفكر والفخر ونيل الاجر من الله . (تم القانون)

﴿ أحوال العالم الاسلامي ﴾

﴿ المؤتمر الاسلامي في الهند ﴾

أشرنا في الجزء الماضي الى انعقاد مؤتمر التربية الاسلامية في الهند وتذكر الآن مجمل من خبره

انتخب المسلدون في هذه السنة رئيساً لمؤتمرهم (الدير آغاخان) وهو شاب من (١٠٤ - المنار)

الكبراء الذين يقرن باسمهم لقب « السمو » وقد اشتهر بالذكاء والتبيل، والعلم والفضل،
ولهذه المزايا اختارته طائفة الاسماعيلية رئيساً لها وهي الطائفة الباطنية المعروفة بالتروي
في اختيار الرؤساء ولذلك كان أمرها منتظماً في كل البلاد الى اليوم، ولا توجد طائفة
تنتمي الى الاسلام في هذا العصر أشد من هذه الطائفة تعاوناً ونحائباً والتزاماً ونظاماً.
والفائدة الكبرى التي استفدتها من خبر مؤتمر هذه السنة هي انتخاب هذا الامير
رئيساً للمؤتمر الذي معظم رجاله من أهل السنة بل هذا هو الدليل القاطع عندي على
ان إخواننا مسلمي الهند قد ارتقوا عنا وعن سائر المسلمين الذين نعرف أخبارهم .
ذلك ان أدواراً أدوار المسلمين التفرق في الطوائف وعدم معرفة قيمة التابئين
لا سيما اذا خالفوا الجماهير في بعض تقاليدهم — وهذه الحالة لازمة للتابئين لا تقارقيم
— ذلك بأن مبدأ النهوض في كل أمة منحلة هو ظهور افراد فيها كبار العقول
أقوياء القلوب بوجهون عنائهم الى الخدمة القومية . فاذا ظهرتوا في أمة مستعدة
للهوض تشمر الأمة بفضلهم وتقدرهم حتى قدرهم وتطهيم مكانة الهامة من الجسد
فيدبرونها ويعرجون بها الى ما هي مستعدة له من الارتقاء . واذا ظهرتوا قبل استعداد
الأمة للاستفادة من مواهبهم ترى الجماهير من خواص قومهم يعقونهم وينفرون
العامة منهم ويتوكلون على ما لا يتحول نافع عنه من المخالفة للجماهير في تقاليدهم وعاداتهم.
وأعني بالخواص الرؤساء والأغنياء الذين يسمر عنهم القرآن بالترفين وهم الذين كانوا
أعداء الأنبياء والمرسلين . وكانوا ولا يزالون أعداء الإصلاح والمصلحين
أما قولنا ان التابئين الذين يتوجهون الى إصلاح الأمم لا بد ان يخالفوا قومهم
في بعض عاداتهم واعتقاداتهم فليس معناه انهم يحرون المخالفة طلباً للشهرة او الامتياز
وانما ذلك أمر طبيعي لازم . وبيان ان الفساد انما يضرب بجرانه في الأمة وبفك بها
لفساد يطرأ على العقول فتأخذ بالاعتقادات الباطلة . وفساد يلج بالنفوس فتستبدل
الأخلاق الذميمة بالأخلاق الفاضلة . وتولد من الفسادين العادات الضارة وبفك
كل ذلك بالأمة فتكافئ النابغ الذي يتصدى للإصلاح يعرف بما يميزه الله تعالى به
من نفوذ البصيرة منشأ الفساد في الأعمال . وينفر بما خصه به من كرامة النفس وزكائها
عن كل ما يتفقه فليدراً ويرى اثره ضاراً . فهو بهذا وذلك يكون مخالفاً للأمة في بعض
اعتقاداتها وعاداتها حتماً بغير تكلف ولا تصنع بل بوجود من محبي الإصلاح من
يتكلف إخفاء المخالفة وإظهار الموافقة في بعض الأمور لأجل ان يقبل منه غيرها .

ليس هذا موضع الإطالة في أخلاق المصلحين مع أقوامهم ولكنني أقول ان أكتف الحجب بين الصالح وبين قومه هو أن ينبر بأنه مخالف لهم في بعض الأمور الدينية أو مقصر فيها فإذا وصلت الطبقة للتوسعة في قوم إلى أن يعرفوا درجه المستند للإصلاح وان لا يصددهم عن الانتفاع به كونه مخالفاً لهم في بعض المسائل الدينية أو غيرها لأنهم يعرفون كيف يتفهمون وهم يتفهمون وهم واقفون بأنفسهم لا يخافون من شذوذ رؤسهم في بعض المسائل ان يتعدى اليهم ومنهم إلى الأمة بأسرها فاولئك هم القوم الذين أذن الله بترقيتهم ونجاحهم

خطب رئيس المؤتمر وذكر أمراض المسلمين التي هبطت بهم إلى الدرك الذي هم فيه بين الأمم فذكر ان جراثيم هذه الأمراض أربع « ١ » عقيدة الجبر التي حلت الغرائم والعق تبعتها بالامام أبي الحسن الأشعري [رحمه الله تعالى] و « ٢ » اعتقاد ان ترك الشؤون العامة والاشتغال عنها بالنزلة والعبادة من مهمات الدين وزعم ان منشأ ذلك اعتزال بعض الصحابة « عليهم الرضوان » الحرب بين علي ومعاوية وقولهم ان هذا أسلم للدين. و « ٣ » إهمال تعليم النساء وتربيتهن لمساكن دون ذلك من التشديد في الحجاب والخروج به عما جاء به الشرع وأثبت ان هذه المعضلة الاجتماعية قد سرت عدواها من متربي القرس إلى بني العباس وبسببهم رسخت في الأمة الإسلامية وكان من أثرها حبس نصف المسلمين في السجن الأبدي والقضاء عليه بالجلد والجلود ويرى القارئ في كل مسألة من هذه الثلاث نزعة يصح ان تكون تولدت في دماغه من التمسك في مذهبه الذي أصله القلوة في التشيع إلى ادعاء الحلول في بعض أئمة آل البيت ورعي عظماء المسلمين من الصحابة فمن بعدهم بالإضرار بالدين ولو عن غير عمد . لو قام مثل هذا الخطيب الذي يفخر به مسلمو الهند اليوم وخطب خطبته هذه في مصر لشمته أو في الشام لضربوه أو في تونس لنفوه وأبعدوه أو في الجزائر أو مصر أكنس لقتلوه فلنا ان نقول انه لم يرتق في البلاد الإسلامية الا مسلمو الهند الذين أتوا على هذا الخطيب ووقروه ، لأن له مزايا يتفجع بها في العمل المني الذي يعموه ، فإذا اعتقد أهل السنة منهم انه أخطأ في تمثيل جمل اعتزال الاعمال العامة من الدين إلى الاعتداء بفضلاء الصحابة وأخطأ باستاد عقيدة الجبر إلى الامام الأشعري فهم يدرونه بأنه قال ما يعتقد بإخلاص ولا يمكن ان تظهر الحقائق في قوم لا حرية عندهم في عالم يؤلفهم اعتقاده . ومن الغريب ان ترى البلاد التي يدعي أهلها اتباع السنة تجد

اعتصم علماؤها بحيوة النقية التي يصيرون بها اخواتهم الشيعيين ويحتجون عليهم بان
من يقول بالنقية لا يوثق بعلمه ولا بدينه اذ يجوز ان يكون كل ما يظهره مخالفا لما
يمتدحه عملا بالنقية . ومن تراهم يتقون ؟ يتقون العوام الجاهلين المقلدين لهم . اليس
من أعجب العجائب ان العالم يتبع الجاهل فيأول له تقاليده وخرافاته ليكون راضيا عنه
ويبقى مظلما ومكرما له ؟

قد علم ان المرض الاول من الامراض التي ذكرها رئيس المؤتمر يتعلق بالاعتقاد
والمرض الثاني يتعلق بالأخلاق والأعمال والمرض الثالث يتعلق بالمعادات والأعمال
[ولذلك رتبنا هذا الترتيب الخالف لترتيب الخطيب] أما المرض الرابع فهو خاص
بالسياسة وهو احتكار الخلافة والإمارة في بيت مخصوص بتوارثها أفرادا . وقد صبب إثم هذه
الحرمة على بني العباس الذين من قوا شمل الأمويين ثم العلويين ، وكادوا يفتنهم إجمين ،
والقارئ يرى في هذا من الظلم ما يرى فيها سبقه . ولكن مجموع الخطبة يبرئ الخطيب من
سوء القصد في كلامه كله فقد اتى على عمرو بن العاص الذي كان عضد معاوية وساعده ويده
التي تناول بها الخلافة وساد على العلويين من أول الأمر — نعم انه لم يبق عليه بهذا
العمل ولكنه أنى عليه بالسياسة الحكيمة التي لا يقتص حقه فيها بصير وان كان مثلي
من صميم العلويين . بله شاءه على الخليفة الثاني وعلى الصحابة كلهم في الخلافة .
وحاصل القول ان الخطيب أحسن في كلامه وأبان به عن عقل وبصيرة واستعداد
لرياسة المؤتمر وان كان في بعض القول مجال ، من لاشمل لهم الا القليل والقال ، وهم
بمعزل عن الأعمال .

أما نتيجة المؤتمر التي وجه عنايته اليها فهي إنشاء مدرسة كبرى في الهند
المشهوره الأمكنة أو جعل مدرسة علي كذا . وقد قدر الرئيس في خطبة
في هذا الاجتماع هذه المدرسة بعشر ملايين روبية . إن إنشاء هذه المدرسة
وما أجمل قول الخطيب : ألا تشعرون يا قوم مجد الإسلام بعشر ملايين روبية ؟ أهذا
الخير كثير ؟ ومن بعد فكره وصائب رأيه أنه ذكر في هذا المقام صلة مسلمي الهند
بالمسلمين والبرانيين والأفغانين ، وأشار بوجوب جعل المدرسة الكلية كعبة العلم لجميع
المسلمين ، كأنه لم يحظر في باله نزغات شيطان «الوطنية الحقة» التي يدعو إليها بعض
الأحداث في مصر وهي قطع صلات الأمة الاسلامية ومجانبة بعض شعوبها لبعض حق
الدين . إنهم لم يوافقوا على إنشاء هذه المدرسة إلى دولة واحدة !!

هذا الرأي الجدير أي توقع نجاح الأمة على المدارس الكلية الجامعة قد نوهنا به من قبل وطالبنا به عقلاء المصريين وأصحاب التأثير فيهم قولاً وكتابةً. وإذا يسر الله تعالى ووفق المسلمين إلى إنشاء كليتين واحدة في الهند وأخرى في مصر فذلك متناهى السعي الحميد في إحياء المسلمين وإعادة مجدهم ولا توجد بلاد إسلامية غنية والتعليم الأهل فيها حرّ إلا البلاد الهندية والبلاد المصرية. ولا يتم هذا العمل في مصر إلا بسعي مثل السعي الذي في الهند وهو أن يتألف مؤتمر ويكون جميع أفراد دعة إلى هذا الصلح وساعين في جميع المال له من كل مكان. نعم يظهر أن أهل مسلمي مصر أقل استعداداً من مسلمي الهند بالنسبة إلى المجموع ولكن في مصر رجالاً ربما لا يوجد خير منهم في بلاد إسلامية أخرى ولهم أن يجعلوا كليتهم في أول الأمر صغيرة ثم يوسعون دائرتها بالتدريج. وقد سمعت أكبر مرجح فيهم لمثل هذا السعي يقول أنه يمكن الإقدام على العمل إذا تيسر جمع مئة ألف جنيه فقط. ولو اعتبر أغنياء مصر بالسر كاسل الانكليزي الذي بذل من ماله أربعمائة ألف جنيه لأجل دراسة مرض الرمد في مصر ليتيسر لهم بذل ما ينشئ مدرسة كلية تكون حياة قومهم وأمهم، ومنشأ عزهم وسعادتهم.

﴿ تونس — أو حادثة صفاقس ﴾

بينما مسلمو الهند يصفقون لرئيس مجدهم وخطيب مؤتمريهم الإسماعيلي المذهب رجوعنا إلى تساهل الاسلام في الصدر الأول أيام كان الحافظ البخاري يتلقى الحديث عن عمران بن حطان الخارجي وإذا بمسلمي البلاد التونسية يهيجون ويحتمون على مدرس من أهل مذهبهم في الأصول والفروع لأنه أنكر عليهم بعض البدع التي أنموها وألصقوها بالدين وتكلفوا لهذا الإلصاق ضروباً من التأويل تصادمها بينصوص الكتاب والسنة. تلك البدعة أو البدع هي التي أقام «المنار» بها القيامة على أهلها وكتب فيها أكثر من سبعين مرة وهي ما يفعله الجهلاء عند قبور الأولياء، من التضرع والنداء، والاستغاثة والاستجداء، والطواف والاعتكاف، والتذلل والاستعطاف، والقيام والقيود، والركوع والسجود، وما رخص الدين في زيارة القبور بعد التماسي عنها ليدعى أربابها من دون الله، ويقول المأول «هؤلاء شفعاؤنا عند الله» ولا لينسخ بهم قوله تعالى «إياك نعبد وإياك نستعين» وقوله «وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً» الخ الخ الواقعة هي أن عالماً مدرساً في مسجد صفاقس اسمه (الشيخ محمد شاكر) كان

بقراءة عقيدة التوحيد فلما انتهى الى وحدانية الأفعال التي يكاد يكون الكلام عليها في بعض كتب العقائد جبراً محضاً نهى عن بدع القبور، والاستمانة بأهلها والتقرب اليهم بتقديم الذنور، ففكر ذلك على الذين يأكلون تلك الذنور فوشوا ومحلوا، وحرقوا وتمحلوا، ورفع الأمر الى المحكمة الشرعية، ثم الى المأمور المدني في صفاقس ثم الى الوزارة في الحاضرة (تونس) لحكم بمنزله من التدريس في جامع صفاقس وانتطبيع في جامع الزيتونة وقد ذكرت الواقعة بعض الخرائد المصرية نقلاً عن جرنندف رئيسية وذكرت ان قاضي تونس ومنهينها اللذان طلبا من الوزارة عزله وما نطق ذلك صحيحاً ونذا كان القاضي والمفتي وشيخ الجامع الأعظم لم يبدوا بمنزل هذا المدرس تاي قرر التوحيد ونهى الناس ان يستعينوا بغير الله على أمور دينهم أمّا كان محب عليهم ان يفسروه ويمزجوه، بل ومن هنا انفرد الفرق بين تونس والهند بل بينهما وبين مصر فلما قرروا هذه المسألة وشددوا فيها التكميم في المجد الحبيبي وكان يحضر درسا كثير من العلماء والفضلاء فلما انتصر أحد من حقه ومن لم يحضر لبعض الجهات المومنين الذين كبر عديدهم مقررته، ولا سيما كلمة تحفته من شيخ الأزهر ولا من مفتي الديار المصرية ولا من غيرها من كبار العلماء.

ولا بد ان يكون شديد التورع في ذلك مبنياً على ما هو مدني كمال يكون درس ذلك للمدرس أحدث شغباً وهيجاً في العامة والسياسة مبنية على مراعاة أمر العامة بالحق وبالباطل وان كان الذي يجب منه هو رد الملة والحلمية (الفرنسية) باضطهاد رجل وصلح كهذا المدرس يحاول هدم منشآت الحرافات التي نشأت منها تعصبات أهل الطريق الذين يهددون الحكومات في أفقرها وهم خطر عليهم غاية وعلى قومهم ولا علاج لهم الا الاستناد الى الصحيح الذي يهدم تلك الساحة أو يرشد أهلها الى الحق الذي يعرفون به أنفسهم فلا يكفونهم. العمل ما ليست أهلاً له وقد جاءنا جريدة فرنسية تؤيده وتشرح مسألة صفاقس وتبين خطأ الحكومة في إيواسهم فمريرها في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى.

﴿ثورة مراکش ونبأ عظيم﴾

لا تزال الثورة تنهت في بلاد مراکش وتزداد على الحدود جوش جوارق وأرباب بعثة عسكرية الى سلطان مراکش فقوي ذلك نفوذها عنده على نفوذ الكائراة أما البنا العظيم الذي حدث أخيراً فهو أن البرقيات أفادت اليوم ان حكومة المغرب الاقصي

قد اقترحت من مصرف (بنك) فرنسا والبلاد الواطئة (هولندا) سبعة آلاف ألف وخمسة آلاف فرنك (٧ ملايين ونصف) بغائدة ستة في المئة . قال (روتر) : ولما كان السلطان هو الكافل لهذا القرض فالتبادر أنه حيلة سياسية يقصد بها زيادة نفوذ فرنسا عنده : وهذا وإن من عرف حال الاوربيين في الاستعمار يعلم أن الاقتراض - مبدأ الانقراض . أي ان الحكومة الشرقية التي تفتقر من دولة أوربية يتقرض حكمها باليد التي تعطى المال . وكأن هذه الحكومات الجاهلة لا يدان تهديم سلطتها بأيديها . وكأن بلادها لا تحيى الا اذا ماتت موتتين . وكأن الله قضى أن لا تكون حياتها . الا على أيدي من تسميم عدائها . لا على أيدي كبارها وساداتها . ولا يشترط أن تكون امانة الاجنبي . قصوداً بها الإحياء . فيقال اننا أحسننا الظن بالاعداء .

النثار في السودان

كان النثار يرسل الى بلاد السودان فلا يلقى معارضة ولا مناعاً وفي أثناء هذه السنة (الخامسة) صار يشكو اليها بعض قرائه من احتجاب بعض أجزائه ووصول بعض . ثم كتب اليها بعض من طلب الاشتراك وأرسل القيمة أنه لم يصل اليه شيء من الأجزاء . فقبائنا صاحب السعادة حاكم السودان العام السردار السرونيوت باشا وشكونا اليه ذلك شفاهيا وقدمنا مع ذلك عريضة الى وكيل حكومة السودان بالشكوى الرسمية فصدر الأمر في أول رجب من هذه السنة بالإذن للنثار في دخول السودان وعدم معارضته وكنا أمسكنا عن إرساله فمدنا اليه . وكنا نظن أنه يصل في أوقاته ولكن لم نلبث ان علمنا من بعض من طلب الاشتراك في تلك البلاد وارسلنا اليه النثار أنه لم يصل اليه فكتبنا ثانية الى وكيل حكومة السودان نعلمه بذلك لأنه ظهر لنا أن الحكومة السودانية لم تأمر مكاتب البريد بعدم المعارضة فورد اليها الجواب الآتي بنصه :

نمرة ٢١٨٤ إدارة وكيل حكومة السودان

٨ في ٢٦ - ١ - ٩٠٣

حضرة العلامة الفاضل مفتي جريدة النثار القراء

« علم ما أم فحتموه بجوابكم المؤرخ في ٢٢ يناير الجاري وتفيد حضرتكم بأنه »
« قد صدرت الإشارات اللازمة لعموم الجهات بعدم منع جريدتكم (النثار القراء) »
« من الدخول الى السودان فاقضى ترقيه للإحاطة » (الامضاء)

﴿ هبة الانكليزي الجواد ﴾

نوهنا في البذة التي كتبناها عن مؤتمر التربية الاسلامي في الهند بان السير كاتن الانكليزي تبرع بأربعين الف جنيه لتفق على دراسة مرض الرمد في مصر، وقول الآن أن هذا السخي الجواد قد تحدى بهته هذه أغنياء المصريين إذ قال أنه تبرع بذلك لفتح لهم باب البذل في هذا المشروع الذي يقيد هذه البلاد التي يكثُر فيها المرض فيها، ولكن أغنياء المصريين مشغولون بالبذل في سبيل السرف والخيلة، عن البذل في المشروعات النافعة الجليلة، فهم يقلدون الأوروبيين في سرف منعاهم سفهاؤهم، ولا ينظرون الى ما يفعله كرمائهم، ويتوهمون أن مدينة القوم بالفجور، ومعاقرة الحمور، وحب الذات ولو فيها بضر الجمهور، وأنهم أن يعقلوا ان الأوروبيين ماسدوا على العالمين، الا بسخاء أولئك للتبرعين، الذين في أموالهم حقوق لتأييد العلم، ونشر ألوية السيادة والحكم، ولعل التقليد يفضي ببعض أغنيائنا الى فهم هذه القضية، والتأسي بهذه الأريحية، فتحسني من كأس التقليد رحيقاً ممزوجاً بتسليم. بعد ما تبرعنا منه شراب الخمر.

﴿ المسلمون في سوريا ﴾

سنة بحال المسلمين في جميع أقطار الارض ولما نذكر شيئاً عن مسلمي بلادنا السورية. وماذا عسانا نذكر عنهم غير البؤس والجحمان من الترقى في العلم والعمل. وقد كتب بعض كتابهم الفضلاء جملة في تقرير كتاب (الاسلام والتعصرية مع العلم والمدنية) بلغ بها شأواً بعيداً في فن الاحتراس عند ما أثني على الكتاب وكتبه ونشره وطابعه. فدلنا ذلك على الفرق البعيد بين مسلمي مصر ومسلمي سوريا

﴿ مأثرة حميدية ﴾

أمرنا مولانا السلطان الاعظم (أيده الله تعالى) بمنع المسلمين من الجلوس في الحانات والمجاهرة بشرب الخمر وأوجب معاقبة المخالف. فحسب ان يعتني الحكام والشرطة بتنفيذ هذا الامر بالدقة والإحكام

﴿ حج سلطان زنجبار ﴾

توجه في هذه السنة سلطان زنجبار الجديد الى الحجاز لاداء فريضة الحج فدعوا الله تعالى بأن يوفق سائر السلاطين والامراء لمثل ما وفق اليه، وان يكتب السلامة في هذا السفر الشريف الذي امتاز به على أقرانه

المسحاة

١٣١٥

فمن عبادي الذين يستمعون القول
فليؤمنوا ولا يُلْكُوا القول
ولا يهتفوا به ولا يهتفوا به

بالحق
الذي
هو
الحق
الذي
هو
الحق
الذي
هو
الحق

(قال عليه الصلاة والسلام : إن الإسلام صرى وده مناراً) (كتاب الطريق)

(مصر يوم السبت ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٢٠ - ١٤ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٣)

﴿ باب ردة الشبهات عن الاسلام ﴾

(السلطان الدينية والمدنية)

نحن المسلمين نعتقد ان دين الله تعالى واحد في جوهره وان البيان
والهدى فيه اما اختلف باختلاف الأزمنة وان الناس كانوا في كل زمان
يأخذون من هداية الدين بقدر استعدادهم . وأن حالة الاجتماع في الأمم
تتغير كالتقلبات في الساعة كلب الدين كلها أو بعضها اذا سئل الأستاذ على
من جاء بها وأن أقرب الملل ظهوراً من الاسلام لم تسلم من هذه الاضاعة
وان الاسلام هو الدين الوحيد الذي حفظ كتابه كله وظهر في وقت
ارتقت فيه حالة الاجتماع حتى يمكننا ان نحكم بأنه لم تلاش ثمرة من ثمار
المقول بعد الاسلام ولن تلاشى فهو مبدأ تاريخ جديد في البشر

قلنا ان أقرب الملل زماناً من الاسلام لم تسلم من الضياع وظاهراً
نعمي اليهودية والنصرانية فكل من الفريقين قد فقد السند المتصل لكتبه

المقدسة فهو غير موجود فولا ولا كتابة . وهذا هو المراد بقوله تعالى
 فيهم أوتوا نصيباً من الكتاب « وقوله عز وجل في كل منهما » ففسدوا
 حظاً مما ذكروا به » والحظ بمعنى النصيب أي أنهم حفظوا بعض ما
 أوتوه ونسوا بعضه . ومتى ذهب بعض الدين صار الباقي غير موثوق به
 وإن سلم من التحريف فيه والإضافة إليه فكيف إذا لم يسلم . وقد أنزل
 الله تعالى القرآن « مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيئاً عليه » والمراد
 بالكتاب الجنس والميمن المراقب الذي عنده نبأ ما يرتقبه فما صدقه
 القرآن من تلك الكتب فهو من النصيب الذي أوتوه ، وما أخبر به وليس
 موجوداً فهو من الحظ الذي نسوه ، وما كذبه فهو مما زادوه وأضافوه
 فهو الحكم المدلل ، وإنه لقول فصل وما هو بالهزل ،

وكان الواجب أن يحكمود فيما شجر ، وينتهوا عما نهى ويأتمروا بما
 أمر ، وكذلك فعل الموفقون ، وصد عنه الآخرون ، والسبب في الصدود
 هو السلطة الدينية التي جعل ذروها الدين لمصلحتهم تقايداً محضاً عقوداً عائدته
 بأيدي الرساء مثل الأخبار والآفاق يقدونها الناس ويحسونهم سواها
 وينشئون الأحداث ، من الذكران والآيات ، على اعتقاد وجوب التسليم
 لهم ، والرجوع في كل امر الدين اليهم ، ولا يزال أثر هذه التشيئة ظاهراً
 فيمن يترتب في مدارس القسيسين قترام يناظر ك في المسألة فإذا قامت عليه
 حجتك قال ان هذا الذي تقول ، ظاهر في نفسه ومعقول ، ولكن من
 أمر الدين والقسيس يقول بخلافه ولا قول في الدين الا ما يقول القسيس ولا
 يشترط ان يكون قوله معقولا ولا مفهوما !!

فاذا قال النصراني ان السلطة الدينية مثار التعصب القديم ، ومبمبت

العداوة والبغضاء بين الجيران والأقربين، والحجاب دون المساواة بين أهل الوطن الواحد في الحقوق، والقيود الذي تقيد به الإرادة والعزيمة، والغفل الذي ينال به الغفل والفكر، - فالمسلم يصدقه ولا ينازعه يصدقه حامداً لله تعالى أن ليس في دينه طائفة جعل لها الاسلام حق السيطرة على العقول والأرواح نودع فيها ما نشاء ونحرمها ما نشاء ونصرف في المسلمين باسم الدين كما نشاء. ثم ينفست فيرى ان المسلمين الذين قلّدوا الرؤساء الروحانيين عند النصارى لم يبلغوا أن صار لهم سلطة حقيقية منتظمة يحاسبون بها الأفكار على خواطرها والعقول على معارفها بل هؤلاء هم الذين كانوا يتساحجون مع الفكر والخيال مالا يتسامح غيرهم ويمدون كل معرفة تقرب من الله تعالى لأنهم يقولون : إن الله طرائق ، بعدد أنفاس الخلائق ، ثم ينفست من جانب آخر فيرى ان هؤلاء المقلدين في السلطان الروحاني لا تعظم سلطتهم الا حيث يصغر العلم بالدين ، ولا يقوى نفوذهم الا حيث يضعف نفوذ الحكم الاسلامي ، وما عجز لهم سلطان في مكان ، الا وكان وبالا على المسلمين والاسلام ، فان كنت نسيت حوادث مهدي السودان ، فأمامك حادثة خارجي مراکش الآن ،

العلماء والعقلاء والكتاب والخطباء أن يقولوا في السلطة الدينية النصرانية ما شاؤوا ، ولهم أن يسموا في فصلها وإبعادها عن السلطة المدنية ما استطاعوا ، فإنها سلطة كانت ولا تزال ضارة حيث وجدت وتوجد وكان معظم ضررها أيام كانت مقرونة بالسلطة المدنية . لهم ان يسوها سلطة فان لها في كل مملكة رئيساً عاماً يولي سائر الرؤساء في المملكة وهؤلاء الرؤساء الذين هم أركان سلطته منبثون في كل مدينة وفي كل قرية

ولا يوجد حكام مدنيون في جميع القرى والمزارع كما يوجد هؤلاء الحكام
الروحانيون . ولهم أن يماروا هذه الحكومة ويقاوموها ، ولهم أن يخطبوا
من شوكتها ، ويذموا من صوابها ، ولهم أن يقولوا الله لولا فضلها عن
السلطة المدنية ، ما كنا نسم الحرية ؛ ولهم أن يعذروا الأمة الفرنسية ؛
إذا حاولت اضطلام هذه السلطة بالكلية ؛ المسلم يعذرهم في كل هذا لأنه
من الإصلاح الذي جاء به الاسلام كما ألقنا في صدر هذا المقال فمن لم يأخذه
من الاسلام مباشرة فله أن يأخذه من نظام القطرة إذا هداه العلم اليه وما
الاسلام الا دين القطرة الهادي الى نظامها وستن الله فيها

ومن الظلم البين ان يرى الاسلام نفسه بتقرير السلطة الدينية المروقة
عند النصارى . والاسلام هو الذي أبطل كل سلطة يكون بها فريق مسيطر
على روح فريق وحكما على حريته في غير ما يحرمه الشرع على كل رئيس
ومرؤس او مطالب به كل رئيس ومرؤس . ان الذين اتبعوا سنن من
قبلهم وقلدوهم في مثل هذا الامر لم يتقنوا التقليد وكان روح الاسلام مانعا
أن يلقوا منه كل ما أرادوا . ولكن الاسلام لم يسلم من أعداء يلصقون
به كل عيوبهم ويقولون عليه الكذب وهم يعلمون ، ثم انهم يعلمون أنهم
يخلقون عليه إفكاً لانهم اطلعوا على ما كتبنا وكتب بعض الائمة في بيان
نفي هذه السلطة ثم يتأولون الاسلام بها ولهم غرض يرمون اليه
وراء تشكيك المسلمين في دينهم وتغييرهم منه وقد اشرنا اليه في مقال مضى
ووعدنا ببيان الحق فيه كما يتناه في غير ذلك من شكوكهم وشبهاتهم

(شامد في الموضوع من منار السنة الاولى)

صدرنا العدد ٢٢ من منار السنة الأولى بمقالة في (سلطة مشيخة

الطريق الروحية) فإنا في أولها : « لقد أتى على الإنسان في طور اجتماعه أدوار ، وصرت عليه أجيال وأعصار ، وهو مفلول الأبدان ومقيد الجوارح بسلطين عظيمتين فويتن لثقتين عليهما النبوذ التام في أفرادها ، والتصرف المطلق في آحاده ، وهما ساطة الدين وساطة السياسة - أو كما يقول أهل العصر - السلطة الروحية والسلطة الزمنية »

ثم قلنا بمد كلام في حال هاتين السلطين وتأثيرهما وحال الأمة التي تحكم بهما ما نصه .

« وبالجمله ان أمة هذا شأنها تكون دائماً متقلقة كمدح الراكب لا تثبت على حال ولا تستقر على شأن . وجميع ما انتاب الأمم من رفعة مخنوضه وعلم وجبل وسعادة وشقاء فقد كان مرجعه الى تصرف الامراء والحاكمين ، والرؤساء الروحيين ، واتد كان الشر أغاب على الأمم من الخير والشقاء أشمل لها من السعادة لأن الرئيس القاضل الحكيم لا يأت من النار واذا عثر عثر منه الأمة وهوت وقد يهدم الرئيس الجاهل القوي في مدة قليلة ، ما ينه الحكماء في الأجيال الطويلة ،

ولهذا كانت سعادة البشر موقوفة في نيالها أو كالهال على عهديد القوانين والشرائع الروحية والرمزية (المدنية) وجمل الناس فيها شرعا (أي - و) لا صرية لرئيس على صرؤس الابعا بمنازبه الرؤسون بعضهم على بعض وبما لا تقوم الرياسة بدونه كوجوب الطاعة لالاطان ولا طاعة لأحد على أحد فيما وراء الشريعة والقانون . ولكن لم تأت شريعة سماوية ولم يوضع قانون بشري لهذا التحديد والمساواة حتى جاءت الديانة الاسلاميه فحدثت الشرعيتين (المدنية والروحية) معاً وجمعت الناس فيهما - واهل افضل لأحد

على أحد الأبا العلم والعمل ، واقتلعت جذور الطاعة الميأء وبنت ان الدعوة الى الحق لا تكون الا بالحجة والبرهان بمثل قوله تعالى (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) فسر السلام البصيرة بالحجة الواضحة . وقوله تعالى « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »

« وبناء على هذا كان الصحابة يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم الرأي فأتين : هل هذا شيء قلته من عندك يا رسول الله أو نزل به وحى ، فان قال هو من عندي جاؤا بما عندهم من رأيي وربما رجع النبي الى رأيهم كما جرى في بعض النزوات (منها بدر واحد) . وأوقف أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب الامام علياً مع رجل من أحاديثود للمحاكمة وعاتبه على بعد المحاكمة بأنه لم يداو بينه وبين خصمه لأنه كآه وسقى خصمه وفي التكنية تمظيم وتمظيم أحد الخصمين ولو بمثل هذا منافي للعادلة والمساواة . وراجعت امرأته عمر وهو على المنبر في مسألة تحديد المهر محتجة عليه بآية « وآتيتن إحداهن قسطاً رزقاً فلا تأخذوا منه شيئاً » فقال : أصابت امرأة وأخطأ عمر : « وأبلغ من هذا ان النبي عليه الصلاة والسلام طعن سواد بن غزيرة

بقبح (سهم لانصل له ولا ريش) في بطنه وهو مكشوف ليستوي في الصف يوم بدر فقال : قد أوجعتني فأقذني : فكشف له عن بطنه ليقتص منه فطعن يتمسح به وكان ذلك منه توسلاً للتوصل الى هذا الشرف العظيم . وأذن الناس قبل موته بأن من له حق عنده فليطلبه واذا كان نحوه ضرب فليقتص منه وأذن لرجل أن يضربه حين ادعى انه ضربه يوماً فقال الرجل : اتني كنت عاري الكنف أو الظاهر : (شك من الراوي) فألقى له الرداء عن عاتقه الشريف وكان شأنه في ذلك شأن سواد بن غزيرة .

« والنتيجة ان الاسلام قرر العبودية لله وحده والحرية في ضمن دائرة الشريعة والمساواة بين الناس في الحقوق والواجبات وإطلاق الارادة وانكسر من سلطة كل زعيم وسيطرة كل رئيس روحي ومقتضى ذلك أن يكون المسلم عبدا كاملا لله حراً كاملاً بالنسبة لمساواه »

هذا بعض ما قلناه في المسألة من نحو خمس سنين وبمده كلام في سلطة شيخنا الطريق كيف ظهرت وماذا أعقبت

(نحن الدلائل على نفي السلطة الدينية في الاسلام)

(١) أقوى الدلائل على أنه لا سلطة دينية في الاسلام كما في النصراية تحديد وظيفة الرسول في القرآن بأنه مبلغ لا مسيطر ولا وكيل ولا جبار على الناس قال تعالى « إن عليك إلا البلاغ » وقال عز وجل « ليس عليك هدام . ولكن الله يهدي من يشاء » . قال تبارك شأنه « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » وقال عز اسمه « وما أنت عليهم بجبار » وقال له الى جده « فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وقال جل جلاله « وما أنت عليهم بوكيل » فإين هذا كله من ملة يدعي رباً أوها أنهم وكلاء الله في الارض . هل يقاس القبض على الزمخشري ؟

(٢) سيرة النبي عليه السلام فقد سمعت آفا أنه كان يقيد من نفسه ويرجع عن رأيه الى رأي أصحابه . وأعجب من هذا أنه رجح الرأي الموافق لرأيه في مسألة أسرى بدر وكان الرأي الآخر هو الاصلح فتابه الله عتاباً شديداً حتى بكى عليه الصلاة والسلام

(٣) سيرة الخلفاء الراشدين كما سمعت آفا عن عمر وبؤثر مثله عن سائرهم ولم تكن سيرتهم في المساواة وفي تحكيم الأمة بأنفسهم من مزايام

الشخصية وإنما هو شيء أخذوه من القرآن ومن السيرة النبوية كما علمت
وإنما زعمهم أنهم فهموا الإسلام كله وكانوا أشد من غيرهم غيرة عليه وعملابه .
(٤) لو كان الإسلام شرع هذه الساطة المروفة في المال السابقة عليه من
البوذيين والبراهمة والاسرائيليين والنصارى أو أجازها لوجد لها في المسلمين
نظام ورؤساء كما وجد عند غيرهم ولكن شيئاً من ذلك لم يوجد وإنما وجدت
طائفة تصدت للتربية والإرشاد ثم انقسمت إلى طوائف وجماعات ولم يكن لهم
سلطة على أحد وإنما يقبضهم من شاء باختياره ولم يسلوا مع ذلك من رعى
الغماهم لهم بالانحراف عن الدين ومن تفرق الحكم شملهم ولذلك لم يكن
لهم ظهور إلا حيث يصف علم الدين وحكمه كما قلنا آنفاً . وأما لقب
« شيخ الإسلام » فهو من اختراع الملوك والأمراء الذين بدؤوا عن المظهر
الديني فاستعانوا بمن له هذا المظهر لأجل التأثير في نفوس العامة المتقلدين
نعم إن الساطة الدينية وجدت على حقيقتها في طائفة الباطنية ثم
وجدت لهذه الطائفة حكومة مدنية في الميدين (الفاطميين) ولكن
مذهب الباطنية ليس من الإسلام في شيء ولذلك لم يستطع الميدين أن
يؤيدوه بسلطتهم تأييداً ظاهراً أي يقال إن الساطة الدينية قد اجتمعت مع
السلطة المدنية في طائفة تنتمي إلى الإسلام في الجملة . فلم مما تقدم أنه
ليس في الإسلام سلطة دينية فها هذا الذي يعيب الإسلام به بعض كتاب
النصارى وما هذه النسخ التي توجهها تلك الأعلام إلى الأمة الإسلامية
لتنمها بوجوب الفصل بين السلطين الدينية والمدنية ؟ الجواب أن المراد
بذلك أن يترك المسادون شريعتهم كما يعلم من الفصل الآتي

﴿ الشريعة والدين في الإسلام ﴾

جرى عرف الكتاب الأوربيين ومن تبعهم من الشرقيين لاسيما كتاب النصراني بأن يظنوا اسم الدين على ما يتعلق بالاعتقاد بالله وبالوحي وما يمد به من أمور الغيب وما يفرضه من العبادة ويخصوا كلمة الشريعة بما يتعلق بالمعاملات والاحكام القضائية والمدنية والسياسية . وكل باحث في التاريخ من هؤلاء الكتاب يدلم ان الاسلام جاء بدين وشريعة ومن ذلك قول بعضهم : إن محمداً (عليه الصلاة والسلام) كَوَّن في عشرين سنة أمة وجاءها بدين وشريعة ولم يتفق لغيره في العالم الجُمع بين هذه الامور الثلاثة : فهو لاء يعلمون أن الشريعة قسيمة الدين في الإسلام وان ما يدين به المسلم ربه وما يعامل به الناس كله مقتبس من نور واحد وهو نور الوحي الذي أوحاه الله الى محمد عليه الصلاة والسلام

لا فرق في الاسلام بين القسم الديني البحت والقسم الشرعي الا في شيء واحد وهو ان الاعتقاد والعبادة لما كانا لا يختلفان باختلاف الزمان والمكان وأحوال الأمم وجب الاعتمادُ فيهما على الوحي في الجملة والتفصيل والكتابات والجزئيات . وأما المعاملات الدنيوية فلاختلافها باختلاف ما ذكر قد وضع الاسلام لها قواعد كلية وأصولاً عامة وفروض استنباط الجزئيات التي محدث الى أولي الامر المارفين بمقاصد الاسلام وبأصوله العامة وقواعده الكلية فهم يبينون الاحكام بالشورى في كل ما يحدث للناس من المصالح استنباطاً من تلك الاصول والقواعد . قال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » فذكر أولي الامر بصيغة الجمع . وقال : ولو ردّوه الى الرسول وإلى أولي الامر منهم لعليه

الذين يستنبطونه منهم» ذكر أولي الأمر بصيغة الجمع أيضا وأناط بهم استنباط الحكم الذي يحتاج اليه أو يتنازع فيه

ثم ان الاحكام الشرعية المنصوصة او المستنبطة تحتاج الى منفذين ولا بد ان يكون لهؤلاء رئيس ثلاث تكون الأمور فوضى وقد سمي الرئيس الاول في الاسلام بعمد وفاة النبي صلى عليه وسلم خليفة له وسمي من بعده أمير المؤمنين واستمر هذا للقب، ووظيفة هذا الرئيس حماية الدين وأهله وتنفيذ أحكام شريعته فليس هو مسيطرا على الناس في دينهم ولا مستقلا بوضع الاحكام الشرعية لهم وإنما هو حافظ للنظام؛ ومنفذ للأحكام؛ وسلطته هذه كما ترى مدنية شورية، لا مطلقة ولا استبدادية؛ ولكن الاسلام أوجب عليه أن يعمل بالشرع وحرّم عليه أن يكون شارعا بنفسه وأوجب طاعته بالمعروف، كما أوجب على الأمة إزالة سلطانه ان حملها على غير المشروع؛ فصح بهذا الاعتبار أن يقال ان السلطة المدنية في الاسلام مستندة الى الدين أو انها سلطة دينية. ولكن لا يصح أن تشبه بالسلطة الدينية عند غير المسلمين ولا أن يجعل صاحبها جاء ما بين سلطتين إحداهما على الأرواح والمقنن والثانية على الأجسام والأعمال

هذا هو ديننا وهذه هي سلطته فهاذا يطالبنا ذلك الكاتب النصراني وبماذا ينصح لنا؟ هو يطالبنا بأن نجعل رئيسنا المدني شارعا ومنفذاً لما يشرعه لنا من الأحكام وينصح لنا بأن نترك شريعتنا القائمة على أصول ديننا ونزعم أن بناء الشريعة على قواعد الدين وجعل الحكم حاة الدين ومنفذين له هو الذي أزال الدولة العباسية، وفرق شمل الأمة الإسلامية؛ ومن رأيه ان المسلمين لا ينجحون ولا تقوم لهم قائمة مادام سلاطنتهم مكلما

بالعمل بشريتهم الدينية وتنفيذها !!!

لوجمت كل ما ورد من الكلام في جميع اللغات ليدل على معنى التعجب وأضفت إليه كل أمارات التعجب ودلالة في الحركات والاشارات المضوية والقلمية وقدرت على تصوير جميع أفعالات المتعجبين وتأثراتهم النفسية وألصقت ذلك كله بهذه التمهجة النصراية للأمة الاسلامية لما وفيت حق البيان في كونها عجيبة غريبة مذهشة للمتعجبين !!

(شبهات المشكك)

(١) يقول هذا الناصح الأمين، أو المشكك في الدين: إن غرض الدين في الأرض منافض لغرض الحكومة في الأرض فكيف يجمع الإسلام بين التقيضين؟ ونحن نقول له إن الإسلام جاء للإصلاح في الأرض وكل ما يناقض الإصلاح فهو إفساد يجب إزالته فالواجب أن يكون غرض الحكومة الاسلامية موافقا لغرض الدين الاسلامي . وبما لا خلاف فيه بين فقهاء الاسلام أن أحكامه الشرعية كلها مبنية على قاعدة «درء المفاسد وجلب المصالح» فأي حاكم من - كما نعتقد - أن يأثمنا بشرع اصليح من هذا الشرع اذا نحن تركناه عملا بنصيحتك وجعلنا الحاكم هو الشارع؟؟؟

(٢) يقول الناصح الامين؛ أو المشكك في الدين: إن من التناقض بين وظيفة الدين ووظيفة الحكومة أن الدين وضع قواعد وتقاليد للعقل وطرقا لسير المكر فقيده بذلك الحرية العلمية . والحكومة لا تكلف الانسان بأن يسير في فكره على طريق مخصوص وإنما هي حامية لحرية النفس وما يتبعها من المال والدم والشرف : ونحن نقول اذا كان دينك كذلك فدين الاسلام منافض له غير منافض لوظيفة الحكومة التي ذكرتها . وذلك لأنه

تقرر فيه حرية العقل فلا يخرج للمسلم عن حكمه في عقائده (كما في ذلك في الجزء الماضي) وتقرر أن أحكامه ترجع إلى خمس قواعد هي موطن الكليات الخمس وقد جمعتها صاحب عقيدة الجوهرة بقوله:

وحفظ دين ثم نفس مال نسب ومثابا عقل وعرض قد وجب
(٣) يقول الناسح الأمين، أو المشكك في الدين، : يجب أن تكون الحكومة مساوية بين من تحكمهم وإن اختلفت دياناتهم وأن تكون حامية لهم على السواء أيضاً والدين منافض لها في ذلك : ونحن نقول : إذا كان دينك كذلك فديننا منافض له لا لما يجب أن تكون عليه الحكومة . وذلك أن المساواة من أصوله وقد أشرنا في الفصل السابق من هذا المقال إلى مساواة عمرين الإمام علي ورجل من آحاد اليهود ومطالبة عليّ لهم بالمساواة في القرب أيضاً وهذه مساواة لم تصل إليها حكومة وإن تصل إليها حكومة إلا أن تكون مقيمة للإسلام على حقه . وأما الحماية فمن الأصول الماثورة في ديننا هذه الكلمة الجليلة « وإن نحميهم مما نحمي منه أنفسنا » وهذه الكلمة الدخلى « لهم مالتنا وعانهم ما عانينا »

(٤) يقول الناسح الأمين، أو المشكك في الدين، : إنه ليس من شأن السطة الدينية، الدخول في الأمور الدنيوية ؛ لأن الأديان شرعت لتدبير الآخرة لا لتدبير الدنيا . ونحن نقول : إذا كان دينك كذلك فديننا ليس كذلك فإنه شرع ليلائم مصالح الدارين، والارشاد إلى طرق السعادات، فكيف تحكم على الأديان كافة بما تعتقده في دينك أو هل كنت أنت الواضع للأديان كما تقول إنني وضعت دين الإسلام هكذا أيضاً وأهله قد زادوا فيه فانا الآن أطالبهم بالرجوع إلى الأصل ؛ إن المسلمين

لا يقبلون منك ذلك لان ثقتهم عرفوا الدين بأنه وضع الهي سائق لتوي
 العقول السلية باختيارهم الى ما فيه صلاحهم في الحال ؛ وفلاحهم في المآل ؛
 (ه) يقول الناصح الامين ، او المشكك في الدين ، : ان الجمع بين السلطين
 يضمف الامة ضمنا مستمرا لانه يقتضي اضطهاد العقل والدكا . ويرض
 الحكومة لثورة الامة بانحرافه عدو يشرها عليها ويكون سبب للشقاق
 الديني بين الطوائف التي تتألف منها الشعوب ويرض الدين لا كاذب
 السياسة ومفسدها . ونحن نقول ان كل هذا قد وقع في ديه فلانكره
 وإنما نكر قياس ديتا عليه وهو مبين له . وحبنا ان الذي وقع عندنا
 هو تقيض ما وقع عندهم فان الحكومة الاسلامية التي يسميها جمابين
 السلطين (وقد فهمت منها) قد أعطت الامة قوة لم يتاوها فيها أحد
 في زمنها وما ضمت الامة الاسلامية الا بضمف الشرع وعدم إقامته
 وهذا أمر لا خلاف فيه . وكذلك لم يضطهد العقل والدكا . في الاسلام
 في عصر اقامة شريعة الاسلام وإنما وقع شبه اضطهاد بعد ضمت الشرع
 والهاون في تضيده . اما الثورات التي يخافها الناصح على الحكومات
 الاسلامية اذا بقيت على شريعتها فهي أجدر بالوقوع اذا خرجت الحكومات
 عن الشريعة لان اخرج على السلطان لا يجوز في الاسلام الا اذا خرج
 السلطان من الاسلام بترك الشريعة واذا أخطأ فالواجب ان ترجمه الامة
 عن خطاه بالمعروف : قال صاحب عقيدة الجوهرة :

وواجب نصب إمام عقل	بالشرع فاعلم لا بتحكيم العقل
فليس ركنا يتقدم في الدين	فلا تد عن حكمه للدين
الا بكنز قابض عمده	فالله يكفينا أذاه وحده

وأما الشقاق الديني بين الطوائف والممل فم يمد في بلاد الاسلام أيام إقامة الشريعة والعمل بها بل كانت الطوائف في هدون وسلام لأن الدين موجب ذلك وكان معمولاً به . والذي يوجب الشقاق هو جعل الدين مصلحة لرؤساء مخصوصين يناهض كل رئيس بطائفته سائر الطوائف فهو الصق بالفصل بين السلطين وجعل كل واحدة مستقلة لها رؤساء يدبرونها منه بالجمع بينهما خصوصاً جمع الاسلام بالمعنى المتقدم . وقد ذاق الامة النصرانية بأس هذه الرياسة وكانت هي التي ابتدت الحرب بين طائفتين من أهل دين واحد للخلاف في الدين . ولو لم يكن لكل طائفة رؤساء مخصوصون لما وقع شيء من ذلك . وقد سرت عدوى النصرانية الى غيرها وأصاب المسلمين شرر تلك التياران فحدث بين اصحاب المذاهب شيء من الشقاق لتصب كل طائفة لامام مخصوص وعلماء مخصوصين . وقد علمت ان رجال الدين لم تنظم لهم في المسلمين رياسة لأن طبعهم الاسلام تآبى ذلك ولهذا لم ينظم النفور والشقاق بين اصحاب المذاهب الاسلامية كما عظم بين أرباب المذاهب النصرانية . على أن المذاهب المتعددة في الدين هي مخالفة لوضع الدين لأنها تفرق فيه والله يقول « أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ويقول « إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » ولكن جاءنا من كتاب النصارى في هذا العصر من يقول ان التفرق الى شيع من طبيعة ديننا ولا علاج لهذا التفرق الا ترك حكامنا لشرعنا !!!

وأما تعريض الدين لأكاذيب السياسة ومفاسدها اذا كانت الشريعة مستمدة من الدين فهو تقيض الممتول وخلاف الواقع فان السياسة كما قال الكاتب مبنية على الرياء والمخاتلة ولا علاج للرياء الا الدين وقد شدد فيه

الإسلام حتى سماه « الشرك الأصفر » فإذا بُنيت السياسة على قاعدة الدين سلمت وسلم معها الدين وإذا انفصلت من الدين فسدت وأفسدت الدين ولذلك استأذنها الإمام كاتب مقالات (الإسلام والنصرانية) بالاستمأذ ووصفها بما وصف . وقد قلب الحقيقة الناصح أو المشكك فجعل انفصال الحكومة من الدين هو سبب السلامة !!!

✽ الوحدة الدينية . والوطنية ✽

يقول الناصح الأمين ، أو المشكك في الدين ، ان الوحدة الدينية التي يطلبها الاسلام مستحيلة الوقوع ومحاولتها كان اكبر أسباب الفتن التي حدثت في الاسلام والمسيحية . ويزعم ان البشر قد أرتقوا عن طلب الوحدة الدينية التي كانت عامة فيهم الى الوحدة الوطنية وتدخرج في البيان الى ذكر فرنسا التي ارتقت فيها هذه الوحدة الجديدة التي حصر فيها مساعدة البشر حتى حكمت بابطال مدارس الرهبانات وحتى حرمت على رئيسها ذكر اسم الله تعالى أو ذكر العناية الالهية في خطبة . وهنا شعر بأن هذا التدخرج قد أنهى حربه في هوة الباطل فنادى بمتراض على هذه « الطريقة الجديدة » ويذكر من مفايدها . وهكذا شأن من يهرف بما لا يعرف . وقد استدلل على استحالة الوحدة الدينية بما كان في أوروبا من الفساد والفتن بسببها وبعدم نباح البابا فيها وبسعادة أوروبا بعد إقامة السد بينه وبين الأحكام . ثم جرى على عادته في تشبيه الاسلام بالنصرانية فزعم ان الذي أسقط دولة بين المباس هو عجزهم عن حفظ الملكية بالوحدة الدينية وعدم اهتمامهم الى الوحدة الوطنية !!! سبحانه الله ما أعلم هذا الكاتب بالتاريخ وما أقدره على استغراج طبائع الملل منه !!!

خبرونا أيها المؤرخون والمطالعون على كتب التاريخ أي مؤرخ قال ان سبب سقوط بني العباس هو حكمهم بالشريعة الاسلامية أو قال ان أصحاب الملل المختلفة في بلادهم كانوا ساخطين على الحكم بالشريعة وطالين أن تستبدل بها قوانين غيرها يضمنها الحكم أو المحكومون وأنهم لذلك ثاروا على الدولة حتى أسقطوها بالحروب الأهلية التي مثارها التمصبات الدينية ؟ لم يقل بذلك عالم ولا باحث زاعم افتخروا فتجروا اخترعه وابتدعه ناصح المسلمين الامين أو مشككهم في الدين

لسقوط دولة العباسيين أسباب أهمها أمران ذكرهما مؤرخ الدولة الثمانية الأكبر جودت باشا ناظر المديلة (رحمه الله تعالى) قال بعدما ذكر فضل المأمون في ترويح العلوم وتوسيع نطاق المدينة ما ترجمه « الا أنه أخطأ خطأً بينا في أمر يتعلق بتدبير المملكة وهو انه أعطى ولاية خراسان لرجل يسمى طاهرا مكافأة له على قتل أخيه الأمين فالتخذي سبباً ورعاصمه لها وجعلها موروثة له ولأعقابيه من بعده فكان ذلك باعثاً على إزالة رهبة الخلافة من صدور الممال ، وسيئاً في الخروج عن الطاعة والتزوع الى الاستقلال ، ثم جاء بعده الخليفة المتعصم فجمع بعض الأحداث من الترك وجعلهم عسكرياً خاصاً به ولما اشتد ساعدتهم خرجوا عن طاعته وأخذوا ثورات هائلة كما وقع قديماً في عسكر قياصرة رومية »

وظاهر أن ما عمله المأمون مخالف للشريعة الاسلامية ومناف للوحدة الدينية . وان ما عمله المتعصم كان لا خلا له بأصول الاحكام الاسلامية من الشورى وكفالة الامة للامام والتحرر في اتخاذ البطانة فقد قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم »

الآية . وللمفسرين وجهان في قوله « من دونكم » قيل هم المناشقون وقيل الكافرون . وكان أولئك الاحداث أحد الفريقين فإنهم اتخذوا بطانة ولما يدخل الايمان في قلوبهم كما علم من مقالات (الاسلام والنصرانية) وقد تحقق فيهم قوله تعالى « لا يألونكم خبالا وذوا ما غتم » وليكن ناصحنا الامين حرف قول الامام في هذا المقام الى فتنة سياسية فزعم أن مراده الحكم بأن الترك والفرس لا يمتد باسلامهم وان الدين خاص بالرب أي أنه لا يمتد باسلام مثل البخاري ومسلم وأبي حنيفة والنزالي الخ !!!
نمود بالله نود بالله

باحسرة على أعداء الشريعة الاسلامية التمسوا لها عيافيا فاعياهم وأعوزهم، فالتمسوه في المقيمين لها (كابي بكر وعمر) فاعياهم وأعجزهم؛ فقبوا عنه فيمن انحر فوا عن صراطها فنكبوا فأصابوه وأصقوه بها وقالوا إنها شرعية ضارة يجب تركها واختراع شريعة بدلها !!!

كانت رابطة الوحدة في الاجتماع البشري محصورة في البيوت (العائلات) ثم اتسعت فصارت في القبائل ثم اتسعت بناموس الترقى فكانت الشعوب والامم الكبيرة التي وحدتها الجنسية باللغة او الدين او البلاد (الوطن) وكان الدين خاصا لا يتمتع الشعب الذي وجد فيه الى أن ظهر الاسلام فان في الانجيل المتبعة عند النصارى الى اليوم ان المسيح عليه الصلاة والسلام قال : « لم أرسل الا الى خراف اسرائيل الضالة » وقال « ما جئت لأقتض (الناموس) وانما جئت لأتمم » والناموس هو شرع الاسرائيليين الخاص بهم وقيمته ببيان الحق فيما اختلفوا فيه منه وفي بيان اسراره والتوسع في التسم الروحاني منه . وأما ما ينقلونه عنه من انه قال « اكرزوا بالانجيل

في الحقيقة كلها « فهو مختلف لما تقدم في الظاهر ويمكن أن يتفق معه بجملة
 رتب في الحقيقة المعهدة أي الحقيقة المبرودة وهي الأمة الاسرائيلية حيث
 كانت وأين وجدت

بعد هذا استعد البشر بناموس الارتقاء الى وحدة أوسع من كل
 ما تقدم -- الى وحدة يمكن أن تدخل فيها جميع الشعوب والقبائل والأمم
 والأجناس المختلفين في البلاد واللغات والأديان -- الى وحدة لها رابطتان
 (إحداهما) جنسية اجتماعية عمرانية دنيوية وهي أن يتحكموا بشرية عادلة
 تساوي بينهم في الحقوق لا يمتاز فيها كبير على صغير ولا غني على فقير ولا
 عربي على عجمي ولا متدين بدين على متدين بغيره (وثانيتهما) روحانية أخوية
 أخروية تختص بمن يحبهم الاعتقاد الصحيح، المبني على البرهان الصحيح،
 وهذه الوحدة هي الوحدة التي جاء بها الدين الاسلامي وعمل به المسلمون في
 الصدر الاول فكانوا المتحابون لهم في الدين يفضلون حكمهم على حكم الآخرين
 معهم في الدين واللغة والوطن . ولم توجد المساواة ولا العدالة الصحيحة الى
 اليوم الا في الاسلام فهذه الدول الاوربية الراقية بالوطنية لا تساوي بين
 ابنائها وأهل مستعمراتها في الاحكام بل ألزمت الحكومات الضعيفة في غير
 بلادها بالخروج عن العدل والمساواة وتميز أجناسها على رعايا كل
 حكومة من تلك الحكومات فالمصري يقتل في مصر اذا قتل أجنبيا ولكن
 الاجنبي لا يقتل بالمصري . وقد كنا أوضحنا هذا المبحث في مقالة عنوانها
 (الجنسية والدين الاسلامي) المتراجع في المجلد الثاني من المنار . وفي
 آخر مجلدات المنار بيان كثيرة تزيد هذه المسائل المتفرقة وتضد
 القديما المتسدة في هذا العالم

ثم بعد استطلاعهما ما يلزم استطلاعهما من آراء وأفكار ذوي الهمم السامية ،
ببشران أسباب تشكيل الجمعية مع التروي والتأني اللازمين حكمة ، وبإلا يساعدها
الزمان فيحتاجان لتزقي الفرصة ولو تأخر الأمر إلى اجتماعنا الثاني ، وأخونا السيد
الفراتي يمدنا بأنه لا يقطع عنا رسالته وإعلاننا بسير المسألة والأمل ببنائته تعالى أن
نجد في اجتماعنا الثاني بعد ثلاث سنين الجمعية الدائمة متشكلة على أحسن نظام .

ثم قال (الأستاذ الرئيس) واني على أمل أن الجمعية الدائمة ستحقق باجتماعها
المعبرين فتخدم مقاصدها الجليلة المتعلقة بإعزاز ديننا وأخواننا وأنفسنا فتعال بذلك
أجبر المجاهدين وشرفاً عظيماً نفتخر به نحن وأحقابنا من بعدنا إلى يوم الدين .

ثم قال وان جميعنا هذه قد اختارت أن تجعل مركزها الموقت في مديرو مصر دار العلم
والحرية وكانت أخذت في العمران بسرعة ولولاها لكانت بعيدة تطاول الساعات وسقوط نفوذ
الفرنسيين محارب السبعين وانفراد الانكليز وبأسهم من قبول المرض التريخ وتهاجر
قوات الدول بوزائها بقرب تلك الحركة العمرانية مستمرة ولا رجوع فتشجع إلى دور الاحتلال ،
ولا يهملون في دور الاحتلال .

ثم خاطب (السيد الفراتي) هيئة الجمعية فقال : أيها السادة لا غرو ان أكون
أكثر الاخوان سروراً بانجاح سعي وسياحة هذه الخطوة الكبيرة في هذا السيل
وإنه سيظهر من سهيل الأولى إلى البداية أن يهمل السير إلى النهاية ولا يميز على الله
نحوه وانتم لا تملك تذلل الظلم .

وإني أهاجركم بأمر الله بجهات ما يحصل دمج ولا استغني أن
تؤخذ فيما راكم ولو من بعد وتنفوني بأدعيتكم بالوفيق . وأيس هذا اليوم آخر
عهد جمعينا بل يلزم أن نجتمع أيضاً في هذا المحفل رابع أيام التشريق فتكون تلك
جمعية الوداع . وفيها يكاتفكم حضرة الأستاذ الرئيس ببعض تدابير وبشأن يجب
إسرارها فتؤمروا في الصدور لا تسجل ولا تذاع وفي ذلك اليوم يتم بتسهيل الله طبع
سجل مذكرات حريتنا إلى هذه الساعة (بمطبعة الجلالتين) فيوزع عليكم نسخ منها
كالمعنى لكم ليخ من ضبط المناقشات على القانون ونسخ جديدة من مفاتيح الكتابة
الحرية . ثم أطلع المختصر الأول مديلاً براجم الاخوان بصورة أكثر تفصيلاً

ثم قال : ثم بعد ذلك قد تم في هذه الساعات بالي أخذت بالأمر رسالة من أخينا
السيد الفراتي في يوم الجمعة من مواعيد الجمعية كما بينت ذلك قبلاً فهو

بقرنكم السلام ويدعو للجمعية بالتوفيق ويطلب أن أتلو عليكم قصيدة له يخاطب بها المسلمين

فقال (الاستاذ الرئيس) وعليه السلام وأمر بقراءة القصيدة فقرئت وأثبتت بها إشارة الاستاذ الرئيس بعض آيات وهي •

غيرت يا حيارى ما بأنفسكم فغير الله عنكم سابغ النعم
الله لا يهلك القرى اذا كفرت وأهلها مصلحون في شؤونهم
ترك التأمر بالمعروف وأمرتكم ما حاق من نذر يازلة القدم

يا قومنا صححوا توحيد بارتكم بدون إشراك أحياء ولا رم
وتقووا الشرع من حشو ومخترع رُجعي الى دين أسلاف ذوي ذم
خذوا بمعكم آيات منزلة وستة بينت في الفعل والكلم
دعوا البدائع في الدين وإن حسنت ولا يفرنكم تأويل محكم
ساحة الدين في فكر وفي عمل خير من الإصر والأغلال والنقم
ساحة الدين من الله خالفكم بها عليكم دعوا الكفران بالهم
وحافظوا ملة بيضاء ساطعة وسحة قد جتكم كل مقتم
راقت فضائنها في كل فلسفة قوامها حكمة تقضي الى شمم

هذي وسيتكم لا غيرها أبدا فاسوا نهضتكم يا خيرة الأمم
في عبر جامعة التوحيد ان تجدوا من جامع لكم لستم ذوي رحم
سياسة الدين أولى ما تأس به شتى الخلاف من عرب ومن عجم
فيها الحياة وفيها حفظ راسكم خضراء سوداء حول الركن والحرم

ذيل

قررت الجمعية في اجتماع الوداع المتقد في رابع أيام العيد بعض أمور مهمة ينبغي أن تشر ولا تداع غير أنها رأيت أن يلحق منها بهذا السجل ما يأتي فقط •

قرار عدد ٦

ان الجمعية بعد البحث الدقيق ، والنظر المتيقن ، في أحوال وخصال جميع الاقوام المسلمين الموجودين وخصائص واقفهم والغرور المحيط بهم واستعدادهم وجدت

أن الجزيرة العرب ولأهلها ما ينظر إلى السياسة الدينية بمجموعة خصائص وخصال
لم تتوفر في غيرهم . فرأت الجمعية أن حفظ الحياة الدينية متينة عليهم لا يقوم فيها
مقامهم غيرهم مطلقاً وإن انتظر ذلك من غيرهم حيث يحسن . على أن لبقية الأقسام
أيضاً خصائص ومزايا تجعل لكل منهم مقاماً مهماً في بعض وظائف الجماعة الإسلامية .
مثل أن معاناة حفظ الحياة السياسية ولا سيما الخارجية متينة على التركمانيين (١)
ومرافقة حفظ الحياة الدينية التنظيمية يليق أن تنشط بالمصريين والمسلمين بمهام الحياة
الجنسية يناسب أن يتكفل بها الأفغان وتركستان والحزر والتوقاسيين ومراكش
وإمارات أفريقيا شمالية . وتدير حفظ الحياة العلمية والاقتصادية خير من يتولاها
أهل إيران وأواسط آسيا والهند وما يليها .

ولما كانت الجمعية لا ينها غير أمر النهضة الدينية رأت من الضروري أن تربط
أهلها بالجزيرة وما يليها وأهلها ومن يجارهم وأن تبسط لأنظار الأمة ما هي
خصائص الجزيرة وأهلها والعرب عموماً وذلك لأجل رفع التعصب السياسي أو الجنسي
ولأجل إضاح أسباب ميل الجمعية للعرب فتقول

١ (الجزيرة) . هي مشرق النور الإسلامي

٢ « الجزيرة » . فيها الكعبة المعظمة

٣ « الجزيرة » . فيها المسجد النبوي وفيه الروضة المطهرة

٤ « الجزيرة » . أنسب المواقع لأن تكون مركزاً للسياسة الدينية لتوسطها بين
أقصى آسيا شرقاً وأقصى أفريقيا غرباً

٥ « الجزيرة » . أصل الأقاليم من الأخطاط حسنية واديان ومذاهب .

٦ « الجزيرة » . أبعد الأقاليم عن مجاورة الأجانب

٧ « الجزيرة » . أفضل الأراضي لأن تكون ديار أحرار أبعدها عن الظالمين
والمرابين نظراً لاعتقها العليبي .

٨ « عرب الجزيرة » . هم رؤساء الجماعة الإسلامية لظهور الدين فيهم . (٢)

٩ « عرب الجزيرة » . مستحكم فيهم التخاطق بالدين لأنه مناسب لطبائعهم الأهلية
أكثر من سائبة لغيرهم .

(١) لا هم من نفس القبيلة بل أي المزاولة في المقال والتلون في الأحوال .

(٢) وكذلك من بينهم من انتشر الفاطمية بين الفترات ودجلة والنزحين إلى أفريقيا

- ١٠ «عرب الجزيرة» . اعلم المسامعين بقواعد الدين لأنهم أعزهم فيه و... لهم في أحاديث كثيرة بالثبات في الإيمان
- ١١ «عرب الجزيرة» . أكثر المسلمين حرصاً على حفظ الدين وتأييده والتمسك به والمصيبة النبوية لم تزل قائمة بين أظهرهم في الجواز واليمن وعمان وحضرموت والمراق وأفرقيا
- ١٢ «عرب الجزيرة» . لم يزل الدين عندهم خيفاً لغيابها عن التشديد والتشوين.
- ١٣ «عرب الجزيرة» . أقوى المسلمين عصبية وأشدهم ألفة لما فيهم من خصائص البدوية . (١)
- ١٤ «عرب الجزيرة» . أسراؤهم جامعون بين شرف الآباء والامهات والزوجات فلم تختل عندهم .
- ١٥ «عرب الجزيرة» . أقدم الأمم مدنية مهذبة بدليل سعة لغتهم وسمو حكمتهم وأديباتهم
- ١٦ «عرب الجزيرة» . أقدر المسلمين على تحمل قسوة المشقة في سبيل مقاصدهم وأنشطهم على التقرب والسياحات وذلك لبعدهم عن الترف لذلك أهله .
- ١٧ «عرب الجزيرة» . أحفظ الأقوام لنفسيتهم وعاداتهم فهم يحافظون ولا يغيثون .
- ١٨ «عرب الجزيرة» . أحرس الأمم الإسلامية على الحرية والاستقلال بإيمانهم (٢)
- ١٩ «العرب على الإطلاق» . لغتهم أغنى لغات المسلمين في المعارف ومعونة بالقرآن الكريم من أن تموت
- ٢٠ «العرب» . لغتهم هي اللغة العمومية بين المسلمين البالغ عددهم ٣٠٠ مليون.
- ٢١ «العرب» . لغتهم هي اللغة الخصوصية لمائة مليون من المسلمين وغير المسلمين .
- ٢٢ «العرب» . أقدم الأمم اتباعاً لأصول تساوى الحقوق وتكسار المراتب في الهيئة الاجتماعية .
- ٢٣ «العرب» . أعرق الأمم في أصول الشورى في الشؤون العمومية . (٣)

(١) وبقوه ذلك لا يزالون يأخذون خراجاً ممن يأخذون باسم هدية (٢) هذا هو سبب عدم انقياد أهل اليمن ومن يليهم للمسلمين (٣) يشهد لهم بذلك القرآن في قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام إذ قالت مخاطبة الملك أي المستشارين الاشراف يا أيها الملك أقنوني في أمري ما كنت قاطعةً أمرأ حتى تشهدون . قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين . قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها

- ٢٤ • العرب • أهدي الامم لاسول للمعيشة الانسانية .
- ٢٤ • العرب • من أحسن الامم على احترام العهد وعزة واستقام قاعدته .
- احترام الجوار شهامة وبذل المروءة مروءة • (١)
- ٢٦ • العرب • أنسب الاقوام لان يكونوا مرجعا في الدين وقوة للمسلمين فان بقية الاقوام قد استحووا عليهم انما يكونون من انبياءهم أخيراً .
- فهذه هي الاسباب التي جعلت حمية أم القرى تعتبر العرب هم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة لدية بل الكلمة الشرقية . والجمية قد قال الله تعالى أن يوفى ملوك السمايين وأمرأهم لا تصلب في الدين وللعزم والعزم عداهم يحفظون عزهم وساطتهم الى أن يرث الله الارض ومن عليها وأن يحجزهم من التعصب الذي غشيت والنجاسات ومن الكبر والافتة ومن التخاذل والافتقار ومن الانقياد الى وسوس الاجانب الاستعداد الا ياتهم الحمار القريب المحدث بهم وتخالطهم النذور الحقة في ربابهم والله الموفق والله ترجم الامور .
- وهكذا تمت الاجتماعات وحنمت المذاكرات وأوفى الجمع على وعد الثلاثي .

بَابُ التَّوْبَةِ وَالْإِيتِاعِ

الترجمة العربية (*)

(لا يسلم وجه المسلم من تكلف)

منه : الأحمس من تدينه بالان في الجوار انما قد تدينه بالان من تدينه .

وجعلوا اعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون • (١) يكفي برهانا على ذلك مجاهدة أهل الجزيرة لسياح الافرنج — ماعدا تلك الفئة التي انما دفع اليها الجراح وبنا عليها بعد ما بين راية باننا — وترجى اليهود المهجرة للبلاد العربية — وهم اشراك البذر العربية النقية في حواديث الارض الاسيرة ككاهن وماردين — مردوفين والمدون العربية من ولاية مال وأما حادوا الان والنام وحلب في القرن الرابع فما كانت متولدة من انساب عربي أو جنوبي عيش الى من غمرود جماعة من الازهر ولا تكلين وجاعة من المايين بن بناميون الامير •

(*) سحر من كتاب اهل القرن التاسع عشر في التربية

وتمتدح في دور الملوك والادب الامم وتتاريخ والاشواق القومية فلا تجد عبادة من العبادات الا وقد وجه اليها المسلم ضرره من البحث لاقبل لها بمقامتها وأصبح ما كان يخله الناس من اللغات والقوش البريانية والحروف مهمات لا سبيل الى الاهتداء الى معانيها وقد نبذت مغالقتها وألفت بين يدي العلم مقاليدها واسلمت اليه أسرارها ولم يقن عن الاغاليط التي شيها من الله وير أنها قيمت رؤسها في ظلماتها وسرت نواحيها في حنادسها فانه لم يبق في ككنتها ان تفاجع في التقرير بالعقل بما لها من القدم فقد عجز سبب حدودها وكشف الستار عما كانت ترمده فرائص الاقد من المحدثات الخيالية فعرف الانسان نفسه وكله دهش واستغراب لحوفه وفزع لاه قد عرفت اليوم كيف نشأت الآله (١) ورأى مذهب كان لها مالبدييات من القوة والرسوخ والجلال وتلاشت امام العلم بالرواميس الكونية التي كان يتوهم ان هذه المذاهب فونها وأبصر أسراراً مستطقة كانت تماصت على العقل أذغنت اليه الآن قضى بحكم فيها بكشف أصلها وبيان منشأها

من التلم ولا يحذف عدم اعتبار هذه الحركة العلمية في ترتيب الباحثين فكتبر يدح ان لا يدخل المدارس ما وصل اليه العلم من نتائج بحثه الا بعد قرن من ظهوره لو دخلها (انتقاد آداب اللاتين اليونانية واللاتينية)

أنا لأريد الآن ان اشتغل من وجوه الانتقاد الا بما يتعلق بآداب اللاتين اليونانية واللاتينية وأقول قد اعتاد المحدثون ان ينفردوا هذه الآداب بالدرس دون بقية آثار الاقدمين كما لو كانت آداب كل لغة فرطاً مستقلاً عن تلك الآثار ولا أراهم يبتعدون في ذلك الاالي وهم عنييت من قبل بدحضه ولهذا تراني ذكرت هلاميل، أسماء آلهة سير وسأورد من صفاتهم في أساطير الجنود وقصصت عليه أنسب وقتاسهم وسركونون من معارفه القدماء ولم يبق عليه الا ان يعرف كيف أنهم كانوا يوحون

(١) يشبه كلام المؤلف هاجنا ان يكون تقرير المذهب للماديين ويدل بفحواه على أنه لا يمتدح بالله ولا بتلائمته ولا بصحة المذاهب الدينية في هذين المصنفين وينسب الى التواميس الكونية كل ما كان وما يكون وزعم ان العلم قد هداه الى أصل معنى اللاهوية وهذا كله من غرور العقل نموذج بالله منه ومن التفلو في النظر وما يؤدي اليه من الاشر والبطر كيف يصل العقل الى كنه الآله وهو لم يصل الى كنه نفسه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً والمنزله ولأمثاله أنهم نشأوا على دين مناقض للعقل

الاستفاد ويجوبون الاقلطار وكيف ان الواحد منهم فكر الظاهر في حياته من حياة
حيات متبينة وهو أمر لا يخفى وقته .

ذكرت من شراء الاقدمين محبير واليه الفاتحة أودوا وأدري ما لا يحد
على الامم من تفهم العالمين ياهم ان ديوانيه الموسوم أحدهما بالعلياء (الايامه) والثاني
بالمديني هما من ابتكار رجل من الدارين اذا كان جميع الدس اليوم يعلمون كيف
تولدت القمص الشعرية الطرية في الامم النديعة والجليلة

لاربع ان في هذه القمص عوامن كبرى وعبرنا جملتها في اني سأختصر كل
الشيء ان أجعل في حصة أشبه (١) مثلا فبقية الامم لا تليق في حقيقته في حقيقته فان
هذا العمل الذي عرفت وما من دقة في عمله من انزلها في حقيقته كبرى
ان ان عليه قومه حارية رقيقة كانت عملا لاطماعة وكان لها في طلبة دونه
وزايا الحرب وشمالها لم يكن حقيقا شراء الآلهة في ديوانهم ان فهم في شومها
واعاشهم اياه على خصمه لشجاعته غير مراعين اغفاله لواجبه قد جعلوا عاتبة الحرب
عبرة سيئة وهي ظميره بكتور (٢) أي تظفر البلاش الحربي بالوديرة الصلبة

لم يقتصر الاقدمون فيها جهلهم من الامور على تكرهم بعض الاستكوال التي هي
الآن أساس وجدان الامم بل اهتموا وكانوا يهتمون من الابطال والملاحم في حقيقته
التي تدعو دراسة كتبه التي يقاتلها لم يقاتلها الا حراس والمخترقان من الامم التي
من آثارهم قد هي كبرى من العالم القومية فربما عديده من وثائق الفن وذيول
يدودها عنها وان المفرم منا بالمعالمه المفرط في البنية بين كتبه المفرط فيها بين ابناء
وقته ثم في أدنى أوقته ما لي التأخر في آياتها في الناس من الملاحم في حقيقته
الكثيرة التي يرجع أسماها الى أخلاق الاقدمين ومواثمهم

ان الحضارة اليونانية كان لها من وجود الحسن ما يشير الإعجاب بها ولو ان
ه أبله كلابها رأتها بما سادها في الآتي في غاية الشيء عن ذلك ولكني
لأنه ان يكون خدعة التشدد في ميله اليها لما فيها من وجود الفزع أبدا فاشد
ما احتقر فيها الرقيق وبعث قبحه وانيت حقوق البؤساء والمغلوبين فلم يحض عليها

(١) أشبه في الأصل التي هي من بطال من اني أنه ما تليق في قوله باريس في
سحره بطور (٢) أي في هذا الامم من ان يراهم وعقبة وزرع اسروهم في
استبنا كس فله أبل اخذنا بشارية. وقل

أحد أهم الأسباب على أوجهنا ألفت من أمتاق و جسدان الانسان ووساها
بعد اختراق حجب من الازمان ولكم هلك في سبيل تلك الحضارة من احيال
وباد من انسان ولم يكن فيها أحد يمتي بتخفيف مضى البؤس الذي كانت تقاسيه الدهاء
ولم يكن العمل يستوجب للعامل أدنى حق من الحقوق لانهم لم يكن يصلح الا لأيدي
الطفام نعم ان ظاهرها ومنظرها كان موثقا فان ماؤدانت به من القنون والشمر والدين
السمج والالهة الباسمين في وجوه الابطال كان يكسو تلك الامة المقتبطة رودا جمعت
كل مالمسكال المنشود من ضرور العظم والهاء ولكن العبرة بالخبر لا بالنظر
التاريخ الروماني هو دون التاريخ اليوناني بكثير لا لان رومة لم تنتج رجلا
كباراً بل لانها كانت تفرط في عبادة القوة وقد لاقت جزاء هذا الافراط فانها بعد
ان استمدت غيرها من الامم آل أمرها الى استباد نفسها فأنزلت في هذه الامة
الدائمة وقد أظهرت للعالم مالا ينتج من النتائج اللازمة ماهي الامم التي علمتها والشعوب
التي أساست شؤونها؟ أرى الناس تملأهم أخبار غزواتها ونهزهم أحداث نصراتها ولا
أرى أحدا منهم يهتم بآداب مصائبها ليشفي من جوارح الحرب ويبرأ من هوس القتال
اني اذا قرأت هـ أميل اليونانية واللاتينية ونجرت له بذلك ينوع الآداب
الفدبة والتاريخ كان قديما ولا شك توسع عقله وتنبه إدراكه يداني ارمي
الى غاية أخرى أمكن في ذهني من هذا وهي ان أنشئ في نفسه الاستعداد للسلوك
في هذا الكون ذلك لان ما تضمنه تلك الآداب من أسس الإقدام النفسي والاخلاص
في العمل وحب الوطن أشد في قلب اليافع تأثيرا وأبلغ في نفسه موعظة من جميع
ما يقوله الحكماء ويوصي به الحكماء بل ان في نفس التبحر الذي يبدو منه في
استحسانها بذلا لنفسه لانه يخرجها من معقل امتاعها ويخلصها عن عرش ملهها
ليسويها بمن استحق الحياة استحقاقا صحيحا واني لأقنط من فلاح الطفل الذي لا يروقه
شيء وأما من آتس من نفسه التأثير بما تفسره من بهاء المنظمة وروعتها فذلك الذي
أوتيت نفسه سرّاً من أسرار الله ان فضائل الفايدين أبلغ من فضائل الحاضرين في
خلب الخيال بما عليها من مسحة القوة والبسالة وأعمال اليونان والرومان لبعدها عنا
بحسب ترتيب الأزمان يحلها البعد والغزاة ببعض الدماء التي قد تقالي بها فتجمل
لها من القيمة فوق ما تستحقه ولكن ذلك لا يزيدنا الحاجة في دعوة الناشئين الى
اجلالها واعظام قدرها واذ علمت ذلك رأيتني غير مخطئ في التمويل على تأثير الاقدمين

في رقة أفكار ولدي وتهذيب خلقه

على أني أعلم حق العلم أن جميع ما خلفوه لنا لا يدعو الى الإعجاب على النواء
فما سيديون (١) الذي جندل أنيال (٢) ودمر قرطاجة (٣) مثلاً بالبطل الذي سأسمرعي
الى سيرته ذهن «أميل» كلا بل اني سأوجه كل همي الى تفهيمه أن ما يلقي من
الجزائهم اجلالاً لوجودان الحق أعلى منزلة وأعظم خطراً من الانتصار بيض الصفاح
وسمر الزمخ وأن الحمد الصحيح انما هو في علو النفس وشرفها وسأقول له أرايت
اليوم الذي انتصرت في رومة على قرطاجة فذاك هو اليوم الذي وفي فيه ريجولوس (٤)
بهذه فانطلق الى أفريقيا وحده لا يتيه عنه الحاجة زوجته وأولاده ولا دعاء اخوانه
وأصدقائه مع علمه بأنه ملاق حتفه وساع الى هلاكه . في ذلك اليوم ظهر أن رومة
قد برزت على قرطاجة في صدقها ووفائها ولم يكن تميزها عليها في غير هاتين الفضيلتين
الا أمراً مرتين بوقت اذ كان لابد لقرطاجة من الغلب والقهـر

لا امراء في ان الجمهورية الرومانية أيام مجدها وعلوها كانت تسفر عن أخلاق
شريفة وطباع كريمة وليس كذلك حالها في عصر تدليها وانضمحلها ونو أني أردت
تعبير «أميل» علة هذا التدلي له لمعصتها في إعواز الفضائل الجمهورية إعوازا كان
سبباً لتجتاح الحكم الطالقي في رومة وطول مدته قالت أذن على الحرية ما قد
يتأهب من الاخطار المادية ولا أُرهب على رومة ان يقف بابواها التركينيون (٥) او
بورشينا (٦) يتنمون الاستيلاء عليها ما دام فيها امثال موشوس سيفولا (٧) وانما الذي

(١) سيديون واسمه ايليان الملقب بالافريقي الثاني كان رابع أولاد بيلوس أمبيل
ولد في سنة ١٨٥ ومات في سنة ١٢٩ ق م تباه عمه الذي هو ابن لافريقي الاول
من أسرة سيديون وكان علي يده انتهاء الحرب الثالثة بين رومة وقرطاجة فتم سحق
خاتمة هذه الحروب فانه أخذ قرطاجة في سنة ١٤٦ ق م «٢٥» ايال «٢٥» قائد
قرطاجة تولى قيادة الجيش في الحرب الثالثة التي سميت بين قرطاجة ورومة وبعد
انتصاره في مواقع كثيرة همم سيديون فأنجز باسم محلياً من انتقام الرومانيين
«٢٥» قرطاجة مدينة أفريقية قديمة «٤٥» ريجولوس قائد روماني قتلته القرطاجيون
لأنه أرسل من رومة الى رومة للمفاوضة في المبادلة بالأسرى «٥٥» في مجلس الشيوخ
عائداً في هذا الطلب وعاد الى قرطاجة فأتى صبراً (٥٥) التركينيون هم بعض ملوك رومة والابن
(٦) بورشينا هو ملك الروماني حاول إعادة التركينيين الى ملك رومة فهدهم موشوس



تقر شأني موافق لما ظلم ومكان النبي فأنشد علينا هو ان نحارب فيها ونجلبه
 منها فبقي عداوة الملوك الظالمين واجلاء الجيالة الفاشين ومن أحل هذا لم يك يفتح
 بروقوس إلا أن صار ان يقرأوا بطن القيصري فان قلب رومة كان مقروحا بالداء القيصري
 كان اولي بذلك الرجل وقد أراد ان يزرع تاج الملك ممن كان مستعداً له ان
 يرجع اولاً الى قلبه فيزرع منه كبر الاشراف وافقة السراة ثم يترفع ان استطاع من
 نقوس قربانه ما علق بها من الرذائل والتفائض التي تقتضي وازعاً يرد من جاحها
 ويكشف من زبائها ولولا قصيره في ذلك لاستحق ما آتاه من الأعمال الدالة على
 الشهامة والبدالة ان يفيض به صنف الخارج بل ان هذه الاعمال كان من شأنها ان
 تؤخر استنرار حكم الاستبداد ولكنها لا تستطيع ان تقوم بالامة من وهدة انحطاطها
 أحدثت في أخريات أيام الجمهورية الرومانية أحداث كثيرة شوهت محاسنها كالنظام
 العسكري الوحشي وإمداد الدماء وضرب التعذيب والإطعام الحبيسة وبيع
 النجس وزيارات ارساء الغنائم والاولاد والتعلق بمجلة الظفر على أنه كان لا يزال
 يظهر في جهات مختلفة من قرارة الدخا الممركين المنحطين بعض الاخلاق الفاضلة
 فلهذا المصنوع التي تشرف على ما حولها المياه المنخفضة ولا تقوط من ارتفاع شأن
 الحرية ما بقي في الناس أباة للضم موقدون يظفروهم في الذود عنها فان هؤلاء يشهدون
 الجهاد في سبيلها وقد يلاقون المزية فيه ولكنهم لا يشهدون اندثارها اندثاراً لا قيام
 منه وانما ترهق روح الامل من حياتها متى انحازت المقول بعد كلالها وهي صامدة
 الى حكومة دالة لكنها ساكنة مظنة تلبس للحكومة كلبا شمعت بازدياد أمنها
 وزوال مخاوفها فأفسر نظام سياسي على أمة من الأمم انما هو الحكم الاستبدادي
 المجرد من الصرامة والفسوة وكذلك كان حكم أغسطس للرومان

كان غنجب الامة في ذلك الحكم لا يزال يتنذى ببعض ضروب من الترويعية
 ككونها لا تزال خير أمة بل أميرة الأمم وكون أعلاها وألويتها لا تزال مبعجة في
 في الخارج وكونها تقتصر على المتوحشين من حين الى حين وكونها صاحبة الآلهة

سيفولافولى مذعوراً (١) موشوس سيفولا هورجل روماني أراد ان يقتل بورشنا
 ملك الرومان فآثماً قتل كاتم أسراراه وأراد يظهر لهذا الملك ثبات الرومانيين
 فوضع يده اليمنى في جذوة نار مستعرة

وجعل الكاهنات من البنات والآثار القديمة التي تروق الأجانب وكونها
جذبت بناء رومة وهي المدينة الأبدية من قواعدها إلى سقوطها — كل هذا صحيح
ولكن واحسرتنا فليست تبعه الحيثيات ولا إنشاء القلاع والحصون ولا بناء المعابد بما ينفعني عن
الامة من سقوطها شيئاً فقد بقي معبد المشتري المسمى بالقابيتول في رومة بعد فناء الرومان
ليس لي الا كلمة أقولها في شعراء عصر أغسطس وهي ان أحسن هؤلاء الشعراء
قطعا في نظر المسلمين فرجيل وهوراس فهما اللذان أحب ان يحمل كتبيهما في أيدي
الناسين أكثر من غيرها وان كان كلاهما قد تجرد في معظم ما كتب من شرف النفس
وكرامتها ألم يلاحظ من قراء غنيته (١) فرجيل ان نفس منزاهم ملكي وهو مغزى
ما كان يرد على ما أرى في ذهن شاعر زاهر الخيال في أيام الجمهورية الجميلة فقد
وصف فرجيل مدوحة السمعاني بالانسان الذي تجلت فيه العناية الالهية وتوحدت
في شخصه الامة وبأنه المنجي لأمته المؤسس لحيله ومثل هذه المساني يرى عليها أنها
موسومة بحسم الملك الذي برزت في عهده ومطبوعة بطابع القرن الذي ظهرت فيه
وسواء كانت حكمة أو قبيحة من حيث الفن فهي تشف عن حالة العقول في ذلك العصر
وتسفر عن الخطأ التي رسمتها لنفسها الحكومة الذاتية حتى في نفوس الجبارين الامة
ان أجود الأشعار وأحسنها ليس في استطاعته ان يجيب دماء النفس ولا ان
يسخر خسة الطبع وان قد كان شعراء اللاتين قدوة سيئة لحلفهم بما كان يسدر عنهم
من ضروب التلويح الخفية وأنواع الدعايح التي كانوا يطرون بها أغسطس تحقيرا
لاغراضهم وتبلا لامانيهم فأسسوا به في الدنيا من حيث لا يشعرون وظيفة الكتاب
والشعراء المترلفين على أن فرجيل وهوراس كالأمر في هذه الصناعة ولم يكن غيرها
فيها الا من أتبعهما

أخص لك ما تقدم فأقول : ان دراسة آثار الاقدمين تختلف ثمراتها باختلاف
الطريقة التي تبشر بها فاجلال هؤلاء بلا قيد ولا تغيير ولا قد يؤدي الى ما تؤدي اليه
جميع ضروب الوثيقة وهو حمار النفس وضمتها ذلك بان ما يؤثر عنهم من المحفوظات
والخرافات والكتب والأشعار الحسنة له من الظلم والتحكم في النفوس مالا تقل
الحشية منه على اللاتين عن خساسة ظلم الحكام الناشئين وبحكم الطغاة المستبدين

(١) غنيته رجيل قصيدة قالها في مدح عي وهو أمير طروادي ابن انشيز
الزهراء وسفه فيها بأنه مؤسس النسل الروماني

وبهذا يعلم الجواب من أنه : بعد اليوم من تلامذة اليونان والرومان من يلتصقون في علوم اليونان وسائل للذود عن مصالح العايرين ومصلحاتهم ومن يرومون منها دونه عا : صفة للبحرية تكلف عنها عوادي الباغين

نحن على ما قلنا من النفاص قلها احسن من الافد من حالا وأرفع شأنًا وإن جاز عنا : علي والأخلاق : كل جاز عليهم ذلك لأن فينا قوة الدوش والارتفاع الى ما اعطيتنا : ان العلم لا كبير آيسد ووجدنا فكلنا : يتأخرنا عنهم في الوجود قد أخذنا على أفسنا ان نكون خيرة منهم لان وجدنا الواجب كوجدان الحق نحو ويرتبي بمرور الزمان واسميري انه لا ينكر ما لآدمي من ضرر في التأثير في النفوس والمقول الامكار خيت الطوية ولست أريد بما قلته اسأ أصحنا هذا التمدن أكثر من الافد من أخلاقاً فاضلة وطباعاً باسلة ومصارف واسعة ونحسناً في الميل الى الحسن كلاً ثم كلاً بل أريد ان معاني العدل واحترام حق الغير قد شاعت فينا وورسخت في فخرنا ففسرنا أكثر منهم اهتماماً بان يحالفونا في المناسك والاحوال القومية والاقاليم والوان الجلود فتحن الآن من حيث كوننا من بني الانسان أقل من اليونان والرومان بعداً عن كل ما له مساس بالانسانية . اهـ

﴿ مسألة الشيخ محمد شاكر ﴾

جاء في العدد ٥٥٤٥ من جريدة الديش تونيزيين تحت هذا العنوان مائة
تشرت جريدة الديش تونيزيين الصادرة بتاريخ ٣٠ نوفمبر الأخير فصلاً ضافياً ببيان
سادة الشيخ محمد شاكر أحداً انذة جامع مناقش الذي يات بحضوره الحكومة فالتة
الى الحاضرة بناء على شكوى قدمها اليها قاضي تلك المدينة ومفتيها وبيده بامير
من وظيفة الدريس

وقد أوردنا في ذلك الفصل موضوع هذه الشكوى إذ قلنا إن الشيخ كان في ملاك
دروسه بالمجديطامن في التقاليد وبتكر المعتقدات الباطلة والظواهر الخارجية المنتهية
من خرافات المجائر ونخر صائهن وأوردنا مثلاً عليها زيارة قبور الألياء المدحوبة
بتقديم الذود على اعتقاد الخطوة بوساطة هؤلاء الألياء في تحصيل المنافع ووقاية النفات
من طواري الخدشان وقلا إلى نسب هذه الأضاليل الى ما أراق في دين الاسلام الصافي
المهل من بقايا عنائد الوثنيين وقال إن كثيراً من التقاليد التي تسير عليها بعض الطرق
الاسلامية كالمسوية مثلاً مناقضة كل المناقضة للقواعد التي بني عليها الدين الاسلامي

ولا يخفى ما يشتم على تلك العادات والمعتقدات من إيلام الأئمة عن الموضوع من
كبره التأخر ومنها عن بلوغ الشأو البعيد من التقدم والارتقاء واستبدالها بطلما
الجهل الذي يزيد تلك الأئمة أمثالها صابا على صابا.

فمن الواجب والحال هذه إنقاذ طبقات الناس من طلمات التقاليد ولبدع والمعتقدات
الفاسدة التي لا تعرض لأصحابها غير انتداع بها لتبصير سعادة الدنيا بحمل البهلاء
والسذج على الاعتقاد بأئمة من الدين وماهي من الدين في شيء بل الدين منها براء.

وقد حتمنا ذلك الفصل يوشك يقولنا «فإذا كان ما ذكرناه قد وقع فملا فانا الأمل
الوطيد في أن تقام الحكومة التونسية عن متابعة أهواء القائمين بأمر التوسع في
صفاقس من قاض ومقت بولان نطالب منها إهداء في النظر وسمعة في الصدر»

وكنا نظن أنه يكفينا مجرد سرد واقع تلك الحالة كي تكفل الوقاية من الاضطهاد
لرجل فاضل لا عيب له سوى أنه فاق عن أشباهه فوقا عظما بعد النظر وحرية للسان
وصديق القول وكان ينبغي أن يجاوز عن هذه الزاوية بالتشجيع والتعصيد

نأسف الأسف المرثكون الحكومة التونسية والذين مدعوا ناهنا إلى حتى انقذت
في عصر فلما إلى قرارات المفرد من مجلس الأمن عامندوحة عن البحث في عواقبه ونتائجه

فهما لم تكن تبطل الأستاذ عن وزير من الوزراء الأول بل سببت منه
اقتب. ما وقع الذي يفيد أنه حار عن في الملموم والفنون في الجامع الأعظم
ولدارنا أن لا نخرج ذيل الثغائل والسكوت عن هذا الحادث الذي يوجب الكدر والأسف

ليكن الشيخ محمدناكر الذي فصل من وطبقته من المتابعين في العمر كإهداء خطأ
بأنه اسود شاب في تليل العمر ونضرة السنين الأولى في التلمذ والتشريع وسح كونه

كعيب البصر كان في مقدمة طلبة الجامع الأسف بقاءه ودكا، ولإجازة المالية التي
استردت منه ظلما وعدوانا وكان ذلك الشيخ الشاب يتقي غدير الدروس المعتادة في
الجامع الأعظم علوم المدرسة الخلدونية (١) ويحاجها هنا بأعلى صوتا بأن الفضل الأول
لهذه المدرسة إلى أن من منها تلك الأفكار العالية التي انقضت عليه بسببها صواعق

غضب الطبقة المتبعة من المسلمين

ويضاف إلى سائرهم أن ذلك الشاب بما يحدث الآن في الأمر المصري من

(١) المدرسة الخلدونية التي تأسست في تونس سنة ١٨٢٥ م. وهي من مدارس دار العلوم في مصر بفتحها بفتح طلبة

القديم المسمى به، في مقدمة المتجيين بالشيخ محمد عبده قاضي القضاة في مصر (٢١)
التي هي من آثاره التي توافقت المذنبية ومن تقاتم وله مؤلفات
وسوف في آخره قد شهد به الطلاء بقصد إعادة الاسلام الى ما كان عليه من
الزواني، شاهد من التقاليد والبدع التي من شأنها أن تفرس في القلوب التعصب الشيعي
وعدم الاحكام والتسامح وتحمل بين العالم الاسلامي والمذنبية سدا منيعا

هذه الحجة تسير عليها جريدة معصرية تدعى «المبار» يكتب فيها الشيخ محمد عبده
بدون أن ينزل كتابا بهاضته وهي جريسة على ملازمة خطها هذه حرصاً بزيادة كل يوم
إن نفس الاسلامي في هذا العهد — ومنه الناشئون في تونس — قد آتوا ان
لا تكون نهضة المسألة التونسية الا بيت مثل تلك الافكار ولهذا تلقت كتابات الشيخ
محمد عبده ومقالاته بالصدور الرقيب ومن واجبات الحكومة التونسية في هذا الوقت
التي تبه التعصب فيه من سبته بالبلاد المراكشية وزعمه عرش سلطان مهم نشدة
المر الى الحديث أن تضاءل بها في وسعها من الجهد الافكار التي من شأنها بت
بنيوي الاحكام والتسامح بين طبقات العالم الاسلامي وانكنا بدلا عن ذلك عاملت
الرجل التي لم تحبس بأساً بالمجاهرة بأفكاره مسألة الساعي في غرس بذور الفتنة بل
معاملة أحقر الناس وأدناهم إذ طردته طرد الاشقياء فأصبح على قارة العرقات لا
مال في يده ولا أمل في قلبه

ولو أن هذا الرجل حاول أن يقلب معالم الدين الاسلامي أو لو أنه أبدى من
الافكار واخواته ما يخاف مبادئه قواعد هذا الدين قلنا أن الحكومة التونسية
رأت الاحتفاظ على الامر العام والسلام بين الناس فالتفتت قلبه وسيلة من وسائل
الشدة والظلمة لتكون العبرة الزاجرة وانكنا اضطهده اضطهاداً ديني الصبغة في
حين أن حمية فرنسا على تونس تفيد تصدي دولة متدنة لا فاضة أنوار العلوم على
جموع من الناس في حاجة الى التعلم والترقي وأي جناح على رجل لجأ الى الاحاديث
التبوية الشريفة مستهدداً بها على فساد ما تذهب اليه العامة من ضرورة ارسال
الهدايا الى أضرحة الاولياء لكي تنال المنافع بحسن تأثيرهم في أحوال المعيشة اليومية
قال النبي (صلى الله عليه وسلم) في حديث له «لا تتخذوا قبوري وشاة»

وحذرة لأن من ذهب الشيخ محمد شاكر سدي لا يغفر ولا يعفى عنه بسببه

(٢) المراد بقاضي القضاة المفتي الأكبر لأنه مفتي للقضاة وقد وضع له هذا اللقب ابتداء

هو معروف على الناس بمادته بخبرها مناج الزهراء والمصطفى ومن مآله مصدر آمن . مصادر
الكذب ويرون ان سيول أسرها الى التصويب اذا كانت الافكار التي يريها الشيخ
في بيها بين طيفات العامة

قلنا ان الشيخ محمد شاكر كان اساداً في صداقته وان الزاوية التي كان يقوم فيها
بوظيفته تسمى بزاوية سيدي (كراي) التي يرى العامة في الولي المرفون بها انه
الحامي لتلك البلدة وقد استغادت سلانه بشهرته فمكفوا الى الآن فيها يستأثرون بالذور
التي تقدم اليه وهم يعيشون بها طاهيا في نعم ورحاء قلما اطلعوا على ما كان يلقيه
الشيخ محمد شاكر للطلبة من الافكار المغيرة لمصلحتهم نارت عليه نورتهم فبدأوا
أولا برفع الشكوى الى كل من القاضي والمفتي اللذين استدعيا اليهما الاستاذ وأنبوه
على الحيلة التي اتبعها في التدريس فاراد الشيخ أن يقيم لهم الدليل على انه لم يمس
الدين بشيء مستهداً بالكذب مؤيداً بحجته بأقوال السلف الصالح ولكنه عتياً
ساجد في هذا الدليل لان المناقشة بينه وبين القاضي انتهت بقول هذا الاخيرة « إن
الضوء لا يأتي من اعشى » فأجاب الشيخ محمد شاكر « وأنا ادعو ان يخاض الناس من
عمالتهم » فاعتبر القاضي أن هذه الاجابة قاضية له استلزم استدعاه الى الوزارة حيث
حاول التبرؤ من الذنب الذي عزي اليه ولكنه لم يكن امامه السد خطاً منه امام القاضي
ولكن من الاسف ان الحكم عليه كان صادراً من قبل لان للقاضي والمفتي
الرافقين اركاناً في الحكومة يستندان اليهم فطلبوا الاقرار على العزل بالرغم عن
المساعي المديدة التي بذلت لديهم في صالح الموزول وقد أمضى الوزير الاول هذا
القرار بدون ان يكون مقتماً بحجة الدليل الذي انقضى له

هنا تفصيل شرح حادثة الشيخ محمد شاكر استاذ مسجد سيدي كراي . قضى
على هذا الرجل لانه شاعر على القول بان الاباطيل والبذع والتاليد دواعي الامة
وأن أرباب الطرائق الدينية يعيشون من سذاجة الأفراد وسرعة اعتقادهم وهذه
المثابة تدون التعصب في نفوسهم

ولا يسي ان حوادث مرعرت ومشاكل مراكن الحديثة ليست في الحقيقة
سوى نتيجة من نتائج التعصب الذي مادام كائنا في أفئدة المسلمين فلا بد لنا ان نتوقع
حدوث امثال تلك الحوادث . فلا فخرية اذا زاد عجبنا بعد ذلك من اضطهاد رجل
لا بد له الا ان لا ينفذ أبناء دينه من رغبة الجهول الذي قوس ظهورهم منذ
أجيال ومنهم من المشاركة في التقدم الذي يدفع بالانسانية الى الامام اه

باب الحجة على الأعداء

هو عربي كريم وولي حميم

في أوائل هذا الشهر جاء ثانياً برقي من يومي (الهند) يقول فيه مرسله ان صديقكم
(محمد عبد الوهاب باشا شيخ دارين) قد سافر اليوم الى الحجاز في باخرة
الامبراطور وسار على السويس. وقد علمت ان باخرة الامبراطور تصل الى
البحرين في (١٠ فبراير) فيمت السويس في ذلك اليوم لقاء صديق
الحسين الحبي واليه على لسانه احبني في الله بحبه للشار ورضاه عن خدمته
والتفاني في الله في امر الدين. وأحيته في الله لما تشمت في
كبره الي من اعير. الدين والاحلاس في كل ما يقول

في فقرته من الفضائل العربية. والاخلاق الاسلامية، الاثاء والوقار والشهامة
وكرم النفس والبدن. ومن كرمه انك ترى منه ابا القري يقصد ام القرى، فهو يسير اليها
ركب يباع ثلاثين رجلاً أكثرهم من جماعته وحاشيته العرب الكرام وبعضهم من
مساحي الهند. ومن كرمه انه يعد لكل غداء وعشاء الخوان، وينصب الخفان،
وفيهما ما شئت من الالوان، ومن كل قاكسة زوجان، ومن كرمه انه رأي في
السويس كثيراً من الفقراء القراء ينفون الحج واتمسون المساعدة عليه بأن يحملوا
بغير أجر في سفينة الخاصة الخديوية قراتاج الى حلاهم على نفقة وأرسل يطلب
من محافظ السويس بيان عددهم وأسماءهم وان كثروا. ومن كرمه انه لم يرض عليه
في السويس يوم أو يومان، حتى عرف منزله فقراء البلد فأتحوه من كل مكان، فألقوه
لا يرد سائلاً ولا ينجب أملاً، حتى اننا عندما على بسط يده لهم عند ما كاد يتعذر
عليه أن يذمه من بينهم، ولعمري ان هذا الجواد قد أرانا خير نموذج من كرم
خلفاء العرب وأمرائهم الاولين الذين حفظ التاريخ مناقبهم وخلد ماثرهم

وقد احذر ان يسافر بجماعته في باخرة الخاصة الخديوية (البحيرة) اذ رأى
منها من الامانة ويسير العبادة وأخبرناه ان سموه عزيز مصر قد انشأ هذه
الباخرة ليعمل دليل الحج على المسلمين وانه يسره ان تكون العبادة متيسرة فيها

للمسافرين ولذلك جعل مستخدمها من المسلمين فسر صاحبنا بذلك ورفع الى سمو
العزيز رسالة برقية يشكر سموه عنايته بإنشاء هذه الباخرة لتسهيل الحج بها على
الوقراء ويشكر حفاظة حكومته به لاسيما تحفظ السويس ووكيل المحافظة ويمتدح بضييق
الوقت عن عدم التثرف بزيارة سموه وتقدير الشكر الشفاهي فأجابته سموه بالبرق
جوابا لطيفا هذا نفسه

سراي عابدين

حضرة الأمير الجليل محمد بن عبد الوهاب أمير دارين تحت لواء نجد بالسويس
نشكر حضرتكم خالص الشكر على التماراف الذي أرسلتموه الينا ونتمنى لكم حجا
مباركا وسلامة في السفر والأقامة (عباس حلمي)

موكب الحج المصري وضمف الدين في مصر

احتفل في هذه السنة بموكب الحج المصري أو الحمل المصري كما كان يحتفل في غيرها
من السنين وما الحمل وموكبه الا تمظيم وإظهار لركب الحج ومن العار التمايم
والخزي القبيح على مصر وهي المملكة الاسلامية الثانية التي للحجاج فيها موكب رسمي
أن يكون الحجاج منها أقل من حجاج قرية من قرى نساير البلاد الاسلامية أو أقل من
الركب الذي جاء به صديقا الفاضل الامام محمد عبد الوهاب باشا من بلدة الصغيرة (دارين)
يتصدق الذين دين أنفسهم وأقلامهم قويا متين ، ودين عقولهم وقلوبهم ضعيف
مهين ، ويقولون لا لوم ولا عار على الأمة المصرية ان لم يخرج الي الحج منها في هذه
السنة الا ٢٧ رجلا فان الاعياء الذين يستطيعون دفع مافرضته الحكومة والخروج
الي الحج إختار كره « احتجاجا على الحكومة » قاله مار محصور في الحكومة !! وهذه
الحجة أضمت من حجة من جاء المسجد فوجد الباب مغلقا فترك الصلاة متذرا بان
المسجد لم يقبله ! وانما كان عذر القاعدين عن الحج من الاعياء أضمت لان باب
الحرم أو باب الطريق غير مغلق في وجوههم واذا فرضنا أن التصدق بما ذكر
نخمدار (القدار هو الرجل يسي الظن فيصيب) وكانت الحكومة تحب أن تصد
الناس عن الحج في باطنها أو بالجلاء المحتلين لها على ذلك فهل تقضي قوة الدين بان
تضمت الأمة مامها . ونجمل دينها هدفها لهما . أم الواجب عليها بذل النفس
والنفس في مقامتها وحفظ شعار الدين ، واقامة هذا الركن الركين : الامر ظاهر

والكل من ضمن الحكومة من هو أشد الناس تنظيراً وتخطيطاً عن إقامة ركن
الاسلام الذي يدعي الدفاع عنه فحسبنا انه ونعم الوكيل

سكة حديد الحجاز - وضربة لها جديدة

تلقت ارادة مولانا السلطان بأن يؤخذ قرش بجميع عن كل ورقة تقدم للحكومة في
المدية وغيرها من الدوائر سواء كانت الورقة مستقلة أو تابعة لأوراق أخرى
كلاوراق التي يجتج بها الخصماء في الدعاوى (المستندات) والمسال الذي يجمع من
هذه الضريبة مخصوص بسكة حديد الحجاز لان نفقاتها تزيد كل يوم باتساع السبل
وفي هذا المقام انه نيرة اخواننا مسلمي الهند واهتمامهم بهذا المشروع
الاسلامي الكبير ونخص بالذكر الاستاذ الهمام الملا عبد القيوم فان الجرائد الهندية
توافينا دائماً بذكر تحواله في البلاد وخطبه المؤثرة في الحث على جمع مال الاعانة للسكة
ولم نسمع بأن علماً مصرياً او تونسياً تبس بكلمة خير في هذا الموضوع، نعم ان
الحرية المنوحة للمصريين لم تقدر ان تقذف قلوبهم من الاستياد للحكومة فلو أن
حكومتهم أرادت جمع اعانة لأرادوا اولو ظنوا انها تريد ذلك لبادروا اليها كما امتعوا
عن الحج لانهم ظنوا ان حكومتهم لا تريد ان يحجوا في هذا العام وهذا وما فكيف لوه

(اصلاح لبنان - لائحة للمتصرف الجديد)

أهدنا جريدة المناظر القراء التي تصدر في البرازيل رسالة مطبوعة أو "لائحة"
من جماعة اللبنانيين المهاجرين الى صاحب الدولة مظفر باشا متصرف لبنان وهي رسالة
جلية صادرة عن فكر حي تقطع منها ما يأتي

"مولاي: الأمة اللبنانية مستقلة في شؤونها الداخلية فهل استقلت على سبيل الاستعداد؟
ينبئنا التاريخ وتدلنا الحالة الحاضرة على أن الأمة لا تحرك فيها عاطفة الاستقلال الا متى
أنفت من الرضوخ للسلطة الاجنبية وأنها لا تأتف من هذا الرضوخ الا متى شمرت
بطاقتها على ان تحكم نفسها . فالأمة اللبنانية لم تستقل على سبيل الاستعداد

"قد تقدم الاستقلال الداخلي اللبناني نبي مما يقدم الاستقلال غالباً . تقدمته
دماء ولكن ليست كالدماء التي جرت في أميركا سنة ١٧٧٥ وما يليها الى سنة ١٧٨٣ .
تقدمته معارك ولكنها ليست كالمعارك التي حدثت في بولونيا سنة ١٨٣٠ . تقدمته جهاد
ولكن ليس كالجهاد الذي حدث في جنوبي افريقية في السنوات الثلاث الاخيرة إنما الدماء

التي تقدمت استقلالاً كما دماء لبنانية لم تخرج بها غلبة من دماء جيوش الدولة المتسلطة ولا دار في خلد اللبناني في السنوات التي تقدمت استقلاله أن يخرج على الدولة التي كان ولا يزال يرفع راسها والمعارك التي حدثت قبيل الاستقلال كلها أهلية نازل فيها اللبناني أخاه اللبناني . والجهاد الذي حدث لم يخاطبه من "روح الوطني ولا نسمة دماء تمصب ومبارك صليبية وجهاد ملأني . تلك مقدمة الاستقلال اللبناني أو مقدمة المؤتمر الدولي الذي أقيم في بيروت في حزيران سنة ١٨٦١ وقرر للبنان حالة السياسة الحاضرة " فانظر يا مولاي ما هي مقدمات الاستقلال اللبناني الداخلي تعلم سر احتلال اللبناني في حكومة نفسه . سر احتلال اللبناني في حكومته لنفسه أو سر الاحتلال السياسي في لبنان هو الفساد الاجتماعي الذي كان مصدر المقدمات الاستقلال . فالاصلاح في لبنان يجب ان يكون اثنين - اصلاحاً اجتماعياً ينتهي بالاصلاح السياسي الاختياري واصلاحاً سياسياً يستمر حتى تستقر نتيجة الإصلاح الأول . ما استقلت (يا مولاي) الأمة اللبنانية وهي قادرة على سيادة نفسها ولكنها استقلت فيجب ان نجعلها اهلاً لهذه السيادة »

* *

ثم قال الكاتب بعد ان ذكر ان المصلحة العامة لم تربط اللبنانيين ولم تربطهم وحدة اللغة بل قال انه ليس لهم حتى الآن مصلحة عمومية وانهم ماداموا كذلك فهم في حكم المدمم وبعد ان اوجب البحث في سبب ذلك وحزم بأنه أهم ما يقال في الفساد الاجتماعي قال : مولاي ؟ الارض التي يسكنها الدرزي اللبناني يسكنها المسيحي اللبناني . الهواء الذي يتنشق الواحد يتنشق الآخر . اللغة التي يتكلم بها هذا يتكلم بها ذلك . اذا راجت سوق الخاسلات اللبنانية في الخارج استفاد كلاهما معاً . واذا كسدت تفسدوا معاً قلهاذا وعلام اقتلا ؟

مولاي : ما هو الفرق بين الارثوذكسي والماروني وبين كل منهما والملكي وبين كل منهم والمسلم وبين كل من هؤلاء . والشبي في كل ما هو لبناني دينوي على الإطلاق ؟ لا تستطيع يا صاحب الدولة ان تجد من فرق فما هو سبب استقلال كل واحدة من طوائف لبنان عن الأخريات فيما هو دينوي

لا يوجد في لبنان الا أربع مدارس دينية . والمدارس الدينية مشروعة الاستقلال . فهل افترض الاستقلال عليها ؟ كلا يا صاحب الدولة ان الاستقلال الطائفي تناول كل مدارس الجيل الاستمدادية والمالية . فما هي مشروعية هذا الاستقلال الطائفي في

الاسماء المذكورة من ما قاموا به من ابناء هذه الطائفة عن ابناء تلك في

شؤونهم الدينية والآداب والعلوم مشتركة كما منى اصطلاح الجمليات الأدبية
والسارية بالاندية الطائفة

اذ انهم من الحضرة العلية السلطانية على ابن ممد الطائفة بوسام أوربية عاليين
سر ابناء الطائفة تقديراً واستاء ابناء الطوائف الأخرى
المؤلف . يتفق اسم في صدر كتابه بنسبة الطائفة ومؤلفه عند مفيد عند طائفة غير
ممد عند الطوائف الأخرى

الكتاب : زكي طيب المروز . والحامي الماروني بحام المارونية . والنام الأرتودوكسي
بوسام عند الأرتودوكس فقط . والكتاب للمكي . منبر عند الملكيين فقط

هذا هو هذا التناقض هذه المواردة . هذا التناقض . هذا الاستقلال في قوم
بجموعه المصاحبة الطائفة والملاحقة هو التمسك الذي يمسك الدولة . - التمسك القديم
الذي يزين اكل طائفة في ابناءها مستقلة بمصاحبتها عن الطوائف الأخرى . ولا
مصلحة لها في الحقيقة يصبح ان تسمى مصلحة طائفة عمومية . ولا فائدة من استقلالها
في مثل ما قدما من الامانة الا فائدة رؤيتها لثباتها . فائدة استخدام هذا الاستقلال
فيما يفيد التمسك وانسياء واسدقاء باسم الطائفة . فائدة استخدام الدين في المنافع
الدنية . التمسك الذي هو سبب الاستقلال الطائفي . وهذا الاستقلال هو سبب
استقاء المصاحبة العمومية . فكيف تلاشي هذا الاستقلال لتستتب لنا تلك المصلحة .
ثم كبر . التناقض كبره بالامانة . التناقض كبره بالامانة . التناقض كبره بالامانة

في المنار في البلاد الإسلامية

بأننا من طهران كتب يقول فيه مرسله ان للنداء ذكراً سائراً في مجالس
العلماء والمجاهدين والامام العالم . ملاذ الانام . السيد محمد الطباطبائي المحقق
المشهور . قد تابع في مجلته الفاص بالعلماء في تقرير مجلسكم واتناء عليكم . وان
الواصل الممدام . علامة علماء الاسلام . الحاج الشيخ زين الدين . الملقب بملك
الواعظين . من اول واعظ ومالك على المنبر في هذه الافطار كان يعظ في شهر
رمضان في اسبوع . مع طهران الموسوم بالجامع المروزي وهو جامع كبير معروف
فيه مدرسة كبيرة لفقه وسائر العلوم . وقد اتى عليكم وقرض مجلة المنار علي

منبر الجامع أثناء الوعظ والمسجد مملوء بجماهير الناس من الحاص والعلم .
والنار يتخربصداقهذين الملمين في الامة للمحمدية ، ولا غرو فالبلاد الفارسية
جديرة بهذه الأرمجة ، فانها كانت ينبوع العلم والاجتهاد وسبق كذلك الى يوم التاد ،
وجاءنا من تونس ان الجزء الواحد من النار يدار على عشرات من الناس
وجاءنا من بلاد أخرى عربية ان أهلها لا يرجحون على فتوى النار فتوى وان
بعض القضاة الشرعيين يصد على النار في حجب بعض الاحكام ويحتج به وهذا دليل على
حياة العلم هناك لاننا لا نقول في الدين شيئا الا بالدليل فهم يأخذون به لا بقولنا
وجاءنا من بعض المدرسين في بلاد روسيا أنه سمع كثيرا صدى النار وخدمته
للإسلام وأحب ان يطلع عليه ولكنه لم يعرف اسم صاحبه فاكفى بأن يكتب اليها
باسم « النار في مصر » طالبا ارسال النار اليه . فنشكر لهؤلاء الفضلاء الاعلام
نشطنا على هذه الخدمة المليية ومساعدتنا عليها بالذعة اليها والتوبة بها

﴿ انتقاد المقتطف الاغر ﴾

فرط المقتطف الاغر كتب الاسلام والصرانية وانتقد علينا ما أوردهنا في
مقدمته من تمثيل الاسلام ينبوع تفجر في أرض ، ثم فاض في أرض أخرى فأنشأ به
أهلها حدائق ذات بهجة الح وتلطف كاتب الانتقاد الفاضل فأورد النقد بصفة
سؤال سنجيب عنه في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

﴿ تنبيه لقراء النار ﴾

قد اصدرنا الجزء التاسع عشر الذي موعده غرة شوال مع الجزء العشرين في
نفس شوال . فبعضنا سيزمنا واحدا مؤلفا من عشر كراسات فلم ننقص المنشركين
من جههم شيئا . وقد غفل عن كبر الجز . وعذا كتب عليه من العدد (١٩ و ٢٠)
بعضهم فكاتبوا يطلبون منا الجزء التاسع عشر

﴿ إزالة وهم ﴾

يتوهم بعض الناس ان مما ينشر في النار غير معزو الى أحد مما هو بقلم الاستاذ الامام
أوباباؤه وقد تذكرنا هذا عند نشر تبريد (مسألة الشيخ محمد شاكر) وبهذه المناسبة
نذكر ان كل ما ينشر في النار غير معزو وأصلا فهو صاحب النار فكر او عبارة . وهذا لا ينفي اننا
اقبنا كثيرا من المسائل العلمية التي فنشرها من معارف الشيخ في الدروس والمفاكرات
ولكن الذي نو - بياحه أن منشئ النار مستقل في عمله استقلالاً تاماً لا دخل لأحد فيه

المجلد

١٣١٥

يثبت الحكمة من بناء ومن يثبت
الحكمة فقد أتى خبراً كبيراً وما
يذكر إلا أوّل الألباب

ففسر عبّاد الدين يستمرون القول
فيتمون أحسن أوّلك الذين هداهم
الله وأوّلئك هم أوّل الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و « مناراً » كنار الطريق)

(مصر يوم السبت غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٠ - ٢٨ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٣)

مسألة النساء

(مضارّ ربية النساء الاستقلالية في الافرنج)

(تمهيد) للامم طريقان تسير عليهما في حياتهما الاجتماعية طريق الهداية الدينية مع النظر والتجربة وطريق النظر والتجربة بدون استعانة بهداية الدين. ولا يعرف التاريخ أمة من الامم أرتقت في الحياة الاجتماعية بدون دين ولكن كثيراً من قادة الافرنج في السياسة والعلم قد صرّقوا من هذه النصرانية واستدبروا تعاليمها الاعتمادية والادبية والعملية في طريق مدنيهم. مقررین أنه لا يعتمد في شؤون الحياة الاعلى النظر والتجربة مباح دون ماعداها فاشتهر في العالم أن الافرنج صرّقوا من الدين في الواقع وإنما يصرونه ويتصّبون له لأجل السياسة الخارجية وأنهم لم يرتقوا الى قنّة حضارتهم هذه الا بهذا المروق والاستدبار. وهذه شبهة أو حجة على بطلان النصرانية اذا كان الدين كما يقول المسلمون سائماً الى صلاح

الدارين، وسعادة الحياتين، ولكننا رأينا من كتاب النصارى من يقول ان الدين خاص بطلب الدار الآخرة وصراعاة تعاليمه في أمور الدنيا مفسد لها. وقد خدع بمثل هذه الأقوال والأحوال بعض المساكين الجرافين الذين لا يعرفون من الاسلام الا بض ما يرون ممن عاشوا معهم فحسبوا ان المسلمين لا يرتقون الا بمثل ما ارتقى به الأفرنج من استدبار الدين والاعتماد على النظر والتجربة اللذين هما طريق تمحيص العلم . يقيسون ديناً على دين يخالفه في حقيقة معناه وفي تعاليمه الاعتقادية والأدبية والعملية وفي آثاره الاجتماعية والمدنية ولا حجة لهم الا أن الأفرنج باستدبار الدين ناجحون، والمسلمين في الواقع ونفس الامر خاسرون، ولو أبصروا رأوا ان هذا الخسار، نعماً تولد من المروق والاستدبار . وان قياسهم انما هو قياس الضد على الضد، والله الأمر من قبل ومن بعد،

لقد سبج القلم الى ما ليس من موضوعنا في هذا التمهيد والذي نريد ان نقوله هو أن الإنسان على كونه أرقى الأحياء في هذه الارض لم يستغن ولن يستغني بنظره وتجاربه عن هداية الدين وإرشاده ولدين وثني خبير له من ترك التشدين بالرة . وأن كل أصول الارتقاء التي نبي عليها عمل مستدبري النصراية في أوربا مستفادة من الدين إيمان بقايا دينهم تقليداً وإماماً وصل اليهم من الاسلام اجتهاداً . وأنه يجب على المسلمين الذين وجهوا وجوههم للحضارة الافرنجية بالتربية والتعليم ان يترووا في نظام هذه التربية وقوانينها فلا يجماعوها تقليدية خالصة . وأنه يجب ان يكون أول هذا التروي تقوية الرابطة المالية التي كانوا بها أمة لئلا تكون التربية مفرقة لاجتماعهم مزرقة لشملهم فيكونوا كالباحث عن حتمته بظلمه . وأنه

يجب إقامة ماقرره الدين على سبيل القطع والتروي والاجتهاد فيما وكله الى الناس والاعتماد فيه على النظر والتجربة والاعتبار بسير الامم ونتائجها . وان أكبر العبر ماوقع فيه الافرنج من الامراض الاجتماعية بشذوذهم عن هداية الدين في كثير من المسائل وان انتفعوا نفعا عظيما في أمور أخرى اذا خالفت النصرانية فانها توافق الاسلام بل هي لا بد ترجع الى أصل من أصول هدايته كما تقدمت الاشارة اليه آنفا

مسألة النساء : وبعد هذا التمهيد نقول ان لدينا الآن مسألة كبيرة وهي مسألة النساء كيف يُعلِّمن وكيف يربين ليكن عوناً للرجال على الارتقاء ومجارة الامم الحية .

ان طلاب تغيير سير الامة بالتربية والتعليم قد وضعوا نصب أعينهم أوروبا وارتقاءها فمنهم من يطالب محاكاتها أو مجاراتها وهم الحكماء وبعض العقلاء ومنهم من يستحب تقليدها نظراً أو ترفاً وهم الذين أخذوا قشورا من العلوم المصرية في مدارس أوروبا أو مدارس بلادهم التي أنشئت لهذه العلوم وفتنوا بزخرف المدينة الأوروبية وبهرجها . كانت فرنسا هي القبلية الأولى للاستئانة ومصر في طلب هذا التجول لأنها أم هذه المدينة الجديدة في الغرب والشرق . ثم إن مصر وجهت وجهها في هذه السنين الى انكثارها بحكم طبيعة الاحتلال الانكليزي ومثلها الهند في هذا التوجه . ويرى هؤلاء ان الانكليز أقوم تربية من الفرنسيين ولذلك نورد لهم ما استفدناه بالمدارة والمناظرة مع بعض أهل العلم والخبرة التامة من الانكليز في مسألة النساء ليعلموا ان التروي الذي قلنا بوجوبه في التمهيد لا بد منه . ثم نتقل الى الحكم بضرورة اتباع الهداية الاسلامية في مسألة النساء والتربية

القويمة التي تنطبق عليها ليتبين لهم أن طريقة النظر والتجربة في هذا القرن لم تكن عن الهداية التي جاءت على لسان نبيٍّ أُمِّيٍّ منذ ثلاثة عشر قرناً ونيفاً الغرض من التربية والتعليم سعادة الأمة بهناء المعيشة وشرف المنزلة وإنما يطلب الهناء والشرف للحَيِّ النامي فإذا كانت طريقة التربية والتعليم تؤدي إلى قلة النسل وعدم نموه فتلك هي الطريقة السيئة وسلوكها هو الجنائية الكبرى على البشر . وتربية الاناث تربية استقلالية كما يتربى الذكور سواء مغلٍّ بوظيفة النساء القطارية . وود إلى تلك النتيجة المخيفة - قلة النسل المؤذنة بهلاك البشر

انتهت هذه التربية في انكثار النتائج الاتية (١) اعتماد النساء على انفسهن في المعيشة والكسب (٢) توجههن الى الاعمال الخارجية أي التي تكون خارج البيوت وتنافي تدير المنزل (٣) رغبة الكثير منهن عن الزواج بالمرة وقال بعض أطباء الانكليز إنه عرف بالاختبار أن نحو اربعين في المئة من النساء كذلك . وقال بعض أطباء فرنسا إن اناث البشر كالاناث سائر الحيوانات الاصل فيهن الرغبة عن مباشرة الرجال الا في وقت مخصوص وهو وقت الاستعداد لقبول التلقيح وان ما عدا هذا فهو عارض على البشر وبين أسبابه وذكر أن هذا العارض يكون في بعض الافراد مرضاً من نوع (المستيريا) وليس هذا محل شرح أقواله .

(٤) أن أكثر النساء المتعمات المتربيات يكرهن الأمومة إما لما في الحبل والولادة من المشقة والتعب وإما لاضطرارهن الى ملازمة البيوت في معظم مدة الحبل والرضاعة اذا هن أرضعن أولادهن والبيوت صارت في نظرهن كالسجون لتعودهن على كثرة الخروج . وإما لاحتياجهن في ذلك الى

نفقات كثيرة تعوزهن أو يفضان التوسع بها في الترف . ومنهن يذهب في ذم الأمومة مذهب الخيال الذي يلتبس عليهن بنظريات الفلسفة أو تقاليد الدين المسيحي في جعل الانسان ملكوتياً فيقلان ان الحمل والولادة من صفات الحيوانات فيدبغي الترفع عنه . وهذه جهالة بمعنى الانسان وما هو الا حيوان أرق من سائر الانواع في جنسه . وليس في استطاعة الخيال أن يخرج عن كونه حيواناً وان استند الى الفلسفة او الدين

(٥) انه قد فشا في النساء تناول الادوية لمنع العلوق وللإسقاط بمدح محقة
(٦) ان البنات قلما تزوج في أول طور الاستعداد للأموومة وهذا التأخير من اسباب عسر الولادة لأن الاعضاء في طور الخدانة تكون مرنة تتمدد بسهولة فدادن العن قات هذ المرونة المسهلة للولادة . ويزيد العسر عسراً ضعف الاجسام بالإفراط في الترف والنعم فصار من الضروري ان لا تلد المرأة الا وهي مخدرة بالكلوفورم وبمساعدة اطباء

(٧) ان الولادة قلما تنتهي بسلامة من مرض خطر فهذه سبع نتائج بعضها سبب لآخر واضيف اليها نتيجتين عامتين في النصارى وهما

(٨) ان المرأة ملزمة في عرف النصارى بان تدفع لمن ترغب في الزواج به مهراً وكثيراً ما يصير عليها ذلك فتضطر الى التبتل أو البقاء

(٩) ان الرهبانية مشروعة للنساء كالرجال ومعدودة في الفضائل الدينية عند اكثر النصارى . فهذه سبع أسباب من اسباب قلة النسل ومقدمات انقراض الامم . وما عدا الاخيرين منها فهو من آثار التربية الاوربية . ولما كانت فرنسا هي السابقة في هذه التربية النسائية ظهر فيها قلة النسل واطباؤها وساستها في حيرة من أمره . وستبها انكثرا في ذلك

بعد ستين ، وإن خفي ذلك على المعجيين تربيتها من الشرقيين
 وإذا التفتنا الى جانب رجال نراهم في انكسار يأخذون يأخذ الذين
 سبقهم بهذه المدينة الفاسقة في فرنسا فأكثر الشبان يرغبون عن الزواج
 بالمسافة والمخادنة ولا يكاد أحدهم يتزوج حتى يناهز الأربعين سنة أو
 يجاوزها ثم هو لا يود أن يكون له ولد كثير وإنما يبتغي وليا يرث ماله
 ويحفظ اسم بيته ان كان من اصحاب البيوتات ولا يكره ان يكون له ثلث
 يخلف الاول اذا هو درج فإن عزربثاث احمله وكره كرها شديدا ان
 يزيد ولده عن عدد « الاقاييم الثلاثة » ويتفق مع زوجه على الاجهاض اذا
 كانت ودودا ولودا

ولا تحسبن هذا العياح والمويل من ساسة فرنسا وبعض كتبها في
 الشكوى من قلة النسل عامة في الامة بل الاكثرون يرون ذلك شرطا في
 سعادة الامة كما يرونه شرطا في سعادة البيوت فان الامة التي يتضاعف
 سكانها في مدة قريبة لا تلبث أن تضيق بها بلادها وتضطرب الى المهاجرة الى
 بلاد دونها لتعمرها وتغالب اهلها عليها وفي ذلك من الشقاء استبدال الدار
 الخربة بالدار العاصرة . ويقولون إن الدولة لا تشكو من قلة النسل حبا في
 الامة ولكن طمعا في مباراة الدول المستعمرة فالسبب في ذلك طمع الملك
 الذي لا يكتفون ببذل رفاهة الامة في سبيله وإنما يبذلون ايضا أموالها
 ودماها . لهذا يمسر على مثل فرنسا ان تعالج هذا الداء الاجتماعي
 القاتل مادامت على هذه الطريقة في التربية والتعليم وفساد العقيدة
 وحرية الفسق والفجور

بقي علينا ان نلغث لغثة نائلة الى البيوت ننظر كيف يعيش الزوجان

الاذنان نظراهما منفردين او وصفنا من حالهما منفصلين . يتوهم الفتونون بمدينة أوروبا ان السعادة المزاجية ، ونعيم الميشة الزوجية ، يوجدان في الغرب حيث توجد العلوم المالية والتربية المشتركة بين الصنفين . ويتوهم أكثر الذين قرأوا ذلك الوصف البليغ المؤثر للحياة الزوجية السعيدة في كتاب (تحرير المرأة) أنه وصف منتزع من البيوت الاوروبية فمنهم من يتنى مثله بتربية مثل تلك التربية وتعليم مثل ذلك التعليم ولا مانع لنا منه كما يقول الكتاب . ومنهم من يرى ان المسلمين محجوبون عن تلك السعادة بحجاب النساء وانه لا سبيل اليها فما لنا الا ان نسأل الله ان يعوضنا عنها في الآخرة ما هو خير منها

الحق الذي لا مصرية فيه ان هناء الميشة الزوجية لا يتحقق الا بتحقيق أمور (احدها) ادعان المرأة بأن الرجل هو سيد المنزل ورئيسه وانها هي تابعة ومروسة له . ولا تدعن في نفسها هذا الادعان الا اذا تربت عليه واعتقدته ديناً (ثانيها) ثقة الزوجين بالاختصاص بأن يعقد الرجل انه لا يشاركه أحد في زوجه وتعتقد المرأة ان زوجها لا يختلف الى غيرها من خدن أو بنين . وهذان الامران متحققان في الشرق بالدين أكثر من تحققهما في الغرب . ولا استثنى من الشرق مصر التي هي أفسق بلاد الشرق وأكثرها فساداً في البيوت (المائلات) . (ثالثها) المشاكلة في الطباع والمقاربة في السجايا والافكار . وهذا الامر ظاهر في الغربيين وهو في الشرقيين كذلك في الغالب . ومن غير الغالب بعض المتعلمين من المصريين فانهم لا يجدون في النساء من يقاربهم في أفكارهم . وهم الذين يشكون من حال النساء ويطلبون تغييرها بتربية وتعليم جديدين وان رغبهم تأثيراً كبيراً في

الامة لانها موافقة لرغبة الحكومة وسميها . والعمل على هذا وان أنكره
بالقول الا كثرون

نم يجب ان يكون النساء على مقربة من الرجال في الافكار والاخلاق
والمقاصد والرغبات فالبلاد التي انتشر فيها تعليم البنين ينبغي ان ينتشر فيها
تعليم البنات حتى لا تتسع مسافة الخلف بين الصنفين ولما في التربية والتعليم
من القوائد الكثيرة ولكن يجب علينا ان لا نتبع خطوات الاروبيين
قدما بقدم وأن لا نحتذي شاكلهم حذو القذة للقذة بل علينا ان نتوق من
أول السير كل ما رأيناه سيئ العاقبة فيهم وذلك يرجع الى أصول أهمها
تربية الاثني تربية استقلالية تامة وتعليمها كل ما يتعلمه الذكور فهذان
الامر ان ينافيان إذعانها لسيادة الرجل باطنا وظاهراً ويغضان اليها ملازمة
اليوت وهي وظيفتها الطبيعية الشرعية التي ليس لها تركها الا لسبب
مقتض كما أنهما يرضانها لتدنيس عرضها وإهانة شرفها الذي لا تسمو
عند الرجل ولا تملك قلبه الا به .

وحسبي ان أقول في التربية النافعة للنساء يجب ان تكون إسلامية وأن
أقول في تعليمهن الاول انه كتعليم الرجال أي ينبغي ان يعرفن مبادي
العلوم المدرسية كلها وأما ما رواء هذا فيجب ان لا يتوسمن الا فيما يلزم
لليوت من تدبير ونظام وتربية أطفال . ومن ذلك صنائع اليد والحياطة
فعلم مما تقدم انه يجب علينا التروي في تربية البنات وتعليمهن وان لا تقلد
فيهما الغربيين تقليداً أعمى لاسيما فيما يحظره علينا ديننا فقد تبين بسير العلم
والتجربة في أوروبا عدة قرون ان كل ما خالفوا فيه الاسلام كان ضاراً فقد
رجعوا الى الطلاق الذي كانوا يمدونه من اضر الامور في الاجتماع البشري

فصاروا يعدونه مثلثاً من ضروراته وتدبدبوا يشعرون بأن تعدد الزوجات من ضرورات الاجتماع أيضاً ووجد من نسائهم داعيات اليه لاسيما في بلاد الانكليز حيث يزيد عدد النساء على الرجال ضعفين فيكثر الزنا ويكثر عدد النساء اللواتي لا عائل لهن كما بيناه في مقالة مستقلة بالنقول والشواهد عن جرند انكلترا (راجع ٤٨١ م ٤) ولنا ان نعتبر أن تأييد سير الممران وحوادث الزمان لاحكام الاجتماع في الاسلام من جملة الدلائل والبراهين على صحة أصله وكونه وحياً من الله تعالى لا وضعا من حكماء البشر كما يتوهم الممحدون . وقد طال بنا الكلام والمسألة تحتاج زيادة في البسط نرجئه الى فرصة أخرى

باب رد الشبهات عنه الاسلام

(أحياء الاسلام لمدينة اليونان والرومان والمصريين)

ذكرنا في آخر الجزء الماضي ان المقنطف الاغرفظ كتاب (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) وانتقد في تقريره التمثيل الذي أوردناه في مقدمة الكتاب مورداً انتقاده في صورة سؤال يستحب أن يسمع جوابه ان كان عندنا جواب ، وها نحن أولاء نوافيه بما يجب بهد ايراد السؤال أو الانتقاد . قال الكاتب الفاضل بهد ذكر اسم الكتاب ونسبته الي من نسب اليه : « وهو مقالات نشرت في مجلة المنار الإسلامي ثم جمعت على حدة في كتاب . قال حضرة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في تمهيد وضعه لها ما نصه :

« ينبوع تفجر في أرض وقاض مأوّه على غيرها فأحيا الأرض بهد

موتها ولكن القميين على حراسته وتماهده وضمه وأفوقه ألقاها آمن خراب
 حيرانهم ففيض الماء وما بقي منه سائر من شققات تحشى - ولم يلبث بعد
 ما غاض أن قاض منه شيء في موضع آخرى فأنشأ أهلها به وحافظوا عليه
 ولكن الأكثرين منهم لا يعرفون من أين جاءهم كان أكثر أهل اليونان
 المنتسبين إليه بالاسم لا يعرفون أن ذلك الماء الذي تقبر من تلك المواضع
 فأنشأ أهلها به حدائق ذات بهجة هو من ماء ينبوعهم وأهم لو أزلوا عنه
 تلك الاتقاض لقاض وزجع اليهم به خصصهم وندبهم كأحسن ما كان لأنهم
 تعلموا من غيرهم كيف يستخدم الماء الأحياء . ذلك مثل المسامين اليوم مع
 الامم القريبة الحية الراقية . أخذ النريوت من الاسلام كل أصول
 الإصلاح لذي هم فيه .

(ثم قال الكاتب بعدما نقل هذه الجملة ما نصه :) « وباحيدنا لوبيس
 لنا حضرة الاستاذ القاضل من أين أتى الماء الذي أحياء مدينة اليونان والرومان
 فأنشأوا به الحدائق والجنات والماء الذي أحياء مدينة المصريين الأقدمين
 فبقيت آثارهم الصناعية الى الآن لم يقو ملوك العرب على محوها مع ما بذلوه
 في ذلك من العناء وآثارهم الأدبية مرسومة في صنائع الصخر وتعلم اسمي
 الفضائل وأفضل الآداب »

❖ جواب المنار ❖

كننا بالأوس أو بالأوموس نرد شهابات بعض المتكلمين على موائد
 العلم ، والمتجهين على النظم في الاسلام غير فهم ، ونحن اليوم إنما نذكر
 علما غير المادع واسع الاطلاع ونناظر أدبا ذكي ، لو ادق دقيق الاتقاد ،
 الا أن قلبه عثر في هذا الميدان وقد يكبو الجواد ؛

من حسنات المقتطف أنه ينتقد الكتب التي يقرؤها ولا يتبع سنن الجرائد في مدح كل ما يهدى إليه من كل وجه وإن كان مذمومًا من وجوه كثيرة . وانتقاد الكتب التي تنشر بين الناس أمر نافع ولكنه وعمر المسلك لأن وقت كتاب المجلات والجرائد قصير يضيق عن قراءة كل ما يهدى إليهم من المطبوعات لانتقاده ولأن أصحاب تلك المطبوعات من المؤلفين أو الناشرين يألمون من الانتقاد وإن كان حقًا ومقننًا . وبعض الانتقاد يؤلم الجماهير من الناس إذا كانوا على خلاف رأي المنتقد . فالنصدي للانتقاد مع هذه الوعورة في طريقة يمد فضيلة توجب الثناء والشكر على من يعرف فوائد الانتقاد في تجلي الحقائق وتحري الصواب وتضيح العلوم والفنون . ولقد قلت من قبل قولاً في ذلك كشفت به عما في نفسي وهو : سواء غندي من مدح قولي ومن انتقده لأنني في حاجة إلى معرفة ما يستحسن منه وما يستقبح على سواء بل ربما كنت أحوج إلى معرفة موضع النقد ، مني إلى معرفة موضع الحمد ، لأن هذا أبحث على إصلاح العمل ، وأهدى إلى توقي الزلل ،

أما عشرة المقتطف فهي ظاهرة لأول وهلة في تحميل التمثيل عن موضعه فإنه صريح في كون الكلام في « المسامحة » يوم مع الأئمة القريبة الحية الراقية » لأمع المصريين الأولين ، ولا مع اليونانيين والرومانيين ، وصريح في كون الأئمة الحية أخذت من ينبوع الإسلام كل أصول الإصلاح الذي هم فيه . وهذه المسألة المجملة في مقدمة الكتاب مفصلة بعض التفصيل في الكتاب نفسه ولذلك لم يطلب المنتقد بيانها لأنه طلب تحصيل الحاصل أما مدينة مصر بين اليونان والرومان فالناقد يعلم أنها قد ماتت قبل

ظهور الاسلام وإن بقي لها آثار تدل عليها ويعلم أن الاسلام أحياءها بعد موتها فأنشأ أهله - لا أهلها - بها حدائق العلم والعمل في بغداد ومصر وقرطبة أو في الشرق والغرب والوسط ومن هذه البلاد انتقل العلم والمدينة الى الامم الغربية الحية بلا نزاع

ولم يكن الكلام في ذلك التمثيل في المدينة الصناعية وإنما كانت في الإصلاح البشري أي الإصلاح الذي ارتقت به عقول البشر وتهذب نفوسهم وتوثقت روابطهم الاجتماعية وعرف بعضهم لبعض حق الانسانية فإذا كانت تلك الامم التي سبقت الاسلام بالمدينة الصناعية وبن أهلها أهرا ما لم يبين مثلها المسلمون فالاسلام قد أفاد البشر ما لم تقدمه تلك الصناعة أفادهم ارتقاء في العقول علمهم أن تلك الأهرام وما يشابهها قد بنيت باستعباد البشر وأسر أرواحهم وأشباحهم وتسخير الملايين منهم لخدمة شهوة ملك من الملوك الظالمين أو لخدمة وساويه الدينية

علمهم أن تلك المدينة كانت تسحر إمامها المحصور في طبقة مخصوصة أبصار الأمة وتحيل للناس ما ليس له حقيقة فتستبرههم وتحملهم على الخضوع الاعمى لأولئك الرؤساء الضالين المضامين ، الفارين المغرورين

علمهم كيف يحكمون على اليونانيين بفساد الفكر في الخضوع لآلهة لا وجود لها الا في الخيال وتحكم تلك الأوهام في مدنياتهم وحربهم وصناعتهم فيبطل جوبيتر الذي يدهش الناظرين بدمع صناعته هو آية على أن تلك المدينة الصناعية كانت مقترنة بضلال العقل وفساد الفكر في المسائل التي يتنازعها البشر على النحل والنمل الأبيض والتكبروت وهي حاسرات أتت أمهالا من الصناعة كانت فيها من أسيادة الإنسان كما يقول بعض العلماء

علمهم كيف يحكمون على شرائع تلك الأمم وقوانينها بالظلم وهضم حقوق الإنسان بما يفضلون شعوبهم على سائر الشعوب في الحقوق فإنه لم توجد شريعة وضعية ولا سماوية معروفة قبل الاسلام تسوي بين أهلها وبين جميع من يقبل حكمها من المخالفين وإن كانوا قوما معادين « ولا يَجْرِمُكُمْ شَتَانُ نَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَمْلُوا أَعْدَاؤَهُمْ أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى وَانْقَرُوا اللَّهَ إِنْ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » وهذه الآية من سورة المائدة التي هي آخر القرآن نزولا ومعناها لا تحمِلُكُمْ معاداة قوم على ترك معاملتهم بالعدل فإن العدل واجب مع الولي والعدو لأنه من تقوى الله الخبير بالأعمال والمجازي عليها . والمصريون كانوا يستحلون ظلم غير المصري بل يُعَبِّدُونَهُ تَعْبِيداً لِمَلِكِهِمْ كَمَا فَعَلُوا بِالْأَسْرَثِيلِيِّينَ . وكذلك اليونان والرومان وهذا تاريخ اليهود شاهد بأن الرومان قد ظلموا الأسرثيليين ظلماً يضاوي ظلم المصريين لهم . فإين هؤلاء وأولئك من معاملة الاسلام لليهود . فقد تمت الذكرى في الجزء الماضي بمساواة عمر بين علي بن أبي طالب (وما أدراك من هو) ورجل آحاد اليهود . وعندنا ما هو أعظم من ذلك وأشرف

روى الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي وغيرهم عن زيد بن سمينة وكان من أخبار اليهود أنه ابتاع من النبي صلى الله عليه وسلم تمرا إلى أجل وأعطاه الثمن فلما كان قبل الأجل بيومين أو ثلاثة أتاه يطالبه بالتمرا (قال) . فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ ثم قلت ألا تقنينيني يا محمد حتى فوالله إنكم يا بني عبدالمطلب مُطْلَبُونَ فقال عمر : أي عدو الله أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك : ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظرني إلى

عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال : أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك يا عمر -- أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضي اذهب به فاقضه وزده عشرين صاعاً كان ما رُعته « ففعل ثم أسلم هذا الخبر الجليل وقال بعد ذلك إنه فعل ما فعل ليختبر أخلاق النبوة وعلاماتها فلما رآها كملت فيه عليه السلام آمن به

وجملة القول إن الإسلام علم البشر أصول السعادة الحقيقية التي لم تكن معروفة عند المصريين ولا اليونان ولا الرومان وأهمها (١) صقل العقول بصقال التوحيد الخالص وتطهيرها من صدى الخرافات والأوهام ليكون الفكر مستقلاً فيما يمتد يرفض التقليد ويعتمد على البرهان . و (٢) بيان أن للكون سنناً ونواميس ثابتة ينبغي أن يهتدي بها الانسان في سيره العلمي والعمل . و (٣) توسيع دائرة الجنسية بجعل شريعته تساوي بين جميع الامم والملل اذا قبلوا حكمها وقد كانت جنسية المصريين مصر واليونانيين أثينا والرومان رومية و (٤) القصد في المعيشة فقد اسرف القوم في الشهوات اسرافاً صاروا بها حراً من البهائم

ولو شئت أن اسرد محاسن الاسلام وأعدد مساوي تلك المدينيات القديمة خرجت من جواب سؤال الى تأليف اسفار كبيرة وقد نشرنا في الجزء الماضي نبذة معربة من كتاب أميل القرن التاسع عشر في انتقاد آداب اليونان والرومان وفيها عبرة لمن اعتبر

فإن قيل ان النصرانية قد سبقت الاسلام الى إخراج اليونان والرومان من ظلمة الوثنية أقول أولاً إن النصرانية لم تنتشر في تلك الامتين الا بعد ما دخلتها الهي الوثنية ولما كفها فربهم من التوحيد لانها نقلتهم من عبادة مخلوقات

كثيرة الى عبادة مخلوق واحد على أن فيه معنى من الألوهية مركب من ثلاثة أقانيم . وثانياً أن النصرانية لم تجتمع مع مدينة الأمتين وإنما أجززت عليها حتى حمت تلك العلوم قبل أن تبلغ كمالها ، وطمست تلك الاعمال الصناعية وشوهت جمالها ، وما زالت في تدل وانحلال ، حتى جاء الاسلام فانتشها من برائن الانحلال ، ذكر المؤرخون أن المسيحية تمكنت في أثينا أثناء القرن الخامس وفي أول القرن السادس قطع يوستنيانوس أجرة المعلمين الدوميين في أثينا ومنع تعليم الفلسفة لأن المدارس كانت مضرّة بالنصرانية ومن ذلك الوقت أخذت أثينا بالانحطاط

ونختم القول بنف من التاريخ في مساوي وخرافات اليونان والرومان الذين يباري المقنطف بهم الاسلام . قال في برهان البيان : « بينما كان الرومانيون يحتفلين بعمل موسم تشريف لروح قيصر إذ ظهرت نجمة ذات ذنب طويل ومكثت سبة أيام فظنت الأمة الرومانية أن روح قيصر صعدت الى السماء ، وتصورت بهذه الصورة وانظمت في سلك العالم العلوي » !!
فلولا وجد من الروانيين من يقول كما قال النبي الامي (عليه الصلاة والسلام) لقومه عند ما كسفت الشمس يوم مات ولده ابراهيم وظنوا أنها كسفت لموته : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكشفان موت أحد ولا حياته »

وجاء في ذلك التاريخ أيضاً : كان من ثوابت عادات اليونان وأهل آسيا بناء هياكل للملوك بل ولكبار الحكام ليكون ذلك أقوى في الدلالة على الانقياد والعبودية . وأما الرومانيون فكانوا يعبدون اسلافهم في معابدهم الخاصة فقط : ثم ذكر انه من عهد رومولوس الى عهد قيصر لم ينتظم أحد

في سلك الآلهة التي لها هياكل ومعبدين عامة
ومن ظلمهم ان طياريوس اخذ القانون القاضي بمقوبة كل من يذهب
الى الامة الرومانية آله للانتقام كما يشتهي . وكانت الامة استمدت لذلك
من زمن اغسطوس الذي سلب الامة حق التشريع والحكم في الخانات
الشريفة التي السادت في عهد طياريوس الذي سلب الامة حق الانتخاب
أيضا لانه كان يعاقب كل من منهم قول أو عمل . شارح هذا المبدأ على الامة
وكل الامة كانت عبودا ولا بد للناس من التذلل لغيرهم . وفي ذلك
هو الاشارة الى انهم يحاسبون الناس على خوارهم وما يقبضونهم . ولم يكن
التضامن بينهم في حكم على المتهم بأدب . وكانوا يعاقبون على أمور
لا تخطر في بال أحد من أهل الممالك المستبدة التي فيها يشبه تلك النظام
اليوم . من ذلك ان طياريوس اخذ رجلا ذيع بينه وكان فيه صورة لاهوت بطور
وان دوميانوس حكم بالقتل على امرأة علم أنها رعت ثيوبا امام صورته !!
فهل كانت تلك المرأة متبرئة في ملاحبتها الى يسوع المذنب الذي سلبت
يستوي فيها الخليفة مع أدنى السوقة من غير المسلمين في الحدوق . نعم إنها
كانت في أشد الحاجة اليه ولذلك انتشروا الاسلام بسرعة البرق

وقال صاحب برهان البيان : ولما كان الرومانيون منسودين على
التلاعب بالطبيعة البشرية في أولادهم وأرقائهم كما تعلم ذلك من قوف على
قوانين الرومانيين المتعلقة بحكم الآباء والامهات على أولادهم كان لا يمكنهم
غالباً معرفة مانسيه إنسانية وهي فضيلة الرفق وإذا كانت عادة الملة
الجبر والفسوة في الحالة الداخلية الملكية فكيف ينتظر منها الرفق والعدالة
الطبيعية . وكثيراً ما يطلع القاري في تاريخ القياصرة على قتل أناس كثيرين

لقصد مجرد ضبط أموالهم للدولة: — ثم قال — : ومن نظر في صرّة تاريخ الرومانيين رأى فيها صور الأشياء البشرية فيجد في هذا التاريخ كثيراً من الحروب الواقعة والدماء المسفوكة والألغام المدمرة ولوقائع الجسيمة، والنصرات العظيمة، والتدابير الجمة، والحكمة البالغة، والاحتراس والثبات والشجاعة. ويجد فيه أيضاً تصميم النية على التغلب على كل شيء وأنه حصل كما ينبغي واستمر وانتهى كذلك وأنه لم يترتب عليه إلا إسعاد خمسة رجال أو ستة من الأشرار: نقول: قبل كانت مثل هذه المدينة محتاجة إلى ينبوع العدالة الإسلامية لإصلاحها وإحياء النفوس التي أمتأها الظلم والجبروت، ثم كانت في أشد الحاجة إلى هذا الإصلاح ولذلك قبلت الإسلام بسهولة. ونسكت الآن عن الكلام في فساد أخلاق الرومانيين وتهتكهم في الخلاعة والفسق وانفاسهم في الترف والملاذوفساد أخلاقهم الشخصية فقد أوغلوا في ذلك إغلا مدهشاً ثبت أن أرواحهم ماتت وكانت محتاجة للإحياء. وهنا يخطر في بال القارئ أن النصرانية هي التي سبقت لإصلاح نفوسهم وإحياء مدنيّتهم التي أمتأها الظلم والفسق ونقول إن النصرانية مهدت بمحض التمهيد للإسلام ولكنها لم تكن محمية بل كانت مجبرة على تلك المدينة كما أشرنا إلى ذلك في مسألة مدينة اليونان

(تأثير النصرانية في المدينة الرومانية)

جاء في تاريخ القرون المتوسطة أن النصرانية لم تكد تنتشر وتقوى في بلاد اليونان والرومان ومنها بلاد مصر حتى رأى رؤسائهم واجب هدم الحياكل وكسر التماثيل ونحو الصور اليونانية والرومانية لأنها آثار الوثنية فقاموا بها الواجب حتى محوا آثار صناعة البناء والفنون الجميلة أو كادوا ولولا

أن بعضهم رأى تحويل بعض الهياكل الى كنائس لما بقي لتلك الامم أثر في الوجود . وقد أصدر تاودسيوس أمراً رسمياً بهدم الهياكل وتكسير الصور سنة ٣٩٠ للميلاد . ثم رأوا أن في علوم تلك الامم خطراً على النصرانية فظفقوا بحرقونها في كل مكان فقد أحرقت مكتبة الاسكندرية بأمر تاودسيوس سنة ٣٩٠ للميلاد وأحرقت مكتبة اوكتوغونه في انطاكية سنة ٤٧٦ للميلاد وحملت الحمية الدينية لاون اللوزرياني على تحريق ما بقي من الكتب سنة ٧٣٠ . وكان في هيكل ابولون بلاتين بمدينة روميه مكتبة فيها أنفس كتب الآداب من عهد غسطوس فكانت غيرة البابا اغرغوار وتقواه عاملتين على إحراقها وحرمان الناس من تلك الوديعة التي جعلها العالم وارون في حياة إله الشعر وكنفه . (على اعتقادهم)

والامر الذي لاخلاف فيه هو ان انحطاط الامة الرومانية كان مقارنا لانتشار النصرانية فيها . فالوثنيون الرومانيون كانوا يقولون إنها هي السبب في ذلك الانحطاط والنصارى يقولون ان ذلك كان لأسباب سابقة ولكن لماذا أجهزوا على تلك المدينة ولم يصلحوها وينقوها من أضرارها بدلا من محوها وطمس معالمها وماذا أبى النصارى للعرب : ما بقوا لهم إلا نذر ما من الكتب أحيوها به أمّا تمهيد النصرانية للإسلام الذي أشرنا اليه فهو إضعاف تلك الوثنية وإضعاف تلك الحمية الجاهلية وذلك السرف في الترف بالفلو في الزهادة والاعتطاع الى العبادة ثم إضعاف الامة بالخلاف في الدين والتنازع بين دولة القياصرة ودولة الرهبان والاساقفة والقسار هؤلاء ومحكمهم بنحرفاتهم في الامة فالذي مكن المسلمين من الانتصار على قباة الامم على سيرة قسوة هو إلزام القسيسين القيصر بآسيا الأول المندوني بأن يشغل الجيش ببناء كنيسة

القديس ميخائيل وكذلك الرُوماء خلفه القيصر ايون بأن يشغل عسكر
الاسطول بمثل ذلك فيسير بذلك للمسلمين الاستيلاء على جزيرة لنوس
وأما خلافهم في عبادة الصور وما نشأ عنه من التنازع والفشل حدث عنه
ولا حرج فثبت بذلك ان النصرانية قد زادت اليونان والرومان جهلا ووهنا
فكانه بذلك في أشد الحاجة الى ذلك البدوع الذي فاض في أرض العرب
وتفجر ماؤه على غير هافأحياء البلاد والعباد كما هو شأن الانهار والينابيع تنفيض
من مكان وتحيي ما تسير اليه . وصح عثمانى حتى على الوجه الذي صرفه
اليه . كنور الدخان محرر المدطاب الانغري . وهذا جواب سؤاله بالاختصار

لاحقة سجل جمعية ام القرى

يقول (السيد القراني) انه بعد نفري الجمعية نحو شهرين ورد الي من صاحب
الماء في كتابات تذكر فيه انه بعد مفارقتها مكة المكرمة اجتمع بأمير جليل فاضل من
أعظم سلاة الامه ورجال السياسة . فاستطلع رأي الامر في شأن النهضة الاسلامية
وبعد ان دار بينهما حديث طويل تحقق من حاله سمو فكر الامير والتهاب غيرته
ذكر له اطلاع على سجل جمعية ام القرى واشياء من مذاكرتها ومقرراتها فاطهر
الأمير سرورده من الخبر وشديد شوقه الاطلاع على السجل الذي ذكره له فشدت
وعده ما عارته نسخة من السجل ثم ارسلها اليه وبمدايام تلافيا فدارت بينهما المحاوراة الآتية
قال الأمير : أشكر لك أيها صاحب هذه الهدية العزيزة وبالله إله أحييتنا في
طعامه لك المذاكرات النفيسة التي لم أتمالك ان أتركها تلك الليلة حتى آتيت على
آخرها ثم في الايام التالية أعدت النظر فيها بالتدقيق .

قال صاحب : يظهر من عبارة مولاي الأمير استحسانه كيفية تشكل الجمعية
رائدانه من مجرى مذاكراتها .

قال الأمير : كيف لا أعجب بذلك واعلم اني كنت أعني انقاد جمعية يتضافر
أعضاؤها على مثل هذا المقصد وتكون فيهم المزية التي ظهرت على رجال هذه الجمعية

الذين حلوا المشكلة حلا سياسياً ودينياً مما وكنت استبعد وجود أكفاء كهؤلاء .
وأعظم إيماني هو في هذا الرجل المائب بالسيد الفراتي كيف اهتدى في رحلة قصيرة
مع اقامته أياماً فلائيل في مكة لانتخاب هؤلاء الاعضاء الاجلاء .

قال صاحب : لا بد ان يكون هذا الرجل مخلصاً في قصده فأعانه الله عليه كما
ورد في الخبر : اذا أراد الله أمراً هياً أسبابه : فاعل في الاقدار شيئاً آن أو انه
قال الأمير : نعم الاقدار دلائل وتعم التناذر .

قال صاحب : اود ان استفيد من مولاي الأمير هـ عنه المعجزة بهذه الجمعية
ومذاكراتها لأصح رأي في بعض النقابات الخالصة في فكره السياسي من اذن لي
أعرضها عليه مسألة مسألة

قال الأمير : قل واعني أقف على مالم اتجه اليه .

قال صاحب : يظهر أن أعضاء الجمعية ليس منهم بعض من السياسيين الحكيمين
فلو وجد ربما كانت تأتي القرارات أهدأ حكماً .

قال الأمير : لا أشئ أن في الامراء والوزراء المسلمين المعاصرين من هم أعلى
كعباً في السياسة من بعض هؤلاء الاعضاء الذين تمت آراؤهم عن عدة المذاهب
وسمؤفكر ومد نظر مع ملاحظات السياسة الدينية والحالة العلمية والتدقيقات الاخلاقية

قال صاحب : أرى ان الجمعية اعطت لمبادئ السياسة الدينية الموقع الاول وقد
أصاب على ان السياسة الادارية أيضاً جديرة بالاهتمام فتزل بدون تدبير كاف

قال الأمير : لاشك ان السيادة الادارية مهمة أيضاً وقد باتت الجمعية بها وان كان
رأت أفضل وسيلة لحصول الغلوط هي رفع علة الفتور لان التفت مباحاتها ان علة
الفتور هي الخلل الذي فحوات اهتمامها لجهة العلة حتى اذا زالت العلة زال الغلوط
ومع ذلك لم يترك السيد الفراتي في فصل الأسباب الادارية شيئاً من أهيات أصول
الادارة الا وأشار اليه بما يعني عن تفصيله

قال صاحب : أرى ان بعض الأعضاء كاعلم النجدي والمجاهد البهيزي قد اسهب كثيراً
بما كان يرشده يعني عن باقيه

قال الأمير : اني اذ اوجدت الاستعداد كناناً مع ما كان في الامر وقد تفرقة
اليهما الخال منذ قرون كثيرة فصار إصلاحهما وردعهما الى اسماهما من أهداف
الأمور وفي مثل ذلك لا بد من الاسهاب في البحث والتعميق فيه ألا يرى والله المثل

الاعلى كيف جاء القرآن الكريم بألف أسلوب في تأييد التنزيه والتوحيد والحث على اتباع الكتاب والنبي دون التقليد .

قال صاحب: إني أرى أيضاً بعض مكررات في المذاكرات خلافاً لما قاله السيد الفراتي ولذلك أرى أنه لو أهتم ذو غيرة في اختصارها يكون حسناً

قال الامير: اتى لا أوافقك على هذا أيضاً لأنك إذا دقت النظر لتجد مكررات وانما هي آراء فلا بد أن يعاد فيها بعض ما سبق وعلى كل حال هذا سجل قد ضبط فيه ما وقع فلا يجوز اختصاره والتصرف فيه وإني أرى من أكبر محاسن هذه المذاكرات أن جاءت مباحثها متسلسلة مترقية فكل موضوع فيها يتلوه ماهو أهم منه فلا يعل منها سامع ولا مطالع .

قال صاحب: ماهو رأي مولانا الأمير في القانون الموضوع لأجل تشكيل جمعية تعليم الموحدين هل هو قانون محكم الترتيب وهل هو قابل الاجراء والتطبيق على الاحوال الحاضرة والمتظرة

قال الامير: القانون هو أهم ما اثرته الجمعية وقابل الاجراء مع الصعوبة قال صاحب: لا أدري هل أصابت الجمعية أم أخطأت في تعليق أكبر أملاها في اعزاز الدين بالعرب دون دولة آل عثمان وملوكها العظام قال الامير: لا يفوتك ان مطمح نظر الجمعية منحصر في النهضة الدينية فقط وتؤمل ان يأتي الانتظام السياسي تبعاً للدين ولا شك انه لا يقوم بالهدي الديني ويفار على الدين أمة مثل العرب

قال صاحب: أليس دولة راسخة الملك إدارة وعسكرية وسياسة وافرة القوى مالا وعدة ورجالاً تكون أقدر على تمحيص الدين وإعزازه من العرب الضعفاء من كل وجه . واذ قدألفت الامة سماع لقب خدمة الحرمين قديماً ولقب الخلافة أخيراً في حضرة السلطان العثماني فلا تستكف عن الادعان الديني له بسهولة .

قال الامير: إن حضرة السلطان المعظم يصلح ان يكون عضداً عظيماً في الأمر أما اذا أراد ان يكون هو القائم به فلا يتم قطعاً لأن الدين شيء والمملك شيء آخر والسامعان غير الدولة

قال صاحب: ما فهمت المراد من أن الدين غير الملك وان السلطان غير الدولة فهل يفضل مولاي الأمير بإيضاح ذلك

اقتسام فارس كي لا يجاورهم ملك سني . وقد سمعوا في اشراف خمس عشرة دولة وحكومة إسلامية ومنها أنهم أغروا وأغابوا الروس على التاتار المسلمين وهو لاندع على الحياة والمزدين . وتعاقبوا على تدويع الحب فهاكموا الى الآن عشرات ملايين من المسلمين يقتل بعضهم بعضاً لا يميزون فيما بينهم ديناً ولا اخوة ولا مروءة ولا انسانية حتى ان المسكر العثماني باغت المسلمين مرة في صنعاء وزيدهم في صلاة العيد وهذا السلطان محمود اقتبس عن الافرنج كسوتهم وألزم رجال دولته وحاشيته بلبسها حتى عمت أو كادت ولم يشأ الا انزاله ان يغيروا منها الاكمام رعاية للدين لانها مانعة من الوضوء أو مسيرة له . وهذا السلطان عبد الحيد رأى من مؤيدات إدارة ملكه اباحة الربا والتخور وابطال الحدود . ورأى مصالحة في قهر الاشراف وإذلال السادات بالعلم ، ففرض الذنابات ففعل .

وفي هذا المقدار كفاية لإيضاح قاعدة ان مؤيدات الملك عند السلاطين مقدم على المحافظة على الدين . أما صفة خدمة الحرمين وألفة مسامع العثمانيين للقب الخلافة فهذا كذلك لا يبعد الدين وأهله شيئاً وليس له ما يتوهم البعض من الاجلال عند الأجانب (١)

ولو ان السلطان المظلم أخذ على نفسه تأييد الدين بما أمده الله به من القوة المادية بدون استناد الى حجة معنوية لتمكن من ان يخدم دينه ومايكه حقاً خدماً مقبولة عند الله مشكورة عند المؤمنين كافة ولرفعت له راية الحمد في شرق الارض وغربها واحترمه الابيض والاحمر وعظمه المسلم والكافر . وأظهر أنه قد قرب اليوم الذي ينتبه فيه فيترؤى في الأمر فعمل على الاعتماد على غير الماديات وبطرب على فم بعض الفاشين المتماقين الخاشين الذين ينسبون حضرته الى ما لم ينتسب هو اليه ويشتمون عنده عوى ماداعها قبل أحد من أجداد الظالم بوجه رسمي

وهؤلاء الفاشيون يفرون حضرة السلطان بهاء الدينوى بمساير فون به عليه وبما يؤفونه هم وأعوأهم من الكتب والرسائل التي يعزون بعضها لأنفسهم وبعضها لغيرهم من المنافقين أو لاسماء يسمونها أو كتب يخلقونها فيجعلون تارة آل عثمان المقام يتصلون اسماً بعتبار من عقاب . ضير الله عنه وأخرى يرفون نسبهم الى أعالي

(١) الجانب لا يتفوهان بل السلطان ابنه الامام ما يريدون إقامة الحاجة الى المسلمين المحكومين لهم ببعض أعماله في ملكه

قرئ ويعلونها حق الخلافة مرة بالتنازل والإدلاء من العباسيين وأخرى بالاستحقاق والوراثة وآونة بالمهدو أخرى بالبيعة العامة وحيناً بخدمة الحرمين الشريفين ووقتاً بحفظ المخطافات النبوية . وكان هؤلاء الفعاشين يريدون بهذه الدسائس أن يجمعوا حضرة السلطان نظيرهم دعي نسب كاذب كدعواهم لأنفسهم السيادة ومتسمم مقام موهوم كدعواهم الولاية والقطبانية في أنفسهم وآبائهم وأجدادهم فيحشون في تلك المؤلفات أنساباً اتخذوها لأنفسهم مقرونة بنسب السلطان ويستطردون لحكايات كرامات لأجدادهم ملفقة مخترعة لا يعترف بها لهم أحد من المسلمين يدسونها بين حكايات وقائع الخلفاء والسلطين

ومن المعلوم عند أهل الوقوف ان التلقب بالخلافة أو الامامة الكبرى أو إمارة المؤمنين في آل عثمان العظام حدث في عهد المرحوم السلطان محمود اذ صار بعض وزرائه يخاطبونه بذلك أحياناً فقتنا في الاجلال وغلواً في التعميم . ثم توسع استعمال هذه الألقاب في عهد أبيه وحفيديه الى ان بلغ ما بلغه اليوم يسمى أولئك الفعاشين الذين يديفون ويقودون السلطان المأسر لاتزل عن حقوق واسعة سلطانية لأجل عنوان خلافة وهمية مقيدة في وضعها بشرائط ثقيلة لاتلائم أحوال الملك ومعرضة بطبيعتها للثقل والارتفاع والخطر العظيم ولذلك لا يزال السلطين أنفسهم الى الآن يابون التلقب بالخلافة رسمياً في منشوراتهم ومسكوكاتهم وانما تمنعها أفواه البعض فيلوكلها التركي تعظيماً لقومه والعربي نقاداً لسلطانهم والمصري اتباعاً للمرائين والهندي اعتزازاً بالوهم والاخي هزواً ومكراً بخلاف سلطان صراكن وأمير عمان وإمام اليمن المتنازعين في هذا المقام رسماً للمقاطعين لأجبهه على انهم قد شمعوا او كذبوا يشمعون بضررهم السياسي في ذلك ولا نعلم متى يخاق الله من يدعي في إقناعهم خيماً بترك هذه الدعوى الداعية للانفراد والتخاذل ويرتب بينهم قواعد محافظة الاستقلال السياسي ومراسم التبريزات والمحاطبات وروابط التعاون والاتحاد بصفة سلطين وأمرء كما آل اليه الأمر على عهد الخلفاء العباسيين مع السلطين الحارزمية والديلم والابوسيين وغيرهم

ثم قال الامير وقد هللني إشارات الديالفراني في كلامه على الجامعة الدينية تحت لوا الخلافة ان أفكر في القواعد الأساسية التي ينبغي ان يبنى عليها ذلك فلاح لي ماقيده في هذه المفكرة وأخرج من جيبي ورقة قرأها وعند ختام مجلسنا استفسرنا منه وهذه صورتها .

- (١) إقامة خليفة عربي قرشي مستجمع للشرائط في مكة
- (٢) يكون حكم الخليفة سياسة مقصوداً على الحطة الحجازية ومربوطاً بشورى خاصة حجازية
- (٣) الخليفة ينيب عنه من يرأس هيئة شورى عامة إسلامية
- (٤) تشكل هيئة الشورى العامة من نحو مائة عضو منتخبين مندوبين من قبل جميع السلطات والإمارات الإسلامية وتكون وظائفها منجذبة في شئون السياسة العامة الدينية فقط
- (٥) تفرع الشورى العامة مدة شهر في كل سنة قبل موسم الحج
- (٦) تترك الشورى العامة يكون مكة عندما يصادف الحج موسم الشتاء والطائف في موسم الصيف
- (٧) تفرع الشورى يوم افتتاح كل اجتماع على انتخاب نائب الرئيس ورئيسه الخليفة
- (٨) أمين وشيخ الشورى العامة بقانون عام من قبله هو وصدق عليه من قبل السلطات والإمارات
- (٩) يرتبط سلطة الخليفة بشرائط مخصوصة مألوفة لا تسرع بناء على أنه إذا تمسدى رداءها يرفع من رتبة ثلاث سنين يما جدياً البيعة
- (١٠) انتخاب الخليفة يكون منوطاً بهيئة الشورى العامة
- (١١) الخليفة يطلع قرارات الشورى ويراقب تنفيذها
- (١٢) الخليفة لا يتدخل في شيء من الشؤون السياسية والإدارية في السلطات والإمارات مطلقاً
- (١٣) الخليفة يصدق على تولية السلاطين والأمراء التي تجري احتراماً للشرع على حسب أسلوبهم القديمة في وراثتهم للأولادة
- (١٤) الخليفة لا يكون تحت أمره قوة عسكرية مطلقاً ويذكر اسمه في الخطبة قبل أن يخطب الإمام ولا يبدل في المسكوكات
- (١٥) شاملاً الأمن في الحطة الحجازية بقوة عسكرية تتألف من ألفين إلى ثلاثة آلاف من جنود المنطقة ترسل من قبل جميع السلطات والإمارات
- (١٦) تكون الترتيبات العامة للجنود الحجازية منوالة بقائد من قبل أحد الإمارات الصغيرة
- (١٧) تكون القامات تحت أمر هيئة الشورى مدة اعبادها
- (١٨) هيئة الشورى تكون تحت حماية الجنود المختلطة

أما وظائف الشورى السامة فيقتضي أن لا يخرج عن تمحيص أمهات المسائل الدينية التي لها تماق مهم في سياسة الأمة وتأثير قوي في أخلاقها ونشاطها . وذلك مثل فتح باب النظر والاجتهاد تمحيصاً للشرعة وتيسيراً للدين وسد أبواب الحروب والغارات والاسترقاق اتباعاً لمقتضيات الحكمة الزمانية . وكفتح أبواب حسن الطاعة للحكومات العادلة والاستفادة من إرشاداتها وإن كانت غير مسلمة وسد أبواب الانقياد المطلق ولو لمثل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . وكفتح باب أخذ العلوم والفنون النافعة ولو عن الخوس وسد باب إضاعة الاوقات بالبحث ونحو ذلك من أمهات المنجيات والمهلكات

ثم قال الأمير ويمثل هذا الترتيب تحل مشكلة الخلافه ويتهدل عقد اتحاد اسلامي تضامني تماواني يقتبس ترتيب من قواعد اتحاد الألمانين والاميريكانيين مع الملاحظات الخاصة . وبذلك تآمن الحكومات الاسلامية الموجودة على حياتها السياسية من الغوائل الداخلية والخارجية فتتفرغ للترقى في المعارف والعمران والازروة والقوة بما لا بد منه لانجاة من الممات . وما أجدر الامارات الخيرية بالسبق الى مثل هذا الاتحاد

قال صاحب : يستشف من ظاهر فكر مولاي الأمير انه لا يجوز الاستكال على الملوك العثمانيين العظام في أمر الخلافه علاوة على السلطنة

قال الأمير : أي أستاذي لاطف شئائهم وتعظيمهم الشئ الدينية ولكن التمسحة للدين استلزم قول الحق وعذري أن آل عثمان العظام أنفسهم اذا تدبروا لا يجدون وسيلة لتجديد حياتهم السياسية أفضل من اجتماعهم مع غيرهم على خليفة قرشي قال صاحب : أخذت رأي أمير أحد أعداء الجمعية أنه لما رأى السيد الفراتي يميل للتشقيع عن سياسة العثمانيين واستقالة الجمعية عنهم لا لهم ذكر له مرة ذلك متلوماً وقال له : ألا ينبغي ستر أحوالهم وإدغامه عنهم لانهم أعظم دولة اسلامية موجودة ؟ فأجاب به بأن ذلك كذا قال ولا أن فيه إفرير المسلمين تركهم متكلين على دولة ما توقفت لنفع الإسلامية بسبب في عذره ان إيماناً بل أضرتهم بسبب الخلافه السياسية المجمع عليها وتخریب ما بين العرب وإثاء الأمة بدواها شر في أوروبا ومدافعاتها عنه وان لا تقصد بكشف الحجة والبرهان غير ان الله العزير والامانة المستغلة على ما يهمل المسلمين بسبب عدم التأمل . ثم قال له :

يسألونك وقد تركوا أوقود النار بين يديهم يدورون في الدمارين . وتركوا المذاهب بين

عمره الممتد من ، وتركوا تراثي ملكهم طعمة للمعتقلين ؟ أمّا أن لهم أن يستقظوا
ويصحبوا من تادم على ما فرطوا في الثرون الحالية فيتركوا الخلافة لأهلها والدين
لجانه ويحفظون هم على بقية سلاطنتهم ويكتفون بشرف خدمة نفس الحرمين وبذلك
يتقون الله في الاسلام والمسلمين ؟

وقد أيقنا أنه غير متعصب للمرب وانما يرى ما لا بد أن يراه كل حر مدقق
يتفحص الأمر من أن الفيرة على الدين وأهلته والاستعداد لتجديد عز الاسلام
محصران في أهل العيشة البدوية من العرب اذ يرى أن المائنة الالهية قد حفظتهم
من انك لا مضر الأخلاقية التي لا دواء لها كفالج الحرية في الحاضر باعتبار أهلها انهم
الأمم من الامراء ويكفهم البرية في المدن بوضعهم التماس في عدم ربانها الاستمتاع ،
وكطاعون الحياة في بعض الأقوام بفتحهم المواط الميث للأخلاق الشريفة دفعة الذي جزى
الله أهله بخصب الفارض بهم بظهور لها منهم . وكواب الشاط في أهل الاراضي
الجملة حيث يعمل لا ينشوا فيفسد أخلاقهم فيفسد الدنيا والآخرة .

قال الامر : نعم الرأي ونعم التدقيق

من الله سبحانه . ان ما ذكر من حصر صد الخلفاء في خليفة فرنسي في
مكة ترتبط به جميع السلطات والامارات الاسلامية ارساطاً دينياً وما وصف من
تسليم الدولة لسلطة الامم المتحدة لادراك الدين لأمر عظيم جداً . والنسب أن
الدول المسيحية التي لها رعايا من المسلمين أو المجاورة للمسلمين تحذر من أن يجر
هم التامة الدينية الى رابطة سياسية بولاء حروباً دينية فعمد هذه الدول الى عمل
الدعائم والوسائل لمنع حصول هذه الارتباطات بشرة فما هو التدبير الذي يقتضي اتخاذه
أمام هذه الدول من ذلك

قال الامر : لا يفكر هذا التفكير غير القسطنطين وأحزابه الجزويت وأمثالهم أما
رأي النصارى في تركيز الدولة في يد رجل واحد ، وهي الدول العظام التي يهيم التفكير في
هذا الشأن في علمهم التبعات الآتية هي :

(١) ان المسلمين لا يتصورون أبداً لاسيما في زمان يتم فيه النصارى عن نصرانيتهم

والتفكير في تركيز الدولة في يد رجل واحد وجوابعهم عن الفتن من الجاهل

من النصارى من الذين أقرب من غيرهم للألفة وحسن المعاملة والنيات
على الميث . فلذا أرشد أولئك السياسون لأن يضموا الى معرفتهم هذه علمهم أيضاً

بالاحكام الاسلامية في مسألة الجهاد التي يهينونها علما يستخرجونه مما عندهم من تراجم القرآن الكريم لامن مؤلفات متعصبين الفريقين حيث يجدون نحواً من خمسين آية بأساليب شتى كلها تنهى عن الإلحاح في الهداية الى الدين فساداً عن التشديد والالزام بالقتال كقوله تعالى «لنك لا تهدي من أحببت» «وجادعلم بالتي هي أحسن» «لست عليهم بمسيطر» ويجدون آيتين في التشديد احدهما (فاصدع بما تؤمر) والاخرى (وجاهدوا في الله حق جهاده) وبمراجعة أسباب نزول هاتين الآيتين يعلمون انهما نزلتا في حق المشركين والكتائب من العسب ولا يوجد في القرآن ملزم لا اعتبار عمومية حكمهما . واذا دققوا البحث يجدون أن ليس في علماء الاسلام مطلقاً من يخصص معنى الجهاد في سبيل الله في مجرد محاربة غير المسلمين بل كل عمل شاق نافع للدين والدنيا حتى الكسب لأجل العيال يسمى جهاداً . وبذلك يعلمون أن قصر معنى الجهاد على الحروب كان مبنياً على إرادة الفتوحات والتوسل للتشجيع حين كان مجال للفتوحات كما عطي اسم الجهاد مقابلة لاسم الحروب الصليبية التي أشعل نارها المسيحيون ثم بعطف نظرهم الى التاريخ يجدون أن العرب منذ سبعة قرون لم يأتوا حرباً باسم الجهاد وما كانت تعديت اساطيل إمارات الغرب الا من قيل القرصان الذي كان مؤثوقاً عند جميع امارات الارخبيلين العقلي واليو نان وكلهم انصارى . اما غارات التتار على شمالي اوربا وغارات الترك على شرقها فكذلك ليست من نوع الجهاد ولا من الحروب الدينية . وانما هي من ماعقات غارات البرابرة الشماليين على أوربا . ويجدون انهم كما أغاروا على اوربا أغاروا على البلاد الاسلامية ثم أسلم التتار وحننت اخلاقهم اما الترك فإذ ادقق الاوروبيون في سياستهم يجدونهم لا يقصدون الا تناد للدين غير التلاعب السياسي وقيادة الناس الى سياستهم بسهولة وإرهاب أوربا باسم الخلافة واسم الرأي العام . وعدم اشتراك البلاد العربية في المذبح الارمنية الأخيرة برهان كاف على أن الاسلامية بمنزل عن المجافاة لأن العرب يفهمون معنى القرآن فيدينون به . وقد يندهش الاوروبيون اذا علموا أن السياسة التركية لم يوافقها أن لترجم القرآن الى اللغة التركية الى الآن .

ولدى رحال السياسة دليل مهم آخر على أن اصل "الاسلامية" لا يستلزم الوحشة بين المسلمين وغيرهم بل يستلزم اللامعة وذلك أن العرب انما حلوا من البلاد جذبوا أهلها بحسن القدوة والمثال لدينهم ولقنهم كما أنهم لم ينفروا من الامم التي حلت بلادهم

وحكمهم فلم يهاجروا منها كعدن وتونس ومصر بخلاف الأتراك بل يتبرون دخولهم تحت سلطة غيرهم من حكم الله لانهم يدعون الكلمة ربهم تعالى شأنه « وتلك الأيام نداولها بين الناس » (كذا) فاذا علم السياسيون هذه الحقائق وتواهبها لا يجحدون من الخلافة العربية بل يرون من صوالجهم الخصوصية وصوالج التصرائية وصوالج الانسانية أن يؤيدوا قيام الخلافة العربية بصورة محددة الخطوة مربوطة بالشورى على النسق الذي قرأته عليك.

ثم على فرض أن الدول ولو المسلمة أرادت عرقلة هذا الأمر فهي لا تقوى عليه لأن أفكار الأمم لا تقاوم ولا تصادم على أي لاطن يمثل فرنسا أن نتخذ رأي أنصار الجزويت لاسيما بعد أن تعلمت من الانكليز كيف تسوس المسلمين فأبقت تونس أميرها فاستراحت مما عانت قبلا في الجزائر بسبب السياسة التعصبيه الخرقاء قال صاحب : أستشف من كلام مولاي الامير ان امه ضيف في تشكيل جمعية تعليم الموحدين مع انه معجب باتقان التدبير.

قال الامير: ان دون تشكيل الجمعية عوائق مالية شتى وأرجو الله تعالى أن يزيلها. قال صاحب : اتني جاهد في الوقوف على خبر السيد الفراتي ولعلي أنظر بمعرفة فاجتمع به أو أكتبه فهل لمولاي الامير رأي أو أمر أبلغه اياه اذا ظفرت به .

قال الامير : نعم اذا ظفرت بمرفته فاقربه وفي السلام وبلغه عني هذه الجمل وهي اني أني على صدق عزيمته . وعلى حسن انتخابه رفقاه وأوصيه بالثبات والإقدام ولو طال المعال . وأن يحرص على إبقاء علاقته مع أعضاء جمعية أم القرى باستمراره على كتابتهم . وان لا ينقطع من مساعدة القسطنطينية أو مصر أو مراکش أو طهران أو كابل أو حائل أو عمان لاسيما بعد انعقاد جمعية تمام الموحدين ورسوخها .

قال صاحب : اذا ظفرت به ان شاء الله أشيره بحجة مولاي الامير وأبلغه كل مأمر به.

﴿ انتهت المحاورة ﴾

يقول (السيد الفراتي) قد ألحقت هذه المحاورة بسجل المذاكرات وكتبت بها الى باقي الاخوان سوية بشأن حضرة الامير المشار اليه وشكراً على غيرته وتبصيراته واقتضاراً بحسن ظنه ولفظه في هذا العاجز وتبشيراً لجناحه وللمسلمين بأن جمعية أم القرى قد أحكم تصورها وتأسيسها فهي بمثابة الحلي القيوم الابدي حية قائمة أبداً

﴿تذكرة﴾

ربما يتأخر تشكيل جمعية تعالج الموحدين مدة فلنأمل من الجمعيات الإسلامية الموجودة في الهند وقازان والفرم ومصر وغيرها أن لاتأفف من تنوير أفكارها بمباحث هذا السجل فتقتبس منه مايناسبها وتتخذ القانون والوظائف مثالا وذكري

﴿رجاء﴾

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وعنده شمة حمية ومروة فلا يجتنب عن جمعية أم القرى وأعضائها بقصد إبدال سوءها بالخير ليعلم أن بدءه وإن طوارف الافلاك أقصر عن الإضرار بها إلا أن الحمية في أمان الاخلاص ولا يبحق المكر السيء إلا بأهله

﴿توبين﴾

أعلم أسراء الشقايد وورثة الأوهام ومعظمو العظام ومؤلفو العظام أن تأنهم من سمة بعض هذه المباحث لما ألفوه عمرهم هو تأن مبالغت لا يلبث أن يزول متى شئوا بهنولهم وكموا الحكمة والإصلاح وتأنوا بسبق الايمان وناسق اقرآنا وحيي لهم الحق ويندمون كأنهم قبلهم الاولون فيتوبون ويتوب الله عليهم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

﴿اعلان﴾

من أحب أن يجتهد مقاصد جمعية أم القرى برأي فائق أو عمل مهم أو رغب في تعاضدها شجاء أو مال وأراد مساهلة الجمعية أمكنه أن يرأس وكالة الجمعية بدون اسم بل برسالة كتاب معنون إلى دينه إلى صندوق البوستة عدد

وأذا أراد التخفي يمكنه أن يكتبها أنه لا يسجل عناق ثم بعد أخذته الجواب الاول يستعمل الكتابة المجففة الموضحة في الجدول التذييل به هذا السجل

والذين يرجى منهم المسيد مهم كذا مرات الاعضاء العظام والاعضاء الكرام فلهم أن يطالبوا رسولا من قبل الجمعية ليوضح لهم ما يستحقون (انتهى)

(المنار) قد انتهى كتاب سجل جمعية أم القرى وما الحق به وقد كما التقينا مع جامعه السيد المرآبي (تقدّم الله رحمة) على أثره في المنار بتصرف مختص بتصحيح عبارته وحذف مساوي الدولة العملية (أيدها الله تعالى) منه ثم استحسن فضلاء القراء عدم كتاب مبي من غير مبدع ولستة منار إلى الآن ان يتقوا بأنهم طاموا على هذا السجل كله بعبارة أصح الاجالة واحدة ذكر فيها خديو منسوبة من حو لمساعدة الجمعية ولا يبدل الخاتمة الرسمية

باب الاسئلة والاجوبة

(س ١) أحوال الآخرة : على اقسدي مهيب بتفتيش التاخرافات بمصر : جاء في كتاب الاحياء الامام الغزالي في باب العقائد من الجزء الاول أنه لا يقبل إيمان العبد حتى يؤمن بالأموال الآتية وهي (١) سؤال منكر ونكير (٢) عذاب القبر (٣) وزن الاعمال يوم الحساب : ميزان ذى كفتين وصنح (٤) صراط ممدود على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف (٥) حوض مورود لمحمد صلى الله عليه وسلم (٦) شفاعة الانبياء والعلماء والشهداء (٧) فضيلة التي عليه الصلاة والسلام على جميع الناس ومن بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي . فهل كل ذلك صحيح ثابت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم كما يقول صاحب الاحياء أريدونا أنيبكم الله ونفعل بكم كما (ج) : إننا ذكر الغزالي ما ذكره في أصول الاعتقاد على الوجه الذي عليه الأشاعرة وأنشأ إلى الرسع على مخالفتهم من المعتزلة والشيعة . وبمنشأ أهل السنة الذين أولوا ما ورد في بعض ذلك . والغزالي لا يقول بكفر أولئك المخالفين للأشاعرة بل صرح في مواضع من كتبه (لا سيما كتاب إلجام العوام عن علم الكلام) بأن التأويل إذا مات ولم يعلم بتلك المسائل التي اختلف فيها المتكلمون من الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم لا يخل ذلك بآيمانه . ومن تلك المسائل اختلف في صفات الله تعالى هل هي عين لذات أو غير الذات والاختلاف المعروف في كلام الله تعالى الخ فكيف يكفر أهل القبلة بعدم الإيمان بالمسائل التي ليست من أصول الدين وعقائده كالتفاضل بين الصحابة . فقله : أنه لا يتقبل إيمان أحد حتى يؤمن بما أخبر به (النبي) بعد الموت : صحيح فإن أركان الإيمان ثلاثة الإيمان بالله وسفاته والإيمان بالنبوة والإيمان بالآخرة وأحوال الآخرة تعرف بالسمع فكل ما صح بالآثار وجب الإيمان به قطعاً وكان إنكاره كفرًا بشرطه . يؤخذ على ظاهره المفهوم من أسلوب اللغة إذا لم يكن من الآعتقائيا فإن كان ظاهره محالاً فاعتقاد المحال غير مكلف به في الإسلام فلذلك تأول ذلك أن نقوض . وإن كان ما ورد غير متواتر فجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فلا يكفر منكره . ومن ثبت عنده الحديث وجب عليه الإيمان بمضمونه . وإن رواه إذا كان ظاهره غير مقبول حتى يطبق على وجهه . يقول وإنما ما فصله الغزالي بعد تلك الكلمة الصحيحة في اجابها فلا يريد به أن هذا التفصيل شرط في نفي الإيمان والحساب يريد أن هذا هو الراجح عند أهل مذهبه

ولذلك أشار الى توجيهه والرد علي مخالفه في ركن السموات من الفصل الثالث في
لوامع الأدلة ولم يذكر هناك الخوض وفيه أحاديث صحيحة وأما وصف الصراط بما
ذكر فقد رواه مسلم عن أبي سعيد موقفا عليه فإنه قال يا بني لم يرفعني الى النبي
صلي الله عليه وسلم ولكن رفعه أحد من حديث عائشة واليهيقي في الشعب والبعث
من حديث أنس وضمنه والمأولون يقولون ان الصراط هو صراط الدين أي طريقه
ورد عليهم بقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم ولكن الآية لا تدل على ان المراد
بالصراط ما كان بذلك الوصف

وأما الميزان فلم يرد في وصفه بما وصفوه به من الكفتين واللسان والصنح أحاديث
صحيحة . وفي القرآن ذكر الوزن والموازين قال بعض المفسرين انه اجمع . وروى .
والأكثر على أن هناك وزنا حقيقيا وذهب بعض الى انه تمثيل المراد به العدا
قال تعالى « ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا » روى
الطبري من طريق أبي نجيع عن مجاهد أنه قال : « انما هو مثل كايحجر الوزن
كذلك يحجر الحق » ومن طريق أبي بن أبي سالم عنه أنه قال « الموازين العدل »
وقد نقل هذا القول عن غيره من السلف كالضحاك والأعمش . ولما أخذ المعتزلة بهذا
القول عسف بهم وصار ينسب من يقول به الى الانزال حتى قال ابودود عن أبي سلمة
عثمان بن مقسم البري المحدث الثقة الصدوق : انه قدري معتزلي : وما كان معتزلا الا انه
أنكر الميزان . والمقصود من هذا القول أنهم لا يقولون بكفر من خالف الجمهور في هذه
المسائل فحين بهذا أن ما ذكره الجمهور في وصف أحوال يوم القيامة بالتفاصيل المعروفة ليس
شرطا في صحة الايمان بحيث يكفر من لا يمتدعه وما ورد فيه ليس كله قطعي الثبوت والدلالة
والأسلم في الأمور الغيبية أن لا يبحث الانسان في كيفية بل يستعمل بما ثبت في النصوص
القطعية ويفوض الأمر في الكيفيات الى علم الغيب والشهادة ولا يمتدح عملا عقليا

﴿ الجمهور والاسرار بالصلاة وخطبة الجمعة والعيدين ﴾

(٣) و. ز. في سوريا : لماذا شرع الجمهور بالقراءة في الفجر والركعتين الاوابين
من المغرب والمساء ؟ والنا كانت خطبة الجمعة قبل صلاتها وخطبة العيد بالعكس كما عرفت
لازمت ملجأ للإسلام

(ج) إنما الجمهور في الصلاة التي أصلي في وقت الظلام غالباً فقد جاءت السنة
الصحيحة بأنهم كانوا يمسرفون من صلاة الصبح ولا يكاد يرى بعضهم بعضاً . ومن

(الجوهرة الوسطى) ثم انه لما رأى في هذه السنة اقبال المدارس على عقيدته فقبحها وألف رسالة أخرى سماها الجوهرة الوسطى ساك فيها مسلكا لطيفا في التبصرة والاستئلال. ينبغي أن يختص بتلامذة المدارس الثانية أو العالية وقد طبعت الرسالتان معاً بحرف دقيق في شكل صغير فكانتا ١٢٠ صفحة فتصيح لمدارس مصر الأهلية بأن تقرأ هذه العقيدة في مدارسها وتقرأ قرشاً صحيحاً

(كتاب لسان الصدق جواباً للكتاب المسمى ميزان الحق في الرد على انصارى) تأليف الشيخ علي البحاراني أحد علماء الامامية الأعلام في الهند وهو كتاب جليل في بابه محكم الوضع قوي الحججة حسن الترتيب فيه مقدمة في اثبات الصانع وصفاته واثبات الرسالة أشار فيها الى ضمنف مذهب الاشعرية وغيرهم في بعض المسائل ويتلو للمقدمة ثلاث مقالات في كل مقالة مقدمة وعدة مناطق يرد بها على القسيس مؤلف كتاب (ميزان الحق) ومن مباحث المقالة الأولى اثبات النسخ في الشرائع والتحريف في التوراة والانجيل وبيان كون القرآن يعني عنهما، ومن مباحث المقالة الثانية تفنيد دعواهم اتفاق اليهود والنصارى في ما عدا الاعتقاد بالمسيح وبيان تناقض الانجيل وابطال ألوهية المسيح. ومن مباحث الثالثة تفنيد مطاعنهم في القرآن وفي النبي عليه الصلاة والسلام. وبيان بشارت كتبهم به. والكلام في الأحاديث النبوية. والجلهاته لم يترك مطعناً من مطاعنهم الا وفده وأزال شبهتهم فيه. ثم ختم الكتاب بخاتمة في اثبات مذهب الإمامية وجعل في آخرها قصيدة أشار فيها الى مطالب الكتاب ومباحثه. وذلك ان فرقة الشيعة أشد عناية من سائر المسلمين بالدعوة الى مذهبهم

وقد كان الكتاب لاج في الهند طبعاً سقياً كسائر المطبوعات الهندية. فانتدب المكتبي الغيور الشيخ محمد المديحي وأعاد طبعه بمطبعة الموسوعات في مصر فكان طبعاً متقناً نظيفاً وباعت صفحاته ٤٧٥ من القطع المتوسعة وهو يطلب من مكتبة بقرب الأزهر وغيره فاحت أهل العلم والفن على مطالعته

(وقاية الشبان • من المرض الأفريقي والسيلان) كتاب جديد ألفه الدكتور سعيد ابو جرة مؤلف كتاب (حياتنا التناسلية) أما حاجة أهل هذه البلاد التي فشا فيها "الحمى" فانه فاضله واما كون الكتاب وافياً بهذه الحاجة فانا أن نحكم به اولئنا نسل له بتوجيه همه المؤلف وعنايته الى هذه المباحث حتى انه ألف فيها كتابين • وطبع هذا الكتاب كسابقه في مطبعة الهلال وصفحاته زهاء مئتين وثمته ١٢ قرشاً واجرة

البريد قرشان وبطاب من مكتبة الهلال بمصر
(الراوي) جريدة يومية سياسية تجارية أنشأها في العاصمة يوسف بك طاعت
وأنشأ لها مطبعة خاصة واختار لها عدة محررين من كتاب الشهابيين المشهورين
بالاشتغال بالصحافة فتداولوا تصادف رواجاً ونجاحاً ولكن رجاءنا في ذلك ضعيف إلا
أن تلك الجريدة مساكاً تمتاز به ولا يحسمه القراء في سائر الجرائد الأخبارية وما
ذلك الآن كثيراً من المثل إلى إحدى القوتين الموجودتين في البلاد وليس بزمناً طويلاً
على مولد الحق المتأصل من غير نظر إلى مرطاة الناس وغضبهم وأغني هذا أن
تكون تاريخية لاسياسية • وبعد ذلك تكون موضع ثقة جميع العقلاء والفضلاء

باب التحقيق في الأئمة

العربي الجواد • وهل سلم من سعاية وانتقاد

ذكرنا في الجزء الماضي • من أئمة صديقنا محمد باشا عبد الوهاب شيخ دارين
(والله أعلم بالوقوع في سائر أئمة) على السمع في طريقه إلى الحج وكذبوا
بديه بالنوال حتى صار كل من ألف خبره يذكر كرم أمراء العرب الأولين ، وعطابا
الحقماء والصلواتين . ونقول الآن أنه بعد أن منع الصدوق على القبر . وأهدى
الهدايا للاغتيا . وبعد أن بذل المساعدة على نارس الإسلامية والطبية والأجنبية وبعد
أن أخذ على نفقة نحو ثمانية وعشرين رجلاً من الفقهاء وبعد أن ظهر انتمائه لأن
سائر قاصدي الحجاز جمعوا خائنين لأن سقينة (البحيرة) لم تدمهم وأوصى من كان قائماً بشئونه
(وهو السيد السبب مصطفي هـ) ثم وكان إقامته في السويس مسفة صيفاً وريلاً في هذا
البيت الكريم (بأن يجمع من أي من الفقهاء وهم يسدون بالبين وبراهم على
نفقته في أول أيلول يحمل حجاجاً من الرواس . وبعد أن جاء في بعض الجرائد
أن السيد المذكور وفي بناء على أن ليس بمكة منصرفه من سائر مكة ليدخل
(وآخر البوسنة الخيرية) في سائر الحجاج الباقين . وبعد هذا بعضه أو كله قد
يعيش الناس في داره هذا المحسن الحاد ، بالسعاية والانتقاد

يبدأ تكما لسمع بعض توجهاء في السويس يقول أنه لم يبق بيت في هذه المدينة لم يصبه نوال هذا الأمير العربي إذا بعضهم يقول أن أكثر هذه المطايا في غيره وضمها ولو كان بنى بهذه الأموال جامعا مثالا لكان أفضل وأبقى لذكره !! فأجابه كاتب هذه السطور: أن الكرم على قسمين كرم العقل وكرم النفس فالأول يجري فيه الحساب والتقدير واختيار الطريق الذي يوصل إلى نباهة الذكر أو زيادة النفع وهذا الكرم يكون في الغالب مكتسبا بالتربية والتأليم • وأما الثاني فهو سجية في النفس يكون أصحابها أربحية • وهمة تبعه على البذل متى وجد له طريقا ما ولا يأتي فيها الحساب والتقدير • ولا توحي نباهة الذكر ولا حسن المصير • وكرم صاحبنا من هذا النوع ومنه كرم سائر الأجواد المعروفين كخاتم العالائي وكعب بن مامة ومن بن زائدة

ثم رأينا جريدة مصباح الشرق تسأل سؤال قصاة التحقيق عن تاريخه ونسبه وحدود بلاده وعدد رعيته ومقادير المطايا التي جاد بها وعن الحاجاج الذين حملهم هل دفع عنهم التأمين الذي فرضته الحكومة على الحاجاج الصيادين وعن منابع ثروته واستتجبت من ذلك • توهم خبر الجرائد: ونحن نحجب بأن رواة الجرائد كتبوا اليهاما رفقوا بأعينهم وسمموه بأذنانهم فلم يكن لهم حاجة في تصديق الخبر بامساك هذا الرجل عن عمل البر وإشغاله بالماء تاريخه بتاريخ بلاده عليهم لأنه يوجد في مصر جريدة ساء ظنها بالناس حتى أنها تكفي في مقام الذم بأضعف الشبهات • ولانكتفي في مقام المدح بالمشاهدة حتى يؤيدها جميع ما يخطر بالبال من النظريات •

قلنا أن الرجل أمير أي أنه أمير في نفسه وقومه لانه سلطان ذو مملكة ورعية وقلنا أنه شيخ دارين أي أنه رئيس تلك الجهة وإن شئت قلت أنه أميرها ولكن العرب هناك يفضلون كلمة (شيخ) على كلمة (أمير) فيقولون شيخ الكويت وشيخ البحرين • وأما دارين فهي ميناء نجد على خليج المعجم من زمن الجاهلية وفيها قال الشاعر العربي ما يعرف في شواهد كتب النجو وهو:

يمرون بالاهنا خفافاً عياهم ويرجمن من (دارين) بجحر الخفائب
وقد كانت عفت فأحيا معالمها محمد عبد الوهاب هذا • وأما ينبوع ثروته التي استكنها صاحب المصباح فهو تجارة اللؤلؤ على أنه كان غنياً قبلها • ومن لطائف الاتفاق أن جريدة ثمرات التنوع الغراء كانت في أثناء وجود هذا الرجل مبحراً من السويس سرب لبدة في صيد اللؤلؤ وقد جاء فيها ما نصه:

« ولأنك بيان كمية الثروة التي صيد في هذا العام : جهزت سواحل الخليج ٤٢٠ سفينة فيها ٧٤٦٠ صائغاً صاعداً ما قيمته ٨٤٠٠٠٠ روية (الروية فرنك واحد و ٦٨ سنتاً) فالتقى هذا الصيد كله تاجر واحد من جزيرة دارين (الصواب من دارين) و جهز من البحرين سعمائة سفينة فيها اثني عشر ألف رجل فعدوا بما قيمته ٢٠٠٠٠٠ روية . هذا ما كان من المفائص المشهورة وأما ما أخرج في غيرها من المفائص فلم ترل قيمته بمجھولة » اهـ

ومحن قد علمنا من صاحبنا انه مجهز السفن وأنه يمطي الفواصين الدراهم في أثناء السنة ويحاسبهم منها عند اخراج اللؤلؤ . فنظير مصباح الشرق قول بعض الحراشد انه جهز ثلاث مئة حاج بقوله ان ذلك يقتضي أن يكون قد دفع عنهم تأميناً للحكومة قدره خمسة عشر ألف جنيه على الأقل وقوله عنه اذا كان « قد بذل من خرائشه مثل هذا القدر العظيم من المال الذي يكاد يكون أبلغ ثروة تدخرين ساكني نجد وتهمامة من أول الزمن الى هذا العهد فهو بلا شك حاتم هذا الزمان وقارون هذه الآيام !! كلاهما غير سعيد وقد فعل صاحب المصباح عند كناية الكلمة الاولى عن كون الثناء من الذي تطلبه الحكومة المصرية عن كل حاج في هذا العام هو خاص بالمصريين الذين لا يباح لهم السفر الى الخليج بعد سفر الحمل وقد سافر هذا الأمير بفقراء الحجاج بعد سفر الحمل بأيام . هذا وجه خطأ عبارته الاولى وأما استكبار ثروة الرجل وقوله فيها فقد علم أيضاً انني غير محله . ونؤكده القول بأن ثروته أكبر مما استكبر على أهل نجد وتهمامة من أول الزمن الى هذا العهد .

وفي أن نشير الى معنى كلمة « الامانة » التي أشرنا في العنوان الى أن هذا الحسن لم يسلم من إساءة أهلها . وذلك أننا علمنا أن عقارب بعض السعاة المخالفين الذين يسمون هنا « حواسيس الاستانة » قد دبت الى مزارعها وديرت حيلة لا يذء هذا الرجل الحسن في بيت الله وحرمة الآمن بواسطة من هم أهل لذلك في الاستانة وكادوا له كيداً فأن الله أن يرد كيدهم في بحرهم « والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين »

﴿ اصلاح لبنان ﴾

ذكرنا في الجزء الماضي نبذة من التلخطة التي قدمت الى متصرف جبل لبنان على أنها من جماعة المهاجرين اللبنانيين وعلم من تلك النبذة أن الفرض منها إنبات ان سبب تأخر لبنان والمحاطة هو التعصب الديني في طوائفه أو « الاستقلال الطائفي » الذي

ينافي الاستقلال الوطني الذي نتمر به البلاد وبقي علينا أن نشير الى رأي اللامثمة في
ملاشاة الاستقلال الطائفي الذي هو شرط الاستقلال الوطني المطلوب
بدأ كاتب اللامثمة رأيه بخطئة القانون اللبناني في جمل وظائف الحكومة مقسمة
بحسب المذاهب الدينية وقال ان هذا يزيد التعصب ثم اتبعها بنبرة افترضها بكلمة
واشنطن محرراً ميركا في أول خطاب أرسله الى الندرة بعد استقلال الولايات المتحدة
وهي « يجب أن نوحّد مبدأ الشعب الأميركي المستقبل بالمدرسة » ثم قال بعد تمهيد:
« يجب أن نجعل الشعب لبنانياً ولا سبيل لنا الى هذه الأمنية الا بإعداد رجال
المستقبل فكيف نعلمهم بالمدرسة » جعل واشنطن العظيم الشعب الأميركي بمبدأ
واحد « وبالمدرسة جملة هكذا عظيماً » وبالمدرسة الحرة جملة هكذا حراً « بالمدرسة
يقول بسمرك انه استطاع أن يتغلب على فرنسا « بالمدرسة استطاعت اليابان أن
تخرج من الظلمة الاسيوية الحاكمة المدهمة » ان الأفكار القديمة لا تجد لها
ما تعادون عقول الصغار الا بالمدرسة « فبالمدرسة فقط يستطيع الشعب اللبناني أن
يعبر وطنياً وان تحدد على مصاحبه الطبيعة »

« مولاي قد قال الشارخ الفرنسي في نظام التعليم الإلزامي: من حق الحكومة
خمية المنافع العمومية أن تحتاط بكل وسيلة لا يكون في الشعب أفراد يجهلون
حقوقهم وواجباتهم فتمكن المدرسة من حق الحكومة التي ترأسوها ومن واجباتها أيضاً
« ان المدرسة التي نرجو ان تكون حاجزاً بين صفارنا وافكارنا القديمة ليست
المدرسة الفرنسية ولا الانكليزية ولا الأميركية ولا الألمانية ولا الايطالية « لأننا
لا نريد أن يكون صفارنا مثلنا اوروبيين واميركيين في لبنان وليست المدرسة الجزويتية
لأننا لا نريد ان يكون صفارنا مثلنا متواكلين ضعفاء خيلاء « ولا المدرسة الطائفية
لأننا لا نريد ان يكون صفارنا مثلنا موارنة ودروزا وارثوذكسا وملكيين ومتاوله
واسلاماً « ولا المدرسة الدينية لأننا لا نريد ان يكون صفارنا مثلنا لاهوتيين
ينجادلون على مالا يعلمون « إن هذه المدارس موفورة لنا وحالتنا الاجتماعية لا تزداد
الافسادا وتقهقرا « فالمدرسة التي نرجو ان نكون لنا باباً الى الحياة الجديدة هي
المدرسة الوطنية الحرة « هي المدرسة التي تتولاها حكومة منفصلة عن الكنيسة
كالحكومة اللبنانية « ام باختصار قليل « ثم بين طريق ايجاد المدارس الحرة والتفقه
عليها وبحت عن عيوب الحكومة وبين سبيل الاصلاح
ونحن نقول ان هذه هي « الوطنية الحققة » لا التي يلغظ بها بعض أحداث المصريين

المجلد الخامس

١٣١٥

فبشر عباده الذين يسعون في القول
فبقولنا أحسن أو تلك الذين هدام
الله وأولئك هم أولو الألباب

بشر الحكمة من بقاء ومن يؤمن
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و « مناراً » كشار الطريق)

(مصر يوم الاحد ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٠ - ١٥ مارث (آدار) سنة ١٩٠٣)

﴿ رأى في اصم صرح المسلمين او رأيه ﴾

كتب الينا وكيل الحنار في بعض الأقطار رأيه في طريقة إصلاح
المسلمين في خاتمة جواب يتعلو بأمر الاشتراك والمشاركة فأجبنا أن
يطلع عليه القراء لما فيه من دقة النظر وبعد النور قال حياه الله :
« رأيتك بالناية في إصلاح النفوس والمقول والأفكار والأخلاق
لا أظن أنه يوجد من يخالفك فيه على شرط أن تجمع من أيدي الناس
كتب التصوف النظري وكتب العقائد التي ألفت على طريقة أرسطو
(لا كتب أرسطو نفسها) والتفسير التي البسها أصحابها لبس الفلاسفة اليونانية
وكذا الكتب الفقهية التي كتبها الاعاجم ومن احتذى حذوهم لا الكتب
التي كتبت بطريق الرواية كالموطأ وغيره وطرح القواعد التي دوتها
الأصوليون وجعلوها من أصول تعاليم الدين وتحويل تكايا الطرق الى مدارس
تعلم فيها العلوم الكونية بأسرها على شرط أن تكون إدارتها بيد أناسي من

علماء أمة أوربية صغيرة كسويسرة والبلجيك ويمزج الشبان المتعلمون عن الأمة حتى يتمتع سريان عدوي الأخلاق التي أرزأت أمة الاسلام من الاسلاف الى الأخلاف. وبعد أن تدرس هذه الرمم التي صارت مع طول الزمن ركام أقدار مفسد للتمدن يتسنى للمصلحين ان يشيدوا على أفتاضها ما قبل إصلاح « وهيئات هيئات ان يفوز المصلحون بتلك المطالب المسيرة التي أعيت همما، وبضت لما، وأشفت أئما، ظهر كنفسيوس قبل عصرنا هذا بأحدى وعشرين قرنا لمعاناة إصلاح مذهب سكياموني وتجديد ما ندعى من بنيانه القتيق الذي كرت عليه الدهور الدهاير وبالرغم مساهمة الكبيرة وهمة القمصاء وعزمه الصارم بقيت آراء سكياموني كما هي محتكرة في الياكل لكهية الشعب ولم يزدها ذلك المصلح بقارعه العظمى الاثباتا وتمكيننا. وهذا المسيح قام ليعدل سلطة اكايروس اليهود وليجدها اخلاوق من مذهب التورا فلم يقبل له رأيا الامن خذله في اداء الشهادة وقت المحاكمة وماعسى ان اقول ونينا الكرم عليه السلام قد ارسل الله مهمنا على الكتب ومجدداً اشرايح الكون التي اقتضت سنة الله ان تجديدها بتجدد مقتضيات فلم يقبل دعواه من أرباب تلك الاديان الا من تكب عن فقهه، وانحاز لغير بئنة، وهكذا شأن كل مصلح يفلت من أسر العادة وينسلت من قيود المصطلحات وتؤثر في نفسه الحقائق وتشمل بصيرته المشاهدات الصحيحة يستكرما: يحسنه الناس ويستحسن ما لا يتنكره وفيه فقه أحلامهم، وبين أوهامهم، الى أن يشوبوا الى رجة الهدى، او يكون نشأ جديداً، ودرن ذلك شرط القصاد على قرآن سلامة الظروف المحيطة على أن هنالك مهماً آخر اقرب الى السلامة، وضمن النتيجة، وهو

سبيل رجالات أوروبا الكبار ، ودهاقنها العظام ، وبيان ان يشتغل المصلح بمد
ترقية نفسه . وترتيب منزله ، وتنظيم معيشته ، وتدير ما كله ، بتمية ثروته
بالطرق القانونية ويختار له منها الطريق الأضمن على شرط أن يحتذي
مذهب الصدق ويتقيل نط الامانة ولا يعتمد الا على نفسه فلا يمر عليه
غير زمن قليل حتى يكون من أكبر المثرين في العالم مثل مرجان وسيسل
رود وغيرهم فلا يصعب عليه ان تكون الثروة تأسيس المشروعات وعقد
الشركات وإنشاء المدارس وفتح المعامل وارسال الفلك تمخر عباب اليم
جميع له كنوز المخلوقات .

« وأما طريقة إصلاح الأمم والنفس بإلقاء الخطب وكتابة المقالات
فلا نفيد المسلمين في شيء اللهم الا من كان له هوس منهم فيهما لأن العالم
والصالح والزارع والصراف والتاجر في البلاد المربلة ^(١) لا يصيخون
الاسماع للخطب ولا يميرون الأبصار للمقالات الا في أوقات الفراغ من
الاعمال فهي عندهم بمثابة السلايات والمنبهات . والذي يصيخ وينظر في بلادنا
الفاحش هو المكسب المنقاعس عن حير نفسه ونفع جنسه واذا تنبه له
والسلايات بصيرته فلا يكون منه غير التأوه على الاسلام والبكاء على المسلمين
ولمذا سمعت كلمة الدمريين على ان ترقى الامم لا يفيد الا اذا كان بادياً
بحجاً مطايا على أنافي الصناعة والزراعة والتجارة وطائفة الإقدام والحزم
والعزم والششاط والنبات . وحققوا أنه لا يتوقف على دين ولا يحتاج الى
نعمته رسوا . وإنما تدعو اليه الحاجة ويثبت اليه اختلاط العناصر المختلفة بعضها

(١) لا بد من ان لا يكونوا ولا أسرف له زرعيا ولا يلبسوا بخرق
تحت الزل وهو شجرهم ولا معنى لهذا هنا

«يدين سكان الجابون بدين وثني أخذ نفوس اهله آلاف السنين وأبقام غاملين تحت سجع طقوسه الواهنة حتى ذاق أفراد منهم عسيلة الإثم آراء فأنبرت نفوسهم ساعية وراء التأسيسات النافعة وما فتؤا يفكرون حتى تنبه لهم الأقران فلاحقوا بهم ثني وما كادت تنبه لهم الحكومة حتى اضطرها تفاقم الساعى الى التنازل عن كثير من حقوقها المكالة بطيئسان الكهنوتية المقدس وأتاحت لهم بغير عناد حكومة مقيدة باحتساب الأمة عليها وقد صارت الآن تضارع أعظم الأمم شوكة واقتداراً . وما دين المسيحية بأصفي منها من المنع البوذي وهذا مبتدع وذاك مخترع والمنزع القديم في الغالب مقنيس ومتبع (كذا) ومع ما هو عليه من التشويش والتشويه والتلبس بتلك الحجب التي حاكها يد المجمع المقدسة لم يزل ديناً للأئمة الراقية ذات الطول والحول والمنعة والعزة رغم ان النهضة العلمية والاخلاقية لا أحاول الجدال ولا أريد الحوار وإنما غايتي أن أظلمك على فكري الخاص في اصلاح الامة الاسلامية بالوسائل الصحيحة التي لا تستلزم زمناً طويلاً ولا تكلف تعباً كبيراً وهي ان تترك القادري يعمه في قادرته والرفاعي يمشو في رفاعيته كما تركنا النصراني يخبط في ظلام نصرانيته والوحي يهرق في وثنيته ونسعى مع الجميع متكافئين لنحصل فرنكا واحداً عن كل شخص من المسلمين ذلك لروح شيخه وهذا باسم وليه وذا في سبيل النهضة وهذا باسم الوطنية الى ان تتمكن من جمع مال كثير فؤسس به مشروعاً يكون جزيل الفائدة ، كبير المائدة ، وما علينا والصراخ في أضواءه ، والنداء من الأبنواء والاعوان من الشرق والغرب والوقوف است الرئاسة ، فذاك في مذهبي شيء لا يجدي والسلام»

﴿ رأي المنار في الموضوع ﴾

لقد أجبنا الكاتب النبيل القصد في قوله ولكن فيه إجمالاً يحتاج الى بيان ونظراً في بعض الجزئيات . وما كان الإجمال منه إلا لأنه كتبه لمن يفنيه الإجمال عن التفصيل وفرق بين ما كتب ليطوى وما كتب لينشر . ولقد سرنا توارداً لطواظر وتلاقى الأفكار بيننا وبين الكاتب النبيل ، والوكيل الأسيل ، في وجوب عزل المتعلمين عن الأمة لأن قوام التربية بالقُدوة والمحاكاة المتولدين من المباشرة والمخالطة وقد بدأ الله تعالى تربية نبيه الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بزلعه عن الناس فحبب اليه الوحدة ، وألهمه الانزواء والعزلة ، ثم علمه بالوحي ما شاء ان يعلمه ، ولقد قال « أدبني ربي فأحسن تأديبي » فليتنا ان نستفيد من هذه الحكمة ، مع من منحه الله العصمة ، وموافقة أخرى في الرأي وهي الاستمانة على تعليم الفنون والعلوم الكونية ، باستاذة من أصغر الشعوب الاوربية ، لأن هؤلاء أبعد عن السياسة التي تفسد كل صلاح ، وتحول دون كل نجاح ،

الذي لاح لي من كلام الكاتب في إخفاق رجال الإصلاح المعنوي هو أن غرضه منه تحويل وجوه المتعلمين عنه ليقولوا شطر الإصلاح المادي الذي يراه والا فان كل واحد من المصلحين الذين ذكرهم قد كان له تأثير كبير في أنواع الانقلاب الذي حدث في العالم المرة بعد المرة وليس من شرط النجاح في المشروع ان يأخذ به كل أحد ولا ان يكمل فيه كل من أخذ به . فاذا كان الإصلاح المعنوي لم يعم أفراد الأمم التي ظهر فيها فكذلك الإصلاح المادي والسبب في هذو ذلك أن الاستعداد في البشر متفاوت تنموا كثيراً وكل يعمل بحسب استعداده ففي أوروبا من يملك ألوف

الآلوف وفيها من يموت جوعاً وكأين من عالم يطلب الثروة، وتموزه الكسرة والحسوة، وليس هذا مقام بيان تأثير أوائك المصلحين العظام في الأمم والكتاب يعرفه ولكن غرضه ما ذكرنا

والقول في تأثير الخطب والمقالات يتصل بالآلوف في تأثير رجال الإصلاح المعنوي لأن الخطباء، وإن كان كتاب القاصين في الإصلاح همزة الأنبياء والشارعين وهم أركان الإصلاح الاجتماعي، السياسي ومن ينكر أن للوثر وأشياءه وميراثه وأضرابه تأثيراً عظيماً في تحويل أوربا كما كانت عليه، ونقلها إلى ما انتهت إليه، ومن ينكر تأثير تلك المقالات والرسائل التي كانت تشر في فرنسا قبل الثورة الكبرى وأن ذلك التأثير هو الذي ثل عرش الملك وسلط الصبيك على الأمراء والنبلاء، فالإصلاح في جميع الأمم إنما جرى على أيدي الفقهاء والمؤسطين به باعث معنوي ولم يوجد إصلاح في الأرض بدأته الأغنياء بتأسيس المشروعات للمادية النافعة وإن شئت فقل أنه لم يوجد إصلاح مادي بحت ولكن كل إصلاح يرقى البشر يفتح العمران والعمران الذي إنما يكون في النهاية لا في البداية

كل هذا يعرفه الكتاب القاض ولكن الرأي الذي أبداه إنما هو في اختيار أقرب الطرق ولعمري إنه أشد قريب أهم له لأن فيه من العقبات الكؤود ما يتعدو معها سلوكه على الضعفاء المحتاجين إلى الإصلاح كالمسلمين فبا دارها بالخيف إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

يقول إن الواجب على مردي إصلاح المسلمين أن يسلكوا سبيل رسول الله بعد إصلاح سؤن منازلهم ونظم طرق بيوتهم من غير هؤلاء المرديدون إلى إصلاح وما هي طبيعة بلادهم التي يعيشون فيها، هم نفر

من وسط الناس سامت فطرتهم، وصنفت فكرتهم، وحسنت في الجملة وبالمصادفة تربيتهم، وامتازوا بالليل إلى البحث في الأمور العامة والاهتمام بأمر الأمة والملة . ولم يكن لهم شيء من هذه الخصائص بواسطة تعليم وتربية أو دعا في نفوسهم إذ لا يوجد للمسلمين مدرسة في قطر من الاقطار تذكر فيها مصلحة الأمة أو توجه نفوس تلامذتها في تعليم كل علم وفن إلى أن المراد به الإصلاح وإنقاذ الأمة مما هي فيه . وإنما هو الاستعداد الفطري مع مساعدة التوفيق الذي يعبرون عنه بالظروف والمصادفات . ولو أن هؤلاء اشتغلوا بغير البحث في الأمور العامة وطرق الإصلاح لضعف مدادهم فيه لأنهم لم يتربوا عليه ولم يتعلموا طريقة تعلمًا فيكون همهم

مد المدرسة السعي في اتخاذ الوسائل لما وجههم إليه المربون والمعلمون وأما طبيعة بلادهم فهي كما يعلم الكاتب ليس فيها موارد قريبة للثروة الواسعة من الطرق القانونية كالثروة التي جمعها سسل رود . والاعمال انكيرة التي يتوقف عليها إيجاد الموارد لا تكون الامن قوم تعلموا طرقها وفنونها وتربوا تربية صالوا بها محلاً للثقة في إلماطة الاعمال بهم وأتى لبلاد المسلمين هؤلاء المالمين المالمين !! وجملة القول ان الذين يفكرون في الإصلاح من المسلمين ليس عندهم استعداد لجمع الثروة الكبيرة وان بلادهم ليس فيها الآن منابع لهذه الثروة مفجرة يسهل عليهم ورودها وان الامة التي يعيشون فيها ليس لها استعداد لتفجير ينابيع الثروة الطبيعية التي خص الله بلادهم بها لجهلهم وفساد تربيتهم . ونسكت عن حال حكوماتها وما ينظر ان يلاقيه منهم صريد الإصلاح اذا حاول سلوك الطرق المشروعة الشريفة لجمع المال

إن العمران المادي كان نتيجة للإصلاح المعنوي وكذلك يكون .
 أما اليابون (اليابان) فلم يكن السائق لهم إلى الإصلاح طلب الثروة
 ولم يكن تقدمهم مادياً بحتاً لا شائبة فيه للدين بل كان السائق إليه هو صاحب
 السلطة الدينية المقدسة والسلطة المدنية القائمة على أساس الدين وهو عاهلهم
 ومليكهم (الميكادو) فهذا العاهل العظيم هو الذي قيد سلطة نفسه بعد أن كانت
 حاكمه ته استبدادية مقدسة وهو الذي دَعَّ أمته إلى العلوم والفنون دعا ولا
 نقول أنه دعاها دعاء . ولقد كانت التقاليد الدينية مساعدة للسلطة الدينية في
 عمران اليابان الحاضر كما يعلم من المقالات التي نشرت في المقتطف الأغر
 مصرية عن أصل انكليزي لبعض كبار الكتاب السياسيين . ويذكر
 المارفون بالتاريخ أن أول عاهل (امبراطور) اشتغل بالإصلاح في أوربا
 وهو (شارلمان) كان مندفعاً بدافع معنوي مشوب بالاعتقاد الديني ولولا
 الإصلاح الديني الذي قام به زعماء البروستنت لحبط عمله وكان هباءً منثوراً
 والقول الفصل في الإصلاح الإسلامي هو أن الواجب على العقلاء
 الذين يتألمون من ضعف الأمة وهو أنها أن يسوا في إصلاح المقول
 والنفوس بتعليم الصغار وتربيتهم بالمدرسة ووعظ الكبار وتبهيهم بالخطابة
 والكتابة أيكثر بذلك حزهم ولا بد لهم في سلوك هذه السبل من
 مسألة القوة سواء كانت أهلية أو أجنبية

فعلم من هذا أن أول واجب على من يشمر بالحاجة إلى الإصلاح في
 بلد من البلاد الإسلامية أن يشتغل بالدعوة إلى ما يعتقد في ذلك ليكون
 له حزب بالدعوة خطابة وكتابة فاذا صار له حزب فالواجب عليه وعليهم السعي
 في التربية المالية والتعليم الذي يعد الناشئين لأعمال العمران والاستعانة

على ذلك بالاساتذة المهرة الذين ليس بيننا وبينهم مطامع سياسية . وهذا يختلف باختلاف البلاد الإسلامية وأتمها استعداداً الآن بلاد الهند وبلاد مصر وقد بدأ مسلمو الهند يسمعون في التعليم الأهلي وشعروا بأنه لا يكون تاماً نافعاً الا بإنشاء المدارس الكلية فاقترح مؤتمر التربية الاسلامي في هذا العام جمع الف الف روية لإنشاء مدرسة كلية والمرجو ان يتم لهم ذلك في وقت قريب وأن تكون التربية في هذه المدرسة مليّة اسلامية كما وافق على ذلك كبار الانكليز هناك . ولا بد لمسلمي مصر ان يتناولوا مسلمي الهند في ذلك عن قريب ان شاء الله تعالى وسيكون للخطب والمقالات تأثير عظيم في جمع المال اللازم لذلك فان الجرائد كالحداة ولا حياء الا ان يكون مسيركا قلنا في العدد الثاني من منار السنة الأولى ولا يرجي من الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، وربطوا قلوبهم بقبور الاموات وقيدوا عقولهم بخرافات الاحياء ، أن يساعدوا على انشاء مدارس للعلوم الكونية ، وهم يشعرون بأنها القاضية على تقاليدهم الوهمية

هذه هي الطريقة المثلى للإصلاح ولا يجد المصاحون من الامم غيرها . أما الملوك والأمراء فان لهم اذا أرادوا الإصلاح عملاً آخر وهو أن يبدؤا بالقوة العسكرية فيعززوها ما استطاعوا لتكون الدولة آمنة من اعتداء الأعداء الذين يشغلونها عن الإصلاح الداخلي متى آنسوا منها الضعف ثم يوجهون الأمة الى تعمير التربية والتعليم وتنمية الثروة بالزراعة والتجارة والصناعة ويقيمون حكومة الشورى ويجهدون في توثيق الصلات بينهم وبين أمثالهم من الأمراء والسلاطين . ولكل حكومة إسلامية ضرب من السير في الإصلاح يختص بها ولا تبلغ الغاية بدونه ، وقد أخطأ

سلطان مراکش ما يليق بحاله من السير في طريق الإصلاح فزلت قدمه
وكان الواجب عليه قبل كل شيء إصلاح الجندي كما سبق لنا القول في غير
هذه الجزء ليأمن المدوان الداخلي والخارجي ثم يشرع في تعليم الأمة
وتربيتها مستعينا في أول الأمر بالمسلمين كالمصريين الموافقين لأهل
بلادهم في اللغة ثم بالأجانب الذين لا طمع لهم في بلادهم عندما تستمد بلادهم
لذلك فلا تأفف منه .

على أن أملنا في جميع حكام المسلمين ضعيف بل نحن أقرب إلى
اليأس منهم منا إلى الرجاء فيهم . وهكذا شأن الملوك الذين القوا الاستبداد
وما كان عمل عاهل اليابان؛ الاقلية من فئات الزمان ، والظاهر لنا أن كل
ما هو مخبوء في الغيب من الخير لهذه الأمة فانما يكون بسعي بعض العقلاء
من أفرادها دون الملوك والأمراء والله في غيبه شؤون ، والله يعلم وأتم لا تعلمون

﴿ صرنية العرب ﴾

البذة السادسة تالبعملاتشر في الجزء ٢٣ من المجلد الثالث

ينبغي للإنسان ان يجتنب الوعد ما استطاع وأن يجتنب تحديد الوعد
بزمان أو مكان اذا هو وعد الا اذا اضطر الى ذلك اضطرارا وقلما يأتي
الاضطرار في الأمور العامة . ككنا شرعنا في السنة الثالثة للمنازل بكتابة
مقالات في مدينة العرب أو مدينة الاسلام في عهد الدول العربية فكتبنا
خمس نبذ في منشآت تلك المدينة وكونها قامت على أساس الدين وتولدت من
تعاليمه ثم في اشتغال العرب بالعلوم الكونية وما اكتشفوه واخترعوه في
علم الفلك وسائر العلوم الرياضية كالحساب والجبر والهندسة ووعدنا بأن تم
هذا المبحث في السنة الرابعة فمرت السنة الرابعة ولم يتح لنا فيها الوفاء بالوعد

ولكننا استأنفنا وعداً آخر في آخرها بأننا تم ذلك في هذه السنة وقد مضت السنة حتى لم يبق منها الا هذا الجزء ولم نتكمن من إنجاز الوعد لأن المقالات المتتالية زادت في هذه السنة عما قبلها ينشر مقالات جمعية أم القرى ومقالات « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » التي كان فيها تبيين إجمالي من موضوع مدنية العرب . وقد رأينا أن نختم هذا الجزء بنبذة سادسة وفاء بالوعد بقدر الامكان فنقول :

(الجغرافية الرياضية وتقويم البلدان)

اشهر كتب الجغرافية اليونانية كتاب بطليموس وأزواجه وقد كانت آراء بطليموس تؤخذ على علاتها لان العلم صار تقليديا حتى تناوله اجتهاد العرب فطبقوا من عهد المأمون يصححون أغلاط اليونان في الفلك وسائر الرياضيات كما تقدم ومن ذلك انهم صححوا أرساد الجسطى بازيج الجديد وأعادوا تحديد أطوال الارض فكان أنهم تصحيحا تحديد بلاد العرب والمحيط الهندي والجزيرة وبلاد فارس والبحر المتوسط . ولما اشتغل الأوروبيون بهذه العلم ثلثوا زمنا طويلا مغرورين بكتاب بطليموس حتى تنقروا بكتب العرب وتصحيحهم لاغلاط بطليموس . بدأ العرب بتصحيح أزواج بطليموس في أول القرن الثالث على عهد المأمون ولكن ذلك التصحيح لم يكن تاما فان البيروني في أول القرن السابع هو الذي صحح الغلط في حساب أطوال بلاد الروم وما وراء النهر والسند وأنت قالونا جغرافيا كان قدوة الذين أتوا بعدهم بالتصحيح الجغرافية من بعدهم

في عصر الخليفة المستنصر بالله (١٢١٣ هـ) في سنة ١٢١٣ هـ وحدث مدة السنة الملكية أسع محمد بن وصع الشريف

الاهريزي في المواليد القرن السادس خريطة جغرافية من القصة لذلك صقلية حفر فيها باللغة العربية صور جميع الممالك المعروفة في ذلك المهدو ألف كتابا في الجغرافية بين فيه أول نقطة التماس بين جغرافية اللاتينيين وجغرافية المدارس الاسلامية وقد عكف رسامو الخرائط الجغرافية في أوروبا على مؤلفه ثلاثة قرون ونصف يتقلدونه كما هو لا يزيدون فيه ولا يتقصون منه . وكان من علماء هذا القرن في المغرب ابو الحسن علي المراكشي في أول المئة السابعة للهجرة الشريفة وقد قال سيديو ان كتابه كان أجل الآثار العلمية فيما عليه العرب من علم الجغرافية . وكان لعلم الجغرافية خرائط بحرية أيضا عثر الاوربيون على بعضها في أول المئة التاسعة للهجرة . ووجدوا خريطة بحرية أخرى من رسم عمر المريني سنة ٦٦٤٨ م أي سنة ١٠٥٨ هـ

اما الجغرافية الوصفية أو التخطيطية فقد عرفها العرب قبل الجغرافية الرياضية واتسعت سرفهم بها باتساع فتوحاتهم وتجارتهم . قال سيديو: انهم حين امتدت مملكتهم من المحيط الاطلسي الى تخوم مملكة الصين انشأوا بالدرج أربع طرق طرق عظيمة تجارية توصل بين مدينتي قادس وطنجة الى أقصى آسيا . (إحداها) تخترق أسبانيا وأوروبا وبلاد سلاوونة الى بحر جرجان ومدينة بلخ وبلاد تجرجز (والثانية) تخترق بلاد المغرب ووادي النيل ودمشق والكوفة وبغداد والبصرة والاهواز وكرمان والسند والهند (والثالثة والرابعة) تبحران البحر الابيض المتوسط وتبحر إحداها من الشام والخليج الفارسي والاخرى من الاسكندرية والبحر الاحمر للتوصل الى بحر الهند . فكثرت بهذه الطرق السياحات ونقل السياحون الى أقصى البلاد ما عند العرب من الافكار والتمدن واستفاضت الأخبار والجليلة الفوائد

فجرت أذهان الملاحين وعرقهم الأخطار التي يخشى عليهم الوقوع فيها إذا سافروا في ولايات غير مكتشفة تمام الاكتشاف واشتملت الأزياج التي حررها البتاني بالرقعة سنة تسعمائة (٧٨٧هـ) وابن يونس في القاهرة سنة ألف (٨٩٠هـ) على كتاب رسم الأرض بلا تمير كبير . وأما ابن حوقل والاصطخري والمسعودي المشهورون في نصف القرن العاشر من الميلاد فوضوا في كتبهم صورة الاكتشاف الجديد . وحسب العلامة الكومي سنة ١٠٦٧ الاطوال من ابتداء الطرف الشرقي من الأرض القارة

وزعم بعض الترنجج أن العرب كانوا متبعين في أول عصر بني عباس الروايات الهندية مع أن كتاب مبادي الفلك المسمى بسند هند لم يسمع نقله إلى القارة سنة ٧٧٥ (١٥٨) لم يكن له عظيم اعتبار عند العرب قديم . فطروا عما قال برسلالات يونانية وتركوه لا يتقوهون باسمه أن ليبيو ما فيه من الغلط . ولم يعملوا في شيء من الجغرافية على كبري . فوجدوا ما فيها أن شبه جزيرة هندستان في مركز العالم وأن خط امتداد النار الذي بين نقطة وسطها يمتد إلى مدينة أوجين وجزيرة سيلان . وبحث العرب في كتبهم عن خط نصف النهار القبة الأرضية وهي في مركز الترنجج على الاطوال فظن بعض الترنجج أن المراد من (عرين) مدينة أوجين وهو خطأ فإن القبة المنسوبة إلى عرين هي نقطة انطاع الدائرة التسمينية من حسب بطليموس مع خط الاعتدال على بعد مساو من الجهات الأربع الأصلية وليست هي قبة أوجين فإن العرب كانوا يعرفون حق المعرفة محل أوجين الجغرافي راما « عرين » فكلمة اصطلاحية زادوا بها جزيرة موهوسة بين هندستان وبلاد الحبشة سماها المؤرخ

ديودور الصقلي جزيرة اورانوس . وبذل العرب خط نصف نهار عشرين
 اوقبة الأرض بخط نصف النهار بالجزائر الخلدات فاتبع ذلك من
 ابتداء القرن الحادي عشر الى الثالث عشر « اه
 وقد ألف العرب كتباً مخصوصة في مسالك البلدان حتى صار علماً مستقلاً
 وفي اسماء البلاد والاماكن ككتاب مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة
 والبقاع ومعجم ياقوت والمشارك وتقويم البلدان للملك المؤيد صاحب حماء
 وتقويم البلدان للبلخي وكتاب اوضح المسالك الى معرفة البلدان والممالك
 (وهذا ألف في عهد الدولة العثمانية واهداه مؤلفه محمد ابن علي الشهير
 بسياهي الى السلطان مراد الثالث ٩٨٠ ثم اختصره بالتركية)

﴿ العلوم الطبيعية ﴾

الكيمياء والصيدلة : قد ارتقت العلوم الطبيعية عند العرب واتسعت
 مذاهبها وكثر الاكتشاف والاختراع فيها على أن حظها كان دون حظ
 العلوم الرياضية لأن العمدة في العلم الرياضي العقل والعمل مؤيد له والعمدة
 في العلم الطبيعي العمل والعقل مساعده له وما يتوقف الارتقاء فيه على العمل
 لا يرتقي الا بالزمن الطويل . كانت العلوم الطبيعية من عهد استاذها الاول
 أرسطاطاليس ضئيلة ضاوية ثم ماتت بضعة ما ولما أحيها العرب بإحياء الاسلام
 لهم تنكبوا طريق النظر المحض فيها واعتمدوا على التجربة فحولوا الكيمياء
 الوهمية الى كيمياء حقيقية واشتقوا منها فن الصيدلة (تركيب الادوية)
 وانتقلوا الى التاريخ الطبيعي فاكشفوا بذلك خواص نبات بلادهم ووصفوها
 بالبسمية وأفادوا بها الطب والصناعة فوائدها جليلة . قال سيديو : إن البحث
 عن الجواهر الطبية الذي مدحه ديوسقوريدس لاهل مدرسة الاسكندرية

كان من مخترعات العرب فانهم هم المنشئون للصيدليات (الأجزخانات) الكيماوية والوروث عنهم ما يسمى الآن بقواعد تحضير الأدوية الذي انتشر بمدنه من مدرسة سالرنه في الممالك التي في جنوب أوروبا :

ومن مخترعات العرب في الكيمياء الكحول أو الفول الذي صار قوام الاعمال الكيماوية والصيدلية وتركيب حمض الكبريت والماء الملكي والماء المعشر والجلاب وغير ذلك من الادوية والمعاجين والريبات والهلالات . قال في دائرة المعارف : « وهم أول من اخترع السواغات لإذابة الاصول الفعالة الدوائية سواء كانت معدنية أو نباتية أو حيوانية واخترعوا الانبيق والتقطير والتسامي ووضعوا في أيام الخلفاء قانونا اقرباذينيا كانت جميع التراكيب الاقرباذينية المذكورة فيه مثبتة من طرف الحكومة لا يجهز خلافها : « أي انهم هم الذين جعلوا عمل الصيدلة رسميا بمعرفة الحكومة

واشهر العلماء المخترعين في الكيمياء والاقرباذين (الصيدلة) ابو بكر الرازي صاحب كتاب (الترتيب) فيها والكتب الكثيرة في الطب والفلسفة (توفي سنة ٣١١ هـ) وهو المخترع للمسحلات اللطيفة ولاستعمال كثير من النبات في الطب والرئيس ابو علي بن سينا فيلسوف الشرق واكبر اطباء وابن رشد فيلسوف الغرب واكبر اطباءه وقد ترجم الاورزيون اكثر كتب هذين الفيلسوفين وانفعوا بهما كما انفعوا بكتب الشيخ ابي بكر الرازي ويشهدون للمبجج الشريف في العلوم

الطب : لا يعرف التاريخ أمة أقدم عهدا في صناعة الطب من المصريين فهم أساتذة اليونانيين وانتمهم ولكن طبهم كان ممزوجا بالأوهام والتقاليد الخرافية كاعتقادهم أن الصرع يكون بدخول غفريت من الجن في جسم

الإنسان وكانوا يعالجونه بالرقى والعزائم وإنما برعوا في فرع واحد من فروع الطب وهو التحنيط وكانت التشريح مذموماً عندهم والأطباء من غير الكهنة محتقرين يماقون إذا مات من يعالجون . ثم لما دالت دولة العلم إلى اليونان بعد انحلال المصريين غنوا بالطب فكان علما محترماً ثم قضى الرومانيون على علم اليونان كما قضوا على دولتهم وكانت عنايتهم في المعالجة مقصورة على الرقى والطلاسم ومجربات العامة التي يتناقضونها . ثم أوجت بهم الحضارة إلى فأجلوا الأطباء بعد احتقارهم ولكن الرومان أنفسهم لم يلبغوا في الطب وفنونه بل احقروه في أول دولتهم . احقره وه في غنوا بها ثم غنوا بها ثم بانحلال دولتهم حتى إذا نهض الاسلام بالعرب لم تكن لهذه العلوم سوق نافعة في الارض .

دائرة المعارف : ولما كانت فتوحات العرب وضربوا في طول البلاد وعرضها كان الطب كسائر العلوم في اسفل درك الهوان والحقول فهضوا به نهضة جديدة وانتشروا فيه من كتب اليونان وغيرهم وأودعوه كتبهم مع زيادة مما توسعوا فيه بالبحث والتحري وأجادوا بعريفه ووصفه وتقسيمه : (ثم قال) : ولم يكذب فرغ الخلفاء ومن واهبهم من بنى أمية من بسط جناح الام إلى الام حتى أخذ الخلفاء يلجون باب العلم كما وجوا باب الفتوحات فكان للطب بهج وافر واستماتوا بعلماء اليهود والنصارى عملاً بأحدِيث القائل « استمعينوا على كل صنعة بصالح أهلها » فكانت للامويين من ذلك بعض الآثار ولكن الآثار المشيدة والمساكن الحديدة إنما كانت للمباسبين في بغداد ومن ثم للأندلسيين فاتخذ السفاح العباسي أطباء ماهرين أقام بنحيتشوع النسطوري رئيساً عليهم وطبياً خاصاً له كما كان جويه اليهودي

عند عمر بن عبد العزيز الأموي :

— ثم ذكر بعض كبار اطباء العرب ووفائهم واكتشافاتهم وقال : —
 « وعلى هذا كانت دولة العرب عمروة الوصل بين طب المتقدمين وطب
 المتأخرين ولولاهم لانتثر ذلك العقد وعفا الكثير من معالم العلم والعرفان
 فان معظم ما تناوله الافرنج من علم الاقدمين قبل فتح القسطنطينية إنما
 كان عن العرب وظل اشغال العرب مدة مديدة منحصرآ في النقل والتقليد
 لا يأخذون الا بما يلقون ويذهبون مذهب الاقدمين فيينا تراه عالمين
 بالأبرجة والأغذية وبأحسين في الداء والدواء واذا بهم يقولون بالتجيم
 والمزائج ، والرقى والطلاسم ؛ وكان هذا شأنهم الى أن نبغ منهم علماء حكماء
 فابتدعوا كثيراً من الحقائق العلمية وأبقوا الخلف من مبتكراتهم وتوسعاتهم
 بمباحث واكتشافات . فهم أول من دقق البحث في الحيات النفاطية
 كالجديري والحصبة والحمى الفرصية وحسبنا من ذلك رسالة الرازي . وهم
 الذين اعلموا المسيلات وأشاروا باهتمام المن والسنا والتمر هندي والراوند
 والكافور وغير ذلك . وان كانوا عرفوا منافع أكثر تلك المواد بما ترتب
 لهم من العلاش التجارية مع الصين والهند فليس في ذلك ما يخفض من
 قدرهم ويقال من فضلم . وهم الذين حسنوا صناعة التقطير والتخمير
 وتشكيل الأواني الكيموية بأشكال يسهل بها تناول واستخراج كثيراً
 من الأملاح المعدنية وكانت لهم اليد العاولة في فن الصيدلة فوضعوا
 أسسه ووطدوا أركانها فأفادوا العالم فائدة خلدتها لهم التاريخ :

ثم نال الكتاب : وفوق اشتغالهم بنصب البشرغوا بعض الماء (كذا)
 بالبيطرة وهي طب الخيل والزردقة وهي طب الطيور وسائر العلوم التي

لها علاقة صريحة أو غير صريحة بالطب كالزردة وهي صناعة الفرس والطبيعات : (الى أن قال) ولهذا قبضوا على ناصية الطب كما استقلوا بأزمة العلم من فلك وهندسة ونبات وكيمياء ومنطق وطبيعات وما وراء الطبيعيات . ولبثوا أربعة قرون متوالية مستودع المعرفة وملجأ الحكمة أي منذ تول الرشيد في بغداد أو قبيل توليه الى موت ابن رشد . ولا سيرة بالذرة التي حصلت بعد وفاة ابن سينا فان العلم لم يمت في خلالها . (قال) والعجب كل العجب أنه قامت بعد ذلك للمسلمين دول شتى ذات قوة وشأن عظيم فكان منها العرب والعجم والترك والتتر ولم تفلح دولة منهم هذا الفلاح وان لذلك بلا ريب أسبابا أضرب عنها صفحا لخروجها عن دائرة بحثنا : اهـ

نقول ان المدة التي ذكرها هي التي كان فيها العلم العربي في عظموان شبايه وقد ولد قبلها ومات بعدها زمن . وابن رشد مات في ١١٩٥ هـ ولم يكن بعد ذلك للعرب دولة قوية بروح الدين وحياة الخلافة الإسلامية وان كان لدولة الترك من القوة الحربية ما لم تحصل اليه دولة سواها ولم تكن حياة العلم في دول العرب بالقوة الحربية ونما كانت القوة الأدبية التي يأتهم من الاسلام ، ولم يُقم الاسلام غيرهم كما يجب أن يقام . وقد ظهرت الدولة السليمانية بعد موت ابن رشد بنحو مئة سنة فان اقراض الدولة السلجوقية كان سنة ٦٩٩ هـ وعلى اقتاضها بنى السلطان عثمان الأول بناء سلطنته خلدتها الله تعالى بتوفيق القائمين على سيرها للعدل والإصلاح آمين (للمقالات بقية)

﴿ الكرامات والحوارق ﴾

(المقالة السابعة تابعة كما في العدد ٤١ من المجلد الثاني)

نشرنا في منار السنة الثانية مقالات في كرامات الاولياء ذكرنا في

مقدمة المقالة الاولى منها (٢:٢٦) أن النظر في هذه المسألة من وجوه
 حقيقتها والحكمة فيها. حجج القائلين بجوازها ووقوعها. حجج المنكرين
 لها. ادعاء جميع الامم لها. منفعة الاعتقاد بها ومضرته. تمحيص الحقيقة
 فيما نقل من الكرامات. وقد بينا هذه الوجوه والمباحث الامبحث منفعة
 الاعتقاد بالحوارق ومضرته فقد كنا عازمين على أن نرجئه الى أن نقل
 طائفة من الحوارق التي تؤثر عن كنه الوثنيين والكتائين ايضا لما جاء
 في عرض القول من ان جميع الامم تدعي رؤساء دينها الحوارق والكرامات.
 ولما كان هذا يتوقف على مراجعة كتب الدين لتلك الملل وذلك لا يتيسر
 الا في وقت الفراغ ظلنا نتربص هذا الوقت فمرت السنة الثالثة ولم نصبه فيما
 بعدها فوعدنا في آخرها بأن سنتم في الرابعة بمبحث الحوارق ومبحث
 مدينة العرب وصرت الرابعة محتومة بوعد آخر لم نربدا من الوفاء به مع
 الإيجاز كما بدأنا الوفاء بمبحث مدينة العرب ونسأل الله تعالى ان يتوب علينا
 من الوعود المحدودة؛ وان كانت آجالها ممدودة،

اضطرونا الى الوفاء بهذا الوعد (إكمال مبحث الكرامات) الذي
 ضاق عنه حولان كاملين في أضيق الأوقات علينا وأكثرها شواغل —
 في جزء آخر سنة تقدمه عيد لاعمل فيه وانحراف في المزاج من النزلة
 الواحدة (الانفلونزا) وزاحمه مع الاعمال الإدارية والحسابية الاشتغال
 بالاشغال من المنزل الذي نحن فيه الى منزل آخر مجاور له والاشتغال بتأسيس
 طاعة الأئمة. وهذه عاقبة من عواقب التسويف السيئة ذكرناها تأدياً
 لنفسنا و... انما نكون عذرا لنا في الاختصار والإيجاز في موضوع
 كذا نود أن يطول فيه لأن الاعتقاد بالحوارق تأثيرا في الأخلاق والآداب

والعادات وشؤون المعيشة والكسبية وإن شئت فقل إن لها التأثير العظيم في سير الأمم فمروخ هذا الاعتقاد في قوم وزلا اله أو زواله من نفوس قوم هو من علل ما عليه الأقوام من التقدم والتأخر في السيادة والثروة وضدها

(الحوارق عند الوثنيين)

كانت الأديان الوثنية كلها قائمة ببحوارق العادات وكان لقدماء المصريين منها النصيب الأوفر ولا يزال وثنيو الهند إلى اليوم يأتون ببحوارق مدهشة ومن أغرب بحوارق البراهمة الجلوس في الهواء ولكن الأوربيين تمكنوا بصناعتهم من محاكاة هذه الخارقة. ومن بحوارقهم أنهم يضعون النار في أفواههم فلا تضرهم على أنهم يلقظونها غير مطلقاً. ومنها أنهم يظهرن لشيء من الصدم. ومنها أنهم يستنبتون الشجرة من البزرة في مدة قليلة خارقة للعادة. ومنها أنهم يذبحون الإنسان ثم يحيونه. ومنها أنهم يخبرون عن المغيبات فيصيبون. ومن أحقرها ملاعبة الأفاعي والثعابين والتعرض للسحاب. وقد نشرت جريدة الاهرام من مده قرية بمصر المعجائب والحوارق التي تظهر على أيدي هؤلاء الهنود. والهنود معروفون بهذه الحوارق من قديم الزمان وقد اعترف بهم بعض المتصوفة بشيء مما وصل اليهم وعلموا ذلك بأنه أثر الرياضات الشديدة التي تكون منهم (راجع كتاب الجواهر والدرر للشمراي وغيره) ومن هذا التعليل يعلم أن أصحاب تلك الحوارق لم يكونوا كلهم من الاشرار او الذين يتعرضون لايداء الناس فتأتي التفرقة التي يفرق بها بعض المتكلمين بين المعجزة والسحر بل الكثيرون منهم عباد زهاد نساك مستسكون بدينهم أتم الاستمساك، أما التفرقة الحقيقية بين السحر وآيات الانبياء فقد تعلقت في بحث الآيات من الإلهام الدينية

﴿ الخوارق عند النصارى ﴾

كل ما ذكره الذين ألغوا الكتب منا في مناقب الصالحين وكل ما تناقله الناس فيما بينهم من كرامات أولئك الصالحين أحياء وأمواتا فيوجد مثله في كتب النصارى وفي روايلهم الأسانية التي يدعون أنها عن مشاهدة أو ترقى إلى المشاهدة . ومن ذلك ظهور المسيح وولده عليهما السلام للعباد في اليقظة والنام وظهور غيرها من القديسين . ومنه استحابة الاله والإخبار بالمفاتيح الذي يسميه المسلمون كشفاً ويسمونه نبوة . ومنه دلي الأرض وتقريب المسافات البعيدة . ومنه إشراق الوجوه بالأنوار وقت العباد . ومنه نزول المصاب والرزاقا من يؤذي القديس . ومنه قضاء الحاجات . والفوز بالخيرات لمن يتوسل بأحد القديسين والرهبان المتوحدين ويتجده شفيعاً عند الله . ومنه شفاء المرضى والمجانين ببركات القديس الحلي إذا لمس المريض أو صلى له (أي دعا) والقديس الميت إذا زار المصاب قبره . ومنه حيل النساء العواقر بالبركة والزياره ومنه إخراج الشياطين من المصروعين . ومنه ظهور الملائكة للقديسين . ومصاصتهم ومساعدتهم إياهم في بعض الشؤون . ومنه الصبر عن الأكل والشرب زمناً طويلاً ولكن الذي ينقل عن الهنود من هذه الخارقة لم ينقل مثله عن غيرهم فإن أحدهم يذفن في الأرض نحو شهر أو أكثر ثم يخرج منها حياً . وينقلون من كرامات القديسين ما هو أعظم مما ذكر ويدعون في بعضها النوارق فقد جاء في كتاب « العيشة الهنية . في الحياة النسيكية » أن من عجائب القديس أغناطيوس التي يزيد على مئة عجيبة ما هو ثابت بشهادة سبعة وسبعين رجلاً

هذا تواتر حقيقي والتواتر حجة عقلية باتفاق علماء المسلمين وغيرهم وللذين يدعون هذه الدعوى للقديس أغناطيوس يسهل عليهم أن يسردوا أسماء أولئك الشاهدين ومن نقل عنهم فلا يبقى للمنكر عليهم إلا أن يأتوا إلى تأويل تلك الخوارق وإثبات أنها خوارق وهمية لا حقيقية . وهنا يحكم العقل السليم من شوائب التحيز والتعصب الذي ينظر إلى الأئم نظراً واحداً لا يريد منه إلا استجلاء الحقائق بأنه التأويل إذا جاز فيما ينقل عن قديسي النصارى وكهنة البراهمة جاز فيما ينقل عن شيوخ المسلمين . فإذا كانت طرق النقل عند جميع الأئم واحدة فإما أن نصدق الجميع وإما أن نكذب الجميع وإما أن تأول الجميع ولا رابع لهذه الوجوه . ومن قال من هذه الفرق أنني أثق بنقل قومي عن غيرهم لأنني أعلم بحسن سيرتهم يقال له غيرك

كذلك فليس لك أن تحتج بأن ما يتصل عن صالحى مثلك دليل على صحتها لأن هذا الدليل هو الذي يسميه علماء النظر مشترك الإلزام

واذ ذكرنا القديس أغناطيوس — وهولوبولا مؤسس طغمة الجزويت التي يستقيت من طعمها سائر فرق النصرانية — قلنا نشير الى بعض عجائبه أو خوارقه على سبيل النموذج . قال القس أفرام في ترجمته عند ذكر رياضته الأولى بعد تركه الجندية ودخوله فى الأكاركية : « وقد اتفق له مرة أنه نهض لممارسة رياضته هذه الاعتيادية فقدم الى أيهونه والدة الله « تعالى الله عن الوالدة والولد » وجنا أمامها بأقوى ما يكون من العبادة وقدم نفسه للسيد المسيح بواسطتها وخصص حياته لخدمة الابن والوالدة المحبدة واعدأ إياها بكل نشاط نفسه أنه يحضرهما خدمة دائمة . وفي انتهاء صلاته هذه سمع صوتاً عظيماً وترازل المكان الذي كان فيه وانكسر كل زجاج التوافد حتى ان حائط المكان انشق أيضاً وأظهر الله تعالى بذلك سروره بتقديمه عبده نفسه لخدمته عز وجل » لم

وكأنى باخوتى المسلمين وغيرهم أن يكونوا من هذه الانجوبة وانما هو فى سبيل الخوارق التي سماها المتكلمون - ثلاثاً تلو قوله عز وجل « تكاد أن يوشعقون منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هتاً » أن دعوا الرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً » ولكي أذكر لهم ، لا أعكر أن يعدوه خذلاناً . قال نفس أديب : « وقد شاء ابن الرجل الذي كان أنه خبيث ، ما يذكره أن يعرف كيف ينشئ الليل فرآه مرة ساجداً متأملاً بوجه مذهب مينا الدموع ومرة أخرى أبصره مرة ثانياً من على وجه الأرض ولدهما شوق القديس متين . وقالوا رأينا كثيراً ما تأتي يا أديب يا حبيب قلبي وسرور نفسي ابني الجحيم يعرفه لك حتى لا يحرم أحد منهم أن يبطك . فيما أعظم جودك ورحمتك لأنك تحتل خاطئاً مني » وكأنني بهم يقولون بأن هذه رواية آحاداً وولدان لا يهتديا في هذا القالب ان كانت هي أرى رضى هذا القول بشرط أن لا يقبل قائله . مثل هذه الروايات الأحادية عن صالحى فمنه لأن ما جاء عن اختلاف سنن الكون لا يقبل الا باليدى القاطع الذي لا يبرأ انفسه كسجرات اديب عليهم السلام ومن قيل هذه الانجوبة عمل القديس القديس . فلو كان يوماً من سلوات الكنيسة لا كبر من صوم القديس القديس وأيضاً منه حور القديس القديس القديس نرى ما توارثه وبعثت جسده حتى أنه لم يبق في ذلك النهار كله ان يكف عن ذرف

الدعوى ولم يتكلم الا عن الثالوث الافدس بنوع جلي سام بحيث كان يذهل بخطابه
 عقول أجيل علماء اللاهوت مع انه كان لا يعرف حيثذ الا القراءة والكتابة . ومرة
 أخرى رأى في القداس حقيقة وجود جسد المسيح ودمه في القربان المقدس اهـ : ولهم
 أن يقولوا في الكلام اللاهوتي الذي قاله من غير تعلم انه ليس من الحواري لأن
 الاذكاء اذا توجهوا الى شيء واعتنوا به فلا يبعد أن يقولوا فيه قولاً غير منظر ممن
 في درجتهم العلمية وليس في درجتهم العقلية . ثم اتنا لا نعرف ما هو ذلك القول
 لتحكم أنه محل الإعجاب في الجملة فكيف تحكم بأنه علم لدني الهى جاء بغير تعلم وربما
 كان في الواقع خطأ . نعم أن أهل العلم والعقل من المسلمين يقولون هذا ولكن فينا
 كثير من المدعين للولاية ليس لهم كرامه الا الأقوال التي يسمونها علوماً لدنية
 وما هي الا من اللغو والجهالة ومنهم دجال الزقايق الذي يدعي أنه يفسر القرآن
 بالإلهام ويعتقد صدقه الجمل الغير فيصدقونه من كل جانب بالهدايا والتذوور ومثله كثير .
 وأما رؤية جسد المسيح ودمه في القربان ، فهي دعوى بغير برهان . ومثل ذلك
 دعوى ظهور الشيطان له بري ملك الثور وحته على الرياضات والمباداة ليصرفه عن العلم
 عندما قلل المباداة واشتغل بالعلم (قالوا) ولكنه صرفه ولم يتجدد . ولكن عندما مثل هذه
 أيضاً فصدقوا ان الشيطان ظهر للشيخ عبدالقادر الحلي بصورة توراتية وقال له
 انه رفع عنه التكليف فصرفه عبدالقادر وقال : اخساً يملعون : فصدق ذلك تحول الى
 ظلمة وقال له نجوت مني بعلمك يا عبدالقادر واتي قد فنتت بهذه الحيلة كلنا من العبادة
 وذكر عدداً كثيراً

ومن عجائب اغناطيوس وحوارقه التي دونوها انه عند ما توجه من القدس الى
 أوروبا طلب من ربان سفينة « الربان رئيس الملاحين » أن يحمه الى ايطاليا جاً في
 الله فأبى وحمله ربان آخر فانكسرت سفينة الذي أبى ونجت سفينة الذي حمه . ومثل
 هذه أنه رأى مرة جماعة يلعبون « فطلب منهم الصدقة فظفر اليه واحد من الجمهور
 وهتف قائلاً نحو القديس : ليحرقني الله حياً ان كان هذا الرجل لا يستحق أن يحرق حياً :
 وفي ذلك النهار عينه حضر فرجة « دنوية مبهجة » وكان واقفاً على برميل مملي باروداً
 واذا بشرة ملقبة وقتت على ذلك البرميل فاشتعل البارود حالاً وأحرق الرجل حياً
 ونجيه أخرى من هذا القيل وهي انه لما جمع [بنى] بأمره الرهبان في مكان
 لقرأ عليهم قوائمه التي وضعها لهم وذلك بعد الخروج من السائدة واجتمعوا انهم

الرواق الذي كانوا يتذكرون فيه بعد الأكل ولولا هذا الاجتماع لانهدم عليهم الرواق . وههنا يقول القارئ ان هذه الوقائع هي التي نقاهم الكثيرون وغندوها بحجة متواترة وما هي بحججه وانما هي وقائع حدثت بأسبابها وكان حدوثها بعد ما ذكر من باب المصادفة والاتفاق لا أن سر القديس كان سبباً في حدوثها . ومثل ذلك يتفق لكل أحد ولكن الناس لا يلتفتون الى هذه المصادفات الا اذا كان هناك من يستقدون صلاحه . وهذا القول صحيح وهو يصدق فيما ينقله قومنا من مثل ذلك عن متقدمهم من الأحياء والأموات .

ألم يقل كثير من الناس ان الشيخ محمداً عبده تهم في المسألة البرانية وحسب وهو بري . لأن الشيخ عليشاً كان غاضباً عليه فكان ذلك كرامة لشيخ غلبش . ولم يلتفتوا الى أن الشيخ عليشاً قبض عليه وحسب أيضاً ولم يقولوا ان ذلك كرامة للشيخ محمد عبده لأن الشيخ عليشاً سمع فيه وشاية وحاول إيداعه . وذلك ان الشيخ محمداً عبده كان متهماً بالمقل والحكمة لأنه أول من قرأ في الأزهر كتاب المقائد النفيسة وبعض كتب المنطق والحكمة التي لم تكن تقرأ لذلك العهد ثم صارت تقرأ بعد ذلك بلا نكير . ألم يقل بعض الناس ان ابن الشيخ الضواهري أخذ شهادة التدريس لأن والده محمد بن محمد بن السيد البدوي فذلك كرامة للسيد ؟ وقد أخذ مثل هذه الشهادة كثيرون ولم يعد ذلك كرامة لأحد . بل قال بعض الحق في هذه الأيام ان الشيخ علياً البيلوي صار شيخاً للأزهر بسبب سيدنا الحسين (عليه ارضى والسلام) لأنه كان خادماً للمسجد الذي فيه الضريح المنسوب له ! وقد خدم هذا المسجد غيره ولم يكافئهم سيدنا الحسين بهذه المكافأة ونال مشيخة الأزهر كثيرون لم يكافئوا المسجد الحسيني فلم يعد ذلك من الكرامات وخوارق العادات !!!

ذكرنا هذه الشواهد المتعلقة برجال معروفين من أهل الطبقة العليا في المسلمين ويعرف كل واحد من الناس . الا يحصى من أمثال هذه الشواهد التي يلجج بها الناس في كل مكان . وهي عندهم أقوى من كل برهان ، بل أقوى من الحس والعيان والإحساس والوجدان . بل هي ركن الاسلام والإيمان ، ويخشى بعض الخواص من تشكيكهم فيها ان يرفقوا من الدين ويستفتوا من جماعة المسلمين . وقد نقاهم هذا الرأي فيما سبق من بعض أئمة الشيوع وهو انه يجب التدقيق في بيان الحق في مسألة الاعتقاد بالأولياء والتمسك بالمنافع ودفع المضار من أحوال النور وجعل ذلك تدريجياً

لأنه قد سئل عن إمام العامة الذين لا يعرفون من دلائل الدين غير ذلك . وقد تقدم في
 مقالات البحث في إثبات الكرامة وسند ذكر في الجزء الآتي الحق الصريح الذي ينبغي
 معرفة الناس في المسألة . وبإذن منافع هذا الاعتقاد ومضارّه ووجوه تأويل ما ينقل
 من جميع الأئمة من الحواشى فلا يجعلن القارئ المغرم بهذه المسائل بالحكم حتى
 يقرأ المقالة الآتية مفصلة تفصيلاً

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

المسائل ومساائل عبد الله بن سلام (س ١) . ز . ع بالسويس : سأل عبد
 الله بن سلام النبي صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه وكان اسمه أنشأويل القأ
 وأرسله مسألة وأربع مسائل من غواض التوراة أذكر منها سؤالاً واحداً . فأخبرني
 حينئذ من المكين من النبي وما قلعهما وما لوحهما وما مدادهما ؟ فقال صلى الله عليه
 وسلم : مقعدهما بين كفتيه وقلعهما لسانه ودواتهما ريقه ولوحهما فؤاده يكتبان
 أعماله إلى محاسبه : فقال صدقت يا محمد . الخ . وقرأت حديثاً في مجلة مكارم الأخلاق
 الإلامية أتى به السؤال عنوانه : القضاء والقدر [وهذا مناه] . كل يوم ينزل على العبد
 ما كان مع كل منهما بحيثان إحداهما يفضأ والأخرى مكتوب فيها أعمال العبد من
 حسنات وسيئات فيكتبان في الصحيفة التي يضاوون ما عمله طول يومه حتى إذا انتهى
 إلى طائفة من الأعمال التي يحصى أن يكون كتابها على الآخرين فيجدها مثل بعضها
 حرفاً بحرف . الخ فهذان الحديثان يشافي أحدهما الآخر في الأول إن لوحهما
 فؤادهما وفي الثاني أنه صحيفة تن ينزلان بهما فترجاء الأفادة هديتم للهدى .

(س ٢) كل من الحريتين غير صحيح ولا يجوز لكم أن تأخذوا بحديث تروونه
 في كتاب أو محققاً أو جريدة إلا إذا كان موصولاً بذكر من خرج من أئمة الحديث
 حتى لا يضل سراحه ومعرفة صحة من عداهما أن لا يترك مخرجه ذلك ولم يكن في
 الصحيحين . وهذه التمسك بالإئمة في مسائل عبد الله بن سلام المذكورة في خريدة
 المساجد — حجة الكذب — قصة موضوعة والذي في صحيح البخاري أن عبد الله
 ابن سلام سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ثلاث عن أول الساعة وعن أول
 النهار يعني النبي . عن التوراة يترجى إلى أبيه وأمه . والرواية هكذا في غير البخاري
 من كتب الحديث . وفي كتب التفسير . قالوا وكان اسم ابن سلام الحسين فلما أسلم سماه

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبدالله

﴿ مارؤي في الإسراء . مستقر الأرواح . عذاب القبر ﴾

(س ٢) منصور أفندي رفعت بمصر . ماذا رأى نبينا محمد في ليلة الإسراء ؟

(ج) « لقد رأى من آيات ربه الكبرى »

(س ٣) ومته : أين تستقر أرواحنا بعد الممات ؟

(ج) لم يرد في هذا نص صريح قطعي والعلماء مختلفون فيه والراجح عندنا اتباع طريقة السلف في تفويض الأمر إلى الله تعالى في الأمور الغيبية وعدم البحث فيها وحسبنا أن ما ورد جائز عقلا وقد أجابه المصنوع

(س ٤) ومته : ما هو عذاب القبر بالنص من عناه وهل هو عذاب مستمر أو قتي وهل يقع على الروح فقط أو الجسم فقط أو كليهما ؟

(ج) الإحساس بالألم أو اللذة من شأن الأحياء والجسد لأحيائه إلا بروح فإذا كانت الروح في الجسد ووصل إلى الأم بواسطة يسبح أن قال إن هذا الألم بالروح والجسد وإن كان الشعور للروح وحدها . وإذا كان الروح خلقاً مستقلاً مدركاً كما تعتقد فلا شك أنه يجوز أن يدركه الألم في حال تجرده كما كان يدركه في حال تقيده بالجسد فلم يرد أن قول العلماء إن عذاب القبر — أي الألم الذي ينزل بالإنسان بعد الموت وإن لم يقبر — يكون على الروح والجسد يتضمن القول بأنه يبقى للروح بعد الموت علاقة واتصال بمادة الجسد الذي كانت فيه وإن تفرقت هذه المادة والنحو إلى أجسام كثيفة ونازلات لطيفة . وينتظم هذا القول أحد أمرين إما عدم فناء مادة الجسم وإما انقطاع العذاب بفنائها . واشتهور عن المتكلمين الأشاعرة أن الجسم ينعدم على الراجح كما قال الأفاقي

وقل يُعاد الجسم بالتحقيق عن عدم وقيل عن تفريق

والقول بالتفريق أي بعدم تلاشي مادة الجسم هو الراجح عند متكلمي المدرسة وبعض الأشاعرة وهو الموافق لرأي الفلاسفة القائمين باستحالة العدم . والراجح عندنا ما قلناه في جواب السؤال السابق من تفويض أمر عالم الغيب إلى عالم الغيب سبحانه وتعالى

تأثير العين (س ٥) منصور أفندي جان الكتاب بمحكمة شين الكوم . ما في القرآن وغيره من كتب الشرائع والديانات وكذا الأمثال عديمة وحشية ما أثبت وبرهن على وجود العين الحاسدة وتأثيرها في المحسود فارجو بيان حقيقة تلك المؤثرات التي تخرج

من العيين أو القلب وكيفية تأثيرها في المحسود من جاد ونبات وانسان بطريقة شرعية (ج) ليس في القرآن الكريم ما يثبت العيين ولكن ذكر المفسرون مسألة العيين وجهات تفسير قوله تعالى « وان يكاد الذين كفروا لِيُزِلُّوكَ بأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ » ويقولون انه الخجون « والمضى المتبادر أنهم كانوا ينظرون اليه نظر الغبط والحنق وفي آية أخرى في المنافقين « ينظرون اليك نظرا المفتني عليه من الموت » نعم قد ورد في حديث الشيخين وغيرها « العيين حق » أي أمر ثابت عند الناس وواقع فيهم ولم يرد في بيان كيفية تأثير العيين شي في الشرع وانما ورد ما يدل على أنها تؤثر ولا حاجة في فهم هذا التأثير الى أكثر من المعروف المشهور فان لبعض الناس استعداداً فصيلاً قوياً في التأثير ولبعضهم مثله في التأثر ومن ذلك صناعة التتوبم المغايطسي المعروفة عند الغربيين . وانتقال مطلق التأثير من نفس الى نفس معهود في جميع الناس أو أكثرهم فقل من ينظر صاحب تأثر شديد بحزن أو خوف الا ويحجد في نفسه أترأ من ذلك

المسألة المأمونية (س ٦) شيخ العرب ابراهيم جاجي بالسعدين : نرجو من سيادتكم أن تفيدونا عن المسألة المأمونية التي سأل الخليفة المأمون مجي ابن أكرم عنها حين ولاه القضاء ماهي وما جوابها

(ج) المسألة المأمونية مسألة في الفرائض وهي أبوان وابنتان لم تقسم التركة حتى ماتت إحدى البنات وتركت من في المسألة . وقد سأل المأمون عنها مجي عند ما وُصف له وأراد توليته القضاء فقال : يا أمير المؤمنين الميت الأول رجل أم امرأة؟ فعلم المأمون من هذا السؤال أنه قد فهم المسألة لأن الاشكال فيها كان من ابهام الميت الأول الذي مات عن أبوين وبنتين . وبيان الجواب أن الميت الأول اذا كان رجلاً تصح للمساكتان من أوبسة وخدين وان كانت امرأة لم يرث الجسد في الثانية فصح المسائلتان من ثمانية عشر

﴿وصية بطرس الأكبر قيصر روسيا﴾

(نشر هذا الوصية تمهيداً لمقال سنكتبه في فتنة مكدونيا وحال الدولة العلية وروسيا وأوربا) المادة الأولى -- من اللازم أن تقاد العساكر دائماً الى الحرب وينبغي للامة الروسية أن تكون متمادية على حالة الكمباح لتكون اليقة الوعى . وترك وقت لراحة العساكر أو لأجل اسلح المالية وتوفيرها وان كان ضروريا يلزم معه ان يكون تنظيم المصكرات

منافع از بهند السورة يمكن اجراء نفوذهم في داخل المانيا وبريطاون أيضاً الممالك المذكورة لجهة منافسا، وصاعته

المادة التاسعة - ان دولة انكلترة هي الدولة الأكثر احتياجاً اليها في امورها البحرية ولهذه الدولة فائدة عظيمة جداً أيضاً في أمر زيادة قوتنا البحرية فلذلك كان من الواجب ترجيح الاتفاق معه في أمر التجارة على سائر الدول وبيع حاصلات ممالكنا كالأخشاب وسائر الأشياء الى انكلترة وجلب الذهب من عندهم الى ممالكنا واستكمال أسباب الروابط والصلات الدائمة بين تجار وملاحى الطرفين فيتوسع بهذه الوسيلة أمر التجارة وسيرالدين في ممالكنا

المادة العاشرة - على الروسين أن يفتحوا أبواباً فيوماً شمالاً في سواحل بحر الباسفيق وسواها في سواحل البحر الأسود

المادة العاشرة - ينبغي التقرب عند الامكان من إسبانيا والبرتغال وإن من القضايا المسماة أن من يحكم على اسبانياول يمكنه حقيقة أن يحكم على الدنيا بأسرها ان من يلزم أحداث الحروب المتتالية نارة مع الدولة العثمانية وتارة مع الدولة الروسية لاسيما على البحر الأسود شيئاً فشيئاً وذلك لأجل إنشاء دور صناعات صربية فيسهل الاستيلاء على بحر الباسفيق أيضاً لانه خير موقع لحصول المفسود والتعجيل إضافة بل في حدود ايران لتتمكن من الوصول الى خليج البصرة وربما تتمكن من المدد نحو الممالك الشرقية مدية الى بلاد الشام والوصول منها الى بلاد الهند التي هي غنابة مخزن للدنيا وبهذه الوسيلة تستغني عن ذهب انكلترة

المادة العاشرة - ينبغي الاهتمام بالحصول على الاتفاق والائحاد مع دولة اوستريا والمحافظة على ذلك ومن اللازم التظاهر بترويج افكار الدولة المشار اليها من جهة ما ينبغي اجراءه من النموذج في المستقبل في الادامانيا واما الباطن فينبى لنا فيه أن نسي في تحريك غرور حسد وعداوة سائر حكام المانيا لها وتحريك كل منهم لطلب الاستماتة والاضداد من دولة روسيا ومن اللازم اجراء نوع حماية للدول المذكورة بصورة

بعضها البعض التحكم على تلك الدول في المستقبل

المادة العاشرة - ينبغي تحريض العائلة المالكة في اوستريا على طرد الاتراك وتبريدهم من قطعة الرومي وحينئذ نستولي على استانبول يجب علينا أن نسلط دول اوروبا القديمة على برية وسيرياك ونخذها حرباً أو نسكن حسدنا ومراقبتها ليعطائها حصصاً صغيرة من

الأملاك التي تكون قد أخذناها من قبل وبعدها نسمى بترج هذه الجهة من دها
المادة الثالثة عشرة — ينبغي ان نذكر ان جميع المسيحيين الذين هم من
مذهب الروم النكرين رياسة ابا الروحية وكاتشرين في بلاد الجبل والملك العظمى
وفي جنوب تلك (له) وملكهم الى ان يتخذوا دولة روسيا من حيا ومن لهم ومن
اللازم قبل كل شيء احداث رياسة مذهبية حتى تتمكن من ايجاد نوع من الحكومة
الرهانية عليهم فتسهي بهذه الوساطة لاكتساب اصدقاء كثيرين ذوي نفوذ استعين بهم
في كل ولاية من ولايات أعدائنا

المادة الثالثة عشرة — حينما يصبح الاسوحيون مشايخ والايرون مغلوبين
واللاهيون محكومين والملك العثمانية مضبوطة لنا أيضا نجمع معسكرنا في محل
واحد مع الحفاطة على البحر الاسود وبحر الخفي بقوات البحرية وما ذلك يظهر
أولا لدولة فرانسأ كزيرة ما من حكومات الدنيا بأرهايقنا بل دولة الروسية وبمرئ
ذلك على كل من الدولتين المشار اليهما كل منهما على حدة ضرورة تخليها لغيره
ذلك واذا كان لابد من ان احدهما تقبل هذه الصورة فعند ذلك ينبغي مداواة
واحد برام كل منهما ونجعل من تلك منهما قايما على رضاهما واسطة لتسكيل
الأخرى. وإذا تكون دولة روسيا حينئذ قد استولت على جميع الممالك الشرقية ويكون
مثل ذلك أعظم قطع أوروبا حديث الدخول في مدتها فما فائدة يسهل عليها أن تقهر
وتشكل فيما بعد أية دولة بقيت في الميدان من الدولتين المذكورتين

المادة الرابعة عشرة — على فرض الحال ان كلا من الدولتين المشار اليهما تقبل
بما عرضته عليهما روسيا فينبغي حينئذ لروسيا ان تصرف الأفكار لرافقة ما يحدث
من النزاع والخلاف بينهما فلما وقع ذلك فلا بد أن أحد الفريقين يشترك مع الآخر
ويضعف كل منهما وفي ذلك الوقت يجب على روسيا أن تنتظر الفرصة العظيمة وتسوق
حالا معسكراتها المتجمعة أولا بأول على ألمانيا فتحجم على تلك الجهات ثم تخرج فسيين
كثيرين من السد من أحدهما من آخر أرق المملوء بالأساكر الوافرة المتجمعة من أقوام
الاناضول المتنوعة والثاني من لجان ارمياكل في البحر المتجمد الشمالي فتسير
هذه السفن وتغر في البحر الابيض والبحر المحيط الشمالي مع الاسطول المقيم في
البحر الاسود وتغر في البحر وتجهز لتسير على سواحل فرانسأ واما ألمانيا فانه تكون
اذا ذلك مشغولة بحالها. وما ذكرناه تصبح الممالك التي في الاساطين المذكورة ان مغلوبتين

أصل نصب الأدلة بدعة فإن البدع والبدعة في اللغة ما كان على غير مثال سبق
 ثم طفق يستدل على أن البدعة تنقسم الى الأقسام المذكورة فذكر أموراً متقدمة
 أولها إخراج الصحابة اليهود والنصارى من جزيرة العرب وأنها اقترحهم غير العرب من
 الكفار . والثاني منصوص في الكتاب والأول حجة به السنة . أخرج أحمد ومسلم
 وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث عمر « ان عشت
 لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أترك فيها الا مسلماً » وأخرج
 الترمذي والحاكم من حديثه أيضاً « ان عشت إن شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى
 من جزيرة العرب » وأخرج أحمد وأبو يعلى في مسنده والحاكم في الكنى وغيرهم
 عن أبي عبيدة قال : آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أخرجوا
 يهود الحجاز وأهل حبران من جزيرة العرب وأعموا ان شر الناس الذين اتخفوا
 قبور أنبيائهم مساجد » . وأخرج أحمد من حديث عائشة « لا يبقى في جزيرة العرب
 دينان » وبقيت أحاديث بمعنى ما ذكر

وقد أحسن المؤلف في قوله : « نعم ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم مع وجود
 مقتضى لفظة كان تركه سنة وفعله بدعة مذمومة ولذلك كره أصحابه عليه الصلاة
 والسلام التركين الشامين والصلاة عقب السجى بين الصفا والمروة » روى في صحيح
 عليه وسلم لذلك مع أنه كان يعلم المنايا للناس « تقول وكذلك يقال في جميع
 والشعائر الدينية لأنها مبنية على الاتباع المحض ولا مجال لأجتهاد الناس في تغييرها
 ربما يختلف باختلاف الزمان والمكانهم تقدم أيضاً هذه المسألة في غير هذا الجزء من المنار
 هذا ما نقوله في تمهيد هذه الرسالة ولما قول آخر في المسائل المقصودة منها بالذات
 نرجئه للجزء الآتي

الاسلام في عصر العلم — صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب وهو مؤلف من
 أربع كراسات [كل كراسة ١٦ صفحة صغيرة] الأولى في الفصل الأول من الباب الأول
 من مبحث الإنسان وهو في معرفة الإنسان نفسه . والثانية في تمهيد البحث في حياة
 النبي صلى الله عليه وسلم . والثالثة في البحث عما وراء المادة وعظم شأنه عند علماء أوروبا
 المشتغلين بمسألة استحضار الأرواح . والرابعة في ملحق الكتاب الموضوع للبحث في
 داء الأمة ودوائها . وقد استقر المؤلف ان يصدر في كل جزء كراسة من كل باب من
 أبواب الكتاب ثلاثا يطول على القراء الكلام في المقدمات فيملأوا

(سمير العريب) ابن سبهان وابن جراد قائدان من قواد ابن رشيد والتقى واد
 بوض الفقه . . . إلا آلاف الدلائل التي تقدمون الجيش وله أصل في الفصيح
 في الأساس . وسام القوم تقدموا سلفاً وهم سلف ابن ورائهم وهم سلف
 الصكر : وحروب يريد به طوائف من بني جرب وعلى هذا النحو جمع شيطان وصليبه .
 والآخرة مؤلف الأخير بمعنى الأخيرة . وقوله « زين بريدة » أي الجأ إليها وهي قرية
 من قرى القسم الكبيرة . والزين في اللغة الدفع ومنه سمي الشرطة وأعوان النصار
 زيناية . ثم يدفعون الناس ويدعونهم وجاء في كلامهم « نخه جل زين المطي » بمعنى
 أي في قها . كأن البدوي هنا يريد أنهم لجأوا إلى بريدة مدفوعين بقوة أعدائهم .
 والخمر بين النصارى ونزل سار إلى جهة الشمال . وفي الفصيح
 وقال لثامن أرسل إليه الكتاب : الصواب
 البطاركة في سنة السعداء والثلوث الناقبة المذلة عصرية فصيحة .
 هي مأسوية إلى ابن صباح . وجار هذا هو ابن
 والكون « يريد به الغزو الذي ذكره

مشيخة الجامع الأزهر ونقابة الأشرف

قضت إرادة الأمير ب عزل الشيخ سليم البشري من مشيخة الأزهر وقد استشار نظاره
 هذا المرة في يومى بدلائله فكان لهم في كل واحد من كبار الشيوخ المرشحين من سموه لهذا
 المنصب عليه تحول دون توليته إياه حتى إذا رشح السيد الشيخ علي البيلوي نقيب الأشرف
 فاستأمره بتوليته فنهته بهذه الثقة وسأل الله تعالى أن يجعل
 أيامه أيام التلاحق يتقدم فيها الأزهر تقدماً ميباً . وأن لنا مع هذا الدعاء رجاء فائداً
 فيها بالسيد الرفق وهو عنوان الخير والله يحب الرفق في الأمر كله كما في حديث
 عائشة عند أحمد والشيخين والترمذي وقال صلى الله عليه وآله وسلم
 لا رافق في بني الأمانة ولا رافق من شيء إلا شانه . رواه عبيد بن حميد
 وأما الحرق « شد الرفق » فإن صاحبه يشمله الضرر عن الاحساس
 بالحاجة إلى الإصلاح . وأن لنا العودة إلى الكلام في الأزهر أن شاء الله تعالى
 ثم قضت إرادة الأمير بأن يعيد منصب نقابة الأشرف إلى نصابه الأول وهو
 بكري الشهير فأمر بإعادة النقابة إلى صاحب الساحة السيد محمد توفيق أفندي
 البكري شيخ مشايخ الطرقة وكانت تحولت عنه من بضع سنين . وعهد إلى ديوان الأوقاف

العمومية بالنظر في أوقاف الاشراف وإدارتها وكان النقيب هو الذي يديرها

﴿ مدرسة ماهر ﴾

كنّا استبشرنا عند ما علمنا بأن المرحوم عثمان باشا ماهر أوقف أرضاً واسعة على إنشاء مدرسة إسلامية وتوهدنا بذلك تنوهاً حسناً . ولكن قد خاب أملنا في هذه المدرسة منذ علمنا أنه عين في الوظيفة لكل معلم يعلم فيها راتب لا يزيد على أربع مئة قرش في الشهر وما كان لأحد يحسن التعليم أن يرضى بهذا الراتب في مصر وإنما قائدة للمدرسة بالعلمين . ولقد كان الذي أشار بهذا التبعين هو الذي أحبط عمل الواقف بما جملة صورة بصر معنى . وإن هذا لمن البراهين المثبتة لرأينا بأن نجاح الأمة لا يموزه المال وإنما يموزه الرجال فالرجال كثير والرجال قليل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ،

﴿ إصلاح حروف المطابع العربية ﴾

للحروف العربية شكل في الافراد وشكل في تركيب الكلمات بله أشكالاً فائدتها الاختصار فان الكلام اذا كتب بالحروف المفردة يشغل من مساحة الورق أكثر مما يشغله اذا كتب بهذا التركيب المعروف وبهذا يفضل خطنا خطوط اللغات الإفريقية ولكن له سيئة في الطباعة وهي كثرة أشكال الحروف التي تتألف منها الكلم وقد زاد هذه السيئة سوءاً واضعوا أشكال حروف الطبع فلمهم جعلوا أشكالها بضع مئين لأنهم جعلوا للحرف الواحد أشكالاً مفردة وأشكالاً مركبة متني وثلاث ورباع فبلغت أشكال الحروف في مطبعة بولاق الاميرية تسعمائة شكل وهي في غيرها من مطابع أوروبا والاستانة والشام أقل من ذلك ويزعمون أن كثرة الاشكال لحفظ جمال الخط العربي ولكننا نرى ان أكثر هذه المطابع أشكالاً أقلها جمالا .

وقد ارتقت الطباعة العربية في الاستانة والشام وقت أشكال الحروف الاستانبولية ووجدت هذه الحروف في مصر فحسنت بها الطباعة وصار طبع المطبعة الاميرية — وهي أشهر المطابع العربية في الدنيا — أقبح الطبع وان كانت لاتزال تمتازة بالتصحيح لذلك توجهت غناية نظارة المالية الى اصلاح هذه المطبعة فألفت لجنة للبحث في طرق الاصلاح رئيسها ابراهيم باشا نقيب وكيل الداخلية وأعضاؤها الشيخ حمزة فتح الله مفتش المطابع في نظارة المعارف وشيخو بك نظار المطابع الاهلية والجرائد الرسية وأمين بك ناظر مدرسة الناصرية وأحمد ركي بك الكتاتب الثاني لاسرار مجلس النظارة وكان عمل هذا النظر في اختصار صندوق الطباعة وتسهيل

جمع الحروف فاحتسب حال المطابع العربية في الآستانة وأوروبا فوجد أن أقل المطابع حروفاً مطبوعة اكتسور وفي أكثرها قافاً كل حروفها ٢٨٢ شكلاً وبمدالبحث والتدقيق لم يأت إلى جبل هذه الحروف ١١٢ يضاف إليها بعض الحروف الأجنبية المستعملة في اللغات الشرقية التركية والفارسية والهندية والجاوية والماليزية وبعض المركبات والأرقام والعلامات التي لا بد منها فيكون ١٧٨ وقاته أن يضيف علامات العلوم الرياضية أيضاً وذكر أن قوتها لا تقابل أدوات الطباعة والاقتصاد في المال والوقت والمال والسابق في السطور . وقد كتب مذكرة في رأيه فقبلتها اللجنة وبحثت نظارة المصالحية بخانية آلا فحبه ونيف لتنفيذ الإصلاح

وأهل الصناعة بنارهم في بعض الفوائد ولكنهم لا ينكرونها من أصلها وقد روي إلى زعمهم أن هذا الاختصار يذهب ببعض جمال الخط الذي يحفظ الطبع صورته بسبب حذف بعض الأشكال واستبدال المفضل بالافضل ولو اتخذت المطبعة الأميرية صندوقاً أو أكثر من الأشكال التي تسمى بحذفها وخصصها بكتابة المداوين ووراق الزيارة والدعوة ونحو ذلك لأحسن عملاً . الاقتصاد في الوقت يظهر بادئ الرأي ولعله لا يتم تجربة لأن التعامل يمد يده إلى الصندوق الذي كل حروفه مفردة بعدد حروف الكلمة وإلى ما فيه حروف مركبة أقل من ذلك . ومن الجلي أنه لا اقتصاد في ثمن الحروف لأن قلة الأشكال لا تقتضي قلة عدد الحروف . ولكن قلة الحروف مسهلة لتعليم جمع الحروف وبسرعة الثمن بل هي مسهلة لتعليم القراءة والكتابة أيضاً

﴿ تبلييه للمشاركين ﴾

يذكر الغراء من إختام الآتية أن استريد المنار اثنا عشر سنة ولكن لم تزد ثمنه الا قليلا بالنسبة الى خارج البلاد المصرية . فكل من قبل المدد الأول من السنة السادسة في المنار المصري فهو مدد مشترك الى نهاية السنة ويلزم بدفع خمسين قرشاً صحيحاً . وقيمة الانترنك في خارج المنظر ١٨ فرنكا وفي الهند ١٠ روبيا وفي روسيا ٧ روبلات (روبل)

﴿ خاتمة السنة الخامسة للمناظر ﴾

قد تمت بهذا الجزء سنة المنار الخامسة وكان انتشاره فيها فوق ما كنا نرجو ونتوقع فقد زاد عدد المشتركين عما كنا نقدر بالقياس على السنين السابقة زيادة صالحة تجاوزت عدد جميع المشتركين في السنة الاولى والثانية . ثم ان نمو المتولي قد زاد أيضاً واتصل حزب الشيطان المعارض تفاؤلا او امحلا انحلالا . وتبلييه للمسلمون الى

أنهم بحجة دينية تخدم ملتهم بحق كما أن أسائر الأمم مجلات وجرائد دينية تخدم ملهم
ومحلهم المتفرقة. نعم صار المنار موضع ثقة العلماء والفضلاء والعامة في بلاد العرب والعجم
وقد سبق القول بأنه صار يخاطب به على المنابر. ويحتاج به في المحاكم، ويقتد عليه في
رد شبهات المعارضين على الدين، وإقامة حججه للمسترشدين.

اشترنا فيما سبق إلى شهادات بعض أعلام المسلمين الموقرين بالمصالح العامة كوزير
مصر الأكبر رياض باشا وكمحسن الملك محمد رشيد من غيرهم، ناظم مدرسة العلوم
في عيلكة (الهند) وبعض المجتهدين والعلماء في إيران وغيرها. ونقول الآن إن
المنار ظفر برضاء كبار شيوخ الطريقة أصحاب التفوذ الروحي. ونذكر كلمة لأشهرهم
في بلاد مصر والسودان وهو الشيخ علي الميرغني رئيس الطائفة المرغنية الكبيرة فقد
كتب إلينا في ٢٩ ذي الحجة الماضي كتاباً يقول فيه: «ويسرنا أن نبلغكم مزيد
مرورنا وارتياحنا لهذه المجلة القائمة بالخدمات الصادقة الجليلة للإسلام والمسلمين ونسأل
الباري أن يكمل عملكم المفيد» - أح والفلاح :-

ولا شك عندنا في أن هذا أثر الإخلاص وحسن النية في العمل فهذه هي بضاعتنا
التي لا ربح لنا في سواها والتي نرجو أن تكون مكفرة لجميع سيئات ضعفنا في العلم
والتحريير، وما يلزم عنهما من الخطأ والرجس، فالتنا تبرا من حولنا وقوتنا إلى
حول الله وقوته وهو نعم المولى ونعم النصير

كان ذكر تقرر فضلاء عملنا تحمداً بنعم الله وشكره ولعماده الأخيار الذين بنوهون
بالمنار ويرغبون الأمة فيه نذكر انتقاد أهل الفضل مع التناء والشكر أيضاً لأن حاجتنا
إلى الأسمرين واحدة إذ الفائدة واحدة وهي زيادة البصيرة في العمل. فإذا كان
رياض باشا يثني على المنار في غيبته على مسمع الملأ ويقول في محفلة الخافئ: ينبغي
لكل ذي إحساس ديني أن يقرأ المنار ويساعده: فهو يذكر لنا إذا خلونا به كل ما يراه
مستقداً وقد انتقد مما نشر في هذه السنة أمران أحدهما الكلام في محمد علي باشا
الكبير والثاني لائحة سجل جمعية أم القرى التي فيها ما فيها من مساوي الدولة العلية
(أيدها الله) وقال إن ذلك ليس من موضوع المنار ولا ينبغي له

وإذا كان الشيخ محمد محمود الشنيطي بنوه بالمنار كثيراً وسبق له تقرر بقبصيدة
فهو يذكرنا ما يراه أحياناً مستقداً وقد كنا ذكرنا انتقاده كلمة (الاستغاثات) وتعمدية
التعمية بالباء داخلة على المعزى عنه. ونذكر الآن أنه انتقد ما ورد في تفسير قوله

تعالى «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» من حكاية قول العلماء في أن الملائكة للموكلين بالعوالم الخلية هم من قبيل القوى أو أرواح يكون بها نظام حياة تلك الأحياء ومن ذلك خواطر الخيز في الإنسان كما أن خواطر الشر من أرواح خبيثة تسمى الشياطين . قلنا هذا القول من تفسير الاستاذ الآمام . وذكرنا في الخامس كلمة في المسألة للآمام الغزالي في كتاب شرح بحجاب القاهر وقد سمي الاستاذ الآمام هذا لرأي في هذا النوع من الملائكة تأويلاً بل ذكرنا بمقتضى أنه من باب الإشارة إذ قال «فيه إيماء إلى الخالص» الخ ولم يجعله العمدة في تفسير الملائكة . وقد أشبه هذا القول على كثيرين وتعلقوا به ونحووا عن تصريح الاستاذ الآمام بأن الواجب اعتقاده أن للملائكة خلق غيبي مستقل وأنهم فرق كذلك عليه قوله تعالى «ولما نحن الصافون وإنا نحن المسبحون» وأول دور السافات والمرسلات والازاعات . ونرى أن سبب انتقاد الشفيعي نقل تلك القول وإن كان من الإشارة إلى الخواص وهو منهم . هو أنه منار لأوهام العوام وهو مصيب في ذلك .

وانتقدنا نشر في هذه السنة أيضاً تشبيه النساء المهذبات بالملائكة الذي ورد في نصيحة لثالث (ج ١٥ - ٥) وقد سرى هذا التشبيه إلينا من كتاب العصر الذين يكثرون منه وهو تشبيه قديم كما يدل قوله تعالى «ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم» وإنما يشكره الاستاذ في الكوافر

وانتقد منه أيضاً افتتاح المقالة في الرد على كاتب نصراني بقوله تعالى «يخرفون الكلام عن مواضعه» الخ والآية نزلت في اليهود بأحق وإنا قصدنا بها الاقتباس لا التفسير وقد قلنا أن نذكر من قبل انتقاده ما جاء في بعض مقالات المحاورة بين المصلح والمقلد التي نشرت في المجلدين الثالث والرابع من ترجيح أحد المتناظرين حل التهمة وقد رغب إلينا الاستاذ بأن ننشر احتجاج القاضي يحيى بن أكرم على المأمون عند ما أباحها ورجوع المأمون عن ذلك واستفعل أن شاء الله تعالى . وعسى أن يخفنا الاستاذ دائماً بما يراه . منتقداً في المنار ونعمه بأننا نقبل ذلك بقبول حسن ونشكره أفضل الشكر وههنا نشبه جميع العلماء إلى القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي كاد يترجى الدين بهاها ولا ترجى حياته إلا بالقيام بها وتدعو من يطالع على المنار منهم إلى تشبهنا على برونه خطأ بالقول أو الكتابة ومن أحب منهم أن ينشر انتقاده معزواً إليه قلنا ننشره له مقروناً برأينا فيه مع الأدب والشكر وليس من شأن أهل

الدين أن ينكر الانسان عمل أخيه في غيبته ويكتمه عنه. وانما نسمع عن بعض الذين
يعاؤوننا ويطرون المنار أمنا كلاماً لا يرضي. هذه شذوثة المنافقين وشر الناس يوم القيامة
عند الله ذواللسانين الذي يأتي هؤلاء بوجه هؤلاء بوجه كما في حديث أحمد والشيخين
من الناس من يعتذر عن نفسه في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأن
الناس لا يقبلون أو أنهم يؤذون من يأمرهم وينهاهم بالله ~~أو الفل~~ أو الفل. وهاتين أولاه
نقول على رؤس الأشهاد إن آمن الناس علينا وأحقهم بالشكر منا من يدلنا على ما يراه
خطأ في المنار فمن يدعي أن في المنار خطأ في المسائل الدينية أو غيرها ولم يذكره
تولاً أو كتابة فهو فاسق شاكك فريسة النهي عن المنكر من غير عذر وعلى الناس
أن يستلوا من قوله تعالى أنه فاسق أو منافق ومن كان كذلك لا يقبل له قول في العلم
والدين. روى ابن عدي والحاكم عن أنس وغيرهما عن غيرنا أن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم قال: « أن هذا نعم دين فاطمروا عن تأخرون دينكم ». وقال تعالى « يا أيها
الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً شبهه لعلهم يأتونكم بما يعلمون
لأنهم هذا الخلاج في حال الناس على اعتقاد المنار مخالفاً وتوها أنه يملو عن
الاعتقاد ولكن حرصاً على بيان الحق الذي نعاله واستماعة عليه بانصاره. والراغبين
في اعتلاء مناره، ونقول هذا ما قال الأستاذ الامام: « ما من أحد يأمر من أن يعين
ولا أكبر من أن يمان »

واعلم القراء بأن سريد المنار هاتان في السنة السادسة فتجعل ورره أجيود من هذا
الورق ونحري المباحث التي راعا أكبر فائدة وأكبر نفعاً. وفي النية المود إلى التوسع
في باب العقائد و[آثار السلف] و[مبادئ] وفي مباحث آداب اللغة مع
الاستمرار على نشر التفسير القديم من مفتي الديار المصرية والمواد إلى باب [البدع
والخرافات والتقاليد والمعادن] وربما نجل الجد في شؤون النساء وما يتعلق بهن
من أمور الزواج والبيوت بآباً يسرف في أكثرها جزاء. وإن أجل تحفة تفهم بها في
السنة الجديدة تلك المقالة أو المقالات التي وعد بها ذلك الامام الحكيم صاحب مقالات
(الاسلام والتعمير) مع العلم والمدينة التي بين فيها كيف تكون البدع التي
رجعت بالمسلمين القهقري هي السبب في حياتهم المليئة المستقبلية. ونختتم المجلد الخامس
بحمد الله، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله، وآله وصحبه ومن آله.